



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليكم يا صابغ
الرميا

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مُوسُوْعَةٌ

حِكْمَتِيَّةٌ خَوِيْبَةٌ

دُرِّ السُّؤْمُوْرِ وَخَبْرِيَّةٌ

السَّيْدِ نَبِيْلِ الْحَسَنِ

« ٤ - ١ »

مَنْشُوْرٌ
فِي الْمَكْتَبَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ
وَالْمَدْرَسَةِ الْعِلْمِيَّةِ
بِالْمَدِيْنَةِ الْعِلْمِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام

كاتب:

شعبه التحقيق فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبه
الحسينيه المقدسه

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائميء باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٠	موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام
٣٠	اشاره
٣٠	المجلد ١
٣٠	اشاره
٣٤	الإهداء
٣٨	مقدمه الكتاب
٣٨	اشاره
٣٨	المسأله الأولى: اعتذار لابد منه
٤٠	المسأله الثانيه: إن خديجه كانت أمه قد جمعت في امرأه
٤٠	اشاره
٤٠	المحور الأول: خصوصيتها كامرأه
٤٢	المحور الثاني: الدور السيادي في مجتمع قبلي
٤٢	اشاره
٤٥	أولاً: النسب
٤٥	ثانياً: المال
٤٦	ثالثاً: العفه والطهاره
٤٧	المحور الثالث: الرجوله في شريك الحياه هي الفضيله
٤٩	المحور الرابع: الدور الإصلاحي لبنى الإنسان
٥٠	المحور الخامس: تشخيص دورها الرسالي
٥٠	اشاره
٥١	أولاً: الرساليه في حمل التكليف الشرعيه
٥١	ثانياً: الرساليه في الحياه الزوجيه
٥١	ثالثاً: الرساليه في الأمومه
٥٢	رابعاً: الرساليه في الصبر والجهاد
٥٢	خامساً: الرساليه في الدفاع عن القيم
٥٣	المحور السادس: الاصطناع المولوى
٥٤	المحور السابع: التصدى لمغول الفكر الإنسانى
٥٥	المسأله الثالثه: منهجنا في الدراسه التحليليه والتحقيق

٦٠	الفصل الاول: سيده قريش
٦٠	اشاره
٦٤	المبحث الأول: حاله الاجتماعيه في مكة قبل الإسلام
٦٤	اشاره
٦٥	المسألة الأولى: الاصطفاة الرباني لقريش
٦٨	المسألة الثانية: رموز تجسد فيها الاصطفاة
٦٨	اشاره
٦٨	أولاً: قصي بن كلاب
٦٨	اشاره
٦٩	ألف: سبب تسميتهم بقريش
٧١	باء: دور قصي بن كلاب في جمع القبائل وحيازه الفضائل
٧٢	جيم: أنه أول من أصاب ملكاً فأطاع له به قومه
٧٣	دال: تقسيمه مكة أرباعاً وجمعه لقريش
٧٥	هاء: إنه أول من أوقد ناراً بالمزدلفه
٧٥	واو: إنه أول من فرض السقايه والرفاده على قريش خدمه لحجاج بيت الله
٧٦	ثانياً: عبد مناف بن قصي
٧٨	ثالثاً: هاشم بن عبد مناف
٧٨	اشاره
٧٩	ألف: إنه أول من سنّ الرحلتين لقريش
٧٩	باء: سبب تسميته بهاشم
٨٠	جيم: سبب عداوه أميه لهاشم
٨١	دال: سبب تسميه بنى هاشم بالمطيبين وبنى أميه بلعقه الدم
٨٢	هاء: أول من سنّ ضيافته حجّاج بيت الله من ماله الخاص حتى يرحلوا من مكة
٨٣	واو: أول من أخذ الحلف لقريش من قيصر الروم، وملك الحبشه
٨٤	زاي: وصيته وما خلف من الأولاد
٨٧	رابعاً: عبد المطلب بن هاشم
٨٧	اشاره
٨٧	ألف: لماذا سمي شبيهه الحمد بعبد المطلب
٨٩	باء: اصطفاؤه لحفر بئر زمزم
٩١	جيم: تحالفه مع خزاعه ورعايته لحفظ الجوار
٩٢	دال: زواجه وابنه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بنى زهره

- ٩٢ هاء: إن عبد المطلب أول من خضب لحيته وشعره بالوسمه ولم تعرف قريش بذلك
- ٩٤ واو: إن الله تعالى يكرمه بتفجير عين ماء عند أقدام بعيره
- ٩٥ زاي: نذر عبد المطلب في نحر ولده عبد الله
- ٩٦ حاء: عبد المطلب يستسقى الغمام بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٩٨ طاء: كرامه عبد المطلب في حفظ بيت الله من أبرهه الحبشي
- ١٠٠ المسأله الثالثه: السمات التي أهلت قريشاً لسياده المجتمع المكي
- ١٠٥ المبحث الثاني: قرابته النسبيه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٠٥ اشاره
- ١٠٥ المسأله الأولى: نسيها
- ١١٠ المسأله الثانيه: منزلتها في مكة تمنعها من الزواج وتلزمها حسن الاختيار
- ١١٤ الفصل الثاني: زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١١٤ اشاره
- ١١٧ المبحث الأول: هل تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم!؟
- ١١٧ اشاره
- ١١٧ المسأله الأولى: التعارض بين أقوال المؤرخين في زواجها وإعراضها عن الزواج
- ١١٨ المسأله الثانيه: الاختلاف في تحديد هويه الرجلين
- ١١٩ المسأله الثالثه: اعتراض أبي القاسم الكوفي
- ١٢١ المسأله الرابعه: وعند (ابن شهر) الخبر اليقين
- ١٢١ المسأله الخامسه: دلالة آيه التطهير على عدم زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٢٣ المسأله السادسه: إنها من الأرحام المطهره
- ١٢٤ المسأله السابعه: السنن الكونيه تنفي زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٢٥ المبحث الثاني: عمرها حينما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٢٥ اشاره
- ١٢٦ المسأله الأولى: روايه البيهقي (المتوفى سنه ٤٥٨ هـ -)
- ١٢٧ المسأله الثانيه: روايه الحافظ ابن كثير (المتوفى سنه ٧٧٤ هـ -)
- ١٢٧ المسأله الثالثه: روايه الحاكم النيسابوري (المتوفى سنه ٤٠٥ هـ -)
- ١٢٩ المسأله الرابعه: روايه محمد بن إسحاق المطلبي صاحب السير (المتوفى سنه ١٥١ هـ -)
- ١٣٠ المسأله الخامسه: روايه الحافظ ابن عساكر الدمشقي (المتوفى سنه ٥٧١ هـ -)
- ١٣٠ اشاره
- ١٣١ أولاً: وفاتها في السنه العاشره من البعثه
- ١٣١ ثانياً: زواجها قبل البعثه بخمس عشره سنه

- ١٣٢ نالها: عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان خمساً وعشرين سنة
- ١٣٢ رابعاً: إن عمره صلى الله عليه وآله وسلم حينما تزوج خديجه عليها السلام كان خمساً وثلاثين سنة
- ١٣٤ المبحث الثالث: مراسم خطبتها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٣٤ اشاره
- ١٣٥ المسألة الأولى: التناول على أم المؤمنين خديجه عليها السلام في تزويج نفسها بالحيله؟ والرد على ذلك
- ١٣٥ اشاره
- ١٣٦ أولاً: مخالفه ذلك لسيره العقلاء
- ١٣٦ ثانياً: سقوط إزام الولي بما قال
- ١٣٦ ثالثاً: خطبه أبي طالب في الزواج ترد هذه الفريه
- ١٣٧ المسألة الثانية: كلام أبي طالب في خطبته لتزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عن اعتقاده بنبوته قبل أن يبعث
- ١٣٩ المسألة الثالثة: مراسيم زفافها إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٣٩ اشاره
- ١٤٢ أولاً: اتخاذ يوم زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام يوماً للبركه والسرور
- ١٤٢ ثانياً: استحباب تعجيل الزفاف بعد الخطوبه
- ١٤٣ المبحث الرابع: إسلامها
- ١٤٣ اشاره
- ١٤٣ المسألة الأولى: وقت إسلامها
- ١٤٥ المسألة الثانية: إنها أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٤٦ المبحث الخامس: مال خديجه عليها السلام
- ١٤٦ اشاره
- ١٤٦ المسألة الأولى: حجم مالها
- ١٤٨ المسألة الثانية: خديجه تهب جميع ما تملك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٥٠ المسألة الثالثة: أجمال خديجه انتفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم بمال أبي بكر؟ شبهات وردود
- ١٥٠ اشاره
- ١٥٠ أولاً: (رد شبهه) انتفاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مال أبي بكر
- ١٥٣ ثانياً: (رد شبهه) أن الإنفاق في سبيل الله لم يكن إلا بعد الهجره
- ١٥٧ ثالثاً: (رد الشبهه) القائله بأن مصدر مالها كان من زوجها السابقين!!
- ١٦٠ المسألة الرابعة: القرآن الكريم يمتدح مال خديجه عليها السلام
- ١٦٠ أولاً: إن الله تعالى أغنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمال خديجه عليها السلام
- ١٦١ ثانياً: رد شبهه (إن الغنى في الآيه تنزِيل على غنى النفس)
- ١٦٧ المسألة الخامسة: (رد شبهه) أن يكون رسول الله أجيراً لدى أحد من الناس؟

- ١٧٤ الفصل الثالث: اولاد السيدة خديجه عليها السلام
- ١٧٤ اشاره
- ١٧٧ المبحث الأول: القاسم بكر خديجه عليهما السلام
- ١٧٧ المسأله الأولى: الابن الأكبر
- ١٧٨ المسأله الثانيه: القاسم عليه السلام ولد ومات في الإسلام
- ١٧٨ اشاره
- ١٧٩ أولاً: الاختلاف في عدد اولاد خديجه عليها السلام
- ١٨٥ ثانياً: ومن الوحي شاهد ينص على ولادته في الإسلام
- ١٨٨ ثالثاً: اعتقاد كثير من الحفاظ بولاده القاسم في الإسلام
- ١٨٨ اشاره
- ١٨٨ ألف: روايه الدولابي (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ -)
- ١٨٩ باء: روايه أبي عبيده البصرى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ -)
- ١٨٩ جيم: روايه ابن رسول (المتوفى سنة ٦٩٦ هـ -)
- ١٩٠ دال: روايه ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ -)
- ١٩٠ المسأله الثالثه: عمر القاسم عليه السلام
- ١٩٥ المسأله الرابعه: الحجه القائمه
- ١٩٧ المبحث الثاني: عبد الله الابن الثاني لخديجه عليهما السلام
- ١٩٧ اشاره
- ١٩٨ المسأله الأولى: لا خلاف على ولادته في الإسلام
- ١٩٩ المسأله الثانيه: الحجه في كونه المولود الثاني
- ٢٠١ المسأله الثالثه: الوحي والإجماع يؤكدان الحقيقه
- ٢٠٣ المسأله الرابعه: عمر خديجه عليها السلام هو القول الفصل
- ٢١٢ الفصل الرابع: بنات النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين النقل و العقل
- ٢١٢ اشاره
- ٢١٤ المبحث الأول: زينب بين النقل والعقل
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٤ المسأله الأولى: ماذا يقول النقل عن زينب؟
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٥ أولاً: إنها أكبر أخواتها
- ٢١٥ ثانياً: متى تزوجت؟
- ٢١٦ ثالثاً: هجرتها من مكه مع زيد بن حارثه

٢١٩ رابعاً: وفاتها أم اغتيالها؟

٢٢١ المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن زينب رضی الله عنها؟

٢٢١ اشاره

٢٢١ أولاً: سكوت المؤرخين حولها

٢٢١ ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام

٢٢٢ ثالثاً: التناقض في تاريخ زواجها وتعارضه مع التوحيد

٢٢٢ رابعاً: سكوت المشركين عنها طيلة خمس عشره سنه قضتها في مكه

٢٢٢ خامساً: تخبط الرواه في خروجها من مكه بين زيد بن حارثه وبين كنانه بن الربيع؟

٢٢٤ سادساً: عمليه خروجها من مكه تنفي أن تكون زينب بنتا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدل على أنها ربيبه

٢٢٧ سابعاً: محاوله الحافظ الطحاوى في دفع الإشكال في ركوب زينب مع زيد على جمل واحد زادت الأمر سوءاً؟

٢٢٧ اشاره

٢٢٨ ألف: الحاكم النيسابورى ينص على وجود زينب بعد معركة بدر في مكه

٢٢٩ باء: وقوع أبي العاص في الأسر سنه (٦) للهجره

٢٢٩ جيم: كيف يقوم زيد بن حارثه بنقل زينب إلى المدينه بعد نسخ حكم التبني؟

٢٣٠ ثامناً: كيف تنجب زينب من زوجها طفلين وهو على شركه؟

٢٣٠ تاسعاً: تخبط الحافظ الذهبي في جمعه بين بقائها مع زوجها المشرك وبين سنه إسلامها فكان خلافاً للعقل والنقل؟

٢٣٥ المبحث الثاني: رقيه بين النقل والعقل

٢٣٥ المسألة الأولى: ماذا يقول النقل عن رقيه رضی الله عنها؟

٢٣٥ اشاره

٢٣٥ أولاً: إن رقيه أصغر من زينب بثلاث سنين

٢٣٥ ثانياً: الاختلاف في سنه زواجها

٢٣٦ ثالثاً: أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام

٢٣٦ رابعاً: إن الدافع في زواج عثمان بن عفان من رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لجمالها؟

٢٣٨ خامساً: هجرتها مع زوجها إلى الحبشه

٢٣٩ سادساً: إن رقيه هاجرت من الحبشه إلى المدينه بعد هجره زوجها عثمان!!

٢٣٩ سابعاً: دخول أبي هريره على رقيه بعد زواجها من عثمان!!

٢٣٩ ثامناً: توفيت في المدينه بسبب مرضها ولم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

٢٤٠ المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن رقيه رضی الله عنها؟

٢٤٠ اشاره

٢٤١ أولاً: إن رقيه كانت دون السن الشرعي حينما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٢٤١ ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام

- ٢٤١----- نالنا: كيف يزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنتاً وهي في الخامسة من عمرها - والعياد بالله
- ٢٤١----- رابعاً: طلاقها من عتبه بن أبي لهب بسبب نزول سورة المسد مخالف للعقل والنقل ؟
- ٢٤٣----- خامساً: تخبط الحافظ الذهبي في تصحيح قول ابن سعد في سنه زواجها ومخالفته للنصوص ؟!
- ٢٤٤----- سادساً: ما هو السبب الذي جعل الذهبي يخطئ ابن سعد؟
- ٢٤٥----- سابعاً: وهل حقاً أن عتبه بن أبي لهب لم يبين برقيه طيله أربع سنوات كي يتزوجها عثمان فيحظى بها وهي غير ثيب ؟!
- ٢٤٦----- ثامناً: استحاله أن تكون رقيه قد أسلمت مع خديجه عليها السلام في آن واحدا!
- ٢٤٧----- تاسعاً: إن القول بأنها وعثمان (الأول من هاجر بعد لوط) مخالف للقرآن والعقل
- ٢٥١----- عاشراً: عدم صحه قول الرواه بأن عثمان هاجر الهجرتين! وكما ينص البخارى ومسلم ؟!
- ٢٥٣----- حادى عشر: لماذا يقوم عثمان بن عفان بترك ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً في الحبشه مع طفلها وقد تعرض لها غلمان الحبشه ؟
- ٢٥٥----- ثانى عشر: اعتراف الحاكم النيسابورى بوهن حديث أبى هريره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولة الاعتذار عنه ؟
- ٢٥٩----- المبحث الثالث: أم كلثوم بين النقل والعقل
- ٢٥٩----- المسأله الأولى: ماذا يقول النقل عن أم كلثوم رضى الله عنها؟
- ٢٥٩----- اشاره
- ٢٥٩----- أولاً: لا يعرف المسلمون لأم كلثوم اسماً؟
- ٢٥٩----- ثانياً: عدم معرفه سنه ولادتها؟
- ٢٦٠----- ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبى لهب
- ٢٦١----- رابعاً: إسلامها كان مع إسلام أمها خديجه عليها السلام
- ٢٦١----- خامساً: هاجرت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه
- ٢٦١----- سادساً: زواجها من عثمان بن عفان بعد موت أختها رقيه
- ٢٦٤----- المسأله الثانيه: ماذا يقول العقل عن أم كلثوم رضى الله عنها؟
- ٢٦٤----- اشاره
- ٢٦٥----- أولاً: كيف يمكن أن تكون بنت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مجهوله الهوية فلا يعرفها المسلمون إلا بالكنيه ؟!
- ٢٦٥----- ثانياً: جهل الرواه بسنه ولاده أم كلثوم رضى الله تعالى عنها
- ٢٦٦----- ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبى لهب أسطورى وهو أغرب من الخيال!!
- ٢٦٧----- رابعاً: لماذا يؤكد الرواه على أن عثمان تزوج بها وهي باكر؟ وهم قد جهلوا حتى اسمها؟!
- ٢٦٨----- رابعاً: استحاله أن تكون قد أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام
- ٢٦٨----- خامساً: تخبط الرواه في قولهم أنها بايعت مع أمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٦٩----- سادساً: لماذا يفرق الرواه بينها وبين الفواطم في الخروج من مكه فيقال: خرجت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أليست هي من عياله ؟!
- ٢٧٠----- سابعاً: إن بقاء أم كلثوم ثلاث عشره سنه بعد طلاقها من عتيبه بدون زواج وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر في غاية الغرابه ؟!
- ٢٧١----- ثامناً: ما هي العله التي جعلت أبا هريره يتدخل في حياه بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يدرك من الإسلام إلا ثلاث سنوات وأشهر؟!
- ٢٧٧----- تاسعاً: لماذا يقوم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتزويج أربعين بنتاً لعثمان ؟ وهل يصح ذلك ؟!

- المسألة الثالثة: الحلقة المفقودة تكمن في أن أزواج بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث هم من بنى أميه!! ٢٧٩
- اشاره ٢٧٩
- أولاً: تعارض سيرتهن مع إجماع المسلمين في كون القاسم أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٩
- ثانياً: تعارض هذه السيرة مع النبوه؟ ٢٨٠
- ثالثاً: ما نسبة قرابتهن من خديجه عليها السلام ٢٨٠
- رابعاً: كيف لا يجعلهنّ حكام بنى أميه بنات رسول الله وقد تزوجن من بنى عمومتهن؟ ٢٨٢
- الفصل الخامس: القرآن يفسر بعضه بعضاً ٢٨٦
- اشاره ٢٨٦
- المبحث الأول: بنات النبي من خلال القرآن الكريم ٢٨٨
- اشاره ٢٨٨
- أولاً: دلالة صيغ المخاطبه في القرآن الكريم ٢٩٣
- ثانياً: بنات الأنبياء هنّ بنات الأئمه في القرآن الكريم ٢٩٤
- المبحث الثاني: بنوه النبي للأئمه تؤكدها السنه النبويه ٢٩٦
- اشاره ٢٩٦
- المسألة الأولى: ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أبوته للأئمه ٢٩٦
- المسألة الثانية: اعتقاد كثير من علماء أهل السنه والجماعه بينوه هذه الأئمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٧
- اشاره ٢٩٧
- أولاً: ما ذهب إليه الراغب الاصفهاني، والاكوسي، والمناوي، في أبوته صلى الله عليه وآله وسلم للأئمه ٢٩٧
- ثانياً: ما ذهب إليه الزمخشري، والنسفي، والخطيب الشرييني ٢٩٨
- ثالثاً: ما ذهب إليه الغرناطي الكلبي، والشيخ محمد دره، ومحمد على الصابوني ٢٩٨
- رابعاً: ما ذهب إليه البروسوى ٢٩٨
- خامساً: ما ذهب إليه، أبو حيان الأندلسي الغرناطي ٢٩٩
- المسألة الثالثة: أين بنات المؤمنين في الآيه؟ ٣٠٠
- المبحث الثالث: بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقه التبني والادعاء ٣٠٠
- اشاره ٣٠٠
- أولاً: سبب نزول الآيه كان للرد على المنافقين ٣٠١
- ثانياً: النبي الأكرم لم يدع زيد بن حارثه ابناً كما ينص التاريخ وإنما الناس دعتهم بذلك ٣٠٢
- ثالثاً: من الذى تكتم على زيد، النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم المنافقون؟! ٣٠٢
- رابعاً: آيه التبتى نزلت بعد وفاه رقيه بثلاث سنوات؟ ٣٠٤
- خامساً: آيه التبتى نزلت وزينب في مكه عند بنى أميه فكيف يمثلون للقرآن وهم مشركون؟! ٣٠٤
- المبحث الرابع: شواهد تدل على أن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام هو الصهر الوحيد ٣٠٥

٣٠٥	اشاره
٣٠٥	أولاً: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد
٣٠٦	ثانياً: قول ابن عمر: زوجه ابنته!!
٣٠٧	ثالثاً: بيت علي في وسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون عثمان
٣٠٩	رابعاً: نفاسه صهرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٣١٢	المبحث الخامس: ختامه مسك
٣١٦	المحتويات
٣٢٢	المجلد ٢
٣٢٢	اشاره
٣٢٢	اشاره
٣٣٦	الفصل السادس: انها من عباد الله المخلصين و خير زوجة لرسول رب العالمين
٣٣٦	اشاره
٣٣٩	المبحث الأول: كيف كانت حياتها الزوجيه ؟
٣٣٩	اشاره
٣٣٩	الصورة الأولى: القرآن يمدح نساء النبي مدحاً مقيداً
٣٤٠	الصورة الثانية: القرآن يذم من خالفت منهن هذه الشروط
٣٤٢	المسألة الأولى: حياتها الزوجيه قبل البعثة
٣٤٢	اشاره
٣٤٣	أولاً: الزوج أهم من المال والأهل عند خديجه
٣٤٥	ثانياً: إكرامها لمن يفد على زوجها والإحسان إليهم
٣٤٦	ثالثاً: تخفيفها لهموم زوجها ومواساته
٣٥٠	المسألة الثانية: حياتها الزوجيه بعد البعثة النبويه
٣٥٠	اشاره
٣٥٠	الحلقه الأولى: دور خديجه في بدء البعثة كما يرويه البخارى
٣٥٥	الحلقه الثانية: حقيقه دور خديجه في بدء البعثة تختلف عما يرويه البخارى ومسلم من شبهات
٣٥٥	اشاره
٣٦١	الأمر الأول: توهم شرح البخارى في دلاله قول خديجه عليها السلام (كلا)
٣٦٢	الأمر الثاني: دلاله قولها (أبشر) يراد به التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
٣٦٣	الأمر الثالث: أقالت (لا يحزنك) أم (لا يخزيك) التي هي في مقام الذم كما يروى البخارى !!؟
٣٦٦	الأمر الرابع: مؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر التصديق كان من فعل الأنبياء كما نص عليه القرآن الكريم
٣٦٧	الأمر الخامس: مخالفه البخارى للقرآن في خوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صوت جبرائيل لدرجه الموت رعباً؟! ..

- المسألة الثالثة: مصاديق الزوجه الصالحه ٣٦٩
- اشاره ٣٦٩
- أولاً: مبايعتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦٩
- اشاره ٣٦٩
- الوجه الأول ٣٧٥
- والوجه الثانى ٣٧٥
- ثانياً: حملها الطعام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى الغار ٣٨٠
- ثالثاً: خوفها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام حين خروجهما من المنزل ٣٨٣
- رابعاً: كيف يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أم عياله خديجه عليها السلام حينما يدخل المنزل ؟ ٣٩٠
- المسألة الرابعه: جهادها ومؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تبليغ رسالته ٣٩٢
- اشاره ٣٩٢
- أولاً: فداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسها وحفظه من الأذى ٣٩٥
- ثانياً: مؤازرتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الحصار حتى أكلت ورق الأشجار ٤٠٠
- المبحث الثانى: آثار حياتها الزوجيه على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأسره المسلمه ٤٠٨
- اشاره ٤٠٨
- المسألة الأولى: كانت خديجه قدوه لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠٨
- المسألة الثانيه: ولأن خديجه ربه البيت وأم العيال، كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حزن عليها حتى حُشِي عليه ٤١١
- اشاره ٤١١
- أولاً: إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأرحام خديجه عليها السلام ٤١٣
- ثانياً: إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحباب خديجه عليها السلام ٤١٤
- الفصل السابع: منزله خديجه فى القرآن و السنه ٤١٨
- اشاره ٤١٨
- المبحث الأول: منزلتها عند الله تعالى ٤٢١
- اشاره ٤٢١
- المسألة الأولى: إن الله تعالى يباهى بها ملائكته عليهم السلام ٤٢١
- المسألة الثانيه: إطعامها من ثمار الجنه ٤٢٥
- المبحث الثانى: منزلتها فى القرآن ٤٢٧
- اشاره ٤٢٧
- المسألة الأولى: آيه الإغناء ٤٣٤
- المسألة الثانيه: آيه الاصطفاء على النساء ٤٣٦
- المسألة الثالثه: آيه الأزواج والذريه ٤٣٧

- المسألة الرابعة: آية الاستواء ٤٤٢
- المسألة الخامسة: آية التسنيم ٤٤٣
- المسألة السادسة: آية السابقون ٤٤٥
- المسألة السابعة: آية الاستغفار ٤٤٧
- المسألة الثامنة: آية الاصطفاء على العالمين ٤٤٧
- المسألة التاسعة: آية الأعراف ٤٥٠
- المسألة العاشرة: آية التصوير ٤٥٤
- المبحث الثالث: منزلتها في السنة ٤٥٦
- اشاره ٤٥٦
- المعنى الأول ٤٥٦
- المعنى الثاني ٤٥٦
- المسألة الأولى: منزله خديجه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٤٥٧
- اشاره ٤٥٧
- الحديث الأول: حديث الخيرية ٤٥٨
- اشاره ٤٥٨
- أولاً: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل خديجه ومريم في منزله واحده من الخيرية ٤٥٨
- ثانياً: إن خديجه حازت على الكلمات التي عرضها القرآن الكريم لمريم عليها السلام ٤٥٩
- ثالثاً: إن خديجه فاقت في بعض المواطن مريم ابنة عمران عليهما السلام ٤٦٠
- الحديث الثاني: حديث التفضيل ٤٦٢
- الحديث الثالث: حديث أفضليه خديجه في الجنة ٤٦٤
- الحديث الرابع: خيريته خديجه على نساء العالمين ٤٦٥
- اشاره ٤٦٥
- أولاً: حذف فضائل خديجه من صحيح مسلم ٤٦٦
- ثانياً: دلالة الخيرية والأفضليه في الأحاديث النبويه الشريفه ٤٦٧
- الحديث الخامس: خديجه سيده نساء عالمها ٤٦٨
- المسألة الثانية: منزله خديجه من خلال دلالة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٤٧١
- اشاره ٤٧١
- الفعل الأول ٤٧١
- الفعل الثاني ٤٧٢
- الفعل الثالث ٤٧٢
- الفعل الرابع ٤٧٣

- المسألة الثالثة: منزله خديجه عند أئمه أهل البيت عليهم السلام ٤٧٣
- اشاره ٤٧٣
- أولاً: منزلتها عند أمير المؤمنين علي عليه السلام ٤٧٣
- اشاره ٤٧٣
- ألف: منزله الأُمومه ٤٧٤
- باء: منزله الحماه ٤٧٨
- ثانياً: منزله خديجه عند فاطمه عليهما السلام ٤٧٩
- ثالثاً: منزله خديجه عند الإمام الحسن عليهما السلام ٤٨٠
- رابعاً: منزله خديجه عند الإمام الحسين عليه السلام ٤٨٣
- اشاره ٤٨٣
- ألف: اتخاذ قبر خديجه محلاً للمناجاة والدعاء ٤٨٤
- باء: المنهاج التعبدى لقضاء الحوائج ٤٨٥
- خامساً: منزله خديجه عليها السلام عند الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ٤٨٧
- سادساً: منزله خديجه عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٤٩٠
- المسألة الرابعة: منزله خديجه عند أعلام بني هاشم وأبناء الأئمة عليهم السلام ٤٩١
- اشاره ٤٩١
- أولاً: منزلتها عند أبي طالب عليهما السلام ٤٩٢
- ثانياً: منزلتها عند أم سلمه رضى الله عنها ٤٩٢
- ثالثاً: منزلتها عند محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام ٤٩٥
- رابعاً: افتخار الشهيد زيد بن علي بن الحسين بجدته خديجه عليهم السلام ٥٠١
- المسألة الخامسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام الشيعة ٥٠٦
- اشاره ٥٠٦
- أولاً: منزلتها عند الشيخ الحميرى القمى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٢٦٧ هـ) ٥٠٨
- ثانياً: منزلتها عند الشيخ المفيد رضى الله تعالى عنه (المتوفى سنة ٤١٣ هـ) ٥١٠
- ثالثاً: منزلتها عند العلامة الحلى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ) ٥١١
- رابعاً: منزلتها عند الفقيه الكراچكى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ) ٥١٥
- خامساً: منزلتها عند الأربلى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٦٩٣ هـ) ٥١٦
- سادساً: منزلتها عند المامقانى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١٣٥١ هـ) ٥١٧
- سابعاً: منزلتها عند المحقق البحرانى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١١٢١ هـ) ٥١٨
- ثامناً: منزلتها عند السيد أبي القاسم الخوئى طيب الله ثراه (المتوفى سنة ١٤١١ هـ) ٥١٩
- المسألة السادسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام أهل السنة والجماعة ٥٢٠

- أولاً: منزلتها عند الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) ٥٢٠
- ثانياً: منزلتها عند الحافظ المباركفوري (المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ) ٥٢٢
- ثالثاً: منزلتها عند الشبلنجي (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ) ٥٢٣
- رابعاً: منزلتها عند العلامة السبكي (المتوفى سنة ٧٥٦ هـ) ٥٢٣
- خامساً: منزلتها عند الزرقاني (المتوفى سنة ١١٢٢ هـ) ٥٢٤
- سادساً: منزلتها عند الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) ٥٢٥
- سابعاً: منزلتها عند الحافظ السهيلي (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) ٥٢٦
- ثامناً: منزلتها عند القاضي النعمان المغربي (المتوفى سنة ٣٦٣ هـ) ٥٢٩
- المسألة السابعة: خديجه عليها السلام من رواه الحديث الشريف ٥٣٠
- اشاره ٥٣٠
- أولاً: ورود اسمها في الكتب الرجاليه عند الشيعة ٥٣١
- ثانياً: ورود اسمها في الكتب الرجاليه عند أهل السنه والجماعه ٥٣٢
- ثالثاً: حذف حديثها من صحيح البخارى دليل على تحريف صحيح البخارى ٥٣٣
- رابعاً: ما روى عنها من الأحاديث ٥٣٣
- المبحث الرابع: اعتقاد خديجه عليها السلام بالإمامه ٥٣٤
- اشاره ٥٣٤
- المسألة الأولى: إن الله تعالى يختار لأوليائه تمام النعمه ٥٤١
- المسألة الثانية: اعتقاد الرسل والأنبياء بنبوه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع ما بعثوا به من رسالات إلى الأمم ٥٤٦
- المسألة الثالثة: سنه الابتلاء بحب على عليه السلام سنه قرآنيه ٥٥٠
- المبحث الخامس: منزله خديجه في المحشر ٥٥٦
- اشاره ٥٥٦
- المسألة الأولى: ما هو الحشر؟ ٥٥٩
- المسألة الثانية: في أول من يحشر ٥٦٣
- اشاره ٥٦٣
- أولاً: معرفه الله تعالى ٥٦٨
- ثانياً: الإسراع يكون للشيديه ٥٧٠
- اشاره ٥٧٠
- ألف: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مقدم من حيث الخلق الأول ٥٧١
- باء: مقام الشديه يقتضى السبق فى وصول النداء الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ٥٧١
- جيم: مناقشه قول العلامة الطباطبائي (قدس)، فى معنى: فاستمع، أى فانتظر ٥٧٢
- ثالثاً: الإسراع فى الخروج من القبر يكون لمقام الشاهديه ٥٧٣

المسألة الثالثة: شرافه منزله خديجه عليها السلام يوم المحشر -..... ٥٧٥

اشاره ٥٧٥

أولاً: الحكمه فى خروج فاطمه عليها السلام من قبرها ضمن تشرىفات ملكوتيه ٥٧٨

ثانياً: إظهار منزله خديجه فى المحشر من خلال استقبالها لفاطمه عليها السلام -..... ٥٧٩

ثالثاً: اختصاص خديجه عليها السلام بألويه التكبير فى ساحة المحشر كاشف عن شرافه منزلتها -..... ٥٨٣

المسألة الرابعة: اقتصاص خديجه ممن ظلم إبتهاها فاطمه عليها السلام فى يوم المحشر -..... ٥٨٥

المبحث السادس: منزله خديجه عليها السلام عند الصراط ٥٩٢

اشاره ٥٩٢

المسألة الأولى: الصراط فى اللغة -..... ٥٩٢

المسألة الثانية: معنى الصراط عند أئمه أهل البيت عليهم السلام، وعلماء أبناء العامه -..... ٥٩٣

المسألة الثالثة: كيف يمر الناس على الصراط؟..... ٥٩٥

المسألة الرابعة: المنتجيات من الأعمال عند الصراط -..... ٥٩٨

اشاره ٥٩٨

١. ثبوت حب على عليه السلام فى قلب الإنسان ٥٩٨

٢. مشايعه على بن أبى طالب ومناصرته -..... ٥٩٨

٣. الصلاة المفروضه اليوميه -..... ٥٩٩

٤. عياده المريض -..... ٦٠٠

٥. إقراض المسلم مالاً ٦٠١

٦. المحافظه على صلاه الجماعه ٦٠٢

٧. الاستغفار فى شهر شعبان -..... ٦٠٢

٨. من أغان مؤمناً فى شهر رمضان ٦٠٢

٩. قيام الليل بالقراءه والصلاه -..... ٦٠٣

المسألة الخامسة: عقبات الصراط يوم القيامة ٦٠٤

اشاره ٦٠٤

أولاً: لا يسمح للمسلم أن يمرّ على الصراط إلا بجواز من على بن أبى طالب عليه السلام ٦٠٤

ثانياً: لا يجوز المسلم الصراط إلا إذا عرف محمداً وأهل بيته عليهم السلام وعرفوه -..... ٦٠٦

ثالثاً: لا يجوز المسلم الصراط إلا بحفظ الأمانه وصون الرحم -..... ٦١٠

اشاره ٦١٠

الدلاله الأولى ٦١١

الدلاله الثانية: أن على بن أبى طالب عليه السلام هو أول من يعبر الصراط من هذه الامه كالبرق الخاطف ٦١٩

المسألة السادسة: شرافه منزله خديجه عند الصراط ٦٢٦

٦٢٩	المبحث السابع: منزله خديجه عليها السلام في الجنة
٦٢٩	اشاره
٦٣٣	المسأله الأولى: اشتياق الجنة لخديجه عليها السلام
٦٣٧	المسأله الثانيه: شرافه منزلتها في الجنة قد جمعت في مقام (الأفضليه، والسيديه، والخيريه)
٦٤٤	المسأله الثالثه: كيف يكون دخولها إلى الجنة ؟
٦٤٤	اشاره
٦٤٧	أولاً: حكمه الابتلاء بالسقط وموت الأبناء الذين لم يبلغوا الحنث
٦٤٩	ثانياً: إن القاسم ولد ومات في الإسلام
٦٥٠	المسأله الرابعه: صفه بيت خديجه عليها السلام في الجنة
٦٥٠	اشاره
٦٥٠	أولاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في حياه خديجه عليها السلام
٦٥١	ثانياً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينه
٦٥٢	ثالثاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه خديجه عليها السلام
٦٥٢	رابعاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في بيان صفه القصب
٦٥٢	اشاره
٦٥٣	الوجه الأول: كي يميز الله عزّ وجل بيت خديجه في الجنة على بقية البيوت
٦٥٤	الوجه الثاني: للدلاله على ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام
٦٥٤	الوجه الثالث: للدلاله على أن دور خديجه كان كالعمود الفقري لجسم الإنسان
٦٥٤	الوجه الرابع: للدلاله على الاستقامه
٦٥٦	المسأله الخامسه: موقع بيت خديجه في الجنة
٦٦٠	المحتويات
٦٧٣	المجلد ٣
٦٧٣	اشاره
٦٧٣	اشاره
٦٧٧	الفصل الثامن
٦٧٧	اشاره
٦٧٩	توطئه: البحث عن الهوية الإسلاميه بين حضارتين
٦٨٥	المبحث الأول: موقع دار خديجه الجغرافى
٦٨٥	اشاره
٦٨٦	١. إنه في سوق الصباغين
٦٨٦	٢. إنه في شعب أبى طالب عليه السلام

٣. إنه في زقاق العطارين ٦٨٧
- المبحث الثاني: صفه دار خديجه عليها السلام وفضله ٦٨٨
- اشاره ٦٨٨
- المسأله الأولى: أقوال المؤرخين في بيان صفه دار خديجه وإظهار فضله وشرافته ٦٨٨
- المسأله الثانيه: امتهان الوهابيه لدار أم المؤمنين خديجه عليها السلام وتحويلها إلى دورات مياه!!! ٦٩٣
- المبحث الثالث: دار خديجه عليها السلام يشهد أهم الأحداث التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال ربع قرن ٦٩٦
- المسأله الأولى: زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار خديجه عليها السلام وعيشه فيها ٦٩٦
- المسأله الثانيه: نزول الوحي بسوره المدثر في بيت خديجه عليه السلام ٦٩٧
- المسأله الثالثه: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلن تنصيب وصيه وخليفته من بعده في دار خديجه عليها السلام ٦٩٩
- المسأله الرابعه: إسلام الصحابه في دار خديجه عليها السلام ٧٠٧
- اشاره ٧٠٧
- أولاً: إسلام أبي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه في بيت أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٧٠٨
- ثانياً: إسلام أبي بكر عند بيت خديجه عليها السلام ٧١٠
- المسأله الخامسه: إسرائ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من دار خديجه عليها السلام ٧١٣
- اشاره ٧١٣
- أولاً: إن بيت خديجه هو المسجد الحرام ٧١٤
- ثانياً: إن لخديجه من الطهر ما لمريم عليهما السلام ٧١٥
- المبحث الرابع: مبيت الإمام على عليه السلام في دار خديجه عليها السلام ليله خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينه ٧٢٤
- اشاره ٧٢٤
- المسأله الأولى: كيف وقعت الحادثه ؟ ٧٢٥
- اشاره ٧٢٥
- ألف: ما رواه ابن إسحاق والطبرى وغيرهما ٧٢٦
- باء: ما رواه الشيخ الطوسى رحمه الله ٧٣٠
- المسأله الثانيه: الإمام على بن أبى طالب عليه السلام يفدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ابتغاء مرضاه الله تعالى ٧٤١
- المسأله الثالثه: شبهه ابن تيميه والحلبى في رد فضيله الفداء، شبهه واهيه ومخالفه للقرآن الكريم ٧٤٥
- اشاره ٧٤٥
- أولاً: إتفاق أهل العلم بالحديث والسير على صدور هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبه يتضح كذب ابن تيميه ٧٤٧
- اشاره ٧٤٧
- القسم الأول: روايه أهل العلم بالحديث والسير لنزول جبرائيل وميكائيل لحفظ على عليه السلام ليله المبيت من الشيعه على رغم أنف ابن تيميه ٧٥٠
- القسم الثاني: روايه أهل العلم بالحديث والسير من السنه والجماعه في نزول جبرائيل وميكائيل ٧٥٤
- ثانياً: اسماء الذين رووا من أهل العلم بالحديث والسير واتفاقهم على ان علياً عليه السلام هو الذى شرى نفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنام في مكانه في دار خديجه عليها السلام ٧٥٩

- ٧٧٢ نالاً: محاربه آيه الشراء منذ القرن الأول للهجره والى يومنا هذا
- ٧٧٢ اشاره
- ٧٧٨ ألف. بذل معاويه آلاف الدراهم لتحريف نزول الآيه
- ٧٨٠ باء. تعدد ابن تيميه الكذب على العلماء والقراء في صرف الآيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٧٨٠ جيم. منهج الألباني في دفع الآيه عن علي عليه السلام
- ٧٨١ رابعاً: الشبهه الحلييه ومخالفتها للقرآن والسنة
- ٧٨١ اشاره
- ٧٨٢ ١. رد شبهه، حصول الطمأنينه لعلي عليه السلام بقول الصادق له، لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم
- ٧٨٣ ٢. رد شبهه قول الحلبي: (فلم يكن فيه فداء بالنفس)
- ٧٨٨ ٣. رد شبهه قول الحلبي: (والآيه المذكوره في سورة البقره هي مدنيه باتفاق)
- ٧٩١ ٤. رد شبهه قول الحلبي (وقد قيل انها نزلت في صهييب)
- ٧٩٨ المبحث الخامس: من دار خديجه عليها السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام مصطحباً علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٧٩٨ اشاره
- ٨٠١ المسأله الأولى: كيف وصلت الأصنام إلى بيت الله الحرام ونصبت على سطح الكعبه ؟
- ٨٠٤ المسأله الثانيه: من دار خديجه عليها السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصطحباً علياً عليه السلام لتكسير الأصنام قبل الهجره
- ٨٠٤ اشاره
- ٨٠٦ الحلقة الأولى: ما يدل على وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره دون تحديد السنه
- ٨١٠ الحلقة الثانيه: ما يدل على قيام الإمام علي عليه السلام بتكسير الأصنام في ليله مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٨١٠ اشاره
- ٨١٢ ألف. التلازم في تحقق الأثر الإرشادي بين عمل نبي الله إبراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تكسير الأصنام
- ٨١٧ باء. التوحيد ينطلق من دار خديجه وإليه يرجع الموحدون
- ٨١٨ جيم. الحكمه في اجتماع تكسير الأصنام والمبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليله واحده
- ٨١٩ الحلقة الثالثه: ما يدل على تعدد وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره
- ٨٢٣ المسأله الثالثه: ما يدل على مباشره الإمام علي عليه السلام بتكسير الأصنام في عام الفتح
- ٨٢٣ اشاره
- ٨٢٤ أولاً: تعتيم البخاري على دور الإمام علي عليه السلام في تكسير الأصنام في فتح مكه
- ٨٢٦ ثانيًا: ما يدل على قيام الإمام علي عليه السلام بتكسير الأصنام في عام الفتح وتعتمد البخاري ومسلم اخفاء ذلك
- ٨٢٩ ثالثًا: العله في عدم تمكن الإمام علي عليه السلام من حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام
- ٨٣٣ المبحث السادس: التقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ببعض المؤمنين في دار خديجه عليها السلام
- ٨٣٣ اشاره
- ٨٣٤ المسأله الأولى: روايه الشيخ الصدوق رضي الله تعالى عنه في حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دار خديجه عليها السلام

- ٨٣٤ اشاره
- ٨٣٦ أولاً: تحقق رؤيه صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبه الصغرى
- ٨٣٦ ثانياً: تقوى الحسن بن الوجناء وشده مبارته على طاعه الله والتقرب إليه
- ٨٣٨ المسأله الثانيه: روايه الشيخ الطوسي رضى الله عنه في حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دار خديجه عليها السلام
- ٨٤٥ الفصل التاسع
- ٨٤٥ اشاره
- ٨٤٧ المبحث الأول: خلقها من ثمار الجنه
- ٨٤٧ اشاره
- ٨٤٨ المحور الأول: تفاعل الكتاب مع حدث خلق فاطمه من ثمار الجنه
- ٨٤٨ اشاره
- ٨٤٨ الأمر الأول: اعتماد بعض الكتاب فيما يروونه على ما يتلاءم مع اعتقادهم
- ٨٤٨ الأمر الثاني: الاختلاف في وقت حدوث رحله الإسراء لا يلغى الحقيقه
- ٨٤٩ الأمر الثالث: الإعراض عن روايات أهل البيت عليهم السلام لا يدل على صحه المغرض عنها
- ٨٥٠ المحور الثاني: السنه النبويه والعقل يؤكدان حقيقه خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه
- ٨٥٠ اشاره
- ٨٥٣ أولاً
- ٨٥٣ ثانياً
- ٨٥٣ ثالثاً
- ٨٥٣ اشاره
- ٨٥٤ الأمر الأول
- ٨٥٤ الأمر الثاني
- ٨٥٤ المسأله الأولى: إنها خلقت من شجره طوبى
- ٨٥٧ المسأله الثانيه: إنها خلقت من سفرجل الجنه
- ٨٥٨ المسأله الثالثه: خلقها من رطب الجنه
- ٨٥٩ المسأله الرابعه: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنه
- ٨٦٠ المسأله الخامسه: إنها خلقت من جميع ثمار الجنه
- ٨٦٠ اشاره
- ٨٦١ بعض دلالات الحديث:
- ٨٦١ أولاً: (فأصب من ريب تلك الثمار)
- ٨٦١ ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنه
- ٨٦٢ المبحث الثاني: التهيئه النبويه لنزول الأنوار الفاطميه

- ٨٦٢ اشارة
- ٨٦٢ الوجه الأول
- ٨٦٤ الوجه الثاني
- ٨٦٤ اشارة
- ٨٦٤ المحور الأول: أحاديث اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ٨٦٨ المسألة الأولى: (لماذا الاعتزال لمدة أربعين يوماً؟)
- ٨٦٨ أولاً: (الاعتزال)
- ٨٧١ ثانياً: علم الأعداد والحروف وشرافه العدد أربعين
- ٨٧٦ المسألة الثانية: «جبرائيل عليه السلام يهبط في صورته العظمى»
- ٨٧٦ اشارة
- ٨٧٦ أولاً: معنى تسميتهم بالملائكة
- ٨٨١ ثانياً: المواضع التي ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى
- ٨٨١ اشارة
- ٨٨١ الموضوع الأول
- ٨٨٢ الموضوع الثاني
- ٨٨٢ الموضوع الثالث
- ٨٨٢ ثالثاً: أثر الاعتزال والرياضة النفسية في خلق الجنين
- ٨٨٣ رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجه عليها السلام
- ٨٨٣ المسألة الثالثة: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنه
- ٨٨٣ اشارة
- ٨٨٥ أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه)
- ٨٨٦ ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاة في شتى الأحوال لعلل راجحه)؟!
- ٨٩٠ المسألة الرابعة: انتقال النور الفاطمي إلى الأرض الطاهره
- ٨٩٠ اشارة
- ٨٩٢ أولاً: (المنهاج التربوي الأسرى عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم)
- ٨٩٣ ثانياً: المنهاج التربوي في العلاقه الزوجيه
- ٨٩٥ ثالثاً: (الإحساس بتقل فاطمه عليها السلام)
- ٨٩٥ اشارة
- ٨٩٥ الحديث الثاني
- ٨٩٦ أولاً: تعيين ليله انعقاد النطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه
- ٨٩٧ ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام

- المبحث الثالث: كيف كانت ولادة فاطمه عليها السلام ؟ ٨٩٨
- اشاره ٨٩٨
- المسألة الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهي في بطنها ٨٩٩
- المسألة الثانية: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى ٩٠٩
- المبحث الرابع: (فأجاءها المخاض) ٩١٨
- اشاره ٩١٨
- المسألة الأولى: الحكمة في ذكر الرقعه لآسيا مع خديجه في الجنه ٩٢٠
- المسألة الثانية: ما هي العلاقة بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتي دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟ ٩٢١
- المسألة الثالثة: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكة عند ولادتها؟ ٩٢٢
- المسألة الرابعة: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين ٩٢٣
- المسألة الخامسة: مكان ولادة فاطمه عليها السلام ٩٢٥
- المبحث الخامس: إرضاع خديجه إياها (عليها السلام) ٩٢٦
- المبحث السادس: تسميتها ٩٣١
- المبحث السابع: عقيقتها ٩٣٧
- المبحث الثامن: فاطمه في حجر النبوه ٩٣٨
- المسألة الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه ٩٣٨
- المسألة الثانية: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها في أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٩٤١
- المحتويات ٩٤٣
- المجلد ٤ ٩٥٢
- اشاره ٩٥٢
- اشاره ٩٥٢
- الفصل العاشر: اخوه خديجه عليها السلام وارجامها ٩٥٦
- اشاره ٩٥٦
- المبحث الأول: إخوتها الذكور ٩٥٨
- اشاره ٩٥٨
- المسألة الأولى: العوام بن خويلد بن أسد ٩٥٩
- المسألة الثانية: حزام بن خويلد ٩٥٩
- اشاره ٩٥٩
- ألف. حقيقه ولاده حكيم بن حزام في الكعبه (أعزها الله تعالى) أواقعه أم هي حبر على ورق ؟ ٩٦٠
- اشاره ٩٦٠
- أولاً: رد هذا الإدعاء وبيان زيفه ٩٦٠

- ٩٦٥ ثانياً: دور الزبير بن بكار وعمه مصعب في نشر هذا الادعاء والدليل على زيفه
- ٩٦٨ باء. هل الولادة في جوف الكعبة، هي منقبه ؟
- ٩٦٨ اشاره
- ٩٦٩ أولاً: ما يدل على عدم الاعتقاد بحرمه الكعبة قبل عام الفيل
- ٩٧٣ ثانياً: ما يدل على عدم الاعتقاد بحرمه الكعبة أعزها الله بعد الإسلام وسيران هذه الثقافه في المجتمع
- ٩٧٧ ثالثاً: دور الزبيريين في هتك حرمه البيت الحرام وأهله
- ٩٨٤ جيم. أييد الإنسان أمر الولادة في جوف الكعبة أم بيد الله تعالى ؟
- ٩٨٦ دال. ما هي الحكمة في ولاده الإمام على بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة ؟
- ٩٩١ هاء. ما يدل من الأحاديث على ثبوت ولاده الإمام على عليه السلام في جوف الكعبة
- ٩٩٦ المسألة الثالثة: نوفل بن خويلد، هو الأخ الثالث لخديجه عليها السلام
- ٩٩٦ اشاره
- ٩٩٧ ألف: نزل في نوفل قوله تعالى: (و لو نزلنا عليك كتابا في قرطاس)
- ٩٩٧ باء: اشتراكه في قتال المسلمين في بدر الكبرى وهلاكه بسيف على بن أبي طالب عليه السلام
- ٩٩٩ جيم: حقيقه تعذيب نوفل بن خويلد لأبي بكر وطلحه بن عبيد الله، وهل فيه تفضيل على بن أبي طالب عليه السلام كما يدعى الجاحظ؟
- ٩٩٩ أولاً: كيف حدث تعذيبهما
- ١٠٠٠ ثانياً: اعتقاد الجاحظ وتحامله على الإمام على عليه السلام مستنداً إلى هذه الحادثة!
- ١٠١٠ ثالثاً: لماذا نوفل بن خويلد؟ وما علاقته بأبي بكر وطلحه كي يعذبهما؟ ولماذا لم يتدخل بنو تيم ؟
- ١٠١٣ رابعاً: افتضاح الجاحظ في تحامله على بن أبي طالب عليه السلام ورد الاسكافي عليه
- ١٠١٩ المسألة الرابعة: عدى بن خويلد الأخ الرابع لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢٠ المسألة الخامسة: عمرو بن خويلد، الأخ الخامس لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢١ المبحث الثاني: أخوه أم المؤمنين خديجه عليها السلام من الإناث
- ١٠٢١ اشاره
- ١٠٢١ المسألة الأولى: هاله بنت خويلد، الأخت الأولى لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢٤ المسألة الثانية: خالده بنت خويلد، الأخت الثانية لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢٥ المسألة الثالثة: رُقَيْقَةُ بنت خويلد، الأخت الثالثة لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢٥ اشاره
- ١٠٢٥ أولاً. أميمه بنت رقيقه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٠٢٧ ثانياً: ان بنات أميمه من المعذبات بالله في مكة
- ١٠٢٩ المسألة الرابعة: هند بنت خويلد، الأخت الرابعة لأم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٢٩ المسألة الخامسة: الطاهره بنت خويلد
- ١٠٣٠ الفصل الحادى عشر: وفاه خديجه عليها السلام

- ١٠٣٠ اشارة
- ١٠٣٤ المبحث الأول: مرضها ووصيتها
- ١٠٣٤ اشارة
- ١٠٣٦ المسألة الأولى: مرضها عليها السلام
- ١٠٤١ المسألة الثانية: وصيتها عليها السلام
- ١٠٤٤ المبحث الثاني: احتضارها وتغسيلها عليها الصلاة والسلام
- ١٠٤٤ المسألة الأولى: احتضارها
- ١٠٤٨ المسألة الثانية: تغسيلها عليها السلام
- ١٠٤٨ اشارة
- ١٠٤٨ أولاً: ترجمه أم أيمن
- ١٠٥١ ثانياً: ترجمه أم الفضل
- ١٠٥٣ المسألة الثالثة: تكفينها
- ١٠٥٩ المسألة الرابعة: تشييعها ودفنها عليها السلام
- ١٠٦٠ المسألة الخامسة: حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فقد خديجه حتى خشى عليه من الهلاك
- ١٠٦٤ المسألة السادسة: حزن فاطمه على أمها عليهما السلام
- ١٠٦٥ المسألة السابعة: تاريخ وفاتها
- ١٠٦٧ المبحث الثالث: موضع قبر خديجه عليها السلام وخصائصه
- ١٠٦٧ اشارة
- ١٠٦٧ المسألة الأولى: شرافه موضع قبرها
- ١٠٧٢ المسألة الثانية: برزخ خديجه عليها السلام
- ١٠٧٢ اشارة
- ١٠٧٣ أولاً: ما هو حال الإنسان في البرزخ، وهل يتفاوت حال الناس في القبر؟
- ١٠٨٤ ثانياً: حال أم المؤمنين خديجه عليها السلام في البرزخ
- ١٠٨٤ اشارة
- ١٠٨٤ ألف: ان خديجه عليها السلام في جنتها البرزخيه على نهر من أنهارها
- ١٠٨٦ باء: تعدد منازلها عليها السلام في جنه البرزخ
- ١٠٨٨ المسألة الثالثة: اتخاذ الإمام الحسين عليه السلام قبر جدته خديجه عليها السلام محلاً للدعاء والمناجاة
- ١٠٩١ المسألة الرابعة: رؤيا بعض الصحابه لخديجه عليها السلام في منامهم وحثها لهم على نصره الإمام الحسين عليه السلام
- ١٠٩٧ المسألة الخامسة: قيام الأعراب بهدم قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٠٩٨ المسألة السادسة: التوسل بها إلى الله تعالى
- ١٠٩٨ اشارة

- أما الحالة الأولى: التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلقه ١١٠١
- الحالة الثانية: التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خلقه في مده حياته ١١٠٣
- الحالة الثالثة: التوسل به بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ١١٠٤
- اشاره ١١٠٤
- أولاً: جواز التوسل إلى الله تعالى بقرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقضاء الحوائج ١١٠٥
- ثانياً: الصحابه يتوسلون إلى الله تعالى بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكشف الضر عنهم ١١٠٨
- ثالثاً: القرآن ينص على أن النعم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ١١١٣
- رابعاً: توسل الشيخ عبد الله الميرغنى بقبر السيدة خديجه عليها السلام ١١١٥
- المبحث الرابع: زيارتها وإتيان قبرها المهودوم ١١١٩
- اشاره ١١١٩
- المسألة الأولى: مشروعيه زياره القبور عند فقهاء المذاهب الإسلاميه ١١١٩
- أولاً: زياره القبور عند أئمه أهل البيت عليهم السلام ١١١٩
- ثانياً: زياره القبور عند فقهاء المذهب المالكي ١١٢٤
- ثالثاً: زياره القبور عند فقهاء المذهب الحنفي ١١٢٥
- رابعاً: زياره القبور عند فقهاء المذهب الشافعي ١١٢٦
- خامساً: زياره القبور عند فقهاء المذهب الحنبلي ١١٢٧
- سادساً: زياره القبور عند فقهاء المذهب الظاهري ١١٢٧
- المسألة الثانية: زياره خديجه عليها السلام في مدرسه أهل البيت عليهم السلام والصلاه عليها ١١٢٨
- أولاً: الصلاه عليها في يوم الجمعة ١١٢٨
- اشاره ١١٢٨
- الصلاه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ١١٢٩
- الصلاه على السيدة فاطمه عليها السلام: ١١٣٠
- ثانياً: أقوال الفقهاء في زياره قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام ١١٣٠
- ثالثاً: نص زيارتها ١١٣٣
- اشاره ١١٣٣
- ألف: نص ما جاء من زيارتها في روضات الجنات ١١٣٣
- باء: نص ما جاء في زيارتها في كتاب آداب الحرمين ١١٣٤
- المسألة الثانية: إنها خلقت من سفرجل الجنه ١١٣٧
- المسألة الثالثة: خلقها من رطب الجنه ١١٣٨
- المسألة الرابعة: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنه ١١٣٩
- المسألة الخامسة: إنها خلقت من جميع ثمار الجنه ١١٤٠

- ١١٤٠ اشاره
- ١١٤١ بعض دلالات الحديث:
- ١١٤١ أولاً: (فأصبت من ربح تلك الثمار) -
- ١١٤١ ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنة
- ١١٤٢ المبحث الثاني: التهيئة النبوية لنزول الأنوار الفاطمية -
- ١١٤٢ اشاره
- ١١٤٢ الوجه الأول
- ١١٤٤ الوجه الثاني
- ١١٤٤ اشاره
- ١١٤٦ المحور الأول: أحاديث اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجة عليها السلام
- ١١٤٨ المسألة الأولى: (لماذا الاعتزال لمدة أربعين يوماً؟)
- ١١٤٨ أولاً: (الاعتزال)
- ١١٥١ ثانياً: علم الأعداد والحروف وشرافة العدد أربعين
- ١١٥٦ المسألة الثانية: «جبرائيل عليه السلام يهبط في صورته العظمى»
- ١١٥٦ اشاره
- ١١٥٦ أولاً: معنى تسميتهم بالملائكة
- ١١٦١ ثانياً: المواضع التي ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى
- ١١٦١ اشاره
- ١١٦١ الموضوع الأول
- ١١٦٢ الموضوع الثاني
- ١١٦٢ الموضوع الثالث
- ١١٦٢ ثالثاً: أثر الاعتزال والرياضة النفسية في خلق الجنين
- ١١٦٣ رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجة عليها السلام
- ١١٦٣ المسألة الثالثة: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنة
- ١١٦٣ اشاره
- ١١٦٥ أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه)
- ١١٦٦ ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاة في شتى الأحوال لعلل راجحه)؟! -
- ١١٧٠ المسألة الرابعة: انتقال النور الفاطمي إلى الأرض الطاهرة
- ١١٧٠ اشاره
- ١١٧٢ أولاً: (المنهاج التربوي الأسرى عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم)
- ١١٧٣ ثانياً: المنهاج التربوي في علاقه الزوجيه

- ١١٧٥ ثالثاً: (الإحساس بثقل فاطمه عليها السلام)
- ١١٧٥ اشارة
- ١١٧٥ الحديث الثاني
- ١١٧٦ أولاً: تعين ليله انعقاد التطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه
- ١١٧٧ ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام
- ١١٧٨ المبحث الثالث: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام ؟
- ١١٧٨ اشاره
- ١١٧٩ المسأله الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهي في بطنها
- ١١٨٩ المسأله الثانيه: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى
- ١١٩٨ المبحث الرابع: (فأجاءها المخاض)
- ١١٩٨ اشاره
- ١٢٠٠ المسأله الأولى: الحكمة في ذكر الرقعه لآسيا مع خديجه في الجنه
- ١٢٠١ المساله الثانيه: ما هي العلاقه بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتي دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟
- ١٢٠٢ المسأله الثالثه: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه عند ولادتها؟
- ١٢٠٣ المسأله الرابعه: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين
- ١٢٠٥ المسأله الخامسه: مكان ولاده فاطمه عليها السلام
- ١٢٠٦ المبحث الخامس: إرضاع خديجه إياها (عليها السلام)
- ١٢١١ المبحث السادس: تسميتها
- ١٢١٧ المبحث السابع: عقيقتها
- ١٢١٨ المبحث الثامن: فاطمه في حجر النبوه
- ١٢١٨ المسأله الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه
- ١٢٢١ المسأله الثانيه: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها في أم المؤمنين خديجه عليها السلام
- ١٢٢٣ المحتويات
- ١٢٣٢ تعريف مركز

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى

كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

مشخصات كتاب : ٤ ج

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق.

٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود.

٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهات وردود.

ص : ١

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٥٢).

المصادر.

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق. ٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - شبهاث وردود. ٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهاث وردود. ٤. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - نساءه - شبهاث وردود. ٥. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - الأولاد - دراسه وتحقيق. ٦. على بن أبى طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره - ٤٠ ق. - فضائل - شبهاث وردود. ٧. فاطمه الزهراء (عليها السلام)، ؟٨ - ١١ ق. - السيره - دراسه وتحقيق. ألف. الحلو، محمدعلى، مقدم. ب. العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلميه. ج. عنون. د. عنوان: خديجه بنت خويلد أمه جُمعت فى امرأه.

٤ خ ٥ ح / ٢٦/٢٠٨ BP

الطبعه الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ص: ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

سیدی یا رسول الله: سلکتُ فی حب بنیک کلَّ سبیل؛ ولم أزل أدعو لنصرهم بكل دلیل.

سیدی: لا ینال رضا الله إلا برضا حبیبه المصطفی الرسول، وحبیبه لا یرضی إلا برضا فاطمه البتول.

سیدی: بأم فاطمه أتوسل إليك أن تُقبِلَ بوجهک الکریم علی خادمک، وتمن علیّ بلطفک، كما منّ سليمان علی رعیته حينما قال له ربه:

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .)

ولقد آتاک الله خیر ما آتی المرسلین فخاطبک سبحانه:

(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) .

فبالسبع المثاني والقرآن العظيم أقسم عليك، وحب بنی الزهراء أتوسل إليك، فی قبول عملي وقضاء حاجتي، فقد أجهدني الانتظار.

خادمک وولدک نبیل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

ص:٧

وفيه ثلاثه مسائل:

المسأله الأولى: اعتذار لابده منه

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاهها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمددها، وتفاوت عن الإدراك أبددها» (٢).

ص: ٩

- ١- أقول: لم يكن مما عليه أصحاب المنهج البحثي التعرض إلى بيان ما عليه الباحث من عقيدته يؤمن بها كى يبدو البحث حيادياً فى استدلاله وبيانه، إذ القارئ فى غنى عما يعتقد الباحث. ولكن... لست الآن فى هذا الموضوع من الكتاب فى محل استدلال أو مناقشه، وإنما كون الكتاب يتحدث عن أهم المراحل التى مرّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما ملئت به هذه المراحل من أحداث كانت مفاصل فى تكوين العقيدته الإسلاميه فقد أصبح لزاماً علينا الحديث عن أن هذا الكتاب سيكون أولاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحسب ما دلت عليه الآيه الكريمة: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ). وعليه: كان واجباً على الباحث التأدب بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلما كان لزاماً عليه التمسك بالمنهج العلمى للبحث.
- ٢- هذا ما ابتدأت به بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجيه التى ألقته فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مجمع من المهاجرين والأنصار.

وصلى الله على خير الأنام ومجلى الظلام، ومنير الأفهام أبى القاسم محمد وعلى آله الهداه إلى السلام ومثبتي الإسلام، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد؛ لا بد من تقديم الاعتذار أولاً: إلى صاحب المقام المحمود والمنزل المشهود، المحفوف بالرضوان والمجلل بأنوار الرحمان، الذى سيعطيه ربه حتى يرضى فى يوم لا يبقى فيه حتى الأشقى وهو يرجو فضله وشفاعته.

سيدى يا رسول الله، أعتذر إليك إن أنا قصرت فى الكتابه عن أم عيالك، وحببيه قلبك، فخانى البيان، وأعيانى النسيان، فقصرت فى التبع والمطالع، وأسلمتني نفسى إلى الدعء والراحه، أو قادنى التململ إلى التفريط فى القراءه، والاسراع فى الكتابه، فبدا هذا الكتاب لا يليق بشخص مولاتى خديجه.

وأعتذر ثانياً: إلى من دلنى الرحمان إليهم، وألزمنى الدليل إلى الاعتقاد بهم، والتمسك بحجزتهم، والممات - بلطف ربي - على دينهم، من التقصير فيما كتبت فى هذه الوريقات.

وأعتذر ثالثاً: من القارئ الكريم.

إن كان الكتاب لا يرقى إلى المستوى الذى يليق بهذه الشخصيه، أو قد يكون مشتملاً على بيان غير وافٍ، أو استدلال غير تام، أو نقص فى التبع، فهذا ما مكننى عليه ربي، وهذا حدُّ مقدارى من التوفيق.

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ،) وهذا حد جهدى وسعى.

(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، فبالله استعنت، وعليه توكلت؛ وأستغفره لتقصيري في نصره دينه، وحججه على شريعته، إنه هو التواب الرحيم.

المسألة الثانية: إن خديجه كانت أمه قد جمعت في امرأه

إشاره

حينما يكون الحديث عن الأمم فهو حديث لا يمكن حصره في جهة واحده، ولا يمكن جمعه في خزانه منفرده، لما يشكله من قراءه ناقصه، وصوره مشوهه، لا تُمَكِّنُ الناظر من التشخيص، ولا المتدبر من التبصر؛ فضلاً عن ضياع الحقائق، وتضليل المتابع، وتبرير الجاهل الطامع، في النيل من الرموز، وحجب أنوار الشמוש، وتميرير ضعاف النفوس في ثغور المباحث، والاستئناس بما هو ليس بمتجانس، فيقول قائل: هذا ما جاء به الكاتب لهذه السطور، فيكون الجاهل معذورا، والعارف ملوماً.

ولذا: كان لزاماً علينا أن نضع بين يدي القارئ في هذا الحديث عن خديجه الأمه، مجموعه محاور، شكلت بمجموعها نوافذ للنظر إلى هذه الحضاره.

المحور الأول: خصوصيتها كامرأه

في البدء ينبغي أن نستحضر على ماده البحث أننا نخوض غمار الحديث عن المرأه بما لها من خصوصيه خاصه على مرّ تاريخ الإنسانيه فهي بين كونها الكائن الذي يراه الرجل دون مستواه بما تفرضه عليه الأنا الذكوريه من شعور بالفوقيه فساد بها المجتمعات السكانيه، وبين كونها الكائن الذي لا يمكن

الاستغناء عنه مهما أوتى الرجل من صفات ذكوريه انسجمت مع ما تفرضه الحياه من قساوه وخشونه.

والمرأه بما تفرضه عليها أنوثتها من اللتجاء للسكن، والانجذاب للدعه، والانسجام مع الرقه، قد كونت لديها حاله من الضعف والاستكانه، دفعت بها لأن تكون المستهدف فى أطماع كثير من الرجال، فنشأت فى جو لا- تجد فيه إلا العنف والاضطهاد والاستغلال على مرّ التاريخ وإن اختلفت هذه المظاهر الحياتيه على الأرض بين مكان وآخر.

والمرأه فى الوقت نفسه - وفى كثير من المجتمعات والثقافات - كانت ولا- تزال السيطا الذى أراض الكثير من الرجال بما تفرضه الحاجه الذكوريه عليهم من سلطان، فكانت الحاكم الذى لا يرد له أمر، والمالك الذى يتودد إليه المحتاج، ويتذلل إليه المغرم، فإن أعطى قوبل بالثناء والمديح، وإن استعصى فلا ينال منه إلا برضاه، ولا يرضى حتى ينال ما يريد.

وفيما تريد المرأه هلكت أمم وضاعت ملل وهدمت أركان كما كان فى أمر قطام بنت الأخضر بن شجنه من بنى تيم الرباب، التى قتل أمير المؤمنين على عليه السلام أباه وأخاه بالنهروان، وكانت من أجمل نساء زمانها، فلما رآها عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - شغف بها واشتد إعجابه، فخير خبرها فخطبها، فقالت له: ما الذى تسمى لى من الصداق؟

فقال لها: احتكمى ما بدا لك.

فقالت: أنا محتكمه عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفا وخادماً، وقتل

على بن أبى طالب!! فقال لها: لك جميع ما سألت (١).

والمرأه لن تكون الأمومه إلا- بها، والزوجه إلا معها، والنسل إلا منها، وهى مع هذا وذاك جلست على العرش، وتقلدت التاج والصولجان، وحكمت البلاد، وساست العباد، كبلقيس السبأيه وزنوبيا التدمريه وكليوباترا المصريه وغيرهن.

إلا أننا هنا: نتحدث عن امرأه بما لها من خصوصيه المرأه، إلا أنها ليست كبقية نساء الدنيا منذ أن وطئتها قدم بنى آدم وإلى يوم انقضائها.

إنها امرأه حازت من الفضائل فى عالمها أفضلها، ومن الخيرات أخيرها، ومن السيادات أسيدها.

امرأه: لبست التاج فى الدنيا والآخره، فانفردت بذاك عن بنى جنسها، فَمَنْ مِنْهُنَّ قد جمعت فيها الأضداد فنالت بها الأمجاد التى فشل فيها صنناديد الرجال وتقهقر فيها الأبطال، حينما تعرض لهم الدنيا فيجلسون على عروشها لينالوا بسلطانها تيجان العزه فى آجالها.

نعم: إنها خديجه، وأنى للزمان أن يأتى بمثل خديجه عليها السلام؟.

المحور الثانى: الدور السيادة فى مجتمع قبلى

اشاره

قد لا يكون غريباً على القارئ المسلم - لاسيما العربى - ما للجزيره العربيه من طبيعه اجتماعيه قبلية كانت سائده فى معظمها قبل بعث النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٣

١- مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصفهاني: ص ١٩.

فى حين لا- يخفى أيضاً أن هذا النظام الاجتماعى ما زال سائداً فى كثيرٍ من مناطق الجزيرة والعراق واليمن والخليج وغيرها مما يعطى صورته أوضح لمن أراد أن يعى ما لهذا النظام الاجتماعى من سلطته تطبق بقوانينها وأعرافها على تحرك المرأه وتحديد دورها فى المجتمع.

هذا إذا أردنا أن ننظر إلى هذه القوانين والأعراف الاجتماعيه على وفق تأثيرها بالتعاليم الإسلاميه فى وقتنا الحاضر التى منحت المرأه عزّتها وشأنيتها.

فى حين يكفى القارئ والباحث من الشواهد على تردى وضع المرأه قبل البعثه النبويه وانعدام دورها فى المجتمع فضلاً عن بيان طبيعه هذا المجتمع القبلى ما رواه الثعلبى والواحدى والبغوى وابن حجر فى تفسير قوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا..)

(إنّ أهل المدينه فى الجاهليه وفى أول الإسلام، إذا مات رجل وله امرأه جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه عليها أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء أن يتزوجها تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذى أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فلم يعطها منه شيئاً، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج فطول عليها وضارها، لتفتدى نفسها بما ورثت من الميت أو تموت هى فيرثها، وإن ذهبت المرأه إلى منزل أهلها قبل أن يلقى عليها وليّ زوجها ثوبه فهى أحق بنفسها.

فكانوا يفعلون ذلك حتى توفى أبو قيس بن صلت الأنصارى وترك امرأته

كيشه بنت معن الأنصاريه، فقام ابن لها من غيرها يقال له حصن فطرح ثوبه عليها فولى نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه بمالها، وكذلك كانوا يفعلون إذا كانت جميله موسره دخل بها وإلا طول عليها لتفتدى منه؛ فأنت كيشه رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فقالت يا رسول الله إنَّ أبا قيس توفى وولى ابنه نكاحى وقد أضر بى وطول على فلا هو ينفق على ولا هو يدخل بى ولا هو يخلى سبيلى ؟

فقال لها:

«أفعدى فى بيتك حتى يأتى فيك أمر الله».

قال: فانصرفت وسمع النساء بذلك فأتين رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم وهو فى مسجد الفضيخ، فقلن يا رسول الله، ما نحن إلا كهينه كيشه غير أنه لم ينكحنا الأبناء وإنما نكحنا بنو العم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

فهذه الصورة عن المجتمع القبلى فى الجزيره قبل الإسلام تدفع بالباحت إلى الوقوف طويلاً عند إدراك معنى أن تسود المرأه فى هذا المجتمع القبلى؛ تتحكم فى الرجال ويتسارع بين يديها الغلمان وهى بين هذا الجلال والهيبه قد حازت على مجموعه من العوامل السیاديه التى لم ينل كثير من أشرف مكه على بعضها مما عزز فى نفوذها وسيادتها على مكه جميعاً كما سيمر بيانه مفصلاً.

أما هذه العوامل السیاديه التى بها تقوم المجتمعات القبليه فكانت كالاتى:

ص: ١٥

١- تفسير الثعلبى: ج ٣، ص ٢٧٥؛ أسباب النزول للواحدى: ص ٩٨؛ تفسير البغوى: ج ١، ص ٤٠٨؛ العجابه فى بيان الأسباب لابن حجر العسقلانى: ج ٢، ص ٨٤٩.

عرف العرب بشغفهم بالأنساب، وتفاخرهم بالأحساب حتى عُدَّتْ مفاخر الآباء خيراً مما يقدمه الأبناء، ولذلك كان الرجل منتسباً إلى قبيله قد كبر حجمها واشتهر حسبها كلما كانت لهذا الرجل حظوه من السيادة في مكة.

وحيث إن بني عبد مناف لا منازع لهم في شرافتهم ونسبهم وسمو حسبهم فإن خديجه قد حازت على هذا العامل السيادي، فهي من بني عبد مناف بن قصي القرشي.

ثانياً: المال

يُعد المال في الماضي والحاضر والمستقبل أحد العوامل الأساسية لبلوغ الإنسان المراتب السيادة في المجتمعات البشرية سواء كانت بدويه أو حضريه، قبله أو مدنيه، وإن تعددت الثقافات والمفاهيم والرؤى وكفى بالماضي والحاضر - منذ أن خلق الدرهم والدينار وإلى انقضاء الدنيا - دليلاً على أثر المال السيادي في المجتمعات.

بل لا يخفى على القارئ ما للاقتصاد من أثر في قيام دول وسقوط أخرى، وإن تعددت اليوم الأنظمة الاقتصادية العالميه إلى ثلاثه أنظمه (النظام الرأسمالي، النظام الاشتراكي، النظام الاقتصادي المختلط ، وهو الذي يحاول التوليف بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي وتجنب عيوبهما البارزه والتوكيد على جوانبهما الايجابيه)(1).

ولا يخفى أيضاً ما للدول المتقدمه اقتصادياً من سيطره على الدول الناميه حتى أصبح هذا الاحتياج لتلك المعلومات والتطور الاقتصادي ضرباً من ضروب الاستعمار شاءت هذه الدول أم لم تشأ، فللعولمه الاقتصاديه دورها السيادة على العالم.

ومن هنا:

حازت السيده خديجه عليها السلام أهم العوامل السياديه فى المجتمع المكى من خلال التجاره والسوق وما يرتبط باقتصاد مكه وتعاملاتها التجاربه بين الشام واليمن.

ثالثاً: العفه والطهاره

كونها امرأه فقد شكل العامل الأخلاقى من أهم السمات التى تمنح المرأه السياهه فى قومها ومجتمعها لاسيما أنها قد حازت على العاملين السابقين، أى نسب الآباء وحسبهم، والمال الوفير من خلال النظام الاقتصادي لمكه - ولعل هذا الوصف - أى النظام الاقتصادي لمكه يراه البعض مبالغاً فيه أو فى غير محله، بلحاظ ما يحمله هذا المصطلح من تعريفات مختلفه عند أهل الاقتصاد، إلا- أن ذلك لا- يعنى انعدام النظام الاقتصادي فى مكه، وإن كان محدوداً، بالنظر للدول المعاصره، فلمكه نظامها الاقتصادي الدقيق الذى شمل معاهدات (دوليه) كما سيمر بيانه ضمن البحث.

وعليه:

فقد امتازت خديجه عليها السلام عن بقيه النساء اللاتى مزين بالسياهه فى

ص: ١٧

مجتمعاتهن بسمه العفه والطهاره حتى عرفت فى المجتمع المكى (بالطاهره).

وهى بهذا تكون قد مزجت بين هذه العوامل السىاديه، بل أضفت عليها بهذه السمه لوناً خاصاً ومفهوماً جديداً لم يفهمه النظام الاقتصادى فى العالم بما تفرضه السياسه الاقتصاديه من شريعته خاصه قائمه على الربح والخساره.

إلا أن خديجه عليها السلام كانت مثلاً للنظام الاقتصادى الأخلاقى وهو ما لم يمكن مشاهدته إلا عند الشرائع السماويه وأمنائها.

المحور الثالث: الرجوله فى شريك الحياه هى الفضيله

تختلف نظره المرأه للرجوله عن نظره الرجل لها، أى لسمه الرجوله؛ بل تتمايز بنات حواء بشكل خاص فى مفهومهن للرجوله بما تفرضه عليهن المكونات الشخصيه والنشئيه فضلاً عن المعطيات الثقافيه.

حتى بتنا اليوم لا نجد مفهوماً خاصاً عند بنات حواء للرجوله مع ما تفرضه شاشات التلفاز ومقاطع خشبه السوق؛ بل باتت الحياه أقرب ماتكون إلى مسرحيه لا يعرف الناظر إليها من هم أصحاب الأدوار الأساسيه؟ وبم يختلفون عن الماكثين خلف الستار؟!.

إلا أن تلك المفاهيم حينما تعرض على شخصيه السيده خديجه أو الفكر الخديجى تصطف أمامه تلك المفاهيم، فينسب منها ما كان ثانوياً ويصمد منها ما كان معها موافقاً للفطره الإنسانيه والذوق السليم.

فالرجوله فى الفكر الخديجى هى الفضيله الأخلاقيه لا بجسم مفتول، أو

شارب مبروم، أوعيون حمراء، وحنجره تسمع الصماء حينما يعلو صاحبها رأس المرأه بالصراخ.

ولذلك:

وجدت أن مَنْ أمضَّ أنواع التعسف والتردى بالعقل البشرى هو وصف خديجه عليها السلام بالزواج من رجلين من صعاليك العرب مع كل هذه الحضاره التي تلاطمت على ضفتى هذه الشخصيه.

وهذا ليس بالغريب على تلك العقول التي ملأت التاريخ العربى وهى تفصح بفعلها وقولها عن أخس المخلوقات على وجه الأرض.

فما يقول العاقل حينما يقرأ فى التاريخ أن رجلاً يرد على سؤال على بن أبى طالب عليه السلام وهو يقول:

«سلونى قبل أن تفقدونى، فو الله ما تسألونى عن فئه تضل مائه وتهدى مائه إلا نباتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامه؟».

فيرد هذا المسخ البشرى على هذا السؤال بسؤال آخر يقول فيه: أخبرنى كم فى رأسى ولحيتى من طاقه شعر؟!!

ولذلك من أجمل الأوصاف وأتم البيان ما نطقت به حفيده خديجه الكبرى وشبيبتها زينب ابنه أمير المؤمنين على عليه السلام حينما قدمت للقارئ صورته عن مستوى هذه العقول؛ إذ خاطبت المسلمين فى الكوفه قائله:

«كمرعى على دمنه أو كقصعه على ملحوده».

بمعنى: أن الإنسان المسلم قد وصل إلى مرحله من التردى وانعدام الحس

البشرى إلى المستوى الذى أصبحوا فيه يأكلون على لحود القبور، وهذا مخالف لأبسط دلائل وجود هذا الكائن الذى يسمى بالإنسان.

وعليه:

كيف لهؤلاء المسوخ مجرد النظر إلى هذا السمو والرفعه والعزه والمجد، وكيف لهذه اللحود السائره التجانس مع كل هذه الحياه والنمو والبناء والحيويه.

إنهما عالمان مختلفان ومتنافران كتنافر الموت والحياه، ولذلك لا يبالي هؤلاء فى القول والاعتقاد بأن خديجه كانت متزوجه من رجلين من صعاليك العرب!!

فى حين أن الرجوله فى قاموسها الحضارى هى الفضيله بكل ما تحمل هذه الكلمه من مصاديق خارجيه، وأن الخلق فى شريك الحياه هو الذى تكتمل به دوره الحياه الإنسانيه.

ولذا: فقد اختارت سيد الأخلاق فى بنى آدم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أعرضت عن كل أصناف الرجال التى اختلفت فيهم مظاهر الرجوله.

المحور الرابع: الدور الإصلاحي لبنى الإنسان

قليلون هم الذين يأخذون على عاتقهم إصلاح الإنسان والمضى به نحو السمو والرقى؛ كى يبلغ الغايه التى من أجلها خلقه الله تعالى، وكرمه على كثير مما خلق؛ والقله فى أولئك المصلحين راجعه إلى نفس هذا الكيان الإنسانى بما ركب الله فيه من قوى مختلفه تسعى به إلى ما يرضيها ويسد حاجتها.

ص: ٢٠

بمعنى: اقتضت حكمه الله تعالى أن تجعل الإصلاح سمة ملازمه للكمال، فكيف يستطيع من به نقص إصلاح ناقص آخر.

ولذا: اقترن الإصلاح بمن اختارهم الله لهذه المهمة وفضلهم على بنى جنسهم بالاصطفاء والاختيار، فجعل فيهم النبوه والرساله والإمامه ابتداءً من آدم وختاماً بسيدهم أبى القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم هياً لهم أعواناً وأنصاراً وأوصياء وحمله لهذه المهمة حتى انقضاء الحياه الدنيا التي شاء الله تعالى أن تشهد كل هذه التجاذبات بين الكمال والنقص والصالح والفساد.

وخديجه عليها السلام هي من أولئك الذين اصطفاهم الله تعالى لممارسه الدور الإصلاحى فى زمنٍ اختاره الله لخير خلقه وخصه بسيد رسله صلى الله عليه وآله وسلم، وفى مكان انتُجِب كأول بيت وضع للناس لتكون فيه الأداة والسند فى إتمام ما أمر الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الخامس: تشخيص دورها الرسالى

اشاره

حينما يكون الأمر منوطاً بخير الأديان وخاتمها فإن الأدوار التي قام بها أهل هذه الرساله كانت متوازيه مع حجم هذه الرساله، ولأن خديجه ممن اختارها الله لأن تكون من أهل هذه الرساله فقد جهدت على أداء دورها الرسالى فى المجالات التي حددت لها المرحله التأسيسيه من عمر الرساله الإسلاميه.

فكانت كالاتى:

ص: ٢١

أولاً: الرساليه فى حمل التكليف الشرعيه

تلقى خديجه عليها السلام ثقل التكليف الشرعى بكل طمأنينه وثبات وعزم حتى أصبحت المعين الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تلقى الأمر الإلهى منذ نزول جبرائيل عليه السلام بالوحي وإلى يوم فارقت الدنيا.

ثانياً: الرساليه فى الحياه الزوجيه

لم يشهد البيت النبوى حياه نموذجيه يظللها الهدوء والموده والطمأنينه مثلما شهدته بيت خديجه خلال ربع قرن أعطت فيه خديجه منهاجاً خاصاً فى التربيه الأسريه ينبغى بكل أسره الأخذ به والعمل بسننه، حتى ترك هذا التعامل الرسالى أثره فى قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى تكشّف لنا من خلال حزنه الشديد على فقدها حتى كاد يُخشى عليه من الحزن.

ثالثاً: الرساليه فى الأمومه

قد لا يلمس الإنسان فرقاً فى مشاهده الصور الحياتيه للمرأة وهى تمر بدور الأمومه باعتبار انقياد المرأه لغريزتها الأموميه وفطرتها الأنثويه؛ إلا أن الأمومه فى بيت خديجه عليها السلام اختلفت عن غيرها، وذلك فى إغداق من لم تلده خديجه بالأمومه والحنان والعاطفه؛ بمعنى أنها أعطت أمومتها بفعل سجيتها النفسيه لا الغريزيه الهرمونييه، وهذا جانب رسالى تتفاضل فيه النساء، حينما تحنو على أبناء غيرها فضلاً عن حرمانها وابتلائها بموت الولد وصبرها على ذلك كما سيمر بيانه.

رابعاً: الرساليه فى الصبر والجهاد

ربما يتصور الكثير أن الصبر خصوصيه خاصه لدى الرجال بما عرف عنهم من القوه فى التحمل إلا أن الحياه بتجاربها أثبتت أن المرأه أقدر من الرجل فى الصبر وحبس الألم ومواصله الحياه على ما فيها من ضنك، ولولا صبر المرأه على جذب الحياه، وقله ذات اليد عند كثير من الرجال، لحزَم الرجال على أنفسهم أن يظلمهم سقف أو ينتسب لهم ولد.

فى حين أن خديجه عليها السلام مع كثره مالها ووفره ثرائها، وصل بها الحال مع رسول الله فى شعب أبى طالب عليه السلام، حينما فرض المكثون على بنى هاشم الحصار أن قامت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى التصدى لهذا الظلم بالصبر والتحمل إلى الحد الذى أكلت فيه ورق الأشجار حتى كادت تهلك جوعاً.

خامساً: الرساليه فى الدفاع عن القيم

كثيرون هم الذين يدافعون عن قيمهم ومبادئهم على اختلاف المفهوم والثقافات عند أصحاب المبادئ فقد يكون الربح مبدأ من مبادئ السوق، وقد يكون السيفور مبدأ من مبادئ العصرنه إلا أننا هنا نتحدث عن الرساليه التى كانت دليلاً على الرساله الإلهيه الخاتمه لجميع الأديان.

ومن هنا: كان دفاع خديجه عليها السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رساليا بحيث لم تحظَ امرأه غيرها بهذا الامتياز لدرجه أنها كانت تقف أمام الحجاره تتلقاها ببدنها ووجهها كى لا يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأذى - كما سيمر بيانه -.

يقدم لنا القرآن الكريم فى معرض بيانه عن الرسالين حقيقه خاصه تكشف عن سر هذا التمايز فيما بينهم حتى تفاضل بعضهم على بعض.

على أن الاصطناع المولوى لم يكن ليستثنى أحداً منهم وإن كان الخطاب المولوى موجهاً لموسى الكليم عليه السلام؛ قال تعالى:
(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۗ۱)

هذه الحقيقه الخاصه فى أولئك الرسالين دلّ عليها صريح قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنا صنّاع ربنا»(١).

من هنا: كانت خديجه عليها السلام هى إحدى مظاهر الاصطناع المولوى الذى ظهر جلياً فى الشأنه التى لها فى القرآن الكريم فى جمله من الآيات المباركه - كما سيمر بيانه -.

كما أن هذه الشأنه لم تقتصر على كتاب الله تعالى بل ظهرت كذلك عند النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً فى حياتها وبعد وفاتها.

وظهرت هذه الشأنه أيضاً عند كثير من أئمه العتره عليهم السلام وعلماء المدارس الإسلاميه، فضلاً عما حملته السّينه النبويه من بيانات واضحه حول شأنيتها عليها السلام فى الآخره فى مختلف مراتبها ومحطاتها ابتداءً من البرزخ

ص: ٢٤

١- تحف العقول للحرانى: ص ٧ (المقدمه)؛ الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ٢٦٠.

والنشور والمحشر والصراط والجنه ضمن عناوين اختصت بهذه المسأل وتحت لفظ (منزله خديجه عليها السلام) كما سيمر بيانه.

ولم يتوقف هذا الاصطناع الربانى عند تلك الشواهد، بل ظهر كذلك فى دارها الذى تزوجت فيه، وماتت فيه، وليكون محلاً خصه الله تعالى بما لم يخص به بيتاً آخر من بيوتات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، حتى عد أفضل الأماكن بعد المسجد الحرام، فضلاً عن أن دار خديجه قد خصه الله تعالى بأهم الأحداث الإسلاميه فى سير النبوه منذ البعته وحتى الهجره النبويه.

المحور السابع: التصدى لمغول الفكر الإنسانى

شهدت حياه السيده خديجه عليها السلام أهم الأحداث الإسلاميه فى الحقبه المكيه والتي كانت هى المرحله الأصعب والأشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن معه.

ولأن هذه المرحله ضمت بين دفتيها وقائع شكلت مفصلاً من مفاصل العقيده الإسلاميه، فقد هوجمت على مر التاريخ بهجمات عديده لمغول الفكر الإنسانى الذين دأبوا على زرع الشبهات، وإضلال الناس عن جاده الإسلام، وزرع طريقهم بالمكائد والفخاخ التى تحول دون تقدم الناس إلى الإسلام ومعرفه نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا كان لزاماً علينا أن نتصدى لهذه الحمله المغوليه وبيان كذبها ورد سهامها إلى نحرورها وقطع الطريق على أحفادها فى بث هذه الشبهات، فعلى الرغم من تصدى كثير من أهل الفضل والعلم لها إلا أن ذلك لا يعنى التوقف

فى الرد وأضافه بعض الحقائق الجديده إلى طلاب العلم وعشاق الحقيقه.

ولذلك: اشتمل الكتاب على بعض المسائل العقائديه فى رد الشبهات ودفع الأباطيل وإظهار الوقائع التاريخيه على حقيقتها وكشف التلاعب بها.

وأخيراً: لم يكن هذا الكتاب ليتغافل عن حق هذه الوالده على بنيتها فى بيان ما لزيارتها وإتيان قبرها من الحق والواجب الأمومى الذى ألقى فى أعناق الأبناء، فضلاً عما فى هذا العمل من تعظيم لهذه الشخصيه وتأسُّ بها فى بناء الحياه والانضمام إلى نخبه المصلحين لبنى الإنسان.

المسأله الثالثه: منهجنا فى الدراسه التحليليه والتحقيق

إنّ مما اتفقت عليه كلمه الباحثين هو تضمين أبحاثهم بفقره تتحدث عن المنهج الذى اتبعه الباحث أو المحقق فى إخراج هذا العمل إلى النور ووضع بين يدى القراء.

وحيث إن عملنا فى هذه الدراسه اشتمل أيضاً على تحقيق كثير من النصوص التاريخيه المرتبطه بحياه السيده خديجه وتحليلها مع ملاحظه ان لفظ (التحقيق) مناط بعمل الباحث فيما احتواه (المخطوط) من ماده تفرض على المحقق السعى فى اثبات نسبتها لمصنفها مع بذل الجهد فى تقابل النسخ وبيان ما جاء فى كلام المصنف فيكون حينها المحقق أسيراً لما أملاه المصنف.

كان عملنا التحقيقى فى هذا الكتاب لا يشتمل على ذلك المنهج الذى تعاهده المحققون فى المخطوط من الكتب، وإنما منهجنا هو التتبع الحثيث لكل حدث اقترن بشخص السيده خديجه ودراسته حسب الضوابط الآتية:

١ - حفظ الحدود الشرعيه التي تحيط بها.

فقد يرد على القارئ حديث لا- يتجانس مع تلك الشأنيه والرساليه التي أحيطت، بها مما يدفع بالباحث إلى التحقيق في هذه الحادته؛ ومثال ذلك ما روى عنها عليها السلام من إشعار قبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مما يعد مخالفاً للمروءه، ولا يتسق مع ما اشتهر عنها من العفه والحياء حتى لقبت بالطاهره بنت خويلد، فضلاً عن أن الروايه مرسله كما صرح بذلك علامه المجلسي رحمه الله.

٢ - تجزئه الروايه أو الحديث إلى أجزاء عديده والوقوف عند هذه الأجزاء ودراستها كلا على حده.

٣ - المقابله فيما بين النصوص والتوقف عند المؤتلف والمختلف.

٤ - التدبر في دلالة الألفاظ الوارده عنها أو فيها.

٥ - تسليط الضوء على شخصيات الروايه أو الحدث وفهم الغرض الذي يحمله الراوى أو الدافع من وراء إيراد هذه الحادته؛ فالراوى لا يمكن أن يكون طرفاً محايداً مع ما شهدته الأئمه الإسلاميه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من متغيرات عقائديه وتحزبات ومصالح.

٦ - الوقوف عند الزمان والمكان الذين شهدتهما الحادته، فمبيت على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه زماناً ومكاناً ليس كخروج أبى بكر ونزوله في الغار؛ فقد كان في حادته المبيت زماناً ومكاناً شواهد قرآنيه وتاريخيه ممثله بالحيثه المكانيه بأهل مكه جميعاً وبالحيثه الزمانيه في حدث شغل أهل مكه

ص: ٢٧

والمدينه لأيام عديده فى حين اقتصرت حادثه الغار على الشاهد القرآنى الذى يتجاذبه أئمه التفسير بين التذليل والتأويل،
والروايه والدرايه كما هو ثابت فى كتب الفريقين.

٧ - عدم التغافل عن وجود طبقه كبيره من الأعداء للإسلام تعمل بكل قوه على تشويه كل ما له علاقه بالإسلام، من ثم لا ينبغى
بالباحث والمحقق غض الطرف عن دراسه الحاله الاجتماعيه والسياسيه للمجتمع الذى نشأت فيه الروايه وانطلقت منه إلى الناس.

فالروايه حينما يرويها الراوى وهو يسكن الشام، وفى حكم معاويه بن أبى سفيان غير الروايه التى يرويها الراوى فى زمن عمر بن
الخطاب أو فى زمن هارون العباسى.

٨ - أما بالنسبه إلى المنهج الرجالى فإننا لم نعتد فى تشخيص رتبه الراوى من حيث الوثاقه، والصدق، والكذب، والضعف،
والميل، والتدليس، والنسيان، والحفظ، والمشايخ، وغيرها على منهاج الرازى، أو الذهبى، أو ابن حجر، أو المزى، أو غيرهم.

وإنما اعتمدنا فى تشخيص الراوى على منهاج أجمعت الأئمه الإسلاميه على صحته وهو حب على بن أبى طالب عليه السلام
وبغضه، لما وضعه النبى الأكرم من ميزان فى معرفه الرجال وطبقتهم، حينما قال لعلى عليه السلام:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

فالحكم الذى يطلقه ابن تيميه الذى ملئ نصباً من قرنه إلى ظفره لعلى

عليه السلام غير الحكم الذى يطلقه الإمام الشافعى.

وعليه: فقد استلزم هذا المنهاج من الدراسه والتحقيق إلى:

ألف: مراجعه أكثر من ثلاثه آلاف كتاب بين مخطوط ومطبوع فضلاً عن استخدام الحاسوب والتجول فى الشبكه المعلوماتيه.

باء: تم الاعتماد على ما يقارب الخمسمائه مصدر من هذه المجموعه.

جيم: السفر إلى دمشق الشام حيث كانت من مكتبه الأسد الوطنيه باكوره العمل، ثم الانتقال إلى بيروت، ثم إلى العراق، ثم إيران، ثم العراق، ليكتمل البحث بلطف الله وسابق عنايته فى مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه.

دال: كان العون والسند فى هذا العمل هو الله تعالى وحب نبيه وأهل بيته، والتمسك بقراءه سوره الحمد وإهدائها إلى سيدتى ومولاتى خديجه الكبرى عليها السلام ومناشدتها الدعاء لى، إذ إن دعاء الوالده لولدها مستجاب، وإذا استعصت على مسأله أقسمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها، فسرعان ما تنجلى.

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

السيد نبيل قدورى حسن علوان الحسنى

كربلاء المقدسه / مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

فى يوم مولد الإمام محمد الجواد عليه السلام

الموافق: ١٠ رجب الأصب لسنة ١٤٣١ للهجره النبويه

المصادف: ٢٣ حزيران ٢٠١٠ للسنة الميلاديه

ص: ٢٩

الفصل الاول: سيدہ قریش

اشارہ

ص: ۳۱

حينما نريد أن نتحدث عن السيدة خديجه بنت خويلد عليها السلام فإننا نحتاج إلى الحديث عن أمه جمعت في امرأه.

ولأن التاريخ (الإسلامي) لم ينصف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسرى ذلك على الإسلام وحملته الحقيقيين فإن أول من غُبنَ من أولئك الحمله هي السيدة خديجه بنت خويلد عليها السلام.

ولعل مرد ذلك يعود إلى أمور، منها:

١ - نظره الأعراب للمرأة قبل الإسلام وبعده، فهم لم يتقبلوا وضعها الجديد بسبب عدم إيمانهم أصلاً بالإسلام فأصبحوا في مجتمع فرض عليهم قوانين جديدة تختلف عما نشأوا عليها فباتوا في صراع مع هذا الواقع الجديد فانعطفوا على الكيد لرموزه وعناصره الفاعله سواء أكانوا من الرجال أم النساء.

وهو ما بينه القرآن الكريم حينما أشار إلى دور هؤلاء في الخراب الاجتماعي، فقال تعالى:

ص: ٣٣

(لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ ۙ)

فإذا كان هذا حالهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مسدد بالوحي فكيف بهم وبما يكيدون للإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - لم يكن الأعراب وغيرهم من أهل مكة قد اعتادوا على تملك المرأة للمال والرجال والتحكم بعصب الاقتصاد، فضلا عن السيادة والعزّة والجلالة التي شابها بها خديجه عليها السلام ملكه سباً مما انعكس سلبياً على أرباب المال، وتجار العبيد، والمتحكمين في أنديه قريش؛ فهؤلاء ممن استمكلتهم الأنفة من النساء فوجدوها مقضى حاجاتهم، وموضع شهواتهم، فكيف بهم الآن يرون بين ظهرانينهم امرأة تملك أشباههم، وتستأجر نظراءهم، فضلا عن التكسب بمالها، فأنى يروق لهم ذلك؟

ولذا: أصبحوا بين صورتين كلتاها تتقاطع مع نفوسهم وأهوائهم وطباعهم، فالصوره الأولى تتحدث عن خديجه وهى سيده قريش، والصوره الثانيه تتحدث عنها وهى سيده البيت النبوى.

حينها لم يبق أمام تلك العقول سوى قلب الحقائق، وتزييف الوقائع، كى لا يرى القارئ - المسلم أو غير المسلم - سيره الأئمه التى جمعت فى امرأه فكانت خديجه بنت خويلد عليها الصلاه والسلام.

٣ - إنّ تمكن الأعراب من التقرب إلى السلطه والتحكّم - بقدر ما - فى صناعه القرار مكنهم من وضع أيديهم على روايه السيره وتدوينها، وصياغها

ملاحمها حسب ما تشتهيه أنفسهم، فكانت صورته مشوهة لاسيما عن أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما سيمر بيانه - بغيه الوصول إلى أهدافه سياسيه وشخصيه تمكنهم من البقاء في السلطه حينما يتم ضرب حملته الإسلام الحقيقيين وإبعاد الناس من حولهم ونسب جهادهم وجهودهم إلى أعداء الإسلام.

ولكن قبل أن نعرض للقارئ الكريم بعض ملامح هذه الشخصيه العظيمة والمشرّفه لكل مسلم لا بد من المرور بمباحث وهي كالآتي:

المبحث الأول: الحاله الاجتماعيه في مكه قبل الإسلام

اشاره

ربما تمر على مسامع بعض من الناس كلمه (سيده قريش) مرور الكرام فلم تحرك فيه ساكناً، لأنه لا- يكون محيطاً بذاك المجتمع، أو لعله يرى فيها نظيراً لما اعتاد عليه من سماع لهذه الكلمه هذه الأيام، فتلك سيده القصر الرئاسي، وهذه سيده أعمال، وتلك سيده منزل، فأصبحت كلمه (السيدة) لا تحمل من الدلاله سوى التشريفات البروتوكوليه، أو هي من المفاهيم المستورده، والألفاظ المبدوله، في مجتمعات تساوت فيها المظاهر الحياتيه، فلم يعد الإنسان ينجو من جدليه الأصلي والمقلد، كما لم ينج من التمييز، أو الخلط بين (السيدة) التي سادت بالفضيله والعلم مجتمعتها؛ وبين (السيدة) التي سادت بالموظه وعرض الأزياء، وسلعنه المفاتن.

ولذا: أصبحت المفردات تحتاج إلى قرائن تكشف عن مدلولاتها فترشد السامع إلى معانيها.

ومن هنا: ينبغي بنا إن أردنا بأنفسنا الانصاف أن نعرج إلى قراءه الحاله الاجتماعيه والاقتصاديه لمكته قبل الإسلام كى نعى معنى أن خديجه كانت تلقب ب - (سيده قريش)(1).

المسأله الأولى: الاصطفاء الربانى لقريش

قد لا- يختلف اثنان من العرب أن قريشاً هى عشيره النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها من أعظم قبائل العرب، لكن السؤال كيف كانت عظمتها؟ وبم حازت شرفها وعزتها؟ أسئله ننطلق معها لنبين للقارئ المسلم ماذا يعنى له حينما يقرأ فى كتب التاريخ والسيره والتراجم وغيرها (أن خديجه بنت خويلد كانت تلقب (بسيده قريش).

ونقول:

ربما تكون الرفعه والعظمه والشرافه والعزّه عند بعض الناس - وبحسب اعتقادهم وثقافتهم - هى نتيجه العمل الذاتى للفرد دون أن تكون لمشيئه الله تعالى مدخله فيها، وقد تكون هذه المزايا لا- تنال - وبحسب اعتقاد كثير من الناس - إلا حينما تكون مقرونه بل وملاصقه لمشيئه الله جل وعلا -.

وحينما نأتى إلى قراءه تاريخ قريش نجدها، أى قريشاً، لم تنل ما نالت من الرفعه والعظمه والظهور إلا من خلال مشيئه الله تعالى، وعمل من

ص: ٣٦

١- عمدته القارى فى شرح صحيح البخارى للعيني: ج ١، ص ٦٤؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ٢٢٤. تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١، ص ٢٦٥؛ المواهب اللدنيه للأزرقى: ج ١، ص ١٩٩؛ الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٢٥.

اختارهم الله لبناء هذه الرفعه وتشبيدها، وأعنى: لا بد من وجود الكفاءات الشخصية إلى جانب المشيئة الإلهية والتي، أى هذه الكفاءات، لم تكن لتتحقق بدون التوفيق الإلهي، فسبحان من بيده كل شيء، وله الأمر من قبل ومن بعد.

وقريش فى حقيقه الأمر قد نالت العنايه الإلهيه كما دلّ على ذلك الحديث النبوى - كما سيمر - ونالت تلك العنايه بظهور بعض الرموز المتميزه؛ بل والفريده من بين الرجال لتكون أداه تصنع للبشريه حضارتهم وتمدنهم.

فأما المشيئة الإلهيه فقد كشف عنها حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما بيّن أن الله تعالى اصطفى من بين خلقه ملائكه، وأنبياء، ورسلاً، وشعوباً، وقبائل، وبيوتات، وأفراداً، ودينياً، وغيرها مما يصرح به الكتاب العزيز. قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١))

وقال سبحانه:

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٢)).

وقال سبحانه:

ص: ٣٧

(وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ .۱)

وقال تعالى:

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى .۲)

وقال سبحانه:

(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ .۳)

وغيرها من الآيات التي تظهر هذه السنه الإلهيه، التي جرت في الأشياء، وحينما نأتى إلى قريش نجدها مما شملتها سنه الاصطفاء الإلهيه، كما دلَّ عليها حديث النبي الأكرم حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله اصطفى كنانه من بنى إسماعيل عليه السلام واصطفى من بنى كنانه قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم»^(۱).

وبهذا يكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خلاصه الاصطفاء الربانى لخلقه وذلك من خلال تلك السلسله الاصطفائيه التي عرضها الحديث الشريف.

ص: ٣٨

١- مسند أحمد: ج ٤، ص ١٠٧؛ سنن الترمذى: ج ٥، ص ٢٤٣.

اشاره

إن تلك المشيئه الإلهيه التي جعلت قريشاً موضعاً للاصطفاء من بين بني إسماعيل عليه السلام فقد أوجدت فيها رجالاً تبلورت فيها مظاهر هذا الاصطفاء لثمر ثمرتها في بني عبد المطلب من بني هاشم. وهم كآآتى:

أولاً: قصى بن كلاب

اشاره

وهو الجد الرابع للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فنسب النبي هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن خضر بن كنانه ابن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن نضر، بن نزار بن معد بن عدنان(١).

وكنانه، هو الذى اصطفاه الله تعالى من بين ذريه إسماعيل عليه السلام.

ويعد كلٌّ من (فهر بن مالك)(٢) وجده (نضر بن كنانه)(٣) هما اللذين لقبوا بقريش.

كما أن قصى بن كلاب هو أيضاً لقب بقريش، لتمكنه من جمع القبائل التي تعود إلى نضر بن كنانه بعد أن تفرقوا وأسكنهم مكة(٤).

ص: ٣٩

١- الأنساب للسمعاني: ج ١، ص ٢٥.

٢- عمده القارى للعيني: ج ١، ص ٨١.

٣- الإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر: ص ٤٥.

٤- تحفه الأحوذى للمباكفورى: ج ١٠، ص ٥٣.

يرجع سبب تسميه قريش بهذا الاسم إلى مجموعه من الأقوال:

١ - إن سبب التسميه مأخوذ من التقرش، وهو التجمع يقال: تقرش القوم إذا اجتمعوا؛ ولذلك سمي قصي بن كلاب مجمعاً، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فھر

٢ - إنه مأخوذ من القرش، وهو الكسب: لأنهم كانوا كاسيين بتجاراتهم وضربهم في البلاد.

٣ - إنهم كانوا يسدون خله محاويج الحاج، فسموا بذلك قريشا(١).

٤ - وقيل: إن قريشاً؛ دابه تسكن البحر تغلب سائر الدواب، وقريش: هي التي تسكن البحر ربيها فسميت قريش: قريشا(٢)؛ ومن هذا المعنى ذهب الفخر الرازي إلى أن السيادة على الأمة منهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ الأئمة من قريش»(٣).

وقد ذهب ابن عبد البر إلى أن (التجمع) هو الأصح، وبهذا يكون قصي ابن كلاب هو من سمي بقريش؛ لأنه جمع القبائل وأسكنها مكة.

أما لمن يعود أصل هذه القبائل: فقد ذهب الفقهاء، وعلماء الأنساب، إلى أن أصل قريش يعود إلى النضر بن كنانة، ويستند النسابون في ذلك إلى قول

ص: ٤٠

١- تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ١٠٦؛ معجم قبائل العرب لعمر رضا كحاله: ج ٣، ص ٩٤٧.

٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج ٥، ص ٧٠.

٣- تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ١٠٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمتنا ولا ننتفى من أبنائنا»^(١).

فيما ذهب الفقهاء في تعريف (المرأه القرشيه) إلى أنها من انتسب إلى النضر بن كنانة^(٢).

قال السيد محسن الحكيم قدس سره: (ذكر ذلك جماعه من الأعاضم مرسلين له إرسال المسلمات من غير إشاره منهم للخلاف فيه، كالمحدث البحراني في الحدائق، وشيخنا في الجواهر، والنراقي في المستند، وشيخنا الأعظم في طهارته، وغيرهم، وهو المنقول عن الصحاح، وفي النفحة العنبريه لابن أبي الفتوح: (ومن ولد كنانه، النضر) وهو الملقب بقريش، وبعد ذلك أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النضر، قال: وهو قريش.

لكن في مجمع البحرين - وبعد أن ذكر ذلك - قال: وقيل، قريش هو فهر ابن مالك؛ وعن سبائك الذهب: أنه النضر على المذهب الراجح؛ وفي العقد الفريد: (جد قريش كلها فهر بن مالك، فما دونه قريش، وما فوقه عرب.. إلى أن قال: (وأما قبائل قريش فإنما تنتهي إلى فهر بن مالك لا تتجاوزه).

وفي سبل الذهب: (كل من ولده (فهر) فهو قريش ومن لم يلبده فليس بقريش)؛ ونحوه ما في المختصر من أخبار البشر لأبي الفداء؛ وذكر ذلك أيضا في الشجره المحمديه لأبي علي الجواني النسابه، وكذا في السيره النبويه لابن

ص: ٤١

١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٢١٢؛ الأنساب للسمعاني: ج ١، ص ٢٧.

٢- كتاب الطهاره للسيد أبو القاسم (الخوئي) قدس سره: ج ٦، ص ٩٣.

دحلان؛ وفي السيره الحلبيه: (فهر، اسمه قريش، قال الزبير بن بكار: أجمع النسابون من قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر).

ويظهر من غير واحد احتمال أنه قصي، لكنه ضعيف جداً، لأن أكثر قبائل قريش من غيره، إنما الإشكال في تعيين أحد الأولين، لكن يهون الأمر خروج الفرض عن محل الابتلاء(١).

وقال السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره معقبا على هذه الأقوال في بيان ما يترتب على المرأة القرشيه من أحكام الطهاره عند الحيض: (والذي يوهن الخطب أن القرشيه لا وجود لها غير أولاد عباس - بن عبد المطلب - وعلى عليه السلام إذ لم يعلم لأولاد مالك غير فهر أولاد حتى يتكلم في أنه قرشي أو غير قرشي، فمحل الابتلاء معلوم القرشيه على كل حال، وغيره خارج عن محل الابتلاء(٢).

باء: دور قصي بن كلاب في جمع القبائل وحيازه الفضائل

لم تشهد مکه قبل قصي بن كلاب رجلاً قد سادت له قبائل قريش والحكم عليها مثلما سادت لقصي بن كلاب، بعد أن جمعها وقسمها على قسمين عظيمين، فأسكن بطاح مکه قسماً فسموا بقريش البطاح، وهي قبائل كعب بن لؤي، وهم: (بنو عبد مناف، بنو عبد العزى، بنو عبد الدار، بنو زهره، بنو تيم، بنو مخزوم، بنو جمع، بنو سهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عدى بن كعب).

ص: ٤٢

١- مستمسك العروه الوثقى للسيد محسن الحكيم قدس سره: ج ٣، ص ١٥٥.

٢- كتاب الطهاره للسيد أبو القاسم (الخوئي) قدس سره: ج ٦، ص ٩٣.

وأما القسم الثاني، وهي القبائل التي نزلوا خارج مكة، وقد سموا بقريش الظواهر، وهي قبائل بنى عامر بن لؤى بن يخلد بن النضر، وهم: الحارث ومالك وقد درجا(١)، والحارث ومحارب ابنا فهر، وتيمم الأدرم بن غالب بن فهر، وقيس بن فهر وقد درج(٢).

جيم: أنه أول من أصاب ملكاً فأطاع له به قومه

وقد امتاز قصى بن كلاب بخصائص فريده لم ينلها أحد من العرب من قبله.

قال ابن سعد: (أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان قصى بن كلاب أول ولد كعب بن لؤى أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكان شريف أهل مكة لا ينازع فيها، فابتنى دار الندوه وجعل بابها إلى البيت ففيها كان يكون أمر قريش كله وما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشوره فيما ينوبهم حتى إن كانت الجارية تبلغ أن تدرع فما يشق درعها إلا فيها ثم ينطلق بها إلى أهلها، ولا يعقدون لواء حرب لهم ولا من قوم غيرهم إلا في دار الندوه يعقده لهم قصى، ولا يعذر لهم غلام إلا في دار الندوه، ولا تخرج غير من قريش فيرحلون إلا- منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها، تشريفا له وتيمنا برأيه ومعرفه بفضلله، ويتبعون أمره كالدين المتبع لا- يعمل بغيره في حياته وبعد موته؛ وكانت إليه الحجاب، والسقايه، والرفاده، واللواء، والندوه، وحكم مكة كله، وكان يعشر من دخل مكة سوى أهلها.

ص: ٤٣

١- قال الأصبغى: درج الرجل، إذا لم يخلف نسلاً؛ الصحاح للجوهري: ج ٣، ص ٩٤٨.

٢- معجم قبائل العرب لعمر رضا كحاله: ج ٣، ص ٩٤٨.

قال: وإنما سميت دار الندوه: لان قريشا كانوا ينتدون فيها أى: يجتمعون للخير والشر، والندى مجمع القوم إذا اجتمعوا(١).

دال: تقسيمه مكه أرباعا وجمعه لقريش

قال ابن سعد:

(وقطع قصى مكه رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم التى أصبحوا فيها اليوم، ضاق البلد وكان كثير الشجر (العضاه والسلم)، فهابت قريش قطع ذلك فى الحرم فأمرهم قصى بقطعه وقال: إنما تقطعون له منازلكم ولخططكم بهله الله على من أراد فسادا، وقطع هو بيده وأعوانه، فقطعت حينئذ قريش.

وسمته مجمعا، لما جمع من أمرها وتيمنت به وبأمره؛ وشرفته قريش وملكته؛ وأدخل قصى بطون قريش كلها الأبطح فسموا قريش البطاح، وأقام بنو معيص بن عامر بن لؤى، وبنو تيم الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو محارب ابن فهر، وبنو الحارث بن فهر، بظهر مكه، فهؤلاء الظواهر، لأنهم لم يهبطوا مع قصى إلى الأبطح، إلا أن رهط أبى عبيده بن الجراح وهم من بنى الحارث ابن فهر نزلوا الأبطح فهم مع المطيبين أهل البطاح.

وقد قال الشاعر فى ذلك وهو ذكوان مولى عمر بن الخطاب للضحاك بن قيس الفهري حين ضربه:

فلو شهدتنى من قريش عصابه قريش البطاح لا قريش الظواهر

ص: ٤٤

وقال حذافه بن غانم العدوى لأبى لهب بن عبد المطلب:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فھر

فدعى قصى مجمعا بجمعه قريشا، وبقصى سميت قريش قريشا؛ وكان يقال لهم قبل ذلك بنو النضر، قال ابن سعد: إنَّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبیر: متى سميت قريش قريشا؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقتها، فذلك التجمع التقرش، فقال عبد الملك: ما سمعت هذا ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له القرشى ولم تسم قريش قبله.

وقال أيضا: لما نزل قصى الحرم وغلب عليه فعل أفعالا جميله فقیل له القرشى فهو أول من سمى وقال الأحنسی: سميت قريش وكنانه وخزاعه ومن ولدته قريش من سائر العرب بالحمس.

والتحمس أشياء أحدثوها في دينهم تحمسوا فيها أى: شددوا على أنفسهم فيها، فكانوا لا يخرجون من الحرم إذا حجوا فقصرُوا عن بلوغ الحق، والذي شرع الله تبارك وتعالى لإبراهيم وهو موقف عرفه وهو من الحل؛ وكانوا لا يسلؤون السمن، ولا ينسجون مظال الشعر، وكانوا أهل القباب الحمر من الادم.

وشرعوا لمن قدم من الحاج أن يطوف بالبيت وعليه ثيابه، ما لم يذهبوا إلى عرفه، فإذا رجعوا من عرفه لم يطوفوا طواف الإفاضة بالبيت إلا عراه أو في ثوبى أحمسی، وان طاف في ثوبيه لم يحل له أن يلبسهما(١).

ص: ٤٥

هاء: إنه أول من أوقد ناراً بالمزدلفه

قال محمد بن عمر: (وقصى أحدث وقود النار بالمزدلفه حين وقف بها حتى يراها من دفع من عرفه فلم تزل توقد تلك النار تلك الليله يعنى ليله جمع فى الجاهليه.

وكانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان؛ قال محمد بن عمر وهى توقد إلى اليوم(١).

واو: إنه أول من فرض السقايه والرفاده على قريش خدمه لحجاج بيت الله

(وفرض قصى على قريش السقايه والرفاده فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وان الحاج ضيفان الله، وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامه، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم؛ ففعلوا، فكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم خرجا يترافدون ذلك فيدفعونه إليه، فيصنع الطعام للناس أيام منى وبمكه، ويصنع حياضا للماء من آدم، فيسقى فيها بمكه ومنى وعرفه فجرى ذلك من أمره فى الجاهليه على قومه حتى قام الإسلام؛ ثم جروا فى الإسلام على ذلك إلى اليوم.

فلما كبر قصى ورق، وكان عبد الدار بكره وأكبر ولده، وكان ضعيفا، وكان إخوته قد شرفوا عليه، فقال له قصى: أما والله يا بنى لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك، لا يدخل أحد منهم الكعبه حتى تكون أنت الذى تفتحها له، ولا تعقد قريش لواء لحربهم إلا كنت أنت الذى تعقده بيدك، ولا

ص: ٤٦

يشرب رجل بمكه إلا- من سقايتك، ولا- يأكل أحد من أهل الموسم طعاما بمكه إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك، فأعطاه: دار الندوة، وحجابه البيت، واللواء، والسقايه، والرفاده، وخصه بذلك ليلحقه بسائر إخوته.

وتوفى قصي فدفن بالحجون فقالت تخمر بنت قصي ترثي أباه

طرق النعي بعيد نوم الهجد فنعى قصيا ذا الندى والسؤدد

فنعى المهذب من لؤى كلها فانهل دمعى كالجمان المفرد

فأرقت من حزن وهم داخل أرق السليم لوجده المتفقد(١)

ثانيا: عبد مناف بن قصي

أما الرجل الثاني الذي ظهر فيه الاصطفاء لسياده قريش ورفع شأنها، فهو عبد مناف بن قصي، فكان من خبره: أنه قام بعد أبيه على أمر قريش، (فاختط بمكه رباعا بعد الذي كان قصي قطع لقومه.

وعلى - بنى - عبد مناف اقتصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أنزل الله تبارك وتعالى:

(وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ٢).

قال ابن عباس: (لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

ص: ٤٧

خرج حتى علا المروه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل فهر.

فجاءته قريش، فقال أبو لهب بن عبد المطلب: هذه فهر عندك، فقل.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل غالب؛ فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل لؤى بن غالب فرجع بنو تيم الأدرم ابن غالب فقال يال كعب بن لؤى فرجع بنو عامر بن لؤى.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل مره بن كعب. فرجع بنو عدى بن كعب، وبنو سهم، وبنو جمح ابنا عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل كلاب بن مره. فرجع بنو مخزوم بن يقظه بن مره، وبنو تيم بن مره.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل قصى. فرجع بنو زهره بن كلاب.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يآل عبد مناف، فرجع بنو عبد الدار بن قصى، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى، وبنو عبد بن قصى.

فقال أبو لهب هذه بنو عبد مناف عندك فقل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش، وإنى لا أملك لكم من الله حظاً، ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم، وتدين لكم بها العرب، وتذل لكم بها العجم.

فقال أبو لهب: تبا لك فلماذا دعوتنا.

فأنزل الله تبت يدا أبي لهب، يقول: خسرت يدا أبي لهب.

قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، قال ولد عبد مناف بن قصي ستة نفر، وست نسوة؛ المطلب بن عبد مناف، وكان أكبرهم وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف، واسمه عمرو، وهو الذي عقد الحلف لقريش من هرقل، لأن تختلف إلى الشام آمنه؛ وعبد شمس بن عبد مناف، وتماضر بنت عبد مناف، وحنه، وقلابه، وبره، وهاله، بنات عبد مناف، وأمهم عاتكة الكبرى بنت مره بن هلال بن فالح بن ثعلبه بن ذكوان بن ثعلبه بن بهته بن سليم بن منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر.

ونوفل بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق؛ وأبا عمرو بن عبد مناف، وأبا عبيد درج؛ وأمهم واقده بنت أبي عدى، وهو عامر بن عبد نهم بن زيد بن مازن بن صعصعه؛ وريظه بنت عبد مناف، ولدت بني هلال بن معيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية(١).

ثالثاً: هاشم بن عبد مناف

إشارة

وهو الذي نص عليه الحديث النبوي الشريف في الاصطفاء، وبه تجلت المفاخر والمآثر، وسادت قريش القبائل، وعلى يديه بنت اقتصادها، وعلاقاتها الخارجيه مع ملك الحبشه، وقيصر الروم؛ وإليه ينسب النبي وأهل بيته، فيقال له النبي الهاشمي، وفي ذريته جعلت الإمامه التي نص عليها قوله صلى الله

ص: ٤٩

عليه وآله وسلم:

«أن الأئمة من قريش».

وبهم تأمن الأمة من الغرق، وتنجو من الضلال؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ولقد تناولت أكثر كتب التاريخ والتراجم حياة هاشم بن عبد مناف، فمما جاء فيها:

ألف: إنه أول من سنّ الرحلتين لقريش

(كان إسم هاشم عمراً وكان صاحب إيلاف قريش، وكان أول من سن الرحلتين لقريش، ترحل إحداهما فى الشتاء إلى اليمن، وإلى الحبشه إلى النجاشى فيكرمه ويحبوه؛ ورحله فى الصيف إلى الشام إلى غزه، وربما بلغ أنقره فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه)(١).

باء: سبب تسميته بهاشم

(أصابت قريشا سنوات ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير، فخبز له فحمله فى الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز، يعنى كسره وثرده، ونحر تلك الإبل، ثم أمر الطهاه فطبخوا، ثم كفا القدور على الجفان فأشبع أهل مكة؛ فكان ذلك أول الحيا بعد السنه التى أصابتهم

ص: ٥٠

فسمى بذلك: هاشما وقال عبد الله بن الزبيرى فى ذلك:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

وقال وهب بن عبد قصى فى ذلك:

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيا أن يقوم به بن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النفيض

فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكلمات من الشيزاء حائرها يفيض(١)

جيم: سبب عداوه أميه لهاشم

ويذكر المؤرخون أن (أول سبب للعداوه بين هاشم وأميه كانت حينما حسده أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافره فكره هاشم ذلك لسنه وقدره.

فلم تدعه قريش واحفظوه، قال فيانى أنافرك على خمسين ناقيه سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلاء عن مكة عشر سنين؛ فرضى أميه بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى، فنفر هاشما عليه فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره وخرج أميه إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوه وقعت بين هاشم وأميه(٢).

ص: ٥١

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٧٥-٧٦

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٧٦-٧٧.

دال: سبب تسميه بنى هاشم بالمطيين وبنى أميه بلعقه الدم

ثم أن هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلاً بنى عبد مناف أجمعوا أن يأخذوا ما بأيدي بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والرفاده والسقايه والندوه، ورأوا أنهم أحق به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم؛ وكان الذى قام بأمرهم هاشم بن عبد مناف، فأبت بنو عبد الدار أن تسلم ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

فصار مع بنى عبد مناف بن قصى بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهره بن كلاب وبنو تيم بن مره وبنو الحارث بن فهر؛ وصار مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وسهم وجمح وبنو عدى بن كعب وخرجت من ذلك بنو عامر بن لؤى ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً الا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بل بحر صوفه فأخرجت بنو عبد مناف ومن صار معهم جفنه مملوءه طيباً فوضعوها حول الكعبه ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاهدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبه بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا المطيين.

وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان معهم جفنه من دم فغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتحالفوا الا يتخاذلوا ما بل بحر صوفه فسموا الاحلاف ولعقه الدم؛ وتهيأوا للقتال وعبئت كل قبيله لقبيله؛ فبينما الناس على ذلك إذ تداعوا إلى الصلح إلى أن يعطوا بنى عبد مناف بن قصى السقايه والرفاده وتكون الحجابة

واللواء ودار الندوه إلى بنى عبد الدار كما كانت؛ ففعلوا وتحاجز الناس فلم تزل دار الندوه فى يدى بنى عبد الدار حتى باعها
عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من معاويه بن أبى سفيان فجعلها معاويه دار الاماره فهى فى أيدى
الخلفاء إلى اليوم(١).

هاء: أول من سنّ ضيافته حجّاج بيت الله من ماله الخاص حتى يرحلوا من مكه

قال ابن سعد (أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى قال فحدثنى يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى عن أبيه قال فاصطلحوا يومئذ
أن ولى هاشم بن عبد مناف بن قصى السقايه والرفاده وكان رجلا موسرا وكان إذا حضر الحج قام فى قريش فقال: يا معشر
قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامه
ضيفه وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به وحفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوره يأتون شعنا غربا من
كل بلد على ضوامر كأنهن القداح قد أزحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا فأقروهم واسقوهم.

فكانت قريش ترافد على ذلك، حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدرهم؛ وكان هاشم بن عبد مناف بن
قصى يخرج فى كل عام مالا كثيرا، وكان قوم من قريش أهل يساره يترافدون؛ وكان كل إنسان يرسل بمائه مثقال هرقلية، وكان
هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل فى موضع زمزم ثم يستقى فيها الماء من البئر التى بمكه فيشربه الحاج، وكان يطعمهم أول ما
يطعم

ص: ٥٣

قبل الترويه بيوم بمكه وبمنى وجمع وعرفه؛ وكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسويق والتمر، ويجعل لهم الماء فيسقون بمنى؛ والماء يومئذ قليل فى حياض الادم إلى أن يصدروا من منى فتنقطع الضيافه ويتفرق الناس لبلادهم(١).

واو: أول من أخذ الحلف لقريش من قيصر الروم، وملك الحبشه

قال ابن سعد: (وأخبرنا محمد بن عمر الأسلمى قال حدثنى القاسم بن العباس اللهينى عن أبيه عن عبد الله بن نوفل بن الحارث قال: كان هاشم رجلا شريفا وهو الذى أخذ الحلف لقريش من قيصر لان تختلف آمنه من على الطريق فألفهم على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق، فكتب له قيصر كتابا وكتب إلى النجاشى أن يدخل قريشا أرضه وكانوا تجارا.

فخرج هاشم فى غير لقريش فيها تجارات، وكان طريقهم على المدينه، فنزلوا بسوق النبط فصادفوا سوقا تقوم بها فى السنه يحشدون لها، فباعوا واشتروا؛ ونظروا إلى امرأه على موضع مشرف من السوق، فرأى - هاشم - امرأه تأمر بما يشتري ويبيع لها، فرأى امرأه حازمه جلده مع جمال، فسأل هاشم عنها: أأيم هى، أم ذات زوج؟

فقال له أيم، كانت تحت أحيحة بن الجلاح، فولدت له عمرا ومعبدا، ثم فارقتها؛ وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن امرها بيدها فإذا كرهت رجلا فارقتها؛ وهى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد ابن

ص: ٥٤

خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار، فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها.

ودخل بها وصنع طعاما ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه، وكانوا أربعين رجلا من قريش، فيهم رجال من بنى عبد مناف ومخزوم وسهم، ودعا من الخزرج رجالا؛ وأقام بأصحابه أياما؛ وعلقت سلمى بعبد المطلب، فولدته وفي رأسه شيبه، فسمى شيبه.

وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام، حتى بلغ غزه، فاشتكى فأقاموا عليه حتى مات، فدفنوه بغزه ورجعوا بتركته إلى ولده. ويقال ان الذى رجع بتركته إلى ولده أبو رهم بن عبد العزى العامرى وعامر بن لؤى وهو يومئذ غلام ابن عشرين سنه(١).

زاي: وصيته وما خلف من الأولاد

قال ابن سعد أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: أوصى هاشم بن عبد مناف إلى أخيه المطلب بن عبد مناف فبنو هاشم وبنو المطلب يد واحده إلى اليوم؛ وبنو عبد شمس وبنو نوفل ابنا عبد مناف يد إلى اليوم.

قال وأخبرنا هشام بن محمد عن أبيه قال: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة، شيبه الحمد وهو عبد المطلب، وكان سيد قريش حتى هلك؛ ورقيه بنت هاشم ماتت وهي جارية لم تبرز، وأمها سلمى بنت عمرو

ص: ٥٥

ابن زيد بن لييد بن خداس بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار، وأخواهما بأمهما عمرو، ومعيد، ابنا أحيحة بن الجلاح.
وأبا صيفى بن هاشم واسمه عمرو، وهو أكبرهم؛ وصيفيا، وأمهما هند بنت عمرو بن ثعلبه بن الحارث، وأخوهما لأمهما مخرمه
بن المطلب بن عبد مناف بن قصى.

وأسد بن هاشم وأمه قيله، وكانت تلقب الجزور بنت عامر بن مالك بن جذيمه وهو المصطلق من خزاعه.

ونضله بن هاشم، والشفاء، ورقيه؛ وأمهم أميمه بنت عدى بن عبد الله ابن دينار بن مالك بن سلامان بن سعد من قضاعه؛
وأخواهما لإمهما نفيل بن عبد العزى العدوى، وعمرو بن ربيعه بن الحارث بن حبيب بن جذيمه بن مالك ابن حسل بن عامر بن
لؤى.

والضعيفه بنت هاشم، وخالده بنت هاشم، وأمها أم عبد الله، وهى واقده بنت أبى عدى، ويقال: عدى وهو عامر بن عبد نهم بن
زيد بن مازن بن صعصعه.

وحنه بنت هاشم وأمها عدى بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ ابن جشم بن قسى وهو ثقيف.

قال وكان هاشم يكنى أبا يزيد، وقال بعضهم: بل كان يكنى بابنه أسد بن هاشم؛ ولما توفى هاشم رثاه ولده بأشعار كثيره فكان
مما قيل فيما أخبرنا محمد بن عمر عن رجاله قالت خالده بنت هاشم ترثى أباها وهو

شعر فيه ضعف:

بكر النعى بخير من وطئ الحصى ذى المكرمات وذى الفعال الفاضل

بالسيد الغمر السמידع ذى النهى ماضى العزيمه غير نكس واغل

زين العشيره كلها وربيعها فى المطبقات وفى الزمان الماحل

بأخى المكارم والفواضل والعلی عمرو بن عبد مناف غير الباطل

ان المهذب من لؤى كلها بالشام بين صفائح وجنادل

فأبكى عليه ما بقيت بعوله فلقد رزئت أخا ندى وفواضل

ولقد رزئت قريع فهر كلها ورئيسها فى كل أمر شامل

وقالت الشفاء بنت هاشم ترثى أبها:

عين جودى بعبره وسجوم واسفحى الدمع للجواد الكريم

عين واستعبرى وسحى وجمى لأبيك المسود المعلوم

هاشم الخير ذى الجلاله والمجد وذى الباع والندى والصميم

وربيع للمجتدين وحرز ولزاز لكل أمر عظيم

شمري نماه للرز صقر شامخ البيت من سراه الأديم

شيظمى مهذب ذى فضول أريحي مثل القناه وسيم

غالبى سמידع أحوذى باسق المجد مضرحى حلیم

صادق الناس فى المواطن شههم ماجد الجد غير نكس ذميم(1)

ص: ٥٧

إشاره

جد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكفيله، واسمه شيبه الحمد وهو أحد الرجال الذين تجلى فيهم الاصطفاء لسياده مكة، بل ظهر في جبينه نور النبوه، وهيبه السلاطين، وجلاله الملوك، وعزه الأولياء، فحفظ الله بدعائه البيت الحرام، وعلى يديه ظهرت الآيات والدلائل على اختصاصه بالاصطفاء، فأكرمه الله بزمام، ورد كيد أصحاب الفيل، وغيرها من الكرامات.

ألف: لماذا سمي شيبه الحمد بعبد المطلب

روى ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي، قال: (كان المطلب بن عبد مناف بن قصي أكبر من هاشم ومن عبد شمس، وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها، وكان شريفاً في قومه مطاعاً، سيداً، وكانت قريش تسميه الفيض، لسماحته، فولى بعد هاشم السقايه والرفاده، وقال في ذلك:

أبلغ لديك بنى هاشم بما قد فعلنا ولم نؤمر

أقمنا لنسقى حجيج الحرام إذ ترك المجد لم يؤثر

نسوق الحجيج لأبياتنا كأنهم بقر تحشر

قال: وقدم ثابت بن المنذر بن حرام وهو أبو حسان بن ثابت الشاعر مكة معتمراً فلقى المطلب وكان له خليلاً، فقال له: لو رأيت ابن أخيك شيبه فينا لرأيت جمالا وهيبه وشرفاً، لقد نظرت إليه وهو يناضل فتيانا من أخواله فيدخل مرماتيه جميعاً في مثل راحتى هذه ويقول كلما خسق: أنا ابن عمرو العلى.

فقال المطلب: لا أمسى حتى أخرج إليه فأقدم به؛ فقال ثابت: ما أرى

سلمى تدفعه إليك، ولا أخواله، هم أضمن به من ذلك، وما عليك أن تدعه فيكون في أخواله حتى يكون هو الذى يقدم عليك إلى ما ههنا راغبا فيك.

فقال المطلب: يا أبا أوس، ما كنت لأدعه هناك، ويترك ما أثر قومه وسطته ونسبه وشرفه فى قومه ما قد علمت.

فخرج المطلب فوراً المدينة، فنزل فى ناحيه وجعل يسأل عنه، حتى وجده يرمى فى فتیان من أخواله، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه إليه وكساه حله يمانيه وأنشأ يقول:

عرفت شبيهه والنجار قد حفلت أبناؤها حوله بالنبل تنتضل

عرفت أجداده منا وشيمته ففاض منى عليه وابل سبل

فأرسلت سلمى إلى المطلب فدعته إلى النزول عليها، فقال: شأنى أخف من ذلك ما أريد أن أحل عقده حتى أقبض ابن أخى وألحقه ببلده وقومه.

فقال: لست بمرسلته معك، وغلظت عليه.

فقال المطلب: لا تفعلى فإنى غير منصرف حتى أخرج به معى، ابن أخى قد بلغ، وهو غريب فى غير قومه، ونحن أهل بيت شرف قومنا، والمقام ببلده خير له من المقام ههنا، وهو ابنك حيث كان.

فلما رأت أنه غير مقصر حتى يخرج به، استنظرتة ثلاثة أيام، وتحول إليهم فنزل عندهم فأقام ثلاثاً ثم احتمله وانطلقا جميعاً، فأنشأ المطلب يقول:

أبلغ بنى النجار إن جئتهم أنى منهم وابنهم والخميس

رأيتهم قوما إذا جئتهم هووا لقائى وأحبوا حسيسى

ودخل به المطلب مكة ظهرا فقالت قريش هذا عبد المطلب، فقال: ويحكم إنما هو ابن أخي شيبه بن عمرو؛ فلما رأوه قالوا: ابنه لعمرى؛ فلم يزل عبد المطلب مقيما بمكة حتى أدرك (١).

باء: اصطفاؤه لحفر بئر زمزم

قال ابن سعد: (وخرج المطلب بن عبد مناف تاجرا إلى أرض اليمن فهلك بردمان من أرض اليمن، فولى عبد المطلب بن هاشم بعده الرفادة والسقايه، فلم يزل ذلك بيده يطعم الحاج ويسقيهم في حياض من أدم بمكة، فلما سقى زمزم ترك السقى في الحياض بمكة وسقاهم من زمزم حين حفرها، وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفه فيسقيهم.

وكانت زمزم سقيا من الله أتى في المنام مرات فأمر بحفرها ووصف له موضعها؛ فقبل له: أحفر طيبه، قال: وما طيبه؟ فلما كان الغد أتاه فقال: أحفر بره، قال: وما بره؟ فلما كان الغد، أتاه وهو نائم في مضجعه ذلك فقال: أحفر المضمونه.

قال: وما المضمونه، أين لى ما تقول؟! قال: فلما كان الغد أتاه فقال، أحفر زمزم، قال: وما زمزم؟

قال: لا تنزح ولا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقره الغراب الأعصم، قال: غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح، مكان الفرث والدم، وهى شرب لك ولولدك من بعدك.

ص: ٦٠

قال فغدا عبد المطلب بمعوله ومسحاته معه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره، فجعل عبد المطلب يحفر بالمعول ويغرف بالمسحاه فى المكنل فيحمله الحارث فيلقيه خارجا فحفر ثلاثه أيام، ثم بدا له الطوى، فكبر وقال: هذا طوى إسماعيل.

فعرفت قريش أنه قد أدرك الماء فأتوه فقالوا: أشركنا فيه. فقال: ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم فاجعلوا بيننا وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنه بنى سعد هذيم، وكانت بمعان من أشراف الشام، فخرجوا إليها وخرج مع عبد المطلب عشرون رجلا من بنى عبد مناف، وخرجت قريش بعشرين رجلا من قبائلها، فلما كانوا بالفقير من طريق الشام أو حدوه، فنى ماء القوم جميعا فعضشوا، فقالوا لعبد المطلب: ما ترى؟ فقال: هو الموت، فليحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه، فكلما مات رجل دفنه أصحابه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فيموت ضيعه أيسر من أن تموتوا جميعا فحفروا ثم قعدوا ينتظرون الموت.

فقال عبد المطلب: والله ان القاءنا بأيدينا هكذا لعجز ألا نضرب فى الأرض فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض هذه البلاد فارتحلوا؛ وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه وشربوا جميعا.

ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا إلى الماء الرواء فقد سقانا الله، فشربوا واستقوا وقالوا قد قضى لك علينا الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاه هو

الذى سقاك زمزم، فوالله لا نخاصمك فيها أبدا، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنه وخلوا بينه وبين زمزم(١).

جيم: تحالفه مع خزاعه ورعايته لحفظ الجوار

قال ابن سعد: (وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عبد المجيد بن أبي عيس وأبي المقوم وغيرهم قالوا وكان عبد المطلب أحسن قريش وجها وأمدته جسما وأحلمه حلما وأجوده كفا وأبعد الناس من كل موبقه تفسد الرجال ولم يره ملك قط إلا أكرمه وشفعه وكان سيد قريش حتى هلك فأتاه نفر من خزاعه فقالوا نحن قوم متجاوزون فى الدار هلم فلنحالفك فأجابهم إلى ذلك وأقبل عبد المطلب فى سبعة نفر من بنى عبد المطلب والأرقم بن نضله بن هاشم والضحاك وعمرو ابنى أبى صيفى بن هاشم ولم يحضره أحد من بنى عبد شمس ولا نوفل فدخلوا دار الندوه فتحالفوا فيها على التناصر والمواساه وكتبوا بينهم كتابا وعلقوه فى الكعبه وقال عبد المطلب فى ذلك:

سأوصى زبيرا إن توافت منيتى بامساك ما بينى وبين بنى عمرو

وأن يحفظ الحلف الذى سن شيخه ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر

هم حفظوا الآل القديم وحالفوا أباك فكانوا دون قومك من فهر

قال: فأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بن عبد المطلب وأوصى الزبير إلى أبى طالب وأوصى أبو طالب إلى العباس بن عبد المطلب(٢).

ص: ٦٢

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٨٤

٢- الطبقات لابن سعد: ج ١، ص ٨٦

دال: زواجه وابنه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بنى زهره

قال ابن سعد: (أخبرنا هشام بن محمد بن السائب قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن الأنصاري عن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمه الزهري عن أبيه عن جده قال: كان عبد المطلب إذا ورد اليمن نزل على عظيم من عظماء حمير فنزل عليه مره من المرات فوجد عنده رجلا من أهل اليمن قد أمهل له في العمر وقد قرأ الكتب فقال له يا عبد المطلب تأذن لي أن أفتش مكانا منك قال ليس كل مكان مني آذن لك في تفتيشه قال إنما هو منخراك قال فدونك قال فنظر إلى (يار) وهو الشعر في منخريه فقال أرى نبوه وأرى ملكا وأرى أحدهما في بنى زهره فرجع عبد المطلب فتزوج هاله بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهره وزوج ابنه عبد الله آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره فولدت محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل الله في بنى عبد المطلب النبوه والخلافه والله أعلم حيث وضع ذلك)(١).

هاء: إن عبد المطلب أول من خضب لحبته وشعره بالوسمه ولم تعرف قريش بذلك

قال ابن سعد أخبرنا هشام بن محمد قال حدثني أبي قال هشام وأخبرني رجل من أهل المدينة عن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمه عن أبيه قال: (كان أول من خضب بالوسمه من قريش بمكة عبد المطلب بن هاشم فكان إذا ورد اليمن نزل على عظيم من عظماء حمير فقال له يا عبد المطلب هل

ص: ٦٣

لك أن تغير هذا البياض فتعود شابا قال ذاك إليك قال فأمر به فخضب بحناء ثم على بالوسمه فقال له عبد المطلب زودنا من هذا فزوده فأكثر فدخل مكة ليلا ثم خرج عليهم بالغداة كأن شعره حلك الغراب فقالت له نتيله بنت جناب بن كليب أم العباس بن عبد المطلب يا شبيه الحمد لو دام هذا لك كان حسنا فقال عبد المطلب:

لو دام لى هذا السواد حمدته فكان بدىلا من شباب قد انصرم

تمتعت منه والحياه قصيره ولا بد من موت فتيله أو هرم

وماذا الذى يجدى على المرء خفضه ونعمته يوما إذا عرشه انهدم

فموت جهيز عاجل لا شوى له أحب إلى من مقالهم حكم

قال فخضب أهل مكة بالسواد.

قال: وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال أخبرني رجل من بنى كنانة يقال له ابن أبي صالح ورجل من أهل الرقه مولى لبنى أسد وكان عالما قالوا تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أميه إلى النجاشى الحبشى فأبى أن ينفرد بينهما فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب فقال لحرب يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامه وأعظم منك هامه وأوسم منك وسامه وأقل منك لأمه وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مذودا فنفره عليه فقال حرب: ان من انتكات الزمان أن جعلناك حكما(١).

ص: ٦٤

قال ابن سعد:

(أخبرنا هشام بن محمد عن أبيه قال: كان عبد المطلب نديماً لحرب بن أمية حتى تنافرا إلى نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فلما نفر نفيل عبد المطلب تفرق فصار حرب نديماً لعبد الله بن جدعان.

قال: أخبرنا هشام بن محمد عن أبي مسكين، قال: كان لعبد المطلب بن هاشم ماء بالطائف يقال له ذو الهرم، وكان في يدي ثقيف دهرأ ثم طلبه عبد المطلب منهم فأبوا عليه، وكان صاحب أمر ثقيف جندب بن الحارث بن حبيب ابن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف فأبى عليه وخاصمه فيه فدعاهما ذلك إلى المنافره إلى الكاهن العذرى؛ وكان يقال له عزى سلمه وكان بالشام فتنافرا على إبل سموها.

فخرج عبد المطلب في نفر من قريش ومعه ابنه الحارث ولا ولد له يومئذ غيره، وخرج جندب في نفر من ثقيف فنقد ماء عبد المطلب وأصحابه فطلبوا إلى الثقيين أن يسقوهم فأبوا ففجر الله لهم عينا من تحت جران بعير عبد المطلب فحمد الله عز وجل وعلم أن ذلك منه، فشرّبوا ربههم وحملوا حاجتهم؛ ونقد ماء الثقيين فبعثوا إلى عبد المطلب يستسقونه فسقاهم وأتوا الكاهن فنفر عبد المطلب عليهم فأخذ عبد المطلب الإبل فحرها وأخذ الهرم ورجع وقد فضله عليه وفضل قومه على قومه (١).

ص: ٦٥

زاي: نذر عبد المطلب في نحر ولده عبد الله

ولم يتوقف اللطف الإلهي بعبد المطلب عند هذا الحد وإنما تعدى ذلك إلى أمور أخرى اقترب فيها عبد المطلب من فعل الأنبياء عليهم السلام حينما أحاطت بهم الكرامات.

قال ابن سعد (أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي أخبرنا محمد بن عبد الله عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن ابن عباس قال الواقدي وحدثنا أبو بكر بن أبي سبره عن شيبه بن نصح عن الأعرج عن محمد بن ربيعة بن الحارث وغيرهم قالوا: لما رأى عبد المطلب قله أعوانه في حفر زمزم وإنما كان يحفر وحده وابنه الحارث هو بكره نذر لئن أكمل الله له عشره ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم؛ فلما تكاملوا عشره، فهم: الحارث، والزبير وأبو طالب، وعبد الله، وحمزه، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله به فما اختلف عليه منهم أحد، وقالوا: أوف بنذرك وافعل ما شئت.

فقال: ليكتب كل رجل منكم اسمه في قدحه، ففعلوا فدخل عبد المطلب في جوف الكعبه، وقال للسادن: أضرب بقداحهم؛ فضرب فخرج قدح عبد الله أولها؛ وكان عبد المطلب يحبه فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المديه فبكى بنات عبد المطلب وكن قياما وقالت إحداهن لأبيها اعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم.

فقال للسادن: أضرب عليه بالقداح وعلى عشر من الإبل، وكانت الدية

يومئذ عشرا من الإبل؛ فضرب فخرج القدح على عبد الله، فجعل يزيد عشرا عشرا، كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى كملت المائة، فضرب بالقدح فخرج على الإبل؛ فكبر عبد المطلب والناس معه واحتمل بنات عبد المطلب أخاهن عبد الله، وقدم عبد المطلب الإبل فنحرها بين الصفا والمروه.

قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني سعيد بن مسلم عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نحرها عبد المطلب خلى بينها وبين كل من وردها من انسى أو سبع أو طائر لا يذب عنها أحدا ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده شيئا.

قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عكرمه عن ابن عباس قال كانت لديه يومئذ عشرا من الإبل و عبد المطلب أول من سن ديه النفس مائه من الإبل فجرت في قريش والعرب مائه من الإبل وأقرها رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم على ما كانت عليه(١).

حاء: عبد المطلب يستسقى الغمام بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن سعد: (أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال حدثني الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري عن ابن لعبد الرحمن بن موهب بن رباح الأشعري حليف بنى زهره عن أبيه قال حدثني مخرمه بن نوفل الزهري قال: سمعت أمى رقيقه بنت أبي صيفى بن هاشم بن عبد مناف تحدث وكانت والده عبد المطلب قالت تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال وأشفين على

ص: ٦٧

الأنفس، قالت فسمعت قائلاً في المنام: يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم وهذا أبان خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طوالاً عظيماً أبيض مقرون الحاجبين أهدب الأشفار، جعداً، سهل الخدين، رقيق العينين، فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فإنكم ستسقون.

فأصبحت فقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب، فاجتمعوا إليه وخرج من كل بطن منهم رجل ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم وهو غلام، فتقدم عبد المطلب وقال: اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنات إمائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابع علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشفت على الأنفس فأذهب عنا الجذب واثنا بالحيا والخصب.

فما برحوا حتى سألت الأودييه وبرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم سقوا فقالت رقيقه بنت أبي صيفى بن هشام بن عبد مناف:

بشبهه الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلود المطر

فجاد بالماء جوني له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوماً به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما فى الأنام له عد ولا خطر(١)

ص: ٦٨

طاء: كرامه عبد المطلب في حفظ بيت الله من أبرهه الحبشى

قال ابن سعد: (كان النجاشى قد وجه أرياط أبا أصحم فى أربعة آلاف إلى اليمن فأداخها وغلب عليها فأعطى الملووك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشه يقال له إبرهه الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل أرياط وغلب على اليمن، فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى بيت الله الحرام، فسأل: أين يذهب الناس؟ فقال: يحجون إلى بيت الله بمكه، قال: مم هو؟ قالوا: من حجاره، قال: وما كسوته؟ قالوا: ما يأتى من ههنا الوصائل؛ قال: والمسيح لأبنين لكم خيرا منه.

فبنى لهم بيتا عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود وحلاه بالذهب والفضه، وحفه بالجوهر، وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب وفصل بينها بالجوهر، وجعل فيها ياقوته حمراء عظيمه، وجعل له حجابا؛ وكان يوقد فيه بالمندلى، ويلطخ جدره بالمسك فيسود حتى يغيب الجوهر، وأمر الناس فحجوه؛ فحجه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجال يتعدون ويتألهون ونسكوا له.

وكان نفيل الخنعمى يوررض له ما يكره فأمهل فلما كان ليله من الليالى لم ير أحدا يتحرك فقام فجاء بعذره فلطخ بها قبلته وجمع جيفا فألقاها فيه فأخبر أبرهه بذلك فغضب غضبا شديدا وقال إنما فعلت هذا العرب غضبا لبيتهم لأنقضنه حجرا حجرا وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محمود وكان فيلا لم ير مثله فى الأرض عظما وجسما وقوه فبعث به إليه.

فلما قدم عليه الفيل سار أبرهه بالناس ومعه ملك حمير ونفيل بن حبيب الخثعمي فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغاره على نعم الناس فأصابوا إبلا لعبد المطلب وكان نفيل صديقا لعبد المطلب فكلمه في إبله، فكلم نفيل أبرهه فقال: أيها الملك قد أتاك سيد العرب وأفضلهم وأعظمهم شرفا، يحمل على الجياد ويعطى الأموال ويطعم ما هبت الريح، فأدخله على أبرهه.

فقال له: حاجتك. قال ترد على إبلى. قال: ما رأى ما بلغنى عنك الا الغرور وقد ظننت أنك تكلمنى فى بيتكم هذا الذى هو شرفكم.

قال: عبد المطلب أردد على أبلى ودونك والبيت فان له ربا سيمنعه.

فأمر برد إبله عليه، فلما قبضها قلدها النعال وأشعرها وجعلها هديا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شىء فيغضب رب الحرم، وأوفى عبد المطلب على - جبل - حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومطعم بن عدى وأبو مسعود الثقفى فقال عبد المطلب:

لا هم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليهم ومحالهم غدوا محالك

ان كتب تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

قال: فأقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طائر ثلاثه أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره، فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئا الا - هشمته، وإلا - نفض ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجدرى والحصبه، والأشجار المره؛ فأهدتهم الحجارة، وبعث الله سيلا أتيا، فذهب بهم فألقاهم فى البحر.

قال وولى أبرهه ومن بقى معه هرابا، فجعل أبرهه يسقط عضوا عضوا؛ وأما محمود الفيل، فيل النجاشى، فريض ولم يشجع على الحرم فنجا؛ وأما الفيل الآخر فشجع فحصب. ويقال: كانت ثلاثه عشر فيلا، ونزل عبد المطلب من حراء فأقبل عليه رجلا من الحبيشه فقبلا رأسه وقال له: أنت كنت أعلم(١).

ولقد كانت لعبد الله خمس من السنن أجراها الله فى الإسلام: ١ - حرم نساء الآباء على الأبناء، ٢ - سن الديه فى القتل مائه من الإبل، ٣ - وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ٤ - ووجد كترأ فأخرج منه الخمس، ٥ - وكان أول من بنى معبداً بحراء وكان يدخل فيه إذا أهل شهر رمضان إلى آخر الشهر.

وعليه: فهذه هى الرموز التى تجسد فيها الاصطفاء الربانى وبها كان مصداق سياده قريش لقبائل العرب وشرفها على بقية القبائل العربيه.

المسأله الثالثه: السمات التى أهلت قريشاً لسياده المجتمع المكى

فهذه القراءه الموجزه لتاريخ قريش تكشف عن مجموعه من السمات التى اتسمت بها هذه العشيره وهى كالاتى:

١ - إنها فرضت سيادتها وسلطانها على مكه مع مالها من مكانه دينيه تأخذ بأعناق العرب على اختلاف معتقداتهم فبيهم الموحدون على مله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفيهم اليهود والنصارى والوثنيون فجميع هؤلاء ينظرون إلى مكه على أنها محل مقدس، فاكسبت قريش خصوصيتها من هذه النظرة.

ص: ٧١

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٨١-٩٢.

٢ - إنها أى: قريش، تتحكم بالمال والأسواق والاقتصاد لأهل مكه، بوصفها أى: أهل مكه قبائل تعتمد على موسم الحاج فضلاً عن التبادل التجارى مع الشمال والجنوب، أى الشام واليمن، ممثلاً ذلك فى إيلاف قريش الذى أخبر عنه القرآن الكريم، وبالتالي فزمام المال والتجاره والسوق بيد قريش.

٣ - إنَّ قريشاً ومن خلال عبد المطلب قد أوجدت نظاماً إقليمياً يعتمد على العلاقات الخارجيه مع الإمبراطوريات العالميه الثلاث آنذاك.

إذ تمكن عبد المطلب ومن قبله هاشم بن عبد مناف من مدّ جسور التعاون التجارى والاقتصادى إلى هذه الممالك أو الإمبروطوريات وذلك من خلال عقد اتفاقيات مع قيصر الروم، والنجاشى ملك الحبشه، وكسرى الفرس، لغرض تسهيل سير هذه التجاره، مما عمل على نقل الصناعات بين هذه الممالك وقريش.

٤ - انعكاس التبادل التجارى بين المجتمعات الثلاثه وهى الرومانيه والفارسيه والزنجيه على طبيعه الحياه الثقافيه والاجتماعيه لدى قريش وظهور حاله الترف عند الطبقة الثريه فيها ممثلاً ذلك فى لبس الحرير والأكسيه اليمانيه والتيجان والحلى الروميه والفارسيه؛ فاتخذ التجار أنماط عيش الأباطره فكثرت لديهم العبيد والإماء فضلاً عن بناء الدور وما يرافقها من مظاهر الغنى والتبطر وإرضاء الشهوات، وبالتالي اتسمت قريش من الناحيه الاجتماعيه بأنها صورته ظهرت فيها ملامح متنوعه لمجتمعات أربعه وهى العربيه والفارسيه والروميه

والحبيشه مما انعكس على طبيعه العلاقات داخل مكه فضلاً عن تفاخرهم بالاحساب والأنساب.

٥ - فى المقابل نشأت طبقه فى المجتمع المكى من المعدمين والفقراء جلهم من العبيد الذين جلبوا إلى مكه إما عن طريق النخاسين الذين يتاجرون بهم وإما عن طريق الغزو القبائلى وسلب القوافل، بمعنى لم يتوقف الرق على العرق وانحصاره فى الزنج وإنما تعداه إلى العرب أنفسهم وإلى الروم والفرس فبلال الحبشى مظهر واحد من مظاهر الرق فى المجتمع المكى وكذا صهيب الرومى، وسلمان الفارسى (المحمدى) رضى الله تعالى عنه فهؤلاء كانوا قبل الإسلام يمثلون الحاله الاجتماعيه والطبقيه لدى أهل مكه.

٦ - كما وتدل بعض النصوص على وجود طبقه من المجتمع المكى كانت تعتمد أنماطاً خاصه فى معيشتها مع بعضها وتسلك عادات اتسمت بسمه حياه القفار (الصحراء) يأكلون ورق الأشجار وجلود الحيوانات مما انعكس على سلوكهم الحياتى والمعاملاتى حتى أصبح هذا النمط من المعيشه عائقاً فى فهم هؤلاء للإسلام، بل اتخذوه مغرماً يحاربون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كما دل عليه حديث بضعه النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته حينما منعت ارثها، فمما جاء فى خطبتها الاحتجاجيه:

«وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقه الشارب، ونهزه الطامع، وقبسه العجلان، وموطئ الأقدام تشربون الطرق، وتقتاتون القد والورق، أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم،

فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

٧ - كما تدل الروايات التاريخيه على أن قريشاً قد كانت تمتاز بالقوه العسكريه وإيجاد فنون الحرب وقد عرفت هذه الحروب بأسماء أيام وقوعها ف - (أيام الفجار كان عددها أربعة أفجره فى الأشهر الحرم كانت بين قريش، ومن معها من كنانه، وبين قيس بن عيلان، وكانت الدبره على قيس، فلما قاتلوا قالوا: فجرنا، فسميت فجارا.

ومن أيامهم: أيام العنب كان بينهم وبين بنى عامر؛ ويوم نكيف من نواحي مكه، كان بين قريش وبين بنى كنانه، فهزمت قريش بنى كنانه، وكان صاحب أمر قريش عبد المطلب - رحمه الله - (٢).

٨ - أما بلاغه قريش فقد أجمع العلماء بكلام العرب، والرواه لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم، أن قريشاً أفصح العرب ألسنه، وأصفاهم لغه، فكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقه ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التى طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب (٣).

فهذه الشواهد تكشف عن طبيعه المجتمع القرشى فى مكه وما ظهر فيه من سمات خاصه تميزوا بها من بين قبائل العرب كافه، وتظهر حقيقه الاصطفاء

ص: ٧٤

١- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٣٥؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٦، ص ٢٥٠؛ بلاغات النساء.

٢- معجم قبائل العرب لعمر رضا كحاله: ج ٣، ص ٩٤٨.

٣- المصدر السابق.

الإلهى لقريش ولبنى هاشم وللحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على بنى إسماعيل.

كما تكشف عن معنى أن تلقب السيدة الصديقه أم المؤمنين خديجه بنت خويلد عليها السلام ب - (سيدة قريش) ودلالاتها الاجتماعية والسلطويه والجاهويه وقريش هذه صفاتها ومنزلتها وشأنها فى العرب قبل الإسلام، فضلاً عن أن منزله خديجه عليها السلام بعد الإسلام ازدادت سمواً ورفعته فهى أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزوجه الصالحه التى نالت رتبه فى الجنه تضاهى رتبه آسياه بنت مزاحم ومريم بنت عمران، وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما يدل عليه قول النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج الحاكم عن عروه عن عائشه أنها قالت لفاطمه - عليها السلام -: (ألا أبشرك أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«سيدات نساء أهل الجنه أربع مريم بنت عمران وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه بنت خويلد وآسيه»^(١).

وبذلك يتضح جلياً لدى القارئ الكريم معنى أن تكون لقريش السيادة على المجتمع المكى ومعنى أن تكون خديجه بنت خويلد (سيدة قريش) وعليه: فإن خديجه هى سيده مكه بما لقريش من السيادة على المجتمع المكى.

ص: ٧٥

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٨٦.

إشاره

أن من السمات الخاصه التي اتسمت بها السيده خديجه الكبرى عليها السلام هي قرابتها النسبيه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهاشم وأسد أولاد عم وجدهم قصي بن كلاب. وبذاك تكون خديجه قد جمعت النسب والسبب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، - كما سيمر بيانه -.

المسأله الأولى: نسبها

وهي خديجه بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرّه بن لؤى بن غالب بن فهر. وأمها: فاطمه بنت زائده بن الأصم بن رواحه بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر. وأم فاطمه: هاله بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو ابن معيص بن لؤى بن غالب بن فهر.

وأم هاله: قلابه بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر(١).

ومن خلال هذا النسب يظهر لنا:

ص: ٧٦

١- سيره ابن إسحاق: ص ٦٠؛ سيره ابن هشام: ج ١، ص ١٢٢؛ الذريه الطاهره للدولابي: ص ٤٢، ط مؤسسه الأعلمي، و ص ٤٥، ط دار السلفيه.

١. إنّها عليها السلام تتصل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجد الرابع وهو قصي بن كلاب.

٢. إنّ أمها وجدّتها الأولى والثانية، يتصلن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجد الثامن وهو «لؤى بن غالب»، وهذا يعدّ من النسب القريب أيضاً.

٣. وبهذا عدّت خديجه عليها السلام بأن لها رحماً ماسه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد جاء في الحديث:

«إن الرحم شجنه من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»(١).

٤. إنّ لهذا النسب القريب أثره الكبير والبالغ في انتقال الجينات الوراثية إلى الأبناء، ولقد أشارت كثير من الأحاديث إلى ضروره عمليه انتقاء المرأه وخطوره أثرها في تحديد نوعيه الذريه وصلاح أمرها كقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٢).

وقوله عليه السلام:

ص: ٧٧

١- أخرجه البخارى فى الصحيح: ج ٧، ص ٧٣، كتاب الآداب، باب: من وصل وصله، برقم (٥٩٨٨)؛ مبارك الأزهار شرح مشارق الأنوار لابن ملك: ج ١، ص ٢١٣؛ عون المعبود للعظيم آبادى: ج ١٤، ص ٣٥.

٢- السرائر لابن إدريس الحلى: ج ٢، ص ٥٥٩؛ الينايع الفقيهيه لعلى أصغر مرواريد: ج ١٩، ص ٣٨٦، باب الكفاءه فى النكاح؛ إعانه الطالبين للبكرى الدمياطى: ج ٣، ص ٣١٢.

وقد أكد هذه الخطوره كثير من المصادر العلميه، حتى بلغ الأمر من الأهميه ما جعل لهذا الجانب علماً خاصاً أطلق عليه اسم: علم الهندسه الوراثيه.

وكلما تقدم العلم كلما ازداد الإنسان اكتشافاً لهذه الحقائق، وكان الاختصاص أعمق وأدق.

ومن خلال هذا نلمس مقدار العناية الإلهيه، والحكمه الربانيه، التي اختارت خديجه عليها السلام بأن تكون أمّاً لأولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلقد ولدت له أولاده كلهم، إلا إبراهيم فإن أمه كانت ماريه القبطيه ولقد مات صغيراً(٢).

٥. وأما ذريته صلى الله عليه وآله وسلم المباركه، فلقد جعلها الله عز

ص: ٧٨

١- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١٠٠، ص ٢٣٦؛ مستدرک سفينه البحار لعلی النمازی: ج ٤، ص ٣٤٢ و ج ١٠، ص ٤٦؛ الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ٥، ص ٣٣٢، ح ٢، باب فضل من تزوج ذات دين وكراهيه من تزوج للمال؛ تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي رحمه الله: ج ٧، ص ٤٠٧، ح (١٦٠٣) ١٢، باب اختيار الأزواج؛ وسائل الشيعه للحر العاملي: ج ٢٠، ص ٤٨، ح (٢٤٩٩٩) ٢، باب استحباب اختيار الزوجه الكريمه الأصل، ج ١٤، ص ٢٩، ح ٢؛ جامع أحاديث الشيعه للسيد البروجردی: ج ٢٠، ص ٥٧، باب ما ورد في اختيار الزوجه.

٢- البدايه والنهايه للحافظ ابن كثير الدمشقي: ج ٢، ص ٣٥٩ و ج ٣، ص ١٥٨؛ المغني لعبد الله بن قدامه: ج ١٢، ص ٤٨٨؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٩٣؛ الشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامه: ج ١٢، ص ٤٨٨.

وجل من ابنته فاطمه عليها السلام التي ولدتها أم المؤمنين خديجه عليها السلام.

وعليه:

يظهر لنا جلياً السر في أن تكون خديجه عليها السلام بهذا القرب النسبي من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لكي يحفظ الله عز وجل نسل خاتم الأنبياء والمرسلين من التهجين ويبقى سالمًا محافظاً على صفاته النبويه من إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام.

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم هذه الحقيقه للناس حتى لا يلتبس الأمر على الكثير منهم لان السائد عند جميع البشر أن ذريه الرجل إنما تكون من صلبه، إلا- ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد جعلها الله من صلب على بن أبي طالب عليه السلام، ومن رحم فاطمه عليها السلام.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله جعل ذريه كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب على ابن أبي طالب»^(١).

ص: ٧٩

١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٣١٦؛ وذكره محب الدين الطبري في الرياض النضرة وقال أخرجه أبو الخير الحاكمي، وفي: ص ٢١٣، قال: وأخرجه أبو خير القزويني، وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٩٣، وقال: أخرجه أبو خير الحاكمي، وصاحب كنوز المطالب في بنى طالب؛ غايه المرام للسيد هاشم البحراني: ج ١، ص ١٢٦، الباب الثاني عشر في نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب عليه السلام بأنه الإمام بعده؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج ٧، ص ٥٠٤ و ج ١٧، ص ٢٩٥؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٣، ص ١٤٤، ح ٩٨؛ نيل الأوطار

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل بنى أم فان عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمه فانى عصبتهم وأنا أبوهم»^(١).

وفى روايه:

«إن لكل بنى أب عصبه ينتمون إليها إلا ولد فاطمه فانا وليهم، فهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم، ومن أحبهم أحبه الله تعالى ومن أبغضهم أبغضه الله تعالى»^(٢).

ص: ٨٠

١- المعجم الوجيز للميرغنى: ص ٢٨٦ حديث ٥٦٨؛ ورواه الطبرانى فى الجامع الصغير: حديث ٦٩٤، ج ٢، ص ٢٧٨؛ والمناوى بفيض القدير: ج ٥، ص ٢٣؛ والسيوطى فى الجامع الصغير: حديث ٦٢٩٣ و ٦٢٩٤، ج ٢، ص ٢٧٨؛ والشوكانى فى نيل الأوطار: ج ٦، ص ١٣٩.

٢- أخرجه الحاكم فى المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٦٤؛ وذكره الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد: ج ١١، ص ٢٨٥، بطريقتين عن فاطمه بنت الحسين عليهما السلام، وذكره المتقى الهندى فى كتر العمال: ج ٦، ص ٢٢٠، بطرق ثلاث، وقال: أخرجه ابن عساكر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والطبرانى عن فاطمه، وأيضاً عن عمر بن الخطاب؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٣٦، ص ٣١٣؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى: ج ١٨، ص ٣٣٢، و ج ٣٣، ص ٦٣ و ٣٩.

وغيرها من الأحاديث الشريفه التي تكشف عن أهميه اختيار الزوجه وآثار ذلك الاختيار على الذريه فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بذريه الأنبياء عليهم السلام فضلاً عن اصطفاهم الله تعالى لحمله شرعه وجعلهم حججاً على خلقه وهداه للناس إلى دينه، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ١).

المسأله الثانيه: منزلتها في مكه تمنعها من الزواج وتلزمها حسن الاختيار

لقد بلغت أم المؤمنين خديجه بنت خويلد عليها السلام قبل الإسلام منزلهً ساميه في مكه، وبين قريش؛ ولقد ذكرها أهل السير والتاريخ بكلمات تكشف عن عظم هذه المنزله وسمو تلك المكانه.

فكانت - كما ذكروا -:- امرأه حازمه، ضابطه، جلده، قويه، شريفه، مع ما أراد الله لها من الكرامه والخير.

وهي يومئذٍ: أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وأحسنهم جمالاً(١).

ص: ٨١

١- راجع طبقات ابن سعد: ج ١، ص ١٠٥؛ الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٢١٣؛ السيره النبويه لابن جرير الطبرى: ص ٣٨؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٢، ص ٢٩٤، ط دار الكتب العلميه، و ج ٢، ص ٣٥٩، ط دار إحياء التراث العربى - بيروت؛ أسد الغابه لابن

وكانت تدعى فى الجاهليه «بالتاهره»(١).

ويقال لها: «سيده قريش»(٢).

وكل قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه(٣).

ص: ٨٢

١- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٩٣؛ التبيين فى انساب القرشيين: ص ٧١؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ سمط النجوم العوالى للعاصمى: ج ١، ص ٣٦٥؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ٢٢٣؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور قسم السيره النبويه: ص ٢٦٤؛ رفع الخفا شرح ذات الشفا لمحمد بن حسن الآلانى الكردي: ج ١، ص ١٣٣؛ تهذيب الأسماء واللغات: ج ١، ص ٤٣٢؛ المواهب اللدنيه: ج ١، ص ١٩٩، علل ذلك قائلاً: «سميت بالتاهره لشده عفتها وصيانتها»؛ الخصائص الفاطميه، للشيخ الكجورى: ج ١، ص ١٦١.

٢- تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٥؛ المواهب اللدنيه للقسطلانى: ج ١، ص ١٩٩؛ الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٢٥.

٣- راجع فى ذلك السيره لابن هشام: ج ١، ص ٢٢٦؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١١٧؛ السيره النبويه لابن جرير: ص ٣٨؛ وفى حدائق الأنوار: ج ١، ص ١٥٥؛ عيون التواريخ لابن شاکر الدمشقى: ج ١، ص ٣٨؛ وفى الوفا: ج ١، ص ١٤٤؛ المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٠٠.

وقد خطبها رجال من قريش برزوا في ساحتها وبذلوا لها الأموال (١).

وممن خطبها: عقبه بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان (٢).

ويبدو أن السبب في رفضها هو عدم توفر الصفات الخيره والسجايا الطيبه والنفس الكريمة في مثل هؤلاء! لأن أي امرأه تتوفر فيها مثل هذه الصفات من النسب الرفيع، والمال الكثير، مع مالها من الجمال البالغ، لا توافق على احد ممن تقدموا لخطبتها.

لأن مثل هذه الأمور غالباً ما تكون هي الدافع الكبير لكل رجل أو امرأه في الزواج في ذلك الوقت أو غيره.

فلذلك لم يكن عندها دافع آخر يدفعها من الزواج سوى البحث عن الفضيله بأسمى درجاتها؛ وهذا ما لا يمكن توفره في مثل هذه الشخصيات التي ذكرت والتي لم تذكر، باستثناء شخصيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي سرى ذكره بالمحاسن وعلا- خبره بالفضائل في مكة حتى عُرف بالصادق الأمين قبل أن يبعث نبياً، فضلاً عما ظهر له من الكرامات التي طأطأت لها رؤوس الأشراف فكان هذا ما تبحث عنه سيده قريش.

ص: ٨٣

١- راجع طبقات ابن سعد: ج ١، ص ١٠٥؛ الوفا: ج ١، ص ١٤٤؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣؛ المنتظم: ج ٢، ص ٣١٤؛ المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٠٠؛ السيره النبويه لمحمد أبو شهبه: ج ١، ص ٢٢٠؛ عيون التواريخ: ج ١، ص ٣٨؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٧١.

٢- راجع البحار للمجلسي: ج ١٦، ص ٢٢.

الفصل الثاني: زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم

اشاره

ص: ٨٥

يُعد زواج السيدة خديجه عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدايه تاريخ جديد فى حياتها، إن لم يكن هذا الزواج هو بدايه مولد جديد لخديجه بدأ فيها التاريخ يسجل منذ هذه اللحظه معنى أن تكون أمّه ستجمع فى امرأه.

ولذلك لا يمكن جمع كل تفاصيل حياه هذه الأمّه، بل لا يمكن إيصال هذا الحجم من التحول الفكرى فى حياه الأمم من خلال مجموعه من الوريقات دون أن يكون هناك همّ مشتركٌ وسعّى دؤوبٌ فى تتبع هذه الموارد الفكرية والنهضويه التى امتازت بها حياه خديجه عليها السلام.

ولذلك: نلتمس العذر إن لم نوفق فى تسلسل الفكره أو إيصال المفرده المناسبه لغرض بيان المعنى أو إظهار الدلاله على ما شملته هذه الأمّه من رقىّ وخزين فكرى يدعم الأجيال على مر العصور.

وعليه:

فإنّ من الواجب علينا أن نزيل الغبار عن بعض العناوين التى شملتها هذه الخزانة الحياتيه والبنائيه للإنسان وهو يطالع بشغف حياه السيدة خديجه عليها السلام وينهل من معينها الفكرى، فكانت كالاتى:

ص: ٨٧

إشارة

هذا السؤال ربما خطر على ذهن بعض القراء، أو ربما هو لم يخطر على ذهن البعض الآخر، لأن الجواب عند البعض ممن قرأوا كتب التاريخ، والسيره النبويه كان واضحاً.

بل ربما أن الإجابة على هذا السؤال كانت عند البعض من المسلمات! وحينئذ لا داعى لطرح مثل هذا السؤال.

لكن نحن طرحنا هذا السؤال على مائده البحث العلمى والموضوعى فوجدنا، أن الإجابة هى: عكس ما ذكرته كتب التاريخ والسيره من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: التعارض بين أقوال المؤرخين فى زواجها وإعراضها عن الزواج

إنّ الرجوع إلى أقوال المؤرخين وحفاظ المسلمين الذين ذكروا شأن خديجه ومكانتها فى مكه، وإن: «كل قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو قدر عليه». ورفضها لشخصيات قريش وتجارها مع بذلهم الأموال الكثيره لها.

فهذه الأقوال لا يمكن أن تنسجم مع ما جاءت به بعض المصادر لتخبرنا: أن «سيدة قريش» «الطاهره» قد تزوجت من رجلين من الأعراب هما: (عتيق ابن عائذ بن عبد الله المخزومى) و (أبى هاله التميمى) وأن لخديجه عليها السلام منهما أولاداً.

ثم تنزل الستار عليهما ولم تعد تذكرهما في أى مكان، ولم تبين أى حال من أحوالهما! فلعلنا نلمس من خلال هذا الحال، المبرر والدافع لهذا الزواج؟

لكن يبدو أن الغرض المقصود من هذه الرواية هو الإشارة إلى أن خديجه عليها السلام لم تكن باكراً عندما تزوجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فتحظى غيرها بهذه المنقبه؟

أو لعل الراوى كان من المقربين من أهل الساسه فأراد كسب مودتهم وإرضاءهم! وأياً كان هو الغرض فإن هذه المصادر ما أنصفت أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى كتاباتها.

المسألة الثانية: الاختلاف فى تحديد هويه الرجلين

إن الاختلاف الكبير فى الروايات التى تحدثت عن هذين الرجلين يدعو إلى الاعتقاد بأن هذين الرجلين هما من نسج خيال بعض الرواه، فقد اختلف ابن حجر والزبيدى والحلبى والمامقانى، وابن سعد، والطبرانى فى صحه اسم أحدهما، ولم يعلم أيهما قد تزوجت به خديجه عليها السلام قبل الآخر، ولم يتأكد عندهم أن المدعو: هند، هو ابن هذا الزوج أو الزوج الآخر، وهل هو ذكر أو بنت (1)؟

ص: ٨٩

١- راجع الإصابة: ج ٣، ص ٦١١ و ٦١٢؛ نسب قريش للزبيدى: ص ٢٢؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ١٤٠؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ١، ص ١٢؛ الأوائل: ج ١، ص ١٥٩؛ الصحيح من سيره النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى: ج ٢، ص ١٣٢.

أما ابن حزم الأندلسي فلقد ذكر أن لها من عتيق بن عائذ ولدا اسمه (عبد الله) ومن أبي هاله ثلاثة: ولدين وهما (هند والحارثاً وبتناً وهي زينب) (١).

المسألة الثالثة: اعتراض أبي القاسم الكوفي

اعترض أبو القاسم الكوفي (المتوفى سنة ٣٥٢) (٢) على هذه المقولة وعدها

ص: ٩٠

١- جوامع السيرة النبويه لابن حزم الأندلسي: ص ٣٠.

٢- هو السيد أبو القاسم علي بن أحمد بن موسى ابن الإمام محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام هكذا سرد نسبه الشيخ حسين بن عبد الوهاب المعاصر للسيد بن الرضى والمرضى فى أواخر كتابه عيون المعجزات. وقد أطراه الأعلام فى المعاجم المؤلفة فى تراجم العلماء والمؤلفين وأثنوا عليه ثناء جميلاً، قال الشيخ الطوسى فى فهرسه: علي بن أحمد الكوفى يكنى أبا القاسم كان إمامياً مستقيماً الطريقة وصنف كتباً كثيرة سديده، ثم أورد كتبه؛ وقال ابن النديم فى الفهرست (ص ٢٧٣) أبو القاسم علي بن أحمد الكوفى من الإماميه من أفاضلهم وله من الكتب كتاب الأوصياء... الخ، وقال الميرزا عبد الله أفندى المتوفى حدود سنه ١١٣٠ فى رياض العلماء (مخطوط) وهذا السيد قد ألف فى زمان استقامه أمره كتباً عديده على طريقه الشيعه الإماميه منها كتاب الإغاثه فى بدع الثلاثه، ويقال له كتاب الاستغاثه، وكتاب البدع، وكتاب البدع المحدثه أيضاً، (ثم قال) اعتمد الشيخ حسين بن عبد الوهاب وهو أبصر بحاله عليه وعلى كتابه وألف كتابه عيون المعجزات، تميماً لكتابه تثبيت المعجزات وكتبه جلها بل كلها معتبره عند أصحابنا حيث كان فى أول أمره مستقيماً محمود الطريقة وقد صنف كتبه فى تلك الأوقات ولذا اعتمد علماؤنا المتقدمون على كثير منها إذ كان معدوداً من جمله قدماء علماء الشيعه برهه من الزمان. (أقول) - القول للشيخ الطوسى -: كأنه يشير بقوله (كان فى أول أمره مستقيماً محمود

من الفضائح مع استحاله وقوعها عند أهل العقل والتمييز، فقال: «إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الآثار ونقله الأخبار: على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوى النجده منهم إلا من خطب خديجه ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش

وأمرأؤهم فلم تتزوجى أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيم أبى طالب، فقيراً لا مال له؟!؟

فكيف يجوز فى نظر أهل الفهم أن تكون خديجه، يتزوجها إعرابى من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرفها على ما وصفناه؟! إلا يعلم ذوو التمييز والنظر: أنه من أبين المحال وافطع المقال؟! (١)

المسأله الرابعه: وعند (ابن شهر) الخبر اليقين

فقال رحمه الله: وروى أحمد البلاذرى، وأبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرضى فى الشافى، وأبو جعفر فى التلخيص: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تزوج بها، وكانت عذراء (٢).

المسأله الخامسه: دلالة آيه التطهير على عدم زواجها قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم

إن اختصاص فاطمه الزهراء عليها السلام بآيه التطهير فيه دلالة على

ص: ٩٢

-
- ١- الاستغاثه لأبى القاسم الكوفى: ج ١، ص ٧٠؛ الصحيح من سيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى: ج ٢، ص ١٣٢؛ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٦، ص ٣٠٩.
 - ٢- مناقب آل أبى طالب لأبن شهر آشوب: ج ١، ص ١٥٩؛ فى البحار: ج ٢٢، ص ٥٢؛ قال العلامة المجلسى: (وفى الأنوار، والكشف، واللمع، وكتاب البلاذرى: أن زينب ورقيه كانتا ربيبتى جحش، نقلاً عن المناقب)؛ موسوعه التاريخ الإسلامى لمحمد هادى اليوسفى: ج ١، ص ٣٣٧؛ الدر النظيم للعاملى: ص ١٨٦.

عدم زواج خديجه بأحدٍ قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بمقتضى الإرادة الربانية، المخبره عنها الآية في قوله تعالى:
(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ۙ) .

هذه الإرادة حفظت خديجه من أن تمسها يد الشرك، أو تدنسها الأرجاس.

لأن رحمها الطاهر أُعد لكي يستقبل الطهر صلى الله عليه وآله وسلم فتولد المطهره فاطمه صلوات الله عليها وهكذا هي سنه الله مع أنبيائه عليهم السلام، فكما ان الله قد ربط على قلب أم موسى إذ كادت لتبدي به فحفظها وحفظ نبيه الكليم - عليه السلام - ثم حفظه وهو طفل رضيع موضوع في تابوت مقفل تقذفه الأمواج كما شاءت إرادة الله تعالى.

فكان محفوظاً بالعنايه الإلهيه، سائراً بمقتضى الإرادة الربانية، حتى أرجعه الله إلى أمه كي تقر عينها، كذلك هو الحال مع خديجه فقد كانت محفوظه من الأرجاس، مشموله بلطف الرحمن، سائره بعين الله، مصونه بمقتضى إرادة الله من أن يتعرض لها أى شكل من أشكال الدنس، حتى لقبت بين قومها ب - (الطاهره) [\(١\)](#) قبل أن ترف إلى الطهر الطاهر المطهر خير الورى وسيد البشر

ص: ٩٣

١- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٩٣؛ التبيين فى انساب القرشيين: ص ٧١؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور قسم السيره

لتحمل بسيدة النساء فاطمه الزهراء عليها السلام، فتكون وعاءاً للإمامه وأماً لحجج الله على خلقه وحمله شرعه.

المسألة السادسة: إنها من الأرحام المطهرة

وفى قول الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو يخاطب جده الإمام الحسين بن علي عليهما السلام سيد شباب أهل الجنة بهذه الكلمات:

«أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخه والأرحام المطهره لم تنجسك الجاهليه بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»^(١).

دلالة أخرى تسير جنباً إلى جنب مع القرآن لتبين حصانه خديجه عليها السلام من الأرجاس بدلاله قوله عليه السلام:
«والأرحام المطهره».

والمتتبع سيره الأولياء، ومناهج الأنبياء، يجد الشواهد الكثيره في نجاه عباد الله المخلصين وبخاصه عندما يكون الأمر متعلقاً بعناصر تكوين الرساله، وبقية النبوه.

ص: ٩٤

١- وهذا قول مأخوذ من الزياره المعروفه بزياره وارث من زيارت سيد الشهداء سلام الله عليه وقد أوردها الشيخ الطوسى فى المصباح، وورد ذكرها فى كتاب المزار لابن قولويه.

المسأله السابعه: السنن الكونيه تنفى زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولعل كثيراً من الناس لا يجد أهميه لهذه القضييه من حيث إن خديجه عليها السلام تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لم تتزوج فنقول:

إن الله سبحانه وتعالى عندما سن السنن، وقدر المقدورات، جعل هناك ثوابت من خلالها تجرى الأمور، فشجره الليمون لا يمكن أن تعطينا التفاح مع أن الشجرتين تزرعان في نفس التربه! والسبب: هو ان السنن والقوانين التي ركبت في الجينات الوراثيه لهذه النبته أو تلك لا تتغير، فكانت من ضمن الثوابت التي جعلها الله في خلقها؛ ولكن لو فرضنا ان تغيراً حدث في الشريط الوراثي الذي تحمله هذه الجينه فإنه لا يمكن أن نحصل على ثمره الليمون بشكلها وهياتها التي خلقها الله، مع حفظ النتائج الإيجابيه التي قدرها الله لهذه الثمره.

فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بالنبوه والأنبياء الذين جعلهم الله الخلفاء في الأرض. قال عز وجل:

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ۱)

ولكى تحفظ هذه المنزله فإن الله جعل لها ثوابت وسنناً لا يمكن تجاوزها أو تغييرها، لأن التغير في هذه السنن لو حصل مجازاً بسبب عوامل دخيله فإنه لا يمكن أن تتحقق النتائج المطلوبه المتمثله في الخلافه الإلهيه على الأرض. وذلك من خلال تجسيد الشرع الإلهي في تلك الشخصوس المصطفاه.

ولأجل الحفاظ على هذه النتائج جعل الله قانون «حفظ الأصلاب وطهاره الأرحام» للحيلولة دون دخول عوامل سلبية تؤثر على التكوين الخلقى والخلقى لأصحاب هذه المنزله، وكلما كانت المنزله أكبر كلما كانت القوانين والسنن الإلهيه التي تحيط بها أكثر وأدق.

وعليه: فإننا عندما نأتى إلى مسأله زواج خديجه عليها السلام نجد أن هناك سنناً وقوانين أحاطت هذه السيده العظيمه عليها السلام، لأنها الموضوع الذى اختاره الله لكى تحمل ثمره النبوه... لكى تحمل بسيدته نساء العالمين... لكى تحمل بفاطمه صلوات الله عليها ولأجل هذا أجرى الله سنته فى حفظ هذا الرحم.

وسوف نعرض - إن شاء الله - فى أحد فصول هذا الكتاب كيف أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد اتبع منهاجاً خاصاً من العبادات المختلفه قبل أن يباشر أم المؤمنين خديجه عليها السلام لتحمل بفاطمه صلوات الله عليهم أجمعين.

وكما قلنا لأن الأمر متعلق بأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثقله الأصغر الذى أوصى الأمه بالتمسك به مع الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم.

المبحث الثانى: عمرها حينما تزوجها النبى صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

عند مراجعه كتب السيره والتاريخ نجد أن هناك تفاوتاً كبيراً فى الروايات التى ذكرت عمر خديجه عليها السلام حين اقترانها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان العمر الذى ابتدأت به هذه الروايات (خمساً وعشرين سنه)^(١).

ص: ٩٦

١- دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٧١. المواهب اللدنيه للقسطلانى: ج ١، ص ٢٠٠. والبدايه والنهايه: ج ٢، ص ٢٩٤. السيره الحلبيه: ج ١، ص ١٤٠. مسار الشيعه، الشيخ المفيد: ص ٤٩. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسى: ص ٧٩١.

بينما العمر الذى انتهت به كان (ستاً وأربعين سنة)(١) ومن خلال هذا التفاوت نلمس انه هناك حقيقه ضائعه وهى التى تحدد لنا حقيقه عمرها حينما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكى نتمكن من الوصول إلى هذه الحقيقه اعتمدنا على الأمور التاليه:

المسأله الأولى: روايه البيهقى (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ -)

(٢)

ذكر البيهقى فى الدلائل: أن عمر خديجه عليها السلام حين الوفاه كان (خمسين) سنه، ولقد عدّه العمر الصحيح وهذا قوله: (لقد بلغت خديجه خمساً وستين سنه، ويقال خمسين وهو أصح)(٣).

ص: ٩٧

- ١- انساب الأشراف للبلاذرى، قسم حياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ص ٩٨.
- ٢- أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى من أئمه الحديث ولد فى خسروجرد (من قرى بيهق نيسابور) ونشأ فى بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفه ومكه وغيرها، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل بها إلى أن مات ونقل جثمانه إلى بلده. ومما قيل فيه: ١ - قال إمام الحرمين: ما من شافعى إلا- وللشافعى فضل عليه غير البيهقى، فإن له المنه والفضل على الشافعى لكثره تصانيفه فى نصره مذهبه وبسط موجزه وتأيد آرائه. ٢ - قال الذهبي: لو شاء البيهقى أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعه علومه ومعرفته بالاختلاف، صنف زهاء ألف جزء، منها السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، ودلائل النبوه، والآداب فى الحديث، والترغيب والترهيب وغيرها. الأعلام للزركلى: ج ١، ص ١١٦.
- ٣- دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٧١.

المسأله الثانيه: روايه الحافظ ابن كثير (المتوفى سنه ٧٧٤ هـ -)

(١)

ولقد اعتمد الحافظ ابن كثير أيضاً على روايه البيهقي، إذ ذهب إلى أن عمر خديجه عليها السلام حين الوفاه كان خمسين سنه (٢).

المسأله الثالثه: روايه الحاكم النيسابوري (المتوفى سنه ٤٠٥ هـ -)

أما الحاكم النيسابوري (٣) فقد عدّ القول الذي ذكر أن عمر خديجه حين

ص: ٩٨

١- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ولد سنه سبعمائه في بصرى سمع الحجار والطبقه وأجاز له الوافى والختنى وتخرج بالمزى ولازمه؛ له من التصانيف تفسير القرآن الكريم الذى عرف بتفسير ابن كثير، والبدايه والنهايه، وغيرها. ذيل طبقات الحفاظ للسيوطى: ص ٣٦٢؛ معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله: ص ٢٨٣. وجاء فى الموسوعه العربيه العالميه: سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الأحدي، وابن تيميه الذى كانت تربطه به علاقته خاصه تعرض ابن كثير للأذى بسببها. (<http://www.mowsoah.net>).

٢- سيره ابن كثير: ج ١ ص ٢٦٤. البدايه والنهايه: ج ٢، ص ٢٣٤.

٣- ترجم له الذهبى فى التذكره فمما جاء فيها: الحافظ الكبير أمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى الطهمانى النيسابورى المعروف بابن البيع صاحب التصانيف، ولد سنه إحدى وعشرين وثلاث مائه طلب الحديث من الصغر فسمع سنه ثلاثين ورحل إلى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جاء فى خراسان وما وراء النهر وسمع بالبلاذ من ألقى شيخ أو نحو ذلك. حدث عنه الدارقطنى، وأبو الفتح ابن أبى الفوارس، وأبو العلاء الواسطى، والبيهقى، والقشبرى، وغيرهم؛ قال الخطيب أبو بكر: أبو عبد الله الحاكم، كان ثقه، كان يميل إلى التشيع فحدثنى إبراهيم بن محمد الأرموى وكان صالحاً عالماً، قال: جمع الحاكم أحاديث

الوفاه كان خمساً وستين قولاً شاذاً وأضاف: (إنّ الذي عندي أنها لم تبلغ الستين سنه) (١).

ص: ٩٩

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج ٣، ص ١٨٢.

لكنّ الحاكم النيسابورى قد بيّن العمر الذى بلغته خديجه حين الوفاه وذلك من خلال الروايه التى أخرجها عن محمد بن إسحاق الذى ذكر أن خديجه كان لها يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمان وعشرون سنه، ولم يذكر سواها. وهذا يعنى أن عمرها حين الوفاه كان اثنين وخمسين سنه، لأن الفتره التى عاشتها خديجه مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت خمساً وعشرين سنه (٢).

ص: ١٠٠

١- محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن يسار بن كوتان المدنى المطلبى القرشى مولى قيس بن مخرمه بن المطلب بن عبد مناف وكان جده يسار من سبى عين التمر. ولد فى المدينه المنوره ثم رحل إلى الاسكندريه سنه ١١٥ هـ - وعاد بعد سنوات إلى مسقط رأسه حيث التقى سنه ١٣٢ هـ - بالمحدث سفيان بن عيينه واضطر بعد ذلك أن يهاجر إلى بغداد. عدّه الشيخ الطوسى من أصحاب الإمامين أبى جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق عليهما السلام وذكر أيضاً: أن والده إسحاق بن يسار كان من أصحاب أبى الحسن على بن الحسين زين العابدين عليهم السلام. قال فيه إمام الشافعيه: من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق. أنظر: تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٨٨؛ رجال الطوسى: ص ٢٧٧، و ص ١٠٩؛ تهذيب الكمال: ج ٢٤، ص ٤١٣.

٢- تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٤؛ المواهب اللدنيه للقسطانى: ج ١، ص ٢٩٦؛ التبيين فى انساب القرشيين: ص ٧١؛ السيره النبويه لمحمد أبو شهبه: ج ١، ص ٣٩٧؛ سمط النجوم العوالى: ج ١، ص ٣٦٧؛ حدائق الأنوار للشيبانى: ج ١، ص ١٥٥.

أى: إن محمد بن إسحاق يشير إلى أن عمر خديجه عليها السلام حين الوفاه كان: اثنين وخمسين سنه.

المسأله الخامسه: روايه الحافظ ابن عساكر الدمشقى (المتوفى سنه ٥٧١ هـ -)

اشاره

(١)

أما ابن عساكر فقد ذكر: أنها توفيت عن عمر ناهز الخمس والخمسين سنه (٢).

إذن:

هذه الأقوال تدل على ان العمر الذى بلغته أم المؤمنين خديجه عليها السلام حين الوفاه كان فى الخمسين، فلنأت الآن وننظر إلى أقوال المؤرخين فى تحديد السنه التى توفيت فيها كى نصل إلى معرفه السنه التى تزوجت فيها من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكم كان لها من العمر حين الزواج ؟.

ص: ١٠١

١- على بن الحسن بن هبه الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب التصانيف والتاريخ الكبير لدمشق. قال عنه السمعانى: أبو القاسم حافظ ، ثقة، متقن، دين، خير، حسن السمى، جمع بين معرفه المتن والاسناد وكان كثير العلم غزير الفضل صحيح القراءه متثبتا، رحل وتعب وبالع فى الطلب وجمع ما لم يجمعه غيره. توفى فى دمشق ودفن فى باب الصغير فى حادى عشر رجب سنه إحدى وسبعين وخمس مائه. تذكره الحفاظ للذهبى: ج ٤، ص ١٣٢٨.

٢- كتاب الأربعين فى مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر الدمشقى: ص ٥٢.

أولاً: وفاتها في السنة العاشرة من البعثة

ذكر أكثر المؤرخين أن خديجه توفيت في السنة العاشرة من البعثة قبل الهجره بثلاث سنين(١).

وهذا يعنى: أن عمرها حينما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أربعين سنة، وهو العمر الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بمعنى أدق: أنها كانت بعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: زواجها قبل البعثة بخمس عشره سنه

أما عمرها حين الزواج فقد ذكروا: «أنها تزوجت قبل البعثة بخمسه عشر عاماً»(٢) مما يدل على أنها حينما اقترنت بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان عمرها خمساً وعشرين سنة؟

لأنها عليها السلام عاشت مع النبي الأكرم (خمساً وعشرين) سنة منها خمس عشره سنه قبل البعثة وعشر سنوات بعدها وتوفيت ولها من العمر خمسون سنه.

ص: ١٠٢

١- التبيين فى أنساب القرشيين: ص ٧٣؛ سمط النجوم العوالى للعاصمى: ج ١، ص ٣٦٧؛ المواهب اللدنيه للقسطاننى: ج ١، ص ٢٩٦؛ الاصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٠٥، ط دار صادر؛ المصنف لعبد الرزاق: ج ٧، ص ٤٩٢، ح ١٤٠٠٣، ط المكتب الإسلامى؛ القوانين الفقيهيه لابن الكلبي: ص ٤٠٨.

٢- حدائق الأنوار: ج ١، ص ١٥٥؛ المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٩٦؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٥؛ التبيين فى أنساب القرشيين: ص ٧١؛ سمط النجوم العوالى: ج ١، ص ٣٦٧؛ البدايه والنهايه: ج ٢، ص ٢٩٥؛ السيره النبويه لمحمد أبو شهبه: ج ١، ص ٣٩٧.

ثالثاً: عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان خمساً وعشرين سنة

وإذا أخذنا بأكثر الأقوال شهرةً في عمر النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عندما تزوج بها عليها السلام وهو «خمس وعشرون سنة»^(١) فإن عمر خديجه حين الزواج سيكون مساوياً لعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: إن عمره صلى الله عليه وآله وسلم حينما تزوج خديجه عليها السلام كان خمساً وثلاثين سنة

أما في حال الأخذ بالروايات التي ذكرت عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين الزواج كان (ثلاثين)^(٢) و (خمسه وثلاثين)^(٣) و (سبعة وثلاثين)^(٤) فهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أكبر من خديجه عليها السلام عندما اقترن بها ب -:

١. خمس سنوات لأن عمرها كان خمساً وعشرين سنة وعمر النبي ثلاثين وذلك وفق الرواية الأولى.

٢. أو انه صلى الله عليه وآله وسلم أكبر من خديجه بعشر سنوات على

ص: ١٠٣

١- الوفا: ج ١، ص ١٤٥؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣؛ التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٤٣؛ العقد الثمين: ج ١، ص ٢٢٤؛ زاد المعاد: ج ١، ص ٧٦؛ تهذيب الأسماء واللغات: ج ١، ص ٣٤١، وغيرهم.

٢- تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣؛ مختصر تاريخ دمشق، قسم السير النبويه: ص ٢٧٥؛ الروض الأنف: ج ١، ص ٢١٦.

٣- الأوائل لأبي هلال العسكري: ج ١، ص ١٦١.

٤- العقد الثمين: ج ١، ص ٢٢٤؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٣؛ المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزبير بن بكار: ص ٣٣.

وفق الروايه الثانيه.

٣. أو أنه يكبرها ب - «اثنتى عشره» سنه على وفق الروايه الثالثه.

وهو عكس ما ذكر من أنها عليها السلام كانت أسن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

فإننا نستدل من خلال ما ذكر أن عمر خديجه عليها السلام وقت الزواج كان خمساً وعشرين سنه وهو نفس العمر الذى بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الزواج والذى قال به أكثر المؤرخين والمحققين وما نسخته أيدي أهل السير.

فضلاً عن أن كثيراً من المصادر قد ذكرت أن عمر خديجه عليها السلام كان «خمساً وعشرين» (١) سنه؛ وبعضهم قد اقتصر على روايه واحده وهى: أن عمرها كان (ثمانياً وعشرين) (٢) مما يدل على أنهم يرون أن عمرها كان مقارباً لعمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إن لم يكن هو أكبر منها لما ذكر سابقاً.

أما ما ذكره البعض من ان أم المؤمنين خديجه عليها السلام كان عمرها فى الأربعين حين تزوجها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وانها تزوجت

ص: ١٠٤

-
- ١- المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٠٠؛ السيره النبويه لابن كثير: ج ١، ص ٢٦٥؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ١٤٠.
 - ٢- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ٨٢؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٨٣؛ بهجت المحافل: ج ١، ص ٤٨؛ مختصر تاريخ دمشق لقسم السيره النبويه: ص ٢٧٥.

قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رجلين لم تعرفهما شعاب مكة ولم تطأ أقدامهما بواديهما.

فهو مما صاغته يد المتزلفه للحكام الأمويين وغيرهم من أصحاب الأغراض والأمراض - زادهم الله مرضاً - وهو غيظ من فيض مما عصفت به تلك الأكاذيب بمقدرات الإسلام والمسلمين.

بالوسائل الإعلامية، والاقتصادي، والاجتماعي، والعسكريه كافة حتى سجل التاريخ الإسلامي بذلك سابقه فريده لم يشهدا تاريخ أمه من الأمم، فأى أمه اجتمعت على أن تشن حرباً ضروساً ضد امرأه وهي لا تملك من الناصر سوى بعلها حتى ماتت مقتوله، ومضت إلى ربها شهيده ومحتسبه(١).

المبحث الثالث: مراسم خطبتها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

أشارت بعض المصادر إلى أن خديجه عليها السلام قد أبدت رغبتها في الزواج من النبي صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

ص: ١٠٥

١- ما زال العمل جارياً - بعون الله تعالى وسابق لطفه ومثله - في دراسته حياه الصديقه الكبرى فاطمه الزهراء عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها أفضل الصلاه وأزكى السلام؛ وقد اشتملت الدرسته على مباحث عديده في التحقيق والتحليل ورد الشبهات، نسال الله أن يوفقنا لإخراجه في القريب العاجل.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٣١؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠١؛ عيون الاثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٧٢.

وبما أنها امرأة شريفه، عفيفه، لبيبه، فقد جعلت الإفصاح عن هذا الزواج من خلال امرأه أخرى هي نفيسه بنت منيه، وقد أرسلتها دسيساً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخبرت النبي برغبة خديجه في الزواج منه، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلم عمه أبا طالب عليه السلام، فذهب شيخ الأبطح في أهل بيته ونفر من قريش إلى ولي خديجه وهو عمها عمرو بن أسد، وليس إلى أبيها كما ذكره ابن إسحاق وصححه السهيلي في أن خويلاً قد مات في حرب الفجار قبل ذلك(١).

وخطبها أبو طالب لابن أخيه؛ إلا أن سياق بعض الروايات التي تناولت هذه الحادثة قد تجاوزت حدود اللياقة والأدب فضلاً عن التعدي على مقام السيدة خديجه عليها السلام.

المسألة الأولى: التناول على أم المؤمنين خديجه عليها السلام في تزويج نفسها بالحيله ؟ والرد على ذلك

إشارة

إن ما روى من أن خديجه عليها السلام قد سقت أباها خمراً وألبسته حله ونثرت عليه طيباً حتى لا يعارض أمر زواجها(٢)؛ فهذا لا يتناسب مع الذوق، وغير مقبول عقلاً.

وذلك:

ص: ١٠٦

١- الروض الأنف: ج ١، ص ٢١٣؛ مناقب خديجه الكبرى لمحمد بن علوي المالكي: ص ١٤.

٢- السيره الحلبيه: ج ١، ص ٢٢٤؛ وفي مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٩، ص ٣٥٤؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٣٢.

أولاً: مخالفه ذلك لسيره العقلاء

فلو أن مثل هذا الفعل حدث في أصغر البيوتات لاستهجن أحد الطرفين الأمر، سواء كانوا من أهل الخاطب أو المخطوب؛ فكيف إذا كان الخاطبون من أهل الشرف والرفعه، ويدهم سقايه الحاج ورفاده البيت الحرام، أن يخطبوا إلى رجل قد غلب عليه السكر، فهو لا يعلم ما يقول.

ثانياً: سقوط إزام الولي بما قال

وكيف سيلزم ولي خديجه بقول لا يدرك القصد فيه! فيقال له: لقد زوجت خديجه فيقول: لم أفعل؟

ثالثاً: خطبه أبي طالب في الزواج ترد هذه الفريه

كما أن الخطبه التي ذكرها أبو طالب عليه السلام المشتمله على الخصال الكريمة والسجاي الفضيله، تستدعي من السامع أن يعي معاني كلماته، ولو كان ولي خديجه مخموراً فعندها يكون كلامه في محل ترجيح بلا مرجح، وبيان ما لا يلزم بيانه، وهذا مخالف لسيره العقلاء.

وتنقل الروايه أيضاً: أن ولي خديجه عندما أفاق من سكره وعرف بأمر زواج خديجه قال: لم أفعل؛ لكنه عندما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الآن قبلت؟!

وهذا غير مقبول أيضاً:

١. لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عُرِفَ بين قريش بالصادق الأمين واشتهر بالأمانه والخلق الكريم، وتحدثت بأمانته الجماعات المكيه في

سمرها، وفي مجالسها(١). وهذا يعنى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مجهولاً- وبخاصه بالنسبه لولى خديجه؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له صله القرابه مع خديجه كما مرّ بيانه سابقاً.

٢. فضلاً عما ذكر فإن والد خديجه قد مات قبل ذلك في حرب الفجار فمن أين أتت به خديجه حتى تسقيه خمرًا؟! وكفى بهذا دليلاً على بطلان الروايه.

المسأله الثانيه: كلام أبى طالب فى خطبته لتزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عن اعتقاده بنبوته قبل أن يبعث

إن هذه الفريه فى حق أم المؤمنين خديجه عليها السلام، أى: أنها سقت أباهاً خمرًا، يكشف بطلانها كلام أبى طالب الذى يعلن أمام الحاضرين عظيم منزله ابن أخيه وإن له بعد حين نبأ عظيمًا، وخطرًا جليلاً وهى النبوه؛ التى لمس آثارها من قبله عبد المطلب حينما استسقى بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرها من المعاجز والكرامات التى لازمتها من قبل أن يولد، منذ أن كان جنينًا فى بطن أمه.

فصلى الله عليه وآله (يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)

وعليه:

فقد خطب شيخ الأبطح رضوان الله تعالى عليه لابن أخيه الصديقه

ص: ١٠٨

الظاهره من عمرو بن أسد بهذه المعانى العميقه والكلمات الجليله، التى يكشف فيها تصريحاً وتلميحاً إلى اعتقاده بنبوه ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنه أول من دعا الناس إلى الاعتقاد به؛ وإلا فما وجه الضروره فى ذكره رضوان الله عليه لبيان حقيقه ابن أخيه حتى يقسم بالله على ذلك فيقول: (وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل) وأى نبأ أعظم من النبوه، وأى خطر أجل من الرساله، أما خطبته فقد كانت (الحمد لله الذى جعلنا من ذريه إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء(١) معد، وعنصر مضر؛ وجعلنا حضنه بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوزن برجل إلا رجح به، وإن كان فى المال قليلاً، فإن المال ظل زائل، وأمرٌ حائل، ومحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجه بنت خويلد وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشره أوقيه ذهباً ونشأ(٢)، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل(٣).

ص: ١٠٩

-
- ١- ضئضىء: الأصل: أى أصل معد وهم العرب. «لسان العرب لابن منظور: ج ٨، ص ٦»؛ الطرائف فى معرفه مذاهب الطوائف لابن طاووس: ص ٣٠٧؛ تفسير الألوسى: ج ١٨، ص ٥١.
 - ٢- نشأ، أى: نصف أوقيه. السيره الحلبيه: ج ١، ص ٢٢٦.
 - ٣- أنظر الخطبه فى: الكافى للكلينى: ج ٥، ص ٣٧٤/٣٧٥؛ تاريخ يعقوبى: ج ١، ص ٢٠؛ المنتظم لابن الجوزى: ج ٢، ص ٣١٥؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٦٤؛ سمط النجوم العوالى: ج ١، ص ٣٦٦؛ تاريخ ابن خلدون: ج ٢، ص ٤٠٩ / وج ٢، ص ٦؛ السيره

اشاره

لعل العلامه المجلسى رحمه الله يكاد ينفرد فى نقله تفاصيل مراسيم زفاف السيده خديجه عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتمداً فى ذلك على ما رواه أبو الحسن البكرى فى كتابه للمع.

إلا أن هذه التفاصيل لم تكذ تخلو من الموضوعات الكثيره التى بالغت فى تلك المراسيم والتى لا تنسجم مع سمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته مما يدعو إلى التوقف فى نقلها وإيرادها.

أما العلامه المجلسى فقد ظهر لديه عدم الاطمئنان بهذه الروايه وقد صرح بذلك فقال: (إنما أوردت تلك الحكايه لاشتمالها على بعض المعجزات والغرائب، وإن لم نثق بجميع ما اشتملت عليه لعدم الاعتماد على سندها)^(١).

وعليه:

يمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى البحار للاطلاع على هذه الروايه التى لا تخلو من الحقائق الكاشفه عن علو منزلته خديجه عليها السلام وعظم شأنها فى

ص: ١١٠

المجتمع المكي وإنها بحق كانت سيده قريش التي أظهرت من الجلاله والحفاوه فى مراسيم زفافها ما يليق بالملوك وزعماء القوم وأشرفهم، ولعل الروايه لا- تخلو أيضا من الزيادات التي يمكن أن تكون من كلام الرواه الذى يرافق وصف الحادته والمبالغه فى مجرياتها.

أما ما ورد عن العتره النبويه عليهم السلام فى بيان مراسيم الزواج ابتداءً من الخطبه إلى الزفاف، فقد روى الشيخ الكلينى رحمه الله عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال:

«لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوج خديجه بنت خويلد أقبل أبو طالب فى أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقه بن نوفل عم خديجه فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذى جعلنا من زرع إبراهيم، وذريه إسماعيل وأنزلنا حرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه، ثم إن ابن أخى هذا - يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ممن لا- يوزن برجل من قريش إلا- رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل له فى الخلق وإن كان مقلا فى المال فإن المال رقد جار وظل زائل وله فى خديجه رغبه ولها فيه رغبه، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها والمهر على فى مالى الذى سألتموه عاجله وآجله، وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأى كامل.

ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج وقصر عن جواب أبى طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلا من القسيسين فقالت

خديجه مبتدئه: يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسى منى فى الشهود فلست أولى بى من نفسى، قد زوجتك يا محمد نفسى، والمهر على فى مالى فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمدا وضمانها المهر فى مالها.

فقال بعض قريش يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضبا شديدا وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى.

ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأهله، وقال رجل من قريش يقال له: عبد الله بن غنم:

هنيئا مريئا يا خديجه قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد

تزوجته خير البريه كلها ومن ذا الذى فى الناس مثل محمد

وبشر به البر أن عيسى بن مريم وموسى بن عمران فيا قرب موعد

أقرت به الكتاب قدما بأنه رسول من البطحاء هاد ومهتد(١)

وتدل الروايات الشريفه عن العتره الطاهره عليهم السلام فى زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخديجه عليها السلام على أمور، منها:

ص: ١١٢

١- الكافى للشيخ الكلينى: ج ٥، ص ٣٧٤-٣٧٥؛ وسائل الشيعه للعاملى: ج ٢٠، ص ٢٦٤؛ عوالى اللآلى للاحسانى: ج ٣، ص ٢٩٨؛ البحار للمجلسى: ج ١٦، ص ١٣؛ المهذب البارع لابن فهد الحلوى: ج ٣، ص ١٧٦.

أولاً: اتخاذ يوم زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام يوماً للبركه والسرور

فقد أشارت الروايات الشريفه أيضاً إلى تحديد يوم الزواج فكان مناسبه يجدد فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام أفراحهم ويتخذون هذا اليوم، يوم بركه وعافيه، وبخاصه حينما يتعلق هذا اليوم بالزواج؛ إذ يحرص كثير من المؤمنين على أن يكون بناء حياتهم الأسريه فى هذا اليوم تيمناً بما دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السرور فيه.

وعليه:

فلقد كان يوم العاشر من ربيع الأول يوم بركه وسرور عند أتباع أهل البيت عليهم السلام وذلك لأنه اليوم الذى تزوج فيها رسول الله بالسيدة الطاهره خديجه الكبرى عليها السلام.

وهو ما أخرجہ الشيخ الطوسى فى المصباح فى أعمال شهر ربيع الأول(١).

ثانياً: استحباب تعجيل الزفاف بعد الخطوبه

تدل الروايات على استحباب تعجيل الزفاف بعد الخطوبه ولا تترك فاصله طويله من الوقت بين الخطوبه والزفاف، ولعل ذلك يؤدى إلى عدم الاستقرار النفسى بين المرأه والرجل حينما يتم التأخير، فضلاً عما يترتب عليه من حرج أو ريبه عند اللقاء بين الخطيبين.

ولذلك نرى أن الروايات أشارت إلى أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن خطب أبو طالب له خديجه دخل بها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله

ص: ١١٣

١- مصباح المتهجد للطوسى: ص ٥٥، ط الأعلمى.

وسلم من الغد، كما نصّ عليه الصدوق (١)، والشيخ الكليني (٢) رحمهما الله.

المبحث الرابع: إسلامها

إشاره

إن هذا العنوان هو مما كان يرافق تلك النخبه التي منّ الله عليها بالإيمان في أول ظهور رحمه الله للعالمين في مكه، حتى إن خديجه عليها السلام باتت الملكة المتربعه على رتبه السبق إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد على بن أبي طالب عليه السلام، فضلاً عن ذلك فإن الحديث عن وقت إسلام أولئك السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله يكشف عن حقيقه قلوب هؤلاء وطهاره باطنهم وسلامه فطرتهم وتعقلهم للأمور وحكمتهم في اتباع الحق.

ولذلك كان الغرض من هذا العنوان هو بيان هذه الجوانب الكماليه في شخص أم المؤمنين خديجه عليها السلام، وامتيازها على غيرها من نساء المسلمين ورجالهم.

المسأله الأولى: وقت إسلامها

إنّ من السمات الخاصه التي ظهرت في حياه السيده خديجه عليها السلام هي سمه إيمانها بالله وتصديقها برسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والسبب في ذلك يعود إلى أن الله تعالى قد اختار لها أن تكون ممن يشهد هذه الرحمه الإلهيه من الأمّه فقد تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل

ص: ١١٤

١- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٣، ص ٢٥١، ط دار الأضواء.

٢- الكافي للكليني: ج ٥، ص ٣٧٥.

مما جعلها أول من يتلقى هذا الأمر ليؤمن به ويعين صاحبه ويناصره ويؤازره حتى لحقت بربها مؤمنه مجاهده محتسبه بعد أن قضت مع رسول الله عشر سنوات أخرى ليكون حصيله ما عاشته مع النبي الأعظم خمساً وعشرين سنه.

هذه السنوات العشر كانت فيها خديجه قد عايشت حرکه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاحقته في جهاده ومعاناته وآلامه ونشر رسالته.

ولذا: فقد اختار الله لها أن تكون أول من آمن به وصدق برسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فعن ابن عباس أنه قال: (كان على بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجه) (١)، أى: أنها عليها السلام كانت أول من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

وقد جاء في الحديث الشريف، عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (خديجه بنت خويلد سابقه نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).

ص: ١١٥

-
- ١- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١٠٩١؛ وجاء فيه قوله: (هذا اسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقه نقلته).
 - ٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٨٤؛ الذريه الطاهره للدولابى: ص ٥٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ١٢٨.
 - ٣- المستدرک للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٨٤؛ نظم درر السمطين للزرندي: ص ٢٠٧؛ الجامع الصغير للسيوطى: ج ١، ص ٥٩٩.

المسأله الثانيه: إنها أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مثلما جعل الله تعالى لحياء هذه المرأه العظيمه من السمات الخاصه قبل الإسلام، جعل لها كذلك من السمات بعد الإسلام.

فبعد أن سبقت الناس إلى الإيمان بالله تعالى وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك سبقتهم إلى الصلاه معه؛ فقد روى أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث يوم الاثنين، وصلت خديجه معه فى نفس اليوم (١).

بل وتفيد بعض الروايات أنها وصلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام على عليه السلام أول صلاه جماعه فى الإسلام؛ فقد أخرج الحاكم النيسابورى عن عفيف الكندى قال: (كنت امرأً تاجرًا وكنت صديقًا للعباس ابن عبد المطلب فى الجاهليه، فقدمت لتجاره فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلى، ثم جاءت امرأه فقامت تصلى، ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلى.

فقلت للعباس من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأه وهذا الغلام، وهذه المرأه خديجه بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب.

ص: ١١٤

١- المستدرک للحاکم النيسابورى: ج ٣، ص ١٨٣؛ الفصول المختاره للشريف المرتضى: ص ٢٨٠؛ البحار للمجلسى: ج ٣٨، ص ٢٨٦.

قال عفيف الكندي، وأسلم وحسن إسلامه، لوددت أنى كنت أسلمت يومئذ فيكون لى ربيع الإسلام(١).

والروايه واضحه الدلاله على اختصاص السيده خديجه الكبرى بهذه المنقبه فى أسبقيتها إلى طاعه الله واتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن سمات أخرى سيمر بيانها.

المبحث الخامس: مال خديجه عليها السلام

اشاره

أشارت العديد من المصادر التاريخيه وغيرها إلى كثره مال خديجه عليها السلام وآثاره فى تحريك الاقتصاد فى مكه ودوره فى دعم الرساله المحمديه، وما رافق ذلك من امتعاض لبعض الكتّاب الذين وجدوا مغرمهم فى إثارة الشبهات حول هذا المال، ولذا وجدت لزاما مناقشه هذه الأقوال والرد على هذه الشبهات.

المسأله الأولى: حجم مالها

لقد تناول المؤرخون وغيرهم حجم مال خديجه عليها السلام فكان كالاتى:

١ - روى الشيخ الطوسى فى أماليه فى أمر مبيت على عليه السلام فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمما ذكر: (وأمر أن يبتاع رواحل له وللنواطم ومن أزمع للهجره معه من بنى هاشم.

ص: ١١٧

١- المستدرک - الحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ٨٣.

قال أبو عبيده: فقلت لعبيد الله - يعنى ابن أبى رافع - أو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد ما ينفقه هكذا؟

فقال: إني سألت أبى عما سألتني، وكان يحدث بهذا الحديث، فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجه عليها السلام(١).

٢ - قال المسعودى: وكانت خديجه بنت خويلد من مياسير قريش وتجارها تستأجر الرجال وتبعثهم فى مالها(٢).

٣ - قال السيد ابن طاووس: (ولما كان بمكة كان له مع ماله ومال كفيله وعمه أبى طالب مال خديجه التى يضرب بكثرة مالها الأمثال(٣).

٤ - قال المجلسى: (كانت أكثر قريش مالاً وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينفق منه ما شاء فى حياتها(٤).

ونقل فى وصفها: (بأنها كانت ملكه عظيمه، وكان لها من الأموال والمواشى ما لا يحصى(٥).

٥ - قال التستري: (إن أهل الأثر مجمعون على أن خديجه كانت أيسر قريش وأكثرهم مالا وتجاره(٦).

ص: ١١٨

١- الأمالى للشيخ الصدوق: ص ٤٦٨.

٢- البدء والتاريخ للمسعودى: ج ١، ص ٢٢٦.

٣- الطرائف فى معرفه مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص ٤٠٦.

٤- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ١٦، ص ٢٠.

٥- مستدرک سفينه البحار للنمازى الشاهرودى: ج ٩، ص ٤٧٨.

٦- الصوارم المهرقه لنور الله التستري: ص ٣٢٦.

٦ - قال الشيخ أبو الحسن البكري: (كان لخديجه في كل ناحيه عبيد ومواشٍ ، حتى قيل: إن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقه في كل مكان)(١).

المسأله الثانيه: خديجه تهب جميع ما تملك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

هذه الصوره التاريخيه عن حجم المال الذي تملكه السيده خديجه عليها السلام قد انتقل إلى ملكيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من خلال ما قامت به خديجه عليها السلام من تقديمها هذا المال هبه إليه صلى الله عليه وآله وسلم بعد زواجها منه ليتصرف فيه كيفما يشاء، فقد روى المجلسي قدس سره: (إن خديجه قالت لعمها ورقه: خذ هذه الأموال وسر بها إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقل له: إن هذه جميعها هديه له، وهي ملكه يتصرف فيها كيف شاء، وقل له: إن مالي وعبيدي وجميع ما أملك، وما هو تحت يدي فقد وهبته لمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - إجلالاً وإعظاماً له، فوقف ورقه بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب إن خديجه تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشى والصداق والهدايا لمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وجميع ما بذل لها مقبول منه وهو هديه منها إليه إجلالاً له وإعظاماً ورغبه فيه، فكونوا عليها من الشاهدين(٢).

ص: ١١٩

-
- ١- بحار الأنوار للعلامه المجلسي: ج ١٦، ص ٢٢، نقلاً عن أبي الحسن البكري في كتابه اللمع؛ الخصائص الفاطميه للكجورى: ج ١، ص ٤٤٩.
- ٢- بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٦، ص ٢٢.

والسؤال المطروح هو: ماذا عمل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المال؟

أولاً: لم تشر الروايات الصحيحة إلى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد استفاد من هذا المال لغرض تجاره، أي أنه لم يستخدمه في تجاره بعد أن انتقل إليه من خديجه عليها السلام.

بمعنى آخر: لم يستخدمه صلى الله عليه وآله وسلم خلال الفتره التي سبقت البعثة النبويه والبالغه خمس عشره سنه، وهذا يدل على حكمته البالغه، فقد قطع بهذا الصنيع الطريق على أعدائه في مختلف الأزمنه من التقول والافتراء عليه في غرضه من الزواج بخديجه عليها السلام على الرغم من هذه السنين.

ثانياً: أما بعد البعثة فقد استخدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هذا المال في الانفاق في سبيل الله تعالى ونشر كلمه التوحيد.

حتى قال:

«ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال خديجه عليها السلام»^(١).

(وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفك من مالها الغارم، والعانى، ويحمل الكل، ويعطى فى النائبه، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكه، ويحمل من أراد منهم الهجره)^(٢).

ص: ١٢٠

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٦٨؛ حليه الأبرار للسيد هاشم البحرانى: ج ١، ص ١٤٠؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ١٩، ص ٦٣؛ التعجب لآبى الفتح الكراكجى: ص ١٠٣؛ مستدرک سفینه البحار: ج ٣، ص ٣٤. مستدرکات علم الرجال للشاهرودى: ج ٨، ص ٥٧٢.

٢- الأمالى للطوسى: ص ٤٦٨.

اشاره

إنّ مما أثار أضغان المنافقين وأصحاب المصالح والأغراض الشخصيه والقلوب المريضة هو قيام أم المؤمنين خديجه عليها السلام ببذل هذا المال فى نصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقاموا ببث الشبهات حول هذا المال ومصادره دوره فى قيام هذا الدين، فكان مما قالوا:

أولاً: (رد شبهه) انتفاع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مال أبى بكر

إن مما قام به أولئك المغرضون هو نسبهم هذا الدور المتميز والحيوى والجهادى فى سبيل الله تعالى الذى قامت به أم المؤمنين خديجه عليها السلام إلى أبى بكر وتقولوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مال خديجه إلى أبى بكر كما أخرجه أحمد فى المسند عن أبى هريره، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر»(١).

ولقد أجاد أبو جعفر الاسكافى المعتزلى (المتوفى سنه ٢٢٠ هـ -) وهو شيخ ابن أبى الحديد، ونقله عنه الجاحظ (المتوفى سنه ٢٥٥ هـ -) - على الرغم من موالاته لبنى أميه - فى الرد على هذه الروايه، وإظهار زيفها، وبيان بطلانها، فقال:

(أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال، وفى أى وجه وضعه

ص: ١٢١

١- مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٥٣، من مسند أبى هريره.

فإنه ليس بجائر أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه، وينسى ذكره؟ وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم
ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم.

وكيف يدعى له الانفاق الجليل، وقد باع من رسول الله صلى الله عليه وآله بعيرين عند خروجه إلى يثرب، واخذ منه الثمن في
مثل تلك الحال، وروى ذلك جميع المحدثين!؟

وقد رويتم أيضا: انه كان حيث كان بالمدينة غنيا موسرا، ورويتم عن عائشه أنها قالت هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم،
وقلتم: إن الله تعالى انزل فيه:

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ (١).)

قلتم هي في أبي بكر ومسطح بن أثاثه، فأين الفقر الذي زعمتم انه أنفق حتى تخلل بالعباءة!؟

ورويتم: أن الله تعالى في سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة! وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآهم ليله الإسراء، فسأل جبرائيل
عنهم فقال هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الأرض، فإنه سينفق عليك ماله، حتى يخلل عباءة في عنقه
!؟

وأنتم أيضا رويتم أن الله تعالى لما انزل آية النجوى.

فقال:

ص: ١٢٢

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ ۙ).

الآية لم يعمل بها إلا- على بن أبي طالب وحده، مع إقراركم بفقره وقله ذات يده، وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك، فقال:

(أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ۙ).

فجعله سبحانه ذنباً يتوب عليهم منه، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة، فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفاً وامسك عن مناجاه الرسول، وإنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين!!؟

وأما ما ذكر من كثره عياله ونفقته عليهم، فليس في ذلك دليل على تفضيله، لان نفقته على عياله واجبه، مع أن أرباب السيره ذكروا انه لم يكن ينفق على أبيه شيئاً، وانه كان أجيراً لابن جدعان على مائتته يطرد عنها الذبان(1).

قال الجاحظ : وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبي صلى الله عليه

ص: ١٢٣

١- العثمانيه للجاحظ : ص ٣١٨؛ كتاب الاستغاثه لأبي القاسم الكوفي: ج ٢، ص ٢٩؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ٢٧٣-٢٧٥.

وآله وسلم يبطن مكة من المشركين، وحسن صنيع كثير منهم، كصنيع حمزه حين ضرب أبا جهل بقوسه ففلق هامته، وأبو جهل يومئذ سيد البطحاء ورئيس الكفر، وامنع أهل مكة، وقد عرفتم أن الزبير سل سيفه، واستقبل به المشركين، لما أرجف أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل، وأن عمر بن الخطاب قال حين أسلم لا- يعبد الله سرا بعد اليوم، وان سعدا ضرب بعض المشركين بلحى جمل، فأراق دمه - وغيرها - فكل هذه الفضائل لم يكن لعلى ابن أبى طالب فيها ناقة ولا جمل، وقد قال الله تعالى:

(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا۟)١.

فإذا كان الله تعالى قد فضل من أنفق قبل الفتح، لأنه لا هجره بعد الفتح، على من أنفق بعد الفتح، فما ظنك بمن قاتل وأنفق من قبل الهجرة، ومن لدن مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الهجرة أعظم من القيام بأمر الإسلام بعد الهجرة، وأفضل من القيام بأمر الإسلام بعد الفتح(١).

ثانياً: (رد شبهه) أن الإنفاق في سبيل الله لم يكن إلا بعد الهجرة

ومما يؤسف له أن هذه الحملة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زالت مستمرة ولم تكن العلوم الشرعية والمعارف العقلية لتجد طريقها لتلك الأفهام المتفوقه على ما يعبد الآباء.

ص: ١٢٤

١- العثمانيه للجاحظ : ص ٣٩؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ١٣، ص ٢٧٥.

فمما قاله المتأخرون من الشبهات فى صرف الأذهان عن دور مال خديجه عليها السلام حينما سئلوا عن القول المشهور:

«إن الإسلام قام على مال خديجه».

أن قالوا: (غير صحيح، لأن الإنفاق فى سبيل الله لم يكن إلا بعد الهجره، وخديجه رضى الله عنها توفيت قبل الهجره)(١).

ونقول:

١ - إن قولهم (غير صحيح)، هو فى الواقع غير صحيح ما انطوت عليه قلوبهم وطريقه تفكيرهم.

٢ - لم يحددوا عدم (الصحة) أفى السند هى، أم فى المتن، أم أنهم لا درايه لهم بذلك!؟

٣ - لم يأتوا ولو بدليل واحد يثبت أن الإنفاق فى سبيل الله لم يكن قبل الهجره.

٤ - كما أنهم لم يأتوا بقريئه تبين معنى عدم إمكنائه الإنفاق، أهى إمكنائه وقوعه، أم إمكنائه عينه؟ بمعنى: أن أصل عمليه الإنفاق لم تقع، وهذه الإمكنائه الوقوعه أو لم يتم تعيين من أنفق قبل الهجره وتشخيصه وهى إمكنائه تشخيصه؟ أى لم تكن هناك إمكنائه من التعرف على شخص واحد من المسلمين كان قد أنفق قبل الهجره وتشخيصه وأنه أنفق ولو بدرهم واحد؛

ص: ١٢٥

١- فتاوى اللجنة الدائمه للافتاء لجمع أحد بن عبد الرزاق الدرؤيش: ج ٢، ص ٤٦٨، السؤال الثامن برقم (١٧٨٨٢).

والأمر فى كلا الحالين يدل على أنه كذب واضح من اللجنه الدائمه للافتاء، إذ أشارت روايات أهل السنه والجماعه إلى أن أبا بكر كان ينفق من ماله، وأنه أعتق بلالاً وغيره واستنقذهم من قريش، كما أن عثمان بن عفان - على قولهم - هاجر إلى الحبشه فعلى حساب من هاجر، ومن دفع له أجره السفر ونفقاته، أهو قام بذلك فأنفق من ماله، أم أن أحداً أنفق عليه؟ وإذا كان كذلك، فما الدافع للإنفاق والغايه منه، أكان فى سبيل الله والجهاد بالأموال، أم كان مجامله، أم لغرض المصالح التجاريه، أو المحسوبيه وغيرها؟!

٥ - وإذا كان الإنفاق فى سبيل الله قبل الهجره غير صحيح لأن خديجه توفيت قبل الهجره؟! فقولكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر».

غير صحيح أيضاً، بل هو حديث مكذوب فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما وأن الحافظين الذهبى (١)، وابن حجر العسقلانى (٢)، قد صرحا بكذبه وزيفه.

فما يجرى من الصحه فى إنفاق مال خديجه قبل الهجره يجرى كذلك فى مال أبى بكر؛ فالعله مثلما هى قائمه هناك، قائمه هنا وهذا ما ألزمت به أنفسكم، وبه يتضح كذبكم وتدليسكم للحقائق.

٦ - إن قولكم هذا هو مخالف للقرآن الكريم فقد نص الكتاب الحكيم على

ص: ١٢٦

١- ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ١٧١.

٢- لسان الميزان لابن حجر العسقلانى: ج ٢، ص ٢٣.

أهميه الإنفاق وفضله في سبيل الله قبل الهجره والفتح على الإنفاق بعده، بمعنى أن الله فضل الإنفاق قبل الهجره على الانفاق بعدها؛ وذلك أن الانفاق الأول كان يوضع في بناء الأسس وقيام الدعائم وتشديد الجدران، أما الإنفاق بعد الهجره فكان من المكملات التي لا يؤدي فقدانها إلى انهيار في البناء وهذه سنه كونه وعقلانيه لا يختلف فيه اثنان ذوا عقليين.

لاسيما وأن القرآن الكريم قد أثنى على الإنفاق قبل الفتح وفضله على الانفاق بعده.

قال تعالى شأنه:

(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا۟) .

فكيف يكون فضل من أنفق من أول البعته النبويه إلى حين الهجره، كمن جاء مستفيداً من خير الإسلام ومنعته.

أو يكون حال خديجه التي أنفقت مالها في سبيل الله حينما وهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستعان به على قيام دين الإسلام من خلال الإنفاق على المسلمين الأوائل الذين سبقوا للإسلام بعد أن عذبوا وحوربوا ومنعوا من كل وسائل المعيشه حتى أذن الله لرسوله بالهجره فجهز أصحابه من هذا المال وزودهم بما يحتاجون إليه وكذا صنع لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن السنوات القاسيه من الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته

ص: ١٢٧

قريش على رسول الله وأصحابه، كحال معاويه وأبى سفيان وأبناء الطلقاء الذين جاءوا إلى الإسلام بعد عام الفتح؟!!

فمن أين يا ترى كان ينفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السابقين الأولين من المسلمين الذين يرزحون تحت الحصار مع أطفالهم ونسائهم أمن مال المسلمين أم من مال خديجه عليها السلام؟!!

إذن:

يتضح مما تقدم أن صحه القول المشهور:

«إن الإسلام قام على سيف على ومال خديجه عليها السلام».

لا يشك فيه (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

وإن ما عداه هو القول الزائف الذى لم يستند إلى دليل أو قرينه تحقق وجوده فى الخارج؛ فما هو إلا مجرد أباطيل لم ترق حتى إلى الظن، على الرغم من (إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً).

ثالثاً: (رد الشبهه) القائله بأن مصدر مالها كان من زوجها السابقين!!

إن من سخييف القول الذى أثير حول مال أم المؤمنين خديجه عليها السلام هو من أين حصلت على هذا المال إن لم تكن متزوجه قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ونقول:

١ - لم نجد فى المصادر التاريخيه أن مكه كانت تحتوى على جمعيه اقتصاديه أو هيئه ماليه أو جماعه عشائريه أو نفر واحد كان يتتبع أصحاب

ص: ١٢٨

الأموال من قريش فيدُون لنا مصادر حصول هذا المال، وبخاصه أن قريشاً هي صاحبه القرار فيها، فضلاً عن انحصار أمر بيت الله الحرام وحجابه بيد بني هاشم ممثلاً بهاشم بن عبد مناف بن قصي وابنه عبد المطلب وحفيده أبي طالب، مما تطلب اهتمامهم بالوضع الاقتصادي لمكة وتحسين أسواقها وتأمين تجارتها وطرق حجاجها ومع هذا لم يدون التاريخ مصادر حصول التجار على أموالهم.

فغايه ما في الأمر أنه كان يدون أسماء أصحاب الثروه والنفوذ في مكة، فذكر أن هاشماً كان ثرياً وكذا ابنه عبد المطلب في حين ذكر أن أبا طالب كان أكثر العيال والإنفاق حتى أصبح صاحب فاقه لحكمه إلهيه شاءت أن يكون علي بن أبي طالب في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - إذا كان زوجا خديجه عليها السلام بهذا الثراء المالى فكيف يغفل التاريخ عن ذكرهم لماذا لم يحط بهم علماء، ولم يتعرف عليهم في مكة، حالهم في ذلك حال صعاليك العرب في الصحراء.

٣ - وإذا كان التاريخ يسجل لنا فقر أبي بكر وأنه كان أجيراً لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذباب (١).

فكيف يغفل عن رجلين كان لهما من الثراء ما كان لخديجه التي انتقل إليها مالهما بوصفها ورِيثتهما؟ ألا يعد ذلك من الجهل، وضيق الأفق، والغفله

ص: ١٢٩

١- العثمانيه للجاحظ : ص ٣١٨؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ٢٧٥.

لم يتحدث لنا التاريخ عن مصادر أموال التجار واكتفى فقط بالإشارة إلى ذكر أصحاب الثراء في مكة وأن أهلها أهل تجاره وتبضع؛ ولذا لا يكون عدم العلم بمصدر مال خديجه سبباً في نفى الغنى عنها فحالها حال عبد المطلب وهاشم عليهما السلام اللذين ذكرهما التاريخ في سجل الأثرياء والجاه والنفوذ والشرف والرفعه.

وفضلاً عن ذلك نص التاريخ على أنها من أهل بيت عرفوا بالثراء واتخاذ التجاره مورداً للغنى فهاهو حكيم بن حزام كان قد عرف باشتغاله بالتجاره وهو الذى أمرته عمته خديجه أن يبتاع لها غلاماً ظريفاً عربياً فلما قدم سوق عكاظ وجد زيد بن حارثه رضى الله عنه يباع فيها وهو غلام عمره ثمانى سنوات فاشتراه لها بأربعمائه درهم وقدم به إليها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم [\(١\)](#).

فضلاً عن أنه كان من التجار الذين يحتكرون السلع كى ترتفع أثمانها، ولم يكن قرب خديجه منه بمانعه عن الجشع واستغلال ظروف حصارها فى الشعب، وعليه: فقد كان أهلها قوم تجاره [\(٢\)](#).

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٤٩٧؛ السيره الحلييه: ج ١، ص ٤٣٨.

٢- سيره ابن هشام: ج ١، ص ٣٧٩؛ دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٣٥؛ التوحيد للصدوق: ص ٣٨٩.

أولاً: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَغْنَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَالِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ

لم يكن القرآن الكريم بزاهد في بيان ما لخديجه عليها السلام من مقام وكرامه عند الله تعالى لاسيما وأنه تعالى قال في محكم كتابه الكريم:

(أَنْتَى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى (١) .

فكيف بمن صدق الله في نفسه وجاهد في سبيله ونصر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) (٢).

فهذه الآيات الكريمة في تفسيرها الظاهري تتحدث عن مرحله من مراحل حياه النبي الأ-عظم وتظهر نعمه الله عليه في هذه المراحل، فهو اليتيم الذي هتأ الله له في بيت جده عبد المطلب وعمه أبي طالب خير مأوى، وهو الذي ضل عنه قومه فلم يهتدوا إليه وقد شب بين ظهرايهم، وهو الفقير الذي أغناه الله تعالى (بمال خديجه بنت خويلد عليها السلام)(١).

ص: ١٣١

١- أنظر في اختصاص هذه الآية بمال خديجه عليها السلام وأن الله تعالى أغناه بهذا المال: الإفصاح للشيخ المفيد: ص ٢١٢؛ الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندى: ج ٣،

ثانياً: رد شبهه (إن الغنى فى الآيه تنزىل على غنى النفس)

إلا أن البعض لم يسعهم استيعاب هذا الذكر ولم يَرَقْ لهم هذا الفضل الذى أحرزته أم المؤمنين خديجه عليها السلام، فقاموا بصياغه أخرى لمعنى الآيه فى محاوله واهيه لصرف الأذهان عن دور هذا المال فى نصره الإسلام، فقالوا:

(والغنى الوارد فى قوله:

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝١).

تنزىل على غنى النفس، فإن الآيه مكيه، ولا يخفى ما كان فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تفتح عليه خير وغيرها(١).

ونقول:

أولاً: حينما يكون البغض لعلى بن أبى طالب عليه السلام هو المحرك فى قراءه القرآن والسنة النبويه فإنها ستكون قراءه ناقصه تؤدي إلى الانحراف عن الحق فضلاً عن تردى حال صاحبها وضلاله.

ص: ١٣٢

١- فتح البارى لابن حجر العسقلانى: ج ١١، ص ٢٣٣.

إذ كيف يمكن حمل الغنى فى الآيه على غنى النفس والمخاطب هو سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم الذى أتم الله له الفضائل الأخلاقية والكمالات الروحية، حتى شهد له - عز شأنه - بذلك فى محكم كتابه فقال سبحانه:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)

فحمل الآيه على غنى النفس - كما قال ابن حجر العسقلانى - يستلزم التحول والانتقال كما يحتمل النقص والكمال، أى: إنه لم يكن غنى النفس قبل نزول الآيه ثم استحصل ذلك، وهذا عيب مشين فيمن وصف بالكمال ومجمع الفضائل فى كل حال.

ثانياً: لو كان تنزيل الآيه على (غنى النفس) لا- المال - كما زعمتم - فهذا يستلزم استمرار الفقر مع النبى حتى آخر حياته المقدسه بعله حصول الغنى النفسى فلا حاجه له للمال فى حين أن الواقع الحياتى له يثبت عكس ذلك.

ثالثاً: لو كان الغنى، غنى النفس فلماذا يبيح الله له الخمس من الغنائم وما حاجته إليها ونفسه غنيه.

رابعاً: سياق الآيات الثلاث يتحدث عن ضروريات الحياه البشريه التى لا غنى للإنسان عنها فشاء الله تعالى أن تجرى حكمته فى حياه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصوره التى يعرضها القرآن، فقدّر الله تعالى له أن يولد يتيماً، ثم أنعم عليه بالمأوى ممثلاً فى جده عبد المطلب وعمه أبى طالب.

وأن ينشأ بين قومه فيؤيده الله بالآيات والدلائل على أنه نبي هذه الأمة ليهتدى إليه الناس، إلا أن الله (وجدك ضالاً بين الناس لا يعرفون حقك فهداهم إليك) (١).

ووجدك عائلاً، أى فقيراً لا مال لك تستعين به على أمرك فأغناك الله بهذا المال، وهو مال خديجه.

خامساً: أما أن الآية مكيه فهذا أدعى لاختصاص الآية بالمال وليس بالنفس، إذ احتياجه صلى الله عليه وآله وسلم إلى المال كان فى مكة قبل الهجره لينفق منه على أمر الرساله، ويستعين به على قيام دينه، فيواجه به ظلم قريش وحصارهم الاقتصادى عليه وعلى أصحابه.

أما حاله بعد الهجره فقد اختلف فقد نصره الله بالسيف، وخصه الله تعالى بالغنائم وعندها بدأت مرحله جديده من النهوض بهذه الرساله تركز على الجهاد والحرب الذى نصر الله فيها دينه وفى جميع المواطن بسيف على بن أبى طالب عليه السلام، ومن صدق الله فى عهده، وما أقلهم!

إذن: كون الآية مكيه فهذا دليل على اختصاصها بمال خديجه، وليس كما ذهب إليه ابن حجر العسقلانى الذى اعتقد خلو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الغنى فى مرحله من مراحل حياته والعياذ بالله.

سادساً: إن النظر إلى الآيات الثلاث التى تحدثت عن نعم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك الحقبه الزمنيه يقابلها ثلاثه أوامر إلهيه

ص: ١٣٤

١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ٢٠، ص ٣١١.

تبعث هذه النعم، وكان السياق القرآني هنا يشير إلى مقابله هذه النعم بما يقابلها من الشكر الذي حددته الآيات ضمن آليات خاصه.

فكانت نعمه الإيواء يقابلها قوله تعالى:

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۱.)

فيكون رعايته صلى الله عليه وآله وسلم لليتيم منهاجاً للشكر على ما أنعم الله عليه حينما كان يتيماً فأواه.

وكانت نعمه الهدايه يقابلها قوله تعالى:

(وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۲.)

والنسق الدلالي في الآيه يشير إلى احتياج السائل إلى من يهديه إلى ما يعينه على مسأله، كأن يكون السائل لا يهتدى إلى الطريق، أو إلى أمر دينه، أو مال يعينه على حياته، فهو في هذه الحالات لا يهتدى الجبهه التي تعينه على أمر نفسه.

ولذا: سير السياق النعمى فى المواطنين يقتضى التماثل فى الحاجه إلى الهدايه ليتذكر حينها نِعَمَ المُنعم بالخيرات وهو الله تعالى.

أما ما يخص نعمه الغنى فقد قابلها قوله تعالى:

(وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۳.)

ص: ١٣٥

وظاهر الآيه والفعل النبوى يدلان على أن هذه النعمه أكبر النعم الثلاث السابقه بدلاله اختصاصها بلفظ (النعمه) ولم تطلق الآيه على (المأوى والهدايه) لفظ النعمه.

وبدلاله الأمر الإلهى بالتحدث بها، فى حين كان الفعلان السابقان أى (قهر اليتيم)، و (نهر السائل) فعلين صامتين؛ بمعنى: لا يشتملان على استخدام جارحه اللسان فى تحقيق شكر المنعم كما هو الحال بالنسبه لفعل (حدّث).

ولقد دلت السنه النبويه بنصوص صريحه وصحيحه على تحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنعمه زواجه من خديجه عليها السلام؛ بل لقد دأب على التحديث بنعمه ربه هذه حتى أثار ذلك غير عائشه، التى لم تجد صبراً على السكوت والاعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكثره ذكره لخديجه عليها السلام، ولتصرّح للتاريخ عن حجم هذا التحديث؛ فقالت:

(ما غرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على امرأه من نساءه ما غرت على خديجه لكثره ذكره إياها وما رأيتها قط) (١).

وفى روايه أخرى كشاهد على تحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنعمه ربه تعالى، أنها قالت:

(كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكر خديجه لم يكذب يسأم

ص: ١٣٦

من ثناء عليها واستغفار لها؛ فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيره فقلت: لقد عوضك الله من كبيره السن. قالت: فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضباً شديداً وسقطت في يدي فقلت: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت.

قالت: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لقيت قال:

«كيف قلت؟ والله لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ورزقت منى الولد حيث حرمتموه»^(١).

وفى لفظ آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء»^(٢).

وغير ذلك من الروايات التى تكشف عن تحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه النعمه نعمه اقترانه بأُم المؤمنين خديجه عليها السلام التى كانت نِعَمَ الزوجه الصالحه المناصره له طيله خمس وعشرين سنه لم يتزوج فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها كرامه لها ودليلاً قاطعاً على حبه الكبير لها، وهو الذى صرح بذلك حينما امتعضت عائشه من كثره ذكره لها فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ١٣٧

-
- ١- الذريه الطاهره للدولابى: ص ٥٣؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٩٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ١١٢؛ امتاع الأسماع للمقرئى: ج ٦، ص ٢٤.
 - ٢- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٢٤.

«إني قد رزقت حبها»(١).

وعليه:

لم تكن الآية داله على غنى النفس كما ذهب ابن حجر العسقلاني وغيره وإنما على نعمه غنى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بمال خديجه عليها السلام.

المسألة الخامسة: (رد شبهه) أن يكون رسول الله أجيراً لدى أحد من الناس؟

ومن الشبهات التي لازمت حركة مال خديجه عليها السلام هي: اشتغاله أجيراً لديها بمالها قبل أن يبعث نبياً، أو أنه ضاربها على بعض مالها، أو كان شريكاً مع أحد أبناء قريش يعملان معاً في مالها؟!

والسؤال المطروح: هل يصح أن يعمل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أجيراً أو مضارباً أو شريكاً لدى أحد من الناس(٢)؟

ونقول:

إن الإجابة على هذا السؤال تتكون من نقاط :

١ - من البديهي أن يحتاج الإنسان إلى العمل لينفق على نفسه فيسد جوعته، ويكسو بدنه، ويصل أهله وأرحامه وغير ذلك.

ص: ١٣٨

١- صحيح مسلم: ج ٧، ص ١٣٤؛ العمدة لابن البطريق: ص ٣٩٣.

٢- الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٣٢١.

وحيثما لا يجد الإنسان عملاً يوفر له هذه الاحتياجات فإنه سيلتجئ إلى الاتكال على غيره لغرض تأمين احتياجاته، أو أنه يسلك طريقاً سلبياً ومستهجناً في حال فقدان العمل والمعييل، هكذا هي الطبيعه البشريه وما تفرضه ضروريات العيش.

ولكن إذا كان الإنسان قد تهيأ له كل ذلك وهو لديه أفضل الأطمعه وأزكاها، كحال مريم بنت عمران عليها السلام كما صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى:

(كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١)

فهل تحتاج مريم عليها السلام إلى العمل حينئذ؛ أم هل تراها تنتظر المعيل والكفيل وقد تعاهدتها الملائكه باحضار الطعام؟!!

من البديهي أنها لا تحتاج إلى الطعام على الرغم من تصريح القرآن بوجود كفيل لها وهو نبي الله زكريا.

ولكن حينما يكون الإنسان في ضيافه الرحمن سبحانه فحينها يستغنى عما سواه، وإذا كان هذا حال مريم فكيف حال من هو حبيب الله سبحانه، وكيف سيكون رزقه من ربه؟ ألا يكون الرازق الذي وصف نفسه بالكريم رازقاً حبيبه بما يليق ومقام الحبيب؟!!

ولذا: من حيث المبدأ هو لا يحتاج إلى العمل أو المعيل، لأن العله منتفيه في وجودهما، فرزقه صلى الله عليه وآله وسلم مضمون من ربه، حاضر بين يديه، وإن كان الذين من حوله لا يرون ذلك، فهذا لا يدل على عدم نزول الطعام إليه بل يدل على اختلاف سنخيه الرائي وحجب الرؤيه عنه.

بمعنى: لو كان الداخل عليه له من المقام كما لدى زكريا عليه السلام لرأى ما يخطف الأبصار، في حضره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - ولعل بعض المسلمين قد ثبتت لديه حقيقه حاله صلى الله عليه وآله وسلم حينما نهاهم في شهر رمضان عن إتيان أزواجهم كي لا يصيبهم الضعف، فقالوا: إنك تواصل يا رسول الله؟، قال:

«إني لست كأحدكم إني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني»(١).

كما رواه الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه.

وفي صحيح البخارى عن عائشه بلفظ :

«إني لست كهيتكم إني يطعمني ربي ويسقيني»(٢).

فمن كان يطعمه ربه ويسقيه ما حاجته إلى ما فى أيدي الناس!؟

٣ - ولعل قائلاً- يقول: إن هذا حاله بعد أن بعث نبياً، فما المانع أن يعمل قبل أن يبعث نبياً سواء لدى خديجه عليها السلام أو غيرها من أهل مكه أو عند عمه أبى طالب عليه السلام؟

ص: ١٤٠

١- من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق، كتاب الصوم، حرمه صوم الوصال: ج ٢، ص ١٧٢.

٢- صحيح البخارى، كتاب الصوم: ج ٢، ص ٢٤٣.

وجواب ذلك من شقين:

أولاً: ما زال المدار في الشبهه حول احتياج الإنسان للعمل أو المعيل، أى سد الحوائج الحياتيه سواء أكان عمله لدى خديجه أم غيرها، فلما ثبت عدم احتياجه إلى العمل بعد البعته لغرض استحصال لوازم الحياه فإن الحال نفسه يجرى أيضاً قبل البعته كما دلت عليه النصوص الآتى ذكرها:

ألف: لم يحتج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعته إلى العمل كى يسد احتياجاته الحياتيه، فأما طعامه فقد روى أنه كان يكتفى بشرب ماء زمزم ولا يأكل بعدها شيئاً وهذا من الآيات والدلائل على نبوته قبل أن يهبط عليه الوحي.

فعن أم أيمن - وكانت أمه عند أبي طالب عليه السلام ثم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أنها قالت:

«ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكاً جوعاً قط ولا عطشاً، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربه، فربما عرضنا عليه الغداء، فيقول:

«لا أريد، أنا شبعان»^(١).

باء: روى ابن سعد قائلًا: (وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذّيهم، قال: كما أنتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله

ص: ١٤١

١- امتاع الأسماع للمقرئى: ج ٤، ص ٩٩.

صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك مبارك(١).

جيم: وكان عيال أبي طالب إذا جاءهم باللبن شرب أولهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبا وحده(٢).

وهذه الروايات تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو محل نزول الخير وصدوره إلى الناس لا العكس.

ثانيا: إن أصل القضية مبنية على الفساد في الرأى، فكيف يصح أن يكون سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم أجيرا لدى أحد من الناس وهو محل نزول الخير وصدوره للخلق أجمعين؟! أفَعَجَزَ اللهُ سبحانه أن يكفى حبيبه ورسوله وخيرته من خلقه مؤونته أم تراه سبحانه جعل للناس فضلا على رسله، والعياذ بالله.

ولذلك: فإن رسل الله تعالى وأنبياءه إذا عملوا فهم لا يعملون أجرا لدى أحد من الناس وإنما يعملون - إن عملوا - بما يحتاج إليهم الناس لا العكس كما في حال نبي الله داود عليه السلام:

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝٣)

ص: ١٤٢

١- الطبقات لابن سعد: ج ١، ص ١٢٠.

٢- عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٦١؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٤، ص ٩٩.

إذن: يبقى الأصل في عملهم هو أنهم محل نزول الخير من الله وصدوره إلى الخلق أجمعين وهي حقيقته دلّ عليها القرآن الكريم، قال تعالى لنبية سليمان بعد أن آتاه الملك:

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١)

وعليه:

لا يصح أن يكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أجيراً لدى أحدٍ من الناس سواء عمه أبو طالب أو خديجه بنت خويلد، وهذا لا يعنى امتناعه عن العمل كما كان يعمل داود عليه السلام، وإنما الكلام في كونه يعمل أجيراً وله سيد يحسن إليه أو إذا أساء يعاقبه أو يوبّخه - والعياذ بالله، ونستجير به من غضبه وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -.

ص: ١٤٣

الفصل الثالث: اولاد السيده خديجه عليها السلام

اشاره

ص: ١٤٥

بعدها قدمنا فى الفصلين السابقين من مباحث شملت بعض الجوانب المهمه فى حياه السيده الصديقه أم المؤمنين خديجه عليها السلام، لاسيما ونحن ما زلنا فى دائره الأحداث التى سبقت البعثه النبويه، والتى قد بينا من خلالها الحقائق التى لم يطلع عليها كثير من الناس.

ننتقل إلى جانب آخر من حياه أم المؤمنين خديجه وهذا الجانب هو فى غايه الأهميه لما يحويه من التباس كبير.

وعليه:

فقد أفردت لكل مولود من أبنائها قسماً خاصاً به، يشتمل على مباحث عده تتناول النقاط المهمه التى من خلالها ظهرت حقيقه جديده وهى أن خديجه عليها السلام لم تلد من البنات إلا فاطمه عليها السلام.

ولكى يسهل الأمر على القارئ ويتوصل من خلال البحث إلى حقيقه هذه الشخصيات فقد أوردت هذه المباحث بشكل بسيط ، مع التأكيد على صحه المعلومه ودقتها... والله ولى التوفيق.

ص: ١٤٧

المسأله الأولى: الابن الأكبر

إن المتصفح لكتب التاريخ، والسيره النبويه المباركه، يجد حقيقه ظاهره أمام عينيه وهي:

أن أكبر أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو القاسم عليه السلام.

وبمعنى أكثر دقه فهو: (أول مولود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

ص: ١٤٨

١- راجع في هذه الحقيقه: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٣٣، وجاء فيه: «عن ابن عباس قال: كان أول من ولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكه قبل النبوه القاسم وبه كان يكنى»؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٦٧، ط إيران و ج ٤، ص ١٨٨، ط دار الكتاب العربى، بيروت؛ سيره ابن هشام: ج ١، ص ٢٢٧؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٣١٩؛ ذخائر العقبى لمحب الدين الطبرى: ص ١٥٢؛ تفسير الدر المنثور للسيوطى: ج ٨، ص ٦٥٢؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢١٧؛ المعارف لابن قتيبه: ص ١٤١؛ نور الأبصار للشبلنجى: ص ٧٩؛ الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٥؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٣؛ التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٤٣، (جعلهم من حيث الترتيب هو الأول)؛ المنتظم لابن الجوزى: ج ٢، ص ٣١٦؛ مختصر تاريخ دمشق قسم السيره النبويه: ص ٢٦٢، وجاء فيه: «كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسم»؛ تاريخ دمشق لابن العساكر: ج ٣، ص ١٢٥ و ١٢٦؛ خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهره: ج ١، ص ١٩٨؛ نسب قريش للزبيدي: ص ٢١؛ جوامع السيره النبويه لابن حزم الأندلسى: ص ٣٥؛ مروج الذهب للمسعودى: ج ٢، ص ٢٩١؛ نهايه الارب للنويرى: ج ١٨، ص ٢٠٨؛ الثقات لابن حبان: ج ٢، ص ١٤٢؛ دلائل النبوه للبيهقى: ص ٧٠؛ الاكتفاء للكلاعى: ج ١، ص ١٩٩؛ السيره النبويه لابن كثير:

اشاره

أما الخطوه الثانيه، فلقد كانت من خلال معرفه زمن ولاده القاسم، لأن معرفه الزمن الذى ولد فيه القاسم له الأثر الكبير فى كشف الالتباس الذى أحاط بعدد أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وللوصول إلى هذه الحقيقه الكاشفه عن زمن ولاده القاسم، اعتمدنا على هذه الشواهد الثلاثه:

ص: ١٤٩

أولاً: الاختلاف في عدد أولاد خديجه عليها السلام

اختلف المؤرخون في عدد أولاد أم المؤمنين خديجه بنت خويلد عليها السلام الذين أنجبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فبعضهم قال: إنها أنجبت (أحد عشر نفراً) سبعة من الذكور وأربعاً من الإناث(١).

وبعضهم قال: أربعة من الذكور وأربعاً من الإناث(٢).

وقسم قال: أنجبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة ذكور وأربع إناث(٣).

والقسم الآخر قال: أنجبت غلامين وأربع بنات، وهو الأكثر شهرة(٤).

والمتمامل في هذه الروايات يجد ما يلي:

ص: ١٥٠

١- تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٢؛ الذخائر العقبى: ص ١٥٢.

٢- صفوه الصفوه: ج ١، ص ٦٩؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٢؛ ذخائر العقبى: ص ١٥٢.

٣- السير والمغازي لابن إسحاق: ص ٨٢؛ الذريه الطاهره للدولابي: ص ٦٥، حديث ٤١؛ سيره ابن هشام: ج ١، ص ٢٠٢؛ السيره النبويه لابن جرير الطبري: ص ٣٩؛ جوامع السيره النبويه لابن حزم الأندلسي: ص ٣٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السيره النبويه: ج ١، ص ٦٣؛ نور الأبصار للشبلنجي: ص ٤٣؛ إغانه الطالبين، البكري الدمياطي: ج ١، ص ٣٥.

٤- دلائل النبوه للبيهقي: ج ٢، ص ٧٠؛ وفي المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢، ص ٣٩٧؛ الذريه الطاهره للدولابي: ص ٦٦، حديث ٤٥؛ الروض الانف للسهيلي: ج ١، ص ٢١٤؛ مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٩، ص ٣٤٩، حديث ١٥٢٤٣.

١. اختلف المؤرخون في عدد الذكور(١) ولم يختلفوا في عدد الإناث، وهذا يدعو للاستغراب!

٢. اختلفوا في زمن ولاده الإناث! حتى إن كثيراً منهم لم يُشر إلى زمن ولاده أى بنت من بنات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل محدد.

٣. اختلفوا في الكبرى والصغرى من بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أياً تكون(٢).

ص: ١٥١

١- صفه الصفوه: ج ١، ص ٦٩؛ تاريخ الخميس للديار بكرى: ص ٢٧٢؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٣٩١؛ عيون الأثر: ج ٢، ص ٣٦٣؛ ذخائر العقبى لمحّب الدين الطبرى: ص ١٥٢.

٢- السير والمغازى لابن إسحاق: ص ٨٢، وقد قال: إن الكبرى هي زينب؛ الذريه الطاهره للدولابى، وقد جعل الصغرى (أم كلثوم) والكبرى (رقيه) حديث (٤٤-٤٧)، سيره ابن هشام جعل الكبرى (رقيه): ج ١، ص ٢٠٢؛ الروض الانف للسهيلى: ج ١، ص ٢١٥، وجاء فيه: أن الكبرى هي: (زينب)؛ وفي سيره ابن جرير الطبرى جعل الصغرى: (فاطمه عليها السلام)؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ٢٢، ص ٣٩٧؛ كذلك: الوفا لسبط ابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٦، وقد قال إن الصغرى هي (فاطمه عليها السلام)؛ التبيين فى أنساب القريشيين للمقدسى: ص ٩١؛ إن الصغرى هي: (فاطمه عليها السلام). أما ابن عبد البر فقد أشار إلى هذه الحقيقه قائلاً: وقد اضطرب مصعب والزيير فى بنات النبي أيتهن أكبر وأصغر اضطراباً يوجب ألا يلتفت إليهما فى ذلك، والذي تسكن إليه النفس على ما تواتر به الأخبار فى ترتيب بنات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إن زينب الأولى، ثم الثانيه رقيه، ثم الثالثه أم كلثوم، ثم الرابعه فاطمه الزهراء عليها السلام. الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨١٨.

ولكن على الرغم من هذه الاختلافات بين المؤرخين، إلا أن الثابت عندهم جميعاً أنّ: القاسم هو بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أى: أول مولود ولد له؛ وأما زمن ولادته فقد أشار بعض الحفاظ في مصنفاتهم إلى أنه ولد ومات في الإسلام.

وقد ورد ذلك في كتب الخاصة، وهم (أتباع أهل البيت عليهم السلام) والعامه وهم (أهل السنه والجماعه)، فأما ما ورد في كتب الخاصة فأكتفى بالإشارة إلى أن الشيخ الكليني(1) والحر العاملي(2) رحمهما الله قد أوردا في الكافي ووسائل الشيعة نصاً صريحاً عن ولاده القاسم في الإسلام والروايه في مبحث (منزله خديجه في الجنه عند المسأله الثالثه: كيف يكون دخولها إلى الجنه؟) - من هذا الكتاب فلتراجع -.

وأما هنا، أى: ما أورده أهل السنه والجماعه، فلقد أخرج ابن ماجه في سننه، والسهيلي، والمزى، وابن كثير، والفريابي، وابن حجر العسقلاني، والزمخشري، والبوبصيري، وابن الأثير، وتقى الدين الفاسي، والقندوزي، واليعقوبي؛ والقسطلاني وغيرهم: أن القاسم ولد ومات في الإسلام! واليك نص الروايه:

(حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا أبو داود، حدثنا هشام بن أبي الوليد(3)،

ص: ١٥٢

١- الكافي للشيخ الكليني رحمه الله، باب: المصيبه بالولد: ج ٣، ص ١٨.

٢- وسائل الشيعة للحر العاملي رحمه الله، باب استحباب احتساب موت الأولاد والصبر عليه: ج ٣، ص ٢٤٤.

٣- هشام بن أبي الوليد بن عدى بن خيار، يروى عن حارث بن معاويه عن أبي هريره، روى

عن أمه، عن فاطمه بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي - عليهما السلام - قال:

لما توفي القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت خديجه: يا رسول الله درّت لُبَيْتُهُ القاسم(١)، فلو كان الله أباه حتى يستكمل رضاعه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن إتمام الرضاعه في الجنّه.

قالت: لو أعلم ذلك يا رسول الله لهون على أمره.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شئت دعوت الله تعالى فأسمعك صوته.

قالت: يا رسول الله بل اصدّق الله ورسوله(٢).

ص: ١٥٣

١- اللبنة: الطائفه القليله من اللبن و (اللُبَيْتَةُ) تصغيرها؛ لسان العرب: ج ١٢، ص ١٢٧، ماده: لبن؛ سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني: ج ١، ص ٤٨٤؛ ينابيع الموده لذوى القربى للقندوزي: ج ٢، ص ٤٩.

٢- أنظر هذه الروايه في: سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ٢٢٥، حديث (١٥١٢)، ط دار المعرفه - بيروت؛ تحفه الأشراف للحافظ المزي: ج ٣، ص ١٠٧ حديث (٣٤٣١) ط المكتب الإسلامى؛ روض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٢١٤؛ السيره النبويه لابن كثير: ج ١، ص ٢٦٤، ط دار المعرفه - بيروت؛ مصباح الزجاجه للبوصرى: ج ١، ص ٢٧٠، حديث (٥٤٦)؛ الاكتفاء للكلاعى الأندلسى: ج ١، ص ٢٠٠؛ النهايه فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ج ٤، ص ٢٢٨؛ مسند الفريابى: ص ٢١٥؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢، ص ٣٢؛

وقد كشفت لنا هذه الرواية عن حقيقته الزمن الذي ولد فيه أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من خلال هذه القرائن:

١. قولها عليها السلام: «يا رسول الله»، دليل على أنه ولد في الإسلام.

٢. قولها: «درت لبينة القاسم»، وهو نزول اللبن من ثدى الأم المرضع بعد امتلائه بدون إرادتها، وبخاصه في حالة الجوع عند الطفل، أو امتناعه من الرضاعة وفي الأغلب يرافق هذا الامتلاء آلام في صدر الأم، وهذا يعني أن القاسم توفي في أثناء فتره رضاعته، فلذلك كانت تتمنى لو أن الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه.

٣. قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن إتمام الرضاعة في الجنة».

قرينه أخرى تدل على أنه ولد في الإسلام.

٤. قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ١٥٤

«إن شئت دعوت الله فأسمعك صوته».

يبين لنا إحدى خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسماعها صوت القاسم وهو في الجنة إن شاءت ذلك، وهو مما من الله به على الأنبياء من إجابته الدعاء وظهور المعجزات التي تعدّ خرقاً لقوانين الحياه.

٥. قولها عليها السلام:

«بل أُصدق الله ورسوله».

يكشف لنا عن عظم منزلتها ورسوخ إيمانها وتصديقها بالله ورسوله.

وقد أشار السهيلي إلى أن هذا القول يكشف أيضاً عن فقهها، فإنها كرهت أن تؤمن بهذا الأمر معاينه، فلا يكون لها أجر التصديق والإيمان بالغيب، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب(١).

٦. بينما استدلل الحافظ ابن حجر العسقلاني بهذه الرواية على ولاده القاسم في الإسلام، فقال بعد أن أوردها: (وهذا ظاهر جداً في أنه مات في الإسلام)(٢).

وفي موضع آخر، قال: (وهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة)(٣).

فإذا كان القاسم قد ولد في الإسلام فمن البديهي أن الذين ولدوا بعده

ص: ١٥٥

١- الروض الأنف للسهيلي: ج ١، ص ٢١٥، ط دار الفكر.

٢- الإصابه في تمييز الصحابه لابن حجر: ج ٥، ص ٥١٦ و ج ٥، ص ٣٩٠؛ سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى: ج ١١، ص ١٩.

٣- الإصابه: ج ٥، ص ٥١٥ و ج ٥، ص ٣٨٩، ط دار الكتب العلميه.

ولدوا أيضاً في الإسلام، وهذا من دون النظر إلى صحه العدد الذي أنجبه أم المؤمنين خديجه عليها السلام؛ لأن لنا رأياً آخر يختلف عن جميع ما ذكره المؤرخون؟!، لأن الحقيقه التي بدأت تظهر أمامنا شيئاً فشيئاً تحكى لنا عن صورته تختلف عما نقلتها أقلام الذين كتبوا عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث كل شيء خاضع وساقط لما يسوده من الأدله والبراهين فيما إذا عرض على طاولة البحث العلمى والموضوعى البعيد عن الميول والأهواء النفسيه، حيث لا حكم إلا للعقل فيما يعرضه النقل من اليينه.

ثانياً: ومن الوحي شاهد ينص على ولادته في الإسلام

فضلاً عما ذكر، فلقد كان الوحي هو الشاهد الثانى الموصل إلى معرفه ولاده القاسم؛ حيث أضاف قسم من الحفاظ، والمفسرين شاهداً آخر إلى حقيقه ولاده القاسم ووفاته في الإسلام، ولكن هذه المره من طريق آخر غير الروايه التي ذكرت سابقاً، معتمدين هنا على ما رافق هذه الحادته من نزول للوحي.

١ - أخرج الزبير بن بكار، وابن إسحاق، وابن عساكر، والبيهقى، والدولابى، وغيرهم، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال:

«توفى القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكه فمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آت من جنازته، على العاص بن وائل وابنه عمرو، فقال حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنى لأشئوه، فقال العاص بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتراً فأنزل الله:

(إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (١) .

٢ - وفي روايه لما مات القاسم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال العاص بن وائل السهمي: دعوه فإن الرجل أبتري، لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره(١).

ص: ١٥٧

١ - صفوه التفاسير للصابوني: ج ٣، ص ٥٨٦؛ تفسير القرآن لمحمد علي الدرّه: ج ١٠، ص ٤٨٧؛ تفسير ابن كثير ولم يذكر اسم القاسم: ج ٧، ص ٣٨٩؛ تفسير البغوي: ج ٤، ص ٥٣٤؛ تفسير ابن كثير: ج ٤، ص ٥٩٨؛ معالم الفتن، سعيد أيوب: ج ١، ص ١٧٤.

٣ - وقال آخرون: إنها نزلت عندما توفي ابن لخديجه ولم يسموه (١).

٤ - بينما جمع القسم الآخر من المفسرين بين موت القاسم وموت عبد الله، في نزول الآية (٢)، لأن الفارق بينهما في الوفاة هو أيام قليلة إذ لم يبقَ عبد الله بعد وفاه القاسم أكثر من شهر (٣).

ومن خلال هذا الفارق الزمني القليل، يتأكد لدينا: أن ولادة القاسم ووفاته كانت في الإسلام.

٥ - وإذا أخذنا بعين الاعتبار الشهره التي رافقت ولادة عبد الله عند الجمهور في كونه ولد في الإسلام، لذلك سمي (بالطيب والطاهر) يثبت عندنا أن ولادة القاسم ووفاته كانت في الإسلام أيضاً.

٦ - إذا نظرنا إلى الترتيب السورى للقرآن الكريم من حيث النزول، نرى أن سورة الكوثر تحمل الرقم (١٤) (٤) وهذا يعنى أن القاسم ليس فقط ولد في الإسلام، بل يبين لنا أنه ولد بعد مضي فتره على مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الفتره تتناسب مع وقت نزول السوره.

ص: ١٥٨

١- معالم التنزيل للبعوى: ج ٤، ص ٥٣٤؛ تفسير الخازن المعروف ب - «لباب التأويل في معاني التنزيل» للبعدادى: ج ٧، ص ٣٠٥.

٢- فتح القدير للشوكاني: ج ٥، ص ٦١٧؛ التفسير الكبير للرازي مجلد: ج ١٦، ص ١٣٤؛ روح المعاني للآلوسى: ج ٢٩، ص ٤٤٥؛ الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٥؛ الدر المنثور للسيوطى: ج ٨، ص ٦٥٢؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٣٤٩.

٣- تاريخ يعقوبى: ج ١، ص ٣٥١.

٤- الإتيقان للسيوطى: ج ١، ص ١٠؛ البرهان للزركشى: ج ١، ص ١٩٣ عن ابن عباس.

إشارة

إن حقيقة ولاده القاسم في الإسلام كانت تبدو واضحة وثابتة عند بعض حفاظ المسلمين.

فلذلك لم يروا أن هنالك حاجة لذكر أدله تؤكد ما قالوا، فنسخت أقلامهم ما كانوا يعتقدون به في شأن القاسم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقة ولادته.

ألف: روايه الدولابي (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ -)

(١)

(

فلقد أخرج الدولابي، عن قتاده بن دعامة (٢)، قال: تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية خديجة بنت خويلد وهي أول من تزوجها فولدت له في الجاهلية (عبد مناف) وفي الإسلام غلامين، وأربع بنات، (القاسم) وبه كان يكنى، فعاش حتى مشى؛ و (عبد الله) فمات صغيراً، ومن النساء: فاطمه، ورقية، وأم كلثوم، وزينب (٣).

ص: ١٥٩

١- محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصاري الوراق، الرازي، الدولابي (أبو بشر)، محدث، حافظ، مؤرخ، وسمع الحديث بالشام والعراق، وتوفي وهو بطريق مكة بالعرج في ذي القعدة، من آثاره: الكنى والأسماء، الذرية الطاهرة. معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله: ج ٨، ص ٢٥٥.

٢- هو قتاده بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة سبعة و قيل ثمان عشرة ومائة؛ التقريب: ج ٢، ص ١٢٣. الشذرات: ج ١، ص ١٥٣.

٣- الذرية الطاهرة للدولابي: ص ٦٤؛ البدء والتاريخ للمقدسي: ج ٤، ص ١٣٩؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٢؛ السير الحلييه: ج ٣، ص ٣٩٢؛ الروض الأنف للسهيلي: ج ٢، ص ١٦١؛ عين اليقين للكيلاني: ص ٩٥، تسميه أزواج النبي وأولاده.

(١)

ذكر أبو عبيده البصرى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ -: (أن خديجه ولدت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم القاسم فى الإسلام وعاش حتى مشى) (٢).

جيم: روايه ابن رسول (المتوفى سنة ٦٩٦ هـ -)

(٣)

بينما ذهب ابن رسول إلى أن خديجه عليها السلام: (ولدت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الجاهليه عبد مناف، والباقون ولدتهم كلهم فى الإسلام) (٤).

ص: ١٦٠

١- مما يؤسف له أن هذا المصدر لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر ضمن مكنتات كربلاء - مع تفصيرى فى البحث - وحيث أننى حينما نقلت منه هذه المعلومه كنت حينها فى مدينه دمشق الشام، فيما كنت أنهل من مصادر مكتبه الأسد العامه. وعليه لم أوفق إلى بيان ترجمه أبى عبيده البصرى صاحب كتاب تسميه أزواج النبي وأولاده.

٢- كتاب تسميه أزواج النبي وأولاده: ص ٤٨.

٣- السلطان الملك الأشرف عمر بن الملك المنصور عمر بن رسول التركمانى الأصل الغسانى، وهو ثالث ملوك آل رسول باليمن وقد اشتغل الأشرف فى طلب العلم فى أيام إمارته وقرأ الفقه والحديث والنحو، إلا أنه برع فى الأنساب وفى الطب وألف فى علم الفلك. أما عنايته بالأنساب وبراعته فيها فتظهر فى الكتب التى ألفها، فقد ألف كتاب طرفه الأصحاب فى تحفه الآداب فى التواريخ والأنساب، وكتاب جواهر التيجان. أنظر: (مقدمه كتاب طرفه الأصحاب: ص ٣٦، طبع دار صادر بيروت بتحقيق ك. وسترستين).

٤- طرفه الأصحاب: ص ٦٨.

(١)

وقد صرح ابن حجر العسقلاني بهذه الحقيقه من خلال لفظين أوردهما في الإصابه فقال في اللفظ الأول: (وهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثه) (٢) وفي اللفظ الثاني: (وهذا ظاهر جداً في أنه مات في الإسلام) (٣).

المسأله الثالثه: عمر القاسم عليه السلام

بعد ما قدمنا من الشواهد والأدله التي أثبتت لنا ولاده القاسم في الإسلام؛ بقي أن نذكر كم كان له من العمر حين توفى.

وقد اختلف في مبلغ عمره حين الوفاه على سبعة أقوال، إلا- أنهم لم يختلفوا في كون القاسم أول من مات من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في جنازته، وقد نظر إلى جبل من جبال مكه:

«يا جبل لو أن ما بى بك لهدك» (٤).

ص: ١٦١

١- شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلانى الشافعى صاحب أشهر شرح لصحيح البخارى أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهره، وولى القضاء بمصر مرات عديده ثم اعتزل وله مصنفات عديده من أشهرها الإصابه، لسان الميزان، ألقاب الرواه، تهذيب التهذيب، تعجيل المنفعه بزوائد الأئمه الأربعة، وغيرها. الأعلام للزركلى: ج ١، ص ١٧٨.

٢- الإصابه: ج ٥، ص ٥١٥.

٣- الإصابه: ج ٥، ص ٥١٦.

٤- تاريخ اليعقوبى: ج ١، ص ٣١٥.

وكان للقاسم حين توفى:

١. أربع سنين(١): وهو بعيد؟ لأنه لا يقال لمن بلغ أربع سنين إنه لم يتم رضاعه.

٢. بلغ أن يركب على الدابة ويسير على النجيه(٢): وهذا أبعد من القول السابق؛ لأنه يحتمل الزيادة على أربع سنوات، بل قد يتطلب هذا الفعل من الصبي أن يكون قد ناهز العشر السنوات؟! وهذا يلزم أن يكون القاسم معروفاً لدى أهل مكه! وهذا ما لم ينص عليه أحد من المؤرخين ولا أصحاب السير.

٣. عاش حتى مشى(٣): وهذا قريب جداً لما ذكرناه من كونه لم يتم رضاعه، فإن الطفل يمشى بعد مضي سنه على ولادته غالباً؛ وبخاصه إذا أخذنا بعين الاعتبار القوه التي كان يتمتع بها أبناء قريش، وأبناء بني هشام خاصه.

ص: ١٦٢

١- تاريخ يعقوبى: ج ١، ص ٣١٥.

٢- السير النبويه لابن إسحاق: ص ٢٢٩؛ دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٦٩؛ الفتح الربانى للساعاتى: ج ٢٢، ص ١٠١؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٧٩؛ المواهب اللدنيه: ج ٢، ص ٦٠، عن ابن فارس؛ البدايه والنهايه: ج ٢، ص ٢٣٤؛ وسيله الإسلام لابن قنفذ: ص ٦٠؛ ذخائر العقبي: ص ١٥٢؛ السير الحلييه: ج ٣، ص ٣٩١.

٣- راجع الجامع من المقدمات لابن رشد: ص ٦٨؛ السير الحلييه: ج ٣، ص ٣٩١؛ ذخائر العقبي لمحج الدين الطبرى: ص ١٥٢؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨١٨؛ المواهب اللدنيه للقسطلاننى: ج ٢، ص ٦٠؛ الإصابه لابن حجر: ج ٥، ص ٥١٥؛ الوفا لسبط ابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٥؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٢، ص ٢٣٤؛ روح المعانى للآلوسى: ج ٢٩، ص ٤٤٥؛ الفتح الربانى للساعاتى: ج ٢٢، ص ١٠١.

٤. عاش سنتين (١): ومن بلغ سنتين من عمره يكون قد تم رضاعته، فهو على هذه الحال يكون بعيداً أيضاً عن الروايه.

٥. عاش سبعة عشر شهراً (٢): أى أنه بلغ من العمر سنه وخمسه أشهر، وهو قول يتناسب بشكل كبير مع الروايه التى ذكرت بكاء خديجه عليها السلام على القاسم وأنه لم يتم رضاعه.

٦. عاش أياماً يسيره (٣)؛ قريب، لأنه يتفق مع الروايه.

٧. عاش سبعة أيام (٤): قريب من الروايه السابقه أيضاً فى كونه لم يكمل رضاعه.

إلا أنى أجد الروايه التى تقول بأنه: «عاش حتى مشى» والأخرى التى تقول: «عاش سبعة عشر شهراً»، أصح الأقوال لما يلى:

ص: ١٦٣

١- السيره النبويه للنووى: ص ٢٨؛ العقد الثمين للفاسى: ج ١، ص ٢٧٠؛ الوفا: ج ٢، ص ٦٥٥؛ نهايه الإيجاز للطهطهاوى: ص ٦٦؛ المواهب اللدنيه: ج ٢، ص ٦٠؛ صفه الصفوه: ج ١، ص ٦٩؛ نور الأبصار للشبلنجى: ص ٤٣؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٣٩١؛ إسعاف الراغبين: ص ٨٢؛ ذخائر العقبى: ص ١٥٢؛ الإصابه لابن حجر: ج ٤، ص ٥١٥.

٢- المواهب اللدنيه للقسطلانى: ج ٢، ص ٦٠؛ عن المفضل بن غسان الغلابى لشيخ ابن أبى الدنيا؛ الإصابه لابن حجر: ج ٥، ص ٥١٥، وأضاف إلى هذه الروايه قوله (بعد البعثه).

٣- المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٧٩ نقلاً عن ابن حزم.

٤- السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٣٩١؛ المواهب اللدنيه: ج ٢، ص ٦٠؛ عن مجاهد الإصابه لابن حجر: ج ٥، ص ٥١٥.

١. لكونها تتفق بشكل كبير مع كون القاسم لم يتم رضاعه، أى أنه كان قد مضى على رضاعته فتره من الزمن حتى اعتادت الأم على هذا الوضع وكانت تملأها الفرحه؛ لأنها رزقت بأول مولود لها، وقد ملأ حجرها، مستأنسه به، وهى تحنو عليه تغذيه من دمها وروحها.

والأم التى يموت ولدها بعد فتره من ولادته يترك ذلك ألماً كبيراً فى نفسها؛ إذ إنها بعد أن عانت وتحملت كل هذه الآلام من الحمل والولاده، تجد أن حجرها أصبح فارغاً من هذا الطفل الذى لم تكتمل فرحتها به.

فلذلك كانت خديجه عليها السلام تبكى عندما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بها من الألم والحسره على ذلك الطفل الذى لم يتم رضاعه... بكت لأن اللبن دّر من صدرها فذكرها بتلك اللحظات التى كانت تضعه فى حجرها وتطمعه... وهى تبكى لأنها أدركت معنى الأمومه بكل ما تحمل هذه الكلمه من عاطفه تملكها المرأه.

٢. ذكرنا سابقاً ما أخرجه الحفاظ والمفسرون فى سبب نزول سوره الكوثر، وقد جمع بعضهم بين موت القاسم وموت عبد الله الذى لم يبقَ بعد أخيه أكثر من شهر، فهذا يستلزم أن يكون القاسم قد بلغ من العمر من نحو السنه، وهو ما تحتاجه المرأه من الوقت لكى تحمل وتنجب طفلاً آخر.

وبهذا يرجح القول القائل: ببلوغ القاسم سبعة عشر شهراً ثم توفى؟ أو انه عاش حتى مشى.

أما سبب تمسكنا بروايه (دخول النبى صلى الله عليه وآله وسلم على خديجه وهى تبكى...) فهو للأموور التاليه:

١. لكونها تدل على موت القاسم صغيراً.

٢. لأنها تتناسب مع الحالة التي مرَّ بها أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كونهم توفوا في أثناء الرضاعة، وهذا ما ذكره جل المؤرخين، وهو الذي دعاهم لعدم ذكر سيرتهم؛ لأنهم توفوا وهم صغاراً.

٣. فضلاً عن أن خديجه عليها السلام بعد وفاه عبد الله الذي سرعان ما لحق بأخيه، قد أبطأ عليها الولد(١)، مما دعا بأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى القول: بأنه أصبح أبتراً، فإذا مات انقطع ذكره.

فكان هذا القول سبباً في تدوين الحادثة قرآنيّاً وتاريخياً؛ كي تحفظ حقيقته ولاده القاسم وموته في الإسلام.

ولعل حكمه الله اقتضت أن يموت ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذكور وهم صغاراً، كما هو الحال بالنسبة لإبراهيم الذي ولدته ماريه القبطية(٢)، وإنهم لم يتموا رضاعهم، لينالوا بقيه نصيبهم من حجر الأومه عند الحور العين في الجنة، ولتنال فاطمه كل ما تستحق من حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللامتناهي لها ولزوجها وولديها صلوات الله عليهم أجمعين.

ولعل من مظاهر حكمه الله تعالى أيضاً أن يكون هذا الحال (أى موت القاسم وعبد الله وهم صغاراً) دليلاً على حقيقته بنات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيسجل التاريخ والوحي هذا الحدث؛ ليكون أحد الأدلة الكاشفة عن هذه الحقيقه وما تلاعبته أيدي الضلال في سيره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٦٥

١- الدر المنثور للسيوطي: ج ٨، ص ٦٥٢.

٢- الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ٢١٦، وذكر أنه توفى وهو ابن ثمانية عشر شهراً.

وبناءً على ما تقدم فإن ثمة سؤالاً بدأ يفرض نفسه في ساحه الذهن، قائلاً:

إذا كان القاسم وهو الابن الأكبر قد ولد في الإسلام، وبقي أشهراً معدوده، قد اجتازت السنه، ثم مات ولم يتم رضاعه، محروماً من حجر الأم التي امتازت عن جميع أمهات الدنيا، برقه القلب، وغزاره العاطفه التي أخبرت عنها بلسان فصيح دموعها التي تساقطت عليه لكونه مات صغيراً ولم يفطم بعد، ثم تأخذها الأمنيات ببقائه وعدم موته، لا لأجل أن تهنأ به، بل لأجل أن يتم الرضاعه، وكأن هناك فرقاً في موته وهو قد أتم الرضاعه أو موته ولم يتمها، لكن هذا الموقف يكشف لنا عن عظم هذه الأم.

ويمضى السؤال مخاطباً العقل، قائلاً: ثم إن هذه الولاده جاءت بعد مضى زمن على بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ربما كانت سنه، أو أكثر، بحيث أن كثيراً من المؤرخين ذكروا: أن خديجه عليها السلام رزقت بمولود في سن الحاديه والأربعين (1) إلا- أنهم قالوا إن المولود كان أنثى، ولعل الصحيح أن هذا المولود هو القاسم، وليس أنثى كما ذكروا، لما قدمنا من الأدله في هذا البحث.

وإذا أضفنا مقدار عمر القاسم إلى سنه (إحدى وأربعين) فإن وفاته تكون

ص: ١٦٦

١- دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٧١؛ مستدرک الحاکم: ج ٣، ص ١٦٣؛ تاريخ اليعقوبى: ج ٢، ص ٢٠؛ المواهب اللدنيه: ج ١، ص ١٩٨؛ التبيين فى أنساب القرشيين: ص ٩١؛ مختصر تاريخ دمشق: ج ٢، ص ٢٦٩؛ نهايه الإرب: ج ١٨، ص ٢١٣.

فى السنه الثالثه من البعثه وهى نفس السنه التى توفى فيها عبد الله؛ إذ لم يبقَ طويلاً بعد القاسم، ثم يبطأ على خديجه عليها السلام الولد(١) فلا تلد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد مضى فتره من الزمن لعلها سنتان، وهو ما يبدو جلياً لنا فى باب مولد الزهراء عليها السلام، إذ إنها ولدت فى السنه الخامسه على الصحيح من بعد البعثه.

والسؤال الذى يصرخ فى محكمه العقل: هو متى وُلدت بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث: (زينب، ورقيه، وأم كلثوم)، اللواتى تزوجن، وأنجن، كما ذكرنا؟!!

ومنهنّ من هاجرت وألقت علقه فى السفينه فى السنه الخامسه من البعثه النبويه المباركه، أى بعد مضى سنتين على موت القاسم، بكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

فمتى ولدت؟! ومتى تزوجت من زوجها الأول عتبه بن أبى لهب؟! ومتى تزوجت من زوجها الثانى عثمان بن عفان؟! ومتى هاجرت؟! ومتى ألقت ما فى بطنها علقه؟! أيجرى كل هذا لبنت عمرها سنه، أو لعلها لم تولد بعد؟!!

إن الصوره التى نقلتها أقلام المؤرخين من جعل (زينب، وأم كلثوم، ورقيه) بنات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، من صلبه، وقد ولدتهن خديجه، هو مجرد خلط والتباس؟! والذى يبدو هو أنهن ربائبه.

لأن الحججه القائمه، فى ولاده الابن الأكبر فى الإسلام، وبعد مضى زمن

ص: ١٦٧

من البعثه يجعل عمليه إنجاب أربع بنات أمراً مستحيلاً مع فتره عمر خديجه فى الإسلام، ومع ما ساقته لنا كلمات المحدثين، فى سرد أحوالهن من زواج وإنجاب وهجره؛ وكل هذا يستلزم أن تكون ولادتهن قبل النبوه بزمن طويل، وهذا خلاف ما اعتمده أهل القبلة من كون أول مولود ولد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو القاسم، وأنه ولد ومات فى الإسلام.

فلا- يبقى أمامنا إلا- أن نقول إنهن ربائنه، كبرن وترعرعن فى كنفه، ورببن فى حجره، فأصبحن بناته، من هذا القبيل، لسن من صلبه، ولم تلدهن خديجه، وسيأتى المزيد من التفصيل فى المباحث اللاحقه بعونه تعالى.

المبحث الثانى: عبد الله الابن الثانى لخديجه عليهما السلام

إشاره

وها هى أم المؤمنين خديجه عليها السلام ترف إلى البيت النبوى مولوداً آخر لتضفى به أريجاً من أريج النبوه، إلى هذه الأسره المباركه، وبرعماً جديداً من البراعم الهاشميه، فيستقبله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تغمره الفرحه، ويختار له اسماً جميلاً، وهو من خير الأسماء لأنه عبد الله.

نعم هذا هو الاسم الذى سمى به الحبيب مولوده الجديد، وهو ما كان لأبيه من الأسماء.

وكما أن حال كل أب فإنه يسعد كثيراً عندما يرزق بمولود آخر، كذلك كان حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه سعد بهذا الابن وسعاده كانت لسببين:

السبب الأول، لكونه الولد الثانى. والسبب الآخر، لأن أمه هى خديجه

سلام الله عليها، التي فضلها الله على غيرها من النساء، بالإيمان، والجهاد، وبالجمال، والمال، والحسب، والنسب، والولد، فهي التي حظيت بهذا كله، وهي التي طالما كان يذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام زوجاته(١).

المسألة الأولى: لا خلاف على ولادته في الإسلام

ذهب أكثر العلماء إلى أن ولاده «عبد الله» كانت في الإسلام ولشهره هذا الحدث بين الصحابة فلقد لقب ب - (الطيب) و (الطاهر)(٢) وهو ما اعتمده حفاظ

ص: ١٦٩

- ١- أنظر: صحيح البخارى حديث رقم «٣٨١٦» من فتح البارى؛ ومسلم فى صحيحه برقم (٢٤٣٥) والترمذى برقم (٣٨٨٥).
- ٢- سيره ابن سعد: ص ٢٩؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨١٩؛ السير النبويه للنووى: ص ٢٨؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٣٤٩؛ السير النبويه لابن كثير: ج ١، ص ٢٦٤؛ تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى: ص ٣٠٠؛ الاكتفاء للكلاعى: ج ١، ص ١٩٩؛ المختصر الصغير لابن جماعه: ص ٦٨؛ الجامع من المقدمات لابن رشد: ص ٦٧؛ الفتح الربانى للساعاتى: ج ٢٢، ص ١٠٢؛ المختصر الكبير: ص ٨٠؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٢؛ نور الأبصار للشبلنجى: ص ٤٣؛ دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٧١؛ عيون الأثر: ج ٢، ص ٣٦٣؛ المختصر الندى: ص ٤٥؛ ذخائر العقبى: ص ١٥٢؛ إسعاف الراغبين: ص ٨٢؛ نهايه الإيجاز: ص ٧٥؛ المواهب اللدنيه: ج ٢، ص ٦٨؛ الوفا: ج ٢، ص ٦٥٥؛ تاريخ يعقوبى: ج ١، ص ٣٤٠؛ البدايه والنهايه: ج ٢، ص ٢٣٤؛ أنساب الأشراف للبلاذرى: ج ١، ص ٤٩١؛ العقد الثمين: ج ١، ص ٢٧١؛ أوجز السير للرازى: ص ٢١؛ جواهر السير النبويه: ص ٣٢؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٣١٩؛ صفه الصفوه: ج ١، ص ٦٩؛ سيره مغلطاي: ص ١٠٣؛ رساله الغفران لأبى العلاء المعرى: ج ١، ص ٨١؛ التبيين فى انساب القرشيين: ص ٨٧؛ المنتظم: ج ٢، ص ٣١٦؛ عيون التواريخ: ج ١،

المسلمين ومصنّفوهم، إلا ما اشتبه على بعض الرواه، إذ جعلوا هذين اللقبين أسماء لأبناء آخرين، وبسبب هذا الخلط اختلفت الروايات في ذكر العدد الذي أنجته سيده خديجه عليها السلام(١).

المسأله الثانيه: الحجه في كونه المولود الثاني

اختلف الرواه في الإشاره بدقه إلى الحمل الثاني للسيده خديجه عليها السلام، في كونها أنجبت ذكراً أم أنثى؟! ولقد نص بعضهم على أنها ولدت بعد القاسم أنثى وهى: (زينب)(٢) بينما قال البعض الآخر: إنها أنجبت ذكراً بعد القاسم وهو (عبد الله) معتمدين في ذلك على ذكر اللقب(٣).

ص: ١٧٠

-
- ١- قد أشرنا إلى هذا الاختلاف في الباب السابق فصل «القاسم ولد ومات في الإسلام» فراجع ذلك.
 - ٢- راجع المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢، ص ٣٩٧؛ دلائل النبوه للبيهقي: ج ٢، ص ٧٠-٧١؛ سيره ابن كثير: ج ١، ص ٢٦٤؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨١٩؛ روح المعاني للآلوسى: ج ٢٩، ص ٤٤٥؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٦٥؛ الفتح الربانى للساعاتى: ج ٢٢، ص ١٠١؛ تلقيح مفهوم أهل الأثر لابن الجوزى: ص ٣٤؛ فتح القدير للشوكانى: ج ٥، ص ٦١٧.
 - ٣- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨١٩؛ حياه سيد المرسلين للآبراشى: ص ٣٦؛ السير والمغازى لابن إسحاق: ص ٢٦٠.

إلا أن الصحيح فيما أنجبت؛ هو أنها أنجبت ذكراً بعد القاسم وهو عبد الله، لما يلي:

أولاً

إن الشهره التي رافقت ولاده عبد الله فى الإسلام تنفى ولاده أحد بنات النبى الثلاث بعد القاسم؟! لأن السيره التى ينقلها الرواه عنهنّ تستلزم أن تكون الثلاث قد ولدنّ قبل النبوه بسنين عده.

ثانياً

إن هذه السيره تستلزم أيضاً أن تكون البنات قد ولدن قبل القاسم، وهذه الحاله مرفوضه أصلاً؟ لأنها تتعارض مع ما اعتمده علماء المسلمين فى كون القاسم هو بكر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً

قد ذكرنا فيما يتعلق بولاده القاسم، الشواهد العديده التى تثبت ولادته فى الإسلام.

وعليه:

فإذا كان هناك وجود لأحد أبناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يجب أن يكون ولد بعد القاسم، لا قبله.

وبهذا يكون عبد الله هو الابن الثانى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وإن ولادته كانت بعد أخيه القاسم وكلاهما ولد فى الإسلام.

ص: ١٧١

المسأله الثالثه: الوحي والإجماع يؤكدان الحقيقه

على الرغم من شهره ولاده عبد الله فى الإسلام عند أغلب علماء المسلمين، فإن هناك من الشواهد الأخرى، ما جعلت حقيقه ولادته بعد النبوه، كالشمس فى رابعه النهار.

إذا لا مجال للخلاف بعد ما نقلته المصادر فى سبب نزول قوله تعالى:

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

قد جاءت بعد وفاه عبد الله (١) بينما ذكر البعض أنها نزلت بعد ولادته، وقد أبطأ على خديجه الولد - أى: الإنجاب بعد هذه الولاده - (٢).

وبعضهم جمع بين موت القاسم، وموت عبد الله، فى سبب نزول الآيه، كما أشرنا إلى ذلك فى المبحث السابق (٣)، وهذا مما يؤكد ولاده أبناء رسول الله

ص: ١٧٢

١- أسباب النزول للواحدى: ص ٥٠٣؛ أنساب الأشراف للبلاذرى: ج ١، ص ٤٩١؛ المواهب اللدنيه للعسقلانى: ج ٢، ص ٦٨؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ٢، ص ٣٦٣؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٨١؛ إسعاف الراغبين: ص ٨٢؛ نهايه الإيجاز: ص ٧٥؛ الوفا للسمهودى: ج ٢، ص ٦٥٥؛ العقد الثمين: ج ١، ص ٢٧١؛ تفسير السراج المنير: ج ٤، ص ٥٩٧؛ التحرير والتنوير لابن عاشور: ج ٣٠، ص ٥٧٦؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ج ١٠، ص ١٩٧؛ روح المعانى للآلوسى: ج ٢٩، ص ٤٤٥؛ زاد المسير لابن الجوزى: ج ٨، ص ٣٢١؛ المحرر الوجيز: ج ١٥، ص ٥٨٦؛ تفسير الرازى: ج ١٦، ص ١٣٣؛ سيره مغلطاي: ص ١٠٣.

٢- الدر المنثور للسيوطى: ج ٨، ص ٦٥٢.

٣- راجع فصل: «ومن الوحي شاهد».

صلى الله عليه وآله وسلم فى الإسلام، وإن وفاه عبد الله، كانت قريبه من وفاه القاسم(١) وهو الأمر الذى جعل بعض الرواه ينسب سبب نزول الآيه إلى القاسم، والبعض الآخر ينسبها إلى عبد الله.

لكن الذى يستفاد منه فى هذه الروايات: أن قريشاً كانت تقول لمن مات ولده من الذكور بتر، فلما مات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم القاسم، وعبد الله بمكه، قالوا بتر فليس من يقوم مقامه(٢).

وبما أن الوفايتين حصلتا فى فتره متقاربه جداً، فقد دفعت بعدو الله ورسوله «العاص بن وائل السهمى» إلى أن يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصفه بالأبتر، وأنه قد انقطع نسله بموت ولديه القاسم وعبد الله.

فإذن:

حقيقه ولاده أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المذكور وهما «القاسم، وعبد الله» ووفاتهما فى الإسلام، يؤكدها الوحى والإجماع، وأنها أصبحت واضحة وراسخه؛ لأنها تستند إلى الدليل النقلى والعقلى.

وهذا هو الحق والصواب وما بعد الحق إلا الضلال.

ص: ١٧٣

١- قال اليعقوبى فى تاريخه: توفى القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبل من جبال مكه فقال: يا جبل لو أن بى ما بك لهدك، وكان للقاسم يوم توفى أربع سنوات، ثم توفى عبد الله بعده بشهر؛ تاريخ اليعقوبى: ج ١، ص ٣٥١.

٢- التفسير الكبير للرازى: ج ١٦، ص ١٣٤، (عن السدى).

المسألة الرابعة: عمر خديجه عليها السلام هو القول الفصل

هناك مسأله أخيره بقيت فى هذا المبحث.

وهذه المسأله أخذت الجانب المهم فى حقيقه عدد أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ بعد أن أثبتنا حقيقه ولاده الابن الأكبر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو «القاسم» ووفاته فى الإسلام.

وأثبتنا أيضاً: أن الابن الثانى بعد القاسم كان (عبد الله) الملقب بالطيب والطاهر، وأنه توفى بعد أخيه بثلاثين يوماً فى مكه، نأتى الآن لتتعرف على مسأله مهمه، وهى: من هو المولود الثالث الذى أنجبته خديجه عليها السلام بعد وفاه عبد الله؟ ونتعرف على حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام بعد أن فقدا ولدين فى أقل من أربعين يوماً؟!!

أما حالهما: فقد بقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه خديجه عليها السلام، يدعوان الله عزّ وجلّ أن يهب لهما ذريه، وابتناً جديداً يعوضهما عما ذهب منهما من الولد.

لكن الذى حدث أن الله قد أخر هذه النعمه عليهما، فقد أبطأ على خديجه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولد، وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر، حتى يمر بقوم من قريش، فينظر إليه أحدهم.

فيقول: قد بتر محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الكلمه، ويشكو أمره إلى الله تعالى، وإذا جبرائيل عليه السلام يجيبه وينقل إليه كلام الحبيب عز وجل،

ويبشره بأن الله أبدله بنعمه عظيمه هي خير له من القاسم وعبد الله.

إن الله قد أعطاه الكوثر وهو (فاطمه عليها السلام) (١).

لأن: التاريخ والسيره والسنه، لم تنقل لنا عن ولاده ثلثه حصلت لخديجه بعد عبد الله سوى فاطمه إذ لا يمكن أن يتصور أن تكون أحد بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث (زينب، وأم كلثوم، ورقية) رضى الله عنهن، قد ولدن بعد عبد الله! لأن سيرتهن تتعارض مع هذه الولاده.

وإذا سلّمنا جدلاً ومجازاً، إنهن ولدن بعد عبد الله، وبعد أن أبطأ على خديجه الإنجاب كما ذكرت الروايه، فلا ندرى كم كان هذا التأخير فى الحمل أكان سنتين، أم ثلاثاً أم هو سنه واحده؟! وهذا كله كما قلنا من باب الافتراض، لأن الحقيقه غير هذا.

والسؤال الذى يفرض نفسه فى مثل هذه الحاله، هو كم بقيت خديجه بعد الإسلام!؟

وبمعنى آخر: كم عاشت من السنين وبقيت فى الإسلام!؟

والجواب: إنها عاشت بعد البعثه عشر سنوات، أى: أنها أدركت من الإسلام «عشر سنوات فقط»، وهو ما ذكره جل المؤرخين، وأهل السير، والحديث (٢).

ص: ١٧٥

١- سنعرض لهذه المسأله بمزيد من البحث والاستدلال.

٢- المنتخب من أزواج النبي للزبير بن بكار: ص ٣٣؛ الذريه الطاهره للدولابى: ص ٦٢-٦٣؛

هذه الفترة من عمر خديجه عليها السلام قد ذهب نصفها لإنجاب ثلاثة وهم: (القاسم، وعبد الله، وفاطمه عليها السلام).

أما ولاده الغلامين فى الإسلام فقد بينا من الأدله فى الفصول السابقه بما فيه الكفايه.

وأما حقيقه ولاده فاطمه عليها السلام بعد عبد الله فهى خاضعه للأدله التاليه:

١. إن سبب نزول سوره الكوثر كان لقول (العاص بن وائل السهمى) ووصفه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالأبتر، لأنه قد مات ولداه.

وهذه الصفه لم يشأ الله تعالى أن تكون عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلذا اقتضت هذه الحادثه تكرار الحمل، وحصوله مره أخرى، لرفع ما نسبته قريش إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأخذت تتناقله فى مجالسها، ووجدوا منه أداه لضرب النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ وإدخال الأذى عليه.

ص: ١٧٤

وهو في نفس الوقت أداة إعلامية للطعن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ كيف يكون نبياً وفي نفس الوقت يتصف بصفه عدم الإنجاب وأنه أبت، فلذلك خاطبه المولى جل شأنه: بأن عدوك هو الأبت، وليس أنت (١) فإذا كان لا بد من حمل ثالث.

٢. لم يذكر أحد من المؤرخين، وأصحاب السير، والأنساب أن خديجه ولدت إحدى بناتها الثلاث (زينب، ورقية، وأم كلثوم) في الإسلام، وإنما أشار بعضهم إلى ذكر ذلك إجمالاً دون تخصيص لإحدى بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ بيانه سابقاً.

٣. اختلف الرواه في ولاده فاطمه عليها السلام على ثلاثه أقوال:

القول الأول: إنها ولدت قبل البعثة (٢).

القول الثاني: إنها ولدت والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عمره إحدى وأربعون، وهذا يعنى بعد البعثة بسنه (٣).

ص: ١٧٧

١- وهو قوله تعالى: (إِنَّ شَائِنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)، سورة الكوثر، الآية ٣.

٢- تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١، ص ٢٧٧.

٣- مستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٦٣؛ دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢، ص ٧١؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ج ٢، ص ٢٦٩؛ نهايه الأرب للنويرى: ج ١٨، ص ٢١٣؛ المواهب اللدنيه للقسلاني: ج ١، ص ١٩٨؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢، ص ٢٠؛ التبيين فى أنساب القرشيين لابن قدامه المقدسى: ص ٩١؛ سيره مغلطاي: ص ٧١؛ البصائر والذخائر لأبى حيان: ج ١، ص ٩١؛ تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١، ص ٢٧٧.

القول الثالث: إنها ولدت سنة خمس من البعثة(١).

وهنا يكون عندنا قولان ينصان على أنها ولدت بعد البعثة، مقابل قول واحد.

وعليه: فإن ولادتها بعد البعثة تكون هي الأرجح.

فضلاً عن... أن هناك روايات تنص على أنها ولدت على رأس البعثة(٢)، أى: سنة أربعين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرى تقول: إنها سنة اثنتين وأربعين(٣)، وهذا يجعل ولادتها بعد البعثة أمراً لا يقبل الشك فيه.

فإذن:

يكون الحمل الثالث لخديجه عليها السلام هو (حملها بفاطمه عليها السلام) وهذا أولاً.

ص: ١٧٨

١- الكافي للكليني: ج ١، ص ٤٥٧، ح ١٠؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٣، ص ١-١٠؛ ودلائل الإمامه للطبري: ص ١٠، وجاء فيه: (أنها ولدت في جماد الآخر يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وذكره المسعودي في مروج الذهب: ج ٢، ص ٢٨٩؛ ذخائر العقبى: ص ٥٢؛ تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٢٧٨؛ عن الإمام أبي بكر أحمد بن نصر بن عبد الله الدراع في كتاب: تاريخ مواليد أهل البيت عليهم السلام.

٢- بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٣، ص ٨؛ تاريخ الخلفاء: ص ٧٥؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ٤٤١، وجاء فيه: (وكان لها يوم تزوجها على بن أبي طالب عليهما السلام خمس عشره سنة وخمسه أشهر)، وذكره أيضاً ابن سيد الناس في منح المدح: ص ٣٥٥.

٣- البحار للمجلسي: ج ٤٣، ص ٩؛ نهاية الأرب للنويري: ج ١٨، ص ٢١٣.

ثانياً: لو أرادت خديجه عليها السلام أن تحمل مره أخرى فإنه سوف يكون بعد السنه الخامسه من البعته النبويه، أى: بعد ولاده فاطمه.

لأن التاريخ الصحيح فى ولادتها هو السنه الخامسه بعد البعته للأمور التاليه:

١. إن الروايه التى تقول إنها ولدت على رأس البعته والأخرى التى ذكرت أنها ولدت سنه إحدى وأربعين، واثنين وأربعين، لا يمكن الأخذ بها؟

لأنها: سوف تتعارض مع الحمل الأول لخديجه عليها السلام الذى حدث فى (الإسلام، أو بعد البعته) كما مرّ بيانه فى ولاده القاسم.

٢. أما الروايه التى تقول: (أنها ولدت قبل البعته بخمس سنوات) (١) فباطله أصلاً! لأنها:

ألف: تقضى أن تكون هى بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا مخالف لإجماع المسلمين.

باء: وهى من وجه آخر تتعارض مع ولاده القاسم وعبد الله فى الإسلام، وهما الحمل الأول والثانى لخديجه عليها السلام.

جيم: قد اشتهر بين علماء المسلمين والرواه والمحققين: أنها عليها السلام كانت أصغر أخواتها، أى: أنها آخر من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يصح أن تكون ولادتها مقدمه على ولاده أخواتها.

وبهذا يثبت أماننا أنها ولدت سنه خمس من البعته.

ص: ١٧٩

إذن:

إذا كان هناك حمل آخر لخديجه، فإنه يكون بعد السنه الخامسه من البعته. وبمعنى أدق: إن أى حمل سوف يكون خلال السنوات الأربع المتبقية من عمر خديجه عليها السلام؟! والسبب: إن كل ما عاشته بعد البعته (عشر سنوات)؟

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو:

كم تحتاج المرأة من السنين كى تنجب ثلاثه؟

فعلى أقل تقدير أنها تحتاج إلى ثلاث سنين، لكل حمل سنه، وهذا بدون النظر إلى رضاعه كل مولود.

وهذا يعنى: أن (زينب) يكون عمرها عندما توفيت خديجه أربع سنوات!، ويكون عمر (رقية) سنتين!

فكيف يمكن لطفله عمرها سنتان أن تتزوج مرتين، كما يحدثنا التاريخ عن سيره رقيه؟! وأنها هاجرت وألقت ما فى بطنها علقه فى السفينه (1)؟! وإذا احتملنا أن تكون ولادتها فى السنه السادسه أو السابعه، أو الثامنه من البعته لأنها بين ثلاث أخوات ولدن لخديجه بعد ولاده فاطمه، فإن رقيه جرى عليها كل ذلك قبل ولادتها ب - (1-3) سنين!؟

أما إذا اعتمدنا على النص القرآنى فى تحديد مده الحمل والرضاعه، هو قوله تعالى:

ص: ١٨٠

١- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٢، ص ٧٧.

(حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۱).

وقوله تعالى:

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۲).

فبالاعتماد على هذا التحديد الذى جاء به القرآن، فإن الأم تحتاج لكل مولود حملاً ورضاعه إلى سنتين ونصف، وهى (الثلاثون شهراً).

أى: أنها تحتاج لكى تنجب ثلاثة أولاد وترضعهم إلى ثمانى سنوات.

وعليه: فإن (أم كلثوم، ورقية) ولدتا بعد وفاه خديجه عليها السلام!!

فإذن:

لا يمكن عدُّ (زينب، وأم كلثوم، ورقية) رضى الله تعالى عنهن، قد ولدتهن خديجه عليها السلام خلال هذه السنوات التى عاشتها بعد ولاده فاطمه، أى هذه السنوات الأربع الأخيره من عمرها المبارك.

كما لا يمكن أنها ولدتهن قبل البعته؛ لأن ذلك مخالف لما اشتهر من كون القاسم هو بكرها، كما أنه مخالف أيضاً من كونها قد ولدت أولادها بعد البعته، وأنهما، أى القاسم وعبد الله ماتا ولم يتما رضاعتهما، كما مرَّ بيانه.

ولذا فإن عمرها المبارك الذى عاشته بعد البعته، هو القول الفصل فى تحديد عدد أبنائها الذين أنجبتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٨١

٣. إنها لم تنجب فى هذه السنوات القليلة إلا ثلاثة أبناء، وهم غلامان (القاسم وعبد الله) وبنت واحدة هى الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام.

بقى سؤال أخير... لعله يطرق أذهان بعض القراء الكرام وهو:

لماذا لم تنجب سيدتنا ومولاتنا خديجه الكبرى عليها السلام خلال الفتره التى عاشتها قبل البعثه، أى خلال الخمس عشره سنه؟ ثم ليكون إنجابها لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السنين العشر الأواخر من عمرها؟!!

والجواب: هو أن الذى جعل ثمانى زوجات لا ينجبن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهنّ من كان لها الولد من غيره كأم سلمه رضى الله عنها... هو ذاته جلت قدرته وعزّ شأنه، جعل إنجاب خديجه يكون بعد البعثه لا قبلها، فسبحان من بيده الأمر من قبل ومن بعد، وإليه ترجع عاقبه الأمور.

ولذلك.. قبل أن أنتقل إلى الفصل الرابع من هذا الجزء الذى سيدور حول معرفه بقيه الأدله التى تؤكد حقيقه (أن فاطمه واحده أبيها)، فإنى أسأل الله أن يوفقنى لما يرضاه، وأن أضع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عملاً أنال به رجاء شفاعته، وشفاعه عترته صلوات الله عليهم أجمعين، وأن يتقبله الله منى لينقذنى به يوم حشرى، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .١)

الفصل الرابع: بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين النقل والعقل

اشاره

ص: ١٨٣

إشاره

ما زلنا فى الحديث عن أبناء خديجه عليها السلام، وقد تحدثنا عن اثنين من أبنائها، وهما (القاسم وعبد الله).

وبقى أن نتحدث عن بقية بناتها أو ربائبها الثلاث (زينب، وأم كلثوم، ورقية) - وإن شئت أيها القارئ سمهن بناته صلى الله عليه وآله وسلم أو ربائبه، حتى تصل إلى أرجح التسميتين بنفسك - فلكونهن رضى الله عنهن، قد نشأن فى بيت أم المؤمنين خديجه عليها السلام، وكُنَّ تحت رعايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنى أحببت أن أتناول بعض النقاط المهمه فى حياتهن موضعاً لبعض الجوانب التى لها علاقه بهذا البحث، والتى تشكل بقية الحلقات المتصله بموضوع الكتاب.

المسأله الأولى: ماذا يقول النقل عن زينب ؟

إشاره

لم يعرض لنا النقل عن بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث «زينب، ورقية، وأم كلثوم» جوانب موسعه من حياتهن، وتفصيل معيشتهن، ومعايشتهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو لا يكاد يمر عليهن إلا- مرور الكرام، وإذا أراد أن يتحدث فإنه يشير إلى أزواجهن أكثر مما يشير إليهنّ ومدى علاقتهنّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الحالة تثير موجه من الأسئلة في ذهن المتتبع ولقد قمت بعرضها في فصل (ماذا يقول العقل) الذي جعلته داخلاً في حياه كل واحده منهن، وذلك من أجل الحفاظ على ترابط الموضوع، وتماسك نقاط البحث، ساعياً إلى معرفه حقيقه نسبتهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل هي نسبه بنوه أم ربيبه ومن الله التوفيق.

فماذا يقول النقل عن زينب عليها السلام؟

أولاً: إنها أكبر أخواتها

إنها البنت الأولى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: وقد اشتهر بأنها أكبر أخواتها(١)، وأن ولادتها كانت في الثلاثين(٢)؛ من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: متى تزوجت؟

أما زواجها: فكان من أبي العاص بن الربيع، قبل النبوه(٣)، وقيل بعدها(٤)، وقد أسلمت بينما بقي زوجها على شركه.

ص: ١٨٦

-
- ١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ج ٤، ص ٤٢؛ الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٤٨؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠١؛ دلائل النبوه البيهقي: ج ٢، ص ٧٠؛ حياه الصحابه: ج ١، ص ٢٩٢.
 - ٢- جامع الأصول لابن الأثير: ج ١٢، ص ٢٧٤؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٣؛ التبيين في أنساب القریشيين للفاسي: ص ٨٨؛ مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٤٤؛ والذهبي في تخليصه على المستدرک: ج ٤، ص ٤٤.
 - ٣- طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ١٤٠، من روايه الواقدي.
 - ٤- سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠١.

ثالثاً: هجرتها من مكة مع زيد بن حارثة

ثم يركز النقل على عملية انتقالها من مكة إلى المدينة، وهي هجرتها، هذه الهجرة التي تمت بالشكل التالي:

عن عائشه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة، أو ابن كنانة فخرجوا في أثرها، فأدركها هبار بن الأسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها وأهراقت دمًا، فحملت. فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقال بنو أمية: نحن أحق بها، وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص، فصارت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: هذا بسبب أبيك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد بن حارثة:

ألا تنطلق فتجيئني بزینب.

قال: بلى يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

فخذ خاتمي فأعطها إياه.

فانطلق زيد وترك بعيره فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً، فقال: لمن ترعى؟ قال: لأبي العاص، قال: فلمن هذه الغنم؟ قال: لزینب بنت محمد، فسار معه شيئاً ثم قال له: هل لك أن أعطيك شيئاً، تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم فأعطاه الخاتم، فانطلق الراعي فأدخل غنمه وأعطاه الخاتم،

فعرفته فقالت: من أعطاك هذا؟ قال رجل، قالت: وأين تركته، قال: بمكان كذا وكذا. قال: فسكت.

حتى إذا جاء الليل خرجت إليه فلما جاءته قال: لها اركبي، قالت: لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت وراءه. حتى أتت.

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أفضل بناتي أصيبت فيّ».

فبلغ ذلك على بن الحسين - عليهما السلام - فانطلق إلى عروه فقال: ما حديث بلغني عنك تحدث به تنتقص به حق فاطمه - عليها الصلاة والسلام -.

قال عروه: والله إنني لا أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأن انتقص فاطمه عليها السلام حقاً هو لها، وأما بعد فإن لك أن لا أحدث به أبداً(١).

وبعد أن وفقت في الوصول إلى المدينة بقيت هناك إلى أن خرج زوجها في قافلة لقريش سنة ست من الهجرة النبوية متجهاً إلى الشام، فانتدب لها زيد في سبعين ومائه راكب، فلقوا القافلة فأخذوها وأسروا أناساً، منهم أبو العاص(٢).

فأرسل إلى زينب أن خذي لي أماناً من أبيك، فخرجت فاطمت راسها من باب حجرتها والنبى صلى الله عليه وآله وسلم في الصبح يصلى بالناس

ص: ١٨٨

١- التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٣٤؛ تاريخ القضاعى: ص ١٣٦؛ مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٤٣؛ التبيين فى أنساب القريشيين: ص ٨٩؛ تاريخ الذهبى للمغازى: ص ١٢١-١٢٢.

٢- الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٦٦؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٢.

فقلت أيها الناس إني زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإني قد أجزت أبا العاص.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة، قال:

«أيها الناس إنه لا علم لى بهذا حتى سمعتموه ألا وإنه يجير على المسلمين أذناهم»^(١).

وفى روايه أخرى عن الزهري، عن أنس قال: قالت زينب قد أجزت أبا العاص فأجاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم جوارها^(٢).
ثم سألت، أن يرد عليه متاعه، ففعل، وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً.

فرجع إلى مكه، فأدى إلى كل ذى حق حقه، ثم رجع مسلماً مهاجراً فى محرم سنه سبع، فردَّ عليه زينب بذاك النكاح الأول^(٣).

وقيل: وردها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أبى العاص بنكاح جديد ومهر جديد^(٤).

ص: ١٨٩

١- مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٣.

٢- المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٥؛ وذكره الذهبي فى تخليصه.

٣- طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ٣٣؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٣؛ مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٦.

٤- أخرجه أحمد فى المسند (٦٩٣٨) والترمذى فى النكاح (١١٤٢) باب (٤٢) ما جاء فى الزوجين المشركين يسلم أحدهما؛ وابن سعد فى طبقاته: ج ٨، ص ٣٢؛ والذهبي فى سير أعلام النبلاء، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٢.

وكانت قد أنجبت له أى قبل إسلامه مولودين؛ ذكراً واسمه (على) أردفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح على راحلته ومات صغيراً^(١).

وأنتى واسمها (أمامه) التى حملها النبي فى الصلاة، وبلغت حتى تزوجها الإمام على عليه السلام بعد موت فاطمه الزهراء عليها السلام، ولم تلد له، ثم تزوجها بعد موت الإمام على عليه السلام المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له يحيى وبه يكنى وماتت عند المغيرة، وقيل إنها لم تلد له^(٢).

رابعاً: وفاتها أم اغتيالها؟

أما وفاتها: فكانت سنة ثمان من الهجرة^(٣)، والسبب فى ذلك هو أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدركها هبار بن الأسود، ونافع بن عبد عمرو، وقيل الحويرث فدفعها أحدهم فسقطت على صخره فأسقطت حملها، إذ كانت حاملاً فاهراقت الدم فلم يزل بها وجعها حتى ماتت منها^(٤).

فلما أرادوا غسلها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ١٩٠

-
- ١- المختصر الكبير لابن جماعة: ص ٨٠.
 - ٢- المختصر الكبير: ص ٨٠؛ تاريخ الفسوى: ج ٣، ص ٢٧٠.
 - ٣- تاريخ مختصر دمشق، قسم السيرة: ص ٢٦٣؛ والحاكم فى المستدرک: ج ٤، ص ٤٢؛ مرآة الجنان لليافعى: ج ١، ص ١٧.
 - الوفا للسمهودى: ج ٢، ص ٦٥٦. التبيين لابن قدامة: ص ٨٩. جامع الأصول: ج ١٢، ص ٢٧٤. تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٤.
 - ٤- المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٤.

اغسلنها وترّاً ثلاثاً، أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتها فأعلمنني.

فلما غسلناها أعطانا حقوه، فقال:

«أشعرنها إياه»^(١).

فلما فرغوا من تغسيلها وتكفينها، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج معه صحابته.

قال أنس بن مالك:

فأريناه كثيراً حزينا، فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبرها، خرج ملتحم اللون، وسألناه عن ذلك فقال:

«إنها كانت امرأه مستقامه فذكرت شدة الموت، وضمه القبر، فدعوت الله أن يخفف عنها»^(٢).

فجلس بعض النساء يبكين فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال:

«مهلاً يا عمر»^(٣)!

ص: ١٩١

-
- ١- رواه البخارى، كتاب الجنائز، باب، ٢٨١: غسل الميت ووضوؤه بالماء والسدر، (١٢٥٤)، (١٢٥٨) (١٢٦٠) ورواه مسلم فى الجنائز (٩٣٩) باب (١٢) فى غسل الميت. غوامض الاسماء المبهمة لابن بشكوال: ج ١، ص ٧١.
 - ٢- المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٦.
 - ٣- مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٢٣٨، من مسند عبد الله بن عباس؛ المستدرک للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٩١؛ تحفه الأحوذى للمباركفورى: ج ٤، ص ٧٥؛ فيض القدير للمناوى: ص ٧٠٨؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٣٩٩.

اشاره

بعد أن عرفنا ما جاء به النقل من تفاصيل حول حياه زينب رضى الله عنها، البنت الأولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قمت بعرضها على طاولة العقل، للبحث عن حقيقه كونها بنتاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أنها ربيبه. مسلماً فى بادئ الأمر إلى ما جاءت به الأخبار من كونها بنتاً وليست ربيبه، فكانت النتيجة التاليه:

أولاً: سكوت المؤرخين حولها

إنّ ولادتها كانت فى السنه العاشره قبل البعثه، وهذا يعنى أن عمرها حينما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عشر سنوات، وعندما توفيت خديجه عليها السلام كان عمرها عشرين سنه هذه الفتره من السنين مرت بغموض دون أن يذكر لها المؤرخون شيئاً، أى: منذ ولادتها إلى سنه وفاه خديجه فى السنه العاشره من البعثه.

ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام

ولادتها بهذا التاريخ يقودنا إلى كونها بكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. إذ لم يذكر أحد من المؤرخين إطلاقاً أنه قد ولد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مولود قبل هذا التاريخ، وإن أولاده صلى الله عليه وآله وسلم ولدوا بعد هذا الوقت.

مما يشير إلى أنها أول من ولد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا

خلاف المشهور عند الأئمة، لأن القاسم هو أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبه كان يكنى.

ثالثاً: التناقض فى تاريخ زواجها وتعارضه مع التوحيد

وقت زواجها اختلف فيه، فهو عند ابن سعد قبل النبوه (١)، بينما عده الذهبى بعد النبوه (٢)، وعدّ قول ابن سعد فيه بعد عن الصحه، أى: أن الذهبى يعدّ زواجها بعد النبوه هو الأقرب إلى الصحه؟!

وهو فى الواقع فى غايه البعد والتناقض، لأن زواجها بعد النبوه لا يمكن أن يتمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ كيف يزوج ابنته المسلمه من رجل مشرك، وهو خلاف القرآن الكريم والعياذ بالله.

رابعاً: سكوت المشركين عنها طيله خمس عشره سنه قضتها فى مكه

أين كان عنها طغاه قريش وقد أسلمت، وبقي زوجها على كفره دون أن يتعرض لها أحد منهم، وهى بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟! خلال خمس عشره سنه عاشتها فى مكه منذ أن بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ان انتقلت إلى المدينه مع زيد بن حارثه كما مرّ بيانه؟!

خامساً: تخبط الرواه فى خروجها من مكه بين زيد بن حارثه وبين كنانه بن الربيع ؟

أما هجرتها إلى المدينه فإن الرواه قد جمعوا بين محاولتها الخروج من مكه مع أخى زوجها «كنانه بن الربيع» ولحوق قريش بها وتعرضها للإجهاض، وبين

ص: ١٩٣

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨ ص ١٤٠.

٢- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ٥٠١.

قدوم زيد بن حارثة لإخراجها وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زمن واحد، وهذا غير صحيح!؟

لأن عمليه خروج زينب من مكة إلى المدينة حدثت مرتين، وإن الفارق الزمني بينهما كان عدداً من السنين؛ إذ بعد أن تعرضت زينب رضي الله عنها في الخروج الأول إلى الإجهاض بسبب ما قام به هبار بن الأسود من طعنه بغيرها، وسقوطها على صخره وقد أهرقت دماً، حُملت إلى مكة، وصارت عند هند بنت عتبة بن ربيعة.

وعندما وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم بما جرى على زينب أهدر دم هبار بن الأسود، ونافع بن عبد عمرو فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن لقيتم هبار بن الأسود، ونافع بن عبد عمرو فاحرقوهما».

ثم قال:

«إن لقيتموهما فاقتلوهما، فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله»^(١).

لكن زينب بعد هذا الحادث بقيت في مكة بضع سنين، إلى أن جاءت المحاولة الثانية، والتي كانت على يد زيد بن حارثة، لكن السؤال المطروح هو كم هي المدّة التي عاشتها في مكة حتى هاجرت!؟

ص: ١٩٤

١- السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ٦٥٧؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٢.

لم يذكرها أحد سوى ما يدل على أنها ظلت مدّة طويلة لعلها أربع سنوات أو خمس ومما يدل عليه:

ما أخرجه الحاكم بسند صحيح ووافقه الذهبي عليه، عن ابن إسحاق، ثنا يحيى بن عباد، عن أبيه، عن عائشه، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسارهم بعثت زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فداء أبي العاص بقلاده كانت خديجه أدخلتها معها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رق لها رقه شديده وقال:

«إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها(١) وتردوا عليها الذى لها».

وهذه الروايه تدل على أنها ظلت فتره طويله فى مكه، وأنها خلال هذه السنين أنجبت لأبى العاص طفلين هما: «على، وأمامه».

وذكر ابن حجر: أنها بعثت بهذه القلاده مع أخى زوجها عمرو بن الربيع، وأن النبى قد اشترط على أبى العاص أن يخلى سبيلها ففعل(٢).

سادسا: عمليه خروجها من مكه تنفى أن تكون زينب بنتا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدل على أنها ربيبه

وهذه الروايه وإن كانت لتدل على بقاء زينب لسنين عديده فى مكه بعد خروج النبى صلى الله عليه وآله وسلم منها مهاجراً. فهى فى نفس الوقت تدل على أنها ربيبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم للأمر التالى:

ص: ١٩٥

١-المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٤، ص ٤٥.

٢-الإصابة: ج ٧، ص ٦٦٥.

١. إن زينب كانت في مكة وهي على إسلامها وزوجها على شركه وهذا واضح من خلال قول الراوى: «وأخذ على أبي العاص أن يخلي سبيلها»، وهذا يعنى أن زينب كانت بحكم الأسيره عند أبي العاص. وإلا- لو كانت غير مسلمه لما طلب منه إخلاء سبيلها.

٢. كيف لم يفرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيله هذه السنوات؟!.

٣. كيف لم تتخذها قريش أسيره مقابل أسراها، إذا كانت تعلم حقاً أنها ابنته صلى الله عليه وآله وسلم، فيتم الأمر على شكل تبادل للأسرى؟!.

٤. ما هو حكم ولدى زينب (على، وأمامه) اللذين ولدا من أب مشرك، ولماذا سكت عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهل يعقل - والعياذ بالله - أن يكون أحفاده من ذرارى المشركين!!؟

٥. لماذا لم يخرجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الفواطم اللاتى أخرجهنّ الإمام على بن أبى طالب عليه الصلاه والسلام؟ وهنّ (فاطمه بنت أسد، وهي أم الإمام على عليه السلام، وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمه بنت حمزه بن عبد المطلب، وفاطمه امرأه عقيل بن أبى طالب) (١)، وتترك زينب في مكة، إلاّ- أن تكون ليست بنتاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ لا يمكن الاعتقاد شرعاً وعقلاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

ص: ١٩٦

١- سبل السلام للصنعانى: ج ٢، ص ١٧٦؛ التبيين لابن قدامه: ص ١٤٩.

أخرج بنتاً واحده وهى فاطمه عليها السلام، وترك الأخریات وهما (زينب وأم كلثوم)...؟!!

ألا يكون ذلك دليلاً على كون زينب ليست بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ كيف تنقل أرحام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النساء اللاتي هُنَّ أبعد درجةً من منزله البنت، كفاطمه امرأه عقيل بن أبي طالب أو فاطمه بنت حمزه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتترك بنتان له في مكة تحت ظلم رجال قريش..؟!!

والعجيب في الأمر ما نقله البخارى في صحيحه وهو يصف لنا كيف تم نقل فاطمه بنت حمزه فيقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من مكة، وقفت ابنة حمزه على الطريق فلما مرَّ بها على عليه السلام قالت: يا ابن العم إلى من تدعنى؟ فتناولها فدفعها إلى فاطمه حتى قدم بها المدينة(1).

فكيف يمكن التصور حتى في الخيال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يترك بنتين له عند المشركين ولم يؤمر بإخراجهما إلا أن تكونا ليستا من صلبه صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٩٧

١- أخرجه البخارى، في باب كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان بن فلان.. من كتاب الصلح، وفي باب عمره القضاء من كتاب المغازى، ج ٣، ص ٢٤٢، وج ٥ ص ١٨٠؛ والبيهقى في باب نقض الصلح فيما لا يجوز وهو ترك النساء، من كتاب الجزية، السنن الكبرى: ج ٩، ص ٢٢٨-٢٢٩؛ وابن قدامه مسأله رقم (١٦٧٥). المغنى: ج ١٣، ص ١٦٣، فصل إخراج المرأة المسلمه من أرض الكفار.

٥. قول الراوى: «ففعّل» هذا تقوُّل واضح، وتصنع مفتضح، أريد به وضع منقبه لأبى العاص، بأنه التزم بعهدته مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

والحال أنه لم يفعل، ولم يلتزم بعهدته، مما دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث زيد بن حارثه لإنقاذها وإخراجها من مكه إلى المدينه، فلو التزم فعلاً بعهدته، لما قام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ببعث زيد بن حارثه، وإخلاء سبيلها.

٦. إن عمليه نقلها من مكه إلى المدينه التى قام بها زيد بن حارثه، كيف حدثت وهى ليست من محارمه؟! وكيف يجوز له حملها بهذا الشكل الذى وصفه النقل، بقول زيد لها: (اركبى، قالت: لا بل اركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراءه) (١)؟!.

سابعا: محاوله الحافظ الطحاوى فى دفع الإشكال فى ركوب زينب مع زيد على جمل واحد زادت الأمر سوءاً؟

إشاره

وهذا الإشكال استوقف الطحاوى فى إشكالاته على الآثار، ووجهه بهذا الشكل الذى يحمل إشكالاً آخر؟! فكان حله للإشكال ألزمه الحجه فى كونها ليست بنتاً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقول: «قد وجدنا زيدا قد كان حينئذٍ فى تبنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياه، حتى كان يقال له بذلك: زيد بن محمد، ولم يزل بعد ذلك،

ص: ١٩٨

١- التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٣٤؛ تاريخ القضاعى: ص ١٣٦؛ مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٣؛ سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٠٢، قسم السير والتراجم.

كذلك، إلى أن نسخ الله ذلك فأخرجه من بنوته، وفي إباحته لها وله السفر من كل واحد منهما مع صاحبه، كان على الحكم الأول.

وفي الحالة التي كان زيد فيها أماً لزَيْنب، فكان بذلك محرماً لها جائز له السفر بها، كما يجوز لأخ لو كان لها في النسب من السفر بها، فهذا وجه هذا المعنى من هذا الحديث، والله أعلم (١).

ونقول: إن المعنى الذى قصده الطحاوى لبعيد جداً؛ لأنه لم يقدم لنا ولو دليلاً واحداً يثبت أن زيد بن حارثة عندما نقل زينب رضى الله عنها نقلها قبل أن ينسخ الله حكم التبنى، بل العكس هو الصحيح، أى: أن زيد بن حارثة نقل زينب من مكة إلى المدينة بعد أن نسخ الحكم، وأخرج من بنوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يدل عليه:

ألف: الحاكم النيسابورى ينص على وجود زينب بعد معركة بدر فى مكة

ما أخرجه الحاكم وغيره من أهل العلم بالحديث فى أن زينب رضى الله عنها كانت بعد معركة بدر فى مكة وأنها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفداء زوجها، لأنه كان أسيراً عند المسلمين، والذى أسره هو «عبد الله بن جبير الأنصارى» (٢).

ص: ١٩٩

١- شرح مشكل الآثار للطحاوى: ج ١، ص ١٣٣، باب ٢٣.

٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٤، ص ٤٣؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٢.

باء: وقوع أبي العاص في الأسر سنة (٦) للهجرة

إن التاريخ لم يحدثنا بعد هذه الحادثة عن زينب بأى شكل، إلى أن تأتي أحداث سنة ٦ هـ -، فيشير التاريخ: إلى أن زينب كانت خلال هذه السنة في المدينة، وأنه حدث خلال هذه السنة، أن خرج أبو العاص في غير لقريش، فتم انتداب زيد بن حارثة على رأس سريه لمهاجمه هذه القافلة، وبالفعل تمكن المسلمون من أسر أبي العاص فلما جاءوا به إلى المدينة، استجار بزوجه زينب، فأجارتها، وأعلنت ذلك للمسلمين فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جوارها، وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً.

ثم يعود إلى مكة وهو يحمل ما أخذ منه من الودائع، فأرجعها إلى أهلها، ثم عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مسلماً ومهاجراً، في السنة السابعة، أي: بعد مرور سنة على هذه الحادثة، كما بينا في الفصل السابق.

جيم: كيف يقوم زيد بن حارثة بنقل زينب إلى المدينة بعد نسخ حكم التبني !؟

إن حكم التبني تم نسخه في السنة الخامسة من الهجرة أي بعد أن تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش، طليقه زيد بن حارثة، مما دعا المنافقين أن يقولوا: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج من بنت ولده زيد، لأنه كان يدعى: (زيد بن محمد) (١).

وبعد نزول الآية: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) دعى زيد لأبيه حارثة.

ص: ٢٠٠

١- وهي السنة التي تزوج فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زينب بنت جحش.

وعليه:

فإن زينب رضى الله عنها تم نقلها إلى المدينة بعد مضى سنة على نسخ الحكم. وهذا يعنى: أنها لم تكن من محارمه، فكيف يجوز نقلها على بعير واحد؟!

ثامناً: كيف تنجب زينب من زوجها طفلين وهو على شركه؟!

كيف يأمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يقربها، وكانت قد أنجبت منه طفلين فى السنين السابقه التى كانت فيها على إسلامها، وهو على شركه.

إلا أن يقال إنها لم تؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنها ظلت على دين زوجها طيله هذه السنين التى تم فيها الإنجاب، وإنها أسلمت بعد فتره من الزمن وتحديداً بعد معركة بدر الكبرى التى أُسر فيها زوجها.

تاسعاً: تخبط الحافظ الذهبى فى جمعه بين بقائها مع زوجها المشرك وبين سنه إسلامها فكان خلافاً للعقل والنقل؟!

ولقد حاول الحافظ الذهبى الخروج من عنق الزجاجة حينما حاول الجمع بين بقاء زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجها المشرك طيله ثمانى عشره سنه وبين التقليل من حجم هذه الفتره إلى سنوات حينما ذهب قائلاً: (أسلمت زينب وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين).

ونقول:

إنّ هذا القول خلاف للنقل والعقل.

ص: ٢٠١

أما كونه خلافاً للنقل فلأنه:

ألف: لم يسند قوله هذا إلى حديث حتى ولو كان ضعيفاً.

باء: هجرتها تمت بعد معركة أحد بسنتين على يد زيد بن حارثة. وحتى لو قلنا إنها هاجرت بعد معركة بدر الكبرى مباشرة فإن الفترة التي بين إسلامها وهجرتها، وبين إسلام زوجها وهجرته، تكون أربع سنوات أو خمساً لأن أبا العاص أسلم سنة ٥٧ -.

جيم: من المعروف لدى جميع علماء المسلمين أن معركة بدر وقعت في السنة الثانية من الهجرة، وأن زينب كانت بعد معركة بدر في مكة، ولم تخرج منها.

بل إنها بعد هذه المعركة بعثت في فداء زوجها الذي أسر فيها.

فكيف يصح قول الذهبي: إنها أسلمت وهاجرت قبل زوجها بست سنوات وهو قد أسلم سنة سبع من الهجرة أي أنها أسلمت وهاجرت في السنة الأولى من الهجرة النبوية! بينما هي لم تغادر مكة أصلاً، إلا بعد مرور سنة أو أكثر على معركة بدر.

أليس هذا القول فيه خلاف كبير؟! بل فيه استحاله التحقق.

أما كونه خلافاً للعقل:

١. فلأنها: كيف لم تؤمن بأبيها، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ كيف لم تؤمن به وقد رأت أن أول من آمن به أمها خديجة الكبرى عليها السلام! وهذا يعني أنها كانت في بيت كان فيه الأبوان على دين واحد.

ص: ٢٠٢

فكيف يمكن لهذه البنت أن تخالف والديها ولا تعتقد بدينهما وهي فتاه في سن العاشرة؟!؟

وهذه السن تمكن الوالدين من صياغتها مثلما يريدان، وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه»(١).

فكيف يمكن قبول مثل هذا المنطق؟! وأي عقل يرضى أن تكون بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير مؤمنة بأبيها؟ وتبقى مده (ثلاث عشرة) سنة في مكة وستين أو سنة بعد الهجرة لتسلم وتهاجر بعد ذلك، كما يروى الذهبي؟!؟

أو أنها آمنت بالنبي، ثم زوجها من مشرك وبقت تحته (ثمانى عشره) سنة؟! وبعد هذه السنين الطويله يبعث وراءها النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثه لينقذها من براثن الشرك خلال السنه السادسه من الهجره، ويُسلم زوجها سنه سبع من الهجره، وهذا يعنى أن هذه المسكينه، لم تعش مع

ص: ٢٠٣

١- الخلاف للشيخ الطوسى: ج ٣، ص ٥٩١، ص ٥٩٢؛ تذكره الفقهاء للعلامه الحلى: ج ٩، ص ١٧٠، ص ١٧٢ و ج ٢، ص ٢٧٤؛ مختلف الشيعه للعلامه الحلى: ج ٦، ص ١٠٨؛ الدروس للشهيد الأول: ج ٣، ص ٧٩؛ أمالى المرتضى: ج ٤، ص ٢؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ٥٨، ص ١٨٧ و ج ٦٤، ص ١٣٣؛ مستدرک سفینه البحار للشيخ على النمازى: ج ٨، ص ٢٣٨؛ مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٣٣، ص ٣٩٣، ص ٤٨١؛ السنن الكبرى للبيهقى: ج ٦، ص ٢٠٢، ص ٢٠٣؛ تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ١٦، ص ١١٨؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى: ج ٤، ص ٧٧.

هذا الزوج المسلم فى بيت فيه روح الإسلام، إلا سنه واحده لأنها توفيت سنه ثمان(1). فتكون قد قضت بذلك كل سنين عمرها مع زوج لم تر منه إلا- عباده الأوثان، وعداوه أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهى صابره محتسبه منتظره متى يأتى الفرج لتتنقل إلى المدينه كما نقلت الفواطم.

وعليه فنحن الآن أمام قولين:

ألف: إما أن نسلّم، ونرضى بكل هذه الإشكالات، ونغلق على عقولنا، حفاظاً على بعض المشاعر المستأنسه بالظلام.. والمتفوقه فى بواتق الشبهات الموروثة.

باء: وإما أن نتبع نور العقل ونستدل بأدلته على أن زينب رضى الله عنها لا يتناسب مع ما ورد فى سيرتها أن تكون بنتاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تلدها خديجه عليها السلام، وإنما هى ربيته صلى الله عليه وآله وسلم، بل حتى كونها ربيبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تدفعنا إلى الاعتقاد بأنها وهى فى هذه المنزله لا- تتناسب مع روح النبوه وهدى القرآن مع كل هذه الاشكالات التى حملتها كتب الحديث والتاريخ والتراجم والأنساب وغيرها.

بقى أن نقول:

إن أرباب الضلاله، وقاده النفاق لم يدّخروا جهداً فى تشويه صورته الإسلام، ونسب الأكاذيب إلى سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٢٠٤

١- جامع الأصول: ج ١٢، ص ٢٧٤؛ تاريخ الخميس: ج ١، ص ٧٤؛ التبيين لابن قدامه الأنصارى: ص ٨٩.

وسنته، والتعرض لحرمة لاسيما فيما يتعلق بحياه (زينب ورقيه وأم كلثوم).

فعرضوا من خلال حديثهم عن شخصيه زينب رضى الله عنها بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد زوجها من رجل مشرك!...، وأنه يمكن حتى للمشرك أن يصاهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم!.. وأن هذه المصاهره ليس لها أى مكانه دينيه، أو دنيويه!.. وأنها تتم بشكل عادى، لا فرق بينها وبين مصاهره بنات المسلمين!

فيحققون بذلك هدفين:

الأول

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم، وأنه غير مسدد من قبل الوحي إلا فى تبليغ القرآن، فهو فى الوقت الذى يحارب الشرك، يقوم بتزويج ابنته من رجل مشرك، فيجعلون المسلم فى دوامه لا يعلم متى يخرج منها.

والثانى

هو التعرض لمتزله فاطمه عليها السلام وزواجها من على بن أبى طالب عليها السلام، فتكون مصاهرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست بالمنقبه؛ لأن صهر النبي الأول كان مشركاً.

وأما الشواهد على هذه القضييه التى فجعوا بها الإسلام فكثيره، وسوف نتعرض لها إن شاء الله كلاً حسب موقعها.

ص: ٢٠٥

المسأله الأولى: ماذا يقول النقل عن رقيه رضى الله عنها؟

إشاره

نتناول فى هذا المبحث ما عرضه لنا رواه الحديث والتاريخ والسيره والأنساب عن شخصيه رقيه رضى الله عنها، والتي صورها لنا النقل بهذا الشكل:

أولاً: إن رقيه أصغر من زينب بثلاث سنين

أنها البنت الثانيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها ولدت سنه ثلاث وثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١)، وهى بهذا التاريخ تكون أصغر من زينب بثلاث سنين (٢).

ثانياً: الاختلاف فى سنه زواجها

تزوجها عتبه بن أبى لهب قبل النبوه (٣)، وقيل: بعدها وتحديداً قبل الهجره (٤)، ثم نزل قوله تعالى:

ص: ٢٠٦

١- مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٦؛ جامع الأصول لابن الأثير: ج ١٢، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٣٩، برقم ٣٣٤٣.

٢- التلخيص على المستدرک للذهبي مطبوع مع المستدرک: ج ٤، ص ٤٦.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٢٩؛ الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٤٨؛ الأعلام للزركلى: ج ٣، ص ٣١؛ تاريخ دمشق لابن عساکر: ج ٣، ص ١٢٧؛ الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨٤٠.

٤- سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم ج ٣ ص ٥٠٣.

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١).

فقال أبو لهب لولده رأسى من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، فطلقها وكان لم يدخل بها؟! (١).

ثالثاً: أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام

وكانت قد أسلمت حين أسلمت أمها خديجه، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي وأخواتها حين بايع النساء (٢).

رابعاً: إن الدافع في زواج عثمان بن عفان من رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لجمالها؟

ثم بعد ذلك تقدم عثمان بن عفان لخطبتها والزواج بها وكان الدافع من هذا الزواج هو الحصول عليها، لأنها كانت ذات جمال بارع (٣)، ولكون عثمان كان مولعاً بالنساء إلى درجه كبيره حتى اشتهر بذلك، فكانت رقيه وما تحمله من جمال هي السبب في إسلامه الذى تمكن من خلاله أى من خلال

ص: ٢٠٧

-
- ١- الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٤٩؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٢٩؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٤٠؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٥١.
 - ٢- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٥١؛ طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ٢٩-٣٠؛ الأعلام للزركلى: ج ٣، ص ٣١.
 - ٣- الإصابه: ج ٧، ص ٦٩٧-٦٩٨؛ فى ترجمه سعدى بنت كرز، العقد التام فىمن زوجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لىوسف بن عبد الهادى «مخطوطه» ىرقد فى مكتبه الأسد برقم «٣٢٤٩»؛ التبيين لابن قدامه: ص ٨٩؛ تاريخ دمشق: ج ٣٩، ص ٢٣.

الإسلام الزواج منها، كما حدثنا بذلك عثمان، وأخبرنا بنفسه عن سبب إسلامه.

فيقول: (كنت رجلاً مستهتراً بالنساء، وإنى ذات ليلة ببناء الكعبة قاعدٌ في رهط من قريش، إذ أتينا فقيلاً لنا: إن محمداً قد أنكح عتبه بن أبي لهب من ابنته، وكانت رقيه ذات جمال رائع، فدخلتني الحسرة، لم لا أكون أنا سبقت إلى ذلك. فقال: فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي، فأصبت خاله لي (١) قاعده، وكانت قد طرقت وتكهننت عند قومها. فلما رأته قالت مرتجزه: (ابشر وحييت ثلاثاً تترى)، إلى أن قالت: «أنكحت والله حصاناً زهراً - وأنت بكر ولقيت بكرًا).

قال فعجبت من قولها وقلت يا خاله ما تقولين ؟ فقالت: «هذا نبي معه البرهان - أرسله بحقه الديان».

ثم قالت: (إن محمد بن عبد الله جاء إليه جبرائيل...) الخ كلامها معه.

ثم يقول: ثم انصرفت إلى أبي بكر وكان لي معه مجلس فكلمته.

- وبعد أن حدثه بما سمع - قال: فوالله ما كان بأسرع من أن مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي بن أبي طالب - عليه السلام -.

وبعد أن دار بينه وبين رسول الله الكلام أسلم، ثم يضيف قائلاً: «ثم لم ألبث أن تزوجت رقيه» (٢).

ص: ٢٠٨

١- راجع ترجمتها في الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٦٩٧-٦٩٨ وهي: (سعدى بنت كرز بن ربيعة بن عبد الشمس).

٢- الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٧٦، برقم ١١٢٩٦؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣٩، ص ٤٠.

خامساً: هجرتها مع زوجها إلى الحبشة

وبعد أن تم هذا الزواج، أراد عثمان بن عفان الخروج إلى أرض الحبشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أخرج برقيه معك».

- ثم - قال:

«أخال واحداً منكما يصير على صاحبه».

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بنت أبي بكر فقال:

آتينى بخيرهما.

فرجعت أسماء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبو بكر، فقالت: يا رسول الله أخرج حماراً موكفاً فحملها عليه وأخذ بها نحو البحر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أبا بكر إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام»^(١).

وإنهما هاجرا إلى الحبشة الهجرتين جميعاً^(٢).

وكانت رقيه رضى الله عنها حاملاً، فألقت ما فى بطنها علقه فى السفينه^(٣)، وكان هذا فى الهجره الأولى^(٤).

ص: ٢٠٩

١- المستدرک على الصحيحین للحاکم النیسابوری: ج ٤، ص ٤٦-٤٧؛ سير أعلام النبلاء للذهبی، قسم التراجم والسير: ج ٣، ص ٥٠٤.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٢٩-٣٠.

٣- الكامل فى التاريخ: ج ٢، ص ٧٧.

٤- طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ٢٩؛ تاریخ دمشق: ج ٣، ص ١٥١.

سادساً: إن رقيه هاجرت من الحبشه إلى المدينه بعد هجره زوجها عثمان!!

وبعد أن استقر بها المقام فى الحبشه ولدت لعثمان ولده عبد الله، الذى كان به يكنى، وقد مات وعمره أربع سنوات وقيل: ست سنوات، ولم تلد له بعده. وكان موته فى السنه الرابعه من الهجره، وصلى عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم(١)، ثم إنها هاجرت إلى المدينه بعد عثمان(٢).

سابعاً: دخول أبى هريره على رقيه بعد زواجها من عثمان!!

ويروى لنا النقل عن أبى هريره أنه قال: دخلت على رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبيدها مشط فقالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندى آنفاً، فرجلت رأسه، فقال لى: كيف تجددين عثمان؟ قالت: فقلت بخير قال: أكرميه فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً(٣).

ثامناً: توفيت فى المدينه بسبب مرضها ولم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وفى السنه الثانيه من الهجره وقيل بدر مرضت رقيه رضى الله عنها فخلف النبى عليها عثمان ولم يخرج إلى بدر؛ وتخلف معه أسامه بن زيد فماتت ليلاً، فغدوا بها فدفنوها والمسلمون ببدر(٤).

ص: ٢١٠

١- الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨٤٠؛ أسد الغابه: ج ٧، ص ١١٥؛ تاريخ دمشق: ج ٣، ص ١٥٢.

٢- طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ٢٩-٣٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، قسم السير والتراجم: ج ٣، ص ٥٠٤.

٣- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٤، ص ٤٨؛ وأقره الذهبي فى التخليص: ج ٤، ص ٤٨ من المستدرک.

٤- التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٤٤. الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨٤٠؛ مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٧.

وقيل: لما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بدر وقف على قبرها ثم قال:

«إلحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون»^(١).

فبكت النساء فجعل عمر بن الخطاب يضربهن بسوطه!؟

فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده!؟ وقال:

«دعهن يبكين».

ثم قال:

«مهما يكن من العين ومن القلب فمن الله والرحمه، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان».

فقعدت فاطمه عليها السلام على شفير القبر تبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح دموعها بطرف ثوبه^(٢).

المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن رقيه رضى الله عنها؟

إشاره

هذه هي الصورة التي حملتها المصادر الإسلامية عن شخصيه رقيه رضى الله عنها. لكن هذه الصورة حوت كثيراً من التناقضات التي يرفضها العقل ويمجها الذوق السليم، وكما قلنا في المبحث السابق: فقد أخذنا هذه الصورة على أساس أنها بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم عرضنا الأمر على طاولة البحث العلمى والموضوعى فكانت النتيجة الآتية:

ص: ٢١١

١- ستناول الحديث عن شخصيه عثمان بن مظعون فى فصل: (ماذا يقول العقل عن رقيه رضى الله عنها).

٢- طبقات ابن سعد: ج ٨، ص ٣٠.

أولاً: إن رقيه كانت دون السن الشرعى حينما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سنه ولادتها تدل على أنها كانت فى سن السابعة عندما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أى أنها عند بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت طفله وهى دون السن الشرعى التكليفى بستتين.

ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام

إن هذا التاريخ الذى ينص على ولاده رقيه فى السنه الثالثه والثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعارض من كون القاسم هو بكر خديجه عليها السلام وأنه ولد ومات فى الإسلام - كما مرّ سابقاً -.

ثالثاً: كيف يزوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنتاً وهى فى الخامسة من عمرها - والعياذ بالله -

زواجها من عتبه قبل النبوه يرفضه العقل؟ إذ كيف يزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وهى ما زالت طفله، لعلها فى السادسة أو الخامسة من عمرها، لأن كلمه: (قبل النبوه) لم تحدد لنا عمرها دقيقاً حين تزوجها عتبه بن أبى لهب.

إلا اللهم كان يراد من لفظ الزواج هو الخطوبه، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن الروايه تنص على لفظ الطلاق ولا يقال للخاطب حين تركه لمخطوبته بالمطلق لها.

رابعاً: طلاقها من عتبه بن أبى لهب بسبب نزول سوره المسد مخالف للعقل والنقل؟

أشارت المصادر إلى أن سبب طلاقها من عتبه، فهو لنزول قوله تعالى:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

مما دعا أبا لهب أن يخير ولده عتبه، بين أن يتبرأ منه، وبين أن يطلق رقيه.

فكانت النتيجة: أن عتبه فضّل أباه على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلقها.

هذه الحالة التي ينقلها الرواه في منتهى الغرابه والتناقض العقلى والنقلى للأمور التاليه:

١. أن هذه الآيه نزلت في السنه الثالثه من البعته(١).

وهذا يعنى أن رقيه بقيت زوجه لعتبه أكثر من أربع سنوات أو خمس؛ لأنه تزوجها قبل النبوه! كما يقول الرواه، الذين ذكروا أيضاً: انه لم يدخل بها!.

فكيف تبقى رقيه خمس سنوات عند زوجها ولم يدخل بها!؟

٢. وإذا قلنا إنه تزوجها بعد النبوه؛ فإنه مرفوض أيضاً بل إنه في رتبه المحال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن شرعاً ولا عقلاً أن يدعو إلى التوحيد ثم يقوم بتزويج ابنته من مشرك.

٣. إن التاريخ ينقل لنا صورته عن طبيعته التعامل الذي كان يقوم به أبو لهب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تكشف عن حجم العداة الذي كان يحمله أبو لهب للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، الحديث التالي: «قال: حدثنا أبو النظر، حدثنا شيبان، عن أشعث، قال: وحدثني شيخ من بني مالك بن كنانة،

ص: ٢١٣

١- أسباب النزول للواحدى: ص ٣٤٥.

قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بسوق ذى المجاز، يتخللها ويقول:

يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

قال: وأبو لهب يحثي عليه التراب ويقول: يا أيها الناس لا- يغرنكم هذا عن دينكم، وإنما يريد لتركوا آلهتكم، ولتركوا الاله والعزى.

قال: وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...»(١).

فهل يعقل أن يتقدم أبو لهب إلى رسول الله ليخطب ابنته وهو يحمل له هذا العداء؟! وهل ممكن شرعاً وعقلاً أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ابنته لعته بن أبي لهب، المشرك الذى يدين بدين أبيه، وأبوه هذا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

خامساً: تخطب الحافظ الذهبى فى تصحيح قول ابن سعد فى سنه زواجها ومخالفته للنصوص !؟

أما ما ذهب إليه الحافظ شمس الدين الذهبى: فى تصحيحه لقول ابن سعد، وتحديد زواج رقيه رضى الله عنها، قبل الهجره، فهو: مما لا صحه فيه، بل زاد الأمر سوءاً!.

لأنه: بهذا القول يلزم أن يكون زواجها من عته قد وقع بعد زواجها من عثمان بن عفان !؟

ص: ٢١٤

١- مسند أحمد: ج ٤، ص ٦٣؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساکر: ج ٣، ص ٣٠٥؛ سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ج ٢، ص ٤٥٢.

ثم إن الذهبى لم يفصح لنا عن قوله قبل الهجره، أى: هجره يقصد؟ الهجره إلى الحبشه أم الهجره إلى المدينه؟

فإذا كان قصده هجره الحبشه، فهذا محال لأن سوره «المسد»(١) نزلت فى السنه الثالثه من البعثه(٢)، والهجره إلى الحبشه وقعت فى السنه الخامسه(٣)، فلا يمكن أن يتقدم أبو لهب، ويخطب لولده بنت رسول الله. وقد انزل الله تعالى سوره فى القرآن، تكون عاراً عليه، وعلى زوجته إلى يوم القيامه. فزواجها من عتبه قبل الهجره إلى الحبشه أبعد من الخيال.

أما إذا كان قصد الذهبى، أن زواجها كان قبل الهجره إلى المدينه. فهذا لا يرضى به عاقل؛ لأن رقيه قبل الهجره إلى المدينه كانت متزوجه من عثمان بن عفان. وعندها ولد منه وعمره سنتان تقريباً، وهى مع هذا كله كانت فى أرض الحبشه، وليست فى مكه!! فأين ومتى وقع هذا الزواج؟! لا أحد يعلم... ولعل الذهبى وحده الذى يعلم!؟

سادساً: ما هو السبب الذى جعل الذهبى يخطئ ابن سعد؟

إن السبب الذى جعل شمس الدين الذهبى يخطئ ابن سعد فى قوله: (إن رقيه تزوجت قبل النبوه)، فىقوم بتصحيحه إلى قبل الهجره؟

فهو لكى يحافظ على صحه القول القائل: بأن عثمان عندما تزوج رقيه

ص: ٢١٥

١- هذه السوره من السور المكيه، وقد نزلت فى الرد على أبى لهب وزوجته.

٢- أسباب النزول للواحدى: ص ٣٤٥.

٣- البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ٥٣.

رضى الله عنها، كانت باكراً. بدليل... أن هذا الزواج تم بعد النبوه، وقبل الهجره، أى: قبل زواجها من عثمان بفترة قصيره من الزمن.

لأن هذا الزواج إذا كان قد تم قبل البعثه، فإنَّ عدّها باكراً يصبح أمراً بعيداً جداً، مع بقائها عنده طيله هذه السنين.

فأوقع الصواب فى خطأ كبير... يرفضه العقل، والنقل، والذوق السليم.

سابعا: وهل حقاً أن عتبه بن أبى لهب لم يبن برقيه طيله أربع سنوات كى يتزوجها عثمان فيحظى بها وهى غير ثيب؟!!

ونقول: إن حقيقه كونها باكراً يعارضها النقل أيضاً، فقد جاء عن الزبير ابن بكار قوله: «إن رقيه رضى الله عنها كانت عند عتبه بن أبى لهب وبنى بها، فلما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

قالت العوراء، أم جميل بنت حرب بن أميه، وهى أم عتبه بن أبى لهب، وهى حماله الحطب، أيهجونا محمد ونمسك ابنته؟! فطلقها أنكحك غيرها.

فانكحته بنت أبى العاص بن أميه، فولدت له جاريه، فتزوجها يزيد بن أبى سفيان بن حرب.

ثم خلف على رقيه بنت رسول الله عثمان بن عفان، فولدت له عبد الله، فمات...»(1).

ص: ٢١٦

١- المنتخب من أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم للزبير بن بكار: ص ٣٠.

ثامنا: استحاله أن تكون رقيه قد أسلمت مع خديجه عليها السلام فى آن واحد!

أما... ما جاء فى إسلامها، من أنها أسلمت حين أسلمت أمها خديجه بنت خويلد عليها السلام، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنه كفى بهذا القول كاشفاً عن بطلان هذه الروايات التى نسجت هذه الأحداث وأعطتها هذه المنزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ لا يخفى عند جمهور المسلمين أن خديجه عليها السلام هى أول من أسلم من النساء، ولم ينقل لنا أى مصدر إسلامى إطلاقاً، كان قد تناول قضية أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. أن ذكر لنا: أن خديجه عليها السلام عندما أسلمت كان معها بناتها الثلاث.

بل إن جميع المصادر تجمع على أن خديجه عليها السلام، هى أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فى حين أشارت المصادر إلى: أن على بن أبى طالب هو أول من سبق إلى هذا الدين، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ قال:

«أولكم على وروداً عند الحوض أولكم إسلاماً على بن أبى طالب عليه السلام»(1).

لكن لم نجد أى ذكر لبنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه القضية.

ص: ٢١٧

١- محاسن الوسائل للشلبى الدمشقى: ص ٣٩٧، نقلاً عن المصنف لابن أبى شيبه.

أما بخصوص بيعتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع النساء فإن بيعه النساء كانت مرتين:

البيعه الأولى

فهي بيعه العقبة، وهي خاصة لنساء الأنصار، الذين جاءوا عام (اثني عشر) من البعثة، وبايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على أن يفدوه بأنفسهم وأموالهم، كي يتمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الهجرة إلى المدينة.

فضلاً عن أن رقيه كانت في هذا الوقت في الحبشه.

البيعه الثانية

وأما البيعه الثانية بيعه الرضوان أو بيعه الشجره كما تسمى أيضاً، فإنها كانت سنه خمس من الهجره (١)، أى: بعد وفاه رقيه بثلاث سنوات. فمتى بايعت؟!

تاسعا: إن القول بأنها وعثمان (لأول من هاجر بعد لوط) مخالف للقرآن والعقل

ذكر الرواه، أنها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان إلى الحبشه، وبعد خروجها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنهما لأول من هاجر بعد لوط عليه السلام» (٢).

ص: ٢١٨

١- بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٨، ص ٤١٢.

٢- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج ٤، ص ٤٧؛ فیض القدير للمناوی: ج ٥، ص ٥٨٩.

وفى لفظ آخر:

«إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط» (١).

هذا الحديث ليس يخالف العقل فقط ، إنما هو يخالف القرآن والتاريخ والسيره!

والعجيب فى الأمر أن أغلب من كتب عن الهجرة إلى الحبشه، أو تناول الحديث عن عثمان بن عفان، قد ذكر هذا الحديث المنسوب إلى رسول الله، ناهيك عن أنهم ذكروه فى كتبهم روايه، لا درايه؟! (٢)

أما سبب مخالفته للقرآن فهو للأمر التالى:

١. إن تمثيل هجره عثمان بن عفان، وزوجته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بهجره لوط عليه السلام، تمثيل باطل؛ لأن زوجه لوط عليه السلام ممن غضب الله عليها، وأعد لها عذاباً أليماً.

وهى لم تهجر أصلاً، وقد أخبر لوط عليه السلام بذلك قبل خروجه، وقد أحيط علماً بأنه سوف يهاجر دون زوجته، وأنه مصيبتها ما يصيب القوم الكافرين، جاء ذلك فى قوله تعالى:

ص: ٢١٩

١- فتح البارى لابن حجر العسقلانى: ج ٧، ص ١٤٣؛ الآحاد والمثانى للضحاك: ج ١، ص ١٢٣؛ كتاب السنه لابی عاصم: ص ٥٨٢. المعجم الكبير للطبرانى: ج ١، ص ٩٠؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٨١؛ كنز العمال للهندى: ج ١١، ص ٥٨٦؛ تفسير القرطبى: ج ١٣، ص ٣٤٠؛ الدر المنثور للسيوطى: ج ٥، ص ١٤٤؛ فتح القدير للشوكانى: ج ٤، ص ١٩٩؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٥٥.

٢- أنظر: ما ذكرناه من مصادر للحديث فيما سبق.

(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْطَلُوا إِلَيْكَ فَاسِيرِ بَأْهِدِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِئَةٌ بِمَا
أَصَابَتْهُمْ (١).

فكيف يصح تمثيل هجره رقيه رضى الله عنها مع امرأه لوط عليه السلام التى انقلبت إلى منقلب سوء!؟

٢. إن أول من خرج مهاجراً بعد لوط عليه السلام، هو نبي الله موسى عليه السلام وهو قوله تعالى:

(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢).

فكانت هذه هجرته الأولى التى خرج فيها مفرداً.

أما هجرته الثانية، فكانت معه زوجته، وهو قوله تعالى:

(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٣).

٣. إن الهجره إلى الحبشه لم تكن محصوره فقط بخروج عثمان بن عفان وزوجته رقيه رضى الله عنها، إنما كانت بشكل جماعى،

لكن بعض الرواه

أرادوا صناعه صوره عن هذه الهجره، وكأنها جمعت فى شخص واحد، ألا وهو «عثمان بن عفان»، وإنه أول من خرج مهاجراً من المسلمين وبأنه أول من خرج بعد نبى الله لوط عليه السلام!

أما سبب مخالفته للتاريخ والعقل:

فلأن الحقيقه التى ينقلها التاريخ والسيره غير ما نسجه بعض هؤلاء الرواه، وإن (الهجره الأولى) إلى الحبشه، قام بها مجموعه من المسلمين مع زوجاتهم، وهؤلاء هم أول من خرج.

فلماذا ينحصر اسم الهجره إلى الحبشه برجل واحد، وامرأه واحده دون بقيه الرجال والنساء، الذين كانوا قد خرجوا فى نفس الوقت، ونفس الاتجاه، ونفس الغايه!؟

وها هى الصوره: التى نقلها التاريخ، والسيره، عن الهجره الأولى إلى الحبشه.

قال ابن كثير: (إن خروجهم إليها كان فى رجب سنه خمس من البعثه، وإن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً، وأربع نسوه، وأنهم انتهوا إلى البحر، ما بين ماش وراكب، فاستأجروا سفينه بنصف دينار إلى الحبشه، وهم عثمان بن عفان وامرأته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو حذيفه بن عتبّه وامرأته سهله بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير(1)).

ص: ٢٢١

١- البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ٥٥-٥٦.

وأما ابن إسحاق صاحب السيره الأولى فإنه قال: «فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانته من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب، وإنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجاً، مما أنتم فيه».

فخرج عند ذلك المسلمون، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أرض الحبشه، مخافه الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجره، كانت في الإسلام(١).

وقول ابن إسحاق: «فخرج عند ذلك المسلمون»، دليل واضح، على أن الذين خرجوا كانوا مجموعهم لا فرداً واحداً.

وذكر ابن هشام: أن هؤلاء العشره(٢) الذين خرجوا، كان عليهم عثمان ابن مظعون(٣).

عاشرا: عدم صحه قول الرواه بأن عثمان هاجر الهجرتين! وكما ينص البخارى ومسلم!؟

قلنا إن الرواه ذكروا: أن الهجره إلى الحبشه، حدثت مرتين، وأن رقيه قد أسقطت في الهجره الأولى، ثم ذكروا أن عثمان بن عفان قد هاجر بها الهجرتين جميعاً؟!.

ص: ٢٢٢

-
- ١- السيره النبويه لابن هشام: ج ١، ص ٢١٣؛ تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٧٠.
 - ٢- فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ١٤٣؛ السيره النبويه لابن كثير: ج ٢، ص ٥.
 - ٣- السيره النبويه لابن هشام: ج ١، ص ٢١٤؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ١٤٣. البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ٨٦.

وبعد المراجعته والبحث... وجدنا: أن عثمان بن عفان لم يهاجر الهجرتين، كما ذكروا! وأنه لم يهاجر إلا الهجره الأولى!

كما هو واضح فى هذا النص: «وكان قد بلغ هؤلاء المسلمين - الذين خرجوا فى الهجره الأولى - أن المشركين قد أسلموا، فعادوا إلى مكة، فلما وصلوا لم يجدوا ما أخبروا به، وكان فىمن رجع عثمان بن مظعون...»^(١).

وكان بعض الذين عادوا إلى مكة ظلوا فيها، ولم يخرجوا منها، بينما رجع البعض الآخر إلى الحبشه، عند خروج جعفر بن أبى طالب عليه السلام.

وكان مجموع الذين خرج بهم جعفر ثلاثه وثمانين مسلماً، وقد دون المؤرخون أسماء الذين خرجوا مع جعفر بن أبى طالب فى الهجره الثانيه إلى الحبشه، ولم يكن بينهم عثمان بن عفان، لا- هو... ولا زوجته^(٢) ومع هذا فإن هذه المجموعه لم يكتب لها هجرتان، إنما هى هجره واحده.

أما حقيقه الهجرتين... فهى بعيدة كل البعد عن جميع الذين خرجوا من مكة، أو الذين عادوا إليها، ثم خرجوا. وإن هذه المنقبه، وهذه المنزله، حصل عليها مجموعه أخرى من المسلمين، خرجوا من اليمن! جاء ذلك فى صحيح البخارى ومسلم، فى باب هجره الحبشه، وهذا نصه، واللفظ للبخارى: «عن أبى براده، عن أبى موسى الأشعري قال: بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونحن باليمن، فركبنا سفينه فألقنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشه، فوافقنا

ص: ٢٢٣

١- البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ٥٧، ط دار الكتب العلميه.

٢- الدرر لابن عبد البر: ص ٤٩؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١٥٢.

جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فأقمننا معه، حتى قدمنا فوافينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين افتتح خيبر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكم أنتم أهل السفينه هجرتان»(١).

وبهذا الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم اتضح لنا زيف الذين ادعوا أن عثمان بن عفان، هاجر الهجرتين!

حادى عشر: لماذا يقوم عثمان بن عفان بترك ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً في الحبشه مع طفلها وقد تعرض لها غلمان الحبشه ؟

قد ذكر الرواه: (أنها هاجرت إلى المدينه بعد عثمان) هذه العبارة تبعث في النفس العديد من الأسئلة التي لم أجد لها جواباً، فلعل العديد من الباحثين، يملكون في بحوثهم الإجابة، ولعل العديد من المسلمين يجدون بين خلجات وجدانهم الإجابة.

١. ترى لماذا تركها عثمان بن عفان، وحدها في الحبشه، وذهب إلى المدينه دون أن يصطحبها معه، كما فعل عندما جاء بها؟!

٢. كيف رضى أن يترك زوجته الشابه، التي ضرب بها المثل لجمالها؟! أما كان يخشى عليها من أعداء الإسلام، ومن غيرهم، أن يتعرضوا لها؟!

وقد كان يرى: أن غلمان الحبشه كانوا يتعرضون لها بنظراتهم، فيتحيرون عجباً من حسننها، إلى أن قتلهم الله في المعركه لما سار النجاشى إلى عدوه(٢).

ص: ٢٢٤

١- صحيح البخارى، بدء الخلق: باب هجره الحبشه، ج ٤، ص ٢٤٦؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: من فضائل جعفر بن أبي طالب، ج ٧، ص ١٧٢.

٢- المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٧؛ السيره النبويه لابن هشام.

كما ينص شيخ كتاب السير محمد بن إسحاق والحاكم النيسابوري واللفظ لابن إسحاق فقد قال: (حدثني بعض أهل العلم أن فتيه من الحبشه قد رأوا رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي هناك مع زوجها عثمان بن عفان وكانت فيما يقال: أجمل وأحسن البشر وكانوا إليها ينظرون ويدركلون لها إذا رأوها عجباً منها حتى آذاها ذلك من أمرهم، وهم يتقون أن يؤذوا أحداً منهم للغربه ولما رأوا من حسن جوارهم فلما سار النجاشي إلى عدوه ساروا معه فقتلهم الله جميعاً لم يفلت منهم أحد)(١).

٣. كيف اطمأن قلبه أن يترك عرضه في أرض الغربه! مع أنها ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... كما يذكرون!؟

٤. ترى... ما كان جوابه لو سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبب تركه ابنته في الحبشه! وجاء بدونها... ألا يعلم أنه سوف يُسأل؟ أم أنه كان مطمئناً من عدم السؤال؟ أو أنه كان موقناً من أنها ربيته صلى الله عليه وآله وسلم.

وحتى في هذه الحالة، ترى ماذا كان جوابه، وماذا كان عذره بتركها!؟

٥. كيف ذهبت إلى المدينه؟.. وكيف وصلت!؟ وكيف استدللت طريقها!؟ ومع من خرجت؟.. لا أحد يجيب من الرواه على هذه التساؤلات.

لأنهم لا يملكون إلا- إجابته واحده وهي: إن رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاءت إلى المدينه وحيداً بدون زوجها، تحمل طفلها الرضيع، أو لعلها فطمته قبل الوصول إلى موطن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٢٥

١- سيره ابن إسحاق: ج ٤، ص ٢٠٠؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٤٧.

ثم لم تلبث بها إلا شهوراً قليلاً، أو لربما هي أيام قلائل حتى تمرض رقيه قبل خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر في السنة الثانية من الهجرة، فلما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من معركة بدر لم ير سوى قبرها، فجلس عند القبر، ومعه بضعة فاطمه عليها السلام وهي تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح دموعها.

وفى دمع فاطمه وفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ربما يجد المسلم! الإجابة على تلك التساؤلات.

ثاني عشر: اعتراف الحاكم النيسابوري بوهن حديث أبي هريره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولة الاعتذار عنه ؟

وفضلاً عن كل ما ذكر؛ ما جاء عن أبي هريره من القول والفعل، في حياه رقيه رضى الله عنها، عند دخوله عليها، وحديثه معها، لدليل واضح، على تدخل البعض ممن كان له غرض أو مرض في نسج صور مشوهه عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وسنته!

والعجيب مما في الأمر، أن الحاكم النيسابوري، عندما أورد الروايه علق عليها بقوله: «إن هذا حديث صحيح الإسناد، واهى المتن، فإن رقيه ماتت سنه ثلاث من الهجرة، عند فتح بدر، وأبو هريره إنما أسلم بعد فتح خيبر، والله أعلم، وقد كتبناه بإسناد آخر».

والإسناد الآخر هو: «حدثنا عبد المنعم بن إدريس، حدثني أبي، عن وهب بن منبه، عن أبي هريره، قال: دخلت على رقيه رضى الله عنها بنت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... الخ» وبعد أن ذكر هذا الحديث قال الحاكم: «ولا أشك أن أبا هريره، رحمه الله تعالى، روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابه، أنه دخل على رقيه رضى الله عنها، ولكنى قد طلبته جهدى فلم أجده فى الوقت»(١).

وهنا أراد الحاكم أن يرفع عن أبى هريره ادعاءً غير الصادق فى دخوله على رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه سأله عن عثمان وأجابته بجوابها الذى مرّ.

فعمد إلى القيام بوضع الأصباغ على هذه الصورة التى تنطق بالزيف، ظاناً أنه قد يضىء إليها بعض القبول، فكانت النتيجة أن هذه الأصباغ جعلت الصورة تصرخ بعدم الصدق أكثر فأكثر.

لأنه يعلم... كما يعلم الذهبى، الذى أقرّ ما أخرجه الحاكم، أن رقيه رضى الله عنها، ماتت قبل أن ترى وجه أبى هريره بخمس سنوات؟!

لكن مع هذا عمدوا إلى إخراجها، وإخراج غيرها من الأحاديث؟. لأنهم قد وقعوا تحت أسر السند الصحيح، حتى وإن كان المتن واهياً وباطلاً؟! وإن كانت صحه السند كاشفه عن حال راويه بل وحال ناقله أيضاً!

إذ إن الحاكم بقوله: «ولا أشك أن أبا هريره روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابه، إنه دخل على رقيه رضى الله عنها...»، يكون قد نسب إلى أبى هريره جنائتين بدل أن تكون جنابه واحده!

ص: ٢٢٧

١. أنه أثبت أن أبا هريره لم يكن صادقاً بقوله: «دخلت» وهو لم يدخل، وإنما الذى دخل على رقيه واحد ممن تقدمت صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان معاصراً لرقيه رضى الله عنها.

٢. أنه أثبت أن أبا هريره قد ادعى القيام بجهد غيره من الصحابه، سرق حديث غيره، ونسب لنفسه عملاً لم يقم به أصلاً، إنما قام به أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فيكون أبو هريره هنا وبحسب قول الحاكم: «غير صادق، ومدعياً لجهد غيره»!

ثم بعد ذلك يثبت الحاكم بالدليل القاطع أن هذا الحديث مختلق وكله كذب على الله، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم! وعلى رقيه رضى الله عنها؟!!

لأنه نسب لها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عثمان بأنه «أشبه أصحابى بى خلقاً»، وهو لم يرها، ولم تره لتحدثه بهذا الحديث، فيأتى الحاكم ليعلن للمسلمين بأنه قد بذل قصارى جهده، لكى يعثر على واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحدث بنفس هذا الحديث عن رقيه رضى الله عنها فلم يجد!.

بينما كان من الأولى أن يبذل الحاكم بعض جهده ليثبت عدم صحه هذا الحديث ومن كان على شاكلته ليلقى بذلك الجهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وبعد هذه الجوله فيما أوردته المصادر الإسلاميه من ترجمه لشخصيه رقيه رضى الله عنها فقد بدا واضحاً بأنها لا يمكن أن تكون بنتاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وسيرتها تحمل كل هذه الإشكالات والمتناقضات العقليه والنقلية.

بل إن هذه السيره لا تتناسب حتى مع كون رقيه رضى الله عنها ربيبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن أن تلدها خديجه عليها السلام، من صلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن قولنا بأنها ربيبه قد يخفف بعض هذه الإشكالات من قبيل أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يترك هؤلاء البنات تحت رحمه المشركين أو يدعهن عرضة للأخطار والأهوال دون أن يتدخل فى انقاذهن التزاماً بما يفرضه مقام الوالديه عليه بل إن قولنا بأنهن ربائبه قد يتناسب مع عمرهن منذ الولاده إلى الوفاة وأن هذه السنين لا تتعارض مع ولاده القاسم ووفاته فى الإسلام.

وعليه: فإن هذه السيره كما مرّ بيانه من الإشكالات والأدله لكاشفه عن التلاعب الكبير فى سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل بكل جزئيات هذه السيره، ولذا فنحن بحاجة إلى الرجوع إلى الثقلين القرآن والعترة النبويه وإلى دراسه هذه السيره وتحقيق ما رواه الرواه لعلنا نوفق إلى الذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى لم يزل يتعرض للأذى والعدوان من أعداء الله والإنسانيه.

لكنها استحققت رتبه البنت لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى تكفل بها، فعرفت بين الناس بأنها ابنته.

المسألة الأولى: ماذا يقول النقل عن أم كلثوم رضی الله عنها؟

إشاره

كما اعتدنا في الفصلين السابقين أن نتناول ما ذكره النقل عن بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عمدنا هاهنا أيضاً على نقل ما جاءت به مصادر المسلمين، في عرضها لسيره البنت الثالثه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهي أم كلثوم رضی الله عنها، والتي اشتهرت وعرفت بهذه الكنيه.

أولاً: لا يعرف المسلمون لأم كلثوم اسماً؟

أما اسمها فقد قيل: إنه «أميه» (١)، وقيل: لا يعرف لها اسم (٢).

ثانياً: عدم معرفه سنه ولادتها؟

وأما ولادتها:

فإن الرواه لم يذكروا لها سنه ولاده. لكن هناك من ذهب إلى أنها ولدت بعد رقيه، وقبل فاطمه الزهراء عليها السلام (٣).

ص: ٢٣٠

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ج ٤، ص ٤٨.

٢- تاریخ الخمیس للديار البكري: ج ١، ص ٢٧٢؛ نور الأبصار للشبلنجي: ص ٤٣.

٣- أسد الغابه لابن الأثير: ج ٧، ص ٣٧٤؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٩٥٢؛ جامع الأصول لابن الأثير: ج ١٢، ص ٢٧٥؛

تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٦، ص ٥٥٤؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٨٠.

وعليه:

فإن ولادتها تكون في السنه الرابعه والثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن رقيه رضى الله عنها، كما ذكرنا سابقاً، قد ولدت سنه ثلاث وثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا أقل الاحتمالات بلحاظ أن المرأه تحتاج إلى ما يقارب السنه بين كل مولودين؛ ولذا قد تكون أم كلثوم قد ولدت بعد رقيه بسنتين أو ثلاث وهذا يعنى أن عمرها يكون بين الأربع السنوات أو الخمس قبل بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبي لهب

وجاء أيضاً: بأنها تزوجت من عتيبه بن أبي لهب قبل النبوه، «ولم يبين بها حتى بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم»!؟

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله تعالى:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

قال له أبوه رأسى من رأسك حرام، إن لم تفارق ابنته، ففارقها ولم يكن دخل بها(١).

ص: ٢٣١

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٣٠-٣١؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٤٠، برقم ٤٢٠١؛ جامع الأصول لابن الأثير: ج ١٢، ص ٢٧٥؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٨٨؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٧، ص ٣٧٤؛ المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزبير بن بكار: ص ٣٠.

رابعاً: إسلامها كان مع إسلام أمها خديجة عليها السلام

فلم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلمت حين أسلمت أمها، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بايعت النساء.

خامساً: هاجرت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة

وهاجرت إلى المدينة، حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخرجت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة(١).

وقيل إنما كانت هجرتها بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة(٢) فلم تزل بها.

سادساً: زواجها من عثمان بن عفان بعد موت أختها رقيه

فلما توفيت رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف عثمان ابن عفان على أم كلثوم رضی الله عنها وكانت باكراً وذلك في شهر ربيع سنة ثلاث من الهجرة وأدخلت عليه في جمادى الآخرة(٣).

وقد بين الرواه سبب زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان، من خلال الحديث التالي: (عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريره، أن

ص: ٢٣٢

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨ ص ٣٠-٣١.

٢- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٥٢-٢٥٣.

٣- الإصابه لابن حجر: ج ٤، ص ١١٧؛ البصائر والذخائر للتوحيدى: ج ٥، ص ١١٥؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨ ص ٣٠-

٣١؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٨٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص

١٨٤٠، برقم ٤٢١٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي عثمان بن عفان وهو مغموم، فقال:

«ما شأنك يا عثمان»؟.

قال: بأبي أنت يا رسول الله وأمي، هل دخل على أحد من الناس ما دخل عليّ، توفيت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رحمها الله، وانقطع الصهر في ما بيني وبينك إلى آخر الأبد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أقول ذلك يا عثمان، وهذا جبرائيل عليه الصلاه والسلام يأمرني عن الله عز وجل، أن أزوجك أختها أم كلثوم، على مثل صداقها، وعلى مثل عدتها».

وفي روايه:

«وعلى مثل عشرتها».

فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١)، فلم تزل عنده إلى أن ماتت سنه تسع من الهجره (٢).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«زوجوا عثمان لو كانت عندي ثلثه لزوجته» (٣).

ص: ٢٣٣

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ج ٤، ص ٤٩؛ وقره الذهبی فی التلخیص المطبوع مع المستدرک؛ أسد الغابه لابن الأثیر: ج ٧، ص ٣٧٤؛ تاریخ ابن عساکر: ج ٣، ص ١٥٣.

٢- الوفا لابن الجوزی: ج ٢، ص ٦٥٦؛ التبيين لابن قدامه: ص ٩٠؛ مختصر تاریخ دمشق لابن منظور: ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٨؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٨٨.

٣- مجمع الزوائد للهيثمی: ج ٩، ص ٨٣؛ تاریخ دمشق لابن عساکر: ج ٩، ص ٤٤.

وفى روايه أخرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لو كن عشرًا لزوجتهن عثمان»^(١).

وفى روايه ثالثة قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو كان لى أربعون بنتًا لزوجتهن عثمان واحده بعد واحده»^(٢).

وأما مراسم دفنها فقد ذكر الرواه: أن نساء الأنصار قمن بتغسيلها وكانت فيهم أم عطيه^(٣)، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد جلس على قبرها وعيناه تدمعان فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليله فلم يدخل عثمان القبر»^(٤).

وفى روايه أخرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«هل منكم رجل لم يقارف الليله أهله؟».

فقال أبو طلحه: أنا يا رسول الله، قال:

ص: ٢٣٤

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٣٠-٣١؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٥٤.

٢- مسند الفردوس للدليمى برقم (٥٠٣٢)؛ تاريخ مدينه دمشق: ج ٣٩، ص ٤٣؛ كنز العمال للهندي: ج ١٣، ص ٥٩.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٣٠-٣١؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٨٨؛ التاريخ الصغير للبخارى: ج ١، ص ٤٤؛ المستدرک للحاكم: ج ٤، ص ٤٧.

٤- أخرجه البخارى فى صحيحه، باب من يدخل فى المرأه من كتاب الجنائز: ج ٣، ص ١٦١؛ المستدرک للحاكم: ج ٤، ص ٤٧، ط دار المعرفه - بيروت؛ زاد المعاد لابن الجوزى: ج ١، ص ١٧٧.

«فانزل في قبرها»(١).

وقيل: إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي نزل بقبرها، ونزل أيضاً الفضل بن عباس، وأسامة بن زيد(٢).

المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن أم كلثوم رضی الله عنها؟

إشارة

بعد أن بينا ما ذكرته المصادر الإسلامية، التي تناولت سيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وما ورد فيها من حياه البنت الثالثة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قمنا بعرض هذه السيرة على طاوله البحث العلمى والموضوعى، لمعرفة صحه ما نقلته هذه المصادر من ترجمه لهذه الشخصيه التي قدمتها على أساس أنها إحدى بنات النبي الأعظم روى فداه.

فكانت النتيجة التي لم نعتمد فيها على العقل فقط ، وإنما بمقابله النصوص التاريخيه والحديثيه على نصوص وأحاديث أخرى، لأجل أن نقدم للقارئ الكريم الصورة النقيه والواضحه.

هى كالاتى:

ص: ٢٣٥

١- المستدرک على الصحيحين للنيسابورى: ج ٤، ص ٤٧؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٣٠-٣١؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ مسند أحمد بن حنبل بسند صحيح برقم ١٢٢٧٧؛ غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال: ج ١، ص ١٥٢؛ الإصابه فى معرفه الصحابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٨٨؛ الروضه الفيحاء: ج ١، ص ٢٣٣، برقم ٤٠.

٢- الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٨٨.

أولاً: كيف يمكن أن تكون بنت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مجهوله الهويه فلا يعرفها المسلمون إلا بالكنيه؟!

من الغريب جداً أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنت لا يعرف لها اسم إنما عرفت بالكنيه فقط .

أما ما ذكره الحاكم في المستدرک من أن اسم أم كلثوم هو «أميه»، فلم يقره الذهبي في تلخيصه، وذلك لضعفه.

فضلاً عن أن هذا الاسم لم يقل به غير مصعب بن الزبير، وذلك حسبما جاء في المستدرک.

وعليه: فإن عدم وجود اسم لأم كلثوم أمر يرفضه العقل وبخاصه كونها بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى يعنى بأمره كل

مسلم وكافر، فكيف تكون ابنته هذه مجهوله الاسم دون بقية أخواتها «زينب ورقيه وفاطمه»؟!

والرواه الذين عجزوا عن معرفه اسمها فهم أعجز فى تسجيل حياتها.

ثانياً: جهل الرواه بسنه ولاده أم كلثوم رضى الله تعالى عنها

لم يذكر أى مصدر من المصادر الإسلاميه إطلاقاً السنه التى ولدت فيها أم كلثوم. بل إن المصادر الإسلاميه تناولت فى الأغلب الترتيب فى ولاده أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، دون الإشارة إلى سنه ولاده كل بنت.

وهذا الأمر بحد ذاته غريب! لأنهنّ لسنّ بنات رجل عادى، إنما هنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فضلاً عن ذلك، فإن بعض المصادر ذكرت: أن أم كلثوم رضى الله عنها ولدت بعد زينب ورقيه، وهو ما اعتمده ابن عبد البر، وغيره.

وبما أنهم قد ذكروا أن رقيه ولدت سنه ثلاث و ثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن أم كلثوم على أقل تقدير تكون ولادتها سنه أربع و ثلاثين أو خمس و ثلاثين أو أكثر من ذلك، من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعليه: فإن عمرها عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون ست سنوات، أو خمس سنوات، أو أقل.

ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبي لهب أسطوري وهو أغرب من الخيال!!

زواجها من عتيبه بن أبي لهب أسطوري؛ إذ لم يرد وقوع زواج كهذا حتى في قصص الخيال؛ لأن عمرها عندما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ست سنوات، أو خمس، أو أربع سنوات.

فكم كان عمرها عندما تزوجها عتيبه قبل النبوه؟! أكان أربع سنوات، أم كان خمس سنوات أو لعلها في السنه الثالثه؟!

أليست هذه دسيسه من دسائس أعداء الإسلام!!؟ فأى إنسان يرضى بزواج طفله عمرها أربع سنوات؟! وكيف يمكن التصديق بأن أم كلثوم تزوجت بهذا العمر وهى ابنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

وعليه: فأما أن تكون السيره التى نقلها الرواه عن بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أساس لها من الصحه، وأما أن تكون أم كلثوم هى ربيبه خديجه عليها السلام، وأنها ولدت قبل هذا التاريخ بسنين عديده تمكنها من الزواج من عتيبه بن أبي لهب وتبقى عنده سنوات وهذا كله قبل بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأما أننا نقف أمام مأساه فى السيره والتاريخ الإسلامى.

رابعاً: لماذا يؤكد الرواه على أن عثمان تزوج بها وهي باكر؟! وهم قد جهلوا حتى اسمها!؟

ثم يضيف لنا النقل: أن عتيبه عندما تزوجها لم يدخل بها، حتى بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

طلب منه أبوه أن يطلقها، أو يتبرأ منه، فطلقها: وكان لم يدخل بها.

هذه الفقرة من سيره أم كلثوم تتضمن ما يلي:

١. قول الراوى: لم يدخل بها حتى بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدل على أنها كانت متزوجه من عتيبه قبل النبوه بفترة طويله من الزمن؟ لأن «حتى» فى اللغه تستخدم للأبعد زماناً ومكاناً.

وعليه: فلا أحد يعلم، كم حملت «حتى» معها من السنين الزوجيه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأم كلثوم عمرها ست سنوات، عندما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم!؟

٢. قلنا فى الفصل السابق إن سوره «المسد» نزلت فى السنه الثالثه من البعثه فى مكه المكرمه (١)، فكم يا ترى أمضت أم كلثوم من السنين وهى متزوجه من عتيبه ولم يدخل بها؟ ربما خمس سنين، أو أربع!؟ فما الذى كان يمنع ابن أبى لهب من زوجته!؟ ثم ما هو الداعى من التأكيد على هذه النقطه بالذات، حتى أصبحت اهتمام الرواه!؟

ص: ٢٣٨

١- أسباب النزول للواحدى: ص ٣٤٥.

٣. إذا كان التاريخ دقيقاً إلى هذه الدرجة بتسجيل نقاط حياه أم كلثوم فيرقب إن كانت باكرأ، أم ثيبأ.

فكيف يغفل عن اسمها؟! فلا يعرف لها اسماً؟!

أفكان اسمها لا يعنى للرواه شيئاً، بقدر ما يعنى لهم أن يحظى بها عثمان ابن عفان باكرأ؟!

أم أنهم يعلمون جيداً أنها ليست بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم فلم يهتموا لمعرفة اسمها؟!

رابعاً: استحاله أن تكون قد أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام

قولهم: (وأسلمت حين أسلمت أمها)، هذه الفقرة أجبتنا عليها فى الفصل السابق، وقلنا: إن هذا الأمر لم يقل به أحد من المسلمين، الذين سجلوا لنا أسماء الذين سبقوا إلى الإسلام وآمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما كان أحد منهم قد ذكر أسماء بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أسلمت خديجه عليها السلام، فضلاً عن أن عمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان خمس سنوات أو أربعاً وهى لا تدرك هذا الفعل فكيف تكون أسلمت مع أمها.

خامساً: تخبط الرواه فى قولهم أنها بايعت مع أمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قولهم: (وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أخواتها حين بايعت النساء) فليتهم ذكروا لنا أى بيعه يقصدون أبيعه الرضوان أم بيعه الشجره أم بيعه نساء الطلقاء؟!

فإذا كان المراد هو بيعه الرضوان، فتلك البيعه لم تكن فيها إلا امرأتان من الأنصار، جاءتا مع زوجيهما لبيعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما بيعه الشجره فإنها كانت سنه (ست للهجره) وهذه البيعه لم تحضرها واحده من أخواتها، لأن رقيه ماتت قبل البيعه بـ (أربع سنوات) وأما زينب فقد بينا أنها كانت في مكه بعد بدر، بفترة طويله، فليس من المؤكد أنها كانت في المدينه لتخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتباع تحت الشجره.

وأما بيعه نساء الطلقاء فلم تكن واحده من بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوجه لأحد من الطلقاء، فأى بيعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضرتها أم كلثوم مع أخواتها وبايعت؟!!!

سادساً: لماذا يفرق الرواه بينها وبين الفواطم في الخروج من مكه فيقال: خرجت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أليست هي من عياله؟!!

قولهم وهاجرت إلى المدينه حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخرجت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه، وفي قول آخر: إنما هاجرت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيه عدّه نقاط :

١. لم يذكر لنا أى مؤرخ أو كاتب فى السيره النبويه أن هجره النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما حدثت، كان معه حين خرج واحده من بناته.

٢. خروج حُرْم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد مخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تسرد بهذه اللفظه «عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»؛ لأن اللفظ الذى تناوله المؤرخون هو «خروج الفواطم» وهن أربع

نساء «فاطمه بنت أسد، وفاطمه بنت حمزه بن عبد المطلب، وفاطمه امرأه عقيل بن أبي طالب، وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

كما أن البخارى فى صحيحه عندما تحدث عن خروج الفواطم لم يذكر أى وجود لأم كلثوم بينهن(1).

٣. ما هو المراد من قول الراوى: «خرجت مع عيال النبى صلى الله عليه وآله وسلم»؟! أليست هى من عيال النبى؟! أم أنها غريبه عنهم ليقولوا إنها خرجت مع عيال النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ لأن الواصف لعملية خروجها بهذه اللفظه، التى لا تحمل إلا معنى واحداً وهو أنها ليست من عيال النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

سابعاً: إن بقاء أم كلثوم ثلاث عشره سنه بعد طلاقها من عتيبه بدون زواج وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر فى غاية الغرابة!؟

أليس من الغريب جداً، أن تظل أم كلثوم وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل هذه السنين، من حين نزول:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

فى السنه الثالثه من البعثه، إلى السنه الثالثه من الهجره، ولم يتزوجها أحد؟! فهل يعقل أنها ظلت ثلاث عشره سنه ولم يتقدم صحابى للزواج منها حتى يوفى رقيه الأجل فيتقدم عثمان للزواج منها؟! أترى إذا لم تمت رقيه أكانت أم كلثوم تبقى بدون زواج!؟

ص: ٢٤١

١- راجع المبحث الأول من حياه زينب من الكتاب.

ثامناً: ما هي العلة التي جعلت أبا هريره يتدخل في حياه بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يدرك من الإسلام إلا ثلاث سنوات وأشهرًا؟!

أما سبب زواجها من عثمان، فقد بينه لنا أبو هريره السدى رافقنا في حياه بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث: بين قائدٍ لسريّه هجوميّه أوكلت إليه مهمه قتل هبار بن الأسود وصاحبه في حياه زينب رضى الله عنها، وبين دخوله إلى بيت عثمان ومحادثته زوجته لتروى له إحدى مناقب زوجها عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في حياه رقيه، وبين أن يبين لنا السر في زواج عثمان من أم كلثوم.

كل هذه الأمور تفضل بها: أبو هريره، وهو لم يكن في زمن تلك الأحداث! إنما جاء إلى الإسلام في السنه السابعه، أى: بعد زواج أم كلثوم بأربع سنين!

فمتى لقي عثمان ليرى ما عليه من حزن؟ ومتى سمع رقيه تحدث بمناقب زوجها؟ ومتى أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتل هبار بن الأسود؟

هذه الأمور جعلتني أتعقب هذه الشخصيه في كتب الرجال وسيرهم فبدا أبو هريره بين صفحات هذه المصادر بهذه الصوره:

لكن قبل أن أنقل هذه الصوره التي تحدثت عنها كتب الرجال والتراجم والأدب وغيرها، لابد من الإشاره إلى هذه الملاحظه:

ألف: أود أن أذكر أن الغايه هي ليست الانتقاص من شخصيه معينه، إنما الهدف هو النقل بكل أمانه بما جاءت به مصادر المسلمين لأجل بلوغ الحججه وإيصالها إلى كل مسلم.

ص: ٢٤٢

باء: ليس من السهل أن تنقل الواقع الذي عمل أعداء الإسلام على إخفائه حيناً، وتغييره حيناً، وقلبه حيناً آخر.

وعليه:

فإنك تجد أن البعض عدّ هذه الشخصية معجزه من معجز النبوه؟! لكثرة ما حدّث به من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المدّة القصيره التي أمضاها في الإسلام والبالغه ثلاث سنين.

لكن مهما يكن من تضليل للحقائق، فإنّ الله يأبى إلا أن يتم نوره.

أما الصورة الحقيقيه لهذه الشخصية فهي كالآتي:

١. اختلف في اسم أبي هريره، واسم أبيه اختلاف كبير (١)، وقال ابن عبد البر: ولكثره الاضطراب في اسمه، واسم أبيه، لم يصح عندي في اسمه شيء يعتمد عليه (٢).

وقال ابن الصلاح: اختلف في اسمه واسم أبيه اختلاف كثير جداً لم يختلف مثله في اسم أحد في الجاهليه والإسلام (٣).

٢. أسلم أبو هريره عام خيبر، في السنه السابعه من الهجره النبويه المباركه (٤)، أي: أنه أدرك من حياه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث

ص: ٢٤٣

١- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٢٣٧.

٢- شرح صحيح مسلم للنووي: ج ١، ص ٦٧؛ مسند ابن راهويه: ج ١، ص ١١؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١٢، ص ٢٤٠.

٣- مقدمه ابن الصلاح: ص ١٩٥.

٤- تهذيب الكمال: ج ٣٤، ص ٣٧٦.

سنوات فقط ، ومع هذه الفترة القصيره، إلا أنه ملأ صحاح المسلمين بأحاديثه التي رأينا نموذجاً منها في الفصول السابقه.

٣. وكان أبو هريره يُحدث عن كعب الأحبار أيضاً(١)، فيجلس يحدث المسلمين بأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن كعب الأحبار وما أن يتفرق المجلس حتى يحدث البعض بحديث كعب الأحبار وقد نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. اتهمته عائشه بالكذب فقالت له: «إنك لتحدث بشيء ما سمعته قال: يا أمه طلبتها وشغلكت عنها المكحله والمرآه فقالت: لعله(٢).

٥. أما عمر بن الخطاب، فقد منعه من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حد الضرب بالدره مره! وقد قال له: (قد أكثرت الحديث وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(٣).

والتهديد بالنفى مره أخرى، قائلاً له:

(لتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لألحقنك بأرض دوس)(٤)!

ص: ٢٤٤

١- الإصابه: ج ٧، ص ٤٣١؛ تهذيب الكمال للمزى: ج ٣٤، ص ٣٦٧.

٢- الحاكم فى المستدرک: ج ٣، ص ٥٠٩؛ الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٤٤٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٦٠٤.

٣- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١، ص ٣٦٠.

٤- أخرجه الذهبى فى السير: ج ٢، ص ٦٠١؛ وأبو زرعه الدمشقى فى تاريخه برقم «١٤٧٥» من طريق محمد بن زرعه.

وقال لكعب الأحبار: «لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة»(١).

ولم يكتب عمر بن الخطاب بهذا الخطاب فقط ، إنما صادر أمواله لاتهامه بسرقة أموال المسلمين، الممثلة ببيت المال، بعد أن ولاه الإمارة على البحرين.

فلما قدم عليه قال: (يا عدو الله، وعدو رسوله، سرقت مال الله؟! فأخذ منه عشرة آلاف درهم فألقاها في بيت المال)(٢).

وبعد أن عزله عن الإمارة سأله قائلاً: «كيف وجدت الإمارة؟ قال: بعثتني وأنا كاره، ونزعتني وقد أحببتها.

وأتاه بأربع مائه ألف من البحرين فقال: ما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً.. قال: من أين أصبتها؟!.. قال: كنت أتجر.. قال: أنظر رأس مالك ورزقك فخذ، وأجعل الأمر في بيت المال»(٣).

٦. أن خير ما يعرف به المرء، هو حديثه عن نفسه، وقد قيل: الاعتراف سيد الأدلة. وقد تحدث أبو هريره عن نفسه معترفاً وقائلاً:

ألف: قال: حفظت من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم(٤).

ص: ٢٤٥

١- المصدر السابق.

٢- الكنى والألقاب: ج ٢، ص ١٨١؛ الفائق للزمخشري: ج ١، ص ٦٦.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤، ص ٣٣٥-٣٣٦؛ سير الأعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٦١٧-٦١٨.

٤- أخرجه البخارى فى الصحيح من طريق سعيد المقيرى عن أبى هريره، باب: حفظ العلم ج ١، ص ١٩٢-١٩٣.

باء: كان يقول: «رب كيس عند أبي هريره لم يفتحه»(١).

جيم: قال: «كذبت حتى رميت بالقشع» أي: كناسه الحمام (٢)!!.

دال: عن عكرمه: أن أبا هريره كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحه ويقول: «أسبح بقدر ذنبي»(٣)!!.

وكان يقول: «اللهم أرزقني ضرساً طحوناً، ومعداً هضوماً، ودبراً نثوراً»(٤)!!.

٧. وقد عرف أبو هريره بالكذب حتى اشتهر به، وقد قال فيه الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام:

«ألا إن أكذب الناس علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريره الدوسي»(٥)!!.

٨. وقال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي شيخ ابن أبي الحديد: «إنَّ أبا هريره مدخول عند شيوخنا غير مرضى الروايه»(٦).

وقد سئل أبو حنيفه إمام المذهب الحنفي: إذا جاء قول للصحابه يخالف قولك، فماذا تفعل؟ قال: أترك قولي وأخذ بقول الصحابه، إلا ثلاثه منهم:

ص: ٢٤٦

١- أخرجه الذهبي في السير: ج ٢، ص ٥٩٧؛ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ١٩، ص ١١٦.

٢- الكامل للميرد: ج ٢، ص ٢٤.

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٦١٠.

٤- ربيع الأبرار للزمخشري: ج ٤، ص ١٦٦.

٥- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٣٦٠.

٦- المصدر السابق.

«أبو هريره، وأنس بن مالك، وسمره بن جندب»(١).

٩. وعن الثورى، عن منصور، عن إبراهيم، أنه قال: «ما كانوا يأخذون من حديث أبى هريره إلا ما كان حديث جنه أو نار»(٢).

وقيل أيضاً: «إنه ليدلس فى الحديث»(٣).

١٠. ولقد استخدمه معاويه بن أبى سفيان، كورقه سياسيه ودينيه، لتنفيذ مطامعه، وتحقيق أهدافه مستغلاً بذلك صحبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبذل أبو هريره الكثير من كيسه الملىء بالأحاديث فى خدمه معاويه الذى بذل لأبى هريره فى المقابل الكثير من الأموال والسلطه، والجلوس عنده، وتقريبه لديه وأكل المضيره معه، ولشده إعجابه بالمضيره، لقب أبو هريره بشيخ المضيره.

ومن الأمور التى عملها معاويه فى هذا الخصوص: هى أنه وضع قوماً من الصحابه وقوماً من التابعين، على روايه أخبار قبيله فى على عليه السلام تقتضى الطعن فيه والبراءه منه.

وجعل لهم على ذلك جعلاً- يرغب فى مثله، فاختلفوا ما أرضاه. منهم: «أبو هريره، وعمرو بن العاص، والمغيره بن شعبه، ومن التابعين عروه بن الزبير»(٤).

ص: ٢٤٧

١- الكنى والألقاب: ج ١، ص ١٨١.

٢- سير أعلام الذهبى: ج ٢، ص ٦٠٩.

٣- المصدر السابق.

٤- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١، ص ٣٥٨.

ومن هذه الأحاديث، قول أبي هريره، يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الأمناء ثلاثه أنا وجبرائيل ومعاويه»؟! قال الخطيب، والنسائي، وابن حيان: هذا الحديث باطل، موضوع. وكذبه أيضاً السيوطي، وابن حيان، وابن عدى، وأبو يعلى.

وقال الذهبي في ميزانه، ولسان الميزان: وهذا كذب (1).

بقي أن نقول: إن السبب فيما أوردناه من ملامح لهذه الصوره التي نقلناها بكل صدق من مصادرهما، ما كان إلا لنبين أن حياة بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد تدخّل فيها الكثير من أعداء الإسلام؛ وقاموا في صياغتها بهذا الشكل الذي نقلناه من مصادره في المباحث الثلاثه.

وما أبو هريره إلا- نموذج من النماذج التي سنتعرف على صورتها الحقيقيه خلال سيرنا إن شاء الله مع حياة الصديقه الطاهره خديجه الكبرى عليها الصلاه والسلام.

تاسعاً: لماذا يقوم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتزويج أربعين بنتاً لعثمان ؟ وهل يصح ذلك ؟!

أما ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القول في تزويج بناته من عثمان، بعد وفاه أم كلثوم فهو مرفوض عقلاً وشرعاً لما يأتي:

١. ترى ألم يكن هناك بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يستحق أن يزوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إحدى بناته حتى يكنّ حكراً

ص: ٢٤٨

١- ميزان الاعتدال: ج ٢، ص ٥٢١، ترجمه الحسن بن عثمان، وذكره أيضاً في لسان الميزان.

على عثمان؟! أليس هذا تعريضاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبصحابته المنتجبين رضى الله عنهم.

٢. ترى ما ذنب كل هؤلاء البنات يبقين بدون زواج واضعات أيديهن على خدودهنَّ ينتظرن متى تموت أختهنَّ التي تزوجها عثمان حتى يتقدم للزواج بها!؟

٣. ترى كم كان يحتاج عثمان بن عفان من السنين حتى يتمكن من الزواج بأربعين امرأه كلما ماتت واحده تزوج بأختها!؟

٤. إن الملاحظ في هذه الروايات: أن عدد بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد تدرج في الصعود حتى وصل الرقم إلى أربعين بنتاً، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتمنى إن كان عنده ولو بنتٌ واحده على الأقل بعد رقيه وأم كلثوم ليزوجها من عثمان بن عفان!؟

في حين أن الراوى قد فاته أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد كان عنده في الواقع بنتٌ بعد رقيه وأم كلثوم وهى الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام، فلو كان ما روى حقاً، لكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حبس فاطمه عليها السلام ومنع زواجها من الإمام على عليه السلام ولأبقاها إلى عثمان كى يتزوج بها بعد أم كلثوم، ولكن سهل على الراوى عدم رفع العدد إلى الأربعين.

وعليه: فهذا التمنى ليس له وجود إلا- في نفس الراوى، ومن كان قد جعل وجوداً وهمياً لأربعين بنتاً للنبي، فمن السهل عليه أن يجعل لثلاث بنات وجوداً خارجياً ملموساً.

المسأله الثالثه: الحلقه المفقوده تكمن فى أن أزواج بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث هم من بنى أميه!!

اشاره

بعد أن انتهينا من هذه الجوله التى بينا فيها ما احتوته المصادر الإسلاميه التى تعنى بالتاريخ والسيره والتراجم، عن حياه (زينب، ورقيه، وأم كلثوم).

والتى قدمتهن المصادر على أساس أنهنّ بنات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المرحله الأولى من البحث.

قمنا فى المرحله الثانيه بعرض هذه السيره على العقل، والنقل أيضاً. بمباحث ومسائل نأمل أن تكون وافية، وقد أدت الغايه المرجوه منها وهى: إيصال الحقيقه الواضحه المشفوعه بالأدله المبينه، والتى كانت جميعها قد أثبتت أن: (زينب، ورقيه، وأم كلثوم) لا يمكن عدّهن بنات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأُمور الآتية:

أولاً: تعارض سيرتهن مع إجماع المسلمين فى كون القاسم أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لأذن سيرتهن التى جاءت بها المصادر الإسلاميه، تستلزم أن يَكُنَّ ولدن قبل النبوه بسنين عديده، وقد بلغن مرحله من العمر تمكنهنّ من دخول بيت الزوجيه كزوجات وأمّهات. وهذا مخالف ومعارضٌ لجمهور علماء المسلمين فى كون القاسم أول مولود للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه قد ولد ومات فى الإسلام وهو لم يتم رضاعه بعد.

ثانياً: تعارض هذه السيره مع النبوه؟

وإن هذه السيره نصت على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد زوجهنَّ من مشركين قبل النبوه؛ وبعضهم من قال بعد النبوه، فى حين ذهب البعض الآخر إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوج إحداهن قبل الهجره، أى بعد مرور عقد من السنين على البعته النبويه المطهره.

وهذا خلاف للشرع والعقل والنقل؛ إذ كيف يصح الجمع بين التوحيد والشرك؟ - وهذا والعياذ بالله - غاية فى الافتراء على سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: ما نسبه قرابتهن من خديجه عليها السلام

فضلاً عن ذلك أن هذه السيره قد حوت الكثير من التناقضات العقليه والتعارضات النقليه والتي قد أشرنا إليها فى حينها ودلنا عليها فى مواضعها، والتي تقودنا إلى الاعتقاد بأنهن: (ربائب خديجه عليها السلام).

والظاهر أن هذا الأمر حصل قبل زواج خديجه عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن سيرتهنَّ تستلزم أنهنَّ نساء كبيرات فى العمر، وعندما انتقلت السيده خديجه عليها السلام إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، انتقلن معها، فنشأن عندها.

وقد أشار إلى هذه الحقيقه بعض العلماء، منهم: أبو القاسم الكوفى، وابن شهر آشوب، والمجلسى، بقولهم: (إنهنَّ بنات أخت خديجه عليها السلام)^(١)،

ص: ٢٥١

١- الاستغاثه: ج ١، ص ٦٨-٦٩؛ المناقب لابن شهر: ج ١، ص ٢٠٦، نقلاً عن كتابى الأنوار

ماتت أمهنَّ فأخذتهنَّ خديجه؛ أو لعل خديجه اتخذتهن في دارها كي تعيل أختها كما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإعانه عمه أبي طالب حينما اتفق مع عمه العباس بن عبد المطلب بالتخفيف عن أبي طالب وإعانتته فاتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علياً عليه السلام ربيباً في حجره، واتخذ العباس عقيلاً، والحال نفسه قد يكون جرى مع خديجه عليها السلام مع أختها هاله أو غيرها.

فلما انتقلت إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، انتقلن معها إلى بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا:

فان هذا الوضع جعلهنَّ في مكانه البنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفنَّ بذلك، فظن البعض أنهنَّ حقاً من صلبه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ولدتهنَّ خديجه عليها السلام.

ص: ٢٥٢

رابعاً: كيف لا يجعلهنَّ حكام بنى أمية بنات رسول الله وقد تزوجن من بنى عمومتهم ؟

ولقد تقصّد البعض الآخر على ترويح أنهنَّ بناته صلى الله عليه وآله وسلم، لأغراض عديده سياسيه، وعدائيه؟! كان المستهدف الأول فيها على أمير المؤمنين وفاطمه الزهراء عليهما السلام!؟

وكيف يكونان مستهدفين وأزواج زينب، ورقيه، وأم كلثوم رضى الله عنهنَّ ، كانوا من بنى أميه.

فعملت يد السياسه، والنزعه الانتقاميه فى نفوس من وصل إليهم سيف الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، وفى نفوس من نزع الإسلام عزهم وأذل كبرياءهم بنسج العديد من الأحاديث التى تخبر بثناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم على صهره «أبى العاص بن الربيع الأموى، وعثمان بن عفان الأموى».

فيمدح الأول بالوفاء بالعهد، وأنه لم يفرق بينه وبين زينب، وأنه أرجعها إليه بعقدتها القديم، ليوحوا إلى القارئ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً على هذا الصهر وإن كان مشركاً!

وفى صهر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثانى صوروا لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شديد الحرص عليه، وأنه كان يتمنى لو أن عنده أربعين بنتاً لزوجهنَّ جميعاً عثمان بن عفان!؟

بينما تجدهم عندما جاءت أقلامهم إلى بيت على وفاطمه عليهما السلام فإنهم صوروا هذا البيت والعياذ بالله، بأنه بيت فيه مشاكل زوجيه، وأن أمير المؤمنين يرغب فى الزواج من امرأه أخرى، فخطب بنت أبى جهل عدو الله

وعدو رسوله، فيمنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويخيره بين فاطمه وهذه المرأة(١). وإنهما كانا يتشاجران والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلح بينهما؟!!!

كل هذه الأكاذيب صيغت بعنايه فائقه؛ لأن علي بن أبي طالب هو الصهر الوحيد للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من حظى بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحيد، وأن هذه البنت هي بضعتة، وأنها سيده نساء العالمين(٢)، وأنها سيده نساء الجنة(٣)، وأنها، وأنها.. وهذا من جهة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما من جهة صهره، فعلى بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام هو ليث الوغى إذا اشتدت الأسنة، وهو قاطع دابر الكفر وهم في الأجنة، ويكفيك منه في الإسلام أنه ميزان القرآن والسنة، فمبغضه يساق إلى النار، ومحبه يزف إلى الجنة(٤).

ص: ٢٥٤

١- صحيح البخارى: ج ٣، ص ١٣٦٤، برقم (٣٥٢٣)، وبرقم (٣٥١٠) عن المسور بن مخرمه؛ وأخرجه مسلم فى صحيحه: ج ٤، ص ١٩٠٢ حديث (٢٤٤٩).

٢- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى: ج ٧، ص ١٣٦؛ عون المعبود بشرح سنن أبى داود: ج ٦، ص ١٠٦؛ فيض الغدير للمناوى: ج ٣، ص ١٠٧؛ سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١١٨؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٩٣؛ تهذيب الأسماء لابن حزم: ص ٣١٥.

٣- صحيح البخارى: ج ٣، ص ١٣٦٠.

٤- أخرجه البخارى فى صحيحه، فى باب فضل على عليه السلام عنه، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

وعليه:

فكيف لا تعمل يد الضلالة على جعل زينب، ورقية، وأم كلثوم، رضى الله عنهن بنات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنّ متزوجات من رجال بنى أميه؛ بل كيف لا يصنعون المستحيل لإلصاقهنّ ببنوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعثمان بن عفان قد تزوج اثنتين منهن من ثمّ فهو أقرب فى صهريته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فى حين غفل أولئك الأعراب أن القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكمن فى التقوى ويتجلى فى الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اعتقد أن هناك عاقلاً يرى أن على بن أبى طالب عليه السلام قد خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفه عين إلا اللهم من يرى رأى النواصب وأثمتهم مرده النفاق والشقاق.

ولعل البعض من القراء لا- يتصور أن يعمل أولئك الظالمون بكل ما أوتوا من قوه فى التلاعب بسيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته.

ف نقول:

لعل الأ-حزاب وشيخها، وصفين وليه هريرها، و كربلاء وعاشورها تخبرك بأوضح اللغات... إن كنت للغه العرب جاهلها، بما اقترفته يد بنى أميه وشيعتهم فى حربها لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٥٥

الفصل الخامس: القرآن يفسر بعضه بعضا

اشاره

ص: ٢٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۗ) (١)

مما لا شك فيه أن القرآن هو المصدر الأول في الرجوع إليه في أحكام الله. وهو المهيم فوق كل ذي حجه، إذ لا حجه بعد حجته؟ لأنها حجه الله البالغه.

لكن القرآن بدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن الدخول إليه، بل لا يمكن معرفته، وما جاء عن طلاب العلم فهو رأى يعتمد على الظاهر، وهذا الظاهر قد حار فيه جهابذه المعرفة، وتخبط فيه أساطين العلوم المختلفه، فكيف بمعرفه باطنه، وأنى لهم من الوقوف على تأويله؟ وفيه: ناسخٌ ومنسوخٌ، عامٌ وخاصٌ، مطلقٌ ومقيّدٌ، مجملٌ ومبيّنٌ، محكمٌ ومتشابهٌ، ومن هنا جاءت الحاجه للوقوف على أحكامه وفهم مراميه في الرجوع إلى مدينه علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أراد الدخول إلى المدينه، فلا بد له من قصد الباب لقوله تعالى:

(وَ اتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا.)

ومن دخل البيوت من غير أبوابها عدّ سارقاً، وكان دخوله رذيله عليه، وكان أمره مخزياً في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين على عليه السلام:

«قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الظالمون المكذبون، فحق الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقاً»(١).

فضلاً عن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع المسلمين حيارى، ولم يمنعهم من معرفه دينهم؛ لأن هذه الفعال ليست من صفات الأنبياء عليهم السلام، ولا هي من سجايهم، فما بالك بسيد المرسلين وخاتم النبيين.

أترك الامه دون أن يدلها على الباب الذى يوصلها إلى معرفه كتاب الله؟ فلا والله فلقد أوضح وأفصح، وأعذر وأنذر، لكى لا يحتج على الله محتج. فأعلن مراراً عن السبيل الموصل إلى معرفه كتاب الله، قائلاً:

«أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»(٢).

ص: ٢٦٠

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ج ٩، ص ١٦٥؛ وسائل الشيعة، العاملى: ج ٢٧، ص ١٣٥.

٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم، فى مناقب على عليه السلام: ج ٣، ص ٢٢٦، بسندين صحيحين أحدهما عن ابن عباس من طريقين صحيحين، والآخر عن جابر بن عبد الله الأنصارى؛ ترجمه الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساکر: ج ٢، ص ٤٦٤، الأحاديث

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«كنت إذا دخلت عليه بعض منازلہ أخلاني وأقام عنى نساءه، فلا يبقى عنده غيرى، وإذا أتاني للخلو معى فى منزلى لم تقم عنى فاطمه ولا أحد من بنى، وكنت إذا سألتہ أجابنى، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلى ابتدأنى.

فما نزلت على رسول الله، آيه من القرآن إلا أقرانيها وأملاها على، فكتبتها بخطى وعلمنى تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطينى فهمها، وحفظها، فما نسيت آيه من كتاب الله تعالى ولا علماً أملاه على .

ص: ٢٤١

وكتبته منذ دعا الله لى بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله، من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله، من طاعه أو معصيه، إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً.

ثم وضع يده على صدرى ودعا الله لى، أن يملأ قلبى علماً، وفهماً، وحكماً، ونوراً.

فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، منذ دعوت الله بما دعوت، لم أنس شيئاً ولم يفتنى شيء لم أكتبه، أتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل»(١).

فلذلك نجد أن الإمام على بن أبي طالب عليه السلام ما كان يرجع إلى أحد من الناس في مسألة، وكان جميع الناس يرجعون إليه في المسألة.

قال ابن عباس، الذى لقب بجبر الأئمة، لغزاره علمه: «لقد أوتى ابن على بن أبي طالب تسعة أجزاء العلم، وأعطى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم جزء واحد، ولقد والله شاركهم هذا الجزء»(٢).

وحيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معه فى حجة الوداع ما يقارب (١٢٤) ألف صحابى(٣) فكم يكون نسبة كل واحد منهم من هذا الجزء من العلم؟!

ص: ٢٦٢

١- الكافي للكلىنى: ج ١، ص ٦٤، باب اختلاف الحديث؛ الخصال للصدوق: ص ٢٥٧؛ إجماعات فقه الشيعة: ج ١، ص ٢٥.

٢- سمط النجوم العوالى: ج ١، ص ٦٦.

٣- تاريخ أبى الفداء: ج ١، ص ١٦٠.

وقالت عائشه زوج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، حينما سئلت عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما إنه أعلم الناس بالسنة»^(١). وهذه الأحاديث وغيرها تكشف لنا عن حقائق عديدة منها:

أولاً: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى بين لأمته منزله القرآن وهيمنته عليهم وأن الله أعد لكتابه حمله ووعاه فكانوا له أهلاً وكان لهم وِزْراً وسنداً فدل الأُمَّه عليهم وعرفهم بهم وأمرهم بالتمسك بهما.

ثانياً: لا تنجو الأُمَّه من الفتن ولا تأمن من الظلال دون الرجوع إلى الثقلين.

ثالثاً: لا يمكن الوقوف على ما فى القرآن بدون القرآن والعترة النبويه عليهم السلام.

ومن هنا فإن هذا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم فيه من الأسرار العجيبه والحكم اللطيفه التى احتارت فيها العقول!؟

ومن بين هذه اللطائف هى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ)

فإن الظاهر فى هذه الآيه، وتحديدأ قوله تعالى (وَبَنَاتِكَ) هن بناته من صلبه، حتى أن البعض احتج بلغه التقييد وعدم الخروج عنها، فكان احتجاجه مقبولاً، لأن ظاهر الآيه يدل على كونهن بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٤٣

١- أخرجه أبو عمر وأورده الطبرى فى الرياض النضرة: ج ٣، ص ١٦٠.

وبما أن سيرتهنَّ التي جاءت بها المصادر وبما حوته من التناقضات، وبما قدمناه من الأدلة التي تجمع على أنهن - رضى الله - عنهن لسن بنات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. قمنا بعرض هذه الآيه على نفس القرآن؛ لأنه هو الملاذ الوحيد لنا فى كل أمر أشكل علينا، ولكونه يفسر بعضه بعضاً، فيدفع المتشابه بالمحكم؛ فقد عرضنا هذه الآيه عليه فكانت النتيجة التاليه:

أولاً: دلالة صيغ المخاطبه فى القرآن الكريم

إن من الأمور التي لا تخفى على ذوى الألباب وأصحاب الذوق العلمى، أن القرآن الكريم وردت فيه آيات عديده تحمل صيغه الجمع. بينما المعنى بالأمر فى الحقيقه هو شخص واحد.

ففى آيه المباهله:

(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ .۱)

كان الظاهر من وجود لفظ (وَ نِسَاءَنَا) هم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخواته وبناته كما تدل عليه هذه اللفظه. لكن حقيقه الحال والذى عليه جمهور علماء الأئمه أن المراد والمعنى ب - (وَ نِسَاءَنَا) فى هذه الآيه هى: فاطمه الزهراء عليها السلام، إذ لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيرها إلى المباهله - فراجعه فى مواضعه فى كتب التفسير والتاريخ والسيره، والحديث، والأدب، واللغه -.

ص: ٢٦٤

فستجده مدوناً في مصنفاتهم وستجد أيضاً أن المراد بقوله تعالى (وَ أَنْفُسَنَا) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو بنص القرآن نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا ما تواترت عليه الأخبار عند جمهور المسلمين في ذكرهم لحادثه المباهله وخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مباحله نصارى نجران، حاملاً الحسين عليه السلام وماسكاً بيد الحسن عليه السلام وفاطمة تمشي خلفه وعلي بن أبي طالب يمشي خلفها(١) فإن هذه الآية كان ظاهرها يدل على الجمع بينما المقصود هو شخص واحد.

ثانياً: بنات الأنبياء هنّ بنات الأمّة في القرآن الكريم

إن القرآن يشير إلى حقيقته جليّه وواضحه فيما يتعلق بالأنبياء وروابطهم بالأمم التي بعثوا إليها. فالقرآن يشير إلى أن كل نبي من أنبياء الله عليهم السلام، هو بالنسبة للأمّة التي أرسل إليها وآمنت به، كالوالد لهم، وهم بمنزلة الأبناء له، وبنات الأمّة هن بناته بالمعنى التربوي، فلهن من الحقوق عليه ما على الآباء وله عليهن ما للآباء من البر.

وهذه الحقيقه يشير إليها عز ذكره في قوله:

(هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ ۖ ٢)

ص: ٢٤٥

١- التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨، ص ٨١؛ الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ١٩٣؛ تفسير القرطبي: ج ٤، ص ١٠٤؛ تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٣٢.

فإن المشار إليه في هذه الآية هو نبيُّ الله لوط عليه السلام، فكيف يمكن أن يقدم نبي الله لوط بناته لأهل المدينة؟! لو أخذنا بظاهر الآية بأنه عليه السلام يقصد بناته اللاتي ولدتهن حقاً وكيف يمكن أن تتحقق الطهاره لو أخذت المرأه رجلين في آن واحد؟!، فهذا دليل على أن (هُؤْلَاءِ بِنَاتِي) هُنَّ بنات الأمه، التي كان لوط عليه السلام نبيها.

وفي سورة الحجر جاءت الآيات لتعطى صورته واضحه لهذه الحقيقه، وهي قوله تعالى:

(وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١) .

فهل يمكن شرعاً وعقلاً أن يقدم نبي الله لوط عليه السلام بناته لأهل المدينة؟! لولا أن تكون بناته هُنَّ بنات الأمه.

هذه هي الحقيقه التي أخبر عنها القرآن الكريم. وبيّن أن المراد من بنات الأنبياء عليهم السلام هُنَّ بنات الأمم. وعليه: فإن المراد من قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ .)

هو بنات المسلمين.

ليس القرآن الكريم وحده الذى أشار إلى حقيقه أبوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأمة.. بل إن السنه النبويه الشريفه أكدت هذه الحقيقه، فضلاً عما اعتقده كثير من علماء السنه والجماعه فى هذه الأبوه.

المسأله الأولى: ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى أبوته للأمة

١ - قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا على أنا وأنت أبوا هذه الأمة»(١).

٢ - وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«حق على على المساكين كحق الوالد على ولده»(٢).

فهذه الأحاديث الشريفه تؤكد الحقيقه التى جاء بها القرآن، فى أبوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأمة المرحومه.

ص: ٢٦٧

١- معانى الأخبار للصدوق: ص ١١٨؛ كمال الدين للصدوق: ص ٢٦١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٣٠٠؛ العمده لابن البطريق: ج ٣٤٥؛ مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني: ص ٧؛ تفسير الألوسى: ج ٢٢، ٣١؛ اختيار معرفه الرجال للطوسى: ج ١، ص ٢٣٣؛ وأخرجه الشيخ الصدوق المتوفى سنه ٣٨١ هـ - فى أماليه: ص ٢٢، المجلس الرابع؛ وذكره أيضاً فى عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٩١-٩٢، حديث ٢٩، باب ٣٢؛ وأخرجه الخوارزمى فى المناقب: ج ٧٤، ص ٨٥، الفصل السابع فى بيان غزاره علمه؛ الفصول المهمه لابن الصباغ المالكى: ج ٢، ص ١١٧٩؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ص ٣٧٠.

٢- مناقب الإمام على لابن المغازلى: ص ٤٩، رقم ٧٠.

كما تنص أيضا على أبوه على بن أبي طالب لهذه الأمة أيضاً وحقه على المسلمين، وهو يسير جنباً إلى جنب، مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا على أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

فما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من حقوق على هذه الأمة كان لعلي عليه السلام من بعده صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا النبوه.

المسألة الثانية: اعتقاد كثير من علماء أهل السنة والجماعة ببنيه هذه الأمة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

وهذه الحقيقة قد أكدها بعض علماء المسلمين أيضاً، وذهبوا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو الوالد لهذه الأمة، وأن المؤمنين من زمانه إلى يوم القيامة هم أولاده. وهذه أقوالهم:

أولاً: ما ذهب إليه الراغب الاصفهاني، والآلوسي، والمناوي، في أبوته صلى الله عليه وآله وسلم للأمة

قال الراغب الاصفهاني وتبعه على ذلك الآلوسي: (الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً، ولذلك سمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباً المؤمنين).

قال الله تعالى:

ص: ٢٦٨

١- صحيح البخارى: ج ٤، ص ٢٠٨؛ كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: باب ٩، مناقب على بن أبي طالب وجاء بهذا النص: «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى».

(النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ٢، ١).

ثانياً: ما ذهب إليه الزمخشري، والنسفي، والخطيب الشرييني

«إن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك».

وهذا القول ذهب إليه: الزمخشري، والنسفي، والشيخ الخطيب الشرييني (١).

ثالثاً: ما ذهب إليه الغرناطي الكلبى، والشيخ محمد درّه، ومحمد على الصابونى

«والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه، فهو كالوالد لهم، وهو أولى بهم من أنفسهم».

وهو قول: الشيخ محمد درّه، والأستاذ محمد على الصابونى (٢).

رابعاً: ما ذهب إليه البروسوى

«وجعله أباً للمؤمنين فهم أعقابه وأولاده إلى يوم القيامة».

قاله: الشيخ حقى إسماعيل البروسوى (٣).

ص: ٢٦٩

-
- ١- الكشاف للزمخشري: ج ٦، ص ٤٤٧؛ مدارك التنزيل للنسفي: ج ٤، ص ٥٦٤؛ تفسير السراج المنير للشرييني، سورة الكوثر.
 - ٢- التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبى: ج ٤، ص ٢٢٠؛ تفسير القرآن الكريم وإعرابه للدرّه: مجلد ١٦، ج ٣٠، ص ٤٨٧؛ صفوه التفاسير للصابونى: ج ٣، ص ٥٨٦.
 - ٣- تفسير روح البيان للبروسوى تفسير سورة الكوثر: ص ٥٢٥.

«فجميع المؤمنين أولاده».

وهو قول أبي حيان الأندلسي الغرناطي (١).

فهذه بعض أقوال علماء أهل السنه والجماعه، والتي تبين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو بمنزله الأب لجميع المؤمنين من زمانه إلى يوم القيامة.

وعليه:

١. فإن قوله تعالى: (وَبَنَاتِكَ) ، المراد به بنات المؤمنين مكاناً لا نسباً إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

وَألاً لو كان المراد به أبوه النسب لما تمكن صلى الله عليه وآله وسلم من الزواج من أى مسلمه.

٢. هذا المعنى القرآنى قد جاء به الوحى فى موضع آخر من الذكر الحكيم، وهو قوله تعالى:

(النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ) .

فإننا نجد: أن القرآن من خلال هذه الآية قد جعل للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الولاية المطلقة على المؤمنين، وولايته تدفع وتمنع ولاية المؤمنين على أنفسهم.

ولذا.. نجده مثلاً فى العقود قد زوج عمته من مولى له دون أخذ إذنها.

ص: ٢٧٠

المسأله الثالثه: أين بنات المؤمنين في الآيه ؟

وفضلاً عمّا ذكر فإن الآيه الكريمة جعلت المرأه على ثلاث طبقات (أزواجك، وبناتك، ونساء المؤمنين) فإننا نجد هنا أن «أزواج النبي وبناته» يقابلها «نساء المؤمنين» فأين بناتهم؟.

فإذا قلنا: إن كلمه «نساء الرجل» تعنى: زوجاته وبناته وأخواته، فما هى الغايه من فصل نساء النبي عن بناته؟!، دون فصل نساء المؤمنين عن بناتهم؟! ألا تكون الغايه هى: أن بناته صلى الله عليه وآله وسلم هن بنات الأمة.

ولذلك:

فقد فصل القرآن بين كلمه أزواجك وبناتك بينما جمع بنات المؤمنين وأزواجهم فى كلمه (وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ .)

المبحث الثالث: بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقه التبني والادعاء

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ۝١).

بقى أن نتناول فى الفصل مسأله التبني من خلال ما جاء به القرآن الكريم.

ص: ٢٧١

فقد ذكر المفسرون: أن قوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) . نزلت في منع المسلمين من ادعائهم لبعض الرجال ونسبهم إليهم كأبناء، ومن خلال هذا المنع دُعي كل رجل باسم أبيه الحقيقي.

وبهذه الآيه يكون القرآن قد شرّع قانوناً جديداً في الحياه الاجتماعيه، وله دور أساس في تنظيم الأحوال الشخصيه، والفرديه صعوداً إلى الأسره.

ومن هذا المنطلق فلعل هناك من يقول متسائلاً:

«كيف يعقل أن يخالف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمراً إلهياً ويتكتم على بنات يديهن؟ وأي منطق يعقل هذا»(١).

والجواب على هذا التساؤل يكون من خلال النقاط الآتيه:

أولاً: سبب نزول الآيه كان للرد على المنافقين

إن سبب نزول الآيه كان لزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زينب بنت جحش، بعد أن طلقها زيد بن حارثه.

فقال المنافقون من المسلمين: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج من زوجه ابنه؟!

وعليه:

فإن الآيه جاءت للرد على هؤلاء المنافقين لتأمرهم وغيرهم من المسلمين بأن يدعوا زيدا باسم أبيه، فدُعي زيد بن حارثه.

ص: ٢٧٢

١- جريده تشرين، الصادره في دمشق الشام، في ١٩ شعبان الموافق ١٩٩٦/١٢/٢٩ م العدد «٦٧٠٣» مقال: مداخلات طارئة حول الموقف الحضاري العام.

ثانياً: النبي الأكرم لم يدع زيد بن حارثة ابناً كما ينص التاريخ وإنما الناس دعتهم بذاك

إن مجيء زيد بن حارثة إلى بيت خديجه عليها السلام، كان قبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قد اشترته من سوق عكاظ وهو غلام يباع، فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه عندها فأحبه، فاستوهبه منها فوهبته له، فشب عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعى بزيد بن محمد(1).

وهذه الرواية تدل: على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استوهبه من خديجه عليها السلام ولم يدعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابناً له، كما هو واضح في الرواية. إنما الناس نسبتهم ودعتهم زيد بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدعه.

ثالثاً: من الذى تكتم على زيد، النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم المنافقون!؟

وهو الأهم الذى يجب على السائل معرفته: أو كل من تبادر إلى ذهنه هذا التساؤل، بطرح سؤال عليهم.

وهو: من الذى تكتم على زينب، ورقية، وأم كلثوم، أهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم المنافقون!؟

فإذا قيل: إن الذى تكتم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعندها يكون المجيب قد نسب المعصية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!! واتهمه بمخالفة أمر ربه والعياذ بالله.

ص: ٢٧٣

وإذا قيل: إن الذى تكتم هم المنافقون - وهو الصحيح - فلا يصح شرعاً، وعقلاً تحميل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أثم ما ارتكبه المنافقون. فما هو - أبى وأمى - إلا مبلغ.

(فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (١)).

ومن هنا: فإن المنافقين عملوا على إبقائهن بنات له صلى الله عليه وآله وسلم، لأن هذا الأمر فيه تحقيق لأهدافهم بالنيل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخلق صورته مشوهة عنه تمثلت فى النقاط الآتية:

١. التضارب بين الدعوه إلى التوحيد ومصاهره المشركين - العياذ بالله -.

٢. أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يمدح أصهاره ويثنى عليهم وان كانوا مشركين - والعياذ بالله - كما حدث فى سيره زينب رضى الله عنها.

٣. التفريق بين الأخوات! والعياذ بالله، متمثلاً فى ترك زينب فى مكة، وإخراج فاطمه عليها السلام.

٤. التضارب الكبير الذى رأيناه فى سيره (رقية، وأم كلثوم).

٥. تحقيق مكاسب سياسيه تمكن حكام بنى أميه من الجلوس على كرسى الخلافة بما لديهم من صهرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ينقاد لها أهل الشام خاصة بلحاظ كونهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يعنى أن النبى لا يعطى بناته لأناس غير أكفاء فضلاً عن إصباغهم بصبغه الخيرية ومن ثم تكون بيعتهم تستند على أسس مناقيبه تدفع بالمسلم إلى

الاطمئنان فى صلاح هؤلاء المنافقين. ومن هذا المنطلق.. فإننا نقول: بأنهن رضى الله عنهن لسن بناته.. ولم يدعهن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. إنما العرب كانت تنسب الربيبه إلى مربيها. وقد مرّ علينا أن خديجه عليها السلام تولت رعايتهنّ وتربيتهن بعد وفاه أختها. فلما تزوجت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتقلن معها إلى بيته ونشأن فى هذا البيت.

ولذلك عمل المنافقون على تثبيت بنوتهنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الذين خالفوا الأمر الإلهى وتكتموا عليهن. وليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. كما توهم السائل!!؟

رابعاً: آيه التبنّى نزلت بعد وفاه رقيه بثلاث سنوات ؟

أما وقت نزول الآيه فهو فى السنه الخامسه من الهجره النبويه، وهى السنه التى تزوج بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم من زينب بنت جحش(١).

وهذا يعنى: أنها نزلت بعد وفاه رقيه رضى الله عنها بثلاث سنوات!؟.

خامساً: آيه التبنّى نزلت وزينب فى مكه عند بنى أميه فكيف يمثلون للقرآن وهم مشركون!!؟

أما زينب فلقد كانت حينما نزلت الآيه فى مكه عند هند بن عتبّه بن ربيعه وأنها خرجت من مكه فى السنه السادسه للهجره حينما قدم إليها زيد بن حارثه - كما مرّ بيانه - . ولذا: فلا مورد لما احتج به السائل فهو من قبيل الوهم، ولا يرقى حتى إلى الظن.

ص: ٢٧٥

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢١٧.

إشارة

إن كتب التاريخ، والسيره، والحديث. قد حوت بين متونها الشواهد العديده التي تخبر: بأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الصهر الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الشواهد تمثلت من خلال قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال بعض الصحابه.

أما الشواهد فهي كالتالي:

أولاً: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد

روى أبو سعيد في شرف المصطفى، والطبري في الرياض النضرة: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام:

أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي.. وأوتيت صدّيقه مثل ابنتي، ولم أوت مثلها زوجه.. وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما.. ولكنكم منى وأنا منكم»^(١).

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أوتيت ثلاثاً، لم يؤتهن أحد ولا أنا».

ص: ٢٧٤

١- «مخطوطه» شرف المصطفى للخر كوشى: الورقه ١٧٣ جهه اليمين، ترقد في مكتبه الأسد الوطني بدمشق برقم: «١٨٨٧»؛ وأورده المحب الطبري في الرياض النضرة: ج ٣، ص ١٦٠.

دليل قاطع على حصر هذه الأمور الثلاثة في علي بن أبي طالب عليه السلام فقط .

فلو كان هناك صهر آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لم يؤتهن أحد ولا أنا».

ثانياً: قول ابن عمر: زوجه ابنته!!

وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه أنه قال: (ولقد أوتى ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لى واحده منهن أحب إلى من حمر النعم.

ثم يذكر أولى الخصال وهى: (زوجه رسول الله ابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد، وأعطاه الرايه يوم خيبر)(1).

وهذا الحديث وإن كان يدل على فضل فاطمه عليها السلام إلا أنه يدل أيضا على أنه الصهر الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كان عنده صهرٌ غيره لما ذكر ابن عمر بن الخطاب هذه المصاهره لتكون عنده أحب من حمر النعم.

ولما قال: زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته، فى حين زوج رسول الله غير على بناته، فلماذا يتمنى ابن عمر مصاهره النبي ويراها محصوره فى على عليه السلام!؟.

ص: ٢٧٧

١- مسند أبى يعلى الموصلى: ج ٩، ص ٤٥٣، ط دار المأمون؛ أحمد فى المسند: ج ٢، ص ٢٦؛ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص

ثالثاً: بيت علي في وسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون عثمان

عن سعيد بن عبيده، قال: جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان فذكر له محاسن عمله.

ثم سأله عن علي - عليه السلام - فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال، أي: عبد الله بن عمر للسائل: لعل ذاك يسوؤك، قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فأجهد علي جهداً (١).

هذا الحديث يدل على عده نقاط :

١. أن السائل جاء إلى عبد الله بن عمر، ليسأله عن عثمان بن عفان، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويبدو أن عبد الله بن عمر قد عرف قصد هذا الرجل والغاية من وراء سؤاله فلذا قال له: بعد أن ذكر له مكانه بيت علي بن أبي طالب من بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعل ذاك يسوؤك»!؟!

فاعترف الرجل فقال: أجل، فرد ابن عمر: فأرغم الله أنفك.

٢. هذا الحوار يكشف عن وجود بعض المسلمين الذين كان قصدهم إشعال الفتنة في المجتمع الإسلامي، والإيقاع بشخصيات من الصحابة بعد أخذ الصفه الشرعيه في أفعالهم من أفواه بعض صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٧٨

١- صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب: مناقب المهاجرين، ج ٤، ص ٢٠٨؛ الرياض النضرة: ج ٣، ص ١٥٣؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ٥٩.

فلذلك جاء هذا الرجل يسأل عبد الله بن عمر دون غيره.

٤. كما يدل أيضاً على وجود المنافقين، الذين دلّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من خلال قاعده وضعها للمسلمين يتم الاستدلال بها عليهم.

وقد اعتمد عبد الله بن عمر على هذه القاعده فاستدل على أن هذا السائل هو من المنافقين.

والقاعده هي: قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(١).

ومن هنا نجد أن هذا الرجل قد ساءه سماع منقبه من مناقب الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام.

٥. نلاحظ هنا.. أن عبد الله بن عمر قد ترك الإشارة إلى العديد من مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واكتفى بذكر منقبه واحده دون غيرها، وهي «بيته».

وذكره لبيت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومكانته من بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. دليل على أن الإمام علياً عليه السلام هو الصهر الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سيما أن السائل كان يسأل عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ص: ٢٧٩

١- مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١، ص ١٩؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ٣٩، ص ٢٥١؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٢٧٨؛ ينابيع الموده للقندوزي: ج ٢، ص ٨٧ ح ١٦٨؛ حليه الأبرار للسيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ١٨٩؛ كشف الخفاء للعجلوني: ج ٢، ص ٣٨٣.

فلماذا يذكر ابن عمر عمل عثمان ولا يذكر مصاهرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويكتفى بذكر بيت الإمام علي عليه السلام دون غيرها من المناقب؟!

ألا يدل هذا على أن عبد الله بن عمر يعلم جيداً أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الصهر الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن له بهذه المصاهره ما لبيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن عثمان ممنوع عليه ذلك فضلاً عن اختصاص علي عليه السلام بالمكوث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا هو وسط هذه البيوت.

رابعاً: نفاسه صهريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن مالك، عن الزهري: إن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه، أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه، قال: اجتمع ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب، قالا والله لو بعثنا هذين الغلامين «قالا لي وللفضل بن عباس» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلماه على هذه الصدقات؛ فوقف علي بن أبي طالب - عليه السلام - عليهما فذكروا له ذلك.

فقال علي بن أبي طالب - عليه السلام -:

لا تفعلا فو الله ما هو بفاعل.

فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسه منك علينا فو الله لقد نلت صهر رسول الله فما نفسناه عليك.

قال علي أرسلوهما، فانطلقا واضطجع علي فما هي إلى لحظات فرجعا

وقد ردهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفعل(١).

ومن خلال هذا الحديث نرى أن القوم قد صرحوا بشكل لا يقبل الشك أن الإمام علياً عليه السلام هو الشخص الوحيد الذى نال الصهرية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان غيره قد نال هذه الصفة، لصرح بها القوم، ولو من باب النفاسه.

هذه بعض الشواهد التى تشير إلى اعتقاد الصحابة باختصاص الإمام على عليه السلام بصهرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرد به.

أما بقيه الشواهد فقد تركنا البحث عنها لبلوغ ما يرمى إليه الكثير من الباحثين، وعشاق الحقائق من التعرف إليها، واستخراجها من بحور الكتب نزولاً إلى أعماقها.

وبهذا الفصل نكون قد أنهينا هذا الجزء: (من الكتاب) وما رافقه من فصول وجدنا من الضرورى التطرق لها والبحث فيها من أجل تكامل نقاط البحث، وسعياً لبلوغ حقيقه كون فاطمه الزهراء عليها السلام هى (واحدة أبيها).

أما «زينب، ورقية، وأم كلثوم»، فقد دل البحث على كونهن ربائب أم المؤمنين خديجه عليها السلام، نشأن فى بيت النبوه، وترعرعن فى كنفها، بعد أن فقدن الأب والأم: فكان بيت خالتهن السيده الطاهره أم المؤمنين خديجه ملاذاً

ص: ٢٨١

١- صحيح مسلم: كتاب الزكاه، باب ٥١، «ترك استعمال آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أكل الصدقه» حديث ١٦٧..
(٢١٠٧)؛ الإلزامات والتتبع للدار قطنى: ص ١٥٥؛ شرح صحيح مسلم للنووى: ج ٧، ص ١٨٣.

آمناً، ومنهلاً عذباً، فسهرت على رعايتهن وتربيتهن .

ولهذا السبب عرفن بين المجتمع المكي بأنهن بنات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

أو فقل: وكما دلّ عليه البحث إن البعض.. ممن كان له غرض، أو ممن ابتلى في قلبه بمرض فلم يكن سليماً، قد صوّر، وأصرّ على كونهن بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأسباب عديدة مرّ ذكرها.

وعليه:

فإن كنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا من قبيل نشأتهنّ في بيت النبوه، وهذا بحد ذاته لفضل من الله كبير، ومنّه عظيمه أن يكبرن في هذا البيت فتكون خديجه أماً ويكون المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أباً، وتكون فاطمه أختاً.

ولهذا..

نجد أن فاطمه عليها السلام جلست تبكى على شفير قبر رقيه، وأم كلثوم رضى الله عنهما.

وإنها أوصت علياً عليه السلام بالزواج من أمامه بنت زينب بعد وفاتها ولهذا أيضاً.. خاطب الإمام على عليه السلام عثمان بن عفان بقوله «ولقد نلت من صهره ما لم ينال»^(١).

ص: ٢٨٢

١- الغدير للشيخ الأمينى: ج ٩، ص ١٥٩، ح ٧؛ أحاديث عائشه للسيد مرتضى العسكري: ج ١، ص ١٤٢؛ نهج السعادة للشيخ المحمودى: ج ١، ص ١٦٧.

كل ذلك كان منشؤه من كونهن نشأن في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورين على يد خالتهن خديجه عليها السلام.

أما كونهن بناتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فإن البحث وما جاءت به سيرتهن لينفيان ذلك نفيًا تاماً وبخاصه فيما يتعلق بزواجهن من مشركين. فضلاً عن كونهن أكبر من القاسم وعبد الله بسنين عديده وهذا مخالف لما عليه جمهور المسلمين من كون القاسم بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والله العالم بحقائق الأمور.

المبحث الخامس: ختامه مسك

وقبل أن أنهى هذا المبحث أقدم للقارئ الكريم شاهدين آخرين يدلان على هذه الحقيقه:

الشاهد الأول

ورد في مصنفات العامه وجمهور المسلمين، لاسيما صحاحهم ومسانيدهم ومستدركاتهم، وهو:

قول المصطفى: صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام:

«فاطمه بضعه منى».

فهذا الحديث حديث «البضعه» قد روى بطرق عدده، بلغ التواتر عند جمهور المسلمين من العامه والخاصه بألفاظ عدده منها:

ص: ٢٨٣

١. يرضيني ما يرضيها.

٢. يؤلمني ما يؤلمها.

٣. يبسطني ما يبسطها.

٤. يغضبني ما يغضبها.

٥. يفرحني ما يفرحها.

٦. يحزنني ما يحزنها.

٧. يؤذيني ما يؤذيها.

وهذا الحديث انحصر بفاطمه عليها السلام فقط .. ولم يرد في أى مصدر من مصادر المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لغير فاطمه بأنها بضعه منى، أى: لم يرد عنه أنه قال لزَيْنَب أو رقيه أو أم كلثوم بأن إحداهنَّ بضعه منه فلماذا يا ترى؟! وهنَّ كما ورد بناته صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الشاهد الثاني

فقد ورد عن أحد كبار مصنفى الخاصه، وهو الشيخ الصدوق رضى الله عنه المتوفى سنة ٣٨١ هـ - فى أحد أهم المصنفات الحديثيه ما يشير بوضوح إلى حقيقه كون فاطمه واحده أبيها صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

قال رضوان الله تعالى عليه، فى بيان قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من آذى ذمتى فقد آذانى».

فإذا كان فى إيدائهم إيداءً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف فى قتلهم.

ص: ٢٨٤

وإنما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فاطمه عليها السلام وقال:

«إذا كان من آذى ذمّتي فقد آذاني لمنعى من ظلمه وايدائه».

فكيف من آذى ابنتي (وَوَاحِدَتِي) التي هي بضعة منى وسيدة نساء الأولين والآخرين واتبع عليه الصلاة والسلام ذلك بأن قال:

من آذاها فقد آذاني ومن غاظها فقد غاظني ومن سرّها فقد سرّني(١).

انتهى قوله (طيب الله تعالى ثراه).

(وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢).

ص: ٢٨٥

١- من لا يحضره الفقيه، باب: المسلم يقتل الذمى، برقم ٥٢٥٨، ج ٤، ص ١٢٥.

الإهداء ٥

مقدمه الكتاب ٩

المسأله الأولى: اعتذار لابد منه ٩

المسأله الثانيه: إن خديجه كانت أمه قد جمعت في امرأه ١١

المحور الأول: خصوصيتها كامرأه ١١

المحور الثاني: الدور السيادي في مجتمع قبلي ١٣

أولاً: النسب ١٦

ثانياً: المال ١٦

ثالثاً: العفه والطهاره ١٧

المحور الثالث: الرجوله في شريك الحياه هي الفضيله ١٨

المحور الرابع: الدور الإصلاحي لبني الإنسان ٢٠

المحور الخامس: تشخيص دورها الرسالي ٢١

ص: ٢٨٧

أولاً: الرسائل في حمل التكليف الشرعيه ٢٢

ثانياً: الرسائل في الحياه الزوجيه ٢٢

ثالثاً: الرسائل في الأمومه ٢٢

رابعاً: الرسائل في الصبر والجهاد ٢٣

خامساً: الرسائل في الدفاع عن القيم ٢٣

المحور السادس: الاصطناع المولوى ٢٤

المحور السابع: التصدى لمغول الفكر الإنسانى ٢٥

المسأله الثالثه: منهجنا فى الدراسه التحليليه والتحقيق ٢٦

المبحث الأول: الحاله الاجتماعيه فى مكه قبل الإسلام ٣٥

المسأله الأولى: الاصطفاء الربانى لقريش ٣٦

المسأله الثانيه: رموز تجسّد فيها الاصطفاء ٣٩

أولاً: قصى بن كلاب ٣٩

ألف: سبب تسميتهم بقريش ٤٠

باء: دور قصى بن كلاب فى جمع القبائل وحيازه الفضائل ٤٢

جيم: أنه أول من أصاب ملكاً فأطاع له به قومه ٤٣

دال: تقسيمه مكه أرباعاً وجمعه لقريش ٤٤

هاء: إنه أول من أوقد ناراً بالمزدلفه ٤٦

واو: إنه أول من فرض السقايه والرفاده على قريش خدمه لحجاج بيت الله ٤٦

ثانيا: عبد مناف بن قصي ٤٧

ثالثا: هاشم بن عبد مناف ٤٩

ألف: إنه أول من سنّ الرحلتين لقريش ٥٠

باء: سبب تسميته بهاشم ٥٠

جيم: سبب عداوه أميه لهاشم ٥١

دال: سبب تسميه بنى هاشم بالمطيين وبنى أميه بلعقه الدم ٥٢

هاء: أول من سنّ ضيافه حجّاج بيت الله من ماله الخاص حتى يرحلوا من مكة ٥٣

واو: أول من أخذ الحلف لقريش من قيصر الروم، وملك الحبشه ٥٤

زاي: وصيته وما خلف من الأولاد ٥٥

رابعا: عبد المطلب بن هاشم ٥٨

ألف: لماذا سمي شبيه الحمد بعبد المطلب ٥٨

باء: اصطفاؤه لحفر بئر زمزم ٦٠

جيم: تحالفه مع خزاعه ورعايته لحفظ الجوار ٦٢

دال: زواجه وابنه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بنى زهره ٦٣

هاء: إن عبد المطلب أول من خضب لحيته وشعره بالوسمه ولم تعرف قريش بذلك ٦٣

واو: إن الله تعالى يكرمه بتفجير عين ماء عند أقدام بعيره ٦٥

زاي: نذر عبد المطلب في نحر ولده عبد الله ٦٦

حاء: عبد المطلب يستسقى الغمام بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٦٧

طاء: كرامه عبد المطلب في حفظ بيت الله من أبرهه الحبشي ٦٩

المسألة الثالثة: السمات التي أهلت قريشاً لسياده المجتمع المكي ٧١

المبحث الثاني: قرابتها النسييه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٧٦

المسأله الأولى: نسبها ٧٦

المسأله الثانيه: منزلتها فى مكه تمنعها من الزواج وتلزمها حسن الاختيار ٨١

ص: ٢٨٩

المبحث الأول: هل تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! ٨٨

المسألة الأولى: التعارض بين أقوال المؤرخين في زواجها وإعراضها عن الزواج ٨٨

المسألة الثانية: الاختلاف في تحديد هويه الرجلين ٨٩

المسألة الثالثة: اعتراض أبي القاسم الكوفي ٩٠

المسألة الرابعة: وعند (ابن شهر) الخبر اليقين ٩٢

المسألة الخامسة: دلالة آية التطهير على عدم زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٩٢

المسألة السادسة: إنها من الأرحام المطهره ٩٤

المسألة السابعة: السنن الكونية تنفي زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٩٥

المبحث الثاني: عمرها حينما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٩٦

المسألة الأولى: روايه البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ -) ٩٧

المسألة الثانية: روايه الحافظ ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ -) ٩٨

المسألة الثالثة: روايه الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ -) ٩٨

المسألة الرابعة: روايه محمد بن إسحاق المطلبي صاحب السير (المتوفى سنة ١٥١ هـ -) ١٠٠

المسألة الخامسة: روايه الحافظ ابن عساكر الدمشقي (المتوفى سنة ٥٧١ هـ -) ١٠١

أولاً: وفاتها في السنه العاشره من البعته ١٠٢

ثانياً: زواجها قبل البعته بخمس عشره سنه ١٠٢

ثالثاً: عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان خمساً وعشرين سنه ١٠٣

رابعاً: إن عمره صلى الله عليه وآله وسلم حينما تزوج خديجه عليها السلام كان خمساً وثلاثين سنه ١٠٣

المبحث الثالث: مراسم خطبتها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٥

المسألة الأولى: التطاول على أم المؤمنين خديجة عليها السلام فى تزويج نفسها بالحيله؟ والرد على ذلك ١٠٦

أولاً: مخالفه ذلك لسيره العقلاء ١٠٧

ثانياً: سقوط إلزام الولى بما قال ١٠٧

ثالثاً: خطبه أبى طالب فى الزواج ترد هذه الفريه ١٠٧

المسألة الثانية: كلام أبى طالب فى خطبته لتزويج النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عن اعتقاده بنبوته قبل أن يبعث ١٠٨

المسألة الثالثة: مراسيم زفافها إلى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ١١٠

أولاً: اتخاذ يوم زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام يوماً للبركه والسرور ١١٣

ثانياً: استحباب تعجيل الزفاف بعد الخطوبه ١١٣

المبحث الرابع: إسلامها ١١٤

المسألة الأولى: وقت إسلامها ١١٤

المسألة الثانية: إنها أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ١١٦

المبحث الخامس: مال خديجه عليها السلام ١١٧

المسألة الأولى: حجم مالها ١١٧

المسألة الثانية: خديجه تهب جميع ما تملك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١١٩

المسألة الثالثة: أبنال خديجه انتفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم ببال أبى بكر؟ شبهات وردود ١٢١

أولاً: (رد شبهه) انتفاع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مال أبى بكر ١٢١

ثانياً: (رد شبهه) أن الإنفاق فى سبيل الله لم يكن إلا بعد الهجره ١٢٤

ثالثاً: (رد الشبهه) القائله بأن مصدر مالها كان من زوجها السابقين!! ١٢٨

المسألة الرابعة: القرآن الكريم يمتدح مال خديجه عليها السلام ١٣١

أولاً: إنَّ الله تعالى أغنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمال خديجه عليها السلام ١٣١

ثانياً: رد شبهه (إن الغنى فى الآية تنزىل على غنى النفس) ١٣٢

المسأله الخامسه: (رد شبهه) أن يكون رسول الله أجيراً لدى أحد من الناس ؟ ١٣٨

ص: ٢٩١

المبحث الأول: القاسم بكر خديجه عليهما السلام ١٤٨

المسألة الأولى: الابن الأكبر ١٤٨

المسألة الثانية: القاسم عليه السلام ولد ومات فى الإسلام ١٤٩

أولاً: الاختلاف فى عدد أولاد خديجه عليها السلام ١٥٠

ثانياً: ومن الوحي شاهد ينص على ولادته فى الإسلام ١٥٦

ثالثاً: اعتقاد كثير من الحفاظ بولاده القاسم فى الإسلام ١٥٩

ألف: روايه الدولابى (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ -) ١٥٩

باء: روايه أبى عبيده البصرى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ -) ١٦٠

جيم: روايه ابن رسول (المتوفى سنة ٦٩٦ هـ -) ١٦٠

دال: روايه ابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ -) ١٦١

المسألة الثالثة: عمر القاسم عليه السلام ١٦١

المسألة الرابعة: الحجج القائمة ١٦٦

المبحث الثانى: عبد الله الابن الثانى لخديجه عليهما السلام ١٦٨

المسألة الأولى: لا خلاف على ولادته فى الإسلام ١٦٩

المسألة الثانية: الحجج فى كونه المولود الثانى ١٧٠

المسألة الثالثة: الوحي والإجماع يؤكدان الحقيقة ١٧٢

المسألة الرابعة: عمر خديجه عليها السلام هو القول الفصل ١٧٤

المبحث الأول: زينب بين النقل والعقل ١٨٥

المسألة الأولى: ماذا يقول النقل عن زينب ؟ ١٨٥

أولاً: إنها أكبر أخواتها ١٨٦

ثانياً: متى تزوجت ؟ ١٨٦

ثالثاً: هجرتها من مكة مع زيد بن حارثة ١٨٧

رابعاً: وفاتها أم اغتيالها؟ ١٩٠

المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن زينب رضى الله عنها؟ ١٩٢

أولاً: سكوت المؤرخين حولها ١٩٢

ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام ١٩٢

ثالثاً: التناقض فى تاريخ زواجها وتعارضه مع التوحيد ١٩٣

رابعاً: سكوت المشركين عنها طيله خمس عشره سنه قضتها فى مكة ١٩٣

خامساً: تخبط الرواه فى خروجها من مكة بين زيد بن حارثة وبين كنانه بن الربيع ؟ ١٩٣

سادساً: عمليه خروجها من مكة تنفى أن تكون زينب بنتا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدل على أنها ربيبه ١٩٥

سابعاً: محاوله الحافظ الطحاوى فى دفع الإشكال فى ركوب زينب مع زيد على جمل واحد زادت الأمر سوءاً؟ ١٩٨

ص: ٢٩٣

ألف: الحاكم النيسابوري ينص على وجود زينب بعد معركة بدر في مكة ١٩٩

باء: وقوع أبي العاص في الأسر سنة (٦) للهجرة ٢٠٠

جيم: كيف يقوم زيد بن حارثة بنقل زينب إلى المدينة بعد نسخ حكم التبنّي؟! ٢٠٠

ثامنا: كيف تنجب زينب من زوجها طفلين وهو على شركه؟! ٢٠١

تاسعاً: تخطيط الحافظ الذهبي في جمعه بين بقائها مع زوجها المشرك وبين سنه إسلامها فكان خلافاً للعقل والنقل؟! ٢٠١

المبحث الثاني: رقيه بين النقل والعقل ٢٠٦

المسألة الأولى: ماذا يقول النقل عن رقيه؟ ٢٠٦

أولاً: إن رقيه أصغر من زينب بثلاث سنين ٢٠٦

ثانياً: الاختلاف في سنه زواجها ٢٠٦

ثالثاً: أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام ٢٠٧

رابعاً: إن الدافع في زواج عثمان بن عفان من رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لجمالها؟ ٢٠٧

خامساً: هجرتها مع زوجها إلى الحبشه ٢٠٩

سادساً: إن رقيه هاجرت من الحبشه إلى المدينة بعد هجره زوجها عثمان!! ٢١٠

سابعاً: دخول أبي هريره على رقيه بعد زواجها من عثمان!! ٢١٠

ثامناً: توفيت في المدينة بسبب مرضها ولم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٠

المسألة الثانية: ماذا يقول العقل عن رقيه رضی الله عنها؟ ٢١١

أولاً: إن رقيه كانت دون السن الشرعي حينما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٢

ثانياً: ولادتها تتعارض مع كون القاسم بكر خديجه عليها السلام ٢١٢

ثالثاً: كيف يزوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنتاً وهي في الخامسة من عمرها - والعياذ بالله - ٢١٢

رابعاً: طلاقها من عتبه بن أبي لهب بسبب نزول سوره المسد مخالف للعقل والنقل؟ ٢١٢

خامسا: تخبط الحافظ الذهبي في تصحيح قول ابن سعد في سنه زواجها ومخالفته للنصوص !؟ ٢١٤

سادسا: ما هو السبب الذي جعل الذهبي يخطئ ابن سعد؟ ٢١٥

سابعا: وهل حقاً أن عتبه بن أبي لهب لم يبين برقيه طيله أربع سنوات كي يتزوجها عثمان فيحظى بها وهي غير ثيب !؟ ٢١٦

ثامنا: استحاله أن تكون رقيه قد أسلمت مع خديجه عليها السلام في آن واحد! ٢١٧

تاسعا: إن القول بأنها وعثمان (لأول من هاجر بعد لوط) مخالف للقرآن والعقل ٢١٨

عاشرا: عدم صحه قول الرواه بأن عثمان هاجر الهجرتين! وكما ينص البخارى ومسلم !؟ ٢٢٢

حادى عشر: لماذا يقوم عثمان بن عفان بترك ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً في الحبشه مع طفلها وقد تعرض

لها غلمان الحبشه ؟ ٢٢٤

ثانى عشر: اعتراف الحاكم النيسابورى بوهن حديث أبى هريره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولة الاعتذار عنه ؟

٢٢٤

المبحث الثالث: أم كلثوم بين النقل والعقل ٢٣٠

المسأله الأولى: ماذا يقول النقل عن أم كلثوم رضى الله عنها؟ ٢٣٠

أولاً: لا يعرف المسلمون لأم كلثوم اسماً؟ ٢٣٠

ثانياً: عدم معرفه سنه ولادتها؟ ٢٣٠

ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبى لهب ٢٣١

رابعاً: إسلامها كان مع إسلام أمها خديجه عليها السلام ٢٣٢

خامساً: هاجرت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه ٢٣٢

سادساً: زواجها من عثمان بن عفان بعد موت أختها رقيه ٢٣٢

المسأله الثانيه: ماذا يقول العقل عن أم كلثوم رضى الله عنها؟ ٢٣٥

أولاً: كيف يمكن أن تكون بنت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مجهوله الهويه فلا يعرفها المسلمون إلا بالكنيه !؟ ٢٣٦

ثانياً: جهل الرواه بسنه ولاده أم كلثوم رضى الله تعالى عنها ٢٣٦

ثالثاً: زواجها من عتيبه بن أبي لهب أسطوري وهو أغرب من الخيال!! ٢٣٧

رابعاً: لماذا يؤكد الرواه على أن عثمان تزوج بها وهي باكر؟! وهم قد جهلوا حتى اسمها؟! ٢٣٨

رابعاً: استحاله أن تكون قد أسلمت مع أمها خديجه عليها السلام ٢٣٩

خامساً: تخبط الرواه فى قولهم أنها بايعت مع أمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٣٩

سادساً: لماذا يفرق الرواه بينها وبين الفواطم فى الخروج من مكه فيقال: خرجت مع عيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أليست هى من عياله؟! ٢٤٠

سابعاً: إن بقاء أم كلثوم ثلاث عشره سنه بعد طلاقها من عتيبه بدون زواج وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر فى غايه الغرابه؟! ٢٤١

ثامناً: ما هى العله التى جعلت أبا هريره يتدخل فى حياه بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يدرك من الإسلام إلا ثلاث سنوات وأشهرًا؟! ٢٤٢

تاسعاً: لماذا يقوم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتزويج أربعين بنتاً لعثمان؟ وهل يصح ذلك؟! ٢٤٨

المسأله الثالثه: الحلقه المفقوده تكمن فى أن أزواج بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثلاث هم من بنى أميه!! ٢٥٠

أولاً: تعارض سيرتهن مع إجماع المسلمين فى كون القاسم أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٥٠

ثانياً: تعارض هذه السيره مع النبوه؟ ٢٥١

ثالثاً: ما نسبه قرابتهن من خديجه عليها السلام ٢٥١

رابعاً: كيف لا يجعلهنَّ حكام بنى أميه بنات رسول الله وقد تزوجن من بنى عمومتهن؟ ٢٥٣

المبحث الأول: بنات النبي من خلال القرآن الكريم ٢٥٩

أولاً: دلالة صيغ المخاطبه في القرآن الكريم ٢٦٤

ثانياً: بنات الأنبياء هنّ بنات الأئمه في القرآن الكريم ٢٦٥

المبحث الثاني: بنوه النبي للأئمه تؤكد لها السنه النبويه ٢٦٧

المسأله الأولى: ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أبوته للأئمه ٢٦٧

المسأله الثانيه: اعتقاد كثير من علماء أهل السنه والجماعه بينوه هذه الأئمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٨

أولاً: ما ذهب إليه الراغب الاصفهاني، والآلوسى، والمناوى، في أبوته صلى الله عليه وآله وسلم للأئمه ٢٦٨

ثانياً: ما ذهب إليه الزمخشري، والنسفي، والخطيب الشربيني ٢٦٩

ثالثاً: ما ذهب إليه الغرناطي الكلبى، والشيخ محمد درّه، ومحمد على الصابونى ٢٦٩

رابعاً: ما ذهب إليه البروسوى ٢٦٩

خامساً: ما ذهب إليه، أبو حيان الأندلسى الغرناطى ٢٧٠

المسأله الثالثه: أين بنات المؤمنين فى الآيه ؟ ٢٧١

المبحث الثالث: بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقه التبني والادعاء ٢٧١

أولاً: سبب نزول الآيه كان للرد على المنافقين ٢٧٢

ثانياً: النبي الأكرم لم يدع زيد بن حارثه ابناً كما ينص التاريخ وإنما الناس دعتهم بذاك ٢٧٣

ص: ٢٩٧

ثالثاً: من الذى تكتم على زيد، النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم المنافقون؟! ٢٧٣

رابعاً: آيه التنبى نزلت بعد وفاه رقيه بثلاث سنوات ؟ ٢٧٥

خامساً: آيه التنبى نزلت وزينب فى مكه عند بنى أميه فكيف يمثلون للقرآن وهم مشركون؟! ٢٧٥

المبحث الرابع: شواهد تدل على أن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام هو الصهر الوحيد ٢٧٦

أولاً: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ٢٧٦

ثانياً: قول ابن عمر: زوجه ابنته!! ٢٧٧

ثالثاً: بيت على فى وسط بيوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم دون عثمان ٢٧٨

رابعاً: نفاسه صهريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٠

المبحث الخامس: ختامه مسك ٢٨٣

المحتويات ٢٨٧

ص: ٢٩٨

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى

كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

مشخصات كتاب : ٤ج

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق.

٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود.

٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهات وردود.

ص : ١

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٥٢).

المصادر.

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق. ٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - شبهاث وردود. ٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهاث وردود. ٤. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - نساءه - شبهاث وردود. ٥. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - الأولاد - دراسه وتحقيق. ٦. على بن أبى طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره - ٤٠ ق. - فضائل - شبهاث وردود. ٧. فاطمه الزهراء (عليها السلام)، ؟٨ - ١١ ق. - السيره - دراسه وتحقيق. ألف. الحلو، محمدعلى، مقدم. ب. العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلميه. ج. عنون. د. عنوان: خديجه بنت خويلد أمه جُمعت فى امرأه.

٤ خ ٥ ح / ٢٦/٢٠٨ BP

الطبعه الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ص: ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

الفصل السادس: انها من عباد الله المخلصين و خير زوجة لرسول رب العالمين

اشاره

ص: ٥

إن المتأمل في سيره خديجه عليها السلام يرى بوضوح أنها من عباد الله المخلصين لاسيما وهو يستعرض في هذا التأمل سير أولياء الله ومن اصطفاهم الله لرعايه شريعته، فإذا وصل في هذه الرحله التأملية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووضع نصب عينه أنه أمام خير خلق الله تعالى ومن اصطفاه الله لخير الأديان وختامها أيقن أنه سيقف أيضا أمام شخصيات اختارها الله تعالى لتأديه مهام تتناسب مع حجم هذه المسؤوليه.

بل لا-نبالغ - وكما سيرى القارئ - إذ قلنا: إن هذه الشخصيات أدت دورها كما أراد الله لها من الخير والموفقيه وهيا لها من الأسباب ما يمكنها من الوصول إلى مرضاته ونصر شريعته وخدمه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فخديجه عليها السلام كما دلت الروايات ليست مجرد امرأه تزوجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بل هي: ركن من الأركان التي اتكأ عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ رسالته ونشر دعوته كما اتكأ على عمه أبى طالب وولده على عليهم السلام:

ولعل القارئ الكريم لو نظر بعين الانصاف إلى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن قدّر الله تعالى له أن يقترن بخديجه عليها السلام وإلى يوم وفاته ورحيله إلى الملاء الأعلى لأيقن أن هذه المرأه لها حق واجب على كل مسلم ولأيقن أنها أمّه جمعت في امرأه.

إشاره

حينما ننظر إلى القرآن الكريم نجده يتحدث عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسلوب يرسم للقارئ صورتين، الصورة الأولى: صورته المدح المقيد بشروط ، والثانية صورته الذم لمن خالفت منهن تلك الشروط . وبين تلك الصورتين جاءت السنه النبويه لتضع بدقه كبيره المعالم الواضحه لكلا الصورتين.

الصورة الأولى: القرآن يمدح نساء النبي مدحاً مقيداً

ففي الصورة الأولى جاء بيان القرآن كالاتي:

- ١- (يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) ١ .
- ٢- (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ٢ .
- ٣- (وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) ٣ .

٤- (وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) ١ .

الصورة الثانية: القرآن يذم من خالفت منهن هذه الشروط

وفي الصورة الثانية جاء بيان القرآن كالاتي:

١- (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ٢ .

٢- (وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَن أُنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) ٣ .

٣- (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) ٤ .

٤- (عَسَىٰ رَبُّهُ إِذْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ تَيَّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا) ٥ .

ص: ٩

ولقد جاءت السنه النبويه وسيره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بيان واف لكل واحده منهن نورد بعضها لكي تتضح الصورة بشكل أدق، وكى يوقن القارئ الكريم أن خديجه عليها السلام لم يكن لها نظير فيما بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ليس لها نظير فى الامه ما خلا ابنتها فاطمه فهى سيده نساء العالمين.

١ - أخرج البخارى فى الصحيح عن عائشه: (إن نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كن حزبين فحزب فيه عائشه وحفصه وصفيه وسوده، والحزب الآخر أم سلمه وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

٢ - حدوث مشاحنات بين الحزبين لدرجه السباب كما تصرح عائشه بذلك، فقد تسابت هى وزينب بنت جحش فى محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

٣ - اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهن جميعاً شهراً ثم راجعهن كوسيله تأديبيه، بل لشده غضبه عليهن كما نص البخارى بلفظ: (من شده موجدته عليهن)^(٣).

٤ - ذم القرآن لاثنتين من أزواجه وهما (حفصه وعائشه) حينما أقدمت حفصه على إفشاء حديث خصها به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدثت به عائشه فأطلعه الله عليه، وقد تظاهرتا عليه صلى الله عليه وآله وسلم!!

ص: ١٠

١- صحيح البخارى، هبه وفضلها: ج ٣، ص ١٣٢.

٢- المصدر السابق.

٣- صحيح البخارى، كتاب المظالم: ج ٣، ص ١٠٥.

فحذرهما الله من أذيتهما لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صرح عمر بن الخطاب عن ذلك حينما سأله عبد الله بن عباس قائلاً: (يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فما إن قضيت كلامي حتى قال: (عائشه وحفصه)(١).

وقد أخرجها البخارى بلفظ: (اللتان قال لهما إن تتوبا إلى الله)(٢).

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبويه الشريفه وغيرها تكشف عن حقيقه منزله أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى وإن بعضهن أغضببن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأذينه، فى حين كانت خديجه بحق الزوجه الصالحه، كما سيمر بيانه فى المباحث والمسائل الآتية:

المسأله الأولى: حياتها الزوجيه قبل البعته

إشاره

تنقسم الحياه الزوجيه لأم المؤمنين السيده خديجه عليها السلام على قسمين، القسم الأول كان قبل بعته النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والذى لم يتناوله التاريخ بالتقييد والكتابه، وذلك لكون حياتها فى هذه الحقبه لم يتخللها حدث يدفع بالمؤرخ إلى الالتفات إليه وتدوينه، فكيف إذا أضيف إليه ما يحيط بيت السيده خديجه من الحياء والحشمه التى تكون ساتراً عن أقلام الرواه وألسنه المحدثين.

ص: ١١

١- تفسير جامع البيان لابن جرير الطبرى: ج ٢٨، ص ٢٠٧؛ مسند أبى يعلى: ج ١، ص ١٦٢؛ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج ١، ص ١١٢.

٢- صحيح البخارى، كتاب المظالم: ج ٣، ص ١٠٤.

أما هذه الفترة من الزواج فقد كانت خمس عشره سنه، كانت فيها خديجه قد وهبت كل حياتها وما ارتبط بها لزوجها الذى تفرغ لعباده ربه متخذاً من الغار محلاً للتفكر والتأمل.

إلا أننا يمكن أن نسجل هنا بعض النقاط التى تبين لنا طبيعه دورها فى الحياه الجديده لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقبل مبعثه، والتى ترسم لنا حياتها الزوجيه خلال هذه الفتره على الرغم من قله الروايه التى بين يدي ولعل هناك من الباحثين من يفتح الله عليه فيوفى للمزيد من الحقائق حول حياه أم المؤمنين خديجه عليها السلام.

أولاً: الزوج أهم من المال والأهل عند خديجه

ذكرنا فيما سبق أن النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يُبدِ اهتماماً لهذا المال الذى وهبته له خديجه عليها السلام، فهو لم يستخدمه لتجاره أو كسب، وإنما اكتفى بما يعينه من هذا المال خلال هذه السنوات على قوت يومه، مما زاد فى حب خديجه له صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ ترسخ إيمانها بأنه المخصوص بالنبوه حقاً وذلك من خلال تلك القرائن السابقه - واللاحقه - والتى تكشفت لأهل مكه كما تكشفت لها.

إلا أن الفارق بينها وبينهم أنها ممن اصطفاهم الله من عباده لنصره شريعته ونشر دينه الذى ارتضاه لأوليائه وعباده المخلصين، فكانت القرائن التى تحف بشخص المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم تأخذ من فكرها كل مأخذ وتدفعها لليقين بنبوته مما جعلها مؤهله لتلقى الكرامات من الله تعالى كى تصل

إلى صدق ما انعقد عليه قلبها، وهو ما دل عليه القرآن الكريم في بيانه لثمار التفكير وجهاد النفس في الثبات على الحق.

قال تعالى:

(وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ١ .

فكيف إذا كان جهاد خديجه من أجل الوصول إلى من به قوام سبيل الله ودوامها وهو رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك:

يدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال خديجه(١).

على أنها قد وهبت هذا المال منذ أن اقترنت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان دليلاً على شخصيه خديجه ومستوى تفكيرها الذى أهلها أن تكون من سيدات الجنه وإحدى أفضل نساء أهل الدنيا.

كما يدل الحديث على أنها لم تعر للمال من اهتمام وأن إيمانها الفطرى وطيب معدنها وطهاره نفسها ليدفعها إلى التمسك بما هو أهم من المال والأهل وهو زوجها الذى سيعث نبياً، فكان كل ذلك سبباً فى إكرامها واختصاصها بكشف الحجاب عنها كى تزداد يقيناً بما اعتقده قلبها.

ص: ١٣

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٦٨.

ثانياً: إكرامها لمن يفد على زوجها والإحسان إليهم

من الأحداث التي تعطي صورته أخرى عن طبيعته حياه خديجه عليها السلام الزوجيه هو إكرامها لكل من يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محتاجاً، لاسيما أولئك الذين كان لهم موقف مشرف مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ألف: فقد روى ابن سعد في الطبقات قائلاً: قدمت حليمه بنت عبد الله على رسول الله مكة وقد تزوج خديجه فتكشفت جذب البلاد وهلاك المشيه فكلم رسول الله خديجه فيها فأعطتها أربعين شاه وبعيراً موقعاً (١) للظعينه (٢) وانصرفت إلى أهلها (٣)؛ وقدمت مع زوجها بعد النبوه فأسلما (٤).

وتدل الروايه على أمور، منها:

١ - إن إكرامها لمرضعه النبي دليل على حبها لزوجها.

٢ - كما تدل أيضاً على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يتصرف في مال خديجه قبل البعثه على الرغم من أن خديجه عليها السلام قد وهبت مالها إليه.

ص: ١٤

١- البعير الموقع: الذي بظهره آثار الدير، لكثرت ما حمل عليه وركب، فهو ذلول مجرب؛ انظر: غريب الحديث لابن الأثير: ج ٥، ص ٢١٥؛ لسان العرب، ج ٨، ص ٤٠٦.

٢- الظعينه: اليهودج، وسميت المرأه ظعينه لأنها تكون فيها؛ انظر غريب الحديث لابن قتيبه: ج ١، ص ٢٨٥.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١١٤.

٤- الأعلام للزركلى: ج ٢، ص ٢٧١.

٣- إن المتصرف في هذا المال هو خديجه عليها السلام، وهذا يقطع الطريق على المنافقين والذين في قلوبهم مرض في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له غايه في مال خديجه عليها السلام - والعياذ بالله -.

٤- إن هذا المال كان مذخوراً للرسالة وإن الله شرفه في أن يكون المال الذي يستعان به على نشر رساله الإسلام.

باء: روى الزركلى في ترجمه (ثويبه) أول مرضعه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت جاريه أبى لهب وأرضعت النبي بلبن ابنها مسروح وكانت تدخل على النبي بعد أن تزوج خديجه فكانت خديجه تكرمها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوه وحله حتى ماتت بعد فتح خيبر، ومات ابنها مسروح قبلها(١).

وتدل هذه الروايه مع سابقته على اتصاف خديجه عليها السلام بالكرم وإنها إحدى الصفات التي اشتهرت بها وهو ما أشار إليه أبو طالب عليه السلام في خطبتها فقال: (خاطب كريمتم الموصوفه بالسخاء والعفه)(٢).

ثالثاً: تخفيفها لهموم زوجها ومواساته

لا يخفى على أهل المعرفة أن الدور الذي يمكن للزوجه أن تقوم به لإسعاد زوجها يرتكز على ركائز عديده من أهمها تفرج هموم الزوج ومواساته

ص: ١٥

١- الأعلام للزركلى: ج ٢، ص ١٠٢.

٢- مستدرک الوسائل للميرزا النورى: ج ١٤، ص ٢٠٤؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ١٦، ص ٦٩؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج ٢٠، ص ١١٢.

وتصبيره على ما ألم به من حوادث الدنيا وتحصيل الآخرة؛ وهو ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة فمنها:

١ - عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ما استفاد امرؤ مسلم فائده بعد الإسلام أفضل من زوجه مسلمه تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله (١).

٢ - وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله عز وجل: إذا أردت أن أجمع للمسلم خير الدنيا والآخرة جعلت له قلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وجسدا على البلاء صابرا وزوجه مؤمنة تسره إذا نظر إليها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله (٢).

٣ - وعن الصادق عليه السلام قال:

ثلاثه للمؤمن فيها راحة: دار واسعة تواري عورته وسوء حاله من الناس، وامرأه تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وابنه يخرجها إما بموت أو بترويح (٣).

ص: ١٦

١- الكافي للشيخ الكليني: باب من وفق له الزوجه الصالحه: ج ٥، ص ٣٢٦-٣٢٦.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

وهذه الصورة الحياتيه تجدها تتجسد فى بيت خديجه عليها السلام، فهى مع ما آتاها الله من المال والحسب آتاها الجمال وحسن الخلق ورجاحه العقل - كما حدثتنا المصادر الإسلاميه - .

ولذلك كان كل قومها حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه.

إذ إن الله تعالى كان قد جعلها لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والذى استغنى بها عن جميع نساء الدنيا فلم يتزوج عليها حتى توفيت بعد أن عاشت معه خمساً وعشرين سنه.

أما ما تحدّثنا به المصادر الإسلاميه عن طبيعه تعاملها كزوجه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما فى تفريج همومه ومواساته فهى كما يلى:

(عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال يسمع الصوت قبل أن يوحى إليه فيذعر منه فيشكو ذلك إلى خديجه، فتقول له خديجه:

أبشر فإنه لا يصنع بك إلا خيراً)^(١).

وفى روايه: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قص على خديجه ما رأى فى المنام فقالت له:

ص: ١٧

١- تفسير سعد السعود لابن طاووس: ص ٢١٥.

أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيرا(١).

وفى روايه الدولابى: (فعصمها الله من التكذيب فقالت:

أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا(٢).

وقولها عليها السلام: فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا دليل قاطع وحجه دامغه على أنها كانت تؤمن بالله تعالى وتؤمن بصدق زوجها وأنه المخصوص بالرحمة الإلهيه وأن عاقبه أمره على خير.

ويكشف قولها عن أنها:

ألف: كانت تحسن أسلوب التعامل مع مواقف كهذه حينما يكون الزوج مهموما ومجهدا.

باء: اختيارها للألفاظ كان له الأثر السريع فى تفريج هذه الهموم وتصبيره؛ لأنها رجعت فيما تقول إلى دائره الاطمئنان القلبى الذى يرتكز على نواه التوحيد، بمعنى: أنك مهموم للآخره وقلبك مشغول بمن خلقك وهذه المقدمات تتبعها نتائج خيره، هكذا فهمت كلماته صلى الله عليه وآله وسلم.

جيم: اعتمادها فى دفع هذه الهموم كان على حسن الظن بالله تعالى ولذلك بدا التفاؤل فى كلماتها طاغيا وكأنها تنطق عن عين اليقين بأنه النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: اختارت من الألفاظ (البشاره والخير) فابتدأت قولها بلفظ (أبشر) وختمت قولها بلفظ: (إلا خيرا).

وعليه: فأى هموم بعدئذ تبقى على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسمع منها هذه الكلمات التى كأنها نطق بها روح القدس على لسانها.

ص: ١٨

١- فتح البارى لابن حجر: ج ١٢، ص ٣١٥.

٢- الذريه الطاهره للدولابى: ص ٥٥.

اشاره

إن هذه الحقبه من الحياه الزوجيه لخديجه عليها السلام لتختلف اختلافا جذريا عن الحقبه السابقه التى تناولنا الحديث فيها عن دورها قبل مبعث النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فمثلا مرت تلك السنوات الخمس عشره بدون حوادث تدفع بالراوى والمؤرخ أن يدون أو يحفظ منها شيئا، فقد مرت هذه السنوات الجديده وهى محمله بالحوادث التى غيرت العالم وأعادت الإنسان إلى مستواه الذى أرادته الشريعه الإلهيه له.

ولذلك:

كى نحيط بحياه السيده خديجه عليها السلام الزوجيه ونستلهم منها الدروس فى كيفيه حسن التبعل ونطلع على دورها كزوجه لأبئ من المرور بمجموعه من النقاط ، وهى كالاتى:

الحلقه الأولى: دور خديجه فى بدء البعته كما يرويه البخارى

تعددت الأحاديث الوارده فى صحاح المسلمين وهى تروى كيفيه تلقى النبى المصطفى للوحى واختلفت الصوره لدى الباحث والقارئ للسيره النبويه حينما يقرأ هذه الحادثه لدرجه أنه يبقى محتارا فى الذى قرأه أهو من كتب المسلمين أم قصص من الخيال الأسطورى الذى يروى بطولات خاضها بعض الفرسان مع العوالم الأخرى فضلا عما يعترى هذا الفارس أو ذاك من الأهويل والصعاب الجسيمه التى ترعب القارئ بأكثر مما أرعبت صاحب

الأسطوره، كعصر جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ منه الجهد(١).

فضلاً عن جملة من الصور البشعه والتي توحى للقارئ بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يظن بأنه مجنون لدرجه أنه يحاول الانتحار - والعياذ بالله - كما ينص الطبرى: (لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسى منه فلاقتلنها فلاستريحن، قال فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -)(٢).

أو أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يهتدى - والعياذ بالله - لتشخيص هويه المتكلم معه فلم يفرق بين ما يسمعه أرحماني هو أم شيطاني وهذا ما عبر عنه ابن سعد بلفظ:

«يا خديجه إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً لقد خشيت أن أكون كاهناً»(٣).

ولذلك أخذته خديجه إلى ابن عمها ورقه بن نوفل فحدّد له هويه المتكلم قائلاً:

(إنه الناموس الأكبر) فضلاً عن بيانه لبعض أحداث الرساله المحمديه

ص: ٢٠

١- صحيح البخارى: باب كيف كان بدء الوحى، ج ١، ص ٣.

٢- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٤٩؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ١٣٢؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ١١، ص ١٩٧.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٩٥.

بقوله (ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك)(١)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أو مخرجي هم.

وغيرها من الصور الموحشه التي ترسم للقارئ سيره رجل لا يدري ماذا أنزل عليه وماذا أريد منه، وماذا يراد منه أن يقوم به.

إلا أن ثمه سؤالاً في كل هذا الركام يقول: ماذا لو كان ورقه بن نوفل قد قال لخديجه التي جاءت تستعلم عن حال زوجها وما أصابه، أن قال لها: هذا الذي سمعه زوجك إنما هو مس من الشيطان - والعياذ بالله - أو أنه يتراءى له أن قد سمع صوتاً، ماذا سيكون حال خديجه؟ بل الأهم ماذا سيكون موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ أتراه يتبع قول ورقه - والعياذ بالله - أم أنه ينكر عليه قوله؟ أم أنه يبقى حائراً بين ما يسمع وما قاله ورقه؟!

إننا هنا:

لا- نؤمن بذهاب أم المؤمنين خديجه عليها السلام إلى ورقه كما يروى البخارى ومسلم وغيرهما ولا نؤمن بما دار بينهما من كلام؛ بل نبرأ إلى الله سبحانه من كل ما من شأنه المساس بحرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونؤمن أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أعرف الخلق بنفسه وأنه المخصوص بالنبوه والمصطفى بالرساله قبل أن يخلق الله الخلائق، وأنه غير محتاج إلى تطمينات ورقه وتشخيصه وتفسير الراهب عداس وغيره بل نؤمن بما قالته

ص: ٢١

١- صحيح البخارى: باب كيف كان بدء الوحي، ج ١، ص ٣.

بضعه المصطفى فاطمه الزهراء عليها السلام وهي تتحدث للمهاجرين والأنصار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت:

واشهد أن أبى محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونه، وبستر الأهويل مصونه، وبنهايه العدم مقرونه علما من الله تعالى بما يلي الأمور، وأحاطه بحوادث الدهور، ومعرفه بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمه على إمضاء حكمه، وانفاذا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا فى أديانها عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، منكره لله مع عرفانها فأثار الله بأبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام فى الناس بالهدايه، فانقذهم من الغوايه وبصرهم من العمايه، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفه واختيار، ورغبه إيثار، فمحمد من تعب هذه الدار فى راحه، قد حفّ بالملائكه الأبرار ورضوان الرب الغفار، ومجاوره الملك الجبار، صلى الله على أبى نبيه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمه الله وبركاته (١).

فهذا الوصف هو الذى يتسق مع القرآن الكريم ويسلم له العقل وتنقاد له القلوب؛ أما ما يرويه عروه بن الزبير أو ما يقوله ورقه أو عداس أو بحيرا فهو مما يمجّه الذوق السليم وتنكره القلوب الطاهره فضلاً عن تعارضه مع القرآن

ص: ٢٢

١- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٣٣.

الكريم فى جملة من الآيات التى تتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنها، قوله تعالى:

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) ١ .

وقوله عز وجل فى تنزيه رسله عن رذيله الخوف والذعر فقال:

(لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ) ٢ .

وقوله سبحانه وتعالى فى بيان مقام الشهوديه على الأمم جميعا وعلى الرسل الذين أرسلهم الله إليهم وأنبيائهم الذين بعثوا إليهم.

فقال عز شأنه:

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَرَوُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) ٣ .

وعليه:

كيف لا يطأطئ العقل مسلماً بأن كثيرا مما رواه أصحاب الصحاح لا يتفق مع القرآن الكريم ولا ينسجم مع السنه المحمديه.

ص: ٢٣

اشاره

إلا أننا هنا نؤمن بما قامت به السيدة خديجه عليها السلام من الوقوف بجانب زوجها وسيدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما وإن عائشه التي صرحت مراراً بغيرتها من خديجه هي التي تتحدث عن تلك المواقف المشرفه التي حفت بسيره خديجه عليها السلام.

فقلت - كما يروى عروه عنها - حديث بدء الوحي، أن قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحه فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجه فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى الثانيه حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثه ثم أرسلنى، فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خديجه عليها السلام يرجف فؤاده، فدخل على خديجه بنت خويلد، فقال: زملونى، زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجه وأخبرها الخبر:

«لقد خشيت على نفسى».

كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق فى الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق(١).

ولقد اخطأ البخارى ومسلم خطأ فادحاً فى إيراد بعض الألفاظ فى هذا الحديث لاسيما هذا اللفظ: (فخشيت على نفسى) والتي تدل على شكه - والعياذ بالله - ولقد حاول الحافظ النووى حينما أورد توجيه هذا اللفظ عن القاضى عياض من دفع هذا الخطأ العقائدى الشنيع فقال - واللفظ للقاضى عياض -: (ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من الله تعالى، لكنه ربما خشى أن لا يقوى على مقاومه هذا الأمر، ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه).

أو يكون هذا لأول ما رأى التباشير فى النوم واليقظه وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحققه رساله ربه فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم؛ فأما منذ جاءه الملك برساله ربه سبحانه وتعالى فلا- يجوز عليه الشك ولا يخشى من تسلط الشيطان عليه(٢).

ص: ٢٥

-
- ١- أخرجه البخارى فى باب: كيف كان بدء الوحي، ج ١، ص ٤؛ وفى ج ٦، ص ٨٨، فى سورة اقرأ باسم ربك؛ وفى ج ٨، ص ٦٧، فى باب: التعبير؛ وأخرجه مسلم فى باب: بدء الوحي، ج ١، ص ٩٧؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٢٣٣ حديث عائشه: ج ٦، ص ٢٣٣. مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ١٨٤. تفسير الثعلبى: ج ١٠، ص ٢٤٣. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ١١٨.
 - ٢- شرح مسلم للنووى: ج ٢، ص ٢٠١.

وهنا:

لا نجد الحافظ النووي والقاضي عياض قد نفيا الشك عنه صلى الله عليه وآله وسلم، بل يؤكدان أنه كان شاكاً وأن الشيطان الرجيم كان يأتيه - والعياذ بالله - قبل مبعثه ونزول جبرائيل عليه برسالة ربه سبحانه.

في حين أنهما بهذا القول زادا الأمر سوءاً إذ جعلوا الرهبان والكهنة والمنجّمين أوثق منه بأمره فهم لم يكن لديهم شك بأنه نبي آخر الزمان فضلاً عن كل هذه البشارات التي كانت تأتيه من تضليل الغمام، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوه.

وكيف يصنعان بقوله تعالى عن نبيه عيسى حينما نطق وهو في المهدي صبيًا، قال تعالى:

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) ١ .

وكذا حال يحيى من قبل إذ قال تعالى:

(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) ٢ .

وفي إسحاق وإسماعيل قال تعالى:

(وَكَأَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) ٣ .

ص: ٢٤

وفى يوسف إذ قال لأبيه:

(يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) ١٠ .

أف يكون هؤلاء الأنبياء أفضل من سيدهم وأشرفهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا يكونون فى شك من أنهم أنبياء لربهم ويكون المصطفى خلال أربعين سنه - والعياذ بالله - شاكاً فى أمر ربه ويأتيه الشيطان الرجيم.

فلماذا لا يتبع النووى والقاضى عياض ومن قبلهما البخارى ومسلم دين عيسى بن مريم الذى لم يكن شاكاً ولم يأت إبليس منذ أن كان فى المههد صبياً.

نعوذ بالله من الخزى فى الدنيا والآخرة، وله الحمد على نعمه الإسلام.

أما لماذا اعتقد هؤلاء بشك النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى نزول الوحي عليه ؟

فجوابه:

لابتعادهم عن سنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتجائهم إلى سنه غيره لعله يعصمهم من أمر الله، فهؤلاء لو كانوا تمسكوا بسننه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أمرهم قائلًا:

إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وأنهما لن

ص: ٢٧

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (١).

لعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أصدق خلق الله يقينا بربه وأكملهم إيمانا.

ولأيقنوا أنهم لن يضلوا من بعده أبداً.

وعليه:

فإنى لم أجد فيما نقله أهل السنه والجماعه فى مصنفاتهم من أحاديث حول بدء الوحي خيراً مما ذكره أحمد بن حنبل والحاكم النيسابورى والصنعانى فقد أخرجوا حديث عائشه بلفظ: (قد خَشِيتُ عليّ) (٢).

فقلت له: كلا أبشر... وهو ما التفت إليه ابن حجر فى فتح البارى مستدركا لما وقع فيه البخارى ومسلم مع نصهما (على نفسى)؛ ولعل ابن حجر لم يشأ أن يصرح بقبح هذه الروايه وفسادها العقائدى كما أشار إلى ذلك النووى (٣)، حينما التفت إلى أنها تصرّح بشك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى نفسه.

إلا أن ابن حجر يعود فيلتفت إلى أن البخارى يصرح بشك النبى فى نفسه

ص: ٢٨

١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ١٤؛ مسند أبى يعلى الموصلى: ج ٢، ص ٢٧٧٠.

٢- فتح البارى لابن حجر: ج ١٢، ص ٣١٥.

٣- مسند أحمد: ج ٦، ص ٢٢٣؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٨٤؛ المصنف لعبد الرزاق: ج ٥، ص ٣٢٢؛ الأحاد والمثانى للضحاک: ج ٥، ص ٣٨٧؛ تفسير الثعلبى: ج ١٠، ص ٢٤٣؛ أسباب النزول للواحدى: ص ٦؛ الثقات لابن حبان: ج ١، ص ٤٩؛ تاريخ الإسلام للذهبى: ج ١، ص ١١٨.

حينما أخرج هذه الروايه فأراد أن يغطى على الأمر فجعل لشرح (قد خشيت على نفسى) اثنى عشر قولاً ثم صوب القول الثالث الذى يقول بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد خشى على نفسه (الموت من شدّه الرعب)(١).

وغفل ابن حجر عن قوله تعالى:

(إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) ٢.

أفيخاف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الدرجة والعياذ بالله من جبرائيل فكيف بملك الموت - نعوذ بالله من سوء المعتقد -.

فهذا اللفظ ، أى: (فَخَشِيْتِ عَلَى) من حيث الدلاله يظهر أن خديجه عليها السلام هى التى خشيت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما أخبرها بنزول الوحي عليه، وذلك لمشاهدتها التجليات النورانية التى تظهر عليه ولطلبه منها أن تدثره وتغطيه وهو دليل شعوره بضعف فى بدنه لاسيما وأنه كان يتعبد فى غار حراء ويستعين بالقليل من الطعام كما حدث له فى قضيه الكساء اليمانى حينما دخل على فاطمه عليها السلام فقال لها:

إنى أجد فى بدنى ضعفا فاتينى بالكساء اليمانى فغطينى به.

ولذا: كانت الخشيه من خديجه عليها السلام وليس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما توهم البخارى ومسلم ومن سار على قولهم فذهبوا إلى أنه كان شاكاً لا يدرى أهو كاهن أم مجنون - والعياذ بالله -.

ص: ٢٩

١- فتح البارى لابن حجر: ج ١، ص ٢٣.

ولذلك:

نجد أن خديجه عليها السلام حينما خشيت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي ترى عليه تلك التجليات النورانية وطلبه منها أن تدثره وتغويه أرادت أن تسليه وتواسيه وتؤازره على أمر ربه وهو شعور وجداني يكشف عن طبيعه المرأه وحنوها على زوجها فقالت له:

كلا- أبشر، فوالله لا- يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصديق في الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

وهذا القول يدل على جملة من الأمور، منها:

الأمر الأول: توهم شراح البخارى فى دلاله قول خديجه عليها السلام (كلا)

قولها عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن خشيت عليه: (كلا) وهو أول قولها جاء بمعنى: (حقاً) وليس بمعنى النفي كما توهم شراح البخارى ومن تبعهم فى ذلك حينما توهموا أن الخشية كانت من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فأرادت خديجه أن تطمئننه على نفسه قائلة له: كلا.

مما جعلها حسب هذا التأويل - والعياذ بالله - أثبت قلبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما وهي تجد أن تلك الأفعال التي يقوم بها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هي من السنن الإلهية التي تؤدي إلى مرضاه الله تعالى ومن ثم لا يمكن أن يخزيه الله تعالى - فكيف يصح أن تكون خديجه أعلم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنن الله فى الحياه وأثبت قلبا.

ص: ٣٠

الصحيح: هو أنها ابتدأت قولها بلفظ: (كلا) بمعنى (حقاً) (١)؛ وتريد منه هنا اثبات حقيقه ما ترى عليه من النور وإنه النبي الذي بشرت به الأنبياء من قبل، أى: إنها تثبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حقيقه اعتقادها به صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها حقاً مؤمنه به.

الأمر الثاني: دلاله قولها (أبشر) يراد به التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

مثلما بشرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الأولى دائماً بالبشاره - بما أنعم الله عليه سبحانه من نعمه النبوه، والرساله قامت فأكدت إيمانها به، وأنها كانت ترى فيه صفات الأنبياء فبشرته بأنها على هذا الأمر؛ لأنها كانت تراه من قبل: (يصل الرحم، ويصدق الحديث، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق).

فهذه الأفعال لا يقوم بها إلا الأنبياء والأولياء وأنها كانت تراها فيه من قبل أن تتزوجه فكيف بها وقد عايشته.

فإذن: تبشره بموافقته وتصديقها له وإيمانها به، وهو أمر فى غاية الأهميه لما سيترتب على هذا الموقف من نصر الرساله، فضلاً عن آثار ذلك فى تفريج أحد هموم الرساله التى تنطوى تحت التصديق به وبما كلف به لاسيما وهو قد التجأ إلى مسكنه وشريك حياته.

ص: ٣١

الأمر الثالث: أقلت (لا يحزنك) أم (لا يخزيك) التي هي في مقام الذم كما يروى البخارى !!؟

لم تقل سيدتنا ومولاتنا خديجه عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا يخزيك) كما يروى البخارى، لأن الخزى هو الذل، وهى من توابع الفجار ولوازم الظالمين، وهذا ظلم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - والعياذ بالله -، فضلاً عن ثبوته، أى هذا المعنى فى القرآن واللغه.

قال ابن منظور عن أبى إسحاق، فى قوله تعالى:

(وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ١ .

المخزى فى اللغه، المذل المحقور بأمر قد لزمه لحجه، وكذلك أخزيته ألزمته حجه إذا أذلتته بها، والخزى الهوان، وكذلك أخزيته أكرمه حجه إذا أذلتته بها، والخزى: الهوان، وقد أخزاه الله أى أهانه الله، وأخزاه الله وأقامه على خزيه ومخزاه(١).
وعليه:

فالصحيح أنها قالت: (لا يحزنك الله)(٢) وهو من الألفاظ التى جاء بها القرآن الكريم للدلاله على البشاره مع كونها من لوازم أولياء الله

ص: ٣٢

١- لسان العرب لابن منظور: ج ١٤، ص ٢٢٦.

٢- صحيح مسلم: باب بدء الوحي، ج ١، ص ٩٨.

تعالى.

قال سبحانه:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ١ .

كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صفاته أنه يحزن على الذين كفروا أو الذين يسارعون في الكفر أو الذين يراوغون، ومن ثم أرادت السيدة خديجة عليها السلام أن تدفع عنه هذا الحزن وتواسيه وتصبره فجاء القرآن مطابقاً لفعالها وتعبيرها وتسليتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

حيث قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ٢ .

ص: ٣٣

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِنَّنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ١.

وعليه: يكون حزنه لله عز وجل وحرصا منه على الناس كافة؛ لأنهم سيفتنون ويلوهم الله ويمحصهم، فمنهم من يؤمن، ومنهم من يضل ويتردى، وهي حاله خاصة بالأنبياء عليهم السلام فهذا سليمان عليه السلام يقول حينما رأى عرش بلقيس عنده:

(هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) ٢.

فكيف بالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يحزن لأمر الخلق وهو من قال تعالى بحقه:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ٣.

وعليه:

فالسيدة خديجة عليها السلام لم تقل له (لا يخزيك) والعياذ بالله كما يروى البخارى وإنما قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يحزنك الله».

ص: ٣٤

الأمر الرابع: مؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر التصديق كان من فعل الأنبياء كما نص عليه القرآن الكريم

إن هذا القول من خديجه ليتناسق مع ما تحدثت به المصادر الإسلاميه فى بيانها لصفات خديجه عليها السلام من كونها: (امرأه حازمه، لبيبه، شريفه، وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً)(١).

فضلاً عن أنها تميزت بصواب الرأى، وصدق السريره، وأن الحال الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلزم منها هذا الموقف الذى تتهاوى فيه الرجال. ولا يصبر عليه إلا الأنبياء عليهم السلام، فهذا موسى الكليم يطلب من الله سبحانه وتعالى موازره أخيه هارون حينما بلغ بالرساله فقال كما نطق به الوحي:

(وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) ٢ .

وقال:

(اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) ٣ .

ص: ٣٥

١- الذريه الطاهره للدولابى: ص ٤٩؛ تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٣٥؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٣٥؛ كشف الغمه للأربلى: ص ١٣٢؛ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٦، ص ٣١٠.

الأمر الخامس: مخالفه البخارى للقرآن فى خوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صوت جبرائيل لدرجه الموت رعباً؟!!

إن القرآن الكريم ينص بوضوح على مرور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحاله من التجليات القلبيه حينما استقبل تلك الفيوضات الإلهيه لاسيما وأن جبرائيل عليه السلام هبط عليه بصورته العظمى كدليل على عظم أمر الرساله، ومن ثم لا بد من أنه كان فى حاله من الانقطاع عن هذا العالم والتوجه الكلى إلى الله تعالى بما يتناسب مع حجم هذا الأمر الإلهى؛ أمر رساله خير الأديان التى أخرجت للناس.

ولذا خاطبه عزّ شأنه:

(يا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ) ١ .

وقوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) ٢ .

وهذا يكشف عن حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى نزول تلك الفيوضات الإلهيه.

غير أنه لم يكن خائفاً وهو بحضره صاحب الملك والملكوت والعزه والجبروت لقوله تعالى:

ص: ٣٤

(إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) ١ .

فكيف بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

بل: إنَّ أمر الإسراء والمعراج والوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى هو أعظم من نزول جبرائيل عليه بصورته العظمى؛ وكيف لا وقد توقف جبرائيل عليه السلام عن التقدم معه خطوه واحده وأنَّى له ذلك فلو تقدم لهلك!؟

وأنَّى للبخارى وغيره التغافل عن ثناء الله تعالى على قوه قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاعه الكلى إلى الله تعالى، وثباته وانصرافه إلى ربه!؟ فقال عز وجل فى مدحه لحبيبه وبيان قوه يقينه وتصديقه القلبى بربه فقال سبحانه:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) ٢ .

أفتراه يذعر من صوت جبرائيل ولا يخاف من الرب الجليل!؟ وهو من مراتب الشرك الخفى المعارض لعصمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فالنبى لا يشرك أحداً فى خوفه من ربه وقد مدح القرآن الكريم المؤمنين فى توحيدهم الله وعدم إشراكهم معه فى خشيتهم أحداً من الخلق، قال تعالى:

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) ٣ .

اشاره

ترتكز الحياه على جمله من المفاهيم والرؤى والدلالات فى دورتها اليوميه إلا- أن هذه المفاهيم تحتاج إلى مصاديق خارجيه تثبت صحه هذا المفهوم أو ذاك كما أنها تؤكد صلاح هذه الرؤيه أو تلك فضلا عن دلالات الأفعال التى يستقبلها العقل فيبونها ضمن ضوابط الصحه والخطأ.

من هنا: كى يرضخ العقل وينقاد الفكر إلى معنى الزوجه الصالحه ومفهومها ودلاله صلاحها فلا بد من تحقق الصلاح فى الممارسات الحياتيه، وهو ما أظهرته النقاط الآتيه:

أولا: مبايعتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

يروى العلامة المجلسى والسيد البروجردى عن السيد ابن طاووس كيفيه مبايعه خديجه عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال - واللفظ لابن طاووس -: عن عيسى بن المستفاد، قال حدثنى موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت أبى جعفر بن محمد عليه السلام عن بدء الإسلام كيف أسلم على عليه السلام وكيف أسلمت خديجه رضى الله عنها؟ فقال لى موسى بن جعفر عليهما السلام:

تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه أما والله إنك لتسأله تفقها، قال موسى عليه السلام فقال لى أبى: إنهما لما أسلما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا على ويا خديجه أسلمتما لله وسلمتما له.

وقال إن جبرئيل عندى يدعو كما إلى بيعه الإسلام فأسلما تسلما،

وأطيعا تهديا.

فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله.

فقال: إن جبرئيل عندي يقول لكما إن للإسلام شروطاً وعهوداً ومواثيق فابتدئاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولوا: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه لم يتخذ ولداً ولم يتخذ صاحبه إلهاً واحداً مخلصاً، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أن الله يحيى ويميت ويرفع ويضع ويغنى ويفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور.

قالا: شهدنا.

قال: وإسباغ الوضوء على المكاره، وغسل الوجه واليدين والذراعين ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين وغسل الجنابه في الحر والبرد، وإقام الصلاة، وأخذ الزكاه من حلها ووضعها في أهلها، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والجهاد في سبيل الله، وبر الوالدين، وصله الرحم والعدل في الرعيه والقسم بالسويه والوقوف عند الشبهه ورفعها إلى الإمام، فإنه لا شبهه عنده، وطاعه ولى الأمر بعدى، ومعرفته في حياتى وبعد موتى والأئمه من بعده واحداً بعد واحد، وموالاه أولياء الله ومعاداه أعداء الله، والبراءه من الشيطان الرجيم وحزبه وأشياعه، والبراءه من الأحزاب: تيم وعدى وأميه وأشياعهم وأتباعهم والحياه على سنتى، ودين وصيى وسنته، إلى يوم القيامه والموت على مثل ذلك، وترك شرب الخمر وملاحاه الناس، يا خديجه فهمت ما

ص: ٣٩

شرط ربك عليه ؟

قالت: نعم وآمنت وصدقت ورضيت وسلمت.

قال علي: وأنا على ذلك.

فقال: يا علي تبايعني على ما شرطت عليك ؟

قال: نعم.

قال: فبسط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفه ووضع كف علي عليه السلام في كفه وقال: بايعني يا علي ما شرطت عليك، وأن تمنعني مما تمنع منه نفسك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اهتديت ورب الكعبة ورشدت ووفقت(١).

وهذه الرواية الشريفة اشتملت على جملة من الدلالات وهي كالاتي:

١ - ظاهر الرواية أن قول الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام:

تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه أما والله إنك لتسأله تفقها.

هو موجه لعيسى بن المستفاد وليس من أبيه الصادق إليه عليهما السلام، ولعل تقديم الرواية قول الإمام عليه السلام على سؤاله كان السبب في هذا الظهور لمقدمه الرواية.

ص: ٤٠

١- بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٨، ص ٢٣٢ و ٢٣٣؛ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ج ١، ص ٤٨٢؛ مستدرک سفینه البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج ٥، ص ١١٣.

فتكون مقدمه الروايه - والله العالم - كالآتى:

حدثنى موسى بن جعفر عليهما السلام وسألته عن بدء الإسلام، كيف أسلم على وكيف أسلمت خديجه؟ فقال لى موسى بن جعفر عليهما السلام:

أما والله إنك لتسأله تفقها... سألت أبى جعفر بن محمد عليهما السلام عن بدء الإسلام كيف أسلم على وكيف أسلمت خديجه عليهما السلام.

فقال لى أبى: إنهما لما أسلما....

٢ - عرض هذه الشروط عليهما، ومبايعتهما الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الشروط مع بيان شبه تفصيلى لفرائض الإسلام قبل فرضها على الامه دليل على علو مرتبتهما الإيمانيه، واختصاصهما بمقامات يقينيه عاليه؛ إذ قد لا يطيق كثير من الناس المبايعه حينما يرى أن هذه البيعه مقرونه بمجموعه كثيره من الشروط التى مع كثرتها هى متفاوتة فى الكيفيه والأداء ثم يسلم تسليمًا مطلقًا واعتقادًا صادقًا.

وهذا يكشف عن اختيار الله واصطفائه إياهما فى مؤازره رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: كان البدء بهما مع بيان كل هذا الكم من الشروط ، وقبولهما بها صدقًا وإيمانًا وتطبيقًا.

٣ - التأسيس لمنصب الوصى والولى للأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم منذ اللحظة الأولى لانطلاق رساله المحمديه؛ بل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أقرن طاعته بطاعه وصيه والحياه والممات على ذلك، وهذا يكشف

ص: ٤١

عن أهميه هذا الأمر؛ لما له من دور أساس في حفظ الامه من الضلال والوقوع في الفتن.

٤ - إن منصب (ولى الأمر) بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم يرتكز على قاعده تبنى الأحكام الشرعيه؛ وإن ولى الأمر مهمته بيان ما أنزل الله على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من أحكام، وهذا لا يتحقق إلا بوجود العصمه فى ولى الأمر، لتعلقه فى الحكم الإلهى.

بمعنى: اتحاد سنخيه الحكم الشرعى، وولى الأمر الشرعى؛ وذلك: أن الحكم الإلهى معصوم من الخطأ والزلل فكذا يكون حال المبين لهذا الحكم، وإلاّ بعكس ذلك يحدث الافتراق بينهما؛ لاختلاف سنخيتهما؛ وفى هذه الحاله لا يتحقق الإصلاح ولا يمكن منع وقوع الفساد، وهما - الإصلاح ومنع الفساد - غاية الشريعه الإلهيه.

بل: إن ذلك كان مقصد جميع المصلحين فى الأرض باختلاف مذاهبهم؛ إذ ينطلق المصلحون فى وضع أحكامهم وتشريعاتهم على قاعده تحقيق الإصلاح ومنع الفساد، لذا اتبعهم بعض الناس.

فإذا تبين لأولئك المتّبعين زيف هذه التشريعات، أو أنها لا تحقق الإصلاح، بل كانت مدعاه للفساد والخراب تحولوا عن أولئك المتشّرعين.

إلا أن الفارق بين ولى الأمر فى دستور الشريعه وبين المصلحين فى دستور الأرض، أن حكم الأول لا يقبل الخطأ ولو بنسبه واحد بالمئه، وأن الثانى يقبل الخطأ ولو بنسبه واحد بالمئه فيكون الخطأ فى الأول محال الوقوع لمطابقتها حكم

الخالق عز وجل؛ ويكون الخطأ في الثاني ممكن الوقوع مما يؤدي إلى انتفاء تحقق الإصلاح ومنع الفساد.

ومن هنا: كانت الملازمة بين النبوه والإمامه لتعلقهما ببيان الحكم الإلهي للناس.

٥ - إن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى وخديجه عليهما السلام:

والوقوف عند الشبهه إلى الإمام فإنه لا شبهه عنده.

هو أن مقام الإمامه كان محصوراً في زمن النبوه بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلاله قوله تعالى في إمامه إبراهيم الخليل عليه السلام:

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ١ .

فكانت له النبوه والإمامه في حياته وانحصارها، أي: الإمامه في الوصي بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا:

كان التلازم بين النبوه والإمامه - كما أسلفنا - لتعلقهما ببيان الحكم الشرعي، فكما أن النبي لا شبهه عنده كذا يكون حال الإمام من بعده (فإنه لا شبهه عنده).

٦ - ظاهر الروايه يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا المقدار من قوله في أمر (الوقوف عند الشبهه ورفعها إلى الإمام) خصّ به علياً وخديجه عليهما السلام.

ص: ٤٣

وأن قوله:

وطاعه ولى الأمر بعدى ومعرفته فى حياتى وبعد موتى والأئمه من بعده واحدا فواحداً.

يحتمل وجهين فى الخطاب.

الوجه الأول

أن يكون الخطاب موجهاً إلى خديجه عليها السلام، وهو الأظهر بدلاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

والحيوه على دينى وسنتى ودين وصيى وسنته إلى يوم القيامة والموت على مثل ذلك غير شاقه [شاكه] لأمانته ولا متعديه، ولا متأخره عنه.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا خديجه فهمت ما شرط عليك ربك.

والوجه الثانى

أن يكون الخطاب موجهاً لعلى وخديجه عليهما السلام، بمعنى: أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا الحد من قوله لم يكن قد أعلن عليا عليه السلام بأنه المخصوص بالخلافه والوصايه من بعده صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أمر فى غايه الأهميه؛ لأنه يكشف عن أن أمر الخلافه والوصايه هو بجعل من الله تعالى وليس بجعل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بدليل:

ص: ٤٤

حينما نزل قوله تعالى:

(وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ١ .

فقد روى الطبرى وغيره عن ابن عباس عن على بن أبى طالب عليه السلام قال:

«لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنذر عشيرتكم الأقربين دعانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى:

يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءنى جبريل فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رحل شاه واملا لنا عسًا من لبن ثم أجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا- يزيدون رجلا- أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزه والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به فلما وضعت تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيه من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحي الصفحة ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى مالهم

بشيء حاجه وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس على بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال اسق القوم فجتتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الغد يا على إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلى.

قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجه ثم قال أسقهم فجتتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم.

قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»(١).

فهذه الحادثة تدل بوضوح على وقت إعلان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمنصب الخلافة والوصاية من بعده وتعيين الخليفة والوصى وهو على بن أبي طالب عليه السلام، بعد نزول قوله تعالى:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ٢ .

إلا أنه يمكن أن يعترض على هذا التوقيت معترض بحيث يكون إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخليفته ووصيه قبل هذا اليوم الذي جمع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين، وهو اعتراض وجيه بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لخديجه بعد أن سمعت منه هذه الشروط أن قال لها:

«فبايعى له فبايعت له على مثل ما بايع عليه على عليه السلام - للنبي - على أنه لا جهاد عليها»(٢).

ص: ٤٧

١- تفسير فرات الكوفى: ص ٣٠٢؛ تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٦٣؛ الأمالى للطوسى: ص ٥٨٣؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٣، ص ٢١١؛ كنز العمال للمتقى الهندى: ص ١٣٢؛ تفسير البغوى: ج ٣، ص ٤٠٠؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٢، ص ٦٢.

٢- بحار الأنوار للمجلسى: ج ١٨، ص ٢٣٣؛ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج ١، ص ٤٨٢.

ونقول:

إن وقت إظهار الخلافة والوصاية للناس كان ضمن مراحل منها ما كان في بدايه البعثه أى منذ الأيام الأولى حينما كان عدد الذين أسلموا اثنين فقط ؛ رجلاً وامرأه فأرشدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى وجود وصى له وخليفه من بعده ليسير الإسلام منذ اليوم الأول على هذا المنهج الإلهى.

ومن المراحل الأخرى للإعلان عن الوصى والخليفه ما كان فى نزول الأمر الإلهى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بإنذار عشيرته الأقربين، فكان الإعلان عن ذلك فى حديث الدار، ومنها ما كان فى آخر عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما رجع من مكة بعد أن فتحها الله له فكان الإعلان عن الوصى والخليفه فى غدير خم، ومنها ما كان فى اللحظات الأخيره من عمره الشريف حينما ابتداءً به المرض فقال اتونى بدواه وقرطاس لأكتب لكم كتابا لن تضلوا من بعدى.

والملاحظ فى تسلسل هذه المراحل أن دائره الإعلان عن الوصى والتبليغ عن الخليفه كانت تتزامن مع كل مرحله جديده من التبليغ، بحيث يبتدىء النبي بالإعلان عن هذا الأمر الإلهى حينما كان عدد الذين لبوا ندائه واستجابوا لدعوته اثنين فقط رجلاً وامرأه، ثم يتزامن ذلك مع اتساع رقعه التبليغ بعشيرته النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأقربين، ثم بالمسلمين جميعاً، وهذا يكشف عن أن أمر الإمامه والخلافه من بعده لا تقل شأنًا عن النبوه فبكلتيهما يُعبد الله حق عبادته، ويهتدى الناس إلى معرفته.

ص: ٤٨

وعليه: تكون خديجه عليها السلام قد أحرزت تلك الدرجات العاليه من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بدء الرساله المحمّديه، وأنها ترجمت هذا الإيمان إلى واقع عملي وممارسه حياتيه حتى وافتها المنيه والتحقت بجوار ربها، وهو ما سنعرض له فى بقيه النقاط التى تكشف طبيعه حياتها الزوجيه مع خير خلق الله تعالى.

ثانياً: حملها الطعام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى الغار

من الظواهر الحياتيه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى تناولتها الصحاح بالروايه والذكر هى ذهاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغار للخلوه والعباده؛ وأن هذا الذهاب كان متكرراً خلال السنه تختلف فيه الفتره الزمنيه التى يقضيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تكون أياما متواصله أو منفرده إلا أن الروايه تدل على أن بقاءه فى الغار كان لأيام.

ومن هنا: نفهم العله التى من أجلها كانت تخرج خديجه عليها السلام من بيتها وهى تحمل المؤونه لزوجها؛ إذ لو كان المكوث فى الغار قصيراً لما احتاجت خديجه إلى الخروج من دارها وحمل الطعام والماء لزوجها، وهو ما تصرح به الروايه الآتية:

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريره، أنه قال: (أتى جبريل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا رسول الله هذه خديجه قد أتت معها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها

بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (١).

دلالة الرواية

والرواية فضلاً عما سبق فإنها تدل على أمور منها:

١ - أن طول مكوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يستوجب على خديجه بذل جهودٍ كبيره في الوصول إلى زوجها لاسيما وهو على سفح الجبل، أى قيامها عليها السلام بالصعود إليه مع ما تحمل من مؤونه، فكيف إذا أضيف إليه الشعور بالخوف عليه من المشركين، وأنها ستقوم بهذا العمل بصورة مستمره وهذا يدل على صبرها وجهادها وتعرض نفسها للمخاطر من أجل إمداد زوجها بلوازم الحياه.

٢ - اعتماد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها بذلك، يكشف عن حيظه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أعدائه.

٣ - أن عدم ذكر الروايه لمرافقه الإمام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الغار يرجع إلى أسباب:

ألف: احتراز البخارى أو من روى عنهم عن ذكر مناقب على بن أبى طالب عليه السلام كما هو عادة المخالفين لعلى فى ذلك، وكما حدث مع عائشه حينما ذكرت خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى دارها وهو

ص: ٥٠

١- صحيح البخارى: باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجه، ج ٤، ص ٢٣١؛ صحيح مسلم: باب فضائل خديجه، ج ٧، ص ١٣٣؛ مسند أحمد، من مسند أبى هريره: ج ٢، ص ٢٣١.

يتهادى بين رجلين فذكرت اسم العباس بن عبد المطلب ولم تسم الرجل الآخر إلا أن عبد الله بن عباس كشف ذلك (١).

باء: مكوث الإمام على عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار وملازمته له كما صرح هو بذلك في خطبته، وهذا يكشف عن تعمد المخالفين لأهل البيت عليهم السلام بمحاربه فضائلهم ومنع الرواه من رواياتها، فكان مما حاربه أولئك المخالفون هو ملازمه على لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار، حيث قال:

ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما ويأمرنى بالاعتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنه بحراء، فأراه ولا- يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرساله وأشتم ريح النبوه، ولقد سمعت رنه الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنه ؟

فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى

ص: ٥١

١- صحيح البخارى: باب مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ج ٥، ص ١٤٠، وجاء فيه: (عن عتبه بن مسعود أن عائشه زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه فى الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذى لم تسم عائشه قال، قلت: لا، قال ابن عباس: هو على بن أبى طالب).

ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك على خير(١).

جيم: فرض الحصار على خديجه عليها السلام؛ إذ ورد في الخبر إن نساء قريش هجرن خديجه بعد زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف وهو الآن يدعو إلى عباده الله ونبذ الشرك(٢).

دال: إن قيامها بذلك يكشف عن حبها لزوجها والسهرة على خدمته لاسيما أن ذهابها إليه سيحقق لها الاطمئنان عليه فضلاً عن شوقها لرؤياه.

هاء: إن صبرها على هذه المشقة وتحملها لهذه الصعاب وتعرضها للمخاطر كان دافعه حب الله عز وجل وحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا نالت من ربها السلام، والأمين على وحيه جبرائيل عليه السلام، كذلك خصها بالسلام.

وهذا السلام يدل على أنها من عباد الله المصطفين لقوله تعالى.

(وَسَلَامٌ عَلَى الَّذِينَ اصْطَفَى) ٣.

ثالثاً: خوفها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام حين خروجهما من المنزل

من المشاهد الحياتية لبيت خديجه (الزوجه الصالحة) والتي وردت إلينا عن طريق رواه مدرسه أهل البيت عليهم السلام هو خوف خديجه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان يخرج من الدار وهو قاصد شعاب مكة

ص: ٥٢

١- نهج البلاغه، الخطبه القاصعه: ج ٢، ص ١٥٧.

٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٩٠.

يتعبد لله تعالى مصطحبا الإمام على بن أبي طالب عليه السلام كما تشير الروايه وهى كالاتى:

روى الخصيبى عن جابر بن يزيد الجعفى عن الباقر عليه السلام، قال:

لما ظهر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعا الناس إلى دين الله أبت ذلك قريش وكذبتة وجميع العرب فبقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجيرا فى البلاد لا يدري ما يصنع وكان يخرج وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فى كل ليله إلى الشعاب فيصليان فيها سرّاً من قريش، ومن الناس، وكانت خديجه عليها السلام تخاف عليهما أن تقتلهما قريش فجاءت إلى أبي طالب فقالت له: إني لست آمن على رسول الله وعلى على من قريش أن يقتلوهما، فإني أراهما يذهبان فى بعض تلك الشعاب يصليان فأتاهما أبو طالب، وقال لهما إني أعلم أن هذا الأمر سيكون له آخر وإن هذا الذى أنتما عليه لدين الله، وإني أعلم أنكم على بينه من ربكما، فاتقيا قريشاً، فوالله ما أخاف عليكم إلا- من قريش خاصه، وما أنتما بكاذبين، ولكن القوم يحسدونكما، والذى دعوتما إليه عظيم عندهم، وإنما تريدان أن تقلباهم عن دينهم ودين آبائهم إلى دين لا يعرفونه ويستعظمون ما تدعوانهم إليه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لأملكن رقابهم، ولأطأن بلادهم بالخيل، ولتسلمن قريش والعرب طوعاً أو كرها ولأقطعن أكابرهم جهراً ولأخذنهم بالسيف عنوه، وهكذا أخبرني جبريل عليه السلام عن الله عز وجل فرجع أبو طالب من تلك الشعاب

من عندهما وهو من أسر الناس بما أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتى أبو طالب خديجه عليها السلام وأخبرها بذلك ففرحت فرحاً شديداً وسرت بما قال لها أبو طالب، وعلمت أنهما في حفظ الله عزّ وجل فكان هذا من دلائله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وهذا المشهد الحياتي الذي يصور لنا جانباً من أسلوب خديجه في حياتها الزوجية لهو في الوقت نفسه يظهر لنا دورها الأمومي في تنشئتها لعلّي عليه السلام.

إذ لا- يخفى على أهل المعرفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد اتفق مع عمه العباس بن عبد المطلب على إعانه أبي طالب عليه السلام فأخذ العباس بن عبد المطلب عقياً فضمه إليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فضمه إليه. والعله في ذلك تعود إلى:

١ - أن أبا طالب كغيره من آبائه كانوا مكثرين للانفاق على المحتاجين مما جعله يؤثر الغير على نفسه وعياله فأراد الله سبحانه أن يجازيه على هذا الصنيع فجعل ولده في حجر خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وحيث إن هذه الصفة، صفة الإيتار والانفاق هما مما لا يمكن تغييرهما في نفس أهل الفضائل والمحاسن؛ لأنها أصبحت من سجايهم وطباعهم، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتضن أحد أبناء عمه فاختر الله له علياً واختار للعباس

ص: ٥٤

١- الهدايه الكبرى للخصيبي: ص ٦٥.

عقياً لحكمه كشفها الأيام التي تلت بعث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - ولأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان ممن اصطفاهم الله لدينه فقد هيا له أباً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يصفه علي بقوله:

وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرايه القريبه والمنزله الخصيصه، وضعنى فى حجره وأنا ولد يضمنى إلى صدره، ويلفنى إلى فراشه، ويمسنى جسده ويشمنى عرفه، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه، وما وجد لى كذبه فى قول ولا خطله فى فعل (١).

وهيا له أمأ هي خديجه بنت خويلد التي كانت تحنو عليه بأكثر مما تحنو الأم على وليدها، بل ينقل لنا التاريخ صورته عن تعاملها الأمومي مع علي عليه السلام وكأنها أم رزقت بمولود بعد طول انتظار وترقب وصبر وجهاد مع النفس فى عدم ياسها من روح الله تعالى.

نعم:

هكذا يروى المسعودى كيفيه تعاملها مع علي عليه السلام فيقول: (لما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم خديجه بنت خويلد علمت بوجده بعلى عليه السلام فكانت تستزيه وتزينه بفاخر الثياب والجوهر وترسل معه ولايدها فيقلن هذا أخو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحب الخلق إليه وقره عين

ص: ٥٥

١- نهج البلاغه، خطب الإمام علي عليه السلام: الخطبه القاصعه، ج ٢، ص ١٥٧.

خديجه ومن ينزل السكينه عليه(١).

والروايه تدل على دور خديجه الأومى فى تربيتها لعلى عليه السلام وركائز حبهأ له، وهى تندرج ضمن النقاط الآتية:

ألف: إن المتأمل فى الروايه يجد أن فى كل زاويه من زوايا بيت خديجه هناك صوره معبره عن عمق حبهأ لزوجهأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويجد أيضاً أن حبهأ لعلى يرتكز على حبهأ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تدل عباره المسعودى - أنها - (علمت بوجهه صلى الله عليه وآله وسلم بعلى عليه السلام فكانت تعتنى به أشد العنايه وترينه بفاخر الشياب والجوهر وترسل معه إماءها خوفاً عليه من قریش واليهود).

بمعنى آخر:

أنها تطلب فى هذا الصنيع إدخال السرور على قلب زوجهأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما يرى حبيبه وقد ظهر بهذا المظهر الجميل مما يزيد فى حبه لولده ويشعره بالاطمئنان عليه لما يلقاه من جميل العنايه والاهتمام.

ولعل الآباء يدركون كم يكون منظر أولادهم وهم بهذا الوصف الذى ذكره المسعودى مؤثراً فيهم كما أن العكس لو حصل، أى: ظهور الإهمال من الأم لأبنائها وترجمته إلى واقع عملى فى مظهرهم، لما سيؤثر على نفسه الأب،

ص: ٥٤

١- الأنوار الساطعه للشيخ غالب السيلوى، نقلاً عن: إثبات الوصيه للمسعودى: ص ١٤٤، ط أنصاريان.

فضلاً عن الإحساس بالألم، وفشل الحياه الزوجيه، لتولد الشعور بعدم صلاحيه هذه الزوجه لأداء وظيفتها الأموميه فى الأسره.

باء: أن حبها لعلی يرتکز أيضاً على أنها فى الواقع وجدت فيه الابن الذى فقدته؛ إذ مرّ فى الفصول السابقه أن خديجه عليها السلام فقدت ابنين لها وهما القاسم الذى لم يتم رضاعه وعبد الله الذى مات كذلك فى فتره رضاعته.

وعليه فخديجه هى أم فجعت بوفاه ابنين لها ولذا جرت حكمه الله تعالى فى أن يكون على عليه السلام هو الابن الذى يملى عليها الإحساس بالولد فضلاً عن تفریح كل ما لديها من عاطفه الأمومه لعلی عليه السلام، وتلك من سابق عنايه الله تعالى بالإمام على عليه السلام؛ إذ شاءت إرادته الله تعالى أن يحيا على عليه السلام فى بيت تكون الأم فيه خديجه والأب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يتعرع فى جو أسرى خاص لم يتهياً لأحد من بنى البشر إلا لولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

والعجيب فى حكمه الله تعالى وسابق لطفه وعنايته بأهل البيت عليهم السلام أن هياً لهم منشأً وحجوراً ملاًها الحب والحنان والعطف والرقه.

ولذا فهم يحبون كل شىء له ارتباط بالله تعالى وينفرون من كل شىء ليس له ارتباط بالله تعالى.

جيم: أما الركيزه الثالثه فى حبها لعلی عليه السلام فهو الحب الإيمانى، أى: حب الولايه وهو أمر فطرى تنقاد له الفطره الصالحه للإنسان فكما أن

الإنسان السوى ينجذب إلى الله تعالى، لأنه مخلوق من الطهر والنقاء فتراه ينساق إلى الإيمان ويعتقد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقر بالشهادتين كذلك حاله مع علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأن حب علي من الإيمان كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال:

لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق(١).

فكيف بخديجه التي حظيت بسلام ربها وأمين وحيه وبشرها بيت في الجنة، فضلاً عن مقامها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا:

فحب خديجه لعلي عليهما السلام كان يرتكز على ثلاث ركائز:

١ - حبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - حبها الغريزي الأومى.

٣ - حبها الإيماني بالله تعالى ممثلاً بحبها الولائي لعلي عليه السلام والذي سنعرض له إنشاء الله بمزيد من البيان لاحقاً.

أما بقيه مضامين الروايه التي رواها الخصيبى فإنها تشتمل على مجموعه من المسائل لا يسع المقام بيانها، لاحتياجها إلى البسط فى البحث مما يدفع بالقارئ إلى الابتعاد عن محور البحث وهو بيان الجوانب الحياتيه والأسريه لأم المؤمنين خديجه بنت خويلد وطريقه أسلوبها ومناهجها كزوجه لسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٥٨

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسى: ج ٢٨، ص ٥١.

رابعاً: كيف يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أم عياله خديجه عليها السلام حينما يدخل المنزل ؟

إنَّ من المناهج التربويه التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأسره المسلمه هو كيفيه تعامل الزوج مع زوجته عند دخوله المنزل؟ وحينما يبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه النقطه مع الرجل كزوج أولاً وأب ثانياً إنما يريد أن يؤسس لنظام تعايشى داخل الأسره يركز على مجموعه من الأسس التي يقوم عليها البناء الأسرى، وهى كالاتى:

١ - مما لا شك فيه أن رجوع الزوج أو الأب إلى المنزل يشكل أول نقطه تلاق بين راعى الأسره وبين أبنائها، فبعد غياب يستمر لساعات يكون فيها الزوج خارج المنزل يعود إلى سكنه وأنسه وعياله؛ بمعنى انتقاله من عالم يحفّه بالتعب والجهد إلى عالم الموده والرحمه.

وهنا: تكمن أهميه التلاقى بين العالمين، فأما أن يحول الرجل عالمه الأسرى إلى عالم السوق والمال والمحاسبه، وأما أن يتخلص من ذلك العالم، ويحيا مع عالمه الذى صفته الموده والرحمه.

ولأن أغلب الرجال يكونون محمّلين بتلك الشحنات التى تنبعث من ضجيج الأسواق والمحاسبات والمعاملات المختلفه بين الناس، يصبح من الصعب عليه التخلص من آثارها.

ولذا:

لابد من معين يستعين به الرجل على التخلص من أجواء محل عمله، فماذا يصنع ؟

ص: ٥٩

جواب: يلقاه القارئ عند بيت خديجه عليها السلام، وهي تصف لنا نقطه التلاقي الأول بينها وبين زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقول:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر ثم يقوم فيصلى ركعتين يوجز فيها ثم يأوى إلى فراشه(١).

هنا: يبدأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مع الأسره فى منهاجه التربوى للزوجين عند نقطه التلاقي فيما بين العالمين، فيبدأ بالوضوء والصلاه، أى يبدأ أولاً مع الرجل فيدخله إلى عالم جديد يستلهم ما يعينه على التحرر من تلك الضغوطات التى مر بها فى أثناء تواجده فى محل عمله، وذلك من خلال الاستعانه بالوضوء والصلاه.

أى البدء بعناصر الطهر والرحمه والسكينه؛ ليستقبل بها أهل الموده والرحمه.

٢ - الإيجاز فى الصلاه هو لغرض التفرغ لأهله وليس الغرض من الصلاه هو قضاء ما فات من الفرائض اليوميه التى غفل عنها الرجل فى أثناء زحمه العمل أو التوجه للنوافل وما شابه؛ وإنما هو تميم لهذا المحل وإشعاراً بقدسيته ولذا: يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآباء والأزواج قدسيه البيت، وأنه محل الرحمه فيبدأ دخوله إليه بالصلاه كما يصنع بالمسجد.

ص: ٦٠

١- العدد القويه، على بن يوسف الحلبي: ص ٢٢٢؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٦، ص ٨٠؛ مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٧١.

فليس هناك فارق بين الصلاتين من حيث الأثر التربوي والوظيفه الحياتيه، فما وجود المسجد والبيت إلا لغرض صلاح الإنسان.

٣ - إيواء النبي الأ-كرم صلى الله عليه وآله وسلم لفرأشه لا- يدل على عدم الجلوس والحديث وتناول الطعام وإنما إشاره إلى استحقاق الزوجه من حياه الرجل؛ بمعنى: أيها الرجل دع هموم عملك خارج منزلك وتفرغ لزوجك واهتم بعيالك واستفد من نعمه الله تعالى؛ إذ هياً لك سكناً وإنساً واغنم لنفسك ما يلزمها من عناصر البقاء والقدرة على مواصلة الجهد والكد فى العمل.

إذن:

لخديجه الزوجه عليها السلام كان نصيب من حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسكنا يتعامل معه بالتعظيم والرحمه كما يتعامل مع المسجد من حيث كونه محلاً لأداء شكر المنعم، وموضِعاً يقترن بالرحمه والقدسيه والطمأنينه.

المسأله الرابعه: جهادها ومؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تبليغ رسالته

إشاره

من أهم السمات التى اتسمت بها حياه السيده الطاهره خديجه عليها السلام، هى سمه الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومؤازرته فى تبليغ رساله ربه.

بل لا نبأغ - كما سيرى القارئ - إن قلنا أن هذه السمه انفردت بها خديجه عليها السلام من بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٤١

إذ لم تمرّ إحداهن بمثل ما مرت به السيدة خديجة منذ انطلاق الدعوه إلى التوحيد وإلى آخر يوم من حياتها؛ حيث مضت وهي متأثره بما وقع عليها وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم وحصار اقتصادى بالغ فيه المشركون أشد المبالغه، فضلاً عن تلقيها آلام الضرب والتعذيب وهو ما لم يحدث لحره من حرائر قريش، فضلاً عن حفظ مكانه أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجره إلى المدينه حيث قضين حياتهن بالأمن والاستقرار، ولم يكن لبعضهن سوى الاهتمام بالنفقه والغيره من الضره ومحاسبه صلى الله عليه وآله وسلم على المبيت والتظاهر عليه وإثاره المشاكل وتغيص حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عاتبه الله عزّ وجل في ذلك فقال:

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) ١.

وتهديد الله سبحانه لبعضهنّ إن لم يتوبا إلى الله تعالى عما يصنعن من الأذى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سبحانه وتعالى:

(وَإِذْ أَسِيرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَيْدِيئاً فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ

ذَلِكَ ظَهِيرٌ) ١ .

فى حىن قضت السىده الطاهره خديجه الكبرى عليها السلام حياتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل من الطاعه والحب والتفانى فى خدمه النبى ورعايته بشكل لم يحظ به نبى من الأنبياء عليهم السلام على اختلاف منازلهم عند الله تعالى فضلاً عن المقارنه بين مقامات نساء الأنبياء ومقام خديجه ومنزلتها فى مكه وحاله الغنى والترف الذى كانت تعيش فيه قبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسبها ونسبها ومنعتها وحرص أشرف قومها على الاقتران بها، وإذا بها تتلقى مختلف أنواع الأذى من المشركين، وهى لا تتغى فى جميع ما نزل بها سوى مرضاه ربها ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا:

فشتان بين امرأه تجاهد على حصول رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبين امرأه تحرص على أذى الله وأذى رسوله حتى يهددها الله فى محكم كتابه ويحذرهما من الاستمرار بفعلها.

ومن هنا:

كان لخديجه من السمه الجهاديه لقيام الإسلام ومؤازره النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته ما لم يكن لامرأه، وهو ما ستظهره النقاط الآتية:

ص: ٦٣

أولاً: فداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسها وحفظه من الأذى

يروى العلامة المجلسى - طيب الله ثراه - عن كتاب المنتقى فى مولد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قائلا:

(ولما أنزل الله تعالى:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ١ .

قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا ونادى فى أيام الموسم:

يا أيها الناس إني رسول رب العالمين.

فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل قبحه الله بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ وجاء المشركون فى طلبه، وجاء رجل إلى على بن أبى طالب عليه السلام وقال: يا على قد قتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجه - رضى الله عنها - فدق الباب فقالت خديجه:

من هذا؟

قال عليه السلام:

أنا على.

قالت:

يا على ما فعل محمد؟

ص: ٦٤

قال عليه السلام:

لا- أدرى إلا- أن المشركين قد رموه بالحجاره، وما أدرى أحي هو أم ميت، فأعطينى شيئاً فيه ماء وخذى معك شيئاً من هيس وانطلقى بنا نلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإننا نجده جائعاً عطشاناً.

فمضى حتى جاز الجبل وخذيجه معه فقال على:

يا خديجه استبطنى الوادى حتى أستظهره.

فجعل ينادى:

يا محمداه، يا رسول الله، نفسى لك الفداء فى أى واد أنت ملقى ؟

وجعلت خديجه تنادى:

من أحس لى النبى المصطفى ؟ من أحس لى الربيع المرتضى ؟ من أحس لى المطرود فى الله ؟ من أحس لى أبا القاسم ؟

وهبط عليه جبرئيل عليه السلام فلما نظر إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكى وقال:

ما ترى ما صنع بى قومى ؟ كذبونى وطرودونى وخرجوا على .

فقال جبرئيل عليه السلام:

يا محمد ناولنى يدك.

فأخذ يده فأقعدته على الجبل، ثم أخرج من تحت جناحه درنو كا من درانيك الجنه منسوجا بالدر والياقوت وبسطه حتى جلل به

جبال تهامه، ثم

ص: ٦٥

أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقعده عليه، ثم قال له جبرئيل:

يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

نعم.

قال جبرئيل عليه السلام:

فادع إليك تلك الشجرة تجبئك.

فدعاها فأقبلت حتى خرت بين يديه ساجده، فقال:

يا محمد مرها ترجع

فأمرها فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل حارس السماء الدنيا فقال:

السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم.

وأقبل ملك الشمس فقال:

السلام عليك يا رسول الله، أفتأمرني أن آخذ عليهم الشمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم.

وأقبل ملك الأرض فقال:

السلام عليك يا رسول الله: إن الله عز وجل قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الأرض فتجعلهم في بطنها كما هم على

ظهرها؟

وأقبل ملك الجبال فقال:

السلام عليك يا رسول الله إن الله قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الجبال فتقلب عليهم فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار فقال:

السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

قد أمرتم بطاعتي؟

قالوا:

نعم.

فرفع رأسه إلى السماء ونادى:

إني لم أبعث عذابا، إنما بعثت رحمه للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون.

ونظر جبرئيل عليه السلام إلى خديجه تجول في الوادي فقال:

يا رسول الله ألا ترى إلى خديجه قد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فأقرئها مني السلام، وقل لها: إن الله يقرئك السلام، وبشرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكلا بالذهب.

فدعاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدماء تسيل من وجهه على

ص: ٦٧

الأرض، وهو يمسحها ويردها قالت:

فداك أبي وأمي دع الدم يقع على الأرض.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

أخشى أن يغضب رب الأرض على من عليها.

فلما جنَّ عليهم الليل انصرفت خديجه رضى الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام ودخلت به منزلها، فأفعدته على الموضع الذى فيه الصخره، وأظلمت بصخره من فوق رأسه، وقامت فى وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجاره، فإذا جاء من فوق رأسه حجر وقته الصخره، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط ، وإذا رمى من بين يديه وقته خديجه - رضى الله عنها - بنفسها، وجعلت تنادى:

يا معشر قريش ترمى الحره فى منزلها؟

فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغدا إلى المسجد يصلى(١).

والحديث غنى عن البيان فى تعريف القارئ المسلم وغير المسلم فى تحقق جهاد خديجه فى قيام الإسلام وتقديم نفسها فداءً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان الجهاد ساقطاً عنها إلا أنها لم تكن لتترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرضهً لحجاره المشركين وتجلس هى مكتوفه اليدين.

ص: ٦٨

١- بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٤٤.

ولعل كثيراً من هذه الحجارة أدمتها إلا أنها لم تصرح بذلك، كى لا تدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الألم حينما يعلم ما نزل بها.

وإلا ما معنى قولها للمشركين: أترمى الحرة فى دارها؟! فضلاً عن وصف الروايه للحدث الذى يظهر بوضوح أن الحجارة كانت تأتيها من كل جهه، ولذا قامت بحمايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجهات الست من فوقه ومن تحته وعن يمينه وشماله وعن خلفه وأمامه.

إنها صورته انفردت بها خديجه فى حياتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما انفردت هى من بين النساء.

ثانياً: مؤازرتها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحصار حتى أكلت ورق الأشجار

كم هو ظالم التاريخ حينما يكون المؤرخ يكتب مادته التاريخيه على ورق مدفوع الثمن من خزينه السلطه.

هكذا ترى التاريخ الإسلامى حينما كتب سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إنه ظالم للتاريخ الإنسانى برمته، وظلوم للقراء المسلمين حينما ينظرون إلى تاريخهم وهو يصف خير الناس وأشرفهم بوصف لم يشأ الحكام أن يكون تام المعالم، واضح الصوره؛ فضلاً عن نقل معالم غريبه على القرآن، مستوحشه فى قاموس الإنسانيه.

وإلا كيف يفسر الإنسان - المسلم - إقدام سليمان بن عبد الملك على إتلاف السيره النبويه حينما عرضها عليه أبان بن عثمان، لسبب يعود إلى كونها

تتضمن مناقب الأنصار في العقبين وغيرها مما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، الذين هم أولى من الأنصار في بيان فضلهم، فكيف يترك بنو أمية تدوين هذه الفضائل وبنو هاشم والأنصار أعداؤهم.

ولذا أمر بتخريق ما كتبه أبان بن عثمان كما تنص الرواية التي رواها الزبير بن بكار، وهي كالآتي:

(قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجا سنة (٨٢ هـ) فأمر أبان بن عثمان بن عفان^(١) أن يكتب له سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححه ممن أثق به، فأمر سليمان عشره من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين وفي بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمطوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!!!

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

ص: ٧٠

١- أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، كان واليا على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عده الرازي في المدنيين، وقد روى عنه أبو الزناد ونيبه بن وهب وعبد الله بن أبي بكر والزهرى، مات بالفالج في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥ هـ؛ أنظر الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٥١-١٥٢؛ الجرح والتعديل للرازي: ج ٢، ص ٢٩٥؛ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص ١١١؛ تقريب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٥١؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٨٤.

فقال سليمان: ما حاجتى إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمرير المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فحرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب.

فقال عبد الملك: (وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها؟!

قال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته)^(١).

والحادثة التي مرّ ذكرها لا تحتاج إلى تعليق، فهي واضحة الدلالة في تدخل حكام بنى أمية في تدوين السيرة النبوية؛ ويا ليت شعري أن الأمر اقتصر على التدخل في كتابتها، بل حرق هذه السيرة وإتلافها لكونها لم تتضمن بين ثناياها أى ذكر لبنى أمية في مواضع الخير التي حفت بها سيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما أدري ما هو ذنب السيرة إذا كان بنو أمية قد تعاقدوا مع الشر، فكانوا حضورا معه أينما حضر؛ هذا من جانب.

والجانب الآخر:

إذا كانت السيرة النبوية في زمن عبد الملك بن مروان ينتهى بها الحال إلى الخرق لخلوها من ذكر طيب لآل عبد الملك بن مروان، فكيف يكون

ص: ٧١

١- الموقفيات للزبير بن بكار: ص ٣٢٢-٣٢٣؛ وللمزيد من التفاصيل فيما تعرضت له السيرة النبوية من الاضطهاد أنظر: الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد لشيخ كتاب السيرة محمد بن إسحاق أنموذجا، تأليف السيد نبيل الحسنى.

حالتها وهي تضم مناقب بنى هاشم وعلى رأسهم على بن أبي طالب عليه السلام!؟

ولذلك: كانوا إذا مرّ بهم حديث فيه ذكر لعلى بن أبي طالب عليه السلام يتعاملون معه معامله خاصه يدل عليها الشاهد الآتي:

روى أبو الفرج الأصفهاني: (إنّ خالدًا القسري(1) - وهو أحد ولاته بنى أميه - طلب من الزهري أن يكتب له السيره فقال الزهري: فإنه يمر بي الشيء من سيره على بن أبي طالب، أفأذكره؟

ص: ٧٢

١- خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز، أبو الهيثم البجلي القسري، أمير مکه للوليد بن عبد الملك، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق. (تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٣٥). قال الذهبي عنه في الكاشف: (ناصبيا عذب وقتل). (الكاشف في معرفه من له روايه في كتب السنه: ج ١، ص ٣٦٦). وقال في السير نقلا- عن ابن خلکان: (كان يتهم في دينه، بنى لأمه كنيسه تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق: إلاقبح الرحمن ظهر مطيه أتننا تهادي من دمشق بخالد وكيف يؤم الناس من كان أمه تدين بأن الله ليس بواحد بنى بيعه فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض منار المساجد (سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ٤٢٧). وقال الذهبي في ميزانه، وفي تاريخ الإسلام: (ناصبى بغيض ظلوم، قال ابن معين: رجل سوء يقع في على). (ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٦٣٣؛ تاريخ الإسلام: ج ٨، ص ٨٣؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٣، ص ١٥٦).

فقال خالد: لا إلا أن تراه في قعر جهنم، فقال الزهري: فلعن الله خالدا ومن ولاه وصلوات الله على أمير المؤمنين(١).

وكان خالد القسري يسمى بئر زمزم بأم الخنافس(٢)، وحينما ولاه عبد الملك بن مروان على الكوفة تتبع شيعة أهل البيت عليهم السلام فأخذ سعيد ابن جبير، وطلق بن حبيب، فأنكر الناس عليه ذلك فقام خطيبا فقال: (كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله أن لو كتب إلى أمير المؤمنين - هشام بن عبد الملك - لنقضتها حجرا حجرا، يعني الكعبة)(٣).

بل إن بني أمية لم يتحملوا حتى ذكر اسم المدينة المنوره.

فقد اسماها يحيى بن الحكم(٤) بالخبيثه!

فقد روى القيرواني عن بديح أنه قال: (وفد عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب - عليهما السلام - على عبد الملك بن مروان، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب، ثم أخذه فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطف المسأله، حتى سأله عن مطعمه ومشربه، فلما انقضت مسأله قال يحيى

ص: ٧٣

١- الأغاني للأصفهاني: ج ٢٢، ص ٢١؛ الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٥٣، وقد مر ذكر الحديث سابقا.

٢- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٦١؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي: ج ٥، ص ٤٢٩.

٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٦١.

٤- يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أخو مروان بن الحكم سكن دمشق وولاه ابن أخيه عبد الملك بن مروان المدينة ثم ولاه حمص. (تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٦٤، ص ١١٩).

ابن الحكم: (أمن خبيثه كان وجهك أبا جعفر)؟

قال: (وما خبيثه)؟!

قال: أرضك التي جئت منها!

قال عبد الله بن جعفر: سبحان الله!! رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يسميها طيبه وتسميها خبيثه، قد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين(1).

إذن:

هذا حال تدوين السيره النبويه في عصر ملوك بني أميه، وهذه حال المواضع المقدسه، وهي - أي، هذه السيره ترتبط بمن يقولون إنهم من أتباع دينه صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف تكون عندهم سيره من لا يعتقدون به؟ وكيف تكون سيره من يبغضونه كل هذا البغض الذي دلت عليه الروايه!!؟

وعليه:

فمن الطبيعي بمكان أن تكون فتره الحصار التي مرّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته - خديجه وابنتها فاطمه الزهراء عليهما السلام - وعمه أبي طالب وولديه علي وجعفر ومن آمن به من بني هاشم ومن آمن به من قريش والبالغه ثلاث سنوات أو أكثر، فتره يلفها الغموض والإقصاء وأنت ترى أن ما نقشه المؤرخون عنها في مصنفاتهم ومروياتهم سوى صفحه واحده إن أرادوا الانصاف ضمن مقاييسهم الضمائريه.

ص: ٧٤

١- الدرجات الرفيعه لعلي خان المدني: ص ١٧٧.

بل: إنك لن تجد سوى إشارات هنا أو هناك في كتب التاريخ أو الحديث توحى لذوى البصائر حجم هذه المأساه التي أطبقت على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن به.

في حين أنك تجد صفحات عديده تتحدث لك عن تفاهات حول مظاهر العيش في مكة قبل الإسلام، وأخرى تقص عليك أخبار ملوك اليمن وقصور الشام و... و....

لكنهم يصابون بالصمم والبكم حينما يأتون إلى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه السنوات العجاف.

ولعل دراهم بيت المال تفك عقده الألسن في مكان، وتعيبها بالبكم في مكان آخر!

من هنا:

لم نوفق إلى معرفه طبيعه العيش والجهد والجهاد الذى قضاه خير خلق الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه السنوات من الحصار الظالم من أهل مكة عليه وعلى زوجه وابنته وعمه أبى طالب وولديه على وجعفر عليهم السلام أجمعين.

إلا- أن اللبيب بالإشاره لغنى، ويكفيه من الكلام قليله، فبه الدلاله على حجم ما قامت به السيده خديجه فى نصرتها ومؤازرتها لزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحملها الأذى فى نصره شريعته ربها إلى الحد الذى كانت فيه تأكل ورق الأشجار من الجوع فى أثناء الحصار فى شعب أبى طالب.

ص: ٧٥

كما تدل الروايه الآتية:

روى الشنقيطى عن النيسابورى ما نصه:

(يروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على خديجه وهو مغموم، فقالت:

مالك؟

فقال:

الزمان زمان قحط، فإن أنا بذلت المال ينفد مالك، فأستحي منك، وإن أنا لم أبذل أخاف الله.

فدعت - خديجه - قريشا وفيهم الصديق، قال الصديق: فأخرجت دنائير حتى وضعتها، بلغت مبانا لم يقع بصرى على من كان جالسا قدامى، ثم قالت:

اشهدوا أن هذا المال ماله، إن شاء فرقه وإن شاء أمسكه.

هذه القصة وإن لم يذكر سندها، فليس بغريب على خديجه رضى الله تعالى عنها أن تفعل ذلك له صلى الله عليه وآله وسلم، وقد فعلت ما هو أعظم من ذلك حين دخلت معه الشعب فتركت مالها، واختارت مشاركته صلى الله عليه وآله وسلم لما هو فيه من ضيق العيش، حتى أكلوا ورق الأشجار، وأموالها طائله فى بيتها(1).

ص: ٧٦

١- أضواء البيان: ج ٨، ص ٥٦٢؛ تفسير الرازى: ج ٣١، ص ٢١٩، ولم يذكر ما ذهب إليه الشنقيطى من أكلهم ورق الأشجار.

إشاره

إنّ المتدبر في الآيات الكريمة والأحاديث النبويه الشريفه التي تتحدث عن حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأسريه يرى بوضوح حقيقه منزله أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى وعند رسوله، كما يرى بوضوح آثار حياه خديجه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بقيه أزواج النبي ودورها التربوي والإصلاحى لكل أسره مسلمه تبتغى أن تكون المرأه فيها بحث زوجه صالحه كما كانت خديجه بحق الزوجه الصالحه.

المسأله الأولى: كانت خديجه قدوه لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لم يفتأ (١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر لخديجه أمام أزواجه - على الرغم من اعتراض بعضهن عليه - لحاجه في نفسه صلى الله عليه وآله وسلم وهى أن يتخذنها قدوه؛ وإلا لا يصح الاعتقاد بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان على الرغم من سماعه اعتراض عائشه وتسببها في غضبه لم يكن ليرك ذكر خديجه عليها السلام دون أن يكون لذلك حكمه إلهيه،

ص: ٧٧

١- فتأ: أى أنه مستمر في الذكر لم يمنعه مانع لأنه يعد عدم الذكر جحوداً، قال تعالى: (قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُنَا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ) سوره يوسف، الآية: ٨٥.

لاسيما ونحن نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أقرن الله تعالى طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته، فقال سبحانه:

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ١ .

وقال تعالى:

(وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) ٢ .

وخير دليل يستدل به المسلم على أنها خير قدوه لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها دون منازع كانت الزوجه الصالحه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها وهو يذكر صفاتها التي امتازت بها على غيرها من أزواجه.

فقد روى ابن عبد البر عن الشعبي عن مسروق عن عائشه أنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجه فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيره فقلت هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها!!!

ص: ٧٨

فغضب - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال:

لا والله، ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء.

قالت عائشه: فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئه أبداً(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها.

دليل يقطع الطريق على المسلم فى احتمال أن تكون إحدى أزواجه خيراً من خديجه لاسيما إذا نظرنا إلى استخدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أداه النفى القسم بالله تعالى، فضلاً عن شدة غضبه وألمه لما قالت عائشه.

والذى يبدو أنه سمع منها غير هذه الكلمه، أى (عجوزاً) وإلا لا يمكن تصور حدوث غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشديد الذى وصفته عائشه بقولها (حتى اهتز مقدم شعره من الغضب)، مع ما أوتى من الحلم والصبر كان لمجرد هذه الكلمه.

ومما يدل عليه: أن الحافظ الذهبى لم يشأ أن يفصح عن بقيه الكلمات التى نطقها عائشه أو لعله حفظ الروايه بالشكل الذى وصلت إليه بهذا اللفظ :

ص: ٧٩

١- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٢٤؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٣٩؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٣؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ٢، ص ٥٢؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٤٠١.

(فقلت: عجوزا! كذا وكذا) (١) ولا ندرى ماذا احتوت (كذا وكذا) من ألفاظ أغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الغضب الشديد.

ولذا: لم تكن امرأه من بين أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم نالت كل هذه الصفات التي نالتها خديجه عليها السلام فكانت بحق: (الزوجه الصالحه) التي أراد النبي الأكرم من أزواجه أن يتخذنها قدوه في حياتهن معه.

وهو يفسر لنا لماذا أعرض النبي الأكرم عن الزواج بعد وفاه خديجه عليها السلام حتى عوتب في ذلك، كما جاء في الأثر عن خوله بنت حكيم، قالت: يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتكم خله لفقد خديجه، قال:

أجل كانت أم العيال ورب البيت (٢).

المسأله الثانيه: ولأن خديجه ربه البيت وأم العيال، كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حزن عليها حتى خشي عليه

اشاره

ولأن خديجه عليها السلام كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه بيته وأم عياله فقد حزن على فقدها (حتى خشي عليه) (٣) من الحزن.

ولأنها كانت كذلك فقد عاش مع ذكراها، وكأن ليس هناك امرأه

ص: ٨٠

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ١١٧.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٥٧؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٢.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٦٠؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢، ص ٤٥٢؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٢؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ١١٧.

استحقت أن تكون سكنه وموضع أنسه وهو القائل:

إني قد رزقت حبها(١).

ولذا:

كان يتبع منهاجاً في إحيائه لذكر خديجه عليها السلام لحكمه بالغه يمكن معرفتها من خلال الملاحظات الآتية:

- ١ - كونه صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الخلق العظيم فإن الوفاء لها لا يخرج عن كونه من سماته الكماله وسجاياه الأخلاقية - كما سيمر بيانه -.
- ٢ - تأسيس حياه أسريه في المجتمع تقوم على دور الزوج في حفظ عشره زوجته مما يتلاءم مع خلق حاله وجدانيه تقوم على زرع المحبه في نفوس الأبناء.
- ٣ - تثبيت مكانه المرأه في الأسره والمجتمع من خلال الالتفات إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلمه كونه المشرع والمعلم للبشريه.
- ٤ - امتياز الدين الإسلامى عن بقية الديانات والمدارس التربويه فى تسجيل صورته عن حفظ مكانه المرأه بعد وفاتها فكيف بها حينما كانت موضع سكن الرجل وأنسه.
- ٥ - تعليم المرأه المسلمه على حسن التبعل وأن ذلك سينعكس على كل حياه الرجل فضلاً عن آثاره الإيجابيه على أولادها حينما يتعايشون مع هذا الحب والوفاء فى بيتهم لأهمهم.

ص: ٨١

١- صحيح مسلم: باب، فى فضل عائشه: ج ٧، ص ١٣٤؛ العمده لابن البطريق، فى ذكر مناقب خديجه عليها السلام: ص ٣٩٣.

إما كيف ترجم هذا الفعل النبوى على أرض الواقع الحياتى له صلى الله عليه وآله وسلم فكان كالاتى:

أولاً: إكرام النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأرحام خديجه عليها السلام

تُظهر الروايه التاريخيه أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يغدق أرحام خديجه بكرمه ولطفه ويتعاهدهم بالهديه، وقد ورد فى الحديث عن عائشه أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليذبح الشاه ثم يهدى فى خلتها منها، أى يهدى أحباب خديجه عليها السلام من الذبيحه (١).

وهذا يدل على حسن العهد، أن (وهو إهداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللحم لإخوان خديجه ومعارفها ورعياً منه لذمامها وحفظاً لعهداها) (٢) كل ذلك باعته حسن العهد الذى دل عليه خلق القرآن.

وقد أخرج الحاكم النيسابورى من طريق صالح بن رستم عن ابن أبى مليكه، عن عائشه، قالت: جاءت عجوز إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو عندى، فقال لها:

من أنت ؟

قالت: أنا جثامه المزيه فقال:

بل أنت حسانه المزيه كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟

قالت: بخير، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول

ص: ٨٢

١- صحيح البخارى: كتاب الأدب، ج ٧، ص ٧٦.

٢- عمده القارى للعيني: ج ٢٢، ص ١٠٣.

الله! تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال:

إنها كانت تأتينا زمان خديجه، وإن حسن العهد من الإيمان(١).

فضلاً عن ذلك: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدم بنى عبد العزى على بنى عبد الدار(٢) ويكرمهم لمكانه خديجه عليها السلام فإنهم أصهاره(٣) وقرابته؛ فخديجه هى بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن عبد مناف بن قصى، وهو جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرابع.

ثانياً: إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحباب خديجه عليها السلام

من الأفعال النبويه التى كانت موجّهه لكل أسره مسلمه هو قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإكرام أحباب خديجه ومعارفها وأصحابها وهو دليل على ما يكتنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حب وحرمة لخديجه فى نفسه وهو ما لم تنله امرأه غيرها.

بل إنه لمشهد قل نظيره حتى عند الأنبياء عليهم السلام؛ إذ لم تحدثنا الروايات عن امرأه حظيت بكل هذا الحب والتكريم من زوجها مثلما حظيت به خديجه لاسيما بعد وفاتها؛ وذلك أن طابع الرجل الميل السريع إلى المرأه وعدم القدره على البقاء خلياً دون زوجته، حتى إذا اقترن بأخرى فسرعان ما تنسيه الحياه الجديده زوجته السابقه.

ص: ٨٣

١- المستدرک على الصحيحين للنيسابورى: ج ١، ص ١٦؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٨٥، ح ١١٠٤٩.

٢- المغنى لابن قدامه: ج ٧، ص ٣١٠.

٣- مغنى المحتاج للشربيني: ج ٣، ص ٩٦.

لكننا حينما نأتى إلى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإننا لنجد صورته فريده لا احترام الزوج وزوجته والحنين إليها وإكرام ذويها وأحبابها تعبيراً عن تلك المكانة التي لها في قلبه كما تحدثنا به الروايات، ومنها:

١ - روى القاضى النعمان المغربى وابن البطريق، قولهما: (كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاره قد أوصته خديجه أن يتعاهدها^(١))، فهدى إليه لحم جمل أو لحم جزور، فأخذ بيده لحماً، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: اذهب إلى فلانه.

فقال عائشه: يا رسول الله لم غمرت يدك قد كان فينا من يكفيك، قال:

ويحك إن خديجه أوصتني بها.

فأدركت عائشه الغيره لذكر خديجه.

فقال: كأن ليس فى الأرض امرأه إلا خديجه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

قومى عنى^(٢)!

- ثم - خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غضبان فلبث ما شاء الله أن يلبث، ثم دخل عليها وعندها أمها - أم رومان - فقالت: يا رسول الله ما لعائشه؟ إنها حدثه، وهى غبراء.

ص: ٨٤

١- العمده لابن البطريق: ص ٣٩٤.

٢- العمده لابن البطريق: ص ٣٩٤.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشدق (١) عائشه، ثم قال:

ألست القائله: كأن ليس فى الأرض امرأه إلا خديجه؟ لقد آمنت بى إذ كفر بى قومك، وقبلتنى إذ رفضنى قومك، ورزقت منى الولد إذ حرمت منى.

قالت عائشه: فما ترك شدقى حتى ذهب من نفسى كل شىء كنت أجده على خديجه (٢).

٢ - إحسانه صلى الله عليه وآله وسلم لأم زفر وهى ماشطه خديجه، والظاهر من ترجمتها أنها كانت تقصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه خديجه، فكان يعرفها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ويقول:

إنها كانت تغشانا فى زمن خديجه (٣).

٣ - أخرج الحاكم النيسابورى عن أنس أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى بشىء يقول:

إذهبوا به إلى فلانه فإنها كانت صديقه خديجه، إذهبوا به إلى فلانه فإنها كانت تحب خديجه (٤).

٤ - أخرج مسلم فى الصحيح عن عائشه قالت: ما غرت على نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا على خديجه وإنى لم أدركها، قالت: وكان

ص: ٨٥

١- الشدق: جانب الفم؛ لسان العرب لابن منظور: ج ١٠، ص ١٧٢.

٢- شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى: ج ٣، ص ١٨.

٣- الإصابه لابن حجر، ج ٨، ص ٣٩٦.

٤- المستدرک على الصحيحین، الحاكم النيسابورى: ج ٤، ص ١٧٥؛ الأدب المفرد للبخارى: باب، قول المعروف: ص ٨٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذبح الشاه فيقول:

أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجه (١).

وفي روايه أنه قال:

إني لأحب حبيها (٢).

فهذه الأحاديث لتعطي صورته واضحه الملامح عن مقام خديجه عليها السلام ومنزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تدل على وضع منهاج عملي للنحياء الأسريه يقوم على حفظ مقام الزوجه وتعميق حبها في نفوس ذويها ولاسيما أبناؤها كي يتأسسوا بتلك السنه النبويه فضلاً عن بيان ما لحسن التبعل من أثر كبير في نفس الزوج سواء أكانت المرأه حيه أم ميته.

فضلاً عن إظهار صاحب الرساله المحمديه للمرأه الصالحه في المجتمع وتخليد ذكراها، وهو ما لم يلاحظ في الأمم التي سبقت الإسلام أو التي تدعى التمدن أو التحضر في الوقت المعاصر.

بقي أن نقول: إن المرأه الصالحه لا تحظى فقط باحترام زوجها وحبه لها، وإنما تحظى برضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولأن أم المؤمنين خديجه عليها السلام لها مقام خاص فيما بين النساء، ومنزله محموده عند الله تعالى، فقد حظيت بمنازل لم تحظ بها امرأه من العالمين سوى ابنتها فاطمه ومريم بنت عمران وآسيه بنت مزاحم عليهن السلام وهو ما سنتناوله في المباحث اللاحقه.

ص: ٨٦

١- صحيح مسلم: باب في فضل عائشه: ج ٧، ص ١٣٤.

٢- الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٣.

الفصل السابع: منزله خديجه في القرآن و السنه

اشاره

ص: ٨٧

حينما يكون الإنسان بهذا المستوى من الرقى النفسى والصفاء الذاتى فإن ذلك سيجرم إلى أفعال ملموسه ومحسوسه لدى الناس كما يحس أحدهم بلون الورد وشذى عطره كما أنه فى نفس الوقت يكون مصداقاً لما يحتويه الإنسان من صلاح؛ بل يرى بأنه كيان صالح لا يصدر عنه إلا الخير، حاله كالشجره المثمره لا تخرج إلا ما ينفع الناس، وفى المقابل لا تأخذ شيئاً سوى أكواب من الماء.

وهكذا عباد الله المخلصين:

(كَشَجَرَهُ طَيِّبَهُ أَضْلُهُ ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ١ .

وحيثما يستقر بنا المقام عند أعتاب هذا الصرح العظيم، أى السيده خديجه عليها السلام فإننا سنجد لهذا الصلاح الذى غمرها فخلصت كما يخلص الذهب المصفى، منازل ودرجات كأنها أوسمه افتخار وشهاده اعتزاز لهذا الجهاد فى الله تعالى.

فكانت رحلتنا فى أروقه هذا الصرح العظيم قد تضمنت التوقف عند بعض المناهل الرويه لغرض التزود لهذا السير فى معرفه هذا السفر الخالد.

ص: ٨٩

إشاره

يمكن لنا أن نقف على منزلتها عند الله تعالى بما يتناسب مع هذا المبحث من خلال مسألتين، إحداهما: في مباهاه الله بها ملائكته، والأخرى: إطعامها من ثمار الجنة وهما مسألتان تدلان على حقيقته يقينها بالله ودرجه عبوديتها لربها، أى: منزلتها فى سلم التوحيد ومراتبه.

المسأله الأولى: إن الله تعالى يباهى بها ملائكته عليهم السلام

لم يكمد يخفى على القارئ الكريم المنزله التى لخديجه عند الله تعالى وقد أخلصت لربها وجاهدت فى سبيله وناصرت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وواسته بنفسها ومالها فنالت عند ربها منزله خاصه حتى نقل جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلاماً من الله عليها، وسلامه هو أيضا إليها؛ كما ينص البخارى (١).

إلا أن من الأحاديث ما يكشف عن بيان آخر عن سمو هذه المنزله، وهو ما رواه على بن يوسف الحلى فى العدد القويه فقال:

(بينما النبى صلى الله عليه وآله وسلم، جالس بالأبطح ومعهم عمار بن ياسر، والمنذر بن الضحاح وأبو بكر، وعمر، وعلى بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وحمزه بن عبد المطلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام فى صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه:

ص: ٩٠

يا محمد العلى الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجه أربعين صباحا.

فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لها محبا وبها وامقا.

قال:

فأقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوما، يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه تلك، بعث إلى خديجه بعمار بن ياسر، وقال قل لها:

يا خديجه لا تظنى أن انقطاعى عنك هجره ولا قلى، ولكن ربى عز وجل أمرنى بذلك لينفذ أمره، فلا تظنى يا خديجه إلا خيرا، فإن الله عز وجل ليباهى بك كرام ملائكته كل يوم مرارا، فإذا جنك الليل فأجيفى الباب، وخذى مضجعك من فراشك، فإنى فى منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خديجه تحزن فى كل يوم مرارا لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١).

فهذه الروايه تظهر جانباً من المنزله والمقام الذى بلغته خديجه عليها السلام عند الله تعالى إذ كانت ممن يباهى بها الملائكه.

ص: ٩١

١- العدد القويه: ٢٢١؛ الدر النظيم لابن أبى حاتم: ص ٤٥٢؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ١٦، ص ٧٨.

والمباهاة: هي المفاخرة، وتباهوا أى: تفاخروا(١).

أما لماذا يباهى بها الملائكة عليهم السلام؟

فلأنها قَدِّمَتْ من الطاعة لله حينما ابتليت بما لم تستطع عليه الملائكة عليهم السلام، وذلك لأن الملائكة مجبولون على الطاعة ومرفوع عنهم الابتلاء؛ ولذا هم لا يعصون الله مطلقاً.

قال تعالى فى معرض بيانه لسجود الملائكة لآدم عليه السلام حينما استفهموا من ربهم سبب تفضيل هذا الخلق الجديد عليهم أن قالوا:

(تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ٢ .

وفى بيانه عزَّ شأنه لطاعتهم التى فطروا عليها ان قال سبحانه:

(عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) ٣ .

ولذا:

فإن خديجه حينما تعطى كل أسباب الدنيا من المال، والثراء، والجمال، والحسب، وشرافه النسب، وتوقد الفهم، وحسن المنطق، فتسخره فى طاعه

ص: ٩٢

ربها، وتهاجر إليه وإلى رسوله، هذه الهجره التي وصفها القرآن بقوله:

(وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا) ١ .

فخديجه لم يخيرها ربها بين الدنيا والآخرة كما حصل لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كعائشه وحفصه وأم سلمه وغيرهن وإنما أعطاهن أسباب الدنيا لكنها هجرتها وأرادت الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا لأجل جنته وإنما حباً به ورسوله:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ٢ .

وخديجه قاداتها حبها لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدرجة التي يباهى الله بها ملائكته.

وذلك من خلال بلوغها رتبة عالية من مراتب التوحيد حينما كان حسن ظنها بالله قد قادها إلى التسليم المطلق بما اختار لرسوله الأكرم من تكاليف، بمعنى: لم تساورها الشكوك في هجران رسول الله لها وانقطاعه عنها خلال هذه المدّة الزمنية البالغة أربعين يوماً، كما لم تساورها الشكوك في صدق اعتقادها بنبوته وإيمانها بقوله وانقيادها لأمره، ولا يخفى على أهل المعرفة كم تحتاج هذه المنازل من جهاد مع النفس واجتهاد على الصبر والأنس بما قدر الله سبحانه، فكيف لا يباهى الله بها ملائكته جلت قدرته.

ومن الأحاديث أيضا ما يظهر جانباً آخر من البيان لهذه المنزله، وهو إطعامها عليها السلام من ثمار الجنه، كما يروى الحافظ الطبرانى والهيثمى عن عائشه أنها قالت: (أطعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجه من عنب الجنه)^(١).

وهذه المكافأه والجائزه التى نالتها سيده خديجه فى الحياه الدنيا إنما هى لغرض منحها رتبه الجواز فى الدخول إلى الجنه، وهى فى الحياه الدنيا، وهذا يتطلب مقدمات خاصه حتى يصل الإنسان مستوى من النقاء الصحافى والصدق اليقيني حتى ينال هذه الجائزه وهى تحقق الفوز فى الآخره قبل الانتقال إليها.

بمعنى: لم يبق فى تكوين خديجه وشخصها الإنسانى عارض يحول دون التقاء العنصر الأخرى المخلوق من عالم الأمر وحلوله فيها وهى فى عالم الملكوت والشهاده عالم ماده.

بمعنى آخر أنها تخلصت من كل الكدورات التى تعلق بالإنسان حينما يمر بتلك العوالم التكوينييه من عالم الأصلاب إلى عالم الأرحام إلى عالم الدنيا لتتحول بفعل جهادها وطاعتها وصدق يقينها بالله إلى عنصر ملكوتى يمتاز مع ثمار الجنه.

من هنا: يظهر معنى: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ) ٢.

أى الذين خلصوا من الذنوب فكانوا كأهل الجنه وهم فى الدنيا.

ص: ٩٤

١- المعجم الأوسط للطبرانى: ج ٦، ص ١٦٨؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٢٥؛ السيره الحلبيه: ج ٢، ص ٤٢٢؛ الروض الأنف للسهيلى: ج ٢، ص ٨.

ولقد ضرب الله تعالى مثلاً لعباده في مريم بنت عمران حينما جاهدت وأخلصت وخلصت لربها حتى أصبحت مؤهله لرتبه الاندماج مع جنس الجنه أى أصبح هناك تماثل فى التكوين. ولذا:

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ١.

والعجيب فى التكليف الابتلاييه فى حياه الأنبياء عليهم السلام أن يأخذ زكريا إشارته وضالته من خلوص مريم وانقطاعها إلى الله تعالى:

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) ٢.

(رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) ٣.

ولأن مريم عليها السلام لم يكن لها من العوالم الدنيويه، ما يشغل القلب ويحزنه كالولد والزوج أصبحت أسبق فى العناية الإلهيه فى تحقق المحال وهو إطعامها من ثمار الشتاء فى فصل الصيف ومن ثمار الصيف فى فصل الشتاء، وهذا فضلاً عن أن هذه الثمار من الجنه فلا قيمه للوقت حينها إلا بمقدار إقرار عين المؤمن وإكرامه.

وعليه: لا يكون انقطاع مريم عليها السلام مختلفاً عن انقطاع خديجه إلى ربها وجهادها فى سبيله، وما أوتيت فاطمه (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها) لأعظم لو كانوا يعقلون.

إشاره

يعرض القرآن الكريم بعض الآيات التي تشير إلى مكانه خديجه عليها السلام من خلال بيان شؤون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما السنين الأولى لسير رساله المحمديه.

والقرآن الكريم حينما يعرض بيان منزله عباد الله المخلصين يعرضهم للمسلم بأسلوبين، إما بالذكر الصريح لهؤلاء كالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وإما بالكنايه من خلال الإشاره إلى أعمالهم فيكون حينها العمل هو الدال والمعرف لهؤلاء العباد.

كما أن القرآن في عرضه كنايه للأشخاص لم يقتصر على عباد الله المخلصين وإنما عباد الله الظالمين كما هو حال الأقوام التي بعثت فيها الأنبياء عليهم السلام؛ إذ إننا نرى اختصاص العمل بجميع أفراد الامه فيعاقب أصحاب هذا العمل، ويكرم أصحاب عمل آخرين.

قال تعالى:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ) ١٠.

فكان عرض القرآن لقوم موسى من خلال اقترافهم عباده الشرك عرض

كنايه ولم يصرح بأسمائهم في حين في موضع آخر يصرح بصاحب الجرم فيقول سبحانه وتعالى:

(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) ١

وكذا عرضه لأفعال الأنبياء عليهم السلام، فعلى سبيل الاستشهاد قال سبحانه:

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ٢.

وهو كنايه عن نبي الله يونس عليه السلام، أو قوله تعالى في بيان علم نبيه الخضر عليه السلام:

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) ٣.

أو قوله تعالى في الإشارة إلى وزير سليمان عليهما السلام في بيانه سبحانه

لعلم يوشع بن نون فقال عز وجل:

(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَوْفَكَ) ١ .

فكان البيان كناية، ووزير سليمان عليه السلام هو المخصوص بالإشارة دون التصريح بالاسم؛ والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

أما في خصوص عرض القرآن الكريم لبعض النساء فإنه عرض ذكرهن بنفس الأسلوبين، صراحه وكنايه.

وفي ذلك يقول ابن شهر آشوب رحمه الله: (واعلم أن الله تعالى ذكر أئنتي عشره امرأه في القرآن على وجه الكنايه:

١- (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) ٢ .

في: حواء.

٢- (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا) ٣ .

في: امرأه نوح وامرأه لوط .

٣- (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ٤ .

في: امرأه فرعون.

ص: ٩٨

٤- (وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) ١ .

فى: امراء ابراهيم.

٥- (وَ اضْلَعْنَا لَهُ زَوْجَهُ) ٢ .

فى: زوجه زكريا.

٦- (الآن حَصَّصَ الْحَقُّ) ٣ .

فى: زليخا امراء عزيز مصر.

٧- (وَ آتَيْنَاهُ اَهْلَهُ) ٤ .

فى: امراء ايوب.

٨- (اِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) ٥ .

فى: بلقيس.

٩- (اِنِّى اُرِيدُ اَنْ اُنْكِحَكَ اِحْدَى ابْنَتَى) ٦ .

فى: ابنه نبى الله شعيب.

ص: ٩٩

١٠- (وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) ١ .

فى: حفصه وعائشه.

١١- (وَ وَجَدَكَ عَائِلًا) ٢ .

فى: خديجه عليها السلام.

١٢- (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) ٣ .

فى: فاطمه عليها السلام.

ثم ذكرهن بخصال:

١ - التوبه من حواء.

(قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا) ٤ .

٢ - والشوق من آسيه.

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ٥ .

٣ - والضيافه من ساره.

(وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) ٦ .

ص: ١٠٠

٤ - والعقل من بليقيس.

(إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) ١ .

٥ - والحياء من امرأه موسى.

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي) ٢ .

٦ - والإحسان من خديجه.

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا) ٣ .

٧ - والنصيحه لعائشه وحفصه.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (٣٢) وَ قَرْنَ فِي
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ٤ .

٨ - والعصمه من فاطمه.

(وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) ٥ .

ص: ١٠١

وان الله تعالى أعطى عشرة أشياء لعشر من النساء:

التوبة لحوا زوجه آدم، والجمال لساره زوجه إبراهيم، والحفاظ لرحيمه زوجه أيوب، والحرمة لآسيه زوجه فرعون، والحكمه لزيخا زوجه يوسف، والعقل لبلقيس زوجه سليمان، والصبر لبرحانه أم موسى، والصفوه لمريم أم عيسى، والرضى لخديجه زوجه المصطفى، والعلم لفاطمه زوجه المرتضى.

وخوفت أربعه من الصالحات.

١ - آسيه: عذبت بأنواع العذاب، فكانت تقول:

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ١.

٢ - ومريم: خافت من الناس وهربت.

(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي) ٢.

وخديجه عليها السلام: عدلها النساء فى النبى فهجرنها.

٤ - وفاطمه عذبت بعد أبيها، فقالت فاطمه عليها السلام:

أما كان أبى رسول الله؟ ألا يحفظ فى ولده؟ ما أسرع ما أخذتم واعجل ما نكصتم(١).

فالاتى خووفن من الصالحات فى هذه الامه خديجه بنت خويلد، وابنتها

ص: ١٠٢

١- مناقب آل أبى طالب لابن شهر المازندراني: ج ٣، ص ١٠٢، (بتصرف بسيط)؛ البحار للمجلسي: ج ٤٣، ص ٣٥.

فاطمه عليهما السلام التي خوفت وروعت بعد وفاه أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

حينما نأتى إلى ذكر الآيات الكريمة التي أشارت إلى خديجه الكبرى عليها السلام فإنها ذكرت بها بأسلوب الكناية لا التصريح، وهي كالاتى:

المسألة الأولى: آية الإغناء

قال تعالى:

(أ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) .

تناولنا فيما سبق فى معرض حديثنا عن مال خديجه عليها السلام اختصاص هذه الآية المباركه:

(وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) .

بمال خديجه عليها السلام وكيف إن الله تعالى أغناه بمال خديجه عليها السلام(١).

ص: ١٠٣

١- أنظر فى اختصاص هذه الآية بمال خديجه عليها السلام وأن الله تعالى أغناه بمالها؛ الإفصاح للشيخ المفيد: ص ٢١٢؛ الخرائج والجرائح للراوندى: ج ٣، ص ١٠٤٥؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر: ج ٣، ص ٢٩٥؛ تفسير السمعانى: ج ٣، ص ٥٢٦؛ تحفه الأحوذى للمباركفورى: ج ١٦، ص ٤٩٢؛ تفسير السمرقندى: ج ٣، ص ٥٦٨؛ تفسير السمعانى: ج ٣، ص ٥٢٦؛ تفسير البغوى: ج ٤، ص ٤٩٩؛ تفسير القرطبى: ج ٢٠، ص ٩٩؛ تفسير الألوسى: ج ٣٠، ص ١٦٢؛ المبسوط للسرخسى: ج ٣، ص ١١.

إلا أنني أضيف في هذا المقام ما رواه المجلسي رحمه الله في بيان كيفية انتقال أموال خديجه عليها السلام إلى ملك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه الروايه وإن صرّح المحدث المجلسي رحمه الله في أنها من المرسلات إلا أنها لتقرب الصورة في كيفية انتقال هذه الأموال ولعلها إلى تحديد وقت انتقالها أقرب.

قال رحمه الله: (ثم إن خديجه قالت لعمها ورقه: خذ هذه الأموال وسر بها إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقل له: إن هذه جميعها هديه له وهي ملكه يتصرف فيها كيف شاء، وقل له: إن مالي وعييدي وجميع ما أملك وما هو تحت يدي فقد وهبته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إجلالاً وإعظاماً له، فوقف ورقه بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته:

يا معاشر العرب إن خديجه تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالها وعييدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصداق والهدايا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع ما بذل لها مقبول منه وهو هديه منها إليه إجلالاً له وإعظاماً ورغبة فيه، فكونوا عليها من الشاهدين) (١).

ص: ١٠٤

قال تعالى:

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) ١.

من الآيات الكريمة التي تحدثت كناية وصراحة في آن واحد هي آيه الاصطفاء والتطهير، التي وردت في بيان الله تعالى لسيره زكريا ومريم عليهما السلام؛ فهذه الآيه تتحدث صراحة عن مريم عليها السلام وتظهر مقامها عند الله تعالى ومنزلتها لديه، وهي في نفس الوقت تظهر منزله خديجه عليها السلام ولكن كناية.

والدليل على ذلك:

قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساءها مريم ابنة عمران، وخير نساءها خديجه(١).

قال النووى وابن حجر: (إن معناه أن كل واحده منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه)(٢).

وبمعنى آخر: فالآيه تتحدث عن بلوغ كل منهما رتبة الاصطفاء والتطهير

ص: ١٠٥

١- صحيح البخارى: كتاب بدء الخلق، ج ٤، ص ١٣٨؛ صحيح مسلم: باب فضائل خديجه، ج ٧، ص ١٣٢.

٢- شرح صحيح مسلم للنووى: ج ١٥، ص ١٩٨؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ١٠١.

وإن كان التصريح باسم مريم عليها السلام بلحاظ أن البيان القرآني كان يسير بنسق تقديم ما مرت به مريم من مراحل التكامل اليقيني حتى بلغت تلك الدرجة التي نص عليها القرآن.

ومن ثمّ: يقدم القرآن لنا هذا النهج لكي يستدل به على تشخيص المصيّطّيات من النساء في الحياه الدنيا فكيف إذا أقرن هذا البيان القرآني ببيان من المعصوم في تشخيص أولئك النسوة كخديجه وفاطمه عليهما السلام.

المسأله الثالثه: آيه الأزواج والذريه

قال تعالى:

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) ١ .

وهذه الآيه هي مما تحدثت كناية عن خديجه وفاطمه صلوات الله عليهما، فأما في اختصاصها بخديجه، فقد أخرج الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد في قوله تعالى: (هب لنا) الآيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قلت:

يا جبرئيل من أزواجنا؟

قال:

خديجه.

قلت:

ومن ذريتنا؟

ص: ١٠٦

قال:

الحسن والحسين عليهما السلام.

قلت:

واجعلنا للمتقين إماما؟

قال:

على عليه السلام(١).

وأما اختصاصها بفاطمه وعلى عليهما السلام فمما يدل عليه: ما رواه ابن شهر آشوب عن سعيد بن جبير، أنه قال: (نزلت هذه الآية والله خاصة في أمير المؤمنين عليه السلام).

قال: كان أكثر دعائه يقول: ربنا هب لنا من أزواجنا، يعني فاطمه وذرياتنا، يعني الحسن والحسين قرّه أعين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

والله ما سألت ربي ولدا نضير الوجه ولا سألت ولدا حسن القامة ولكن سألت ربي ولدا مطيعين لله خائفين وجلين منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت به عيني.

قال:

(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

ص: ١٠٧

١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ٥٣٩؛ شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج ١٤، ص ٦٣٧.

قال:

يقتدى بمن قبلنا من المتقين (١) فيقتدى المتقون بنا من بعدنا.

وقال الله تعالى:

(أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) ٢ .

يعنى على بن أبى طالب والحسن والحسين وفاطمه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) (٧٥)

خالد بن خلدون فيها حسنت مستقراً ومقاماً) ٣

. ٤

ومما يدل عليه أيضاً: ما رواه البرقى فى بيان دلالة هذه الآية واختصاصها بأهل البيت عليهم السلام (عن على بن عقبه، عن أبيه، عن سليمان بن خالد قال: كنت فى محمل أقرأ إذ نادانى أبو عبد الله عليه السلام:

اقرأ يا سليمان وأنا فى هذه الآيات التى فى آخر (تبارك).

ص: ١٠٨

١- والمتقون الذين يقتدى بهم أمير المؤمنين عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فىكون هو إمام المتقين وعلى من بعده صلى الله عليه وآله وسلم، أو أنهما، أى النبى وعلى إمام للمتقين لكونهما من نفس واحده لقوله تعالى فى آيه المباهله: (وأنفسنا) أى على بن أبى طالب عليه السلام.

(وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨)
يُضَاعَفُ) ١.

فقال عليه السلام:

هذه فينا أما والله لقد وعظنا وهو يعلم أنا لا نزنى، إقرأ يا سليمان.

فقرأت حتى انتهت إلى قوله:

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ٢.

قال عليه السلام:

قف، هذه فيكم، إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل فيكون هو الذى يلى حسابه فيوقفه على سيئاته شيئاً فشيئاً، فيقول: عملت كذا وكذا، فى يوم كذا، فى ساعه كذا، فيقول: أعرف يا رب قال: حتى يوقفه على سيئاته كلها كل ذلك يقول، أعرف، فيقول: سترتها عليك فى الدنيا، وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدى حسنات، قال: فترفع صحيفته للناس، فيقولون: سبحانه الله، أما كانت لهذا العبد ولا سيئه واحده فهو قول الله عز وجل.

ص: ١٠٩

(فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

قال:

ثم قرأت حتى انتهيت إلى قوله:

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) ١ .

فقال عليه السلام:

هذه فينا.

ثم قرأت:

(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) ٢ .

فقال عليه السلام:

هذه فيكم إذا ذكرتم فضلنا لم تشكوا.

ثم قرأت:

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ

ص: ١١٠

فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۱ .

فقال عليه السلام:

هذه فينا(١).

المسألة الرابعة: آية الاستواء

قال تعالى:

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ) ٣ .

روى ابن شهر آشوب عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: (وما يستوى الأعمى: أبو جهل، والبصير: أمير المؤمنين، ولا الظلمات: أبو جهل، ولا النور: أمير المؤمنين ولا الظل يعنى ظل أمير المؤمنين عليه السلام في الجنة، ولا الحرور: يعنى جهنم، ثم جمعهم جميعاً فقال: (وما يستوى الأحياء): على وحمزه، وجعفر، والحسن والحسين، وفاطمة، وخديجه. (ولا الأموات) كفار مكة(٢).

ص: ١١١

١- المحاسن للبرقي: ج ١، ص ١٧٠؛ شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج ٣، ص ٤٥؛ تفسير جوامع الجامع للطبرسي: ج ٢، ص ١٦٤.

٢- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٧٨؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ٢٤، ص ٣٧٢؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص ٥٦٧؛ تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني: ج ٢، ص ٤٨٠.

قال الله تعالى:

(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) ١.

هذه الآية المباركة من الآيات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وقد روى الحاكم الحسكاني بسنده في تفسيره عن حصين بن مخارق، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى:

(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ).

قال: هو أشرف شراب الجنة يشربه آل محمد، وهم المقربون السابقون: رسول الله وعلى بن أبي طالب وخديجه وذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان(١).

وسمى بالتسنيم: لأنه يجرى فوق الغرف والقصور؛ لأن التسنيم ضد التسطيح(٢).

وقال مقاتل: (يسمى تسنيماً لأنه يتسنم، فينصب عليهم انصباباً من فوقهم في غرفهم ومنازلهم يجرى من جنه عدن إلى أهل الجنان)(٣).

ص: ١١٢

١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ٢، ص ٤٢٦؛ فضائل أمير المؤمنين لابن عقده الكوفي: ص ٢١٨؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٨، ص ١٥٠؛

٢- القاموس الفقهي للدكتور سعدى أبو حبيب: ص ١٨٣.

٣- عمده القارى للعيني: ج ١٩، ص ٢٨٣.

أقول: لا يصح أن يجرى هذا الماء إلى جميع أهل الجنان؛ وذلك لاختصاص الآية بلفظ (المقربون)؛ وليس جميع أهل الجنة من المقربين؛ إذ يتساوون عندها مع محمد وآل محمد، ومع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهذا خلاف القرآن.

إذن: هي عين خاصه للمقربين وهم رسول الله وعترته بدلاله سورة الدهر التي نزلت فيهم والتي اشتملت على أفضل صفات الجنة ومراتبها.

فضلاً عن أن الآية الكريمة تصرح بالتنافس في السعي والوصول إلى هذه المراتب، فلو كان جميع أهل الجنة برتبة واحده وفي مقام واحد لسقطت هذه الدعوه؛ إذ تصبح تحصيل بلا محصل؛ في حين أن الله تعالى وعده صدق، وقوله حق.

ويدل عليه أيضاً: قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول:

أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض ومعنا عترتنا، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بأعمالنا فإننا أهل بيت لنا شفاعه فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإننا نذود عنه أعداءنا ونسقى منه أوليائنا، ومن شرب منه لم يظمأ أبداً وحوضنا مترع فيه مذهبان (١) أبيضان ينصبان من الجنة أحدهما من تسنيم والآخر من معين، على حافتيه الزعفران حصاه الدر والياقوت وهو الكوثر (٢).

ص: ١١٣

١- المثعب: مسيل الماء.

٢- تفسير فرات الكوفي: ص ٣٦٧؛ الخصال للصدوق رحمه الله: ص ٦٢٤؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٠، ص ١٠٣.

قال تعالى:

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) ١.

ومن الآيات الكريمة التي اختصت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بن أبي طالب وخديجه عليهما السلام هي هذه الآيات التي تشير إلى إحدى الصفات التي امتاز بها على وخديجه عليهما السلام، وهي صفة السبق إلى الله تعالى ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال على بن إبراهيم القمي (المتوفى ٣٢٩ هـ) في تفسيره:

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه وعلى بن أبي طالب وذرياتهم عليهم السلام تلحق بهم (١).

وقد لا يخفى على القارئ المتتبع أن أسبقية الإمام على عليه السلام وخديجه إلى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كان مما امتازا به على سائر المسلمين؛ وفيه يقول أمير المؤمنين على عليه السلام:

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه

ص: ١١٤

١- تفسير على بن إبراهيم القمي: ج ٢، ص ٤١١؛ تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٣٠٢؛ تفسير نور الثقلين للحوزي: ج ٥، ص ٥٣٥.

وآله وسلم وخديجه وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوه(١).

وقال عليه السلام:

أجبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدي إلى ما دعا إليه مسرعا مطيعا موقنا لم يتخالجني في ذلك شك، فمكثنا بذلك ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلى أو يشهد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما آتاه غيرى وغير ابنه خويلد رحمها الله وقد فعل(٢).

فهذه الروايات تدل على سبق على وخديجه عليهما السلام إلى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لم يصل معهما أحد خلال ثلاث سنوات، ولم يؤمن به غيرهما حتى مرت هذه السنين ثم جاء بعدهما من قدر الله له الهداياه ووفق للالتحاق بهم كأبي ذر الغفارى وغيره رضى الله عنه.

كما تدل الروايه على تحديد الزمن الذى آمن به أبو طالب رضوان الله تعالى عليه حينما التحق بهم إنما كان بعد مرور هذه الفتره من الزمن أى بعد ثلاث سنوات من أسبقية ولده على وخديجه عليهما السلام، ليكون بذلك ثالث من أسلم كما أثبتناه فيما سبق ضمن بحث مستقل(٣).

ص: ١١٥

١- نهج البلاغه، خطب الإمام على عليه السلام: ج ٢، ص ١٥٧؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ١٤، ص ٤٧٦.

٢- الخصال للشيخ الصدوق: ص ٣٦٦؛ الاختصاص للشيخ المفيد (رحمه الله): ص ١٦٥.

٣- انظر كتاب: أبو طالب ثالث من أسلم للسيد نبيل الحسنى تجد هذه الحقيقه ناصعه كالشمس.

المسألة السابعة: آية الاستغفار

قال تعالى:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) ١ .

يروى المحدث المجلسي عن كتاب تأويل الآيات الظاهرات، عن محمد الحلبي قال: (قرأ أبو عبد الله عليه السلام:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)

وهم على عليه السلام وأصحابه.

(وَالْمُؤْمِنَاتِ) .

وهن خديجه وصويحباتها)(١).

المسألة الثامنة: آية الاصفاء على العالمين

قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) ٣ .

ص: ١١٤

١- تأويل الآيات الظاهرات لشرف الدين الحسيني: ج ٢، ص ٥٨٦.

الاصطفاء فى اللغة: هو الاختيار، افعال من الصفوه، ومنه النبى المصطفى، والأنبياء المصطفون، إذا اختاروا هذا بضم الفاء (١).

وبهذا يكون مراد الآيه إن الله تعالى اختار من عباده على العالمين آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، وهؤلاء ذريه بعضهم من بعض.

ومما لا شك فيه أن اختيارهم على العالمين كان لحكمه خاصه.

منها:

١ - أن آدم عليه السلام هو أبو البشر وبه بدأ الإنسان كإنسان رحله التكريم والتفضيل على الخلائق ورحله الابتلاء.

قال تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ٢.

٢ - إن الله أسجد له ملائكته لأنه خليفه الله فى أرضه.

٣ - أما نوح عليه السلام فبه بدأت المرحله الجديده من الحياه على الأرض بعد الطوفان، وهذا فضلاً عن الفتره التبليغيه التى قضاها وهو يدعو الناس إلى التوحيد.

٤ - أما آل عمران فمنهم كانت أنبياء بنى إسرائيل الذين شغلوا السهم الأوفى فى عدد الأنبياء فضلاً عما لاقوه من قومهم من الجهد والبلاء.

ص: ١١٧

١- كتاب العين للفراهيدى: ج ٧، ص ١٦٣.

٥ - أما آل إبراهيم عليهم السلام فيهم تختم النبوه، ومنهم خير خلق الله وسيد أنبيائه ورسله، هذا فضلا عن أن آل إبراهيم، هم الأئمه وفي ذريته جعلها الله تعالى، ولذا خصهم دون غيرهم من آل الأنبياء بالسلام.

فقال:

(سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ) ١ .

ثم يجمعهم الله جميعاً تحت رتبه الاختيار والتفضيل والإنعام عليهم فيقول سبحانه:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) ٢ .

والعجيب في هذه الآيه الكريمه هو أن الله تعالى يظهر فضله على من كان مع نوح في السفينه فكيف بمن جاهد في سبيله ونصر سيد أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولذا:

ليس غريبا أن نجد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يصرح باصطفاء خديجه عليها السلام وهي التي قد حازت كل هذه الفضائل، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ١١٨

إن الله اصطفى على نساء العالمين أربعة: آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وهذا فضلاً عن كون خديجة عليها السلام هي (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ) إذ تتصل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجده قصى.

وقد روى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن أبي مسلم الخولاني، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

يا عائشه، أو ما علمت أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وعلياً والحسن والحسين وحمره وجعفر وخديجة على العالمين (٢).

المسألة التاسعة: آية الأعراف

قال تعالى:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) ٣.

هذه الآية تدرج ضمن الآيات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وقد

ص: ١١٩

١- مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه: ص ١٩٣؛ الدر المنثور للسيوطي، عن أنس بن مالك: ج ٢، ص ٢٣؛ تفسير الميزان للطباطبائي: ج ٢، ص ٢٣.

٢- تفسير فرات الكوفي: ص ٨٠؛ مستدرک سفینه البحار للشاهرودي: ج ٣، ص ٣٦.

أشارت جملة من الروايات إلى اختصاصها بهم، منها:

١ - ما أخرجه ثقة الإسلام الشيخ الكليني رحمه الله عن الهيثم بن واقد، عن مقرن، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين:

(وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) .

فقال عليه السلام: نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذى لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، والوجه الذى يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضل علينا غيرنا.

فإنهم (عَنِ الصَّراطِ لَنَا كِبُونَ) ١ .

فلا- سواء من اعتصم الناس به، ولا- سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدره يفرغ بعضها فى بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافيه تجرى بأمر ربها، لا نفاذ لها ولا انقطاع(١).

٢ - روى القاضى المغربى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إنه

ص: ١٢٠

١- الكافى للشيخ الكلينى: ج ١، ص ١٨٤، ح ٩.

قال لعلى عليه السلام:

يا على، أنت والأوصياء من ولدك أعراف الله بين الجنة والنار، لا يدخلها إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.

ثم قال القاضي المغربي تعقيباً على هذا الحديث الشريف بقوله:

فهذا هو التأويل البين الصحيح الذى لا يجوز غيره، لا كما تأولت العامه أن أصحاب الأعراف رجال قصرت بهم أعمالهم عن الجنة أن يدخلوها، ولم يستوجبوا دخول النار فهم بين الجنة والنار، وما جعل الله عز وجل فى الآخرة من دارين: دار الثواب، ودار العقاب(١).

٣ - وأخرج الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله عز وجل:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) ٢ .

قال:

الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس، وحمزه، وعلى ابن أبى طالب، وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبيهم بياض الوجوه ومبغضيههم سواد الوجوه(٢).

ص: ١٢١

-
- ١- دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى: ج ١، ص ٢٥؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٣١.
 - ٢- تفسير الثعلبى: ج ٤، ص ٢٣٧؛ تفسير القرطبى: ج ٧، ص ٢١٢؛ تنبيه الغافلين لابن كرامه: ص ٧٢؛ مطالب السؤل لابن طلحه: ص ١٠٥؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ص ٣٠٣.

أما اختصاصها بخديجه عليها السلام فقد سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى:

(وَيَبْنِيهِمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ) .

قال عليه السلام:

سور بين الجنة والنار قائم عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى والحسن والحسين وفاطمه وخديجه عليهم السلام فينادون أين محبوبنا؟ أين شيعتنا؟

فيقبلون إليهم فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وذلك قوله تعالى:

(يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) .

فيأخذون بأيديهم فيجوزون بهم الصراط ويدخلونهم الجنة(١).

بقي أن نقول:

أما لماذا نصت الآية على لفظ الرجال دون النساء فذلك لغلبه عدد الرجال الواقفين على الأعراف على النساء، فغلبت الكثرة هنا على القلة كما أن مخاطبته تعالى في كتابه العزيز ب: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يشتمل على الرجال والنساء وإن كان اللفظ بصيغته المذكور.

ص: ١٢٢

١- مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ص ٥٣؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٢٤، ص ٢٥٥.

قال تعالى:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ١ .

روى ابن شهر آشوب عن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام فى قوله تعالى:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) .

قال:

صور الله عز وجل على بن أبى طالب فى ظهر أبى طالب على صورته محمد، فكان على بن أبى طالب أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الحسين بن على أشبه الناس بفاطمه، وكنت أنا أشبه الناس بخديجه الكبرى عليهم السلام (١).

هذه الروايه الشريفه تكشف عن حقيقه عقائديه وهى أن أهل البيت عليهم السلام يحملون صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانت هذه الصفات ماديه أى جسميه، أو صفات كماليه.

وحيث إن الروايه تتحدث عن الصوره فالمراد بها هاهنا شباهه الصوره الجسميه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الصوره التى

ص: ١٢٣

١- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١٧٠؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٢٤، ص ٣١٦؛ مستدرک سفينه البحار للشاهرودى: ج ٦، ص ٣٨٩.

تحدث عنها الإمام الحسن عليه السلام هي لا تتعارض مع الروايات القائلة بشباهه الحسن والحسين وفاطمه عليهم السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل على العكس أنها تكشف عن حقيقه مهمه، وهي:

١ - أن الله تعالى جعل أهل البيت عليهم السلام جميعاً أدلاء على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لا يتوه عنهم تائه في أنهم دمه ولحمه صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - ابقاءً منه سبحانه لتمتع المسلمين بصوره الحبيب كى ينهل المشتاق من صورته من أحب وما ذاك إلا رحمه منه سبحانه بهذه الامه، فضلاً عن أن الله تعالى أحب أن لا يفقد الناس النظر إلى صورته حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ - إن هذا التشابه منهم جميعاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان على أشبه الناس برسول الله وكانت فاطمه أشبه الناس بأبيها وكان الحسن أشبه الناس بجده وكذا الحسين عليهم السلام.

إنّ هذا التشابه كان يحكى عن حقيقه خلقهم جميعاً من نور واحد فتشابهت صورهم لدى الناظر، ومثال ذلك كمن أضاء مجموعه من الشموع من نور شمعته واحده فإن جميع صور أنوار هذه الشموع تظهر للرائى بصوره واحده وكذا كان حال أهل البيت عليهم السلام فى تشابه بعضهم ببعض.

اشاره

السنه بضم الأول وفتح الثاني مع تشديد في إصطلاح المتشرعه على معنيين:

المعنى الأول

(قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره، بل المطلق من طريقته وهديه صلى الله عليه وآله وسلم، وعند الشيعة الاماميه - التابعين لأئمة العتره - يضاف إلى الرسول قول أئمة العتره الطاهره عليهم السلام وفعلمهم وتقريرهم وهديتهم، لأنهم أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون، وإنهم معصومون، لا يقولون ولا يعملون إلا على التنزيل والتأويل، وهم معدن علم الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما عند الجمهور وعامه المسلمين المعروفين بأهل السنه، يضاف إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنه الصحابه وسيرتهم ولاسيما الخلفاء منهم، وأن لهم حق التشريع حسب المصالح المرسله كما في مسأله المتعتين والطلاق البدعي، وتبديل حى على خير العمل ب (الصلاه خير من النوم)، وعشرات من نحو هذه التشريعات.

المعنى الثانى

العمل المستمر الذى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواظب على العمل به، ويحضّ المؤمنين عليه، وهو دون الواجب وفوق الندب، كالختان والصلاه بالجماعه، وكتحيه المسجد، وفعل النوافل المرتبه ولو يأتى

بركعتين منها، والمراد من السنّه قبال الكتاب هو المعنى الأول(١).

ومن هنا:

فإننا حينما نريد أن نتحدث عن منزله خديجه عليها السلام فى السنّه فنحن ملزمون بما روى عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته قولاً وفعلاً وهدياً التزاماً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض(٢).

وإن الاحاطه بما لخديجه من منزله فى السنّه تحتاج أيضاً إلى معرفه أقوال علماء مدرسه أتباع أهل البيت عليهم السلام وأقوال علماء مدرسه أهل السنه والجماعه.

المسأله الأولى: منزله خديجه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

ربما مرّ علينا ونحن نتناول جوانب حياه خديجه عليها السلام بعض الأحاديث الشريفه التى دلت على منزلتها وأظهرت مقامها عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: قد تتكرر بعض الأحاديث النبويه فى هذا الموضع، وقد مر ذكرها

ص: ١٢٦

١- إجماعيات فقه الشيعة للمرجع الدينى السيد إسماعيل المرعشى: ج ١، ص ١٥.

٢- مسند أحمد، عن مسند أبى سعيد: ج ٣، ص ١٤؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٤٨.

فيما سبق إلا- أن ذلك لا- يمنع من ذكرها مره أخرى، وهي تحمل بعض الدلالات التي ربما لم نشر إليها سابقاً، فكانت هذه الأحاديث كالاتي:

الحديث الأول: حديث الخيره

إشاره

روى البخارى عن الإمام على عليه السلام أنه قال:

سمعت النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم يقول: خير نساءها مريم ابنة عمران وخير نساءها خديجه (١).

إن هذا الحديث الشريف يشير إلى نساء الدنيا تحديداً دون نساء الآخرة باعتبار أن الدنيا هي محل الابتلاء والاختبار ولذا: يجعل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خير نساء أهل الدنيا مريم ابنة عمران وخديجه ابنة خويلد عليهما السلام.

ويدل على أمور أخرى، منها:

أولاً: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل خديجه ومريم في منزله واحده من الخيره

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم جعل مريم وخديجه في منزله واحده من الخيره عند الله تعالى؛ ولذا كثر صلى الله عليه وآله وسلم لفظ (الخير) مرتين، فقال خير نساءها مريم ثم كرر ذلك فقال:

خير نساءها خديجه.

ص: ١٢٧

١- صحيح البخارى، باب: بدء الخلق: ج ٤، ص ١٣٨؛ العمده لابن البطريق: ص ٣٩١؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٦، ص ٧.

ثانياً: إن خديجه حازت على الكمالات التي عرضها القرآن الكريم لمريم عليها السلام

إن لمريم مجموعه من الكمالات التي عرضها القرآن هي نفسها كانت لخديجه عليها السلام وهي كآلاتي:

ألف: انقطاع مريم عن قومها

وكذا كانت خديجه؛ فلقد انقطعت عن قومها وهجرتها نساء قريش.

باء: تفرغ مريم للعباده

وكذا كانت خديجه؛ إذ لم تكن امرأه في مكه تعبد الله غيرها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جيم: اختصاص مريم بسلام جبرائيل عليه السلام

وكذا خديجه فلقد خصها جبرائيل بالسلام.

دال: اختصاصها بالجهاد

فكان جهاد مريم بعد أن جاءت تحمل عيسى عليه السلام، وكان جهاد خديجه بعد أن آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى رميت بالحجاره وهي في دارها.

هاء: إكرام مريم بثمار الجنه

وكذا أكرم الله خديجه بعنب الجنه.

ياء: إن مريم تحدث معها عيسى لحظه ولادته ليدفع عنها الخوف والحزن

وكذا كانت خديجه تحدثها فاطمه وهي في أحشائها فتسليها.

ثالثاً: إنَّ خديجه فاقَت في بعض المواطن مريم ابنة عمران عليهما السلام

بل لقد فاقَت خديجه عليها السلام مريم بنت عمران في بعض المواطن ومنها:

ألف: إنَّ مريم عليها السلام لما رجعت تحمل وليدها نبي الله عيسى عليه السلام التجأت إليه في دفع الأذى عنها.

ولذا:

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) ١ .

وإن هذه الأزمه قد انتهت بكلام نبي الله عيسى عليه السلام:

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) ٢ .

في حين كانت خديجه تدافع عن النبوه بنفسها ومالها، وهذا أفضل.

باء: إنَّ مريم عليها السلام كان كلما يمر عليها الوقت كانت تجد الأمن والأمان وهذا يخفف جهد البلاء عليها، في حين كانت خديجه كلما يمر بها الوقت كان يشتد عليها الجهد والابتلاء حتى توفيت خديجه بعد أن أنهكها الجوع والمعاناه في شعب أبي طالب عليه السلام نتيجة للحصار الذي فرضه طواغيت قريش.

ولقد قال تعالى:

ص: ١٢٩

(وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ١ .

جيم: كانت مريم عليها السلام تلقى من حيث كونها فى مقام الوالديه كل بر من نبى الله عيسى عليه السلام، قال تعالى:

(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ٢ .

بمعنى أن المبتلى هنا نبى الله عيسى عليه السلام.

فى حين كانت خديجه عليها السلام هى المبتلاه فى موقع حسن التبعل وما يفرضه من جهاد، فضلاً عما يفرضه الارتباط بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم على الزوجه من تكاليف شرعيه كما دل قوله تعالى:

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) ٣ .

وكما هو ثابت فى النصوص الأخرى، وهذا أفضل عند الله تعالى.

دال: إن مريم عليها السلام لم يظلمها المسيحيون فى حين أن خديجه عليها السلام ظلمها المسلمون الذين قتلوا ابنتها فاطمه عليها السلام وأحفادها الحسن والحسين عليهما السلام وذريتهما وساقوا بنات فاطمه زينب وأم كلثوم وبنات الإمام الحسين سكينه ورقيه من كربلاء إلى الشام، وهم يقادون كما تقاد نساء الترك والديلم، وغير ذلك مما فضلت به خديجه ابنه خويلد عليها السلام؛ وما أوتيت ابنتها فاطمه عليها السلام لأعظم.

روى ابن حجر العسقلاني عن البزار والطبراني بإسناد حسن من حديث عمار بن ياسر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

لقد فضلت خديجه على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين^(١).

والحديث يكشف بل ينص على أفضليه خديجه عليها السلام على جميع المسلمات بما فيهن أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا بضعته فاطمه عليها السلام ولا تعارض بين النصوص الداله على أفضليه فاطمه على جميع نساء العالمين. إذ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما أشار إلى أفضليه خديجه كان ناظراً إلى أفضليه مريم حسبما نطقت به الآيات المباركه وهذا يكشف عن مناسبه الحديث النبوي، أي إنه أشار إلى أفضليه خديجه بعد نزول الوحي بتلك الآيات، فأراد أن يحفظ لخديجه مقامها في الامه فلا يتبادر إلى ذهن المسلم حينما نزلت تلك الآيات بأنها تقول بتفضيل مريم على خديجه عليها السلام، ولذا قال:

«لقد فضلت خديجه على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين».

فكان الحديث قد أزال اللبس عن أذهان المسلمين في تفضيل مريم على نساء المسلمين أو قد يتصور البعض أن ليس في الامه امرأه لها من الفضل عند الله تعالى ما لمريم فكان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قطع الطريق

ص: ١٣١

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر: ج ٧، ص ١٠١؛ تحفه الأ-حوذى للمباركفوري: ج ١٠، ص ٢٦٥؛ تفسير التبيان للشيخ الطوسي: ج ٢، ص ٤٥٦.

على هذا الوهم وبدوه بقوله فى تفضيل خديجه إلا أن هذه الأفضليه مقيده هنا بنساء الامه، أما أفضليه فاطمه فمطلقه، ومما يدل عليه:

إن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حينما تحدث عن منزله الحسن والحسين فقال:

إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة(١).

أردفه: بيان أزال اللبس عن أذهان المسلمين بأن منزله على عليه السلام محفوظه وإن لم يرد ذكرها فى هذا القول.

ولذا: عاد صلى الله عليه وآله وسلم فقال وهو يبدد هذا اللبس عن بعض الأذهان:

وأبوهما خير منهما(٢).

وهنا: وإن كان الحديث السابق قد أشار إلى أفضليه خديجه على نساء الامه إلا أن ذلك لم يكن ليتعارض مع كون ابنتها فاطمه أفضل منها عند الله تعالى لصدور جملة من الأحاديث الشريفه عنه صلى الله عليه وآله وسلم وهى تظهر هذه المنزله وتخص هذه الأفضليه للبعثه النبويه صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

ويدل عليه الحديث الآتى:

ص: ١٣٢

١- ذخائر العقبى للطبرى: ص ١٢٩؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٢، ص ١٨١، ح ٥٩٨؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ١٣، ص ٢٠٨؛ مسند زيد بن على: ص ٤٦١.

٢- دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى: ج ١، ص ٣٧؛ عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٣٦، ح ٥٦.

الحديث الثالث: حديث أفضليه خديجه في الجنه

روى أحمد بن حنبل في المسند عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأرض أربعه خطوط ، قال: تدرّون ما هذا؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل نساء أهل الجنه خديجه بنت خويلد وفاطمه بنت محمد وآسيه بنت مزاحم امرأه فرعون، ومريم ابنة عمران(١).

هذا الحديث الشريف له دلالات كثيره منها:

١ - استخدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوسائل التعليميه في تثبيت الحقائق في أذهان المسلمين؛ كيما لا تذهب بهم الأهواء أو الآراء عن الثوابت الإسلاميه.

ولذا:

نجده هنا مثلاً استخدم الخطوط على الأرض كوسيله لإرشادهم إلى حفظ عقيدتهم فيما يتعلق بالعنصر النسائي الذي سيفرض عليهم الاختبار والتمحيص الإلهي مع هذه الرموز النسائيه كأزواجه وابتته صلوات الله عليها، جملته من المسائل الابتلائييه والتكاليف الشرعيه.

٢ - اعتماده الأسلوب التعليمي في وضع الخطوط على الأرض يراد منه تثبيت حقيقه مفادها أن هذه النسوه قد انحصرت فيهن الأفضليه.

ص: ١٣٣

١- مسند أحمد بن حنبل، من مسند عبد الله بن عباس: ج ١، ص ٢٩٣؛ فضائل الصحابه، النسائي: ص ٧٤.

٣ - إن نصف عدد هؤلاء النسوة كان من أمته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يدل على أفضليه نساء هذه الامه، على بقية الأمم.

٤ - إن المثل الذى ضربه الله تعالى للمؤمنين فى آسيه والاصطفاء فى مريم قد جمعتهم كل من خديجه وفاطمه عليهما السلام بمقتضى قوله تعالى:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ١ .

فكان إحراز خديجه وفاطمه لما أحرزته مريم وآسيه من مصاديق هذه الآية بل تقتضى زياده.

٥ - حصره صلى الله عليه وآله وسلم التفضيل فى نساء الجنه وليس فى نساء الدنيا يكشف عن خلاصه هذه النخبه من بين نساء جميع الأمم منذ أن قدر الله تعالى التكليف الشرعيه على الإنسان؛ لأن الجنه خلقت للخُلص من بنى آدم.

ويدل عليه الحديث الآتى:

الحديث الرابع: خيره خديجه على نساء العالمين

اشاره

أخرج الحاكم النيسابورى فى مستدركه على صحيح الشيخين - البخارى ومسلم - قائلا: تفرد مسلم بإخراج حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين أربع (١).

والحديث له دلالات منها:

ص: ١٣٤

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٥٤.

أولاً: حذف فضائل خديجه من صحيح مسلم

قول الحاكم: (تفرد مسلم بإخراج حديث أبي موسى) وساق الحديث دليل على اتباع أهل الضلال المعادين لأهل البيت عليهم السلام حذف الأحاديث الشريفه التي تتحدث عن مناقب أهل البيت عليهم السلام من صحيح مسلم؛ إذ تخلو الطبقات المعاصره لصحيح مسلم من هذا الحديث، وهذا دليل على اعتماد من يتولى طباعه هذه الصحاح منهج التحريف والتزيف.

ويدل على عدم المصادقيه فيما يتم نشره منها ولاسيما أنها لم تعرض على التحقيق والمقابله مع النسخ القديمه التي اطلع عليها المعاصرون للبخارى ومسلم أو الذين أدركوا هذه النسخ الخطيه الأم، أو التي عليها ختم المصنف.

ومما يدل على صحه هذا الحديث إخراج الحفاظ الذين أدركوا مسلماً أو الذين خلفوه لهذا الحديث فكان منهم:

ألف: الحافظ الضحاك (المتوفى ٢٨٧ هـ)

فقد أخرج الحديث عن أبي جعفر الرازي عن ثابت بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين مريم ابنة عمران وآسيه بنت مزاحم وخديجه بنت خويلد وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١).

ص: ١٣٥

١- الآحاد والمثاني: ج ٥، ص ٣٦٤.

باء: الحافظ ابن حبان (المتوفى ٣٤٥ هـ)

وقد أخرج الحديث عن قتاده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآسيه امرأه فرعون(١).

جيم: الحافظ الطبراني (المتوفى ٣٦٠ هـ)

وقد أخرج الحديث عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسيه بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

ثانياً: دلالة الخيرية والأفضلية في الأحاديث النبوية الشريفة

إنَّ الفرق بين الخيرية والأفضلية التي اشتملت عليها الأحاديث النبوية الشريفة هو أنَّ الخيرية تدل على اجتماع صفات الخير في هؤلاء النسوة، كما يدل أيضاً على وجود نساء خيرات في العالمين إلا أن فاطمة وخديجة ومريم وآسيه كنَّ خيرهن.

ص: ١٣٦

١- صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ٤٠٢.

٢- المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢، ص ٤٠٢.

أما الأفضليه فدلاله على أنهن تفردن فى الفضل عند الله تعالى، والتفضيل يقتضى إحرازهن لمراتب لم يكن لغيرهن أن يأتين بها ولذا تفردن عن نساء العالمين بما قدمن لله تعالى.

الحديث الخامس: خديجه سيده نساء عالمها

من الأحاديث النبويه الشريفه فى بيان منزله خديجه عليها السلام ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى تحديد سياده لهؤلاء النسوه كلاً حسب عالمها.

فقد روى الطبرى والزرندي الحنفى، والمتقى الهندى وغيرهم عن عبد الله بن عباس، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أربع نسوه سادات عالمهن مريم بنت عمران، وآسيه - امرأه فرعون - وخديجه بنت خويلد وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضلهن عالماً فاطمه (١).

دلالة الحديث:

١ - الحديث واضح الدلالة على انحصار سياده فى الأزمنه لهؤلاء النسوه إلا أن أفضل هذه العوالم هو العالم الذى كانت فيه فاطمه عليها السلام.

٢ - وإن كان الحديث يجعل سياده غير منحصره فى مريم عليها السلام على العالمين وإنما فى عالمها فقد أخل من جهه أخرى فى بيان مقام فاطمه عليها السلام.

ص: ١٣٧

١- ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبرى: ص ٤٤؛ نظم درر السمطين للزرندي: ص ١٧٨؛ كنز العمال للمتقى الهندى: ج ١٢، ص ١٤٥؛ الدر المنثور للسيوطى: ج ٢، ص ٢٣؛ تفسير الألوسى: ج ٣، ص ١٥٥.

وهذا يدل على أن الحديث يحتمل وجهين، الأول عن سياده وليس عن العوالم كما أخرجه المصنفون، بدليل:

أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يتحدث عن سياده لهؤلاء النسوة وإنما منحصره فيهن ولذا لم يتحدث عن غيرهن، ولو كان حديثه منحصرًا في العوالم لأصبح لكل زمن امرأه تسوده في الفضل على باقى النسوة وهذا يستلزم الدور فى كل زمان إلى قيام الساعة.

فى حين كل الأحاديث تجمع على انحصار السياده والخيريه والأفضليه بهؤلاء النسوة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساءها مريم ابنة عمران وخير نساءها خديجه بنت خويلد(١).

كما أخرجه البخارى وغيره.

ولذلك:

يقتضى الحديث السابق أن يكون لأم سلمه عالمها، وزينب بنت جحش عالمها، ولحفصه عالمها، ولعائشه عالمها.

وهذا الاحتمال مردود لما نصت عليه الأحاديث الشريفه السابقه بانحصار الفضل والخير والسياده بمريم وآسيه وخديجه وفاطمه.

وعليه:

يكون الحديث بالنظر إلى الأحاديث الصحيحه السابقه أن أفضلهن فاطمه

ص: ١٣٨

١- صحيح البخارى: ج ٤، ص ١٣٨؛ صحيح مسلم: ج ٧، ص ١٣٢.

صلوات الله عليها وليس أن عالمها هو أفضل العوالم لانحصار السيديه والخيريه والأفضليه بهؤلاء النسوه.

والوجه الآخر: هو حمل الحديث على العوالم فيكون الانحصار بهذه العوالم فقط أى لا يكون هناك عالم آخر تظهر فيه امرأه فتصل إلى ما وصلت إليه مريم وآسيه وخديجه وفاطمه.

أما اختصاص عالم فاطمه عليها السلام: فلأنها أدركت نصف مرحله البعثه وجميع مرحله الهجره مع ما ابتليت به من فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى إنها عاشت أفضل العوالم التى خلقها الله تعالى وهو عالم النبوه.

ويحمل الوجه الأول على الثانى يكون الحديث محمولاً على الدلاله الآتيه:

أربع نسوه سادات عالمهن، مريم بنت عمران، وآسيه بنت مزاحم، وخديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأفضلهن سياده وعالمها فاطمه عليها السلام.

بدلاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين وأبو داود فى سننه والنسائى فى سننه وغيرهم عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشه: (إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو فى مرضه الذى توفى فيه:

يا فاطمه ألا ترضين أن تكونى سيده نساء العالمين وسيده نساء

المؤمنين(١).

واتبعه الحاكم بقوله: وهذا إسناد صحيح ولم يخرجاه.

بقى لنا في هذا المورد بعض الأحاديث النبويه التي تظهر منزله خديجه عليها السلام في الجنه سنوردها في محلها بعون الله تعالى.

المسأله الثانيه: منزله خديجه من خلال دلالة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

يمكن لنا إجمال منزله خديجه عليها السلام من خلال دلالة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوقوف عند أفعال أربعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي مما دلت عليها الروايات.

الفعل الأول

تعاهده صلى الله عليه وآله وسلم أرحام خديجه وصويحباتها بالهديه فكان كلما أهدى إليه ذبيحه من الشاه أو الجزور بعث منه إلى أرحام خديجه وصويحباتها.

ص: ١٤٠

١- المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ١٥٦؛ مسند أبي داود الطيالسي: ص ١٩٧؛ السنن الكبرى للنسائي: ج ٤، ص ٢٥ و ج ٥، ص ١٤٧؛ الذريه الطاهره للدولابي: ص ١٤٢؛ فضائل سيده النساء لابن شاهين: ص ٢٥؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٩٥.

الفعل الثاني

إعراضه عن الزواج بعدها حتى عوتب في ذلك فكان يقول:

أجل فكانت أم العيال وربّه البيت (١).

الفعل الثالث

أنه لم يتزوج عليها حتى توفيت وقد عاشت معه ما يقارب الخمس والعشرين سنه، في حين نراه صلى الله عليه وآله وسلم تزوج من تسع نساء خلال عشر سنوات وهي المدّة التي قضاها في المدينة.

ولعل البعض يقول: إن السبب في تعدد زواجه خلال هذه المدّة هو لتمييزها بالاستقرار والأمان.

ونقول:

١ - أما من حيث الاستقرار فلا وجود له بدليل بدء مرحلة الجهاد والحروب والغزوات بعد الهجره.

٢ - وأما الأمان فليس هناك من أمان، بل كان الحذر على أشده لوجود المنافقين الذين وصفهم القرآن بقوله تعالى:

(وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) ٢.

هذا فضلاً عن خطر اليهود الذين كانوا يحيطون بالمدينة ويسكنون بجواره.

٣ - ثم أين تذهب تلك السنين الخمس عشره التي قضاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع خديجه قبل البعثه لم يتزوج فيها وهو في مأمن بين قومه وأهله فضلاً عن تعلق الناس به؛ لصدقه وأمانته وشرافته؛ فمثلما رأته سيده قريش الزوج الصالح كذا رأته غيرها من بيوتات مكه.

ص: ١٤١

الفعل الرابع

لم يترك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مناسبة أو غيرها إلا وقد تحدث عن خديجه وأثنى عليها مما أثار حفيظه عائشه إلى المستوى الذى أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤذيه فى ذلك - كما مرّ بيانه سابقاً - وعلى الرغم من ذلك لم يترك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذكر خديجه وحسن فعالها.

وهذه الأفعال كاشفه عن منزله خديجه عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما تفردت به خاصة دون بقية أمهات المؤمنين.

المسألة الثالثة: منزله خديجه عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

إشاره

مثلما حظيت السيدة الطاهره خديجه بنت خويلد عليها السلام بمنزله خاصه فى القرآن وعند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فإنها نالت كذلك منزله عند أئمة أهل البيت عليهم السلام يمكن لنا معرفتها من خلال النقاط الآتية:

أولاً: منزلتها عند أمير المؤمنين على عليه السلام

إشاره

حينما نقرأ حياه السيدة خديجه عليها السلام أو حياه الإمام على عليه السلام فإننا لابد أن نتوقف فى هذه السيره مع محطه اشترك فى تكوينها كلٌّ منهما.

بل: يلمس القارئ - وإن مرّ على هذه السيره مروراً سريعاً - أن خديجه

عليها السلام كانت الأم الثانية لعلی بن أبی طالب عليهما السلام فقد اتخذته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ كان صغيراً في حجره وهو في السادسة من عمره يغدو عليه بخلقه وكماله فنشأ في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام، مما ترك لخديجه رصيلاً ضحماً في قلب أمير المؤمنين عليه السلام، هذا فضلاً عن مقامها الإيماني الذي مرّ بيانه سابقاً.

وعليه:

يمكن لنا بيان منزلتها عند أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الأحاديث الآتية:

ألف: منزله الأمومه

١ - روى ابن شهر آشوب رحمه الله: (كان أبو طالب وفاطمه بنت أسد ربيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وخديجه لعلی صلوات الله عليه)(١).

٢ - روى ابن هاشم الحميري وابن جرير الطبري، والحاكم النيسابوري، والثعلبي، وابن عبد البر، والحافظ بن شهر آشوب، وغيرهم عن مجاهد أنه قال:

(كان من نعمه الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له وأراد به من الخير، أن قریشا أصابتهم أزمه شديده وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم؛

ص: ١٤٣

١- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٧.

يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمه، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، فأخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه.

فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب.

فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول الله حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه على عليه السلام وآمن به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(١).

٣ - روى ابن الدمشقي عن ابن المظفر في كتابه نجباء الأبناء(٢): (إن أبا طالب قال لزوجته فاطمه بنت أسد أم علي رضي الله عنهم:

ص: ١٤٤

١- السيره النبويه لابن هشام: ج ١، ص ١٦٢؛ تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٥٨؛ المستدرک للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ٥٧٦؛ تفسير الثعلبي: ج ٥، ص ٨٤؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ١، ص ٣٨؛ المناقب لابن شهر: ج ٢، ص ٢٧؛ علل الشرايع للشيخ الصدوق رحمه الله: ج ١، ص ١٦٩؛ الطرائف لابن طاووس: ص ١٧؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ٣٨، ص ٢٣٨.

٢- همش الشيخ محمد باقر المحمودي في تحقيقه لكتاب ابن الدمشقي فقال: هو محمد بن عبد الله ابن محمد بن ظفر الصقلي المكي من أعلام القرن السادس المتوفى سنة ٥٦٧ / أو ٥٩٨؛ المترجم في كتاب الأعلام: ص ٢٣١؛ وفيات الأعيان: ج ١، ص ٥٢٣؛ لسان الميزان: ج ٥، ص ٣٧١؛ (جواهر المطالب لابن الدمشقي: ج ١، ص ٢٩، الهامش).

يا فاطمه ما لي لا أرى عليا يحضر طعامنا؟

فقلت: إن خديجه بنت خويلد قد تألفتها.

فقال أبو طالب: والله لا أحضر طعاماً لا يحضره علي.

فأرسلت أمه جعفرأ أخاه وقالت: جئني به وحدته بما قال أبوه.

قال، قال: فانطلق جعفر إلى خديجه فأعلمها وأخذ عليا فانطلق به إلى أهله وأبو طالب علي غدائه فلما رآه هش إليه وبش وأجلسه علي فخذته ووضع كفه على رأسه وجعل لقمه في فمه فلاكها وبكى فقال أبو طالب: يا فاطمه خذيه إليك فانظري ما به؟ فأخذته أمه ولاطفته وسكنته وسألته عن حاله فقال:

يا أمه تكتمين علي؟

قالت: نعم. قال:

يا أماه إنني لأجد لكف محمد بردا ولطعامه مذاقا، وإنني وجدت لكف أبي حرا ولطعامه وخامه!!!

فقلت له أمه: مه لا تفه بهذا أبدا وإن سألك أبوك فقل: إنني مغصت!

قال: فلما فرغ أبو طالب من غدائه قال: يا فاطمه ما شأنه؟ قالت: إنه مغص ثم شفى، قال: كلا ولكنه يأبى إلا محمدا وإيثاره علينا فألحقه به ولا تتعرضين له أبدا فيوشك أن يكسر به محمد أصلاب قريش(١).

وظاهر الروايه يدل على جمله من الأمور:

ص: ١٤٥

١- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابن الدمشقي: ج ١، ص ٣٩ و ٤٠.

ألف: إنّ انصراف الإمام على عليه السلام إلى بيت خديجه عليها السلام كان قبل أن يبلغ السادسة من عمره؛ لأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذته في حجره وهو في السادسة من عمره، وإلا لما كان أبو طالب يستفقدته ويسأل عنه وتبعث أمه فاطمه بنت أسد خلفه جعفرًا كي يأتي به.

باء: كما تدل الروايه على تعلق خديجه به عليهما السلام بدليل قول فاطمه بنت أسد لأبي طالب (قد تألفتها خديجه بنت خويلد) وتعلقه بها.

فمن الحقائق التي أكدها علماء نفس الطفل: أن الطفل في هذه السنوات الأولى كي يستطيع أن يحول مشاعره وغريزته الاحتياجية لوجود الأم في حياته، إلى امرأه أخرى فعليها أن تهَيئ له من الأجواء ما قد تفوق حنان الأم التي أولدته.

وبهذا تكون مشاعر على عليه السلام اتجاه خديجه التي تألفتها، مشاعر ارتكزت على عواطف أمومية متساميه، ومشاعر من الحنان قل نظيرها لدرجه أنه يبكي ولا يأنس إلا بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه من حوله فكان نعم الأبوان لعلى عليه السلام، هذا فضلاً عن دور الاصطفاء الإلهي في مسأله العصمه والإمامه.

جيم: تتبأ أبو طالب رضوان الله تعالى عليه بمستقبل الرساله المحمديه ودور ولده على فيها وإن هذه العلاقه التي نشأت منذ اللحظه الأولى لولاده على عليه السلام هي إنما نشأت بتدبير إلهي لحكمه بالغه أظهرها القرآن والسنة المحمديه، ولذا قال عليه السلام: (فيوشك أن يكسر به محمد أصلاب قريش).

٤ - قال ابن حجر العسقلاني: (وعلى نشأ في بيت خديجه وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجه دون غيرها)(١).

٥ - قال المؤرخ المسعودي: (لما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم خديجه بنت خويلد علمت بوجوده بعلى عليه السلام فكانت تستزيره وتزينه بفاخر الثياب والجواهر وترسل معه ولايدها فيقلن هذا أخو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحب الخلق إليه وقره عين خديجه ومن ينزل السكينه عليه)(٢).

فهذه الشواهد كلها تؤكد على حقيقه منزله الأمومه التي نالتها خديجه عليها السلام بكل ما تحمل الكلمه من معان ساميه أحسها الإمام على عليه السلام وتعايش معها ونشأ عليها فكانت لها عليه حق الأم.

باء: منزله الحماه

من الألفاف الإلهيه التي حفت بحياه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام أن الله تعالى زوجه من سيده نساء العالمين فاطمه بنت سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل له أم أهل (حماه) خير نساءها الطاهره خديجه الكبرى (عليها السلام)، لتكون له أمًا وحماه وجده لأولاده؛ وهي حقيقه نص عليها الحديث النبوي الشريف الذي رواه الحافظ ابن شهر آشوب، قائلا: (روى الثقات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

ص: ١٤٧

١- فتح الباري لابن حجر: ج ٧، ص ١٠٤.

٢- الأنوار الساطعه للشيخ السيلاوي نقلا عن إثبات الوصيه للمسعودي: ص ١٤٤، طبعه أنصاريان، قم.

يا على لك أشياء ليست لى منها: أن لك زوجة مثل فاطمه وليس لى مثلها، ولك ولدين من صلبك وليس لى مثلهما من صلبى، ولك مثل خديجه أم أهلك وليس لى مثلها حماه، ولك صهر مثلى وليس لى صهر مثلى، ولك أخ فى النسب مثل جعفر وليس لى مثله فى النسب، ولك أم مثل فاطمه بنت أسد الهاشميه المهاجره وليس لى مثلها(١).

فسبحان من أكرم محمداً وآله بما لم يكرم به أحداً من العالمين.

ثانياً: منزله خديجه عند فاطمه عليهما السلام

من البديهي أن تكون لخديجه منزله خاصه عند فاطمه عليها السلام وهى أمها التى حملتها فى بطنها وأغدقت عليها بالرعايه والاهتمام.

ومن كرامه الله لخديجه أن جعل فاطمه وهى جنين فى بطن أمها تحدثها وتسليها أثناء فتره حملها وذلك كى تسلى حزنها الذى تسبب فيه نسوه مكه حينما اعتزلنها وقاطعنها فلم يدخلن عليها حتى استوحشت لوحدها ومن طبيعه المرأه أن تأنس إلى بنى جنسها تحدثها وتذهب بوحشتها.

وخديجه وإن كانت لم تفتقد فاطمه بنت أسد أم أمير المؤمنين على عليه السلام ولم تفتقد جواريتها إلا- أن فرض الحصار الاجتماعى عليها ترك نوعاً من الوحشه عليها.

ولذا:

ص: ١٤٨

١- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٩؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٤، ص ٦٨.

أكرمها الله عز وجل بمن يذهب وحشتها ويسليها، وهذا يكشف عن منزلتها عند فاطمه كما كشف حديث عيسى مع أمه مريم عليهما السلام عن مقامها لديه ومنزلتها حيث قال سبحانه على لسان نبيه:

(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ١ .

فكيف بمن نطقت وهي بين أحشاء ودم ومن خلف جدارين، جدار البطن وجدار الرحم فيخرج صوتها ويسمع خديجه عليها السلام. إن هذا يكشف عن عظم المنزلة والكرامة التي أكرم الله بها خديجه وابنتها.

(أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ٢ .

ثالثاً: منزله خديجه عند الإمام الحسن عليهما السلام

تفتقر المصادر الإسلامية إلى رصيد من الروايات التي تخص هذا العنوان الذي ذكرناه، أي منزله خديجه عند الإمام الحسن عليهما السلام، والظاهر أن مرد ذلك يعود لبعض الأسباب:

١ - تغيير الحكومة الإسلامية الحاكمه في عصر الإمام الحسن عليه السلام من توجهات القرآن والعترة عليهم السلام ممثله في حكومه على أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه الحاكم الإسلامي للمسلمين، إلى توجهات جاهليه قبلية تستمد هيكليتها من النظم الإداريه والتخطيطيه للدول المجاوره للحكومه

الإسلاميه كالامبراطوريه الفارسيه والروميه، وهو ما تنبه إليه عبد الرحمن بن أبي بكر حينما عرض عليه مروان بن الحكم البيعه ليزيد بن معاويه بعد وصول كتاب معاويه إليه يأمره بأخذ البيعه من أبناء الصحابه لولده يزيد.

فقال عبد الرحمن بن أبي بكر لمروان بن الحكم: (أجئتم بها هرقله تبايعون لأبنائكم)(١).

وفى لفظ : (سنه هرقل وقيصر)(٢).

مما أثر على جميع القيم والأسس القرآنيه للإسلام، فكيف بمنزله خديجه عليها السلام آنذاك والقرآن والسنة المحمديه هي المستهدفه فى الغزو الفكرى والعقائدى.

٢ - ظهور دور مميز فى قياده الحركه السياسيه للحكومه الإسلاميه فى عصر معاويه، بل وما قبل هذا العصر لزوج النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عائشه مما عمل على انشغال الناس بهذا الدور وتغافلهم حتى عن دور النبى الأعظم وعترته وأصحابه المنتجين فى نشر دين الإسلام.

٣ - تعرض فضائل أهل البيت عليهم السلام إلى حملة شرسه من الامحاء والحرق والتخريق، وهو الأمر الذى أثر سلباً على معتقدات الناس الإسلاميه، ويمكن للقارئ أن يدرك هذه الحقيقه المرّه من خلال الحدث الآتى:

ص: ١٥٠

-
- ١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر: ج ٨، ص ٤٤٣؛ النهايه فى غريب الحديث لابن الأثير: ج ٤، ص ١٢٢.
 - ٢- المستدرک على الصحيحين للنيسابورى: ج ٤، ص ٤٨١؛ السنن الكبرى للنسائى: ج ٦، ص ٤٥٩؛ الإصابه لابن حجر: ج ٤، ص ٢٧٦.

روى أبو الفرج الأصفهاني: (إن خالداً القسرى - وهو أحد ولاد بنى أميه - طلب من الزهري أن يكتب له السيريه فقال الزهري: فإنه يمر بي الشيء من سيره على بن أبي طالب، أفأذكره؟

فقال خالد: لا- إلا- أن تراه في قعر جهنم، فقال الزهري: فلعن الله خالداً ومن ولاد وصلوات الله على أمير المؤمنين(1) ، فكيف يتسنى للرواه نقل النصوص التي تنطق بفضائل أهل البيت عليهم السلام وروايتها ولاسيما العصر الذي عاش فيه الإمام الحسن عليه السلام.

وعليه:

لم ينصف التاريخ الإسلامي (الأموي) خديجه عليها السلام وذريتها فضيع حقوقهم وجبس فضائلهم، ولذا لم أعثر على روايه تتحدث عن بيان منزله خديجه عليها السلام عند حفيدها الإمام الحسن عليه السلام سوى روايه واحده رواها أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عبيده، قال: حدثنا فضل، قال: حدثني يحيى بن معين أنه قال: (لما بويع معاويه خطب فذكر علياً فنال منه ونال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال:

أيها الذاكراً علياً، أنا الحسن وأبى على، وأنت معاويه وأبوك صخر وأمى فاطمه وأمك هند وجدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدك حرب وجدتي خديجه وجدتك قتيله، فلعن الله أئمتنا ذكراً، وأئمتنا حسبا وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً.

ص: ١٥١

١- الأغاني للأصفهاني: ج ٢٢، ص ٢١؛ الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٥٣؛ الشيعة والسيره النبويه للمؤلف: ص ٣٢٣.

فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

قال فضل: فقال يحيى بن معين ونحن نقول: آمين؛ وقال أبو عبيد: ونحن أيضا نقول: آمين، قال أبو الفرج الأصفهاني: وأنا أقول، آمين(١).

قال المؤلف لهذه السطور: وأنا أقول آمين إلى قيام يوم الدين، وهذا الحدث يكشف عن أنّ تفاخر الإمام الحسن عليه السلام بجده خديجه عليها السلام دليل على عظم منزلتها عنده وأنها بحق نعم من يفتخر به، فذكرها ظاهرًا للناس، وطيب حسبها متسام بين الأحساب، وقدم شرفها متجذر بين الأشراف، وأن هذه المقامات والمفاخر متلاصقه مع سيد الخلق وأشرفهم صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما يميزها عليها السلام على بقية أزواجه، فضلًا عن منزلتها في الإسلام.

رابعاً: منزله خديجه عند الإمام الحسين عليه السلام

إشاره

من البديهيات التي ترافقت مع سيره العتره النبويه عليهم السلام أن لا تجد اختلافاً فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال وتقريرات، ولذا، فمنزله خديجه لا تختلف عند أحد منهم ولا تخرج عن حدها الذي جاء به القرآن وبينه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أن الفارق الوحيد فيما يصدر عنهم في هذا الخصوص هو إما التأكيد على مسأله محدده وذلك لأهميتها العقائديه وإما لبيان جانب لم يتم بيانه من قبل.

ص: ١٥٢

١- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٤٦؛ الإرشاد للشيخ المفيد (رحمه الله): ج ٢، ص ١٥.

ومن هنا: حينما نقف عند أعتاب مدرسه الإمام الحسين عليه السلام فإننا نأخذ بياناً جديداً لمتزله خديجه لم نجده فى مدارس العتره عليهم السلام وإن كانت كلها على منهج واحد؛ هذا البيان هو:

ألف: اتخاذ قبر خديجه محلاً للمناجاة والدعاء

روى ابن شهر عن عيون المجالس، قائلاً: سائر - الحسين عليه السلام - أنس بن مالك فأتى قبر خديجه فبكى ثم قال: أذهب عنى.

قال أنس: فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه فى الصلاة سمعته قائلاً:

يا رب يا رب أنت مولاه فارحم عبيدا إليك ملجاء

يا ذا المعانى عليك معتمدى طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خائفاً أرقاً يشكو إلى ذى الجلال بلواه

وما به عله ولا سقم أكثر من حبه لمولاه

إذا اشتكى بثه وغصته أجابه الله ثم لباه

ليبك لبيك أنت فى كنفى وكلمة قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتى فحسبك الصوت قد سمعناه

دعائك عندى يجول فى حجب فحسبك الستر قد سفرناه

لو هبت الريح فى جوانبه خر صريعاً لما تغشاه

سلنى بلا رغبه ولا رهب ولا حساب إنى أنا الله (1)

ص: ١٥٣

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٢٢٤؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٤٤، ص ١٩٣.

والحديث فيه دلالات عدة، منها:

١ - أن الإمام الحسين عليه السلام حينما أراد الخروج من مكة متجهاً إلى العراق قصد زيارة قبر جدته خديجه الكبرى عليها السلام لغرض وداعه وهو ما جعله يساير الصحابي أنس بن مالك فأتى قبرها وبكى عنده ليرشدنا في هذا الفعل إلى منزله خديجه الكبرى، عليها السلام وأنها أحق الناس بعد جده وأبويه بالزيارة والوداع؛ لكنه عليه السلام لما أراد المناجاة مع الله تعالى طلب من أنس بن مالك أن يتركه وحيداً فقال:

«أذهب عني».

٢ - إن ذهابه عليه السلام إلى زيارة قبر جدته، والصلاة عندها، دليل على مشروعيه زياره القبور، بل واتخاذ قبور الأولياء محلاً للدعاء والمناجاة والصلاه.

باء: المنهاج التعبدى لقضاء الحوائج

إن الإمام الحسين عليه السلام قدم منهاجاً تعبدياً لمن أراد أن يتقرب إلى الله تعالى ويسأله قضاء حاجته ويتكون هذا المنهاج من أمور:

١ - بأن يبدأ صاحب الحاجه بقصد قبور أهل البيت عليهم السلام مثلما فعل حجه الله تعالى حينما قصد قبر خديجه الكبرى.

٢ - أن يُقْبِلَ على الله بقلب منكسر وهو موقن بأنه قد قصد أكرم الأكرمين وأنه العبد الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوه، وهذا الاقبال القلبي يلازمه البكاء؛ كما فعل الإمام الحسين عليه السلام، فلقد بدأ بالبكاء وهو حاله وجدانيه معبره عن القلب.

ص: ١٥٤

٣ - أن يقدم الصلاه بين يدي حاجته لكونها أفضل العباده وخير ما يقدمه العبد بين يدي ربه عزّ شأنه، ولما تحمل الصلاه من آثار نفسيه خاصه، إذ ترجع النفس إلى حاله الاتزان والاستقرار، وهو ما دلت عليه الآيه الكريمه:

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) ١ .

٤ - إن قصد قبور أهل البيت عليهم السلام كما أرشدنا حجه الله على خلقه الإمام الحسين عليه السلام يراد منه اتكاء المسلم على التولى والتبرى وهما مما يناط بهما قبول الأعمال عند الله تعالى ورفضها فضلاً عن أنه وسيله تكشف عن الإيمان بالله ورسوله حينما يظهر المسلم أنه يتولى الله ورسوله وأهل بيته.

قال تعالى:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٢ .

وهذه الموده التى لأهل البيت لا تتحقق إلا بعدم التولى لقوم غضب الله عليهم، أى: البراءه من أعداء الله تعالى.

قال سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) ٣ .

ص: ١٥٥

وقال سبحانه وتعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ١ .

٥ - بعد المضى فى هذه المراتب العباديه من البكاء والاقبال القلبى والصلاه والتولى لأولياء الله والتبرئ من أعداء الله سبحانه قولاً وعملاً، يدخل الداعى فى مرحله المناجاه كما صنع الإمام الحسين عليه السلام حينما قصد قبر جدته خديجه الكبرى سلام الله عليها.

٦ - إن تحقق هذه المراتب يعطى النتيجة السريعه فى استجابته الدعاء وقضاء الحاجه ونزول السكينه والاحساس ببرد المناجاه وحلاوتها كما نصت الروايه حينما سمع الإمام الحسين عليه السلام جواب مناجاته لربه ومسأله.

خامساً: منزله خديجه عليها السلام عند الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام

يُظهر الإمام زين العابدين عليه السلام منزله جدته خديجه الكبرى عليها السلام وافتخاره بها من خلال أمرين، الأمر الأول: خطبته الاحتجاجيه فى الشام.

وقد ألقاها عليه السلام فى مجلس الطاغيه يزيد بن معاويه (لعنه الله تعالى) بعد أن أدخل عليه مع بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جىء بهم وهم مربوطون بالحبال، يقادون كما يقاد أسارى العجم والترک فاستقبلهم ابن

هند وهم على هذه الحالة فضلاً عما نزل بهم من المصائب العظيمة والرزايا الجليله التي تخجل جبين كل موحد لله تعالى.

ولذا:

وجد الإمام زين العابدين أن يُعرّف هؤلاء - إن كانوا لم يعرفوا من هو - وأن يُظهر لهم منزلته عند الله تعالى ومنزله آبائه، وإنه ابن هؤلاء السادات الأشراف الذين شرفهم الله، كى لا يظن هؤلاء الجالسون أنه مجهول الهويه أو أنه ممن يستهان بحرمته، على الرغم من كونهم - أى يزيد ومن والاه - قد انتهكوا حرمت الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قاموا بقتل أبيه وأخوته، وإن الكثير من هؤلاء الجالسين لا يدركون أنه ابن من يدينون له بالنبوه، وذلك بسبب التضليل الإعلامى الذى فرضته سياسه معاويه وأشياعه.

قال ابن شهر: (لما أتى بعلى بن الحسين ورأس أبيه (عليهما السلام) إلى يزيد بالشام قال لخطيب بليغ: خذ بيد هذا الغلام فأت به إلى المنبر وأخبر الناس بسوء رأى أبيه وجده وفراقهم الحق وبغيهم علينا، قال: فلم يدع شيئاً من المساوى إلا ذكره فيهم، فلما نزل قام على بن الحسين: فحمد الله بمحامد شريفه وصلى على النبي صلاه بليغه موجزه ثم قال:

يا معشر الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه نفسى، أنا ابن كعبه ومنى، أنا ابن مروه والصفاء، أنا بن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أن ابن من علا فاستعلى فجاز سدره المنتهى وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكه السماء مثنى مثنى، أنا ابن من أسرى به من

ص: ١٥٧

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمه الزهراء، أنا ابن خديجه الكبرى، أنا ابن المقتول ظلما، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلا... (١).

إلى آخر الخطبه التي وردت في مظانها؛ والتي تكشف عن افتخار الإمام زين العابدين بجده خديجه الكبرى على أعدائه وإنه محاججهم يوم القيامة بهؤلاء إن كانوا يقرون لهم بالحرمة والقداسه، ويعتقدون بذلك.

الأمر الثاني: الصلاه عليها.

إن من المواطن التي يعلن فيها الإمام زين العابدين عليه السلام منزله خديجه هو ذكره لها في صلواته، فيقول:

اللهم صلّ على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى، وفاطمه الزهراء، وخديجه الكبرى (٢).

فهذه الصلاه وإن كانت لا تروق لمن لا يوالى العتره النبويه إلا أنها رساله لمن يتولاهاهم تنص على بيان رتبتها ومنزلتها عند الله تعالى وعند حجته على خلقه فقد أقرن ذكرها في الصلاه مع أهل بيت العصمه والنبوه عليهم أفضل الصلاه وأزكى السلام.

ص: ١٥٨

١- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٣٠٥؛ الدر النظيم لابن أبي حاتم: ص ٤١٩.

٢- الأنوار الساطعه للشيخ غالب السيلوى: ص ٣٧٢، نقلا عن مهج الدعوات: ص ٢٩، ط بيروت؛ مشاهد ومزارات آل البيت فى الشام، هاشم عثمان: ص ٧٥؛ وجاء فيه: وعلى الواجه الشماليه من الصحن - مرقد المحسن ابن الإمام الحسين - كتابه: اللهم صلّ على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمه الزهراء، وخديجه الكبرى....

سادسا: منزله خديجه عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إنّ من الأسئلة التي ترد على الباحث هي: لماذا لم يرد في المصادر الإسلامية نصوص تحمل بين ثناياها دلالة على منزله خديجه عليها السلام عند بقيه الأئمة المعصومين عليهم السلام.

والجواب:

إنّ ذلك يعود إلى طبيعه الأزمنه التي عاشها أئمة الهدى من الإمام الباقر وإلى الإمام الهادي سلام الله عليهم أجمعين وما يلزم هذه الأزمنه من ضروريات يحددها الأئمة سلام الله عليهم، وإلا فهم جميعاً عدل القرآن وأهله، فما يصدر عن أحدهم يصدر عنهم جميعاً حالهم في ذلك حال قول النبي وتلازمه مع القرآن.

وهنا:

في زمن الإمام الحسن العسكري اقتضت الضروره حسبما يراها الإمام أن يُخرج للناس مجموعه من الصلوات على محمد وآله، فكان من بينها الصلاه الآتية التي رواها الشيخ الطوسي رحمه الله والسيد ابن طاووس وغيرهم.

قال عليه السلام:

اللهم صل على الصديقه فاطمه الزكيه حبيبه حبيبك ونيبك وأم أحبائك وأصفيائك التي انتجبتها وفضلتها واخترتها على نساء العالمين.

اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها واستخف بحقها وكن الناصر

ص: ١٥٩

اللهم بدم أولادها، اللهم وكما جعلتها أم أئمة الهدى وحليته صاحب اللواء والكريمه عند الملائ الأعلی، فصل عليها وعلى أمها خديجه الكبرى صلاه تكرم بها وجه أبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقرّ بها أعين ذريتها، وأبلغهم عنى فى هذه الساعه أفضل التحيه والسلام(١).

وهذه الصلاه الشريفه تتضمن معانى جمه، ودلالات عديده لا يسعنا فى هذا الموضع بيانها إلا أننا نشير إلى عصمه ما يرد عن الأئمه الاثنى عشر فلا نجد قولين متخالفين لهم، فهذه الصلاه الشريفه على خديجه الكبرى وتلازمها مع الصلاه على فاطمه وأبيها صلى الله عليه وآله وسلم هى نفسها قد وردت فيما سبق عن الإمام على بن الحسين بن أبى طالب عليهم السلام.

وهذا فضلاً عن التصريح بمنزلتها على لسان حجه الله على خلقه، أى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

المسأله الرابعه: منزله خديجه عند أعلام بنى هاشم وأبناء الأئمه عليهم السلام

إشاره

مثلاً كشفت الروايات عن منزله خديجه عند العتره النبويه عليهم السلام فقد كشفت أيضاً عن منزلتها عند أعلام بنى هاشم وعند أحفادها، وهى كالاتى:

ص: ١٦٠

١- مصباح المتهدد للشيخ الطوسى: ص ٤٠١؛ فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ص ٢٩٧؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ١٩، ص ٧٤.

أولاً: منزلتها عند أبي طالب عليهما السلام

قال رضوان الله عليه حينما خطبها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

(إن ابن أخينا محمد بن عبد الله خاطب كريمتكم الموصوفه بالسخاء والعفه، وهى فتاتكم المعروفه المذكور فضلها الشامخ)(١).

وهو خير شاهد على ما اتصفت به السيدة الطاهره خديجه الكبرى قبل اقترانها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف إذا نظرنا إلى تلك السمات التى اتسمت بها بعد زواجها المبارك بسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: منزلتها عند أم سلمه رضى الله عنها

من يتصفح صفحات التاريخ، لاسيما كتب السير النبويه يجد بوضوح العلاقه المميزه بين عتره النبي عليهم السلام وزوج النبي أم سلمه حتى وافتها المنيه سنه ٦٢ هـ .

هذه العلاقه الخاصه ظهرت من قبل دخول أم سلمه إلى سكن النبي الأعظم فى السنه الرابعه للهجره وأنها امتازت بالموده لفاطمه وزوجها وأبنائها؛ بل وحبها لخديجه عليها السلام وإن لم تجتمع معها فى بيت واحد وذلك لوفاه خديجه عليها السلام فى مكه قبل الهجره بثلاث سنوات.

ص: ١٦١

١- مستدرک الوسائل للنورى: ج ١٤، ص ٢٠٤؛ بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج ١٦، ص ٦٩.

ولذلك:

نجد الروايه الآتيه تتحدث عن منزله خديجه عليها السلام عند أم سلمه من قبل أن تنتقل إلى سكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي منذ كانت عند زوجها أبي سلمه الذي توفي عنها في السنه الرابعه ثم تزوجت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

فقد روى الخوارزمي في المناقب في حديث زواج فاطمه عليها السلام: أن أم أيمن مولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت على أم سلمه وحدثتها في أمر انتقال فاطمه عليها السلام إلى بيت علي عليه السلام وأن يحدثن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك؛ فذهبن إليه، فقالت أم سلمه ومن كان معها له صلى الله عليه وآله وسلم:

(فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجه في الأحياء، لقرت بذلك عينها.

قالت أم سلمه: فلما ذكرنا خديجه بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

خديجه، وأين مثل خديجه، صدقتني حين كذبنى الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها، أن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجه ببيت في الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمه: فقلنا فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٦٢

وآله وسلم، إنك لم تذكر من خديجه أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهناها الله بذلك وجمع بيننا في درجات جنته ورضوانه يا رسول الله هذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب على بن أبي طالب عليه السلام يجب أن تدخل زوجته فاطمه وتجمع بها شمله.

وتدل الروايه على اهتمام أم سلمه بفاطمه وحرصها على زواجها من على عليه السلام وما يكون ذلك إلا بدافع الحب لهما.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا أم سلمه فما بال على لا يسألنى ذلك؟

قلت: يمنع من ذلك الحياء منك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... الخ(١).

كما تدل الروايه على اعتقادها بما لخديجه من المنزله عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها كانت مجمعاً للفضائل ولذا قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(إنك لم تذكر من خديجه أمراً إلا وقد كانت كذلك).

وقولها رضى الله عنها: (غير أنها مضت إلى ربها فهناها الله بذلك وجمع بيننا في درجات جنته ورضوانه).

ص: ١٤٣

١- المناقب للخوارزمي: ص ٣٥٠؛ كشف الغم للأربلي: ج ١، ص ٣٧٠؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٣، ص ١٣١؛ الخصائص الفاطميه للكجورى: ج ٢، ص ٣٢٠؛ أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ٢٧٢؛ الأنوار الساطعه للسيلاوى: ص ٣٧٤.

١- ترجم له السيد محسن الأمين في أعيانه بقوله: أبو القاسم، أو أبو عبد الله ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المعروف بان الحنفية هو من الطبقة الأولى من التابعين ولد بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوفي سنة ٨١ هـ في أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة واختلفوا في أى مكان توفي علي ثلاثة أقوال: أحدهما بأيله، والثاني بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن ابنه أبي هاشم ودفن بالبقيع، والثالث بالطائف. غلبت عليه النسبة إلى أمه خوله الحنفية من بنى حنيفة وهى خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل. قال ابن أبي الحديد فى شرح النهج ما حاصله: اختلف فى امرها فقيل إنها سبيه من سبايا حنيفة على يد خالد بن الوليد أيام أبى بكر أقول وبذلك قد يحتج بعضهم على اعتراف أمير المؤمنين على عليه السلام بصحة سببها وفيه أن الحال فى ذلك لا يمكن الجزم بها ولا دعوى العلم بأنه كيف تزوجها لجواز أن يكون عقد عليها مع أن المؤرخين مختلفون فى أمرها كما سمعت وستسمع فكيف يمكن الاحتجاج بأمر مختلف فيه إذ متى وجد الاحتمال سقط الاستدلال على أن عمر نفسه لم يعترف بصحة سببى بنى حنيفة وكان يطلب إلى الخليفة أن يقيم الحد على خالد قال: وقال قوم منهم أبو الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى هى سبيه فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا بعث عليا إلى اليمن فأصاب خوله فى بنى زبيد وقد ارتدوا مع عمر بن معد يكرب وكانت زبيد سببها من بنى حنيفة فى غاره لهم عليهم فصارت فى سهم على فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن ولدت منك غلاما فسمه باسمى وكنه بكنيتى، فولدت له بعد موت فاطمه عليها السلام محمدا فكناه أبا القاسم قال وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر إن بنى أسد أغارت على بنى حنيفة فى خلافه أبى بكر فسبوا خوله فباعوها من على فقدم قومها عليه فأخبروه بموضعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها، قال هذا القول اختيار أحمد بن يحيى البلاذرى فى كتابه المعروف بتاريخ الأشراف آه.

إن من المناهج التي وردت في القرآن الكريم هو منهج السَّيِّئَةِ التاريخيه وآثارها الاجتماعيه والتربويه؛ والسنه التاريخيه تعد كقانون حياتي كفيل بتطبيق مادته على من يدخل في فلكه، إذ مثلما مرت الأمم السابقيه وكثير من النماذج البشريه بنظم حياتيه، كذلك مرت هذه الامه الإسلاميه بسنن حياتيه مختلفه؛ منها سَيِّئَةُ الصراع على السلطه؛ أو سنه التخلي عن الأنبياء والرسل عليهم السلام(١).

هذا المعنى نراه يتجسد في الفتره التي أعقبت وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامتدت إلى يومنا هذا ولن تتوقف هذه الحركه التاريخيه إلا عند ظهور المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وحيثما نقرأ التاريخ الإسلامى نجد أن أعظم الظلم هو ما نزل بعتره النبي

ص: ١٦٦

١- لمعرفة المزيد انظر كتاب: حركه التاريخ وسننه عند على وفاطمه عليهما السلام للسيد نبيل الحسنى.

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لدرجة يظل فيها القارئ حائراً لا يدري أهو يقرأ في تاريخ المسلمين أم في تاريخ أمه أخرى؟!

ومن هذا المعنى:

نجد أن بيان محمد بن الحنفية لمنزله خديجه عليها السلام لم يكن وليد صدفة، بل كان نتيجة لسلسله من الحوادث الإسلاميه امتدت إلى الزمن الذى عاش فيه، ودفعته إلى استخدام لغه التهديد فى قتال عبد الله بن الزبير وأبناء عمومته وإن الذى يمنعه منهم هو منزله خديجه بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى وما يربطها بهم من قرابه نسييه، فوالد ابن الزبير هو ابن عم خديجه عليها السلام، فالعوام وخويلد أخوان ولدهما أسد بن عبد العزى.

وعليه:

فقد وجدنا أن نقل للقارئ الكريم سبب صدور هذا القول من محمد بن الحنفية الذى يتوعد فيه بنى أسد بن عبد العزى بالقتل لولا منزله خديجه فيهم، إذ يعطى صورته واضحه لما مرّ به بنو هاشم بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويظهر مدى تحرك السنن التاريخيه التى جرت فى الأمم السابقيه فى هذه الامه لاسيما الصراع على السلطه التى انتهك الساعون إليها بغير حق كل الحرمات.

فقد روى المؤرخ اليعقوبى وابن أبى الحديد المعتزلى - واللفظ لليعقوبى -: (وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوه والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد - صلى الله

ص: ١٦٧

عليه وآله وسلم - في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكراه، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلا من بني هاشم ليبياعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجره زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبياعن أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجره زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمنا بالنار، فيا غوثا!)

فوجه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجره، وقال لمحمد بن علي: دعني وابن الزبير!

قال: لا أستحل من قطع رحمه ما استحل مني.

وبلغ محمد بن علي بن أبي طالب أن ابن الزبير قام خطيبا فقال من علي ابن أبي طالب، فدخل المسجد الحرام، فوضع رحلا، ثم قام عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد، ثم قال: شاهت الوجوه، يا معشر قريش، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون، ويذكر علي فلا تغضبون؟ ألا إن عليا كان سهما صائبا من مرامي الله أعداءه، يضرب وجوههم، ويهوعهم ما كلهم، ويأخذ بحناجرهم، ألا وإنا على سنن ونهج من حاله، وليس علينا في مقادير

الأمر حيله، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

فبلغ قوله عبد الله بن الزبير، فقال: هذا عذره بنى الفواطم، فما بال ابن أمه بنى حنيفه؟ وبلغ محمدا قوله، فقال: يا معاشر قريش وما ميزنى من بنى الفواطم؟ أليست فاطمه ابنة رسول الله حليله أبى وأم إخوتى؟ أو ليست فاطمه بنت أسد بن هاشم جدتى وأم أبى؟ أليست فاطمه بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جده أبى وأم جدتى؟ أما والله لولا خديجه بنت خويلد لما تركت فى أسد عظما إلا هشمته، فإنى بتلك التى فيها المعاب صبير.

ولما لم يكن بابن الزبير قوه على بنى هاشم، وعجز عما دبره فيهم، أخرجهم عن مكة، وأخرج محمد بن الحنفية إلى ناحيه رضوى، وأخرج عبد الله ابن عباس إلى الطائف إخراجا قبيحا، وكتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس:

(أما بعد، فقد بلغنى أن عبد الله بن الزبير سيرك إلى الطائف، فرفع الله بك أجرا، واحتط عنك وزرا، يا ابن عم، إنما يتلى الصالحون، وتعد الكرامه للأخيار، ولو لم تؤجر إلا- فيما نحب ونحب قل-اجر، فاصبر فإن الله قد وعد الصابرين خيرا، والسلام)(١).

فهذه الحوادث تكشف عما أنجبه السقيفه التى بايع فيها عمر بن الخطاب أبا بكر فتبعه على ذلك الأوس والخزرج ثم القرشيون لتتمخض عن نماذج

ص: ١٦٩

١- تاريخ يعقوبى: ج ٢، ص ٢٦٢؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ٤، ص ٦٣؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٤٢. ص ١٠٢.

جلست على رقاب المسلمين، تمتنع من ذكر الصلاة على نبي الإسلام لأنه هاشمي، فأى عصبية هذه، وأى جاهلية هوجاء تغلغت في الإسلام بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: افتخار الشهيد زيد بن علي بن الحسين بجده خديجه عليهم السلام

ولم ينته التاريخ بعد من سرده للشواهد التاريخيه التي تدور في فلك ظلامه أهل البيت عليهم السلام فترسخ حقيقه اضطهادهم مع ما لهم من الحقوق على الامه، فها هو شاهد تاريخي آخر أخرجه فرات الكوفي في تفسيره عن زيد بن علي (١) بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يضاف إلى

ص: ١٧٠

١- ولد زيد بن علي عليه السلام في المدينه المنوره. أبوه الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه من بلاد السند. والكثير من المراجع والمصادر لم تثبت سنه ولادته، كما اختلف في سنه شهادته. فقد أورد ابن الأثير في الكامل شهادته في أحداث عام (١٢٢ هـ)، وكذلك الدينوري وابن الجوزي والطبري. وفنه من المؤرخين ذكروا أنه استشهد في عام (١٢١ هـ)، ومنهم ابن الأثير في تاريخه، فبعد أن أثبت وفاته سنه (١٢٢ هـ)، كتب: (وقيل سنه وفاته عام (١٢١ هـ)). وأورده الشيخ الطوسي في جملة أصحاب الإمام زين العابدين وأصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وكتب: (زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أبو الحسين، تابعي قتل سنه إحدى وعشرين ومائه وله اثنتان وأربعون سنه). أما الشيخ المفيد فإنه كتب في إرشاده: (وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنه عشرين ومائه وكان سنه يومئذ اثنتين وأربعين سنه). أما ابن عساكر في تاريخ دمشق فقد قال: (إن سنه ولادته (٧٨ هـ)). وإذا كان الأمر كذلك فإن سنه شهادته مردده بين عام (١٢١ هـ) كما ذهب إليه الشيخ الطوسي وبعض المؤرخين، وبين عام (١٢٢ هـ) كما ذهب ابن الأثير وغيره. وعلى هذا الأساس يمكن تحديد سنه ولادته بين عام (٧٩ هـ) وبين عام (٨٠ هـ)، وذلك بقرينه أن عمره يوم شهادته

تلک الشواهد.

كما إنه ينقل لنا صورته أخرى من صور تلك المرحلة الزمنية من تاريخ الامه الإسلاميه التي شهدت تولى الأمويين فيها دفعه الحكم؛ فضلاً عن بيان طبيعه التوجهات الفكرية والميولات والولاءات عند أبناء التابعيين في مكه والمدينه.

قال زيد بن علي عليهما السلام، في قوله تعالى:

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) ١ .

ص: ١٧٤

قال - زيد - : فحفظ الغلامان بصلاح أبيهما فمن أحق أن يرجو الحفظ من الله بصلاح من مضى من آبائه منا، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدنا، وابن عمه المؤمن به المهاجر معه أبونا، وابنته أمانة وزوجته أفضل أزواجه جدتنا، فأى الناس أعظم عليكم حقاً فى كتابه، ثم نحن من أمته وعلى ملته ندعوكم إلى سنته والكتاب الذى جاء به من ربه أن تحلوا حلاله وتحرموا حرامه وتعملوا بحكمه عند تفرق الناس واختلافهم(١).

ويستدل زيد الشهيد عليه السلام على المسلمين بالكتاب المجيد فيورد لهم آية من آياته تلزمهم بحفظ أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان خير من خلق الله وأشرفهم فمن غيره أولى بحفظ آبائهم وذريتهم، وهذا فضلاً عن اختصاص خديجه عليها السلام بالصالح فكيف كان جزاؤهم لها فى أبنائها وأحفادها.

المسألة الخامسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام الشيعة

إشاره

إن ما يميز أقوال أعلام الشيعة فى بيانهم لمنزله خديجه هو أن هذه الأقوال مستمدة من القرآن الكريم والعترة النبويه عليهم السلام واشتعارها بين أتباع أهل البيت عليهم السلام.

بمعنى:

أن الشيعة يرجعون فى إيمانهم بمنزله خديجه عليها السلام إلى أقوال أئمه

ص: ١٧٥

١- تفسير فرات الكوفى: ص ٢٤٦؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٢٧، ص ٢٠٧.

الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستغنائهم بهذه الأقوال عن ما يرد عن سواهم.

ولذا:

نجد أن بيان أعلام الشيعة لمنزله خديجه يكاد يكون قليلاً فيما لو قيس مع أقوال أعلام أهل السنه والجماعه وذلك لتمسك الشيعة بما يرد عن الأئمة المطهرين من الرجس واكتفائهم بهذه الأقوال.

أما أعلام أهل السنه والجماعه فقد احتاجوا إلى بيانات كثيره ترشد أتباعهم إلى بيان منزله خديجه عليها السلام؛ وذلك بسبب ما ذهب إليه أكثر أئمة أهل السنه فى تفضيل عائشه على خديجه عليها السلام على الرغم من تضافر النصوص النبويه الصحيحه المتواتره المخبره عن تفضيل خديجه عليها السلام على نساء الامه ما خلا ابنتها فاطمه عليها السلام كما مرّ بيانه مفصلاً.

ولقد بسط البعض من أعلام أهل السنه والجماعه من الماضين كالعلامه السبكي رحمه الله تعالى والسهيلى والزرقانى وغيرهم الكلام فى بيان منزله خديجه عليها السلام وتفضيلها على أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنها وابنتها فاطمه عليهما السلام سيدتا نساء هذه الامه.

وعليه:

نبدأ هنا بأقوال أعلام الشيعة الذين اتبعوا العتره النبويه عليهم السلام فى بيانهم لمنزله خديجه عليها السلام.

ص: ١٧٦

قال الحميرى القمى (١): (هى سيده قريش، وقد خطبها كل صنيديد

ص: ١٧٧

١- ترجم له السيد أبو القاسم الخوئى (طيب الله ثراه) فقال: قال النجاشى: عبد الله بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميرى أبو العباس القمى شيخ القميين ووجههم، قدم الكوفه سنه نيف وستين ومائتين، وسمع أهلها منه فأكثرُوا، وصنف كتباً كثيره يعرف منها: كتاب الإمامه، كتاب الدلائل، كتاب العظمه والتوحيد، كتاب الغيبه والحيره، كتاب فضل العرب، كتاب التوحيد والبداء والإراداه والاستطاعه والمعرفه، كتاب قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، كتاب قرب الإسناد إلى أبى جعفر بن الرضا عليه السلام، كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم، والقياس (العباس)، والأرواح، والجنه والنار، والحدِيثين المختلفين، مسائل الرجال ومكاتباتهم أبا الحسن الثالث عليه السلام، مسائل لأبى محمد الحسن بن على عليه السلام، على يد محمد بن عثمان العمري، كتاب قرب الإسناد إلى صاحب الامر عليه السلام، مسائل أبى محمد وتوقيعات، كتاب الطب، أخبرنا عنه من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عنه بجميع كتبه. وذكر فى ترجمه العمركى بن على البوفكى: أنه روى عنه شيوخ أصحابنا منهم: عبد الله بن جعفر الحميرى. وقال الشيخ: (عبد الله بن جعفر الحميرى القمى يكنى أبا العباس، ثقه، له كتب، منها: كتاب الدلائل، كتاب الطب، وكتاب الإمامه، وكتاب التوحيد والاستطاعه والأفاعيل والبداء، وكتاب قرب الإسناد، وكتاب المسائل والتوقيعات، وكتاب الغيبه، ومسائله عن محمد بن عثمان العمري، وغير ذلك من رواياته ومصنفاته وفهرست كتبه، وزاد ابن بطه، كتاب الفتره والحيره، وكتاب فضل العرب، أخبرنا بجميع كتبه ورواياته الشيخ المفيد رحمه الله، عن أبى جعفر بن بابويه، عن أبيه ومحمد بن الحسن، عنه، وأخبرنا بها ابن أبى جيد، عن ابن الوليد، عنه).

ورئيس، قد أبتهم، فزوجته نفسها للذى بلغها من خبر بحيراء(١).

ص: ١٧٨

١- قرب الإسناد للحميرى: ص ٣٢٥.

قال الشيخ المفيد(١) رحمه الله فى بيان دلالة قول رسول الله صلى الله عليه

ص: ١٧٩

١- أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم والمشهور بالشيخ المفيد ولد يوم الحادى عشر من ذى القعدة، سنة ٣٣٦ هـ وتوفى ليله الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشره وأربعمائه وصلى عليه الشريف المرتضى، وقد ترجم له السيد أبو القاسم الخوئى فى معجم رجاله وقد جمع أقوال العلماء فيه، فمن جملة ما قالوا، قال النجاشى: شيخنا وأستاذنا رضى الله عنه فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه، والكلام، والرواية، والثقة والعلم. له كتب: الرسالة المقنعة الأركان فى دعائم الدين، كتاب الإيضاح فى الإمامه، كتاب الإفصاح فى الإمامه، كتاب الإرشاد، كتاب العوين والمحاسن، - ثم عدّ النجاشى بقيه أسماء كتبه رضوان الله عليه. وقال الشيخ الطوسى: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنى أبا عبد الله المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإماميه، انتهت إليه رياسه الإماميه فى وقته، وكان مقدما فى العلم وصناعه الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنه، حاضر الجواب، وله قريب من مائتى مصنف كبار وصغار، وفهرس كتبه معروف وتوفى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثلاث عشره وأربعمائه، وكان يوم وفاته يوما لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاه عليه وكثره البكاء من المخالف والموافق (المؤالف)، ثم ذكر السيد أبو القاسم قدس سره، ما خرج من الناحيه المقدسه من رسائل إلى الشيخ المفيد رضوان الله عليه. (معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ج ١٨، ص ٢١٣-٢٢٢). وترجم له الزركلى فقال: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامى انتهت إليه رئاسه الشيعه فى وقته، كثير التصانيف فى الأصول والكلام والفقه. ولد فى عكبرا (على عشره فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفى ببغداد. له نحو مئتى مصنف منها (الإعلام فيما اتفقت الإماميه عليه فى الأحكام - مطبوع - (الإرشاد فى تاريخ النبى صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء والأئمه - مطبوع -)، (الرساله المقنعه - مطبوع - فى الفقه)،

وآله وسلم لعائشه:

ما أبدلني الله خيرا منها.

- إن هذا -: (يوضح عن بطلان ما تدعيه الناصبه من سبق أبي بكر جماعه الامه إلى الإسلام إذ فيه شهاده من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقدوم إيمان خديجه على سائر الناس)(١).

ثالثا: منزلتها عند العلامة الحلبي رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ)

قال العلامة الحلبي(٢): (وأجمع المسلمون على أن خديجه من أهل الجنة،

ص: ١٨٠)

١- الإفصاح في الإمامه: ص ٢١٧، ط مصنفات الشيخ المفيد.

٢- ترجم له الحر العاملي (طيب الله ثراه) قائلا: (الشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي فاضل عالم علامه العلماء، محقق مدقق ثقة فقيه محدث متكلم ماهر جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزله، لا نظير له في الفنون والعلوم العقلية والنقلية، وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصى. قرأ على المحقق الحلبي والمحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقلية، وقرأ عليه في الفقه المحقق الطوسي، وقرأ العلامة أيضا على جماعه كثيرين جدا من العامه والخاصه. وقد ذكره الحسن بن علي بن داود في كتابه فقال عند ذكره: شيخ الطائفة، وعلامه وقته، وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف انتهت رئاسه الإماميه إليه في المعقول والمنقول، مولده سنة ٦٤٨ هـ، وكان والده قدس الله روحه فقيها محققا مدرسا عظيم الشأن. وذكره السيد مصطفى في كتاب الرجال، ثم ذكر كلام ابن داود وقال: ويخطر ببالي أن لا أصفه، إذ لا يسع كتابي هذا علومه وتصانيفه وفضائله ومحامده له أكثر من سبعين كتابا انتهى. وذكره

وعائشه قاتلت أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإجماع على إمامته، وقتلت بسببها نحواً من ستة عشر ألف صحابي وغيره من المسلمين(١).

ص: ١٨٣

١- نهج الحق وكشف الصدق: ص ٣٧٠، ط دار الهجرة، قم.

قال الفقيه الكراجكى قدس سره:

(ومن عجيب أمرهم تفضيلهم عائشه بنت أبى بكر على جميع أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبهجتهم بتسميتها أم المؤمنين، بدعواهم أنها حبيبه رسول الله، وكثره ترحمهم عليها، وإظهارهم الخشوع والبكاء عند ذكرها، ثم لا يذكرون خديجه بنت خويلد - عليها السلام - وفضلها متفق عليه، وعلو قدرها لا شك فيه، وهى أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ١٨٤

١- هو الشيخ أبو الفتح محمد بن على بن عثمان الكراجكى، عالم فاضل، متكلم، فقيه، محدث ثقه، جليل القدر. له كتب منها: كنز الفوائد، وكتاب معدن الجواهر ورياضه الخواطر، والاستنصار فى النص على الأئمة الأطهار، ورساله فى تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، والكر والفر فى الإمامه، والإبانه عن المماثله فى الاستدلال بين طريق النبوه والإمامه، ورساله فى حق الوالدين، ومعونه الفارض فى استخراج سهام الفرائض. وقال منتجب الدين عند ذكره: فقيه الأصحاب، قرأ على السيد المرتضى والشيخ أبى جعفر، وله تصانيف منها: كتاب التعجب، كتاب النوادر، أخبرنا الوالد عن والده عنه. وقال ابن شهر آشوب عند ذكره: له أخبار الأحاد، التعجب فى الإمامه حسن، ومسأله فى المسح، ومسأله فى كتابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والمنهاج فى معرفه مناسك الحاج، المزار، مختصر زياره إبراهيم الخليل عليه السلام، شرح جمل العلم للمرتضى، الوزيرى، وشرح الاستبصار فى النص على الأئمة الأطهار، المشجر، معارضه الأضداد باتفاق الاعداد، الاستطراف فى ذكر ما ورد من الفقه فى الانصاف. كتاب التلقين لأولاد المؤمنين. جواب رساله الأخوين. (وله أيضا كتاب الفهرست كما نسبه إليه ابن طاوس فى أواخر كتاب الدرر الواقيه)، وهو يروى عن الشيخ المفيد ومن عاصره. (أمل الآمل للحر العاملى: ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٨، برقم ٨٥٧).

وسلم، وأنفقت عليه مالها، وكان يكثر ذكرها، ويحسن الثناء عليها، ويقول:

ما نفعنى مال كمالها.

ورزقه الله الولد منها، ولم يتزوج فى حياتها إكراما منه لها، ولكثره ما كان يذكرها(١).

خامسا: منزلتها عند الأربلى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٥٦٩٣ هـ)

(٢)

قال الأربلى رحمه الله بعد أن أفرد فى كتابه كشف الغمه فصلا لمناقب خديجه بنت خويلد أم فاطمه عليهما السلام فيقول:

ص: ١٨٥

١- التعجب، أبو الفتح الكراجكى: ص ١٠٢.

٢- ترجم له العلامة الأمينى صاحب الغدير بقوله: (بهاء الدين أبو الحسن على بن فخر الدين عيسى بن أبى الفتح الأربلى نزيل بغداد ودفينها، فذ من أفذاذ الأمم، وأوحدى من نياقد علمائها، بعلمه النابع وأدبه الناصع يبلغ القرن السابع وهو فى أعظم العلماء قبله فى أئمه الأدب، وإن كان به ينضد جمان الكتابه، وتنظم عقود القريض، وبعد ذلك كله هو أحد ساسه عصره الزاهى، ترنحت به أعطاف الوزاره وأضاء دستها، كما ابتسم به ثغر الفقه والحديث، وحميت به ثغور المذهب، وسفره القيم - كشف الغمه - خير كتاب أخرج للناس فى تاريخ أئمه الدين، وسرد فضائلهم، والدفاع عنهم، والدعوه إليهم. وهو حجه قاطعه على علمه الغزير، وتضلعه فى الحديث، وثباته فى المذهب، ونبوغه فى الأدب، وتبريزه فى الشعر، حشره الله مع العتره الطاهره صلوات الله عليهم، قال الشيخ جمال الدين أحمد بن منيع الحلى مقرظا الكتاب: الأقل لجامع هذا الكتاب يمينا لقد نلت أقصى المراد وأظهرت من فضل آل الرسول بتأليفه ما يسوء الأعادى (الغدير للعلامة الأمينى: ج ٥، ص ٤٤٦).

(حيث ذكرت ما أمكن من مناقب فاطمه عليها السلام غير مدع الاستقصاء فإن مناقبها تجل عن العد والاحصاء شرعت في ذكر شيء من فضائل أمها عليها السلام ليعلم أن الشرف قد اكتنفها من جميع أقطارها وأن المجد أوصلها إلى غايه يعجز المجارون عن خوض غمارها ومهما ذكره ذاكر فهو على الحقيقة دون مقدارها)(١).

سادسا: منزلتها عند المامقاني رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١٣٥١ هـ)

(٢)

قال المامقاني قدس سره:

(خديجه بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الباقيه على الزوجيه إلى الآن أم المؤمنين حقا)(٣).

ص: ١٨٦

١- كشف الغمه في معرفه الأئمه: ج ٢، ص ١٢٩.

٢- ترجم له الزركلي بقوله: عبد الله بن حسن بن عبد الله بن محمد بن باقر المامقاني النجفي مؤرخ متأدب متفقه إمامي، من أهل النجف مولده ووفاته بها من كتبه المطبوعه تنقيح المقال في أحوال الرجال (ثلاثه مجلدات، ومناهج المتقين ثلاثه أجزاء، ومجمع الرسائل. (الإعلام: ج ٤، ص ٧٩). وقال في حقه المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي: مولانا وأستاذنا الآيه الباهره في جل العلوم، الحاج الشيخ عبد الله المامقاني النجفي (قده) ووفقني الله تعالى لأداء يسير من كثير حقه على علما وتربيته وإحساناً. (شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج ١، ص ٤٥).

٣- تنقيح المقال في معرفه الرجال: ج ٣، ص ٧٧.

(١)

قال المحقق البحراني قدس سره:

(والتسع اللواتي قبض عنهن: عائشه، وحفص وأم سلمه، وزينب بنت جحش، وميمونه بنت الحارث، وأم حبيبه بنت أبي سفيان، وصفيه، وجويريه، وسوده.

وأفضلهن خديجه بنت خويلد ثم أم سلمه، ثم ميمونه)^(٢).

ص: ١٨٧

١- هو الشيخ أبو الحسن شمس الدين سليمان ابن العالم الشيخ عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد بن يوسف بن عمار البحراني السراوي الماحوزي الدونجي. والستري كما في أنوار البدرين، أو السراوي كما في اللؤلؤه نسبه إلى ستره ناحيه البحرين. كان المحقق البحراني من أعظم علماء الشيعة، ومشهورا بينهم بالتتبع والتحقيق والتأليف، وأثنى عليه أرباب التراجم والمعاجم بالاطراء والثناء الفاخر ومجدوه بكل التمجيد بما يستحقه. (كتاب الأربعين للماحوزي: المقدمة، ص ٤). قال المحقق الوحيد البهبهاني في تعليقه على منهج المقال: هو الفاضل الكامل المحقق المدقق الفقيه النبيه قادر العصر والزمان. (التعليقه على منهج المقال: ص ١٣). وقال المحدث الفقيه الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤ البحرين: علامه الزمان، وتازره الأوان، وهذا الشيخ قد انتهت إليه رئاسه بلاد البحرين في وقته. (لؤلؤه البحرين: ص ٧).

٢- الحدائق الناضره، المحقق البحراني: ج ٢٣، ص ٩٥. وكذا ذهب إليه الحر العاملي: ج ٢٠، ص ٢٤٥. تفسير الميزان، علامه الطباطبائي: ج ١٦، ص ٣١٦.

(١)

قال السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: (ووضوح جلالتها وعظم شأنها وبذل أموالها في سبيل الإسلام وخدمتها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أغنانا عن الإطالة في المقال)(٢).

فهذه الأقوال تكشف عن ثواب الفكر الإمامي في الرجوع إلى القرآن والعترة وأن التولي والتبري عندهم يرتكز على أسس إيمانية وعقائديه يترجى من خلالها رضا الله تعالى ورضا رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٨٨

١- هو السيد أبو القاسم بن علي الأكبر بن هاشم الموسوي الخوئي من أكابر علماء الشيعة الإمامية وأحد مراجع الدين وإليه تعود رئاسه الطائفة في زمانه وشأنه لا يخفى على أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام أو على غيرهم، فكيف بطلاب العلوم الدينيه. يقول السيد أبو القاسم الخوئي (قده) عن سيره حياته: (ولدت في بلدة خوى سنة ١٣١٧ هـ - هاجرت إلى النجف سنة ١٣٣٠ هـ - ابتدأت بقراءة العلوم الأدبيه والمنطق ثم قرأت الكتب الدراسيه والأصوليه والفقهييه لدى الكثير من أعلامها منهم سيدي المرحوم العلامة الحجة الوالد، ثم حضرت الدروس العليا على أكابر المدرسين سنة ١٣٣٨ هـ أخص منهم بالذكر: الشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الاصفهاني، والشيخ محمد حسين النائيني، وأن الآخرين أكثر من تتلمذت عليه فقها وأصولاً وكنت أقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين في البحث ولي في الروايه مشايخ أجازوني، وقد أكثرت من التدريس في الفقه والأصول والتفسير وريبت جمعاً غفيراً من الأفاضل في حوزة النجف الأشرف، وإني أحمد الله تعالى على ما أنعم به علي من مواصلة التدريس طيله هذه السنين الطوال وما توقفت إلا في الضرورات كالمرض والسفر. (المقيد من معجم رجال الحديث للشيخ محمد الجواهري: ص ٧١٩).

٢- معجم رجال الحديث: ج ٢٤، ص ٢١٦.

بقى أن نقول: إن كان من لوازم البحث أن يطلع القارئ على رأى كاتب هذه السطور فيما قدمه بين يدي القارئ الكريم، فإنى وإن لم أكن من أعلام الشيعة، فإن قراءتى لسيره أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قادتني إلى الاعتقاد بأنها: أمه جمعت في امرأه فكانت كأبيها إبراهيم الخليل حينما عرفه القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) ١ .

المسألة السادسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام أهل السنه والجماعه

أولاً: منزلتها عند الحافظ ابن حجر العسقلانى (المتوفى سنه ٨٥٢ هـ)

(١)

وتتضح منزلتها عليها السلام عند الحافظ ابن حجر من خلال أقوال

ص: ١٨٩

١- أورد ترجمته العلامة الأمينى رحمه الله فى الغدير ضمن رواه حديث الغدير فى القرن التاسع الهجرى، فقال: (الحافظ أحمد بن على بن محمد أبو الفضل العسقلانى المصرى الشافعى المعروف بابن حجر المولود سنه ٧٧٣ هـ - فى عسقلان بفلسطين - والمتوفى سنه ٨٥٢ هـ ، صاحب الإصابه، وتهذيب التهذيب، بسط القول فى ترجمته السخاوى فى ضوئه اللامع: ج ٢، ص ٣٦-٤٠، وذكر مشايخه وتآليفه وأطراه، وقال: إمام الأئمه، قد شهد له القدماء بالحفظ والثقه والأمانه والمعرفه التامه والذهن الوقاد والذكاء المفرط وسعه العلم فى فنون شتى، وشهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث، وقال كل من التقى الفاسى والبرهان الحلبى: ما رأينا مثله. (الغدير للعلامه الأمينى رحمه الله: ج ١، ص ١٣٠، تحت الرقم ٢٨٣).

ثلاثه، وهي كالاتي:

١ - قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:

(في شرح قولها: (هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام).

قال العلماء:

في هذه القصة دليل على وفور فقهها؛ لأنها لم تقل وعليه السلام كما وقع لبعض الصحابه فعرفت خديجه لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين)(١).

٢ - وقال أيضا:

(لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح)(٢).

٣ - قال ابن حجر:

(لم يتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خديجه حتى ماتت، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها)(٣).

ص: ١٩٠

١- فتح الباري لابن حجر: ج ٧، ص ١٠٥.

٢- المصدر السابق، ط دار إحياء التراث.

٣- فتح الباري: ج ٧، ص ١٠٣.

(١)

قال الحافظ المباركفوري في شرحه لجامع الترمذى عند قول عائشه: (ما حسدت امرأه ما حسدت خديجه). ما، الأولى نافية، والثانية مصدرية، أى ما حسدت مثل حسدى خديجه - عليها السلام - والمراد من الحسد هنا الغيره (وما تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا- بعدما ماتت) أشارت عائشه بذلك إلى أن خديجه لو كانت حيه فى زمانها لكانت غيرتها منها أشد وأكثر، وذلك؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله - وسلم بشرها بيت فى الجنة.

- ثم - كان لغيره عائشه على خديجه أمران الأول كثره ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله - وسلم لها كما فى الحديث السابق؛ والثانى هذه البشاره - أى بشارتها بيت فى الجنة - لأن اختصاص خديجه بهذه البشاره مشعر بمزيد محبه من النبى صلى الله عليه وآله - وسلم فيها (بيت من قصب)) (٢).

ص: ١٩١

١- الشيخ أبو العلى محمد بن عبد الرحمن المباركفوري الحنبلى الظاهرى من أئمه السنه فى القاره الهنديه ولد فى ١٢٨٣ هـ وتوفى سنة ١٣٥٣ هـ من مؤلفاته تحفه الأحوذى فى شرح جامع الترمذى، وأبكار المنن فى الرد على آثار أهل السنن. وقد قال عنه العلامة السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوى فى إجازته له بالحديث: (إنّ المولوى الذكى، أبا العلى، محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الحاج عبد الرحيم الأعمم كدهى، المباركفوري، قد قرأ على صحيح البخارى، وصحيح ابن ماجه، ومشكاه المصاييح، وبلوغ المرام، وتفسير الجلالين، وتفسير البيضاوى، وأوائل الهدايه، وأكثر شرح نخبه الفكر، وسمع ترجمه القرآن المجيد إلا سته أجزاء، والموطأ، وسنن الدارمى، والمنتقى، وغيرها من كتب الحديث، والتفسير، والفقه، وتدريسها لأنه أهلها بالشروح المعبره عند أهل الحديث؛ مقدمه تحفه الأحوذى: ج ١، ص ٢-٣.

٢- تحفه الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفوري: ج ١٠، ص ٢٦٤.

ثالثاً: منزلتها عند الشبلنجي (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ)

قال الشبلنجي (١): (قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في بهجة الحادي وأفضلهن خديجه وعائشه وفي أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجه لما ثبت أنه قال لعائشه حين قالت له رزقك الله خيراً منها لا والله ما رزقني الله خيراً منها) (٢).

رابعاً: منزلتها عند العلامة السبكي (المتوفى سنة ٧٥٦ هـ)

١ - قال العلامة السبكي (٣): (والذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمه

ص: ١٩٢

١- الشيخ سيد مؤمن بن حنس مؤمن الشبلنجي، فاضل من أهل شبلنج (من قرى مصر، قرب بنها العسل) تعلم في الأزهر وأقام في جواره، وكان يميل إلى العزلة من كتبه (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) (فتح المنان في تفسير غريب القرآن) ومختصر الجبرتي في جزأين صغيرين. (الأعلام للزركلي: ج ٧، ص ٣٣٤).

٢- نور الأبصار للشبلنجي: ص ٩٠، ط انتشارات الشريف الرضي.

٣- ترجم له السيوطي بقوله: (الإمام، الفقيه، المحدث، الحافظ، المفسر، المتكلم، النحوي، اللغوي، الأديب، المجتهد، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم، شيخ الاسلام، امام العصر، ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائه، وأخذ الفقه عن ابن الرفعه، والحديث عن الشرف الدمياطي، والقراءات عن التقى الصائغ والأصلين والمعقول عن العلاء الباجي والخلاف والمنطق عن السيف البغدادي والنحو عن أبي حيان والتصوف عن التاج بن عطاء وسمع من ابن الصواف وعده، وأقبل على التصنيف والفتيا وصنف أكثر من مائه وخمسين مصنفاً وتصانيفه تدل على تبحره في الحديث وغيره وسعه باعه في العلوم وتخرج به فضلاء العصر وولى قضاء الشام بوفاه الجلال القزويني وخرج له الحافظ شهاب الدين أبو العباس

أفضل ثم خديجه ثم عائشه(١).

٢ - وقال أيضا: (وهذا صريح فى أنها وأمها أفضل نساء أهل الجنة)(٢).

أى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجه بنت خويلد وفاطمه بنت محمد وآسيه بنت مزاحم.

خامسا: منزلتها عند الزرقانى (المتوفى سنة ١١٢٢ هـ)

١ - قال الزرقانى(٣) فى شرح متن القسطلانى: (فلم يتزوج عليها مده

ص: ١٩٣)

١- فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ٨٤.

٢- سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامى: ج ١١، ص ١٦١.

٣- ترجم له الزركلى فقال: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقانى المصرى الأزهرى المالكي، أبو عبد الله خاتمه المحدثين بالديار المصريه، مولده ووفاته بالقاهره ونسبته إلى زرقان من قرى منوف بمصر من كتبه (تلخيص المقاصد الحسنه) و (شرح المواهب اللدنيه) و (شرح البيقونيه). (أنظر الأعلام، ج ٦، ص ١٨٤).

حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأه قط من زوجاته(١).

٢ - قال الزرقانى أيضا: (قال ابن إسحاق وآزرتة على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد وتكذيب إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس، ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبرائيل إلى النبي وهو بغار حراء كما فى روايه الطبرانى وقال اقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها بيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، كما فى الصحيح.

وفى الطبرانى فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلى جبرائيل السلام.

وفى النسائى: عليك يا رسول الله ورحمه الله وبركاته، وهذا من وفور فقهاها حيث جعلت مكان رد السلام الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره(٢).

كما أن - اقرأ السلام من ربها خصوصيه لم يكن لسواها(٣).

سادسا: منزلتها عند الذهبى (المتوفى سنة ٥٧٤٨ هـ)

قال الذهبى(٤): (وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يثنى عليها

ص: ١٩٤

١- شرح الزرقانى على المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٣٨.

٢- شرح الزرقانى على المواهب اللدنيه: ج ١، ص ٢٣٨.

٣- المصدر السابق.

٤- ترجم له السيوطى بقوله: الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمه الحفاظ ومؤرخ الإسلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعاته شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى ثم الدمشقى المقرئ ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائه وطلب الحديث وله ثمانى

ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها(١).

سابعاً: منزلتها عند الحافظ السهيلي (المتوفى سنة ٥٨١ هـ)

قال السهيلي(٢): (النكته في قوله (من قصب) ولم يقل (من لؤلؤ) إن في

ص: ١٩٥

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ١١٠.

٢- ترجم له الذهبي بقوله: الحافظ العلامة البارع أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أصمغ بن حسين بن سعدون، ويكنى أيضاً أبا الحسن، ولد الخطيب أبي محمد ابن الإمام الخطيب أبي عمر الخثعمي الأندلسي المالقي الضرير صاحب التصانيف المؤنقه، مولده سنه بضع وخمس مائه. أخذ القراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى وأخذ بعضها عن أبي منصور ابن الخير، وسمع من (أبي) عبد الله بن معمر والقاضي أبي بكر بن العربي وشريح بن محمد وأبي عبد الله بن مكى وأبي عبد الله (بن) نجاح الذهبي وطائفه، وأجاز له أبو عبد الله ابن أخت غانم وناظر في كتاب سيبويه على أبي الحسين ابن الطراوه وسمع منه كثيراً من كتب الأدب، عمى وهو ابن سبع عشره سنه حمل الناس عنه، وصنف كتاب (الروض الأنف) كالشرح للسيره النبويه فأجاد وأفاد وذكر أنه استخرجه من مائه وعشرين مصنفاً، وله كتاب (الاعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الاعلام)، وله (كتاب الفرائض) وغير ذلك وكان إماماً في لسان العرب يتوقد ذكاءً وقد استدعى من مالقه إلى مراكش ليأخذوا عنه، سمع منه أبو الخطاب ابن دحيه وجماعه، قال ابن دحيه: كان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نما خبره إلى صاحب مراكش فطلبه وأحسن إليه وأقبل عليه وأقام بها نحو من ثلاثه أعوام.

لفظ القصب مناسبه لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبه فى جميع ألفاظ هذا الحديث.

وفى القصب مناسبه أخرى من جهته استواء أكثر أنابيه وكذا كان لخديجه من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصه على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يبغضه قط ، كما وقع لغيرها.

وأما قوله (بيت)، فقال أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار: بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها، ولذا قال: (لا نصب فيه) أى: لم تتعب بسببه.

قال السهيلي لذكر (البيت) معنى لطيف: لأنها كانت ربه بيت قبل المبعث، ثم صارت ربه بيت فى الإسلام، متفرده به، فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وهى فضيله ما شاركها فيها أيضا غيرها؛ وفى ذكر (البيت) معنى آخر: لأن

مرجع أهل بيت النبي إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت.

قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي فاطمه وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال:

«هؤلاء أهل بيتي».

الحديث أخرجه الترمذى وغيره ومرجع أهل البيت إلى خديجه لأن الحسنين من فاطمه بنتها وعلى نشأ في بيت خديجه وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوى إلى خديجه دون غيرها).

(قوله لا صخب فيه ولا نصب) الصخب بفتح المهملة والمعجمه بعدها موحد، الصياح والمنازعه برفع الصوت؛ والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحد: التعب؛ وأغرب الداودى فقال: الصخب: العيب، والنصب العوج، وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة.

وقال السهيلي: مناسبه نفى هاتين الصفتين أعنى المنازعه والتعب أنه صلى الله عليه - وآله - وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجه طوعاً فلم تحوجه إلى رفع الصوت ولا- تنازعه ولا- تعب في ذلك، بل أزالته عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشه، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلتها الذى بشرها به ربها بالصفه المقابله لفعالها(1).

ص: ١٩٧

١- فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ١٠٤؛ فيض الغدير للمناوى: ج ٢، ص ٢٤١؛ والظاهر في سياق الحديث أن كلام الحافظ السهيلي قد تداخل معه كلام الحافظ ابن حجر فأضاف معانى أخرى للأحاديث الشريفه غير التى ذكرها السهيلي ولذلك أوردناه كاملاً.

قال القاضي النعمان المغربي (١): (فخديجه رضوان الله عليها ولدت الأئمة

ص: ١٩٨

١- ترجم له الزركلي في الاعلام، فقال: النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفه بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان: من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيروان، مولدا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية. عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز (منشئ القاهرة) وخدمهم. وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته. وتوفي بها. وصفه الذهبي بالعلامة المارق. وقال ابن حجر: في كتبه ما يدل على انحلال عقيدته. له (اختلاف أصول المذاهب) يرد فيه على أدله الاجتهاد وينصر الإسماعيلية، و (دعائم الاسلام، وذكر الحلال والحرام) مجلدان، رأيت ثانيهما في الفاتيكان وكان (الظاهر) الفاطمي قد أمر الدعاه بحض الناس على حفظه، وجعل لمن يحفظه مكافأه، وله (مختصر) و (تأويل دعائم الاسلام) الأول منه، ويسمى (تربيته المؤمنين) و (المجالس والمسائرات) أخبار وأحاديث، و (افتتاح الدعوة) لعله الذي سماه (ابتداء الدعوة للعبيديين) و (الهمه في آداب اتباع الأئمة) و (الاقتصاد) في فقه الشيعة، و (مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الأطهار) متداول الآن بين طائفة البهرة، و (أساس التأويل الباطن) و (المناقب والمثالب) و (ردود) على بعض الأئمة كالشافعي ومالك وأبي حنيفه، و (شرح الاخبار في فضائل النبي المختار وآله المصطفين الأخيار) و (المنتخبه) قصيده في الفقه. قال الذهبي: كتبه كبار مطوله. وكان وافر الحشمه عظيم الحرمة، في أولاده قضاه وكبراء. (الأعلام لخير الدين الزركلي: ج ٨، ص ٤١). وقد اختلف في حاله عند علماء الإماميه كابن شهر آشوب فقد ذهب إلى أن الرجل ليس بإمامي، وعده السيد بحر العلوم في رجاله من المالكية ثم إمامياً؛ وقال صاحب الجواهر: مطعون فيه؛ وذهب المحدث النوري إلى كونه إمامياً، وتوقف فيه السيد الخوئي. (معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٢٠، ص ١٨٤).

وبشرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنه وأتاها جبرائيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ بالسلام.

وأنفقت مالها فى سبيل الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت أول من عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النساء وبنى بها منهن، لم يعرف من النساء امرأه قبلها.

وكانت أحب أزواجه إليه وأكرمهن عليه وأفضلهن عنده وأم بنيه وبناته ومسلتيه كما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم ومفرجه غمومه، ولم يكن بينه وبينها اختلاف أيام حياتها حتى قبضت وهو عنها راض ولها شاكر رحمه الله ورضوانه عليها(١).

المسألة السابعه: خديجه عليها السلام من رواه الحديث الشريف

اشاره

أشارت كتب الرجال والرواه للحديث النبوى الشريف إلى أن السيدهه الطاهره أم المؤمنين خديجه عليها السلام هى ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من الحقبه الحرجه التى شغلته من عمر الرساله مع ما رافقها من جهد وجهاد وحصار أصبح معروفاً لدى القارئ.

فلو نظرنا إلى سير الرساله منذ انطلاقتها فى مكه وإلى حين وفاه خديجه عليها السلام لوجدناها من أصعب المراحل، إن لم تكن فريده فى تحدياتها وخطورتها ومشاقها؛ فالسنيين الأولى كانت فى جو من التكتّم المبتنى على

ص: ١٩٩

١- شرح الأخبار فى فضائل الأئمه الأطهار: ج ٣، ص ٢٢، ط جماعه المدرسين.

الاختيار للأفراد الذين يجد فيهم النبي الأكرم سمه الصدق والطهر فدعاهم إلى الإسلام كزوجه خديجه بنت خويلد وعلى بن أبي طالب وعمه أبي طالب (١) والصحابي الجليل أبي ذر الغفاري؛ ثم تلتها بثلاث سنوات أو ما يزيد عنها أو يقل مرمله الإنذار والتصريح والدعوه العامه، ثم تلتها سنوات الحصار والمقاطعته والحجر فى شعب أبي طالب عليه السلام، فأى امرأه نالها ما نالت من التعب والجهد وأى امرأه أحرزت ما أحرزته خديجه من الجهاد والمثابره والمواساه والنصره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أنها مع هذا كله كان لها باع فى روايه الحديث حسبما نص عليه أهل الاختصاص فى علم الرجال. وهم كالآتى:

أولاً: ورود اسمها فى الكتب الرجاليه عند الشيعة

١ - ذكرها السيد الميرزا محمد الأسترابادى رحمه الله فى باب: نساء لهن روايه، فعددها منهنّ قائلاً: (خديجه بنت خويلد زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

٢ - ذكرها الأردبيلي فى فصل: نساء لهن روايه، فقال: (خديجه بنت خويلد زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).

ص: ٢٠٠

١- لمزيد من البيان أنظر: أبو طالب ثالث من أسلم للمؤلف.

٢- الأنوار الساطعه للشيخ غالب السهلاوى: ص ٣٢٩، نقلا عن: منهج المقال: ص ٤٠٠، طبع حجرى.

٣- المصدر السابق، نقلا عن: جامع الرواه: ج ٢، ص ٤٥٧، ط دار الأضواء.

٣ - وذكرها الشيخ محمد الحائري في منتهى المقال في باب: نساء لهن روايه أو صحبه، فقال: (خديجه بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

٤ - وأورد اسمها سماحه السيد أبو القاسم الخوئي في معجم رجال الحديث، قائلاً: (خديجه بنت خويلد، زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أول امرأه تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأول امرأه أسلمت، وهي إحدى الأربع اللاتي خير نساء الجنه، وأفضلهن، على ما رواه الصدوق بسنده، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الخصال: باب الأربعة، أفضل نساء أهل الجنه أربع، الحديث).

وهي أفضل نساء النبي، على ما رواه الصدوق، الخصال: باب التسعه، قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تسعه نسوه، الحديث.

ووضوح جلالتها وعظم شأنها وبذل أموالها في سبيل الإسلام، وخدمتها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أغنانا عن الإطاله في المقال) (٢).

ثانياً: ورود اسمها في الكتب الرجاليه عند أهل السنه والجماعه

١ - ذكرها ابن حبان في الثقات، قائلاً: (وممن روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النساء ابتدأ اسمها على حرف الخاء، خديجه بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).

ص: ٢٠١

١- المصدر السابق، نقلاً عن: منتهى المقال: ج ٧، ص ٤٦٤، ط آل البيت، قم.

٢- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ٢٤، ص ٢١٧، برقم ١٥٦٦٧.

٣- الثقات لابن حبان: ج ٣، ص ١١٤.

٢. وأورد اسمها العجلى فى كتابه: معرفه الثقات، ضمن التسلسل (٢٣٣١)(١).

٣- وذكرها ابن قايماز الذهبى فى كتابه: المعين فى طبقات المحدثين قائلًا: (خديجه بنت خويلد سيده النساء)(٢).

ثالثًا: حذف حديثها من صحيح البخارى دليل على تحريف صحيح البخارى

كما ذكرها الكلاباذى فى رجال صحيح البخارى تحت الرقم ١٤١٧(٣)، إلا- أننى لم أعثر لها على روايه أخرجها البخارى فى الطبقات المتوفره حاليًا وهذا يدفع إلى الاعتقاد بأن كتاب صحيح البخارى قد تعرض إلى الحذف والتحريف، وإلا من المستبعد أن يتوهم الكلاباذى عن صحيح البخارى فيذكر ما ليس فيه.

رابعًا: ما روى عنها من الأحاديث

روى السيوطى عن ابن أبى الدنيا، والبيهقى عن عبد الأعلى التيمى قال: (قالت خديجه عليها السلام:

يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت ؟

قال: قولى:

اللهم أغفر ذنوبى وخطئى وعمدى وإسرافى فى أمرى إنك إن لا تغفر لى تهلكنى(٤).

ص: ٢٠٢

١- معرفه الثقات للعجلى: ج ٢، ص ٢.

٢- المعين فى طبقات المحدثين لابن قايماز الذهبى: ج ١، ص ٦، برقم ١٦٠.

٣- رجال صحيح البخارى للكلاباذى: ج ٢، ص ٨٣٥.

٤- جمع الجوامع للسيوطى: ج ١، ح ١٥٥٤٠؛ جامع الأحاديث للسيوطى: ج ١٥، ص ٢٠٤، برقم ١٥٣٢٠؛ الدر المنثور للسيوطى:

ج ٤، ص ٣٥٨؛ كنز العمال للمتقى الهندى: ج ٥،

إشاره

يعدّ موضوع الإمامه من بين أهمّ المواضيع الإسلاميه التي شغلت من الفكر الإسلامى حيزاً كبيراً لاسيما أنها، أى الإمامه، قد دارت من حولها رؤى وتوجهات اختلفت فيها المفاهيم بحسب الناظر إليها وبما توفر لديه من معطيات فكرية.

فقد كانت الإمامه عند مذهب العتره النبويه أصلاً من أصول الدين ووافقهم على ذلك بعض علماء أهل السنه والجماعه (كالقاضي البضاوى فى مبحث الأخبار وجمع من شارحى كلامه) (١).

فى حين ذهب أغلب علماء أهل العامه إلى أنها من توابع المصالح العامه وأنها تنعقد، أى الإمامه، بتعيين الامه كما أوضحه ابن خلدون فى مقدمه تاريخه، قائلاً:

ومذهب الشيعة فى حكم الإمامه أنها - (ليست من المصالح العامه التى تفوض إلى نظر الامه ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هى ركن الدين وقاعده الإسلام ولا يجوز لنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الامه، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن علياً رضى الله عنه هو الذى عينه - صلى الله عليه وآله وسلم -) (٢).

ص: ٢٠٣

١- دلائل الصدق للمظفر: ج ٢، ص ١١.

٢- مقدمه ابن خلدون: ص ١٩٦.

أقول: بل ذهب علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية إلى أنها من موجبات حكمه الله تعالى التي لا يقوم الشرع إلا بها وأن التخلي عنها يردى المسلم فى المهالك الأخرى فضلاً عن ضنك الحياه الدنيويه.

وهذه جمله من أقوال علماء الطائفة (رضوان الله عليهم):

١ - قال المرجع الدينى السيد شهاب الدين المرعى النجفى (قدس سره): (إنّ الإمامه خلافه عن النبوه وقائمه مقامها، وإذا كان كذلك كان ما استدللنا به على وجوب النبوه فى حكمه الله أيضاً لأنها ساده مسدها قائمه مقامها لا فرق بين النبوه وبينها إلا فى تلقى الوحي الإلهى بلا واسطه بشر)^(١).

٢ - وقال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قدس): (إنها - أى الإمامه - الأصل الذى امتازت به الإماميه وافتقرت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهرى أصلى وما عداه من الفروق فرعيه عرضيه كالفروق التى تقع بين أئمه الاجتهاد عندهم كالحنفى والشافعى وغيرهما، وإن مراد - الإماميه - بالإمامه كونها منصباً إلهياً يختاره الله بسابق علمه كما يختار النبى صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

٣ - قال العلامة الفقيه الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله: (نعتقد أن الإمامه أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل بل يجب النظر فيها كما يجب النظر فى التوحيد والنبوه).

ص: ٢٠٤

١- ذيل إحقاق الحق: ج ٢، ص ٢٩٤.

٢- أصل الشيعة وأصولها.

وعلى الأقل أن الاعتقاد بفراغ ذمه المكلف من التكاليف الشرعيه المفروضه عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلباً، فإذا لم تكن أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد لكونها أصلاً فإنه يجب الاعتقاد بها من هذه الجبهه أى من جهه أن فراغ ذمه المكلف من التكاليف المفروضه عليه قطعاً من الله تعالى واجب عقلاً، وليست كلها معلومه من طريقه قطعيه، فلا بد من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمه باتباعه، أما الإمام على طريقه الإماميه أو على طريقه غيرهم.

كما نعتقد أنها كالنبوه لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون فى كل عصر إمام هاد يخلف النبى فى وظائفه من هدايه البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعاده فى النشأتين، وله ما للنبى من الولاية العامه على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامه العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا، فالإمامه استمرار للنبوه، والدليل الذى يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الإمامه لا- تكون إلا- بالنص من الله تعالى على لسان النبى أو لسان الإمام الذى قبله، وليست هى بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه(1).

وعليه: فقد آمنت السيده خديجه الكبرى بإمامه على بن أبى طالب

ص: ٢٠٥

عليهما السلام قبل أن يفرض الله تعالى على المسلم هذه الفريضة في غدير خم عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع(1)، لما في الإمامه

ص: ٢٠٦

١- أنظر في تنصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام إماماً للمسلمين من بعده يوم الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم وهو يخاطب المسلمين: أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه: مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٨٤، من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وفي لفظ: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه: مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١١٨؛ وقد اشتهر اللفظ الأول كمنار على علم في كتب الحديث والتاريخ والرجال وهي: مسند ابن ماجه القزويني: ج ١، ص ٤٥؛ سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٩٧؛ فضائل الصحابه للنسائي: ص ١٤؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٠٩، و ص ١١٠، و ص ١١٦، و ص ١٣٤، و ص ٣٧١، و ص ٥٣٣؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٧، ص ١٧، و ج ٩، ص ١٠٣، و ص ١٠٤، و ص ٤٠٥، و ص ١٠٦، و ص ١٠٧، و ص ١٠٨، و ص ١٢٠، و ص ١٦٤؛ فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج ٧، ص ٦١؛ عمده القارى للعيني: ج ١٨، ص ٢٠٦؛ تحفه الأحوذى للمباركفوري: ج ٣، ص ١٣٧، و ج ١٠، ص ١٤٧، و ص ١٤٨، و ص ١٥٤، و ص ١٥٨؛ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج ١١، ص ٢٢٥؛ المعيار والموازنه للاسكافي: ص ٧٢؛ المصنف لابن أبي شيبه الكوفي: ج ٧، ص ٤٩٥، و ص ٤٩٦، و ص ٤٩٩، و ص ٥٠٣، و ص ٥٠٦؛ جزء ابن عاصم الأصبهاني: ص ١٢٦؛ الآحاد والمثاني للضحاک: ج ٤، ص ٣٢٥؛ كتاب السنه لعمر و بن أبي عاصم: ص ٥٥٢؛ السنن الكبرى للنسائي: ج ٥، ص ٤٥، و ص ١٠٨، و ص ١٣٠، و ص ١٣١، و ص ١٣٢، و ص ١٣٤، و ص ١٣٦؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٥٠، و ص ٦٤؛ مسند أبي يعلى: ج ١، ص ٤٢٩؛ صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ٣٧٦؛ جزء علي بن محمد الحميري: ص ٣٥؛ أمالي المحاملي: ص ٨٧؛ المعجم الأوسط للطبراني: ج ١، ص ٢٤ و ص ٣٢٤، و ص ٣٦٩؛ و ج ٦، ص ٢١٨؛ و ج ٧، ص ٧٠؛ و ج ٨، ص ٢١٣؛ المعجم الصغير

من رتبه إيمانيه وتكاملية ينال بها العبد رضا الله تعالى ويحرز الدرجات العاليه التي أعدها الله لعباده المخلصين.

ولذا:

كان من سابق لطف الله تعالى وشمول رحمته بالطاهره خديجه عليها السلام أن عرض عليها الإمامه قبل فرضها على الامه فى عوده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع إلى المدينه فى غدیر خم.

أما كيف عرض عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الولاية لعلی عليهما السلام فهى كالآتى:

روى السيد ابن طاووس رضى الله عنه عن عيسى بن المستفاد، قال: حدثنى موسى بن جعفر سألت أبى جعفر بن محمد عليهم السلام عن بدء الإسلام كيف أسلم على عليه السلام وكيف أسلمت خديجه رضى الله عنهما فقال لى موسى بن جعفر:

تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه أم والله إنك لتسأل تفقها.

ص: ٢٠٧

قال موسى عليه السلام:

قال لى أبى أنهما - حينما - أسلما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا على ويا خديجه أسلمتما لله وسلمتما له، وقال: إن جبرائيل عندى يدعوكما إلى بيعه الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا.

فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن جبرائيل عندى يقول لكما إن للإسلام شروطا وعهودا ومواثيق فابتدياه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولوا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ملكه، ولم يلد له والد ولم يتخذ صاحبه، إلهها واحدا مخلصا، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أن الله يحيى ويميت، ويرفع ويضع، ويغنى ويفقر، ويفعل ما يشاء، ويبعث من فى القبور.

قالا: شهدنا.

قال وإسباغ الوضوء على المكاره: غسل الوجه واليدين والذراعين ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وغسل الجنابه فى الحر والبرد، وإقام الصلاة وأخذ الزكاه من حلها، ووضعها فى أهلها، وحج البيت، وصوم شهر رمضان والجهاد فى سبيل الله، وبر الوالدين، وصله الرحم، والعدل فى الرعيه، والتقسيم بالسويه، والوقوف عند الشبهه إلى الوصول إلى الامام. فإنه لا شبهه عنده، وطاعه ولى الأمر بعدى، ومعرفته فى حياتى وبعد موتى، والأئمه من بعده واحدا واحدا وموالاه أولياء الله، ومعاداه أعداء

ص: ٢٠٨

الله، والبراءه من الشيطان الرجيم، وحزبه وأشياعه، والبراءه من الأحزاب تيم وعدى وأميه، وأشياعهم وأتباعهم والحياء على ديني وسنتي، ودين وصبي وسنته إلى يوم القيامة، والموت على مثل ذلك وترك شرب الخمر، وملاحاه الناس.

يا خديجه فهمت ما شرط ربك عليك؟ قالت: نعم، وآمنت وصدقت، ورضيت وسلمت.

قال على عليه السلام: وأنا على ذلك.

فقال: يا على تبايعني على ما شرطت عليك؟ قال: نعم.

قال: فبسط رسول الله كفه فوضع كف على عليه السلام في كفه فقال: بايعني يا على على ما شرطت عليك، وأن تمنعني مما تمنع منه نفسك، فبكى على عليه السلام فقال: بأبي وأمي لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اهتديت ورب الكعبه، ورشدت ووفقت، وأرشدك الله يا خديجه، ضعى يدك فوق يد على فبايعي له؛ فبايعت على مثل ما بايع عليه على بن أبى طالب عليه السلام على أنه لا جهاد عليها.

ثم قال: يا خديجه هذا على مولاك ومولى المؤمنين، وإمامهم بعدى. قالت: صدقت يا رسول الله قد بايعته على ما قلت، اشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيدا عليهما(1).

والحديث الشريف فيه مجموعه مسائل منها:

ص: ٢٠٩

١- الطرف لابن طاووس: ص ٤، ط الحيدريه، النجف؛ بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٩٢-٣٩٣؛ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج ١، ص ٢٨٣.

المسأله الأولى: إن الله تعالى يختار لأوليائه تمام النعمه

يعرض القرآن الكريم من خلال سيره الأنبياء والمرسلين عليهم السلام حقيقه اتمام النعمه عليهم، بمعنى: أن الله تعالى كان من سابق رحمته لأوليائه أن يتم نعمته عليهم فيتحنفهم بفضله ويخصهم بلطفه وكرمه وهو سبحانه ذو الفضل العظيم وله المنه والحمد.

ولو تتبعنا هذه الحقيقه لوجدناها تمتد منذ أن اتخذ الله آدم عليه السلام خليفه له على هذه الأرض وإلى يوم ظهور أمر الله، وهذا فضلاً عن نشر لطفه سبحانه عليهم فى عالم الأنوار وعالم الذر.

ففى آدم عليه السلام كان عرض الأسماء عليه سبباً لإتمام النعمه عليه فى التفضيل على الملائكه واسجادهم له وإقرارهم لله بأنهم لا علم لهم إلا ما علمهم الله تعالى.

(قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) ١ .

وحيثما ابتلى فى الجنه وأنزل إلى الأرض كان إتمام النعمه عليه بتلقيه الكلمات التى تاب الله عليه بها فتوسل إلى الله بها، وهى نفسها الأسماء التى سجدت لها الملائكه، وهم محمد وآل محمد فبهذه المعرفه تمت النعمه عليهم.

إلا أن الملاحظ في هذا العرض القرآني أن هذه النعمة أى معرفه محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم مقرونه بالابتلاء مما يدل على أن الشيء الثمين لا ينال إلا بالجهد والاختبار والابتلاء كمن يسعى للحصول على كنز عظيم فهو لا يحصل عليه دون جهد وعناء وحصول الكفاءه.

وفى إبراهيم عليه السلام يتجلى الأمر بوضوح أكبر، بل: يعرض القرآن نعمه الإمامه بأنها سنام نعم الله تعالى على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأن إبراهيم امتاز عن سابقه من المرسلين بأنه وفق لنيلها فلما عرف ما لها من المقام والفضل عند الله تعالى سأله أن يمن بها على ذريته فأقرنها الله تعالى بالعدل، قال تعالى:

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ١ .

وغيرها من الآيات التي تظهر لنا حقيقه إتمام النعمه للأنبياء والمرسلين عليهم السلام حتى إذا وصلنا إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم نجد أن سابغ نعم الله قد أحيطت به فكان وجوده هو النعمه الكبرى التي أوصلت إلى تمام النعمه وهى الإمامه والولاية لعلى وأولاده المعصومين عليهم السلام.

ولقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقه أى أن الولاية لعلى والأئمه من ولده هى تمام النعمه كما جاء ذلك واضحاً جلياً لمن كان له قلب فى قوله تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) ١ .

فهذه التي نزلت بعد إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ولايه على بن أبي طالب وأنه إمام كل المسلمين من بعده صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الحقيقة القرآنية، وهذه الفريضة الإسلامية قد أيقنتها قلوب بعض المسلمين وأنكرتها قلوب أخرى لدرجه أن البعض من المسلمين جاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معترضاً عليه تنصيب على بن أبي طالب إماماً وولياً للمسلمين من بعده.

بل تكشف الرواية أن هذا المعترض وهو الحرث بن النعمان الفهري قد أوصلته حاله البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ينكر على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هذا الفعل مشككاً بما قام به، بل وسائلاً الله تعالى أن ينزل عليه عذاباً من عنده إن كان هذا الفعل من عنده جل شأنه.

روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى:

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) ٢ .

أن سفيان بن عيينه سأل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عن هذه الآية فيمن نزلت ؟

ص: ٢١٢

(فقال عليه السلام:

لقد سألتني عن مسأله ما سألتني أحد قبلك، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آباءه، فقال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال:

من كنت مولاه فعلى مولاه.

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقه له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ملأ من أصحابه فقال:

أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

والذي لا إله إلا هو، هذا من الله.

فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقا فأمطر علينا حجاره من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه:

ص: ٢١٣

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) ١ .

فهذه الحادثة واضحة الدلالة في إتمام النعمة التي اختارها الله تعالى أن تكون في أمته محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت بها خير أمه أخرجت للناس.

وكذلك خديجه عليها السلام فقد اختار الله تعالى لها كما اختار لأوليائه من قبل في إتمام نعمته عليهم ولذلك هبط جبرائيل عليه السلام على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليعرض عليها ولايه على بن أبي طالب والبيعة له بالإمامه من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كي تحظى بما خص الله تعالى عباده المخلصين، ومما يدل عليه ما سنورده في المسأله الآتیه.

ص: ٢١٤

المسأله الثانيه: اعتقاد الرسل والأنبياء بنبوه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع ما بعثوا به من رسالات إلى الأمم

لم يدع القرآن الحقائق دون أن يكشفها لذوى الأبواب لاسيما فيما يخص بالسنن الإلهيه وحركه التاريخ وما انتهت إليه عاقبه الأمم السالفه؛ لأنه بذاك يعطى منهاجاً للأقوام اللاحقه فيهيئها لمعرفه ما تنتهى إليه عواقب الأفعال فى الحياه الدنيا.

والقرآن الكريم يظهر من خلال حياه الأنبياء والمرسلين عن جملة من السنن التى حفت بهم، ومنها اعتقادهم بالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم كانوا مسلمين لله رب العالمين على الرغم من أنهم بعثوا فى أزمان مختلفه وبقاع متعدده وبشرائع محدده، بمعنى لم يكونوا قد بعثوا إلى تلك الأمم بالدين الإسلامى إلا أنهم كانوا يعلنون فى أدعيتهم ومناجاتهم ووصاياها بأنهم مسلمين وأن سيدهم وإمامهم أبو القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل يعطى القرآن صورته أوضح من هذه من خلال عرضه لسيره فرعون فيدل على حقيقه انتشار هذه العقيدته التى آمنت بها الأنبياء والمرسلون بشكل لا يخفى على أحدٍ من أقوامهم وأتباعهم وحتى أعدائهم كما ظهر فى قول فرعون كما سيمر لاحقاً فى عرض الآيات المباركه الآتيه:

١ - يعرض القرآن لنا بأن أول المسلمين قبل خلق آدم عليه السلام هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى:

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) ١ .

فكان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو أول المسلمين.

٢ - وفي نوح تظهر الآية المباركة اعلانه لاعتقاده بإمامه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى:

(وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ٢ .

٣ - ولمعرفة بنى إسرائيل بهذه الحقيقة وانتشارها فيما بينهم كان حال فرعون يدفعه إلى أن يلتجئ إليها لينجو بها من الغرق وهي حقيقة عجيبة؛ إذ حتى فرعون كان يسأل ربه في آخر أمره بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمر بديهي في منهاج الحروب إذ يعتمد الخصم على معرفة حقيقه خصمه وتتبع خطواته والوقوف عند نقاط ضعفه وقوته وطريقه تفكيره.

ص: ٢١٤

ولأن فرعون يعلم أن خصمه مرتبط بالسما فلذا لم يدع هذا الخصم دون أن يدرس حياته وطريقه معاشته للناس وحقيقه دعوته ونقاط قوته ولذا: حينما أدركه الغرق التجأ إلى القوه التي كان يلتجئ إليها موسى ويستمد منها العون والمدد، قال تعالى:

(وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عِدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ١ .

٤ - وفي لوط عليه السلام الذي يصفه القرآن وأهل بيته بأنهم من المسلمين، قال عز وجل:

(فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ٢ .

٥ - وفي وصايا الأنبياء لأبنائهم يعرض القرآن حقيقه ما يعتقد به الأنبياء عن نبوه المصطفى وإمامته صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى:

(وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يُعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ٣ .

ص: ٢١٧

وقال تعالى:

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ١ .

وغيرها من الآيات المباركة التي تظهر حقيقة اعتقاد الأنبياء والمرسلين بنبوه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وإمامته عليهم على الرغم من أنهم بعثوا قبله بقرون عديدة.

والحال يجري مجراه بالنسبة لخديجه الكبرى عليها السلام في عرض إمامه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام عليها قبل أن ينزل الأمر الإلهي في الرجوع من حجة الوداع في غدير خم؛ والحكمة في ذلك هو أن الله تعالى اختار لعباده المخلصين أن يكونوا ممن يحرزون المراتب العاليه وينالون المنازل العظيمه في الآخرة وأن تكون مراتبهم الأخرويه ترتكز على ما اختاره الله لهم من سابق العناية واللفظ مع وجود الاختيار في القبول والرفض.

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٢ .

إلا أنهم كانوا أهلاً لما خصهم الله به من لطف وعنايه.

فهذه خديجه عليها السلام يعرض عليها النبي الأكرم إمامه على بن أبي طالب وولايته فتقبلها وتبايعه على ذلك لتنال بذلك ما أعد الله لأولياته.

ص: ٢١٨

ولذلك نراها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال لها:

يا خديجه هذا على مولاك ومولى المؤمنين وإمامهم بعدى.

قالت:

صدقت يا رسول الله، قد بايعته على ما قلت، أشهد الله وأشهدك بذلك، وكفى بالله شهيداً وعليما.

المسألة الثالثة: سنة الابتلاء بحب على عليه السلام سنة قرآنية

لا يكاد يخفى على جميع المسلمين مع اختلاف مشاربهم الفقهية واعتقاداتهم القلبية أن الابتلاء من السنن التي صرح بها القرآن الكريم فى جملة من الآيات المحكمات.

١ - قال تعالى:

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ١).

فكان ابتلاء آدم عليه السلام بالشجرة، وابتلى نوح بقومه حتى لبث فيهم:

ص: ٢١٩

(أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) ١ .

وابتلى إبراهيم بالكلمات فأتمهن الله إليه:

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) ٢ .

وابتلى قوم داود بالنهر، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) ٣ .

وتختلف الحكمة في الابتلاءات، فالتى ذكرنا شواهدا من القرآن الكريم المتمثلة في ابتلاء آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم السلام إنما كانت لتمايزهم عن غيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والذين عرفوا بهذه الابتلاءات بأنهم (أولو العزم)؛ ولقد ابتلى المصطفى بأشد مما ابتلوا به ولذا نجد أن الله سبحانه يهون عليه ما نزل به ويوصيه بالصبر.

قال تعالى:

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) ٤ .

ص: ٢٢٠

فى حىن نرى أن الحكمه فى الابتلاءات لى غير الأنبياء مختلفه فبعض الأمم ابتليت بالتكاليف الشرعيه وبعضها ابتليت بغضب الله تعالى حينما انتهكت حدود شرعه كقوم صالح عليه السلام فقد ابتلاههم الله بحفظ الناقه وفصيلها فكانت النتيجة أنهم عقروها، قال تعالى:

(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا) ١ .

وقوم داود ابتلاههم الله بالنهر كما أسلفنا وابتلى قوم موسى بباب حطه، قال تعالى:

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ٢ .

وابتلى هذه الامه بحب على بن أبى طالب عليه السلام وأولاده المعصومين؛ قال تعالى:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٣ .

والحكمة فى ذلك هو أن المنافق لا يتجرأ أمام الناس بعدم حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو بذاك يكون قد جاهر بكفره وافتضح بنفاقه، ولذا: كان ديدن المنافق هو إظهار حب رسول الله والإيمان بدينه، بينما يعمل سراً وعلناً على إيذاء أهل بيته وخاصته، قال تعالى:

(لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ) ١ .

ومن هنا:

لم يكن من سبيل - كما جرت به حكمه الله فى الأمم السابقة - لافتتان هذه الامه واختبارها وابتلائها إلا من خلال حب على بن أبى طالب عليه السلام، وهو ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبى طالب عليه السلام:

لا يحببك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق(١).

أما لماذا بحب على بن أبى طالب فهذا أمر مرده إلى جاعله وهو الله تعالى:

(لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ) ٣ .

ص: ٢٢٢

١- كنز العمال للمتقى الهنذى: ج ١١، ص ٦٢٢، ح ٣٣٠٢٨؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ٤، ص ٨٣؛ كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمى الشيرازى: ص ٤٦٥؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ٢٩، ص ٦٤٥، ح ٦٧.

فالثابت فى حركة الأمم السالفه أنها جميعاً ابتليت وافتتنت بأمر عده كباب حطه بنى إسرائيل، ونهر داود، وناقه صالح وغيرها.

وفى ذلك يقول الإمام على عليه السلام:

(«أيها الناس إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يتليكم وقد قال جل من قائل:

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (١،٢).

فكان من ابتلائه سبحانه لهذه الامه أن ابتلاها بحب على بن أبى طالب عليه السلام ليهلك من يهلك عن بيته ويحيا من حى عن بيته وكان مما ابتلى به شيعه على وأتباعه أن ابتلاهم بالنواصب وأشياهم وأتباعهم سنه الله التى قد خلت فى الصالحين.

ولذلك: كان الأئمه المعصومون يوصون أشياهم بالصبر والاحتساب والإحسان حتى يأتى الله بالفرج.

روى الكلينى رحمه الله عن الصادق عليه السلام (أنه بعث برسالة لأصحابه مما جاء فيها:

فأتقوا الله أيتها العصابة الناجيه إن أتم الله لكم ما أعطاكم به فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذى دخل على الصالحين قبلكم وحتى تبتلوا فى أنفسكم وأموالكم وحتى

تسمعوا من أعداء الله أذى كثيرا فتصبروا وتعركوا بجنوبكم وحتى

يستذلوكم ويغضوكم وحتى يحملوا (عليكم) الضيم فتحملوا منهم تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل يجترمونه إليكم وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه ويغضوكم عليه فتصبروا على ذلك منهم ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل عليه السلام على نبيكم صلى الله عليه وآله - وسلم - سمعتم قول الله عز وجل لنبيكم صلى الله عليه وآله - وسلم -:

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) ١ .

ثم قال:

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) ٢ .

(فَصَبِّرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا) ٣ .

فقد كذب نبي الله والرسول من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق فإن سرکم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل - أصل الخلق - من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين سماهم الله في كتابه في قوله:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) ٤ .

ص: ٢٢٤

فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه فاستوجب سخط الله فأكبه الله على وجهه في النار(١).

ولذا: كان لابد من أن تمتحن وتبتلى خديجه الكبرى بوصفها من هذه الامه بما قدر الله تعالى عليها من الابتلاء بحب على بن أبى طالب فتدور فى فلك الموده والموالاه أو - والعياذ بالله - بالبغض والمعاداه فكانت بحق جديره بما عرض عليها من الموالاه والاتباع والبيعه لعلى والأئمه من بعده غير شاكه بما قدر الله تعالى على هذه الامه وفرض عليها من فريضه الموده للعترة عليهم السلام، فسلام عليها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعت حيا، وكيف لا تكون كذلك وقد خصها الله بسلامه.

المبحث الخامس: منزله خديجه فى المحشر

اشاره

يعد يوم المحشر من الحقائق الغيبية التى أخبر عنها القرآن الكريم فى عدد من الآيات الكريمة كما أشارت إليها الأحاديث الشريفه ولخصوصيه هذا اليوم وما يجرى فيه من أحداث عظيمه ومواقف مهوله فقد خصه البارى جل شأنه بسوره سميت بسوره الحشر.

أما بعض أحداث هذا اليوم فيعرضها القرآن كالاتى:

١ - قال تعالى:

ص: ٢٢٥

١- الكافى للشيخ الكلينى: ج ٨، ص ٥.

(وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ) ١ .

٢ - وقال تعالى:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) ٢ .

٣ - وقال سبحانه وتعالى:

(وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) ٣ .

٤ - وقال عز وجل:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) ٤ .

٥ - وقال تعالى:

(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شِرْكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ٥ .

ص: ٢٢٦

٦ - وقال سبحانه وتعالى:

(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَرْيَلُنَا فِيهِمْ وَ قَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) ١.

٧ - وقال عز وجل:

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (١٠٦) وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ٢.

٨ - وقال تعالى:

(وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) ٣.

٩ - قال الله تبارك وتعالى:

(وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) (١٣) اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) ٤.

١٠ - وقال سبحانه وتعالى:

ص: ٢٢٧

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١ .

وغيرها من الآيات الكريمة التي تظهر صوراً عديدة مما يجرى في يوم الحشر، ولقد تناول المفسرون هذه الآيات وغيرها مما يتعلق بهذا اليوم ببيانات تكشف للقارئ دلالة هذه الآيات وتكون لديه معرفه عن هذا اليوم العظيم.

المسأله الأولى: ما هو الحشر؟

قال تعالى مخاطباً النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في بيان أمر الخلائق حينما يأتي أمره سبحانه لها بالخروج من القبور والوقوف بين يديه للحساب.

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمَاصِرُونَ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) ٢ .

قال الشيخ الطوسي في التبيان: (قرأ ابن كثير (يوم تشقق) مشدده الشين على معنى تشقق وحذف إحدى التاءين: والتشقق التفطير).

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله - وسلم - والمراد به جميع المكلفين:

(وَاسْتَمِعْ) .

ص: ٢٢٨

أى أصغ إلى النداء وتوقعه.

(يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) .

فالنداء الدعاء بطريقه يا فلان، وكأن الناس يدعون فيقال لهم: يا معشر الناس قوموا إلى الموقف للجزاء والحساب، وقيل: ينادى المنادى من الصخره التى فى بيت المقدس، فلذلك قال:

(مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) .

فيقول: يا أيها العظام الباليه قومى لفصل القضاء وما أعد من الجزاء - فى قول قتاده - (من مكان قريب) أى يسمع الخلق كلهم على حد واحد، فلا يخفى على أحد لا قريب ولا بعيد وقوله:

(يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) .

فالصيحه المره الواحده من الصوت الشديد ونقيضها الخده تقول صاح يصيح صياحا وصيحه، فهو صائح، وتصايح وتصايحوا فى الامر تصايحا، وصيح تصيحا وصايحه مصايحه، وهذه الصيحه هى النفخه الثانيه للحشر إلى أرض الموقف

(ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) .

وقوله:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمُصِيرُ) .

إخبار منه تعالى عن نفسه بأنه هو الذى يحيى الخلق بعد ان كانوا جمادا

أمواتا، ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة وإلى الله يصيرون ويرجعون يوم القيامة:

(يَوْمَ تَشْتَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) .

أى أينما المصير فى اليوم الذى تشقق الأرض عن الأموات (سراعا) أى بسرعه لا تأخير فيها ثم قال:

(ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) .

أى سهل علينا غير شاق، والحشر الجمع بالسوق من كل جهه(١).

ويظهر مما سبق أن معنى الحشر هو خروج الأرواح من القبور وجمعها إلى ساحه الحساب لعرض الأعمال عليها والمحاسبه وغير ذلك.

وقد ذهب اللغويون إلى أن الحشر غير الجمع وأن بينهما فرقاً؛ وذلك: (إن الحشر هو الجمع مع السوق، والشاهد قوله تعالى:

(قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) ٢ .

أى: أبعث من يجمع السحره ويسوقهم إليك ومنه يوم الحشر لان الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف، وقال صاحب المفصل: لا يكون الحشر إلا فى المكروه، وليس كما قال لان الله تعالى يقول:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) ٣ .

ص: ٢٣٠

١- التبيان فى تفسير القرآن للشيخ الطوسى: ج ٩، ص ٣٧٥-٣٧٦.

وتقول القياس جمع بين مشتبهين يدل الأول على صحه الثانى ولا يقال فى ذلك حشر وإنما يقال الحشر فيما يصح فيه السوق على ما ذكرنا وأقل الجمع عند شيوخنا ثلاثه، وكذلك هو عند الفقهاء، وقال بعضهم اثنان واحتج بأنه مشتق من اجتماع شىء إلى شىء وهذا وإن كان صحيحا فإنه قد خص به شىء بعينه، كما أن قولنا دابه وإن كان يوجب اشتقاقه إن جرى على كل ما دب فإنه قد خص به شىء بعينه فأما قوله عليه الصلاه والسلام

الاثنان فما فوقهما جماعه.

فان ذلك ورد فى الحكم لا فى تعليم الاسم لان كلامه صلى الله عليه - وآله - وسلم يجب أن يحمل على ما يستفاد من جهته دون ما يصح أن يعلم من جهته، وأما قوله تعالى:

(هَذَانِ خَضَمَانٍ اخْتَصَمُوا) ١ .

وقوله تعالى:

(وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) ٢ .

يعنى داود وسليمان عليهما السلام فإن ذلك مجاز كقوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ٣ .

ولو كان لفظ الجمع حقيقه فى الاثنين لعقل منه الاثنان كما يعقل منه

ص: ٢٣١

الثلاثون، وإذا كان قول الرجل رأيت الرجال لا يفهم منه إلا ثلاثة علمنا أن قول الخصم باطل.

الفرق بين الحشر والنشر: الحشر لغه، إخراج الجماعه عن مقرهم، وإزعاجهم، وسوقهم إلى الحرب، ونحوها، ثم خص في عرف الشرع عند الاطلاق بإخراج الموتى عن قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء.

قال الراغب: لا يقال الحشر إلا للجماعه، قلت: هذا في أصل اللغه وإلا فقد يستعمل في الواحد والاثنين.

ومنه دعاء الصحيفه الشريفه: (وارحمنى فى حشرى ونشرى).

والنشر إحياء الميت بعد موته، ومنه قوله تعالى

(ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ) ١.

أى أحياءه(١).

المسأله الثانيه: فى أول من يحشر

اشاره

حينما يعرض القرآن صورته حشر الخلائق إلى يوم الحساب وكيفيه خروجهم إليه جل شأنه والذى وصفه بقوله:

(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) ٣.

ص: ٢٣٢

فإن هذا الخروج - وحسبما صرح به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - يشتمل على تفاضل فيما بين هذه الخلائق، وهذه جملة من الأحاديث النبويه الشريفه:

أولاً: روى الصدوق بسنده عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

يا علي إني سألت ربي فيك خمس خصال فأعطاني، أما أولها فسألت ربي أن أكون أول من تنشق عنه الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، والثانيه فسألت ربي أن يقضى عند كفه الميزان وأنت معي فأعطاني، وأما الثالثه فسألت ربي أن تكون حامل لوائي وهو لواء الله الأ-كبر مكتوب عليه المفلحون هم الفائزون بالجنه فأعطاني، وأما الرابعه فسألت ربي أن تسقى أمتي من حوضي بيدك فأعطاني، وأما الخامسه فسألت ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنه فأعطاني فالحمد لله الذي منّ عليّ بذلك(١).

ثانياً: روى السيد ابن طاووس رحمه الله عن أبي مسلم محمد بن محمد الطالقاني عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

يا أبا الحسن، كلم الشمس فإنها تكلمك.

ص: ٢٣٣

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٣٣، ح ٣٥؛ الخصال للشيخ المفيد: ص ٣١٤؛ البحار للمجلسي: ج ٨، ص ٤؛ المناقب للخوارزمي: ص ٢٩٣.

قال على عليه السلام:

السلام عليك أيها العبد المطيع لله.

فقال الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين يا على، أنت وشيعتك في الجنة، يا على، أول من تشق عنه الأرض محمد ثم أنت وأول من يحيى محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت.

ثم انكب على عليه السلام ساجداً وعيناه تذرغان بالدموع، فانكب عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فقال:

يا أخي وحببي، رفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سموات(١).

ثالثاً: روى أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر(٢).

رابعاً: روى الترمذى عن أبي هريره قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ٢٣٤

١- اليقين للسيد ابن طاووس: ص ١٦٤؛ العقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمى: ص ٨٠؛ كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمى الشيرازى: ص ٥٨؛ مدينه المعاجز للسيد هاشم البحرانى: ج ١، ص ٢٢٤؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج ٤١، ص ١٦٩.

٢- مسند أحمد بن حنبل، من مسند أبي سعيد الخدري: ج ٣، ص ٢.

أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحله من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (١).

خامساً: روى الطبرسى فى الاحتجاج: (أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: ابعث إلى الحسن بن على فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيه به فى كل محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفنى فأنا الذى يعرف، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على بن أبى طالب، ابن عم نبى الله، أول المسلمين إسلاماً، وأمى فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله - وسلم -، وجدى محمد بن عبد الله نبى الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمه للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين.

فقطع عليه معاوية فقال: يا أبا محمد خلنا من هذا وحدثنا فى نعت الرطب أراد بذلك تخجيله، فقال الحسن عليه السلام:

نعم التمر، الريح تنفخه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه.

ثم أقبل الحسن عليه السلام، فرجع فى كلامه الأول فقال:

«أنا ابن مستجاب الدعوه أنا ابن الشفيح المطاع، أنا ابن أول من

ص: ٢٣٥

١- سنن الترمذى: ج ٥، ص ٢٤٦.

ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحل له المغنم ونصر بالرعب من مسيره شهر».

فأكثر في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاويه، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ثم نزل، فقال له معاويه: أما إنك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفه، ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام:

أما الخليفه فمن سار بسيره رسول الله صلى الله عليه وآله - وسلم -، وعمل بطاعه الله عز وجل، وليس الخليفه من سار بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أما وأبا، وعباد الله خولا، وماله دولا، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكا فتمتع منه قليلا، وكان قد انقطع عنه، فأتحم لذته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى:

(وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَرَمَتْكُمْ إِلَى حِينٍ) ١ .

(ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) ٢ .

(مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ) ٣ .

وأومى بيده إلى معاويه، ثم قام فانصرف.

ص: ٢٣٦

فقال معاوية لعمر: والله ما أردت إلا شينى حين أمرتنى بما أمرتنى، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحدا مثلى فى حسب ولا غيره، حتى قال الحسن ما قال، قال عمرو: وهذا شىء لا يستطاع دفنه، ولا- تغييره، لشهرته فى الناس، واتصاحه، فسكت معاوية(١).

فهذه الأحاديث الشريفه تدل على وجود حاله التفاضل فى خروج الأبدان من القبور وحشرها فى ساحه المحشر، وأن هذا التفاضل فيما بينها يعود إلى حكمه خاصه يمكن الوقوف عندها من خلال الأمور الآتية:

أولاً: معرفه الله تعالى

إن سرعه التلبيه لأمر الله تعالى دافعها الطاعه والشوق لله سبحانه وتعالى؛ إذ كلما تعاضم المولى فى نظر العبد وتيقن من جلاله شأنه كلما زاد خوفه من مولاه واستجابته له وتلبيته لأمره؛ وفضلاً عن هذه الحاله كان قلب العارف تلازمه أيضاً حاله الحب للمولى جل شأنه، بل امتلاك حب المولى لقلب العبد؛ وهذه الحاله المتضاده، أى الخوف والجلاله والهيبه والشوق والرفعه والرغبه لا تجتمع فى قلب واحد إلا حينما يكون هذا القلب قد عرف ربه حق معرفته وهذا ما لا يمكن تحقيقه إلا فى قلب الحبيب المختار والمجتبى على سائر ما خلق الله تعالى أبى القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يليه فى ذلك من حظى بأقل من هذه الرتبه بدرجه وهو وصيه وخليفته فى أمته الإمام على بن أبى طالب كما دلت عليه النصوص

ص: ٢٣٧

النبويه الشريفه الكاشفه عن سمو هذه المقامات والداله على التلازم القرآنى والنبوى فيما بينها.

ففى الوقت الذى يصرح القرآن الكريم ويكشف عن مقام النبوه والإمامه ويظهر حاله التلازم السنخى بينهما لأنهما من مصدر واحد وهو الله تعالى فى قوله سبحانه:

(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) ١ .

ففى هذا الوقت يدل القرآن أيضا على أن التفاوت والتفاضل فى هذا الخروج للحشر قائم على تفاوت الخلق فى الاعتقاد بالله تعالى، وأنه قائم على أساس شرعى لأن مصدره واحد وهو الله تعالى.

بمعنى لا- يكون هذا التفاوت فى التلييه للخروج للحشر قائماً على فراغ وإنما على أطوع الناس لله رب العالمين وما جاء فى المستدرك للحاكم حيث روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

أول من تنشق عنه الأرض أنا ثم أبو بكر ثم عمر(١).

لا أساس له من الصحه، ولو عدَّ للبخارى ومسلم من فضائل فإن منها عدم إخراجهما لهذا الحديث الذى لو عرض على القرآن الكريم لما وجد له شاهد يدل عليه أو يعاضده، ولا نعلم ما هى الأسس التى من أجلها يكون أبو

ص: ٢٣٨

١- المستدرك على الصحيحين للنيسابورى: ج ٣، ص ٦٨.

بكر وعمر قد استحقا هذا الإسراع فى الخروج، بل يلزم هذا الإسراع استحصال رتبه دون رتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما ليس له شاهد فى القرآن كما كان لعلى بن أبى طالب عليه السلام من الشواهد القرآنيه الكثيره.

وعليه:

يلزم أن يكون المراد من هذا الإسراع فى الخروج إلى الحشر يرتكز إلى ما أسلفنا وهو معرفه الله حق معرفته.

ثانياً: الإسراع يكون للسيديه

اشاره

بمعنى لو أراد رب العمل أو السلطان أن يعطى أجراً لمن أحسن عملاً من رعيته أو يعاقب من أساء منهم فلا بد قبل ذلك أن يستدعى أسياد هؤلاء الرعيه كالوزراء والمدراء وغيرهم؛ ومن هنا سمى الوزير: وزيراً لأنه يحمل وزر غيره فهو مسؤول عنهم.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هؤلاء الأسياد أو الأئمه للعباد بقوله:

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) ١ .

وأن هؤلاء الأئمه سيقفون للسؤال لقوله:

(وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) ٢ .

فى حين عبّر عن مقام السيديه الذى يقتضى التليه قبل العباد فى قوله تعالى

ص: ٢٣٩

وهو يخاطب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) ١ .

فهذا الأمر الإلهي يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من يسمع هذا النداء الإلهي، كما أن وصول هذا الصوت إليه قبل الخلائق على الرغم من أن النفخة في الصور تكون في آن واحد يعود إلى جملة من الأمور منها:

ألف: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مقدم من حيث الخلق الأول

إما أنه مقدم من حيث الخلق الأول، بمعنى أنه أول من خلقه الله فيكون وصول الصوت إليه قبل الخلق بسبب هذا التقدم في النشأة والتكوين بدلاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر(١).

باء: مقام سيديه يقتضى السبق في وصول النداء الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

وإما أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي عند ربه تعالى فهو سيد الشهداء الذين وصفهم القرآن بأنهم:

(أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ٣ .

ص: ٢٤٠

ولذا فهو مقدم على غيره من الخلق بلحاظ أنهم أموات والشهداء أحياء.

وهذا يلزم التساوى فى سماع الصيحه وهو مردود، لأن الخطاب له وحده صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى أن مقام السيديه يقتضى السبق فى وصول النداء الإلهى.

جيم: مناقشه قول العلامة الطباطبائى (قدس)، فى معنى: فاستمع، أى فانتظر

وإما أن هذا السبق فى الاستماع محمول على السبق فى الانتظار كما ذهب إليه العلامة الطباطبائى (قدس سره) حيث يرى أن دلالة (فاستمع) أى: (فانتظر، و (يوم ينادى المناد) مفعوله، والمعنى: وانتظر يوم ينادى فيه المنادى ملقياً مسمعك لاستماع نداءه، والمراد ببناء المنادى نفع صاحب الصور فى الصور على ما تفيد الآيه التالیه.

وكون النداء من مكان قريب لإحاطته بهم فيقع فى سمعهم على نسبه سواء لا تختلف بالقرب والبعد فإنما هو نداء البعث وكلمه الحياه(۱).

وهذا يلزم وجود خلق غير النبى صلى الله عليه وآله وسلم منتظرين (فيقع فى سمعهم على نسبه سواء لا- تختلف بالقرب والبعد فإنما هو نداء البعث وكلمه الحياه) وهنا لا شأنیه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مردود، فضلاً عن أن الميت لا يقال له انتظر الصيحه فالسمع والاستماع من لوازم الأحياء.

ص: ۲۴۱

۱- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج ۱۸، ص ۳۵۹.

فإذا قيل المراد من ذلك الروح، قلنا: ظاهر الحديث الشريف يدل على أن الأرض تشقق عن الأبدان لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنا أول من تشقق عنه الأرض.

ولذا يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم حياً ينتظر الصيحه، مع مقام السديده التي حُصَّ بها على الخلق، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر(١).

ثالثاً: الإسراع فى الخروج من القبر يكون لمقام الشاهديه

من الصفات التي خص الله بها حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مقام الشاهديه على الأمم السابقيه، قال تعالى:

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً) ٢ .

والشاهديه التي خص الله بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلزم أن يكون النبي الأعظم حاضراً فى هذه الأمم يرى أعمال شهدائها أى أنبيائها وهذه الحاله إما أن تكون تستند إلى التقدم فى الخلق كما أسلفنا؛ وإما أن الله سبحانه عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعمال هؤلاء الشهداء الذين

ص: ٢٤٢

١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٢.

كانوا فى جميع الأمم التى خلقها ليرى سيرهم وكيف أدوا عن الله تعالى أوامره ونهيه، لغرض إبلاغ الحجة عليهم يوم الحساب.

ومن الطبيعى أن يكون اختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الشاهديه يستند إلى أنه سيدهم وأفضلهم بل وأعرفهم بأحكام الله وشرعه وإلا- كيف يتحقق الإشهاد وهو لم يكن محيطاً بجميع ما كلفوا به، كما يقتضى هذا المقام أن يكون هؤلاء الشهود الذين كانوا على الأمم التى خلقها الله عارفين بمقامه صلى الله عليه وآله وسلم وأنه الشاهد عليهم، ومثاله كمن دخل إلى قاعه الامتحان والاختبار فيما درس وتعلم لأخذ درجه فى ماده من المواد أن يكون عارفاً بمدرس الماده فضلاً عن كونه مراقباً وشاهداً عليه.

وإلا يسقط الاحتجاج يوم القيامه فضلاً عن النكران من البعض عند إحضار الشهود، أو الأئمه أو المراقبين أو الأساتذه والجميع يؤدون نفس الغرض الاحتجاجى.

وعليه:

فإنّ هذا التفاضل فى الخروج من القبر يرجع إلى هذه الأمور وغيرها والله العالم وهو العزيز الحكيم، إلا أنّ الذى نصبو إليه فيما قدّمنا أن الله تعالى حينما جعل تفاضلاً فى خروج الأبدان من القبور فإنه سيجعل هذا التفاضل فى يوم المحشر بأكبر مراتبه إذ الخلائق بين يديه مجموعته ولرحمته ملتمسه ولعدله وقصاصه من الظالمين سائله.

وأن منزله السيده خديجه الكبرى سلام الله عليها فى هذا اليوم العظيم

ص: ٢٤٣

الذى تبيض فيه وجوه وتسود أخرى، فتساقط فيه الأقنعة وتتطاير فيه الصحف ويفتضح فيه الظالمون ويخزي المنافقون حينما بدا لهم أمر الله الملك الجبار، وفي نفس الوقت ينظرون إلى أولياء الله تعالى كيف يجللهم الله بلطفه ويكسوهم بنوره، وهو القائل جل شأنه مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن حال أوليائه وأعدائه فى المحشر:

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمْ الْآمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ١ .

المسألة الثالثة: شرافه منزله خديجه عليها السلام يوم المحشر

إشاره

يمكن لنا التعرف على شرافه منزله خديجه عليها السلام فى يوم المحشر من خلال الروايه التى أخرجها فرات الكوفى فى تفسيره عن ابن عباس قال: (سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يقول:

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على فاطمه عليها السلام وهي حزينة.

فقال لها: ما حزنك يا بنيه؟، قالت: يا أبة ذكرت المحشر ووقوف الناس عراه يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

يا بنيه إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال: أول من تنشق (ينشق) عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثم أبى إبراهيم، ثم بعلك على بن أبى طالب عليه السلام.

ثم يبعث الله إليك جبرئيل فى سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمه ابنة محمد قومي إلى محشرك فتقومين آمنه روعتك، مستوره عورتك، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسيتها، ويأتيك روفائيل بنجيه من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفه من ذهب فتركيها، ويقود روفائيل بزمامها وبين يديك سبعون ألف ملك بأيديهم ألويه التسيح، فإذا جدّ بك السير استقبلتك (استقبلك) سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليك بيد كل واحد منهن مجمره من نور يسطع (تسطع) منها ریح العود من غير نار، وعليهن أكاليل الجواهر مرصع بالزبرجد الأخضر فيسرن عن يمينك، فإذا مثل الذى سرت من قبرك إلى أن لقيتك استقبلتك مريم بنت عمران فى مثل من معك من الحور فتسلم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثم استقبلتك أمك خديجه بنت خويلد أول

المؤمنات بالله ورسوله (برسوله) ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوته التكبير فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء في سبعين ألف حوراء ومعها آسياه بنت مزاحم فتسير هي ومن معها معك فإذا توسطت الجمع وذلك أن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوى بهم الأقدام.

ثم ينادى مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمه الصديقه ابنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معها، فلا ينظر إليك يومئذ إلا إبراهيم خليل الرحمان صلوات الله وسلامه عليه وعلى بن أبي طالب عليه السلام، ويطلب آدم حواء فيراها مع أمك خديجه أمامك ثم ينصب لك منبر من نور (النور) فيه سبع مراق (مرقاه) بين المرقاه إلى المرقاه صفوف الملائكه بأيديهم ألوته النور، وتصطف الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منك (معك) عن يسارك حواء وآسياه بنت مزاحم، فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل عليه السلام فيقول (فقال) لك: يا فاطمه سلى حاجتك، فتقولين: يا رب أرني الحسن والحسين فيأتياك وأوداج الحسين تشخب دما وهو يقول: يا رب خذلى اليوم حتى ممن ظلمنى، فيغضب عند ذلك الجليل ويغضب (تغضب) لغضبه جهنم والملائكه أجمعون فتزفر جهنم عند ذلك زفره ثم يخرج فوج من النار فيلتقط (ويلتقط) قتله الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم.

يقولون: يا رب إنا لم نحضر الحسين عليه السلام فيقول الله

لزيانته جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقه الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم فى الدرك الأسفل من النار فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسين من آباءهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه، فسمع شهيقهم فى جهنم.

والحديث يشتمل على مجموعه من المسائل منها:

أولاً: الحكمه فى خروج فاطمه عليها السلام من قبرها ضمن تشرىفات ملكوتيه

تكشف الروايه الشريفه عن اختصاص فاطمه عليها السلام بتشرىفات خاصه بأمر الله تعالى عند خروجها من قبرها وذهابها إلى ساحه المحشر؛ هذه التشرىفات هى فى الحقيقه ليست فقط عنواناً للتفضيل على غيرها من الخلق، بل عنواناً لإظهار قدرها أمام الخلائق؛ هذا القدر الذى تم تجاهله من الناس بشكل كبير أدى إلى استئان ظلمها بل والتجاهر بذلك، إن لم يكن عند المنافقين من الواجبات التى أوجبها على أنفسهم ضمن شريعتهم الخاصه بهم.

ويكفى من ذلك بياناً يدل على حقيقه استئان ظلمها منذ أن فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا خروج نعشها فى الليل ودفنها سرا فلم يشهدها أحد من الصحابه سواء أكانوا من المهاجرين أم الأنصار؛ إذ لم يكن معها سوى زوجها أمير المؤمنين على بن أبى طالب وولديها الحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين، ولا يعلم موضع قبرها أحد من المسلمين.

ولذلك:

شاء الله أن يجزيها على ما صبرت واحتسبت فيجعل هذا النعش الذى دفن فى الليل سراً ولم يشهده أحد وكأنها من الأعاجم الذين لا شأن لهم ولا

ص: ٢٤٧

قدر لديهم عند العرب، أن يكون حالها عند الخروج بهذا التشریف والتعظيم وليشهده جميع الخلائق والأمم؛ إذ مثلما يكون حال الزعماء والملوك والعظماء والوجهاء مشهوداً لهم في خروجهم من الدنيا بتشيع يليق بمنزلتهم ويتناسب مع شأنهم كذلك سيكون حال فاطمه عليها السلام عند خروجها من قبرها وشتان بين تشریفات الدنيا وتشریفات الآخرة.

ولذا: كان حالها عند خروجها من القبر قد اختلف بشكل يدل على حقيقه قدرها ومنزلتها وشأنها عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فكيف بمن تأتي الله وهي قلب حبيبه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن: تدلل هذه الروايه الشريفه على هذه التشریفات الملكوتيه الخاصه بخروج فاطمه من قبرها لهذه العله، وإلا لم نجد روايه واحده تكشف لنا عن مثل هذه التشریفات حتى عند خروج سيد الخلق أجمعين من قبره.

ثانياً: إظهار منزله خديجه في المحشر من خلال استقبالها لفاطمه عليها السلام

هذه المسأله تحتاج إلى تأمل خاص ونسأل الله أن يمن علينا بلطفه؛ إذ إن استقبال خديجه الكبرى عليها السلام لفاطمه صلوات الله عليها كان يقتضى أن تكون خديجه عليها السلام أسبق في الخروج من قبرها وحضورها في ساحه المحشر كي تتمكن من استقبال فاطمه عليها السلام؛ بل قد أفادت الروايه أن مريم وحواء وآسيه كن في استقبال فاطمه في حين نرى أن الروايه كانت قد أشارت إلى تسلسل الخروج من القبور كما هو واضح في صدر الروايه؛ قال

صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام:

يا بنيه إنه ليوم عظيم ولكن قد أخبرنى جبرائيل عن الله عز وجل أنه قال: أول من ينشق عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثم أبى إبراهيم، ثم بعلك على بن أبى طالب، ثم يبعث الله إليك جبرائيل فى سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب..... الخ الحديث.

فالظاهر فى عرض الروايه أن هذه المدّه الزمنيه التى يقوم فيها الملائكه باستقبال فاطمه من قبرها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

فتقومين آمنه روعتك مستوره عورتك فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها ويأتيتك روفائيل بنجيه من نور زمامها من لؤلؤ رطب عليها مخصه من ذهب فتركبينها ويوقد روفائيل بزمامها وبين يديك سبعون ألف ملك بأيديهم ألويه التسييح فإذا جد بك السير.

هذه المراسيم والتشريفات سيكون لها مدّه زمنيه لا- يعلمها إلا الله تعالى إلا أنها تكون مرحله فاصله بين خروج فاطمه عليها السلام من قبرها بعد ابن عمها على بن أبى طالب عليه السلام وبين وصولها بهذا الموكب المهيب إلى ساحه المحشر، وإنه فى هذه المدّه الزمنيه سيكون خروج مريم وآسيه وحواء وخديجه عليهن السلام، ليكنّ فى استقبال فاطمه صلوات الله وسلامه عليها.

وإلا يمكن أن يتم الأمر بقوله (كن فيكن) بدون أن يكون هناك مدّه زمنيه تستغرق اكتمال هذه المراسيم والتشريفات الملكوتيه التى تتخللها خروج سيدات نساء الجنه ليكنّ فى استقبال سيدتهن فاطمه بصفتها صاحبه المنزل الخاصه فى سيديتها على نساء العالمين كما هو ثابت فى النصوص، وهذا أولاً.

ثانياً: اختصاص فاطمه بألوية التسييح له علاقه بنوع تعبدها لله رب العالمين لاسيما تسييحها الذي علمها به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي تضافرت الروايات في فضله وشأنه عند الله تعالى.

فضلاً عن أن القرآن الكريم يعطى عنواناً لعباده الخلق في القرآن الكريم ب (التسييح) قال تعالى:

١- (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) ١ .

اختصاص أهل البيت عليهم السلام بالتسييح في قوله تعالى:

٢- (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) ٢ .

٣- (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) ٣ .

بل نجد أن القرآن الكريم يأمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالتسييح، فقال عز وجل:

٤- (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ٤ .

٥- (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ
١٠).

٦- (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢٠).

أما ما ورد في تسييح فاطمه الزهراء عليها السلام من الروايات الشريفة عن العتره صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهي أكثر من أن تذكر في هذا المجال، ولكن نكتفي بذكر روايه واحده فإنها داله على عظم هذا التسييح عند الله تعالى واندراج التسييح في فلكه الدلالي؛ فقد روى الكليني رحمه الله عن زراره بن أعين رضى الله تعالى عنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

تسييح فاطمه الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذى قال الله عز وجل:

(اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) ٣ (١).

وعليه: فحمل الملائكه لألويه التسييح عند قدومها إلى ساحه المحشر مع فاطمه عليها السلام فى تلك القافله إنما هو لارتباطها بنواه التسييح الذى عرض له القرآن الكريم فى جملة من الآيات الكريمة.

ص: ٢٥١

١- الكافي للكليني: ج ٢، ص ٥٠٠، باب أن الصاعقه لا تصيب الذاکر.

ثالثاً: اختصاص خديجه عليها السلام بألويه التكبير فى ساحه المحشر كاشف عن شرافه منزلتها

تظهر الروايه الشريفه منزله خديجه عليها السلام فى ساحه المحشر من خلال إحاطتها بسبعين ألف ملك يحملون ألويه التكبير وهى تقبل لتستقبل ابنتها فاطمه عليها السلام بكينونه أنها سيده نساء العالمين.

علماً: أن منزله الأمومه فى هذا التشريف لا تتعارض مع منزله الشأنيه التقوائيه التى اختصت بها فاطمه عليها السلام بلحاظ قوله تعالى:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ١ .

فحالها هنا حال على بن أبى طالب عليه السلام مع أمه فاطمه بنت أسد فضلاً عن أن القرآن الكريم يقدم صورته خاصه تتحدث عن الشأنيه والخصوصيه التى لا تركز على التقوى كما مر سابقاً بل على حكمه خاصه وخصوصيه بلائيه كما فى سجود نبي الله يعقوب عليه السلام لولده يوسف حينما دخل عليه فى القصر.

قال سبحانه وتعالى:

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) ٢ .

أما اختصاصها بالتكبير فيمكن معرفه دلالاته من خلال ما حظى به التكبير

من معان خاصه دخلت فى بعض العناوين الشرعيه.

وهى كالاتى:

١ - يدخل التكبير فى أهم الفروع الدينيه التكليفيه على المسلم إلا وهى الصلاه، فتكبيره الإحرام فى الصلاه هى باب يلج من خلالها المسلم إلى فيض لطف الله سبحانه فيلزم عليه الإحرام.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

افتتاح الصلاه الوضوء وتحريمها التكبير(١).

٢ - ويدخل التكبير فى الحج لمن أقام فى منى(٢)، وهو يدل على تعظيم هذه الشعيره.

٣ - كما يدخل التكبير فى صلاه العيد كدليل على خصوصيه هذه المناسبه وما يرتبط بها من آثار اجتماعيه ونفسيه لدى المسلم.

٤ - التكبير فى أجزاء الأذان والإقامه قبل كل صلاه، وغير ذلك.

وهذه العناوين حينما نتأملها نجدها تدور فى فلك التعظيم والإجلال والقوه والعزّه فضلاً عن آثارها الروحيه والملكوتيه، وهو ما يتلاءم بحق مع الدور الذى قامت به خديجه الكبرى عليها السلام فى قيام الإسلام والذب عنه، ومؤازره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته حتى عظم الإسلام وبلغ تلك المرتبه الساميه فيما بين الأمم.

ص: ٢٥٣

١- الكافى للكلينى: ج ٣، ص ٦٩.

٢- المقنع للشيخ الصدوق: ص ٢٨٥.

المسأله الرابعه: اقتصاص خديجه ممن ظلم ابنتها فاطمه عليها السلام فى يوم المحشر

من الحقائق التى طرحها القرآن الكريم فيما يخص يوم الحشر، حقيقه القصاص من الظالمين، بل يكاد يكون من بين أهم الحقائق التى طرحها القرآن الكريم عن يوم المحشر هى هذه الحقيقه، وهذا فضلاً عن الروايات الشريفه التى أوضحت بشكل دقيق عما يناله الظالمون فى المحشر.

والقصاص فى المحشر له علاقة تناسبية مع الشأنيه التى لدى عباد الله الصالحين، فكلما عظمت شأنيه العبد عند ربه تعالى كلما كان القصاص من الذين انتهكوا حرمة هذا العبد عظيماً.

ولنلقِ نظره على بعض الآيات الكريمة الكاشفه عن حال الظالمين فى يوم المحشر.

١ - قال تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ١ .

٢ - وقال الله عزّ وجل:

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ

ص: ٢٥٤

الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ١ .

٣ - وقال تعالى:

(عُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صِيْفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْءِدًا (٤٨) وَ وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) ٢ .

٤ - قال الله تبارك وتعالى:

(تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) ٣ .

٥ - وقال الله عز وجل:

(وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ) ٤ .

فيوم المحشر هو اليوم الذي يأخذ الله تعالى فيه لأولياته حقوقهم ممن

ص: ٢٥٥

ظلمهم وانتهك حرمتهم كما صرحت بتفاصيل ذلك الروايات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه يوماً وهو يعظهم:

ترصدوا مواعيد الآجال إن الدنيا خداعه صراعه، مكاره غزاره سحاره، أنهارها لامعه، وثمراتها يانعه، ظاهرها سرور، وباطنها غرور، تأكلكم بأضراس المنايا، وتبيركم بإتلاف الرزايا، لهم بها أولاد الموت، وآثروا زينتها، فطلبوا رتبها، جهل الرجل، ومن ذلك الرجل المولع بلذاتها، والساكن إلى فرحتها، والآمن لغدرتها!

دارت عليكم بصروفها، ورمتمكم بسهام حتوفها، فهي تنزع أرواحكم نزعا، وأنتم تجمعون لها جمعا، للموت تولدون، وإلى القبور تنقلون، وعلى التراب تنامون، وإلى الدود تسلمون، وإلى الحساب تبعثون.

يا ذا الحيل والآراء، والفقه والأنباء، اذكروا مصارع الآباء، فكأنكم بالنفوس قد سلبت، وبالأبدان قد عريت، وبالمواريث قد قسمت، فتصير - يا ذا الدلال والهيئه والجمال - إلى منزله شعناء، ومحلّه غبراء، فتنوم على خدك في لحدك، في منزل قل زواره، ومل عماله، حتى تشق عن القبور وتبعث إلى النشور، فان ختم لك بالسعادة صرت إلى الجبور، وأنت ملك مطاع، وآمن لا- يراع، يطوف عليكم ولدان كأنهم الجمان بكأس من معين بيضاء لذه للشاربين، أهل الجنة فيها يتنعمون، وأهل النار فيها يعذبون، هؤلاء في السندس والحريز يتبخثرون، وهؤلاء في الجحيم والسعير يتقلبون، هؤلاء تحشى جماجمهم بمسك الجنان، وهؤلاء يضربون بمقامع النيران، هؤلاء يعانقون الحور في

الحجال، وهؤلاء يطوقون أطواقا فى النار بالاغلال، فى قلبه فرع قد أعبى الأطباء وبه داء لا يقبل الدواء.

يامن يسلم إلى الدود ويهدى إليه، اعتبر بما تسمع وترى، وقل لعينيك تجفو لذه الكرى، وتفيض من الدموع بعد الدموع تترى، بيتك القبر بيت الأهوال والبلى، وغايتك الموت.

يا قليل الحياء، اسمع يا ذا الغفله والتصريف، من ذى الوعظ والتعريف، جعل يوم الحشر يوم العرض والسؤال، والحباء والنكال، يوم تقلب إليه أعمال الأنام، وتحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما فى بطونها، ويفرق بين كل نفس وحببيها، ويحار فى تلك الأهوال عقل لبيها، إذ تنكرت الأرض بعد حسن عمارتها، وتبدلت بالخلق بعد أنيق زهرتها، أخرجت من معادن الغيب أثقالها، ونفضت إلى الله أحمالها، يوم لا ينفع الجد إذ عاينوا الهول الشديد فاستكانوا، وعرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا، فانشقت القبور بعد طول انطباقها، واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها، كشف عن الآخرة غطاؤها، وظهر للخلق أنباؤها، فدكت الأرض دكا دكا، ومدت لأمر يراد بها مدا مدا، واشتد المثارون إلى الله شدا شدا، وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفا زحفا، ورد المجرمون على الأعقاب ردا ردا، وجد الامر - ويحك يا إنسان - جدا جدا، وقربوا للحساب فردا فردا، وجاء ربك والملك صفا صفا، يسألهم عما عملوا حرفا حرفا، فجىء بهم عراه الأبدان، خشعا أبصارهم، أمامهم الحساب، ومن ورائهم جهنم، يسمعون زفيرها.

ويرون سعيها، فلم يجدوا ناصرا ولا وليا يجيرهم من الذل، فهم يعدون سராا إلى مواقف الحشر، يساقون سوقا، فالسماوات مطويات يمينه كطى السجل للكتب، والعباد على الصراط وجلت قلوبهم، يظنون أنهم لا يسلمون، ولا يؤذن لهم فيتكلمون، ولا يقبل منهم فيعتذرون، قد ختم على أفواههم، واستنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

يا لها من ساعه ما أشجى مواقعها من القلوب حين ميز بين الفريقين! فريق فى الجنه وفريق فى السعير، من مثل هذا فليهرب الهاربون، إذا كانت الدار الآخرة لها يعمل العاملون(1).

إذن:

هذه الصورة الرهيبه لما يجرى فى يوم المحشر تأتى خديجه بجلاله قدرها وعظيم منزلتها عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهى تحمل حفيدها المحسن ابن فاطمه الزهراء عليها السلام وهو مخرج بدمه وهى تطالب بالقصاص من قاتليه.

فى هذا اليوم أمام الخلائق أجمعين كى يخزى الله الفاسقين المجرمين، أمام هذا الجمع مثلما قتل المحسن أمام المهاجرين والأنصار ولا- من نصير لرسول الله؟! ولا- من غير على حرمه بنت نبى الله؟! وكأن الناس نيام أو هم فى سكره يعمهون كما تصرح به الروايات التاريخيه.

فقد روى الخصيبى (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) والمجلسى (المتوفى سنة

ص: ٢٥٨

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٦٥٣-٦٥٤، ح ٣/١٣٥٣.

١١١١ هـ) وغيرهم في حديث طويل عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يصف كيفية قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته يوم المحشر وهم في حال أخذ القصاص من ظالمهم، فيقول عليه السلام:

«ثم يقوم الحسين عليه السلام مخضباً بدمه هو وجميع من قتل معه، فإذا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى، وبكى أهل السماوات والأرض لبكائه، وتصرخ فاطمه عليها السلام فتزلزل الأرض ومن عليها، ويقف أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام عن يمينه، وفاطمه عن شماله، ويقبل الحسين عليه السلام فيضمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره، ويقول:

يا حسين! فديتك قرت عيناك وعيناي فيك وعن يمين الحسين حمزه أسد الله في أرضه، وعن شماله جعفر بن أبي طالب.

ويأتي محسن تحمله خديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وهن صارخات وأمه فاطمه تقول: هذا يومكم الذي كنتم توعدون

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) ١ .

قال: فبكى الصادق عليه السلام حتى أفضلت لحيته بالدموع، ثم قال:

لا قرت عين لا تبكى عند هذا الذكر»(١).

ص: ٢٥٩

والحديث يكشف عن عظيم رزيه الباب، وقتل المحسن ابن فاطمه عليهما السلام حينما ذهب سقطاً بفعل هجوم القوم على بيت فاطمه عليها السلام حينما قدموا لإخراج علي بن أبي طالب من داره لغرض مبايعه أبي بكر عنوه.

كما يكشف الحديث عن الآثار الكبيره التي خلفها هذا المصاب فى قلب أم المؤمنين خديجه بنت خويلد، وأنها هى صاحبه الدعوه.

ولذلك:

جاءت به تحمله يوم المحشر لغرض المطالبه بالقصاص ممن ظلم ابنتها فاطمه وقتل ولدها وحفيدها المحسن عليه السلام؛ فويل عندئذ لمن ظلمها فى ذريتها وبنائها وهى التى نالت من الشأن عند الله ما نالت، بل يراد من قدومها وهى تحمل المحسن أن المحارب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمثلما وقفت فى حياتها حتى الممات فى نصره الرساله وفداء صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم فهى تقف اليوم فى المحشر فى نصرته أيضاً بما كتب الله على نفسه من العدل والقصاص ونصر رسله، وهو القائل وقوله الحق:

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَهْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَيرابيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَعشى وَجُوهُهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١) .

ص: ٢٤٠

إشاره

لا يخفى على المسلم أنّ الصراط هو من الحقائق التي نص عليها القرآن الكريم والسنه المحمديه الشريفه بروايات متواتره، بل لا يخفى أيضاً أن الصراط هو واحد من تلك المنازل الأخرويه التي لا بد للإنسان أن يتعرض لها ويمرّ بها، بل هي من أصعب المنازل الأخرويه، كما سيمر بيانه من خلال الروايات.

ولخصوصيه الصراط المستقيم وما ارتبط به من مفاهيم ودور غيبي وإيماني لأنه من أسس الاعتقاد بالغيب، ولما تعلق به من ارتباط وثيق بأعمال الإنسان الدنيويه، كل ذلك وغيره اضطرنا إلى التوسع في هذا المبحث ضمن مسائل عدده لكي يعي القارئ الكريم أهميه هذا المنزل الأخرى فلا يستهين به فضلاً عن خصوصيته مع أولياء الله وعباده الصالحين، لاسيما أم المؤمنين خديجه عليها السلام.

المسأله الأولى: الصراط في اللغة

قال ابن منظور: الصراط ، والسراط ، وهي بالصاد لغه قريش الأولين التي جاء بها الكتاب، وعامه العرب تجعلها سيناً.

وقيل: إنما قيل للطريق الواضح سراط لأنه كأنه يستترط الماره لكثرتهم سلوكهم (١).

وقال الفيروزآبادى: الصراط ، بالكسر: الطريق، وجسر ممدود على متن جهنم (٢).

ص: ٢٤١

١- لسان العرب لابن منظور: ج ٧، ص ٣١٣.

٢- القاموس المحيط للفيروزآبادى: ج ٢، ص ٣٧٠.

المسأله الثانيه: معنى الصراط عند أئمه أهل البيت عليهم السلام، وعلماء أبناء العامه

مما جاء فى معنى الصراط ما رواه الصدوق عليه الرحمه والرضوان عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط ، فقال:

«هو الطريق إلى معرفه الله عز وجل وهما صراطان: صراط فى الدنيا، وصراط فى الآخره. وأما الصراط الذى هو فى الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعه، من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذى هو جسر جهنم فى الآخره، ومن لم يعرفه فى الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الآخره فتردى فى نار جهنم»(١).

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: «وجاء فى الخبر بأن الصراط أدقّ من الشعره وأحدّ من السيف على الكافر، والمراد بذلك أنه لا تثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامه من شده ما يلحقهم من أهوال يوم القيامه ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذى يمشى على الشىء الذى هو أدقّ من الشعره وأحدّ من السيف. وهذا مثل مضروب لما يحلق الكافر من الشده فى عبوره على الصراط ، وهو طريق إلى الجنه وطريق إلى النار يشرف العبد منه إلى الجنه ويرى منه أهوال النار»(٢).

وأما ما جاء فى معنى الصراط عند أبناء العامه فهى كالاتى:

١ - فقد أخرج الثعلبى فى (الكشف والبيان) فى قوله تعالى:

ص: ٢٤٢

١- معانى الأخبار للشيخ الصدوق: ص ٣٢.

٢- تصحيح اعتقادات الإماميه الشيخ المفيد: ص ١١١.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريده يقول: صراط محمد وآله (١).

٢ - وفي تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد، عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حب محمد وأهل بيته (٢).

٣ - وأخرج الحموي في «فرائد السمطين» بإسناده عن أصبغ بن نباته، عن علي عليه السلام في قوله تعالى:

(وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كَبُونَ) ٣ .

قال:

«الصراط ولايتنا أهل البيت» (٣).

٤ - وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط في الدنيا. وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب. وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم. من عرف صراط الدنيا جاز علي صراط الآخرة (٤).

ص: ٢٤٣

١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ٧٥؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص ٥٤٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٧١؛ العمدة لابن البطريق: ص ٤٣.

٢- المناقب لابن شهر: ج ٢، ص ٢٧١؛ الغدير للعلامة الأميني: ج ٢، ص ٣١١.

٣- ينابيع المودة للقندوزي: ج ١، ص ٣٣٩؛ الغدير للأميني: ج ٢، ص ٣١١.

٤- الغدير للعلامة الأميني: ج ٢، ص ٣١١-٣١٢.

٥ - وأخرج شيخ الاسلام الحموى بإسناده فى فرايد السمطين فى حديث عن الإمام جعفر الصادق قوله:

«نحن خير الله، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله».

فهم الصراط إلى الله فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد فى شرف النبوه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وأهل بيتى شجره فى الجنة وأغصانها فى الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً(١).

المسألة الثالثة: كيف يمر الناس على الصراط؟

تعرض الروايات الشريفه عن النبى الأ-كرم وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم فى وصفها لحالات الناس عند مرورها على الصراط صورته متكامله عن أهوال هذا المنزل الأخرى وشده خطورته.

وتعرض هذه الأحاديث أيضاً حقيقه تجسيد هذه الأعمال التى يقوم بها الإنسان فى الحياه الدنيا وآثارها فى الآخرة لاسيما عند مروره على الصراط ، وهذه الأحاديث كالاتى:

١. روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال:

«الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر، ومن حد السيف؛ فمنهم من يمر مثل

ص: ٢٦٤

١- الغدير للأمينى: ج ٢، ص ٣١١؛ وأورده الصدوق رحمه الله فى إكمال الدين عن الباقر عليه السلام بلفظ أطول: ص ٢٠٦؛
ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ص ٧٨.

البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»(١).

٢. وروى الشيخ الصدوق عليه رحمه الله والرضوان عن عبد الرحمن ابن سمره فى حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - رأيت إيراده بتمامه لما فيه من المنفعة والموعظه -؛ قال عبد الرحمن بن سمره: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً، فقال:

«إني رأيت البارحة عجائب».

قال: فقلنا يا رسول الله، وما رأيت ؟ حدثنا به فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا؟!

فقال:

رأيت رجلاً من أمتى، وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فمنعه منه، ورأيت رجلاً من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فمنعه منها، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فنجاه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلواته فمنعته منهم، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتى والنيون حلقة حلقة، كلما أتى حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابه فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبى، ورأيت رجلاً من أمتى بين يديه ظلمه ومن خلفه ظلمه وعن يمينه ظلمه

ص: ٢٤٥

وعن شماله ظلمه ومن تحته ظلمه مستنقعا في الظلمه، فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمه، وأدخلاه النور، ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءه صلته للرحم، فقال: يا معشر المؤمنين، كلموه فإنه كان واصلا لرحمه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم، ورأيت رجلا من أمتي يتقى وهج النيران وشررها بيده ووجهه، فجاءته صدقته فكانت ظلا على رأسه وسترا على وجهه، ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانيه من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمه، ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين رحمه الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده وأدخله في رحمه الله، ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلا من أمتي قد خفت موازينه، فجاءه أفراطه فثقلوا موازينه. ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشيه الله فاستخرجته من ذلك، ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفه في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى على الصراط، ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا، فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه ومضى على الصراط، ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنه كلها، كلما انتهى إلى باب أغلق دونه، فجاءته شهاده

أن لا إله إلا الله صادقاً بها، ففتحت له الأبواب ودخل الجنة(١).

المسألة الرابعة: المنجيات من الأعمال عند الصراط

إشاره

من المسائل التي ارتبطت بالمرور على الصراط في الآخرة مسألة النجاه من الوقوع منه في جهنم - والعياذ الله - حسبما كشفت عنه الروايات الشريفة. وقد بينت هذه الروايات ان هناك مجموعه من الأعمال الدنيوية لها آثار مرتبطة بشكل أساسي مع هذا المنزل الأخرى. وهذه الأعمال هي كالآتي:

١. ثبوت حب علي عليه السلام في قلب الإنسان

روى الصدوق رحمه الله عن أبي حمزه الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«يا علي، ما ثبت حبك في قلب امرئ مؤمن فزلت به قدمه على الصراط إلا- ثبتت له قدم حتى يدخله الله عز وجل بحبك الجنة»(٢).

٢. مشايحه علي بن أبي طالب ومناصرته

روى الصدوق رحمه الله عن أبان بن عثمان عن محمد بن الفضل الرزقي، عن أبي عبد الله - الصادق عليه السلام - عن أبيه، عن جده، عن علي

ص: ٢٦٧

١- الأمالى للشيخ الصدوق: ص ٣٠١-٣٠٣.

٢- المصدر السابق: ص ٦٧٩؛ فضائل الشيعة للصدوق: ص ٦؛ البحار للمجلسي: ج ٨، ص ٦٩.

عليهم السلام قال:

إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا.

فلا- أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: رب سلم شيعتي ومحبي أنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإن النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربنى بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذره من بغضنا أهل البيت»(١).

٣. الصلاة المفروضة اليومية

روى الميرزا النورى رحمه الله عن ضميره بن حبيب، قال: سئل النبی صلی الله عليه وآله وسلم عن الصلاة، فقال:

«الصلاة من شرائع الدين، وفيها مرضاه الرب عز وجل، وهى منهاج الأنبياء، وللمصلى حب الملائكة، وهدى وإيمان، ونور المعرفة، وبركه فى الرزق، وراحه للبدن، وكراهه الشيطان، وسلاح على الكافر، وإجابته للدعاء، وقبول للأعمال، وزاد المؤمن من الدنيا للآخرة. وشفيع بينه وبين ملك الموت، وانس فى قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب لمنكر ونكير، وتكون صلاة العبد عند

ص: ٢٤٨

المحشر تاجا على رأسه، ونورا على وجهه، ولباسا على بدنه، وسترا بينه وبين النار، وحجه بينه وبين الرب جل جلاله، ونجاه لبدنه من النار، وجوازا على الصراط ، ومفتاحا للجنة، ومهورا للحدود العيون، وثمانا للجنة، بالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة العليا، لان الصلاة تسيح، وتهليل، وتحميد، وتكبير، وتمجيد، وتقديس، وقول، ودعوه»(١).

٤. عياده المريض

روى الحر العاملي رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انه قال في آخر خطبه خطبها:

«ومن قاد ضريرا إلى مسجده أو إلى منزله أو لحاجه من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها ووضعها عتق رقبه، وصلت عليه الملائكه حتى يفارقه.

ومن كفى ضريرا حاجه من حوائجه فمشى فيها حتى يقضيها أعطاه الله براءتين: براءه من النار، وبراءه من النفاق، وقضى له سبعين ألف حاجه في عاجل الدنيا، ولم يزل يخوض في رحمه الله حتى يرجع.

ومن قام على مريض يوما وليله بعثه الله مع إبراهيم الخليل (عليه السلام) فجاز على الصراط كالبرق الخاطف اللامع، ومن سعى لمريض في حاجه قضاها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله فإن كان المريض من أهله؟

ص: ٢٤٩

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

من أعظم الناس أجرا ممن سعى في حاجه أهله، ومن ضيع أهله وقطع رحمه حرمه الله حسن الجزاء يوم يجزى المحسنين وضيعه، ومن يضيعه الله في الآخرة فهو يتردد مع الهالكين حتى يأتي بالمرج، ولن يأتي به، ومن أقرض ملهوفاً فأحسن طلبته استأنف العمل وأعطاه الله بكل درهم ألف قنطار من الجنة، ومن فرج عن أخيه كربه من كرب الدنيا نظر الله إليه برحمته فنال بها الجنة، وفرج الله عنه كربه في الدنيا والآخرة، ومن مشى في إصلاح بين امرأه وزوجها أعطاه الله أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله حقاً، وكان له بكل خطوه يخطوها وكلمه في ذلك عباده سنه، قيام ليلها وصيام نهارها»(١).

٥. إقراض المسلم مالاً

روى الصدوق رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«ومن أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه وزن جبل أحد وجبال رضوى وطور سيناء حسنات فان رفق به في طلبه يعبر به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب، ومن شكك إليه أخوه المسلم فلم يقرضه حرم الله عليه أجر المحسنين»(٢).

ص: ٢٧٠

١- وسائل الشيعة «آل البيت» للحر العاملي: ج ١٦، ص ٣٤٤.

٢- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق: ص ٢٩٠.

٦. المحافظه على صلاه الجماعه

روى الصدوق رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فى خطبه طويله انه قال:

«ومن حافظ على الجماعه حيث ما كان مرّ على الصراط كالبرق اللامع فى أول زمرة مع السابقين، ووجهه أضوأ من القمر ليله البدر وكان له بكل يوم وليله يحافظ عليها ثواب شهيد»^(١).

٧. الاستغفار فى شهر شعبان

روى الحر العاملى عن الريان بن الصلت قال: سمعت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام يقول:

«من قال فى كل يوم من شعبان سبعين مره: استغفر الله وأسأله التوبه، كتب الله له براءه من النار، وجوازاً على الصراط، وأحله دار القرار»^(٢).

٨. من أعان مؤمناً فى شهر رمضان

روى الصدوق رحمه الله عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«الحسنات فى شهر رمضان مقبوله، والسيئات فيه مغفوره، من قرأ فى شهر رمضان آيه من كتاب الله عز وجل كان كمن ختم القرآن فى غيره من الشهور ومن ضحك فيه فى وجه أخيه

ص: ٢٧١

١- المصدر السابق: ص ٢٩١.

٢- وسائل الشيعه «آل البيت» للحر العاملى: ج ١٠، ص ٥١٠.

المؤمن لم يلقه يوم القيامة إلا ضحك في وجهه، وبشره بالجنة ومن أعان فيه مؤمناً أعانه الله تعالى على الجواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام...»(١).

٩. قيام الليل بالقراءة والصلاه

روى الصدوق رحمه الله عن جابر بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام: ان رجلاً سأل علي بن أبي طالب عليه السلام عن قيام الليل بالقراءة؟ فقال له:

أبشر من صلى من الليل عشر ليله لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في الليل من حبه وورقه وشجره وعدد كل قصبه وخصوص ومر ومن صلى تسع ليله أعطاه الله عشر دعوات مستجابات وأعطاه الله كتابه يمينه ومن صلى ثمن ليله أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النيه وشفع في أهل بيته، ومن صلى سبع ليله خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليله البدر حتى يمر على الصراط مع الآمين، ومن صلى سدس ليله كتب في الأوابين وغفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صلى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبته، ومن صلى ربع ليله كان في أول الفائزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف، ويدخل الجنة بغير حساب»(٢).

ص: ٢٧٢

١- فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق: ص ٩٧.

٢- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١، ص ٤٧٥.

اشاره

مثلما دلت الروايات الشريفه على الأعمال المنجيه يوم القيامه لاسيما عند الصراط ، فان هذه الروايات قد دلت أيضاً على وجود عقبات كثيره تحول دون عبور الإنسان على الصراط بمعنى: ان بعض الأعمال الدنيويه تكون فى الآخره وبالاً على صاحبها فتمنعه من اللحظه الأولى دون المرور على الصراط والعبور منه إلى الجنه.

بمعنى آخر: ان هذه الأعمال تسقط الإنسان فى جهنم قبل ان يمر على الصراط الذى يختلف الناس فى عبورهم عليه كلاً حسب عمله.

بل: ان الروايات الشريفه تظهر أن هناك شفاعه وإدراكاً للعبد برحمه الله تعالى لمن يسير على الصراط فيما إذا كان هذا السير متعثراً بسبب بعض الأعمال الدنيويه فيأتيه الغيث الإلهي من خلال شفاعه الحبيب المصطفى وأهل بيته عليهم السلام فيشفع له فيمر على الصراط ، أما ذلك الذى يمنع من العبور فهذا - والعياذ بالله - محروم بسبب أعماله من إدراك رحمه الله تعالى؛ بمعنى: انه لا- يستحق بسبب هذه الأعمال من المرور على الصراط ونيل ما يناله المؤمنون من اللطف والعنايه فهو محروم من ذلك كله.

ولذا فهو متهاو إلى النار والعياذ بالله. وهذه العقبات هى كالاتى:

أولاً: لا يسمح للمسلم أن يمرّ على الصراط إلا بجواز من على بن أبى طالب عليه السلام

أ. أخرج شاذان بن جبريل القمى المتوفى ٦٦٠ هـ عن جابر بن عبدالله

وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مسائل فشرحها له، فمما جاء في ذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

لك ما سألتني ووجب عليك له الحفظ ، فإن لعلى عند الله من المنزله الجليله والعطايا الجزيله ما لم يُعْطَ أحد من الملائكه والأنبياء المرسلين، ووجه واجب على كل مسلم فإنه قسيم الجنة والنار، ولا يجوز أحد على الصراط إلا براءة من أعداء على عليه السلام»(١).

ب. أخرج الخطيب الخوارزمي المتوفى ٥٦٨ هـ ، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا كان يوم القيامة، أقام الله - عز وجل - جبرئيل ومحمداً على الصراط فلا يجوزه أحد إلا من كان معه براءة من على بن أبي طالب عليه السلام»(٢).

ج. قال المحدث المجلسي رحمه الله: روى الشيخ أبو جعفر الطوسي في «مصباح الأنوار» حديثاً يرفعه باسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونصب الصراط على شفير جهنم فلم يجز عليه إلا من كان معه

ص: ٢٧٤

١- الفضائل لابن شاذان القمي: ص ٦٠؛ كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي: ص ٥٩؛ البحار للمجلسي: ج ٣٥، ص ١٠٦.

٢- المناقب للموفق الخوارزمي: ص ٣٢٠؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلبي: ص ١٧٩؛ البحار للمجلسي: ج ٣٩، ص ٣٩؛ روضه الواعظين للفتال النيسابوري: ص ١٢٩.

براءه من على بن أبى طالب عليه السلام»(١).

د. روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلى عليه السلام:

«يا على إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك»(٢).

ثانياً: لا يجوز المسلم الصراط إلا إذا عرف محمداً وأهل بيته عليهم السلام وعرفوه

قد تبين فيما سبق ان هناك كثيراً من الحقائق المتعلقة بيوم القيامة قد غفل عنها كثير من المسلمين فيما تغافل البعض الآخر منهم لاسيما أولئك الذين لا يرون فرقاً بين العتره الذين هم عدل القرآن الكريم وثقله الأصغر وبين بقية الصحابه.

فى حين يقدم القرآن الكريم والسنة النبويه المطهره نصوصاً صريحه وواضحه عن حقيقه معرفه محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم المحشر وعند الصراط ، وفى عرصات يوم القيامة.

فمما جاء فى آثار هذه المعرفه عند الصراط ما جاء فى سوره الأعراف فى قوله عزّ شأنه:

ص: ٢٧٥

١- بحار الأنوار: ج ٧، ص ٣٢٢؛ تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى: ج ٢، ص ٤٩٥.

٢- الاعتقادات فى دين الإماميه للصدوق: ص ٧٠؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق - بلفظ قريب - ج ٢، ص ٢٧٢؛ البحار للمجلسى: ج ٨، ص ٧٠.

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ) ١ .

وقد تخطب بعض المفسرين فى بيان رجال الأعراف تخطباً عجيباً على الرغم من صراحه الآية بأنهم رجال لهم من الشأن عند الله تعالى ما يؤهلهم لمعرفة أهل الجنة وأهل النار كلاً بسيماهم، ولكن ليس بالغريب على من سلب البصيره أن يسلبها فى القرآن وهو القائل عز شأنه:

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) ٢ .

بينما حاول البعض الآخر تقريب الصورة لدى القارئ كالفخر الرازى وابن عربى دون أن يثير غضب من لا يرى لعل وآله خصوصيه عند الصراط وانهم أهل الأعراف، فقال الرازى وهو ينقل قول الحسن والزجاج: «وعلى الأعراف، أى: وعلى معرفه أهل الجنة والنار رجال يعرفون كل أحد من أهل الجنة والنار بسيماهم، فليل للحسن: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ فضرب على فخذه ثم قال: هم قوم جعلهم الله تعالى على تعرف أهل الجنة وأهل النار يميزون البعض من البعض والله لا أدرى لعل بعضهم الآن معنا»(١).

بينما ذهب ابن عربى إلى القول بأن أهل الأعراف: «هم العرفاء، أهل الله وخاصته»(٢).

ص: ٢٧٦

١- تفسير فخر الرازى: ج ١٤، ص ٨٧.

٢- تفسير ابن عربى: ج ١، ص ٢٥٨.

وعليه: فقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة تنص صراحة على تخصيص هؤلاء الرجال الذين وضعهم الله سبحانه على الأعراف وبيان أسمائهم وتعريفهم؛ وكيف يعقل ان يبقى أمرهم مبهماً وهم المخصوصون بالأعراف.

أ. روى الثعلبي، وابن شهر آشوب؛ والقرطبي، والحسكاني، والقندوزي وغيرهم عن جوير بن سعيد عن الضحاک عن ابن عباس في قوله تعالى:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) .

قال: الأعراف، موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزه، وعلى ابن أبي طالب، وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيههم بسواد الوجوه»(١).

ب. روى الحاكم الحسكاني عن الأصبغ بن نباته، قال: «كنت جالسا عند علي فأتاه عبد الله بن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله تعالى:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ) .

فقال:

ص: ٢٧٧

١- تفسير الثعلبي: ج ٤، ص ٢٣٧؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر: ج ٣، ص ٣١؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ٢٦٤؛ تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٣١٢؛ مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ص ١٠٥؛ ينابيع الموده للقندوزي: ج ١، ص ٣٠٣؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج ١٤، ص ٣٩٦؛ تفسير الميزان للطباطبائي: ج ٨، ص ١٤٦.

ويحك، يا ابن الكواء نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار»(١).

ج. وقد أخرج محمد بن الحسن الصفار في البصائر مجيء ابن الكواء إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسؤاله عن الأعراف بلفظ آخر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل يوم القيامة على الصراط غيرنا، ولا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ان الله لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسيله والوجه الذى يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون، ولا سواء من اعتصم من الناس به ولا سواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس إلى عيون كدره يفرغ بعضها فى بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجرى بأمر ربها لا نفاذ لها ولا انقطاع»(٢).

د. روى العياشى فى تفسيره عن أبى جعفر الباقر عليه السلام، وقد سئل عن قوله تعالى:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ).

ص: ٢٧٨

١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني - ج ١، ص ٢٦٣؛ تفسير فرات الكوفى: ص ١٤٤؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ص ٣٠٤.

٢- بصائر الدرجات للصفار: ص ٥١٧؛ مختصر بصائر الدرجات للحلى: ص ٥٥.

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«نحن الأعراف الذين لا يعرف الله الا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذى لا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه؛ وذلك أن الله لو شاء أن يعرف الناس نفسه لعرفهم، ولكنه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذى يؤتى منه»^(١).

ثالثاً: لا يجوز المسلم الصراط إلا بحفظ الأمانه وصون الرحم

إشاره

من العقبات التى تعترض المسلم على الصراط هى «الأمانه والرحم» حسبما نص عليها الحديث النبوى الشريف. إلا ان الملاحظ فى هذا الحديث هو أن المراد من الأمانه والرحم هما: موالاه عتره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظهم، كما سيمر بيانه.

فقد أخرج مسلم فى صحيحه، عن أبى هريره، وأبو مالك، عن ربهى عن حذيفه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئه أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى

ص: ٢٧٩

١- تفسير العياشى: ج ٢، ص ١٩؛ تفسير فرات الكوفى: ص ١٤٣؛ يبايع الموده للقندوزى الشافعى: ج ١، ص ٣٠٥.

صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله تكليماً فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمه الله وروحه فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانه والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أى شىء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفه عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم اعمالهم ونيبكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفاً قال وفى حافتي الصراط كلاليب معلقه مأموره بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذى نفس أبى هريره بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفاً»(١).

والحديث فيه دلالات كثيره نشير إلى اثنين منها:

الدلاله الأولى

إنّ (الأمانه والرحم) اللذان يرسلان إلى الصراط فيقومان على جانبيه يميناً وشمالاً؟ هما عتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم. مما لا شك فيه ان الصراط وضع لغرض بيان حقيقه الأعمال الدنيويه وآثار التكاليف الشرعيه التي وضعها الله سبحانه على عباده.

ص: ٢٨٠

١- صحيح مسلم النيسابورى، باب: اختباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ج ١، ص ١٣٠.

وان هذه التكاليف إمّا أن تأخذ بالإنسان سريعاً إلى الجنة وإمّا أن تقذفه سريعاً إلى النار كما عبرت الأحاديث بألفاظ كثيرة عن هذا العبور، كالبرق، أو الركض، أو عدو الفرس، أو المشى، أو الحبو، أو السقوط - والعياذ بالله - .

ومن هنا: لا يتصور أن تفرد تلك الخصوصية الخاصة للأمانات - مع مالها من حرمة ومكانه في حفظ الحقوق الشخصية وتنامى العلاقات الاجتماعية فضلاً عن دورها في خلق حاله الأمن والطمأنينه في المجتمع - فمع كل هذا لا يتصور ان يخصص الله تعالى للأمانه التي جل دورها هو حفظ مال المسلم خصوصيه على كثيرٍ من التكاليف الشرعية لاسيما الأصول كالتوحيد والنبوه والإمامه فكيف إذا ألحقنا بها الفروع كالصلاه والزكاه والصيام وغيرها من الفروع.

إذن:

يلزم ان يكون للفظ «الأمانه» التي نص عليها الحديث النبوى دلالة أخرى غير دلالتها المألوفه في حفظ مال المسلم بقريته الموضع الذى توضع فيه وهو عند يمين الصراط الذى هو كاشف عن صحيفه المسلم ونتيجه أعماله الدنيويه، بمعنى: انها مرتبطه بتلك الكاشفيه والخصوصيه التي للصراط المستقيم.

ومما يدل عليه: قوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ١ .

ص: ٢٨١

ولا يتصور عاقل ان الله تعالى قد عرض الأمانه بما لها من معنى اصطلاحى أو عرفى على السموات والأرض وأن تأبى السموات والأرض من حملها ويشفقن منها ثم يحملها الإنسان، فضلاً عن أنه كان ظلوماً بهذه الأمانه جهولاً بقدرها وحقها.

ولذلك:

جاء المحدثون والمفسرون بروايات تكشف عن دلالة تلك الأمانه التى عرضها الله سبحانه على السموات والأرض، وهى كالتى:

روى الصنعانى وابن جرير الطبرى فى بيان دلالة الأمانه التى عرضها الله على السموات هى: «الفرائض التى افترضها الله على العباد»^(١).

وهذا اللفظ وان كان قريباً من المعنى الحقيقى الذى قصدته الآيه المباركه وأن هذه الأمانه هى الفرائض التى لم يصرح بها الحافظان «الصنعانى والطبرى» الا انهما أعطيا معنى بعيداً عن معنى الأمانه المألوف لدى الناس وهى حفظ الذمم، أى: ان الأمانه والرحم اللذان ينصبان على جانبى الصراط هما حقيقه أخرى غير التى يألّفها الناس، ولذا فهى حقيقه احتاجت إلى بيان العتره النبويه لأنهم أهل الذكر الذى عنه يسألون وعلى حقائقه يدلون، حسبما دلت عليها الروايات الآتية:

ألف. روى الكلينى عن الإمام الصادق عليه السلام، فى قوله:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ...).

ص: ٢٨٢

١- تفسير الصنعانى: ج ٣، ص ١٢٥؛ جامع البيان للطبرى: ج ٢٢، ص ٦٦.

قال: هي ولايه أمير المؤمنين عليه السلام»(١).

باء. روى الصدوق رحمه الله عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهم السلام عن قول الله عز وجل:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا).

فقال:

الولاية، من ادعاها بغير حق كفر»(٢).

جيم. قال علي بن إبراهيم الكوفي (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ): في قوله:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا).

قال: الأمانة، هي الإمامة والأمر والنهي، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة، قوله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا).

يعنى الإمامة، فالأمانة هي الإمامة عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، قال: أبين أن يدعوها أو يغصبوها أهلها.

ص: ٢٨٣

١- الكافي للكليني: ج ١، ص ٤١٣.

٢- معاني الأخبار للصدوق: ص ١١٠.

(وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) ، أى فلان (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (٧٢) لِيَعِذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ١ .

هاء. روى فرات الكوفى (المتوفى سنة ٣٥٢) عن فاطمه الزهراء عليها السلام قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما عرج بى إلى السماء صرت إلى صدره المنتهى:

(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ٢ .

فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذانا مثنى مثنى وإقامه وترا وترا فسمعت مناديا ينادى: يا ملائكتى وسكان سماواتى وأرضى وحمله عرشى اشهدوا أنى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى، قالوا: شهدنا وأقرنا، قال: اشهدوا يا ملائكتى وسكان سماواتى وأرضى وحمله عرشى بأن محمدا عبدى ورسولى، قالوا: شهدنا وأقرنا، قال: اشهدوا يا ملائكتى وسكان سماواتى وأرضى وحمله عرشى بأن عليا وليى، وولى رسولى، وولى المؤمنين بعد رسولى، قالوا: شهدنا وأقرنا. قال: عباد بن صهيب قال: جعفر ابن محمد قال أبو جعفر - عليهما السلام - : وكان ابن عباس رضى الله عنه: إذا ذكر - هذا الحديث - فقال: إني لأجده فى

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ١ .

قال: فقال ابن عباس - رضى الله عنه -: والله ما استودعهم دينارا ولا درهما ولا كنزا من كنوز الأرض ولكنه أوحى إلى السماوات والأرض والجبال من قبل أن يخلق آدم عليه السلام: إني مخلف فيك الذرية، ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أنت فاعله بهم؟! إذا دعوك فأجيبهم وإذا آووك فأويهم، وأوحى إلى الجبال إذا دعوك فأجيبهم وأطبعى - وأطبعى - على عدوهم فأشفقن منها السماوات والأرض والجبال عما سأله الله من الطاعة فحملها بنى آدم فحملوها. قال عباد قال جعفر: والله ما وفوا بما حملوا من طاعتهم»(١).

وعليه:

حينما نستعرض تلك الأحاديث الشريفة وننظر إلى التاريخ وما اخترنته كتب المؤرخين والمحدثين والمفكرين من حوادث ومباحث وأفكار حول موضوع الإمامة عند المسلمين نلمس بصدق انها هي الأمانة التي تقف على جانب الصراط في يوم القيامة يحاكم من ظلمها وجهل أهلها.

أما الرحم فيكفى بالمسلم أن يرجع إلى حديث واحد أورده مسلم في

ص: ٢٨٥

صحيحه وأحمد في مسنده ليوقن ان الرحم التي تقف على الجنب الآخر من الصراط هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هم فاطمه وبعلمها وبنوها.

فقد أخرج مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينه فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد الا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.

فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقه بعده؛ قال: ومن هم؟

قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر، وآل عباس...»(١).

ولم يثبت ان النبي حصر أهل بيته بهؤلاء جميعاً وإنما خص أهل بيته بفاطمه وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وحصرهم بالكساء اليماني حينما نزل قوله تعالى:

ص: ٢٨٦

١- صحيح مسلم، باب: من فضائل علي عليه السلام: ج ٧، ص ١٢٣؛ مسند احمد، حديث طارق بن سويد: ج ٤، ص ٣٦٧.

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ١

.٢

ولذلك: فإن الإمامه ورحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقفان عند جانبي الصراط يوم القيامة وسيسالان المسلمين عن حفظهم للإمامه وصونهم وصلتهم لرحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أى أهل بيته وذريته، لاسيما وقد روت عائشه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«الرحم معلقه بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يظهر حقيقه هذه الرحم المعلقه بالعرش لمن تعود، فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إن الرحم معلقه بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني وأقطع من قطعني، وهى رحم آل محمد، وهو قول الله عز وجل:

(وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) ٣ .

ورحم كل ذى رحم»(١).

وهذه هى الدلاله الأولى التى دل عليها الحديث الشريف.

ص: ٢٨٧

١- الكافي للكليني رحمه الله، باب: صله الرحم: ج ٢، ص ١٥١.

الدلالة الثانية: أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول من يعبر الصراط من هذه الامه كالبرق الخاطف

إن من الحقائق التي دلّ عليها الحديث النبوي الشريف هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت، بأبي أنت وأمي أى شيء كمر البرق؟»

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفه عين»(١).

فالحديث الشريف وان لم يصرح بشخصيه أول هذه الامه عبوراً على الصراط هاهنا، أو لعله صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح بذلك ولكن تعمد البعض اخفاء هذا التصريح، الا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح وخص فى أحاديث أخرى، وأعلن مراراً عن أول هذه الامه إيماناً وأقدمهم سلماً ومن كان أولهم إيماناً كان أولهم عبوراً على الصراط .

١. قال صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمه فى زواجها:

«أما علمت يا فاطمه أنك بكرامه الله إياك زوجتك أعظمهم حليماً، وأكثرهم علماً، وأقدمهم سلماً»(٢).

ص: ٢٨٨

١- صحيح مسلم، باب: أدنى أهل الجنة منزله فيها: ج ١، ص ١٣٠.

٢- الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج ١، ص ٣٦؛ الأمالى للطوسى: ص ٦٠٧؛ شرح الأخبار للقاضى المغربى: ج ٢، ص ٥٠٩؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر: ج ٢، ص ١٩٠؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفى: ص ١٢٨؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٣، ص ١١٤؛

٢. وفي حديث الحوض قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أولكم وارداً على الحوض أولكم إسلاماً على بن أبي طالب»^(١).

أما ما ذهب إليه بعض المحدثين في أنّ أبا بكر هو أول من أسلم فهذا مما صنعت يد الساسه وافتعله أصحاب المصالح الدنيويه لغرض ارضاء حكام بنى أميه وأشياعهم فضلاً عن ان التاريخ لخير شاهد على زيف هذا الإدعاء، فقد روى الطبرى وابن كثير وغيرهما، عن سالم بن أبى الجعد عن محمد بن سعد قال:

قلت لابي أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين»^(٢).

فمن كان قد أسلم قبله أكثر من خمسين نفرأ كيف له أن يكون أول من أسلم كما يدعيه البعض من المحدثين، ولذلك هناك تلازم بين الصراط والإيمان

ص: ٢٨٩

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٣٦؛ بغية الباحث للحارث بن أبى أسامه: ص ٢٩٥؛ التمهيد لابن عبد البر: ج ٢، ص ٣٠٥؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلى: ج ٤، ص ١١٧؛ كنز العمال للهندي: ج ١١، ص ٦١٦؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١٠٩١؛ تاريخ مدينه دمشق: ج ٤٢، ص ٤٠.

٢- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٦٠؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ٣٩؛ السير النبويه لابن كثير: ج ١، ص ٤٣٦؛ الإفصاح للشيخ المفيد رحمه الله: ص ٢٣٢؛ كنز الفوائد للكرجكى: ص ١٢٤؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر: ج ١، ص ٢٨٩؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ٣٨، ص ٢٢٨؛ الغدير للأمينى: ج ٣، ص ٢٤٠.

فمن كان خالص الإيمان سابقاً إليه وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حاله في الآخره كحاله في الدنيا.

ومما يدل عليه أيضاً ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث شريفه تنص على أن علياً عليه السلام هو أول الناس إيماناً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما وان حبيب الرحمن صلى الله عليه وآله وسلم هو الأعراف بمن آمن به وصدّقه من أمته.

ولذا فهو يقول:

أ. روى محمد بن سليمان الكوفى رحمه الله - المتوفى سنة ٣٠٠ هـ - عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من آذى علياً فقد آذانى إن علياً أولكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله. يا أيها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً وإن عبد الله» (١).

أقول: كيف تنفع العباده، أى: الصلاة والصوم من يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى أنه يبعث يوم القيامة على غير مله الإسلام، أما لماذا يكون يهودياً أو نصرانياً فلعله:

١ - هم أقرب الأديان لعهد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - أو لأنهم قد حرفوا دينهم ولم يتبعوا وصايا أنبيائهم وأحكامهم وشرائعهم، فيحشرون ضمن تلك الزمره، أى زمرة المحرفين الكلم عن مواضعه.

ص: ٢٩٠

١- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفى: ج ١، ص ٥٤٨.

٣ - أو لعلهم - أى اليهود والنصارى - هم أكثر الأمم التى آذت أنبياءها - فيحشر من آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ضمن تلك الزمره. والله العالم بحقائق الأمور.

ب. روى الشيخ الطوسى رحمه الله - المتوفى سنة ٤٦٠ هـ - والحاكم الحسكاني، وابن عساكر، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل على بن أبى طالب عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أتاكم أخى، ثم ألثفت إلى الكعبه فضر بها بيده.

ثم قال:

والذى نفسى بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.

ثم قال:

إنه أولكم إيماناً معى، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم فى الرعيه، وأقسمكم بالسويه، وأعظمكم عند الله مزيه.

قال: فنزلت:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ١

. ٢

ص: ٢٩١

ج. روى فرات الكوفى - المتوفى سنة ٣٥٢ هـ - عن عطاء بن أبى رباح قال: قلت لفاطمه بنت الحسين عليه السلام: أخبرينى جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس؟

قالت:

«نعم، أخبرنى أبى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان نازلاً بالمدينه وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فريضة يستعين بها على من أتاه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب وإنا أتيناك لتفرض من أموالنا فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبى صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إنى لم أوامر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا إنى لم أوامر بشىء وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال:

يا محمد إن ربك قد سمع مقالته قومك وما عرضوا عليك وقد أنزل الله عليهم فريضه:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١ .

ص: ٢٩٢

فخرجوا وهم يقولون ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا- أن تذل له الأشياء وتضع له الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبد المطلب.

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن اصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيرا أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار. ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهن من تأويل؟

فقال: الله ورسوله أعلم. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره.

فقال النبي: ويل لقريش من تأويلهن - ثلاث مرات - ثم قال: يا علي انطلق فأخبرهم، إني أنا الأجير الذى أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس إن عليا أولكم إيمانا بالله، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضيه، وأقسمكم بالسويه، وأرحمكم بالرعيه، وأفضلكم عند الله مزيه. ثم قال: إن الله مثل لى أمتى فى الطين وعلمنى أسماءهم كما:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ١ .

ثم عرضهم فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته وسألت ربي أن تستقيم أمتي على على من بعدى فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء، ثم ابتدأني ربي في على بسبع خصال: أما أولاهن: فإنه أول من ينشق الأرض ولا فخر. وأما الثانيه: فإنه يذود الرعاه غريبه الإبل. وأما الثالثه: فإن من فقراء شيعة على ليشفع في مثل ربيعه ومضر. وأما الرابعه: فإنه أول من يقرع باب الجنة معى ولا فخر. وأما الخامسة: فإنه أول من يزوج من الحور العين معى ولا فخر. وأما السادسة: فإنه أول من يسكن معى فى عليين ولا فخر. وأما السابعة: فإنه أول من يسقى من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»(١).

اذن:

أول هذه الامة عبوراً على الصراط أولهم إيماناً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقدمهم إسلاماً وهو على عليه الصلاة والسلام، وهو أول أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خروجاً من القبر وأولهم وروداً على الحوض وأولهم (من يجثو بين يدي الرحمن للخصومه يوم القيامة)(٢) ، وأولهم دخولاً للجنة.

ص: ٢٩٤

١- تفسير فرات بن إبراهيم الكوفى: ص ٣٩٤.

٢- صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب: قصه غزو بدر: ج ٥، ص ٧.

بقى أن نقول: إنَّ مما كشف عنه الحديث النبوى الشريف فيما مضى فى المسأله السابقه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«وفى حافتى الصراط كلاليب معلقه مأموره بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار»(١).

ان من أصعب ما يلاقه المسلم فى يوم القيامة هو المرور على الصراط فمن الناس من تأخذه هذه الكلاليب فتلقيه فى نار جهنم ومنهم من تخدشه لكنه ينجو بفعل شفاعه النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وبين هذا الرعب وذاك الفزع والهول والخوف الذى يفتت قلب الإنسان كما تفتت الحجاره تحت المطرقه تظهر كرامه الله تعالى لأولياؤه وتتجلى شرافه عبادته المخلصين كخديجه بنت خويلد صلوات الله وسلامه عليها، كما يخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان المرء لا يدرى وهو يقرأ هذه الروايه - التى ستمر - أيعجب من فرع يوم القيامة وأهوالها وشده عقباها أم يعجب من كرامه الله تعالى لأولياؤه وعباده المخلصين، فى ذلك اليوم.

فقد روى الشيخ الصدوق عليه الرحمه والرضوان فى أماليه خبر احتضار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفراقه الدنيا، وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجه فمما جاء فيه، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأم سلمه رضى الله تعالى عنها:

ص: ٢٩٥

١- صحيح مسلم، باب: اختباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ج ١، ص ١٣٠.

«أدعى لى حبيبه قلبى وقره عينى فاطمه تجىء».

فجاءت فاطمه عليها السلام وهى تقول:

نفسى لنفسك الفداء، ووجهى لوجهك الوقاء، يا أبتاه إلا تكلمنى كلمه ؟ فأنى أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال لها:

يا بنيه، إنى مفارقتك، فسلام عليك منى.

قالت:

يا أبتاه، فأين الملتقى يوم القيامة ؟

قال:

عند الحساب.

قالت:

فإن لم ألقك عند الحساب ؟

قال:

عند الصراط ، جبرئيل عن يمينى، وميكائيل عن يسارى، والملائكه من خلفى وقدامى، ينادون رب سلم أمه محمد من النار، ويسر عليهم الحساب.

فقالت فاطمه عليها السلام:

فأين والدتى خديجه ؟

ص: ٢٩٦

قال:

فى قصر له أربعة أبواب إلى الجنة».

ثم أغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...»(١).

والحديث فيه معانٍ ودلالات كثيرة منها:

١. إنَّ الله تعالى ليظهر كرامته لأولياته وبيان شرفهم فى جميع منازل الآخرة قبل دخولهم الجنة، حتى إذا أدخلهم الجنة أظهر لأهل الجنة كرامات أخرى لأولئك المخلصين من عباده.

٢. أن الناس الذين تتفتت قلوبهم من الخوف ويتفاوتون فى تلقى الفزع وشدته عليهم فبين مخدوش بكلاليب الصراط وبين منكوس فى النار. ففى هذا الجو الرهيب والمهول تكون خديجه عليها السلام فى قصر له أربعة أبواب إلى الجنة.

٣. ان وجود أربعة أبواب لبيت خديجه يدل على توسطه بحيث يستطيع الناس النظر إليه من الجهات الأربع وهذا إظهار لشرافه المقيم فى هذا المنزل.

٤. ان هذا العدد من الأبواب فيه دلالة على التعظيم كما جعل الله للبيت الحرام - أعزه الله - أربعة أبواب فى السماء كما نصت عليه الرواية الآتية:

فقد روى الصدوق رحمه الله عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام انه قال:

ص: ٢٩٧

١- الأمالى للصدوق: ص ٧٣٥؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ٢٢، ص ٥٠٩.

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ الْبَيْتَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ قَنْدِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقٌ» (١).

وهذا كله يظهر شرافه هذه المرأه الطاهره عند الصراط وفي جميع منازل الآخره، حتى إذا أدخلها الله الجنة أظهر لأهلها شرافه أمته خديجه، ويبن سبحانه لعباده منزلتها في الجنان فكانت عظيمه كعظم هذه المرأه وجلاله قدرها عند الله تعالى وعند رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو ما سنتعرض له في المبحث الآتي.

المبحث السابع: منزله خديجه عليها السلام في الجنة

إشاره

قد يتصور البعض أن الجنة لا- تميز فيها المنازل أو انها تفتقد إلى التشريفات أو تخلو من التفاضل والتكريم؛ في حين نجد القرآن الكريم قد دلّ في آيات كثيره على اختلاف المنازل في الجنة بل انها جنان متعدده أعد بعضها لخاصه الله من عباده كما تظهر الأحاديث الشريف والآيات المباركه، الآتي ذكرها:

١. جنة الخلد، قال تعالى:

(قُلْ أُولَئِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَ مَصِيرًا) ٢.

ص: ٢٩٨

١- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٤١.

٢. جنه المأوى، قال تعالى:

(أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١.

وقال سبحانه:

(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُتَّهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) ٢.

٣. جنه النعيم، قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) ٣.

وقال تعالى:

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) ٤.

٤. جنه الفردوس، قال سبحانه:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) ٥.

ص: ٢٩٩

٥. جنه عدن، قال عز وجل:

(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ١ .

وغيرها من الآيات الكريمة التي تتحدث عن تعدد الجنان وتنوعها، فيما أشارت الأحاديث الشريفة إلى تخصيص هذه الجنان لبعض عباد الله تعالى.

فأما جنه الخلد فقد دلت الروايات على اختصاصها بمن يتولى على بن أبي طالب وذريته عليهم السلام فضلاً عن جنه عدن التي أعدها الله سبحانه لحبيبه المصطفى وعترته وشيعتهم. وهذا يدل على أن شيعة أهل البيت عليهم السلام يتفاضلون في استحقاق هذه المراتب فمنهم من يكون في جنه الخلد ومنهم من يكون مع محمد وآله في جنه عدن كما أشارت النصوص، وهي كالاتي:

١. روى ابن بابويه القمي رحمه الله عن أبي اسحاق، عن زياد بن مطرف، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي وهو قضيب من قضبانه، غرسه بيده وهي جنه الخلد، فليتولّ عليا عليه السلام وذريته من بعده فانهم لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلال»(١).

ص: ٣٠٠

١- الإمامه والتبصره لابن بابويه القمي: ص ٤٥.

٢. روى ابن عياش الجوهري؛ والشيخ الطوسي، وابن شهر آشوب، وابن عساكر الدمشقي الأموي والتمتقي الهندي، والقندوزي وغيرهم، عن أبي الطفيل عامر بن واثله، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنه عدن التي غرسها ربي، فليتول علياً بعدى وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعده، فإنهم عترتي خلقهم الله من لحمي ودمي، وحباهم فهمي وعلمي، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي لا- أنالهم الله شفاعتي»(١).

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة التي ترشد المسلم إلى منازل المتقين وعباد الله الصالحين وتفاضلهم في الجنان التي أعدها الله لعباده المتقين.

وحيثما نأتى إلى منزله الصديقه الطاهره السيده خديجه الكبرى (صلوات الله وسلامه عليها) فى الجنه فلا بد لنا من المرور ببعض المسائل وهى كالتالى:

ص: ٣٠١

١- مقتضب الأثر لاحمد بن عياش الجوهري: ص ١٦؛ الأمالى للشيخ الطوسي: ص ٥٧٨؛ المناقب لابن شهر آشوب المازندراني: ج ١، ص ٢٥١؛ كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمى الشيرازي؛ البحار للمجلسي: ج ٢٣، ص ١٣٩؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلى: ج ٩، ص ١٧٠؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ١٠٣؛ خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق: ص ٣٠؛ تاريخ مدينه دمشق: ج ٤٢، ص ٢٤٠ و ص ٢٤٢؛ ينابيع الموده للقندوزي: ج ٢، ص ٤٨٩؛ الإمامه وأهل البيت لمحمد بيومى مهران: ج ١، ص ٦١.

المسأله الأولى: اشتياق الجنه لخديجه عليها السلام

يتحدث القرآن الكريم عن الجنه والنار فيكشف للمسلم عن جمله من الحقائق والخصائص التي تخصهما، والتي في الواقع يحترق العقل فيها، وكيف لا يحترق؟! وهما من الغيب الذي خص الله به نفسه وخيرته من خلقه.

الا ان الذي يدفع الإنسان إلى كثير من التفكير والتأمل هو تلك الحالات الخاصه التي جعلها الله سبحانه للجنه والنار، والتي ترافق في العاده الروح لا- الجماد وكأن القرآن في عرضه لصفات الجنه والنار يتحدث عن خلق من خلق الله امتاز بالحياه وليس بالموات، أى: إن الجنه والنار من ذوات الأرواح العاقله وهذا من أعجب ما يعرضه القرآن عن الجنه والنار؛ فالنار تتكلم، وتسمع، وتطيع، وتنتظر، وهي لأمر ربها خاضعه، ومن غضبه خائفه، ومن خشيته وجله.

وهذا يدل على أنهما مخلوقتان لا كما ذهب البعض من المسلمين إلى أنهما ليستا مخلوقتين - كما سيمر بيانه في ولاده فاطمه عليها السلام -.

أما الآيات الداله على حقيقه خلقهما أن لهما من الصفات ما لذوات الأرواح العاقله كالملائكه والجن والإنس فهي كالاتى:

١ - يقول سبحانه في بيان رؤيه النار للكافرين:

(إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) ١ .

والحال يجرى مجراه بالنسبه للجنه فمثلما تسمع النار وتتكلم وتنتظر فان

الجنة لتشتاق إلى نفر من المؤمنين والمؤمنات نصت عليهم الأحاديث النبويه الشريفه وهذا كاشف عن بلوغ هؤلاء النفر المراتب العلى من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالجنة لكثره ما يرد عليها من الحسنات من أولئك النفر فانها اشتاقت إليهم كما يشتاق الزرع إلى الزراع وكما تشتاق الأرض إلى الماء.

والأحاديث فى ذلك الخصوص كثيره، وكلها تكشف عن بلوغ هؤلاء النفر المراتب الساميه فى الجنان لكثره ما قدموا من أعمالٍ صالحه وخالصه لوجه الله تعالى، ولذا فالجنة تشتاق إليهم.

ولأن الشوق لا- يكون الا- من المحبه، ولأن الجنة هى موضع الطهر والقداسه ومحل عباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين وسيدهم أجمعين محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وآله وسلم ومن والاهم وثبت على دينهم فان ذلك يكشف عن أمور منها:

أ. ان اشتياق الجنة يدل على تحول هؤلاء وان كانوا فى الدنيا من أهل الجنة فالجنة لا تشتاق إلا لأهلها وأحبابها وإلا لا معنى لتحقق الشوق.

ب. ان هؤلاء النفر قد بلغوا رتبه عاليه من طهاره الروح والبدن حتى أصبحوا من سنخيه الجنة فحالهم من حال الجنة وجنسها.

ج. انهم من أهل العلم والعمل إذ لا- فائده من العلم ما لم يكن مصحوباً بالعمل ولولا هذا العلم والعمل لما وصلوا إلى رتبه اشتياق الجنة لهم.

أما مَنْ هؤلاء الذين تشتاق الجنة إليهم؟ فأما من النساء فهنّ المذكورات فى

حديث رواه ابن أبي الفتح الأربلي، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«اشتاقت الجنة إلى أربع من النساء مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»^(١).

وأما من الرجال فهم:

١. روى القاضى النعمان المغربى عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

«إنّ الجنة لتشتاق ويشتد ضوءها لمجىء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشيعتهم، ولو ان عبداً عبد الله بين الركن والمقام حتى تنقطع أوصاله وهو لا يدين الله بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه»^(٢).

٢. روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الباقر، عن آبائه عليهم السلام أجمعين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنّ الجنة لتشتاق لأجباء على ويشتد ضوءها لأجباء على عليه السلام وهم فى الدنيا قبل أن يدخلوها وإن النار تتغيظ ويشتد زفيرها على أعداء على عليه السلام وهم فى الدنيا قبل أن يدخلوها»^(٣).

ص: ٣٠٤

١- كشف الغمه للأربلي: ج ٢، ص ٩٤؛ بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٥٣؛ شجرة طوبى للحائرى: ج ٢، ص ٢٢٢؛ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى: ج ١٠، ص ٩٩.

٢- دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى: سجع ١، ص ٧٤.

٣- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ٢٠٧.

٣. روى الصدوق رحمه الله عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن على عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلى أمير المؤمنين عليه السلام:

«الجنة تشتاق إليك والى عمار وإلى سلمان وأبى ذر والمقداد»^(١).

٤. روى الترمذى، عن الحسن بن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الجنة تشتاق إلى ثلاثه: على وعمار، وسلمان»^(٢).

٥. وأخرج أبو يعلى الموصلى فى مسنده، عن سعد الاسكاف، عن أبى جعفر محمد بن على عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام قال:

«أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد ان الله يحب من أصحابك ثلاثه فأحبهم، على بن أبى طالب، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود، قال فأتاه جبريل فقال له: يا محمد إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثه من أصحابك، وعنده أنس بن مالك فرجا أن يكون لبعض الأنصار، قال فأراد أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم فهابه فخرج فلقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر أنى كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آنفا فأتاه جبريل فقال إن الجنة تشتاق إلى ثلاثه من أصحابك فرجوت أن يكون لبعض الأنصار فهبته أن أسأله فهل لك أن تدخل على نبي الله

ص: ٣٠٥

١- الخصال للصدوق: ص ٣٠٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج ١، ص ٧٢.

٢- سنن الترمذى: ج ٥، ص ٣٣٢.

صلى الله عليه وسلم فتسأله؛ فقال إني أخاف أن أسأله فلا أكون منهم ويشمت بي قومي، ثم لقيني عمر بن الخطاب فقال له مثل قول أبي بكر.

قال فلقي عليا فقال له علي: نعم، إن كنت منهم فأحمد الله، وإن لم أكن منهم فحمدت الله؛ فدخل على نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أن أنسا حدثني أنه كان عندك أنفا وإن جبريل أتاك فقال يا محمد إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثه من أصحابك قال فمن هم يا نبي الله؟

قال أنت منهم يا علي، وعمار بن ياسر، وسيشهد معك مشاهد، بين فضلها، عظيم خيرها، وسلمان منا أهل البيت وهو ناصح فاتخذة لنفسك»(١).

المسألة الثانية: شرافه منزلتها في الجنة قد جمعت في مقام (الأفضليه، والسيديه، والخيريه)

تناولنا في مبحث «منزله خديجه في السنه» وورد بعض الأحاديث الشريفه التي تنص على بيان منزله بعض النساء في الجنة والتي كانت بألفاظ ثلاثه، وهي كالآتي:

١. روى أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأرض أربعه خطوط، قال:

ص: ٣٠٦

١- مسند أبي يعلى الموصلى: ج ١٢، ص ١٤٣، حديث ٦٧٧٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ١١٧؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٣، ص ٢٥٨؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٢١، ص ٤١٢.

تدرون ما هذا؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران»(١).

فكان هذا الحديث قد نص على «الأفضليه».

٢. روى الحاكم النيسابورى عن عائشه انها قالت لفاطمه عليها السلام: الا أبشرك أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران، وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجه بنت خويلد، وآسيه»(٢).

ونلاحظ هنا أن الحديث قد نص على «السيديه».

٣. أخرج ابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وآسيه امرأة فرعون»(٣).

٤. وروى الشيخ الصدوق رحمه الله عن ابن عباس قال: خط رسول الله

ص: ٣٠٧

١- مسند احمد بن حنبل: ج ١، ص ٢٩٣.

٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٨٥.

٣- صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ٤٠٢؛ المستدرک للحاكم: ج ٣، ص ١٥٤؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٦، ص ٣٢٩؛ الآحاد والمثانى للضحاک: ج ٥، ص ٣٦٤؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٨٢١؛ موارد الظمان للهيشمى: ج ٧، ص ١٦٨؛ الجامع الصغير للسيوطى: ج ١، ص ٦٢٩؛ كنز العمال للهندي: ج ١٢، ص ١٤٣.

أربع خطط ثم قال: خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وآسيه بنت مزاحم امرأة فرعون».

وهنا ورد الحديث وهو ينص على «الخيرية».

وهذه الألفاظ الثلاثة «الأفضليه، والسئديه، والخيريه»، لم تكن تصدر من الحضرة النبويه لغرض التساوى والترادف فى المعانى وإنما لكل لفظه دلالتها الخاصه بها.

أما (الأفضليه) التى خصصن به هؤلاء النسوه إنما هو لحصولهن على امتيازات خاصه جعلتهن يبلغن تلك المنزله، بمعنى أنهن فضّلن على بقية نساء الجنة بميزات لم تتوصل إليها النساء فى زمان كل واحده منهن، فمريم عليها السلام لم تكن فى زمانها امرأة قد بلغت هذا المستوى من الإيمان والصلاح حتى خاطبتها الملائكه وهى تصلى فى المحراب.

وآسيه بنت مزاحم لم يُهيأ لامرأه ما هيئ لها من السلطه والمال والخدم الا ان كل ذلك رمته وراء ظهرها واتجهت إلى ربها فخلصت له الدين ولم يكن أحد غيرها يعبد الله من أمه موسى وهارون.

ولذلك: ضرب الله بها مثلاً للذين كفروا كى تكون عليهم حجه بالغه، حتى رأت بحق اليقين جنه ربها سبحانه وتعالى ولذا قالت:

(رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ) ١ .

وهى المكاشفه.

وأما سيدتى ومولاتى خديجه الكبرى صلوات الله عليها فأى امرأه قد حظيت بمثل ما حظيت به من النعيم فى الحياه الدنيا من المال والجمال والحسب الرفيع والنسب الشامخ حتى أصبح كل أشراف مكه وأسيادها حريصاً على الزواج بها.

لكنها لما رأت فى يتيم أبى طالب فضائل الأخلاق تتخلله، ونور النبوه يعلوه، اتجهت لخدمته ونصرتة ومواساته وهى ترجو فى ذلك رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد مرّ فى بيان شأنها ما علمه القارئ الكريم.

حتى نالت السلام من ربها قبل موتها فكيف بها وهى فى حضرته وفى جنته التى اعدّها للمتقين.

وأما فاطمه صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها فلقد بلغت من اليقين ما لم تبلغه امرأه من العالمين فان كانت مريم وآسيه وخديجه قد تفاضلن فى مراتب اليقين بين مرتبه «علم اليقين، وعين اليقين» فان فاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغت مرتبه «حق اليقين» ولذا كانت قلب النبى المصطفى وروحه التى بين جنبيه.

ولذا: نالت السيديه على نساء العالمين.

بمعنى:

ان مرتبه الأفضليه التى أشار إليها الحديث النبوى الشريف كان تدل على

ص: ٣٠٩

حصول التفاضل فيما بين هؤلاء النسوة على بقيه النساء بعلة وجود خصائص ومميزات لم تتوافر في غيرهن من النساء فضلاً عن أنهن يتفاضلن فيما بينهن حسب درجات اليقين التي نص عليها القرآن الكريم أي: «علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين».

ومثاله في التفضيل قوله تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ١ .

وتفضيل بني آدم كان من خلال مميزات امتازوا بها على كثير مما خلق الله تعالى:

١. ميزهم بالعقل فكان تفضيلاً.

٢. جعل فيهم الخلافه على الأرض.

قال تعالى:

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ٢ .

٣. اكرام الصالحين بالجنة.

٤. سخر لهم كثيراً من المخلوقات.

٥. أكرمهم بالعلم.

ص: ٣١٠

(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ١ .

وغيرها من الخصائص.

ومثال آخر جاء به القرآن على حقيقته التفضيل.

قال تعالى:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۚ ٢، (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) ٣ .

فهنا كان التفضيل بين الأنبياء بمميزات كالتكليم واتيان داود الزبور وهكذا وتلك النسوة كان تفضيلهن على نساء أهل الجنة بميزات مر ذكرهن لاسيما ما مر من بيانه خلال هذه الأسطر عن مولاتنا خديجه عليها السلام.

أما السيديه:

فترتكز على بلوغ هذه النساء مراتب اليقين كما أسلفنا.

والسيد: بفتح أوله وكسر ثانيه، هو: (من اجتمع عليه قومه وجعلوا أمرهم إليه للخير الذي فيه) (١).

وشخص الخير وتجسيده إلى مظاهر خارجيه يدرکها الناس يحتاج إلى ثبوته في النفس وتجذره فيها، ولأن الخير أصله اليقين بالله تعالى فكان سنامه

ص: ٣١١

١- معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي: ص ٢٥٣.

ونواته حق اليقين وهو ما ساد به حبيب الرحمن على جميع الأنبياء والمرسلين فبلغ من ربه محلاً لم يرق إليه مخلوق قط حيث قال عز من قائل:

(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ١ .

وهذا فضلاً عن شهادته الحق سبحانه لقلب حبيبه وبقينه بمولاه فقال سبحانه:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) ٢ .

ولذلك: سادت هذه النسوة على بقية نساء الجنة بخيريتهن على هذه النساء بمعنى: تجلى مظاهر الخير وأصوله فيهن عليهن السلام فكنّ كما وصفهن المصطفى «بخير نساء الجنة».

وبه بلغن رتبه الخيريه.

فكنّ :

١. أفضل نساء الجنة: لاختصاصهنّ بميزايا لم تحصل عليها امرأه في زمانهنّ .

٢. وخير نساء الجنة: لاجتماع الخير فيهنّ وتجليه إلى مظاهر حياته ملموسه فيما بين النساء.

٣. وسيدات نساء الجنة: لبلوغهن مراتب اليقين التي لم يبلغها غيرهن من النساء.

ص: ٣١٢

إن من الحقائق التي ذكرها القرآن الكريم والسنة المحمديه حول مجريات يوم القيامة، هو تمايز المؤمنين في دخولهم الجنه وتفاضلهم في ذلك.

بل: قد أشارت أيضاً إلى أن يكون الدخول مصحوباً بآثار بعض الأعمال الحياتيه التي عاشها الإنسان قبل انتقاله إلى عالم الآخره.

قال تعالى:

(وَسَيَقِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
١٠).

وفى بيان القرآن الكريم لدخول من حقت عليه كلمه العذاب إلى جهنم يقول سبحانه:

(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) ٢.

وتظهر الآيه بوضوح ان اختلاف أبواب جهنم لم يكن دون حكمه، بل ان تعدد هذه الأبواب كما تنص الآيه كان لغرض اختلاف الأعمال التي عملها أهل النار فكانت الباب بحسب نوع الجرم والظلم الذي قام به اولئك،

فالمشركون يدخلون من باب خاص بهم، والمنافقون لهم باب خاص فى جهنم، والقتله لهم باب؛ والظالمون لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم باب وهكذا - نعوذ بالله من حلول سخطه ونسأله العفو والرحمه والموالاه لمحمد وأهل بيته - .

وعليه:

فالحال يجرى مجراه بالنسبه لايواب الجنه فقد خصصت بحسب الأعمال فالمتقون لهم باب، والصالحون لهم باب، والمؤمنون لهم باب، والمسلمون لهم باب، وبعض الأبواب خصصت ببعض الأعمال، كالعلماء، والشهداء، وغير ذلك؛ بل قد ورد فى بعض الروايات ان صنفاً من الناس يخير فى الدخول إلى الجنه من أى باب شاء.

وقد نصت الأحاديث على وقوف بعض عباد الله تعالى عند أبواب الجنه لا يدخلونها حتى يدخل معهم من أحبوا، فيشفعون لهم ويصحبونهم إلى الجنه.

قال تعالى:

(جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) ١ .

ص: ٣١٤

فآليه المباركه: تشير إلى اصطحاب أهل جنه عدن معهم آباءهم وأزواجهم وذرياتهم.

ومن هنا:

ورد فى الأحاديث الشريفه: اختصاص السقط الذى يذهب دون أن يكمل مدّه حمله أو المولود الذى يتوفاه الله قبل ان يجرى عليه القلم، أى قبل أن يصل إلى السن الشرعيه فى أداء الفروض الواجبه يكون حاله فى الآخره ممن يشفع لوالديه فيدخلهم الجنه.

وفى هذا الخصوص وبما يتعلق بمولاتنا خديجه عليها السلام فقد أخرج الشيخ الكلينى رضوان الله تعالى عليه والحر العاملى (قدس) روايه تدل على ان خديجه عليها السلام يصحبها ولدها القاسم قبل دخولها الجنه، بل هو من يأخذ بيدها إلى الجنه. وهذا نص الروايه:

روى الكلينى رحمه الله عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر - الباقر عليه السلام -، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خديجه حين مات القاسم ابنها وهى تبكى فقال لها:

ما يبكيك ؟

فقال:

درت دريره فبكيت.

فقال:

«يا خديجه أما ترضين إذا كان يوم القيامه أن تجيئى إلى باب

ص: ٣١٥

الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن.

إن الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمره فؤاده ثم يعذبه بعدها أبداً(١).

والحديث فيه أمور وهي كالآتي:

أولاً: حكمه الابتلاء بالسقط وموت الأبناء الذين لم يبلغوا الحنث

تدل الروايه الشريفه على احدى الحقائق المتعلقة بالابتلاءات المتعدده التي يبتلى بها المسلم ألا وهي ابتلاؤه بموت جنينه وهو فى بطن أمه، أو يذهب سقطاً، وهو ما يعرف بالاجهاض أو يتوفاه الله تعالى وهو لم يبلغ الحلم، أى لم يصل إلى السن الذى تتعلق فيه الأحكام الشرعيه بدمته فهذا الابتلاء له حكمه خاصه دلت عليها الروايه الشريفه، فكانت ضمن متعلقات كثيره:

أ. أن يكون شفيحاً لوالديه يوم القيامة فيكون سبباً لغفران ذنوبهما فى الآخره.

ب. أن تكون شده مصاب الأبوين هو كفاره لذنوبهما فى الدنيا؛ فيعوضان الجنة فى الآخره.

ج. أن يكون دليلاً لهما فى الجنة فينزلهما فى منازلهما الخاصه وهذا خاص بالمتقين كما نصت الروايه على بيان دور القاسم ابن النبى صلى الله عليه وآله

ص: ٣١٦

١- الكافى للكلىنى، باب: المصيبه بالولد، ج ٣، ص ١٨؛ وسائل الشيعه للحر العاملى، باب: احتساب موت الأولاد، ج ٣، ص ٢٤٤؛ الحدائق الناضره للمحقق البحرانى: ج ٤، ص ١٧٥؛ بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج ١٦، ص ١٥.

وسلم إذ لم يكن دوره في غفران الذنوب، فمثل خديجه وهي التي سلم عليها الله سبحانه وتعالى وهي في دار الاختبار والامتحان لا يكون لها ذنب؛ لأن الله تعالى لا يسلم على مذب عاص له.

ولذلك كان دور القاسم هو الدليل الذي يأخذ بيد أمه إلى أفضل منازل الجنة، وهو بطبيعته الحال موضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانه؛ وقد ورد في بيان جزاء الله تعالى لمن ابتلى بمثل هذا الابتلاء أحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل الاستشهاد يأتي:

١. روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن أبيه رحمه الله عن عمرو ابن شمر عن جابر - عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«من قدم أولادا يحتسبهم عند الله حجبوه من النار باذن الله عز وجل»(١).

٢. وبسنده أيضاً عن شمر بن حوش عن عمرو بن عنبسه السلمى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أيما رجل قدم ثلاثه أولاد لم يبلغوا الحنث أو امرأة قدمت ثلاثه أولاد فهم حجاب يسترونه من النار».

٣. وقريب من هذا اللفظ أخرج أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من مسلمين يموت لهما ثلاثه من الولد لم يبلغوا الحنث إلا كانوا له حصناً حصيناً من النار».

ص: ٣١٧

١- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ١٩٦.

فقيل: يا رسول الله، فإن كان اثنين؟ قال:

«وإن كان اثنين».

فقال أبوذر: يا رسول الله لم أقدم إلا اثنين؟ قال:

وإن كانا اثنين.

قال: فقال أبي بن كعب أبو المنذر سيد القراء: لم أقدم إلا واحدا؟ قال:

فقيل له، وإن كان واحداً.

فقال:

إنما ذلك عند الصدمه الأولى»(١).

ثانياً: إن القاسم ولد ومات في الإسلام

لقد تناولنا في الجزء الأول من هذا الكتاب في مبحث القاسم بكر خديجه عليها السلام ما يثبت انه كان قد ولد ومات في الإسلام؛ وهذا النص الشريف ليدل مره أخرى على ثبوت هذه الحقيقه، وعليه:

فإننا نطرح السؤال السابق الذى سألناه، وهو: إذا كان القاسم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى أجمعت الامه على انه بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه وقد ولد ومات في الإسلام، فكيف يمكن أن تكون بقيه بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أى: (زينب، وأم كلثوم، ورقيه) قد ولدن وتزوجن قبل البعثه النبويه وإن رقيه وأم كلثوم طلقهن ولداً أبى لهب بعد البعثه؟! من عتبه بن أبى لهب وأخيه عتيبه ألا يكون ذلك ضرباً من الخيال؟

ص: ٣١٨

ولذا:

فكونهما من صلبه صلى الله عليه وآله وسلم مع هذه الحقائق لا يستند إلى منطق أو دليل علمي سوى منطق التعصب الأعمى، ونزعه الجاهلي، ولم يبق سوى الاعتقاد بأنهما رضى الله عنهما رببتيه صلى الله عليه وآله وسلم فأخذن صفه البنت.

المسألة الرابعة: صفه بيت خديجه عليها السلام فى الجنه

اشاره

تضافت النصوص النبويه الشريفه فى كتب المدارس الإسلاميه كافه فى وصفها بيت خديجه عليها السلام فى الجنه وقد اجمعت هذه النصوص على ان بيتها هو من قصب لا- صخب فيه ولا نصب، إلا انها اختلفت فى صدور الحديث النبوى الشريف زماناً ومكاناً.

أولاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى حياه خديجه عليها السلام

فمنها ما نص على صدور الحديث فى حياه خديجه عليها السلام فى مكه حينما كانت تحمل لرسول الله الطعام والماء وهو فى غار حراء يتعبد الله عز وجل، وقد بشرها الله عز وجل على لسان جبرئيل بييت فى الجنه وأبلغها سلام الرحمن وسلامه إليها؛ كما نص عليه البخارى فى صحيحه:

فقال: حدثنا قتيبه بن سعيد، حدثنا محمد بن فضيل، عن عماره، عن أبى زرعه عن أبى هريره، قال: «أتى جبريل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

ص: ٣١٩

يا رسول الله هذه خديجه قد أتت معها اناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هي قد أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومنى، وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(١).

ثانياً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينة

ومنها ما نص على صدور الحديث النبوي عن حضرته المقدسه صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينة وعند دخوله مكة معتمراً، والحديث يخرج البخاري أيضاً.

فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتمرنا معه، فلما دخل مكة طاف وطفنا معه، وأتى الصفا والمروه وأتيناها معه، وكنا نستره من أهل مكة أن يرميه أحد.

فقال له صاحب لي: أكان دخل الكعبه؟

قال: لا.

قال: فحدثنا ما قال لخديجه؟

قال:

«بشروا خديجه بيت من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(٢).

ص: ٣٢٠

١- صحيح البخاري، باب: تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجه عليها السلام: ج ٤، ص ٢٣١.

٢- صحيح البخاري، باب: طواف الوداع، ج ٢، ص ٢٠٣.

ثالثاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه خديجه عليها السلام

ومنها ما نص على سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خديجه بعد وفاتها فقال:

«أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(١).

وفي روايه أخرى، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«رأيتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب»^(٢).

رابعاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في بيان صفه القصب

إشاره

أما ما ورد من نصوص نبويه في وصف نوع القصب فقد أشارت الأحاديث إلى:

١. أن هذا القصب من «لؤلؤه جوفاء»^(٣).

٢. أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمه عليها السلام:

«إن أمك في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر»^(٤).

ص: ٣٢١

١- مسند أبي يعلى الموصلى: ج ٤، ص ٤١؛ المعجم الأوسط للطبرانى: ج ٨، ص ١٢٠.

٢- المعجم الكبير للطبرانى: ج ٢٣، ص ٨؛ الآحاد والمثانى للضحاك: ج ٥، ص ٢٨٣، حديث ٢٩٨٨؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٤١٦.

٣- شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى: ج ٣، ص ١٧.

٤- الأمالى للشيخ الطوسى رحمه الله: ص ١٧٥.

٣. أنه من «قصب اللؤلؤ»(١).

٤. أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من القصب المنظوم بالدر والياقوت واللؤلؤ»(٢).

وهذه الأحاديث النبويه الشريفه تكشف عن التكريم الخاص لمولاتنا خديجه عليها السلام أما لماذا من قصب ؟ ففيه وجوه:

الوجه الأول: كى يميز الله عز وجل بيت خديجه فى الجنه على بقية البيوت

كون بيت خديجه من قصب هو للتمييز بينه وبين البيوت الأخرى التى أعدها الله تعالى كبيت آسيه بنت مزاحم حيث طلبت من الله تعالى ان يبنى لها بيتاً فى الجنه، كما هو واضح فى كتابه العزيز فى قوله تعالى:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٣٠.

لاسيما وقد ورد فى النصوص أن بيت خديجه عليها السلام بين مريم بنت عمران وآسيه بنت مزاحم، فجاء بيت خديجه بهذا الوصف لغرض التمييز بين هذه البيوت الثلاثه.

ص: ٣٢٢

١- السنن الكبرى للبيهقى: ج ٧، ص ٧١.

٢- مسند الشاميين للطبرانى: ج ٢، ص ١١٨؛ تاج العروس للزبيدي: ج ٢، ص ٣٢٣.

الوجه الثانى: للدلالة على ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام

اختيار القصب لهذا البيت دلالة على كثره الذريه النبويه التى كانت جدتهم خديجه؛ إذ إن جميع ذريه المصطفى من ابنته فاطمه الزهراء عليها الصلاه والسلام وقد قال النبى الأعظم فى ذريته:

«كل بنى آدم عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمه فأنا أبوهم وأنا عصبتهم».

فكان القصب بالمقابلته مع النسل يدل على كثره نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثالث: للدلالة على أن دور خديجه كان كالعمود الفقرى لجسم الإنسان

من الصفات الجماليه للقصب احتواؤه على تلك الفقرات التى تعطى صورته مماثلة للعمود الفقرى الذى يكون محل الحبل الشوكى ومركز اعتماد الجسم البشرى والحيوانى عليه، وهذا فيه دلالة على ان الدور الذى قامت به خديجه عليها السلام فى قيام هذا الدين هو بمنزله العمود الفقرى لهذا الجسم.

الوجه الرابع: للدلالة على الاستقامه

إن من صفات القصب هو الاستقامه وكذا كان سيرها وإيمانها وتمسكها بالصراط المستقيم.

أما دلالة قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا صخب فيه ولا نصب».

فهو الآتى:

١ - إنّ مما يتبادر إلى ذهن السامع حينما عرف أن هذا البيت من القصب هو الضجيج وارتفاع الصوت، وذلك عند تحرك هذه الأعواد حينما يمر بها الريح فيدفعها للاصطدام ببعضها فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يصرف ذهن السامع إلى أن هذا القصب ليس مما شهده الإنسان في الحياه الدنيا.

٢ - لعدم اجتماع النقيضين في محل واحد؛ بمعنى لا يجتمع التعب مع حاله الاستقامه في محل واحد، فالصخب والنصب يأتي من الانحراف والاعوجاج أما في حاله الاستقامه فلا وجود للصخب والنصب ولذا: كان القصب دليلاً على الاستقامه التي يلازمها الهدوء والسكينه.

٣ - قال السهيلي: مناسبه نفى هاتين الصفتين، أعنى: المنازعه والتعب أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابته خديجه طوعاً فلم توجهه إلى رفع صوت ولا منازعه ولا تعب في ذلك بل أزالته عنه كل نصب وآنسته من كل وحشه وهونت عليه كل عسير فناسب أن يكون منزلها الذى بشرها به ربها بالصفه المقابله لفعالها(١).

ولذا نفى عنه النبي الأكرم صفتى الصخب الذى يرافق تحرك هذه الأعواد القصبية، ونفى عنه التعب؛ لأنه لا يأتي مع وجود الاستقامه.

والله سبحانه وتعالى العالم بحقائق الأمور.

ص: ٣٢٤

١- فتح البارى لابن حجر: ج ٧، ص ١٠٤.

المسأله الخامسه: موقع بيت خديجه فى الجنه

أشارت الروايات عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى تحديد موقع هذا البيت فكانت هذه الأحاديث كالاتى:

أ. روى القاضى النعمان المغربى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام:

«إن جبرائيل عليه السلام عهد إلى ان بيت أمك خديجه فى الجنه بين بيت مريم ابنه عمران وبين بيت آسيه امرأه فرعون».

ب. ان فاطمه عليها السلام سألت أباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه أمها خديجه عليها السلام، فقالت:

أين أمنا خديجه ؟

قال:

«فى بيت من قصب لا لغوفيه ولا نصب بين مريم وآسيه امرأه فرعون».

فقلت:

من هذا القصب ؟

فقال:

لا بل من القصب المنظوم بالدر والياقوت واللؤلؤ»^(١).

ج. روى الشيخ الطوسى رحمه الله عن بريد العجلى، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام يقول:

ص: ٣٢٥

١- مسند الشاميين للطبرانى: ج ٢، ص ١١٨.

«لما توفيت خديجه عليها السلام جعلت فاطمه صلوات الله عليها تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدور حوله، وتقول: يا أبا عين أمي؟ قال: فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له: ربك يأمرك أن تقرئ فاطمه السلام، وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسيه ومريم بنت عمران. فقالت: فاطمه عليها السلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام(١).

والحديث فيه جملة من الدلالات منها:

١. إن لرضا فاطمه عليها صلوات الله وسلامه وغضبها ارتباطاً برضا الله عز وجل، وإن لسرورها وحزنها ارتباطاً بحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسروره كما نصت على ذلك الأحاديث النبويه.

ففي رضاها وغضبها، روى الحاكم النيسابورى وغيره عن على بن الحسين عن أبيه عن على عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام:

«إن الله ليغضب لغضب فاطمه ويرضى لرضاها»(٢).

ص: ٣٢٦

-
- ١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ١٧٥؛ الخرائج والجرائح للراوندى: ج ٢، ص ٥٢٩؛ البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٢٨.
 - ٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٥٤؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢١٣؛ الآحاد والمثانى للضحاک: ج ٥، ص ٣٦٣؛ الذريه الطاهره للدولابى: ص ١٦٨؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ٢٢، ص ٤٠١؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفى: ص ١٧٧؛ كنز العمال للهندي: ج ١٢، ص ١١١.

وفى حزنها وسرورها، روى احمد بن حنبل عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«فاطمه شجنه منى يبسطنى ما بسطها ويقبضنى ما قبضها»(١).

وفى اجتماع هاتين الخاصيتين ظهر لفاطمه صلوات الله عليها منزله خاصه ومقام لم تحظ بهما امرأه من العالمين. ولذلك: تدل الروايه الشريفه على اختصاصها بنزول جبرئيل عليه السلام عند حزنها وانقباضها لفقد أمها خديجه عليها السلام.

والسؤال المطروح: كيف إذا اجتمع غضبها وحزنها وتألمها فى وقت واحد على أشخاص محددین من الآثار التكوينية والشرعية؟

٢. ان نزول جبرئيل عليه السلام ليجيب عن سؤالها مباشره - وهو، أى جبرئيل، لا يسبق الله فى أمر ولا يجتهد فى قول أو فعل - يكشف عن ان فاطمه عليها السلام الصوره الخارجيه لقلب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وان الله سبحانه أراد دفع هذا الحزن عن قلب المصطفى الذى هبى لخزانه الوحي.

ولذا كى يبقى مطمئناً لزم ان تكون فاطمه مطمئنه أيضاً.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«فاطمه قلبى وروحي التى بين جنبي»(٢).

ص: ٣٢٧

١- مسند احمد بن حنبل: ج ٤، ص ٣٣٢؛ المستدرک للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ١٥٤؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٠٣.

٢- كشف الغمه للأربلى: ج ٢، ص ٩٤؛ الفصول المهمه لابن الصباغ المالکى: ج ١، ص ٦٦٤؛ البحار: ج ٤٣، ص ٥٤.

٣. إن تلقيها الإجابة من جبرائيل عليه السلام فيه دلالة على كمالها ودرجه يقينها بالله تعالى وبملائكته ورسله وبنبوه أيها وتصديقها بذلك كله حق الصدق فهي الصديقه الكبرى على العالمين.

والا كيف يفسر قبولها الجواب وهي في الخامسة من عمرها سوى انها ممن اصطفاهم الله واختارهم على العالمين.

٤. يدل جوابها صلوات الله عليها على عصمتها ورتبه علمها وان عدد السنين لا مدخله له في علم المعصومين فقد علمها ربها من لدنه علما وذلك هو مراد قولها:

«إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام».

٥. ان اختصاصها بالسلام عن الله تعالى وجوابها هذا يدل على تلازمها مع أمها خديجه في الأفضليه والخيريه والسئديه على نساء العالمين، وذلك؛ لاختصاصهما بالسلام من الله تعالى وبردهما نفس الجواب - كما مر بيانه سابقاً -.

٦. يكشف الحديث بشكل صريح عن جعل بيت خديجه في مركز هذه البيوت والدليل عليها في الجنه لما في الوسطيه من منزله عند الله تعالى.

وعليه: يكون لموقع بيت خديجه عليها السلام في الجنه بين بيت مريم ابنت عمران وبيت آسيه بنت مزاحم دلالة عن شرافتها في الجنه وإظهاراً لمقامها وشأنها وبتميزها من خلال هذا الموقع والوصف عن بيوتات النساء الصديقات اللاتي بلغن مراتب الفضل والشرف كما يتمايز أهل الجاه والشرف والحظ في مجالسهم في الحياه الدنيا.

الفصل السادس: انها من عباد الله المخلصين و خير زوجه لرسول رب العالمين

المبحث الأول: كيف كانت حياتها الزوجيه ؟ ٨

الصوره الأولى: القرآن يمدح نساء النبي مدحاً مقيداً ٨

الصوره الثانيه: القرآن يذم من خالفت منهنّ هذه الشروط ٩

المسأله الأولى: حياتها الزوجيه قبل البعته ١١

أولاً: الزوج أهم من المال والأهل عند خديجه ١٢

ثانياً: إكرامها لمن يفد على زوجها والإحسان إليهم ١٤

ثالثاً: تخفيفها لهوم زوجها ومواساته ١٥

المسأله الثانيه: حياتها الزوجيه بعد البعته النبويه ١٩

الحلقه الأولى: دور خديجه فى بدء البعته كما يرويه البخارى ١٩

الحلقه الثانيه: حقيقه دور خديجه فى بدء البعته تختلف عما يرويه البخارى ومسلم من شبهات ٢٤

الأمر الأول: توهم شراح البخارى فى دلاله قول خديجه عليها السلام (كلا) ٣٠

الأمر الثاني: دلاله قولها (أبشر) يراد به التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ٣١

الأمر الثالث: أقال (لا يحزنك) أم (لا يخزيك) التي هي في مقام الدم كما يروى البخارى !!؟ ٣٢

الأمر الرابع: مؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر التصديق كان من فعل الأنبياء كما نص عليه القرآن الكريم ٣٥

الأمر الخامس: مخالفه البخارى للقرآن في خوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صوت جبرائيل لدرجه الموت رعباً؟! ٣٦

المسألة الثالثة: مصاديق الزوجه الصالحه ٣٨

أولاً: مبايعتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨

الوجه الأول ٤٤

والوجه الثانى ٤٤

ثانياً: حملها الطعام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى الغار ٤٩

ثالثاً: خوفها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام حين خروجهما من المنزل ٥٢

رابعاً: كيف يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أم عياله خديجه عليها السلام حينما يدخل المنزل ؟ ٥٩

المسألة الرابعة: جهادها ومؤازرتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تبليغ رسالته ٦١

أولاً: فداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسها وحفظه من الأذى ٦٤

ثانياً: مؤازرتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الحصار حتى أكلت ورق الأشجار ٦٩

المبحث الثانى: آثار حياتها الزوجيه على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأسره المسلمه ٧٧

المسألة الأولى: كانت خديجه قدوه لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٧٧

المسألة الثانية: ولأن خديجه ربه البيت وأم العيال، كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حزن عليها حتى حُشِيَتْ عليه ٨٠

أولاً: إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأرحام خديجه عليها السلام ٨٢

ثانياً: إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحباب خديجه عليها السلام ٨٣

الفصل السابع: منزله خديجه في القرآن و السنه

المبحث الأول: منزلتها عند الله تعالى ٩٠

المسأله الأولى: إن الله تعالى يباهى بها ملائكته عليهم السلام ٩٠

المسأله الثانيه: إطعامها من ثمار الجنة ٩٤

المبحث الثاني: منزلتها في القرآن ٩٤

المسأله الأولى: آيه الإغناء ١٠٣

المسأله الثانيه: آيه الاصطفاء على النساء ١٠٥

المسأله الثالثه: آيه الأزواج والذريه ١٠٦

المسأله الرابعه: آيه الاستواء ١١١

المسأله الخامسه: آيه التسليم ١١٢

المسأله السادسه: آيه السابقون ١١٤

المسأله السابعه: آيه الاستغفار ١١٦

المسأله الثامنه: آيه الاصطفاء على العالمين ١١٦

المسأله التاسعه: آيه الأعراف ١١٩

المسأله العاشره: آيه التصوير ١٢٣

المبحث الثالث: منزلتها في السنه ١٢٥

المعنى الأول ١٢٥

المعنى الثاني ١٢٥

المسأله الأولى: منزله خديجه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٦

الحديث الأول: حديث الخيري ١٢٧

أولاً: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل خديجه ومريم فى منزله واحده من الخيريه ١٢٧

ثانياً: إن خديجه حازت على الكمالات التى عرضها القرآن الكريم لمريم عليها السلام ١٢٨

ثالثاً: إن خديجه فاقت فى بعض المواطن مريم ابنه عمران عليهما السلام ١٢٩

الحديث الثانى: حديث التفضيل ١٣١

الحديث الثالث: حديث أفضليه خديجه فى الجنه ١٣٣

الحديث الرابع: خيريه خديجه على نساء العالمين ١٣٤

أولاً: حذف فضائل خديجه من صحيح مسلم ١٣٥

ثانياً: دلالة الخيريه والأفضليه فى الأحاديث النبويه الشريفه ١٣٦

الحديث الخامس: خديجه سيده نساء عالمها ١٣٧

المسأله الثانيه: منزله خديجه من خلال دلالة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٤٠

الفعل الأول ١٤٠

الفعل الثانى ١٤٠

الفعل الثالث ١٤١

الفعل الرابع ١٤٢

المسأله الثالثه: منزله خديجه عند أئمه أهل البيت عليهم السلام ١٤٢

أولاً: منزلتها عند أمير المؤمنين على عليه السلام ١٤٢

ألف: منزله الأمومه ١٤٣

باء: منزله الحمامه ١٤٧

ثانياً: منزله خديجه عند فاطمه عليهما السلام ١٤٨

ثالثاً: منزله خديجه عند الإمام الحسن عليهما السلام ١٤٩

رابعاً: منزله خديجه عند الإمام الحسين عليه السلام ١٥٢

ألف: اتخاذ قبر خديجه محلاً للمناجاة والدعاء ١٥٣

باء: المنهاج التعبدي لقضاء الحوائج ١٥٤

خامساً: منزله خديجه عليها السلام عند الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ١٥٦

سادساً: منزله خديجه عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ١٥٩

ص: ٣٣٢

المسألة الرابعة: منزله خديجه عند أعلام بني هاشم وأبناء الأئمة عليهم السلام ١٦٠

أولاً: منزلتها عند أبي طالب عليهما السلام ١٦١

ثانياً: منزلتها عند أم سلمه رضى الله عنها ١٦١

ثالثاً: منزلتها عند محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام ١٦٤

رابعاً: افتخار الشهيد زيد بن علي بن الحسين بجده خديجه عليهم السلام ١٧٠

المسألة الخامسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام الشيعة ١٧٥

أولاً: منزلتها عند الشيخ الحميرى القمى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٢٦٧ هـ) ١٧٧

ثانياً: منزلتها عند الشيخ المفيد رضى الله تعالى عنه (المتوفى سنة ٤١٣ هـ) ١٧٩

ثالثاً: منزلتها عند العلامة الحلى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ) ١٨٠

رابعاً: منزلتها عند الفقيه الكراچكى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ) ١٨٤

خامساً: منزلتها عند الأربلى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٦٩٣ هـ) ١٨٥

سادساً: منزلتها عند المامقانى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١٣٥١ هـ) ١٨٦

سابعاً: منزلتها عند المحقق البحرانى رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١١٢١ هـ) ١٨٧

ثامناً: منزلتها عند السيد أبى القاسم الخوئى طيب الله ثراه (المتوفى سنة ١٤١١ هـ) ١٨٨

المسألة السادسة: منزله خديجه عليها السلام عند أعلام أهل السنة والجماعة ١٨٩

أولاً: منزلتها عند الحافظ ابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) ١٩٠

ثانياً: منزلتها عند الحافظ المباركفورى (المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ) ١٩١

ثالثاً: منزلتها عند الشبلنجى (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ) ١٩٢

رابعاً: منزلتها عند العلامة السبكى (المتوفى سنة ٧٥٦ هـ) ١٩٣

خامساً: منزلتها عند الزرقانى (المتوفى سنة ١١٢٢ هـ) ١٩٤

سادسا: منزلتها عند الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) ١٩٥

سابعا: منزلتها عند الحافظ السهيلي (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) ١٩٥

ثامنا: منزلتها عند القاضي النعمان المغربي (المتوفى سنة ٣٦٣ هـ) ١٩٨

ص: ٣٣٣

المسألة السابعة: خديجه عليها السلام من رواه الحديث الشريف ٢٠٠

أولاً: ورود اسمها في الكتب الرجالية عند الشيعة ٢٠١

ثانياً: ورود اسمها في الكتب الرجالية عند أهل السنه والجماعه ٢٠٢

ثالثاً: حذف حديثها من صحيح البخارى دليل على تحريف صحيح البخارى ٢٠٣

رابعاً: ما روى عنها من الأحاديث ٢٠٣

المبحث الرابع: اعتقاد خديجه عليها السلام بالإمامه ٢٠٣

المسألة الأولى: إنّ الله تعالى يختار لأولياته تمام النعمه ٢١١

المسألة الثانيه: اعتقاد الرسل والأنبياء بنبوه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع ما بعثوا به من رسالات إلى الأمم ٢١٦

المسألة الثالثه: سنه الابتلاء بحب على عليه السلام سنه قرآنيه ٢٢٠

المبحث الخامس: منزله خديجه في المحشر ٢٢٦

المسألة الأولى: ما هو الحشر؟ ٢٢٩

المسألة الثانيه: في أول من يحشر ٢٣٣

أولاً: معرفه الله تعالى ٢٣٨

ثانياً: الإسراع يكون للسّيديه ٢٤٠

ألف: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مقدم من حيث الخلق الأول ٢٤١

باء: مقام السّيديه يقتضى السبق في وصول النداء الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤١

جيم: مناقشه قول العلامة الطباطبائي (قدس)، في معنى: فاستمع، أى فانتظر ٢٤٢

ثالثاً: الإسراع في الخروج من القبر يكون لمقام الشاهديه ٢٤٣

المسألة الثالثه: شرافه منزله خديجه عليها السلام يوم المحشر ٢٤٥

أولاً: الحكمه في خروج فاطمه عليها السلام من قبرها ضمن تشريفات ملكوتيه ٢٤٨

ثانيا: إظهار منزله خديجه في المحشر من خلال استقبالها لفاطمه عليها السلام ٢٤٩

ثالثا: اختصاص خديجه عليها السلام بألويه التكبير في ساحه المحشر كاشف عن شرافه منزلتها ٢٥٣

ص: ٣٣٤

المسألة الرابعة: اقتصاص خديجه ممن ظلم ابنتها فاطمه عليها السلام فى يوم المحشر ٢٥٥

المبحث السادس: منزله خديجه عليها السلام عند الصراط ٢٦٢

المسألة الأولى: الصراط فى اللغة ٢٦٢

المسألة الثانية: معنى الصراط عند أئمه أهل البيت عليهم السلام، وعلماء أبناء العامه ٢٦٣

المسألة الثالثة: كيف يمر الناس على الصراط؟ ٢٦٥

المسألة الرابعة: المنجيات من الأعمال عند الصراط ٢٦٨

١. ثبوت حب على عليه السلام فى قلب الإنسان ٢٦٨

٢. مشايعه على بن أبى طالب ومناصرته ٢٦٨

٣. الصلاه المفروضه اليوميه ٢٦٩

٤. عياده المريض ٢٧٠

٥. إقراض المسلم مالاً ٢٧١

٦. المحافظه على صلاه الجماعه ٢٧٢

٧. الاستغفار فى شهر شعبان ٢٧٢

٨. من أعان مؤمناً فى شهر رمضان ٢٧٢

٩. قيام الليل بالقراءه والصلاه ٢٧٣

المسألة الخامسة: عقبات الصراط يوم القيامه ٢٧٤

أولاً: لا يسمح للمسلم أن يمرّ على الصراط إلا بجواز من على بن أبى طالب عليه السلام ٢٧٤

ثانياً: لا يجوز المسلم الصراط إلا إذا عرف محمداً وأهل بيته عليهم السلام وعرفوه ٢٧٤

ثالثاً: لا يجوز المسلم الصراط إلا بحفظ الأمانه وصون الرحم ٢٨٠

الدلاله الأولى ٢٨١

الدلالة الثانيه: أن على بن أبي طالب عليه السلام هو أول من يعبر الصراط من هذه الامه كالبرق الخاطف ٢٨٩

المسأله السادسه: شرافه منزله خديجه عند الصراط ٢٩٦

ص: ٣٣٥

المبحث السابع: منزله خديجه عليها السلام فى الجنة ٢٩٩

المسأله الأولى: اشتياق الجنة لخديجه عليها السلام ٣٠٣

المسأله الثانيه: شرافه منزلتها فى الجنة قد جمعت فى مقام (الأفضليه، والسيديه، والخيريه) ٣٠٧

المسأله الثالثه: كيف يكون دخولها إلى الجنة ؟ ٣١٤

أولاً: حكمه الابتلاء بالسقط وموت الأبناء الذين لم يبلغوا الحنث ٣١٧

ثانياً: إن القاسم ولد ومات فى الإسلام ٣١٩

المسأله الرابعه: صفه بيت خديجه عليها السلام فى الجنة ٣٢٠

أولاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى حياه خديجه عليها السلام ٣٢٠

ثانياً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينه ٣٢١

ثالثاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه خديجه عليها السلام ٣٢٢

رابعاً: ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى بيان صفه القصب ٣٢٢

الوجه الأول: كى يميز الله عزّ وجل بيت خديجه فى الجنة على بقيه البيوت ٣٢٣

الوجه الثانى: للدلاله على ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه عليها السلام ٣٢٤

الوجه الثالث: للدلاله على أن دور خديجه كان كالعمود الفقرى لجسم الإنسان ٣٢٤

الوجه الرابع: للدلاله على الاستقامه ٣٢٤

المسأله الخامسه: موقع بيت خديجه فى الجنة ٣٢٦

ص: ٣٣٦

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى

كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

مشخصات كتاب : ٤ج

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق.

٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود.

٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهات وردود.

ص : ١

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٥٢).

المصادر.

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق. ٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ؟٥٣ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود. ٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهات وردود. ٤. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - نساءه - شبهات وردود. ٥. محمد (صلى الله عليه و آله)، نبى الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - الأولاد - دراسه وتحقيق. ٦. على بن أبى طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره - ٤٠ ق. - فضائل - شبهات وردود. ٧. فاطمه الزهراء (عليها السلام)، ؟٨ - ١١ ق. - السيره - دراسه وتحقيق. ألف. الحلوى، محمدعلى، مقدم. ب. العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلميه. ج. عنون. د. عنوان: خديجه بنت خويلد أمه جُمعت فى امرأه.

٤ خ ٥ ح / ٢٦/٢٠٨ BP

الطبعه الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ص: ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

الفصل الثامن

اشاره

ص: ٥

إن المتتبع لحلقات التاريخ وما دار فيها من أحداث خلال حركه تطور الحضاره البشريه لاسيما حركه الحضاره الإسلاميه ليجد ان هذه الحلقات قد ملئت هنا وهناك بظلامه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على الرغم من أن مفهوم الحضاره مختلف فيه عند المفكرين بحسب معطياتهم الثقافيه ونظرتهم وفهمهم للأحداث والأشخاص.

إذ قد يعد على سبيل المثال ان فرعون كان من الناحيه السياسيه والإداريه للحكم بمستوى يحمده أهل السياسه وهو متحضر في هذا المدار فيكون الساسه وأصحاب السلاطين بهذه النظره متحضرين أيضاً ضمن هذا المفهوم.

لكنهم في مدار كتاب الله وحضاره القرآن هم من آل فرعون وحققتهم أنهم ظالمون. قال تعالى:

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) ١.

فى حين كان المتحضرون حسب الرؤيه القرآنيه هم مجموعه قليله من قوم موسى عليه السلام آمنوا به على خوف من فرعون وملئه.

قال تعالى:

(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠)

وهذا المفهوم والنظره للحضاره ليس ببعيد عن الفكر الإسلامى، فكم من مبحث كتبه السابقون حول تحضر الحجاج بن يوسف الثقفى ودوره فى ثبات ملك بنى أميه؛ وكم من رساله، أو دراسه قدمها المعاصرون فى تحضر الحجاج الذى رمى بيت الله الحرام بالحجاره والنار حتى أحرقه وأسقط جدرانہ(١)، لأجل عيون عبد الملك بن مروان.

أو أنه يرى ان الطواف حول بيت الخليفه الأموى أفضل من زياره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه يسخر من المسلمين لعملهم ذلك فيقول: «تباً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمه باليه، هلا طافوا قصر أمير المؤمنين عبد الملك، الا يعلمون أن خليفه المرء خير من رسوله»(٢).

ص: ٨

١- تاريخ أبى مخنف: ج ٢، ص ١٩٥؛ مروج الذهب للمسعودى: ج ٣، ص ١٢٩؛ المصنف لابن أبى شيبه: ج ٥، ص ٢٨٠؛ تاريخ الطبرى: ج ٣، ص ١١٩.

٢- شرح نهج البلاغه للمعتزلى: ج ١٥، ص ٢٤٢؛ الكامل فى الأدب للمبرد: ج ١، ص ٢٢٢؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٩، ص ١٨٨؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ٧.

أو أنك تجد متحضرًا يشغل رئاسه قسم التاريخ في إحدى الجامعات: قد التمس العذر للحجاج في قتله أحد عشر ألف مسلمًا في يوم واحد معظمهم كانوا من القراء لكتاب الله تعالى، فضلاً عن قتل معهم في يوم الزاوية في جنوب العراق (١).

أو أنك تجد تحريفه للقرآن الكريم كما نص عليه السجستاني صاحب السنن في كتابه المصاحف حيث أفرد لذلك عنواناً أسماه: (ما غير الحجاج في مصحف عثمان) وبيانه للآيات التي حرفها الحجاج بن يوسف الثقفي (٢).

وفي المقابل تجد متحضرًا آخر يصف هذا التحريف بأنه (من أجل الأعمال التي تنسب للحجاج اهتمامه بنقط حروف المصحف وإعجابه بوضع علامات

ص: ٩

١- الخراج والنظم الماليه للدولة الإسلاميه: د. محمد ضياء الدين الرميس: ص ٢١٩؛ ولمزيد من البيان أنظر: الأنثروبولوجيا الاجتماعيه الثقافيه لمجتمع الكوفه عند الإمام الحسين عليه السلام للسيد نبيل الحسنى: ص ١٦٩-١٧٢.

٢- كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني، باب: ما غير الحجاج في مصحف عثمان، ص ١١٧-١١٨، ط مؤسسه قرطبه للنشر والتوزيع شارع الخليفه / الأندلس / الهرم. وانظره أيضا في: ص ٤٩ من الكتاب بتحقيق الدكتور آثرى جفرى، نشر دار التكوين بدمشق لسنة ٢٠٠٤ م؛ وفي الصفحه ٤٩٧ بتحقيق أبو أسامه سليم بن عبد الهلالى نشر مؤسسه غراس للنشر (الطبعه الأولى ١٤٢٧ هـ - / ٢٠٠٦ م). ولقد قام الدكتور محب الدين عبد السبحان في تحقيقه للكتاب بحذف اسم الباب وأورد الآيات المحرفه ضمناً أنظر: كتاب المصاحف بتحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - كليه الدعوه وأصول الدين، ط دار البشائر الإسلاميه.

الإعراب على كلماته، وذلك بعد ان انتشر التصحيف، فقام نصر بن عاصم بهذه المهمة العظيمة ونسب إليه تجزئه القرآن ورغب في ان يعتمد الناس على قراءه واحده وأخذ الناس بقراءه عثمان بن عفان وترك غيرها(١).

فكانت حضاره الحجاج عند من تجمعهم معه تلك المعطيات الحضاريه كتهديم بيت الله الحرام وحرقة بالنار، وقتل أحد عشر ألف مسلماً في يوم واحد، وتحريف القرآن الكريم واعتماد هؤلاء المتحضرين على هذه النسخه التي تلاعب بها الحجاج، كل هذه المعطيات (الحضاريه) قد بلغت من الرقى أن توصف بالجلاله فكان تحريف القرآن الكريم من أجلها؟! ولذلك:

تختلف الرؤيه للحضاره كما يختلف مفهومها عند الناظر للحضاره الإسلاميه؛ إذ قد تكون عند البعض هي مجموعه الفتوحات الإسلاميه في الشرق والغرب، وقد تكون في العماره الإسلاميه وقصور الخلفاء والقيان والجواري؛ أو كما ينظر لمثل هؤلاء اليوم بأنهم نرجسيون، وفنانون، ومثقفون، بل: وبناءون في المجتمع، على الأقل من جهه المنتجين لأعمالهم والمستثمرين لطاقتهم.

فالحضاره، مفرده بنيت على أسس مختلفه باختلاف المعطيات الفكرية والرؤى العقليه فما كان حضاره عند البعض لا يكون بالضروره حضاره عند البعض الآخر، وما كان جهلاً وتردياً هنا لا يكون بالضروره علماً وتقدماً هنالك..

ص: ١٠

وبين هذه الرؤيه وتلك، وبين هذا المفهوم وذاك يبقى البعض الآخر يبحث عن الضابطه أو القانون الذى يحتكم إليه أصحاب الرؤى والمفكرون فى الوقوف على مصداق خارجى للحضاره، وحيث إننا نؤمن بالتوحيد، وبنوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن الله جل شأنه حكيم، عادل، عزيز، غنى، مقتدر، فهو المرجع الذى يرجع العقل إليه، والمنهل الذى يرتوى منه، وقد دلّ خلقه على ما يصلح لهم حياتهم وبصرهم بما يكون وبالاً عليهم وفيه هلاكهم وانقراضهم، فقال عز شأنه:

(وَنَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا) ١ .

وقال جلت قدرته:

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) ٢ .

ولأن الإنسان قد جُبلَ على معرفه الخير والشر، ويمتلك القدره فى التمييز، وخول فى السير والمسلك، كانت الحضاره: هى كل ما جاء عن الله تعالى من وحى على قلب خير خلقه وسيد أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله وسلم. وإن كل ما من شأنه ان يكون مخالفاً لما أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو التردى والخراب والجهل المطبق.

إلا- ان يعتقد البعض بأن هناك - والعياذ بالله - حكيماً غير الله تعالى فيذهب إليه ويسير بهديه ويسلك شريعته، كما يرى الملحدون، أو المنافقون، أو

المشركون، وإن اختلفوا في طبقات الشرك، أو اختلفوا في المسميات التي أسموا بها أنفسهم لتتناسب مع تلك المفاهيم التي تكونت من نسيج من العوامل النشئية والمتلقيات الفكرية التي تداخلت فيها عناصر الزمان والمكان والأشخاص والكلمات والعادات.

ومن هنا:

عمد كثير من أقطاب الفرق الإسلامية على إبراز حضارتهم على حضاره القرآن، وأظهروا شريعتهم على شريعة الله تعالى، فصاغوا الأحداث بتلك الرؤى، ودونوا الشواهد بذلك المفهوم، حتى أصبح القارئ - المسلم - يرى حضارتين قد كونتا هويته الإسلامية لكنه لا يعلم بأى الحضارتين يأخذ وبأيهما يتسمى، ولأيهما ينتمي.

وهنا: على سبيل المثال:

أصبح المسلم لا يدري أيأخذ بحضاره دار خديجه عليها السلام أم بحضاره دار الأرقم بن أبي الأرقم؟ وبأى الحضارتين يعلن هويته وانتماءه؟

ربما قد يحتار البعض من القراء في تصديق وجود مثل هاتين الحضارتين، وهو غير ملوم بذلك فمنذ ان نشأ وتعلم الحروف وقراءه التاريخ وهو لم ير غير حضاره دار الأرقم بن أبي الأرقم فكيف له ان يصدق بوجود حضاره بيت خديجه عليها السلام؟! فى حين رأى البعض الآخر تلك الحضارتين لكنه اختار احدهما وتسمى بتلك الحضاره فكانت هويته الإسلامية وشخصيته الحياتيه.

ص: ١٢

أما دورنا نحن: فأن نسلط الضوء على حضاره دار خديجه عليها السلام؛ إذ إن المدارس الإسلاميه لا يوجد في مناهجها الدراسيه غير حضاره دار الأرقم بن أبي الأرقم، أما حضاره دار خديجه فإن المسلم في هذه المدارس لا يسمع بها ولذا: سعينا في هذا الكتاب أن يكون المسلم في تحصيله للمعرفه أمام حضارتين وتركنا له انتخاب إحدى الحضارتين لتكون معرفاً لهويته الحضاريه، وليوقن: أى الحضارتين بنت الإسلام الذى ينتمى إليه ؟

المبحث الأول: موقع دار خديجه الجغرافى

إشاره

تذكر المصادر الإسلاميه فى بيانها للأماكن المشرفه فى مكه - أعزها الله - دار خديجه بانه أحد هذه الأماكن، ولذلك نجدها تذكر موقعه الجغرافى للمسلمين كى يتسنى لهم الوصول إلى هذه الدار المباركه بسهولة، والتشرف بالحضور فيها لحكمه مهمه تشتمل على نقاط عديده منها:

١. ان الدخول لهذه الدار يعرّف المسلم بما احتضنته هذه الدار من حوادث عظيمه فى سير الدعوه إلى الله تعالى، ومن ثمّ يتعرف المسلم على الدور الذى قام به أهل هذه الدار.

٢. ان الحضور فى دار خديجه يخلق لدى المسلم حاله إيمانيه ترتكز على رفع المستوى الروحى لديه حينما يستحضر بأنه ابن هذه الدار وله تاريخ وامجاد وأرض ووطن.

٣. له آثار اجتماعيه فى جعل بيوت المسلمين كهذا البيت الذى سخر للدعوه إلى التوحيد وإعلاء كلمه الله فى الأرض، ومحاربه الفساد.

٤. له آثار تربويه فى الثقافه الأسريه حينما يستحضر الداخل العلاقه التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع هذه الزوجه التى بقيت معه خمساً وعشرين سنه.

٥. لكى يتوجه من هذا المكان الطاهر للدعاء إلى الله تعالى فى قضاء حوائجه وغفران ذنوبه؛ فهو من الأماكن التى امتزجت ذراته بأنفاس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واختلطت ذراته بعرق خير خلق الله تعالى وجهده، وكان مهبط الوحي والتنزيل.

ولذلك: حدد موقعه الفقهاء والمؤرخون بهذه الكلمات:

١. إنه فى سوق الصباغين

قال المحقق النراقى رحمه الله (المتوفى سنه ١٢٤٤ هـ): (وفى مكه أماكن شريفه أخرى - غير عرفات والحطيم وغيرها - فى إتيانها فضل كامل، منها دار خديجه، التى هى دار الوحي، ومولد سيده نساء العالمين، وهى فى سوق الصباغين الذى هو قرب سوق الصفا والمروه، واقعه يمين من يمشى من الصفا إلى المروه، ولها قبه معروفه ويتصلها مسجد يستحب إتيانها، وصلاه التحيه فيها، وطلب الحوائج والمسأله)^(١).

٢. إنه فى شعب أبى طالب عليه السلام

قال الحلبي (المتوفى سنه ١٠٤٤ هـ) فى سيرته: (لم يتعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكه لتلك الدار التى أبقاها فى يد عقيل، أى

ص: ١٤

١- مستند الشيعة للمحقق النراقى: ج ١٣، ص ٩٦.

الدار التي هي دار خديجه فانه لم يزل بها حتى هاجر، ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكه ضرب مخيمه بالحجون، فقيل له: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال:

«وهل ترك لنا عقيل منزلاً».

وكان عقيل بن أبي يطالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنازل إخوته حين هاجروا من مكه ومنزل كل من هاجر من بني هاشم(١).

والسبب في بيع عقيل دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودور إخوته ومن أسلم من بني هاشم هو أن قريش كانت تصادر أموال من أسلم، ولذلك كان تصرف عقيل بهذه الدور ينم عن حسن تدبيره للأمر، فهذا أفضل من ضياعها بيد المشركين وطغاه قريش، فضلاً عن أن عقيلاً كان يكتنم إسلامه ويدل عليه قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاء معركة بدر بحفظ عمه العباس وعقيل وقد وقعوا بيد المسلمين.

٣. إنه في زقاق العطارين

قال الأزرقى (المتوفى ٢٥٠ هـ): (ويسمى الزقاق الذى فيه هذه الدار «زقاق العطارين» أما اليوم فيسمى «زقاق الحجر» ويقال لهذه الدار «مولد فاطمه الزهراء - عليها السلام»-(٢).

ص: ١٥

-
- ١- السيره الحلبيه: ج ١، ص ١٠٢؛ الدرليه لابن حجر: ج ٢، ص ٢٣٧؛ نصب الرايه للزيلعى: ص ١٧١؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٧، ص ٢٧٧.
 - ٢- أخبار مكه للأزرقى: ج ٢، ص ١٩٩ - الهامش -.

إشاره

يصف المؤرخون دار خديجه عليها السلام بصفتين:

الأولى: ما يحتويه الدار على علامات ودلالات تظهر طبيعه الحياه فيه كما تظهر صفاته الماديه التي يستدل من خلالها على هذه الدار.

والصفه الثانيه: ما احتضنته هذه الدار من كرامات وتشريفات جعلتها من أفضل الأماكن المقدسه بعد الكعبه - أعزها الله -.

المسأله الأولى: أقوال المؤرخين فى بيان صفه دار خديجه وإظهار فضله وشرافته

١. قال الطبرى (المتوفى سنه ٣١٠ هـ):

(وكان منزل خديجه - يوم زواجها - المنزل الذى يعرف بها اليوم، فيقال: منزل خديجه، فاشترى معاويه فيما ذكر فجعله مسجداً يصلى فيه الناس وبناه على الذى هو عليه اليوم لم يغير، وأما الحجر الذى بباب البيت عن يسار من يدخل البيت فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجلس تحته ويستتر به من الرمي إذا جاءه من دار أبى لهب، ودار عدى بن حمراء الثقفى، خلف دار ابن علقمه، والحجر ذراع فى ذراع)^(١).

٢. قال ابن جبير فى رحلته إلى مكه إنه شاهد فيها: (قبة الوحى، وهى فى

ص: ١٦

١- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٣٦؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر: ج ١، ص ٦١؛ البحار: ج ١، ص ٦١؛ مستدرک سفینه البحار: ج ١، ص ١٠٣.

دار خديجه أم المؤمنين رضى الله عنها، وبها كان ابتداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقبه صغيره أيضاً فى الدار فيها كان مولد فاطمه الزهراء - عليها الصلاة والسلام - (١).

٣. قال مؤرخ مكة تقى الدين الفاسى الحسنى (المتوفى ٨٣٢ هـ): (وأما الدور المباركه بمكه، فدار أم المؤمنين خديجه، ويقال لها الآن: مولد فاطمه، وفيها ثلاثه مواضع تقصد بالزياره متلاصقه.

أحدها: الموضع الذى يقال له: مولد فاطمه.

والموضع الذى يقال له: المختبأ.

وبها موضع آخر على هيئة المسجد، وهذه الدار أفضل الأماكن بمكه بعد المسجد الحرام، على ما ذكر المحب الطبرى.

ولعل ذلك:

١ - لسكنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها سنين كثيره، من حين تزوج خديجه والى حين هاجر.

٢ - لكثره نزول الوحي فيها عليه.

٣ - وفيها بنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخديجه.

٤ - وفيها ولدت أولادها منه.

٥ - وفيها ماتت رضى الله تعالى عنها (٢).

ص: ١٧

١- فى ظلال التوحيد للشيخ جعفر سبحانى: ص ٣٦٢.

٢- الزهور المقتطفه من تاريخ مكة لتقى الدين الفاسى: ص ١٢٢، ط دار صادر.

٤. قال الفاكهي (المتوفى سنة ٢٧٢ هـ) فى أخبار مكة: (وفى بيت خديجه - عليها السلام - حجر خارج من البيت، كان سليم بن مسلم أو غيره من المكيين يقول:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس تحته يستتر من الرمى إذا جاءه من دار عدى بن الحمراء ودار أبى لهب.

وذرع ذلك الحجر - أى قياسه - ذراع وشبر، فأما أهل مكة فكان يقول: إن هذه رفاف كان أهل مكة يتخذونها فى بيوتهم صفائح من حجاره يكون شبه الرفاف يضعون عليها امتعتهم التى تكون فى بيوتهم، ولكل بيت قديم من بناء المكيين الا وفيه رفاف نحو من ذلك الحجر، والقول الأول أثبت(١).

ومما يدل عليه:

أن أبا لهب كان يسكن فى بيت له قبالة بيت خديجه، وكان يسكن مع زوجته أم جميل بنت حرب بن أميه وكان ذلك الزقاق طريق النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد(٢).

٥. قال ابن الضياء المكي الحنفى (المتوفى سنة ٨٥٤ هـ)

وأما الدور المباركه بمكة: فاعلم أن بمكة دوراً مباركه معروفه عند الناس غالبها مساجد، ولكنها اشتهرت بالدور عند أهل مكة فلذلك أفردناها بالذكر عن المساجد.

ص: ١٨

١- أخبار مكة للفاكهي: ج ٦، ص ٦١.

٢- أخبار مكة للفاكهي: ج ٥، ص ٣١٦.

منها: دار أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - بالزقاق المعروف بزقاق الحجر، ويقال له قديماً: زقاق العطارين كما ذكره الأزرقى (١).

ويقال لهذه الدار: مولد فاطمه - رضى الله عنها -؛ لأن فيها ولدت (٢).

قال الأزرقى: كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه، وفيها ابنتا خديجه، وولدت فيها أولادها جميعاً، وفيها توفيت، فلم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ساكناً حتى خرج إلى المدينة مهاجراً، فأخذها عقيل بن أبي طالب، واشتراها منه معاوية وهو خليفه فجعلها مسجداً يصلّى فيه وبنائها بناءها هذا، وفتح معاوية فيها باباً من دار أبي سفيان بن حرب وهو قائم إلى اليوم (٣).

قال الأزرقى: وفي بيت خديجه - رضى الله عنها - هذا صفيحه من حجر مبني عليها في الجدر جدر البيت يسكنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذ قدام الصفيحه مسجداً، وهذه الصفيحه مستقلة في الجدر من الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع في ذراع وشبر (٤).

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وفيها قبه يقال لها: قبه الوحى.

ص: ١٩

١- أخبار مكة للأزرقى: ج ٢، ص ١٩٩، وذكره محققه فى الهامش. فالله أعلم؛ وراجع الجامع اللطيف: ص ٣٢٧.

٢- راجع الجامع اللطيف: ص ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠.

٣- أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة: ح ١٧٨٠ عن أبي هريره مرفوعاً؛ وراجع أخبار مكة: ج ٢، ص ١٩٩؛ الجامع اللطيف: ص ٣٢٧.

٤- أخبار مكة: ج ٢، ص ١٩٩.

قال سعد الدين الإسفرائيني: وفي هذه القبة حفره عند الباب يقول: كان يجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها وقت نزول الوحي وجبريل - عليه السلام - يجلس في محراب القبة. انتهى.

وإلى جنبها موضع يزوره الناس معها يسمونه المختبئ(١) ، ويتصل بهذه القبة أيضاً الموضع الذي ولدت فيه فاطمه - رضى الله عنها -.

قال سعد الدين الإسفرائيني: وفي بيت من بيوت هذه الدار حفره مثل التنور يقولون: إنها مسقط رأس فاطمه - رضى الله عنها -.

قال المحب الطبري: هذه الدار أفضل الأماكن بعد المسجد الحرام(٢).

وممن عمرها الناصر العباسي، وعُمّر منها شيء في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر، وفي أول دولة الملك الناصر فرج صاحب مصر، ومما عُمّر في دولته قبة الوحي بعد سقوطها، ويُذكر أن القبة التي كانت قبل هذه القبة من عماره الملك المظفر صاحب اليمن، وفي الرواق المقدم من هذه الدار مكتوب: إن المقتدر العباسي أمر بعمله، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير عمره الناصر العباسي، ووقفه على مصالح دار خديجه - رضى الله عنها - على ما هو موجود في حجر مكتوب فيه ذلك على باب الحوش، وفيه أيضاً إن هذا الموضع مربد فاطمه - رضى الله عنها - (٣).

ص: ٢٠

١- راجع الجامع اللطيف: ص ٣٢٧.

٢- راجع الجامع اللطيف: ص ٣٢٨.

٣- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام لابن الضياء المكي الحنفى: ص ١٨٦-١٨٧.

المسأله الثانيه: امتهان الوهاييه لدار أم المؤمنين خديجه عليها السلام وتحولها إلى دورات مياه!!!

من الأمور المخزيه التي تلف تاريخ الظالمين على مر العصور هو امتهانهم لمقدسات السماء منذ أن اقترن اسم الأرض بما ينزل إليها من السماء، فمنذ أن اتخذ إبليس - عليه لعنه الله - توهين آدم عليه السلام الذي اختاره الله تعالى خليفه لأرضه والى يومنا هذا ونحن نشهد من حملة المبدأ الإبليسى امتهان كل ما من شأنه ان يرتبط بالسماء، ونرى مآسى كثيره ورزايا عظيمه تحت مسميات ابليسيه ترتكز على رؤيه استكباريه ترى في نفسها انها من (العالمين) وهي تُنظَرُ حتى لخالق الخلق فيما يصلح ان يكون أهلاً للتوحيد ومحاربه الشرك، وفيما لا يصلح؛ كما ذهب إلى هذا المذهب شيخ الظالمين إبليس في تنظيره للمصالح والمفاسد على رب العالمين قائلاً:

(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) ١ .

ولأنه يرى أنه خير منه فهو الأولى بمنصب الخلافه على الأرض ودعوه الخلق إلى التوحيد ومحاربه الشرك؛ واليوم نشهد حملة هذه النظرية وأصحاب الفكر التوحيدى الإبليسى الذين يرون عدم صلاحية غيرهم لهذه المهمه، فبالأمس حارب شيخهم إبليس نبى الله آدم عليه السلام، واليوم ينهج تلامذه إبليس هذا المنهج ويسيرون على هذه الأديولوجيه فيرون أن لا موحد لله على الأرض غيرهم بل: لا يصلح لإقامه التوحيد عليها غيرهم كما كان يرى شيخهم إبليس ذلك.

ولذا: فكل ما من شأنه أن يعود بالمسلم إلى التوحيد المحمدي، فهو في نظرهم اشراك وفي عقيدتهم كفر وإلحاد، بل انهم فاقوا شيخهم في سعه الأفق وبعد النظر وادراج المحرمات لتشمل محاربه رسول الله جهاراً ومعاداة جبرائيل علانيه، وتدنيس دار أم المؤمنين خديجه عليها السلام اعلاناً وتحويلها إلى دورات مياه ومراحيض على مسمع ومرأى من الامه التي لم تحمل على ما يبدو من الإسلام سوى الاسم إن لم يتملص أبناؤها حتى من الاسم، فيماذا سيجيئون الله تعالى ان كانوا بوجوده يعتقدون وإليه سيعودون. فهذا هو أفضل الأماكن في مكه بعد المسجد الحرام كما دلت عليه النصوص يحوله الأعراب إلى دورات مياه(١)!!

والغريب في الأمر ان الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان عضو هيئه كبار العلماء في المملكه السعوديه الذي أعد دراسه أكاديميه حول الأماكن المقدسه في مكه وعنايه الملك عبد العزيز بها لم يرشد القراء من المسلمين أو غيرهم إلى عناوين هذه الأماكن كى يتمكن القارئ المسلم من الوصول إليها والتعرف عليها وليلمس على الأقل خدمه القائمين على رعايتها كما عنون الدكتور لدراسه التي نشرتها صحيفه عكاظ ، ضمن مجموعه من الحلقات(٢).

ص: ٢٢

١- فهذه الحقيقه المؤلمه لجميع المسلمين يعلنها وعلى الملأ- من العالم على مختلف أديانهم وثقافاتهم؛ الدكتور المهندس الشريف سامى عنقاوى مع قناه الحره فى برنامج المجلس وذلك على موقع يوتيوب على الرابط : (www.youtube.com/watch?v=fvelxvfuo4).

٢- صحيفه عكاظ ، العدد ٢٧٧٤، الصادره فى يوم الثلاثاء، ١٤٣٠/١/٢٣ هـ - الموافق ٢٠ /يناير/ ٢٠٠٩ م.

إلا اننا نورد عنوان هذه الدار التي هي من أفضل الأماكن في مكة بعد المسجد الحرام والتي حولها الأعراب بفعل (رعايتهم لها) إلى دورات مياه؟! وموقعها هو: (ساحة الغزه، مدخل المسعى، من جهه المروه)(1).

إلا أن ذكرنا لهذا العنوان ليس لكي يذهب المسلم بقصد زياره لأفضل الأماكن بعد المسجد الحرام ومهبط الوحي، واستذكار حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتأسي به، واستعظام حقه وحق أم المؤمنين خديجه عليها السلام، وإنما لتجنب الوقوع في الإثم، والتجربى على الله، وتعدى حدوده فى تنجيس هذا المكان الطاهر حينما يستخدمه المسلم للتبول!!!! عوضاً عن الصلاه فيه لله ركعات عملاً- بشريعه القرآن التي أمرت المسلمين بأن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فكيف بمقام سيد الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلق أجمعين، ألا يستحق من المسلمين أن يصلوا لله فيه ركعتين؟! قال جلّ وعزّ شأنه:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ٢ .

ولكن أنى بحمله التوحيد الإبليسى، وأئمه الأعراب الذين يرون أنهم من العالين فى خلافتهم لأرض رب العالمين، معرفه حدود ما أنزل الله تعالى، والعمل بشريعه القرآن وهم:

ص: ٢٣

(أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ١ .

(فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ٢ .

المبحث الثالث: دار خديجه عليها السلام يشهد أهم الأحداث التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال ربع قرن

المسأله الأولى: زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار خديجه عليها السلام وعيشه فيها

من الخصائص التي حازها دار أم المؤمنين خديجه عليه السلام هو زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيشه في هذه الدار طيله حياه السيده أم المؤمنين خديجه عليها السلام الزوجيه والبالغه خمساً وعشرين سنه، منها خمس عشره سنه قبل البعثه النبويه، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج من خديجه عليها السلام وله من العمر ٢٥ سنه، وكان بعثه في الأربعين؛ ثم بقيت عليها السلام بعد البعثه النبويه عشر سنوات؛ إذ توفيت سنه عشر للبعثه.

وبذلك يكون مجموع السنين التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أم المؤمنين خديجه خمساً وعشرين سنه، كلها قضاها النبي الأكرم

صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الدار، ولقد أنجبت أم المؤمنين خديجه عليها السلام أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الدار وتوفى القاسم وعبد الله فيه؛ وولدت فيها أيضاً مولاتنا فاطمه عليها السلام - كما سيمر مفصلاً - فضلاً عن ان هذه الدار نشأ فيها الإمام على بن أبى طالب عليه السلام حينما احتضنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو طفل صغير يغدو عليه هو وزوجه خديجه بحنانهما ورعايتهما له حتى أصبح أعز عليهما من أنفسهما، كما مر بيانه مفصلاً.

ولقد شهدت هذه الدار أهم الأحداث الإسلاميه التى رافقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم منذ البعثة فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وإلى يوم هجرته وخروجه منها متجهاً إلى المدينة المنوره.

المسأله الثانيه: نزول الوحي بسوره المدثر فى بيت خديجه عليه السلام

(١)

من الحقائق التى تناقلها الرواه ودونها المصنفون هى حقيقه نزول الوحي فى دار أم المؤمنين خديجه عليها السلام، لاسيما وقد مر سلفاً تخصيص المكان الذى كان يهبط فيه جبرائيل عليه السلام والذى سمي بقبه الوحي.

أما من قرأ سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ولو على عجاله - فانه يجد فيها من المسلمات التى لازمت حياه سيده خديجه عليها السلام هى

ص: ٢٥

١- قال الآلوسى: (إن الأخبار الصحيحه متضافره بأن النداء المذكور كان وهو عليه الصلاه والسلام فى بيت خديجه - عليه السلام -)؛ أنظر: تفسير الآلوسى: ج ٢١، ص ٣٦٩.

قيامها بمؤازة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيله حياتها حتى فارقتة صلى الله عليه وآله وسلم، إلى جوار ربها.

ولو توقفنا عند تلك السنين لوجدنا وقوف خديجه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند رجوعه للدار في يوم المبعث وقد أحاطه الجهد والتعب وهي تقدم أجمل صوره للمواساه فقد أسرع لتغطيته بالدثار كي يزول عنه الجهد وتخفف عنه التعب، وليكون هذا العمل الصالح مخصوصاً بالذكر الحكيم، يرتل اثناء الليل وأطراف النهار، وحافظاً لها هذا الأخلص والرعايه لسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم.

فها هو جبرائيل يقرع صوته الدار فتمترج ذراته بتلك الأحرف النورانيه وهي تنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ) ١ .

والمدثر: قريب من المزمّل(١) ، والزمل: الحمل، وازدمله: احتمله(٢).

وقيل: انه كان تلفف في مربوط سداء شعر، ولحمته وبر، وهو ثناء عليه وتحسين لحاله الذي كان عليه من القناعه بالقليل من حطام الدنيا.

والمدثر: قريب منه وهو لابس الدثار، والدثار: هو ما فوق الشعار، والشعار ثوب على الجسد، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ٢٤

١- لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٤.

٢- لسان العرب: ج ١١، ص ٣١١.

«الأنصار شعار والناس دثار».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«نوديت فرفعت رأسى فإذا جبرئيل فى الهواء فأتعبنى أعباء الوحى، فقلت: دثرونى دثرونى»^(١).

وفى مسند أحمد، عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتيت أهلى مسرعاً فقلت دثرونى، دثرونى فأتانى جبريل عليه السلام فقال:

يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَ رَبِّكَ فَكَبِيرٌ (٣) وَ ثِيَابِكَ فَطَهِّرْ (٤) وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٢،٣).

ولقد أسلفنا فيما مضى من الكتاب كيف كان تعامل أم المؤمنين خديجه عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الحادته - فلتراجع -.

المسأله الثالثه: النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلن تنصيب وصيه وخليفته من بعده فى دار خديجه عليها السلام

إن من المسائل الاعتقاديّه التى اقترنت بدار خديجه عليها السلام فى بدايه الرساله المحمديه هى قيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتنصيب الخليفه لهذه الامه من بعده وكذا تعيين الوصى له صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٧

١- ألقاب الرسول وعترته لمجموعه من قدماء المحدثين: ص ٩.

وهذا يكشف عن الأهمية البالغه لهذا المقام، وماله من دور قيادي في سير الامه من بعده صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن الدور التشريعي الذي يقوم به الخليفه في إرشاد المسلمين إلى حلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرامه.

وعليه:

تكمن أهميه هذين المنصيين من خلال ارتباطهما بالحلال والحرام وهو ما لا يمكن تحقيقه الا من خلال الاختيار الإلهي، فالله سبحانه هو الأعلم بخلقه وما يصلحهم، فسبحان من هو اللطيف الخبير بعباده.

ولذلك: اصطفى لشريعته أناساً توافرت فيهم الشروط الخاصه بحفظ الشريعه فقال عزّ شأنه في ذلك:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ١ .

وقال:

(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ٢ .

وقال سبحانه:

ص: ٢٨

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) ١ .

وغيرها من الآيات التي تدلل على اختصاص تعيين منصب الخلافة النبويه بصاحب الشريعة وهو الله تعالى، وليس للناس خيار أو رأى فى تعيين الخليفة لجهلهم بما شرع الله سبحانه، ولو كانوا يعلمون بشرائع الله تعالى لما كان هناك حاجة لبعث الأنبياء والرسل ولترك القرار للناس وللعقلاء فى انتخاب ما يرون فيه القدره على صلاحهم، فالأمر محصور بالشريعة وصاحب الشريعة وهو الأ-علم بمن يصلح لحفظها وإقامتها وإصلاح الناس وحفظهم من الانحراف عنها، كى لا يقعوا فى انتهاك الحقوق وتعدى الحدود، وكى لا- تكون دويلات فى المجتمع، فينعم الظالم بمال المظلوم، وينام الجائر على فراش المحروم، وتنتهك الفروج، فيهلك النسل، ويضيع النوع البشرى، فترى صوراً بشريه مركباً فيها ذوات حيوانيه لا تعرف للأسره طعماً ولا للوالديه معنى :

(إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) ٢ .

ومن هنا:

تكمّن أهميه تعيين الخليفة ووضعها فى منصب الخلافة النبويه «التشريعيه» فى حفظ الشريعة التى بها حفظ العباد والبلاد، وفى ذلك تظهر الحكمة فى بعث الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاه والسلام، أى: حفظ العباد والبلاد، وأما ما نشهده اليوم وما نقله التاريخ من تردى البلاد والعباد ونشر الفساد والظلم

ص: ٢٩

فمرده إلى سوء استخدام الشريعة وتولى منصب الخلافة من قبل أناس تم اختيارهم من الناس وليس من الله تعالى.

ولذلك فقد ذاق الناس نتائج ما اختاروا لمنصب الخلافة النبويه وتذوقوا ثمار تركهم لمن اختاره الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذي حدده لهم وعين فيهم منذ الانطلاقة الأولى لدعوه الناس إلى التوحيد وإعلاء كلمه «لا إله إلا الله».

فكان حديث الإنذار في دار خديجه عليها السلام كما يروى البغوى (المتوفى سنه ٥١٠ هـ) قائلاً: (روى محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب؛ ورواه أيضاً الطبرى، وابن أبي الحديد المعتزلى، وابن عساكر، والتمتقى الهندي، وابن الأثير، والقاضى النعمان المغربى، وغيرهم عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين دعانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: «يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمتُ عليه حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رحل شاه واملاً لنا عسا من لبن ثم أجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم

دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا- يزيدون رجلا- أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزه والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيه من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحه ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجه وما أرى الا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس على بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال لعلمنا سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا على إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلى. قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربت لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجه ثم قال إسقمهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب إني والله ما أعلم شأبا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدتهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم

ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقتي ثم قال إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع(1).

ولقد حاول البعض ممن أغمضوا أعينهم عن الحق واتبعوا أهواءهم فى محاربه على بن أبى طالب عليه السلام بمحاولات عدّه فى إثارة الشبهات حول هذا الحديث الشريف ابتداءً من الطبرى الذى حذف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تنصيب على عليه السلام وصياً له وخليفه من بعده فى هذه الامه وتبعه على ذلك ابن كثير، اما ابن تيميه فقد تصدى للحديث كعادته فى محاربه فضائل على عليه السلام بأكاذيب وألفاظ تكشف عن المستوى المتدنّى للنظر فى الأحاديث الشريفه. والكاشف عن التعصب الأعمى الذى أفقده التحلى بالموضوعيه والإنصاف فعمد إلى استخدام الكذب؛ وكفى بالمرء دناءةً أن يكون كاذباً.

إذ يقول فى منهاج السنه الأمويه حول حديث الإنذار:

ص: ٣٢

١- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٩٣؛ تهذيب الآثار للطبرى: ج ٤، ص ٥٩؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ١٣، ص ٢١١؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٤٩؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٣، ص ١١٤؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٢، ص ٦٣؛ شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى: ج ١، ص ٣٧٤؛ هميان الزاد للأباضى: ج ١٠، ص ٥٢؛ تفسير السراج المنير لمحمد الشريينى الخطيب: ج ١، ص ٢٩٤٦؛ لباب التأويل، المشهور بتفسير الخازن لأبى الحسن على بن محمد الشيعى: ج ٥، ص ٥٩؛ تفسير البغوى: ج ٦، ص ١٣١.

«هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع، ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات، لأن أدنى من له معرفه بالحديث يعلم ان هذا كذب»(١).

ونقول:

ولأن الشيخ أعماه بغضه لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأفقده النصب له بالعداء القدره على الرؤيه قام فاعترف بأنه لا يملك تلك الرتبه من العلم التي حددها بقوله: (لأن أدنى من له معرفه بالحديث يعلم أنه كذب) فلو كان له أدنى معرفه بالحديث لما قال عن حديث الإنذار بأنه كذب، فالحكم على الأحاديث يحتاج إلى العلم بها ولأن ابن تيميه لا يملك أدنى معرفه بها فحكم عليها بالكذب.

أما من له معرفه بها فقد حكم على هذا الحديث بأنه حديث صحيح، بل ونقله العلماء في المنقولات وليس كما كذب الشيخ حينما قال: «لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات».

أما هذه الكتب من المنقولات والتي صنفها علماء أهل العامه فقد تتبعها السيد على الميلاني (جزاه الله خيرا) فكانت كالاتي:

١. ابن إسحاق، صاحب السيره.

٢. احمد بن حنبل، ويقول الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد بعد أن

ص: ٣٣

١- منهاج السنه لابن تيميه: ج ٧، ص ٣٠٢.

يرويه عن أحمد بن حنبل يقول: رواه أحمد ورجاله ثقات. ويقول بعد أن يرويه بسند آخر عن بعض كبار علمائهم من أحمد وغير أحمد يقول: رجال أحمد وأحد إسناده البزار رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة. إذن، حصلنا على أسانيد عديدة ينصون على صحتها. مضافا: إلى سند الحافظ المقدسى فى كتابه المختاره الملتزم فى هذا الكتاب بالصحه. كما ذكر المتقى الهندى صاحب كنز العمال: أن الطبرى محمد بن جرير قد صحح هذا الحديث. وأيضا، صححه الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس فى حديث طويل، ووافقه على التصحيح الحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرک. وأيضا نص على صحه هذا الحديث الشهاب الخفاجى فى شرحه على الشفاء للقاضى عياض، حيث يذكر هناك معاجز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن جمله معاجزه هذه القضية، حيث أن الطعام كان صاعا واحدا وعليه رجل شاه فقط، فأكلوا وكلهم شبعوا، وهذا من جمله معاجز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويقول الشهاب الخفاجى: إن سند هذا الخبر صحيح. وعندما نراجع نصوص الحديث فى الكتب المختلفه، نجد فى بعضها هذا اللفظ: فأىكم يوازرنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟ قال على: أنا يا نبى الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلى. وهذا لفظ، وقد قرأناه عن عده من المصادر. لفظ آخر: من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنة ويكون خليفتى فى أهلى؟ فقيل له: أنت كنت بحرا، من يقوم بهذا، فعرض ذلك على أهل بيته واحدا

واحداً، فقال علي: أنا، فبايعه رسول الله على هذا. ومن ألفاظ هذا الحديث ما يأتي: قال رسول الله: من يبايعني على أن يكون أخي ووصيي ووليكم من بعدى؟ قال علي: فمددت يدي فقلت: أنا أبايعك. فبايعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فهذه ألفاظ الحديث، وتلك أسانيد الحديث، وتلك كلمات كبار علمائهم في صحة هذا الحديث وتنصيبهم على صحته (١).

أما بقيه قوله فقد أعرضنا عنه فإنه لا يرقى إلى الرد ويكفي في بيان سخيف قوله الذي يكشف عن العجز في التعامل مع الحديث أن قال: «إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعاً ويشرب فرقاً» (٢).

وكأن الرجل يحترف مع الكذب طهي الطعام مما جعله يحسن قياس بطون العرب وكم تستطيع ان تأكل من الطعام، أو لعله أكتسب فن إعداد الموائد فازداد خبره في فهم الأحاديث.

المسألة الرابعة: إسلام الصحابه في دار خديجه عليها السلام

إشارة

إن النظر في مسأله السبق إلى الإسلام في مكة يقودنا إلى جملة من الحقائق المهمه، ومنها:

١. أن الإسلام ظهر في دار خديجه عليها السلام ومنه خرج إلى العالم.

٢. ان الله تعالى اختار لأهل هذا الدار أن يكونوا أول الدور تعبداً لله تعالى

ص: ٣٥

١- حديث الدار للسيد على الميلاني: ص ١١.

٢- الصحيح من سيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى العاملي: ج ٣، ص ٦٤؛ نقلاً عن منهاج السنه لابن تيميه: ج ٤، ص ٨١-٨٣.

على دين الإسلام منحصرأ بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجه وعلى بن أبى طالب الذى سبقته التدابير الإلهيه فى أن يكون ابناً لخديجه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مازال طفلاً قد نشأ فى هذا الدار.

٣. ان الدعوه إلى هذا الدين كانت تقدم إلى بعض الناس فى هذه الدار، وفيها كانت القلوب تهفو إلى نور الإسلام، وفيها تسمع آذان النبى صلى الله عليه وآله وسلم الشهادتين، ممن جاءوا إليه ليعلموا إسلامهم فى محضره المقدس.

كما يحدثنا التاريخ والصحاح عن إسلام بعض الصحابه وهم:

أولاً: إسلام أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه فى بيت أم المؤمنين خديجه عليها السلام

فقد اختار الله تعالى لأبى ذر أن يكون إسلامه فى دار خديجه عليها السلام وان لم يصرح الراوى باسم الدار التى دخل فيه أبو ذر والتقى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما دلت عليه روايه البخارى.

فى صحيحه عن أبى حمزه قال: قال لنا عبد الله بن عباس: ألا أخبركم بإسلام أبى ذر؟ قال: قلنا، بلى. قال، قال أبو ذر: كنت رجلاً فى غفار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكه يزعم أنه نبي فقلت لأخى انطلق إلى هذا الرجل كلمه وائتنى بخبره، فانطلق فلقية ثم رجعت فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر فقلت له: لم تشفنى من الخبر فأخذت جرباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكه فجعلت لا اعرفه واكره ان اسأل عنه واشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد قال: فمر بى على فقال: كأن الرجل غريب قال:

قلت: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء قال: فمر بي على فقال: أما نال للرجل يعرف منزله بعد؟ قال: قلت: لا قال: انطلق معي. قال: فقال: ما امرك وما أقدمك هذه البلده؟ قال: قلت له: ان كتمت عليّ أخبرتكم قال: فإني افعل قال: قلت له: بلغنا انه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه فقال له: أما إنك قد رشدت هذا وجهي إليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فإني ان رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني اصلح نعلي وامض أنت فمضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له أعرض عليّ الاسلام فعرضه فأسلمت مكانى فقال لى يا أبا ذر اكنتم هذا الامر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت والذي بعثك بالحق لا صرخن بها بين أظهرهم فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال يا معشر قريش إني اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا فضربت لا- موت فأدركنى العباس فأكب على ثم اقبل عليهم فقال ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار فاقبلوا عني فلما ان أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ فصنع مثل ما صنع بالأمس وأدركنى العباس فأكب على وقال مثل مقالته بالأمس قال: فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله (1).

ص: ٣٧

ثانياً: إسلام أبي بكر عند بيت خديجه عليها السلام

روى ابن عساكر وابن الأثير في إسلام أبي بكر عند باب دار خديجه عليها السلام، هذه الروايه: فعن خالد الجهني عن عبد الله بن مسعود عن أبي بكر انه قال: «... وسألت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل في منزل خديجه فقرعت عليه الباب فخرج إليّ فقلت: يا محمد فقدت من منازل أهلک وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال:

«يا أبا بكر إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فأمن بالله».

- إلى أن يقول :-

«مد يدك فانا أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»(١).

وحيثما ننظر إلى وقت إسلام أبي بكر الذي أشارت إليه الروايات وحددته بأكثر من خمسين نفرًا كما نص عليه الطبري وابن عساكر وابن كثير، وغيرهم، واللفظ للطبري قائلاً: (حدثنا ابن حميد قال حدثنا كنانة بن جبله عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج بن الحجاج عن قتاده عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد قال: قلت لأبي أكان أبوبكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين)(٢).

ص: ٣٨

١- تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٣٠، ص ٣٣؛ اسد الغابه: ج ٣، ص ٢٠٨.

٢- تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٠؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٣٠، ص ٤٦؛ البدايه والنهائيه لابن كثير: ج ٣، ص ٣٩؛ السيره النبويه لابن كثير: ج ١، ص ٤٣٦؛ الإكمال في اسماء الرجال للخطيب التبريزي: ص ٢٠؛ كنز الفوائد للكرامجي: ص ١٢٤؛ المناقب لابن شهر: ج ١، ص ٢٨٩؛ الإفصاح للشيخ المفيد: ص ٢٣٢؛ البحار للمجلسي: ج ٣٨، ص ٢٢٨.

فهذا يعنى أن هؤلاء الخمسين كان إسلام أكثرهم فى دار خديجه لاسيما وقد نقل لنا البخارى فى إسلام أبى ذر الكيفيه التى كان يتبعها أبوذر فى البحث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ بل يرددنا الوجدان والعرف إلى أن الإنسان حينما يريد أن يأخذ حاجته أو يحقق مقصده من رجل ما فانه يقصده فى داره لاسيما ونحن نتحدث عن مسأله ترتبط بإيمان الإنسان وسعيه للوصول إلى حقيقه هذا الدين والطريقه التى تمكنه من الدخول إليه وهذا كله يدل على أن المسلمين الأوائل كانوا يتجهون إلى دار خديجه عليها السلام لملاقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن ضمن آليه خاصه ترتبط بوضع القادم إلى هذه الدار.

وهذا يعنى ان لا وجود لدار الأرقم بن أبى الأرقم، وأعنى الوجود الشأنى الذى اختلقه المتزلفون للحكام لغرض دفع شأنه دار أم المؤمنين خديجه عليها السلام بحجه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يستخدمها لغرض التستر والاختفاء وكأنه فى حركه سياسيه مناهضه للحكم.

فى حين لو فرضنا مثل هذا الاحتمال، أى وجود جواسيس وعيون لقريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما المانع من وجودهم حول دار الأرقم وهم يرقبون حركه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بل ان فرضيه وجود هذه الدار تزيد فى الأمر سوءاً، لأن دخول النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخروجه المتكرر إلى هذه الدار يبعث الشكوك فى نفوسهم بل يجعلهم يتبعون الداخلى والخارج لهذه الدار ومعرفه ما كان لديه من غرض،

لأن دخول رسول الله المتكرر لها وهي ليست ملكا له ولا تربطه بأهلها مصاهره أو قرابه يجعله فى موضع الريبه بل وكأنه يدعوهم إلى الشك به.

أما قدوم الناس إلى دار خديجه عليها السلام ولقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو يبعد الشكوك عنه وعن الداخل إليه، لأن الداخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون بالضروره لغرض الدخول فى الإسلام فلقد كان المكيون يقصدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوضع أماناتهم عنده، واثمانه على ودائعهم وذخائرهم وإن كانوا لا يؤمنون بدعوته ودينه وهي حقيقه لا يمكن نكرانها أو تجاهلها حتى لدى غير المسلمين فقد عرف صلى الله عليه وآله وسلم ب - (الصادق الأمين).

فضلاً عن أنه أوصى الإمام علياً عليه السلام أن يرد هذه الودائع إلى أصحابها بعد خروجه صلى الله عليه وآله وسلم من مكه مهاجراً إلى المدينه، فبقى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ثلاثه أيام فى مكه ينادى بين أهلها.

قال ابن إسحاق: (ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد حين خرج إلا على بن أبى طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبى بكر، أما على - عليه السلام - فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكه، حتى يئدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودائع التى كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمكه أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم

من صدقه وأمانته صلى الله عليه وآله وسلم(١).

إذن:

ليس بالضرورة أن يكون الداخل إلى دار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغرض الدخول في دينه وإنما لاثتمانه على ماله وإيداع الودائع عنده مما يدفع الريب عن الداخلين إلى بيت خديجه عليها السلام، وبذلك يكون وجود دار الأرقم ضاراً به صلى الله عليه وآله وسلم ومضراً بالمسلمين. لأنهم أى المشركون سيأخذون على الظنه ويقتلون على الشبهه.

وعليه: فلا- وجود شأنياً وتشريفياً لدار الأرقم وأن هذه الشأنيه التي ينقلها الرواه هي صنيعه من صنع بنى أميه لتضييع فضل دار خديجه وأهلها.

المسأله الخامسه: إسرائ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من دار خديجه عليها السلام

إشاره

إن من الخصائص التي خص الله تعالى بها دار خديجه عليها السلام فزاد في شرافته على دور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هو اختصاصه برحله الإسرائ والمعراج النبوي وذلك بصفته المحطه الأولى التي أسرى منها بالنبي

ص: ٤١

١- السيره النبويه لابن هشام الحميري: ج ٢، ٣٣٥. تاريخ يعقوبى: ج ٢، ص ٣٩. تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ١٠٦. الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٢، ص ١٠٤. امتاع الأسماع للمقرئى: ج ١، ص ٦٨. السنن الكبرى للبيهقى: ج ٦، ص ٢٨٩. معرفه السنن والآثار: ج ٥، ص ١١٠. أرواء الخليل للألبانى: ج ٥، ص ٣٨٤. تفسير البغوى: ج ٢، ص ٢٤٤.

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الأمر ترتبت عليه آثار شرعية، وهي كالاتى:

أولاً: إن بيت خديجه هو المسجد الحرام

لقد أعطى القرآن دار خديجه شرافه خاصه لم ينلها موقع آخر فى مكه بعد البيت الحرام، وذلك من خلال جعله المسجد الحرام وان كان المكيون ينظرون إليه دار سكنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ١ .

فهذه الآية أعطت لدار خديجه صفه الحرمة التى أعطتها للكعبة، فقال تعالى:

(جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) ٢ .

وفى دار خديجه قال سبحانه:

(مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

وهذا يلزم أن يتعامل مع بيت خديجه عليها السلام كما يتعامل مع البيت

الحرام من حيث الحرمة والطهاره والتقرب إلى الله تعالى لا أن يجعله الأعراب محلاً للتبول - والعياذ بالله -!!!

ثانياً: إنَّ لخديجه من الطهر ما لمريم عليهما السلام

إن جعل القرآن دار خديجه مسجدا يلزم أن تكون خديجه عليها السلام ممن طهرها الله تعالى كمريم بنت عمران، اذ العله التي طُهرت بها مريم كانت لغرض مكوثها في بيت المقدس.

(وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) ١ .

وخديجه عليها السلام في المسجد الحرام الذي نص عليه القرآن وبذاك لزم ان تكون طاهره بتولاً لا ترى ما تراه النساء؛ وإلا لزم ان تسكن داراً أخرى غير هذه الدار التي هي:

(المَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

فضلاً عن ان مكوثها في المسجد دون طهر يترتب عليه أحكام خاصة لا تجيز لها البقاء فيه.

وعليه: تدل الآيه على أنها طاهره من الدنس والرجس وانها كمريم بنت عمران عليهما السلام في الطهاره، وهذا يتسق مع كونها الرحم الذي يحتضن بين جدراثة سيده نساء العالمين، ومشكاه نور الله، رب العالمين، وأم الأئمه

المعصومين الذين خصهم الله بسابق عنايته وقديم لطفه فقال عنهم في محكم كتابه:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ١ .

وفى ذلك يقول ابن حجر العسقلانى: «ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجه لأن الحسنين من فاطمه وفاطمه بنتها وعلى نشأ فى بيت خديجه وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوى إلى خديجه دون غيرها»(١).

ولأن مرجع أهل البيت النبوى إلى خديجه عليها السلام دون غيرها، فقد جعلها الله كذلك طاهره مطهره كى تكون الأرض الصالحة التى تنبت فيها شجره النبوه.

ومن هنا:

نجد أن القرآن الكريم قد دلل على هذه الحقيقه فى قوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) .

وعلى الرغم من ان كثيراً من المحدثين والفقهاء والمفسرين قالوا بأن

ص: ٤٤

١- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى: ج ٧، ص ١٠٤.

الإسراء تم من بيت خديجه (١).

إلا أن البعض الآخر حاول دفع هذه الخصوصية بإطلاق الآية فجعل كل مكة هي المسجد الحرام (٢).

في حين ذهب آخرون إلى أنه أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من بيت أم هانئ وقيل من شعب أبي طالب عليه السلام (٣).

وقد أفاد العلامة الطباطبائي في بيان هذه الأقوال واختلاف العلماء فيها.

وأعنى: اختلافهم في بيت أم هانئ، وشعب أبي طالب عليه السلام، والبيت الحرام، كما أنهم اختلفوا في الزمان ولم يتفقوا على أن الإسراء كان قبل الهجرة في مكة مما يدل على عدم ثبوت هذه الأقوال ورجحان انه صلى الله عليه وآله وسلم أسرى به من دار خديجه كما سيمر بعد إيراد قول العلامة؛ إذ قال رحمه الله: «وقد اتفقت أقوال من يُعتنى بقوله من علماء الإسلام على أن الإسراء كان بمكة قبل الهجرة كما يستفاد من قوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

ص: ٤٥

-
- ١- الخلاف للشيخ الطوسي: ج ٣، ص ١٨٩؛ مختلف الشيعة للعلامة الحلبي: ج ٥، ص ٦٠؛ إيضاح الفوائد لابن العلامة الحلبي: ج ١، ص ٤٢٧؛ جواهر الكلام للشيخ الجواهري: ج ٢٢، ص ٣٥٢؛ المجموع للنووي: ج ٩، ص ٢٤٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٥٣؛ البحار للمجلسي: ج ١٨، ص ٣٨٠؛ تفسير الرازي: ج ٤، ص ١٩؛ الأمثل لناصر مكارم الشيرازي: ج ١٠، ص ٣١٨.
 - ٢- المجموع لمحي الدين النووي: ج ١٩، ص ٤٣٣.
 - ٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٢١٤؛ الدر المنثور للسيوطي: ج ٤، ص ١٤٩.

ويدل عليه ما اشتملت عليه كثير من الروايات من إخباره صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً بذلك صبيحه ليلته وإنكارهم ذلك عليه، وإخباره إياهم بأساطين المسجد الأقصى، وما لقيه في الطريق من العير، وغير ذلك. ثم اختلفوا في السنه التي أُسِرَ به صلى الله عليه وآله وسلم فيها فقيل: في السنه الثانيه من البعثه كما عن ابن عباس، وقيل في السنه الثالثه منها كما في الخرائج عن علي عليه السلام. وقيل في السنه الخامسه أو السادسه، وقيل بعد البعثه بعشر سنين وثلاثه أشهر، وقيل في السنه الثانيه عشره منها، وقيل: قبل الهجره بسنه وخمسه أشهر، وقيل: قبلها بسنه وثلاثه أشهر، وقيل: قبلها بسته أشهر.

ولا يهمننا الغور في البحث عن ذلك ولا عن الشهر واليوم الذي وقع فيه الاسراء ولا مستند يصح التعويل عليه، لكن ينبغي ان يتنبه ان من الروايات المأثوره عن أئمه أهل البيت عليهم السلام ما يصرح بوقوع الاسراء مرتين وهو المستفاد من آيات سوره النجم حيث يقول سبحانه: (ولقد رآه نزله أخرى) الآيات على ما سيوافيك إن شاء الله من تفسيره. وعلى هذا فمن الجائز ان يكون ما وصفه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الروايات من عجيب ما شاهده راجعا إلى ما شاهده في الاسراء الأول وبعض ما وصفه في بعض آخر راجعا إلى الاسراء الثاني، وبعضه مما شاهده في الاسراءين معا.

ثم اختلفوا في المكان الذي أُسِرَ به صلى الله عليه وآله وسلم منه فقيل: أُسِرَ به من شعب أبي طالب.

وقيل: أسرى به من بيت أم هانئ.

وفى بعض الروايات دلالة على ذلك وقد اولوا قوله تعالى: (لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) إلى أن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله مجازا فيشمل مكة.

وقيل: أسرى به من نفس المسجد الحرام لظهور الآية الكريمة فيه، ولا دليل على التأويل.

ومن الجائز بالنظر إلى ما نبهنا به من كون الاسراء مرتين ان يكون أحد الاسراءين من المسجد الحرام والآخر من بيت أم هانئ، واما كونه من الشعب فما ذكر فيما ذكر فيه من الروايات ان ابا طالب كان يطلبه طول ليلته وانه اجتمع هو وبنو هاشم فى المسجد الحرام ثم سل سيفه وهدد قريشا ان لم يحصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نزوله من السماء ومجيئه إليهم واخباره قريشا بما رأى.

كل ذلك لا يلائم ما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم وبنو هاشم جميعا عليه من الشده والبلية أيام كانوا فى الشعب. وعلى أى حال فالإسراء الذى تعطيه الآية:

(سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)

وهو الاسراء الذى كان إلى بيت المقدس كان مبدؤه المسجد الحرام لكمال ظهور الآية ولا موجب للتأويل (1).

ص: ٤٧

أقول: من الغريب ان لا- يتناول السيد العلامة - أعلى الله مقامه - دار خديجه عليها السلام فى هذه المسأله مع ما عرف عنه من التتبع الحثيث للأقوال، وكيف انه لم يذكر فى هذا البحث ما رواه الراوندى رحمه الله عن الإمام أبى جعفر عليه السلام فى التصريح بإسراء النبى الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من دار خديجه عليها السلام فقال رحمه الله: (إن أبأ جعفر عليه السلام قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أسرى به نزل جبرئيل عليه السلام بالبراق، وهو أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الاذنين، عيناه فى حوافره خطاه مد بصره، له جناحان يحفزانه من خلفه، عليه سرج ياقوت، فيه من كل لون، أهدب العرف الأيمن، فوقفه على باب خديجه، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمرح البراق، فخرج إليه جبرئيل عليه السلام فقال: أسكن فإنما يركبك أحب خلق الله إليه. فسكن. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فركب ليلاً وتوجه نحو بيت المقدس، فاستقبل شيخاً، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا أبوك إبراهيم. فثنى رجله وهم بالنزول، فقال جبرئيل عليه السلام: كما أنت. فجمع من شاء الله من أنبيائه بيت المقدس، فأذن جبرئيل، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بهم. ثم قال أبو جعفر عليه السلام فى قوله: فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك هؤلاء الأنبياء الذين جمعوا فلا تكونن من الممترين قال: فلم يشك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسأل»(١).

ص: ٤٨

١- الخرائج والجرائح للراوندى: ج ١، ص ٨٤؛ البحار للمجلسى: ج ١٨، ص ٣٧٨؛ تفسير نور الثقلين للحويزى: ج ٢، ص ٣٢٠.

فضلاً عن ذلك فإن كثيراً من الفقهاء والمفسرين سواء من مدرسه أهل البيت أو المدارس الأخرى قد أشاروا إلى ان الإسراء كان من بيت خديجه عليها السلام، وهم كالاتى نورد أسماءهم حسب التسلسل الزمني لحياتهم.

أولاً: شيخ الطائفة الطوسى رضوان الله تعالى عليه (المتوفى ٤١٠ هـ) فانه قال فى كتابه الخلاف:

(وإنما أسرى به من بيت خديجه) (١).

ثانياً: الحافظ ابن شهر آشوب المازندراني (المتوفى ٥٨٨ هـ) فقد روى عن: (السدى والواقدى - قولهما فى أن - الإسراء قبل الهجره بسته أشهر بمكه فى السابع عشر من شهر رمضان ليله السبت بعد العتمه من دار أم هانئ بنت أبى طالب وقيل من بيت خديجه...) (٢).

ثالثاً: المفسر الكبير العلامة الفخر الرازى (المتوفى ٦٠٦ هـ) وقد نقل قول الشافعى فى حكم دخول الكافر المسجد قائلاً:

(قد يكون المراد من المسجد الحرام لقوله تعالى:

سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

وإنما أسرى به من بيت خديجه) (٣).

ص: ٤٩

١- الخلاف للشيخ الطوسى: ج ٣، ص ١٨٩.

٢- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٥٣.

٣- تفسير الرازى: ج ٤، ص ١٩.

رابعاً: الحافظ محي الدين النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ) قال في المجموع: (في مذهب العلماء في بيع دور مكة وغيرها من أرض الحرم وإجارتها ورهنها، مذهبنا - أي الشافعي - جوازه وبه قال عمر بن الخطاب وجماعات من الصحابة ومن بعدهم؛ وهو مذهب أبي يوسف، وقال الأوزاعي، والثوري، ومالك، وأبو حنيفة لا يجوز شيء من ذلك، والخلاف في المسألة مبني على أن مكة فتحت صلحاً أم عنوه؟ فمذهبنا أنها فتحت صلحاً فتبقى على ملك أصحابها فتورث وتباع وتكرى وترهن. ومذهبهم أنها فتحت عنوه فلا يجوز شرع من ذلك واحتج هؤلاء بقوله تعالى:

(وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) ١.

قالوا والمراد بالمسجد جمع الحرم لقوله سبحانه وتعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

أي من بيت خديجه (١).

خامساً: العلامة الحلبي رضوان الله تعالى عليه (المتوفى ٧١٠ هـ) قائلا: (مسألة: قال الشيخ - الطوسي - في الخلاف: لا يجوز بيع ربايع مكة وبيوتها ولا إجارتها، وفيه نظر.

ص: ٥٠

احتج الشيخ بقوله تعالى:

(سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ).

والمسجد اسم لجميع الحرم، لقوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

وإنما أسرى به من بيت خديجه، وروى من شعب أبي طالب فسماه مسجداً، ولما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«بيع مكة حرام، وحرام بيع رباعها، وحرام أجر بيوتها، وللإجماع من الفرقة والأخبار»(١).

سادساً: المحدث العلامة المجلسي رحمه الله (المتوفى ١١١١ هـ) وقد نقل قول ابن شهر آشوب في (ان الإسراء كان من بيت خديجه)(٢).

سابعاً: الشيخ الجواهري أعلى الله مقامه (المتوفى ١٢٦٦ هـ) نص على ذلك في كتابه الجواهر في: بيع بيوت مكة، فقال: (وكيف كان في التذكرة، وظاهر الدروس، ومحكى الحواشي، والإيضاح، (في بيع بيوت مكة تردد) من انها مسجد لقوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى).

ص: ٥١

١- مختلف الشيعة: ج ٥، ص ٦٠.

٢- البحار للمجلسي: ج ١٨، ص ٣٨٠.

إلى آخره والمفروض انه صلى الله عليه وآله وسلم أسرى به من بيت خديجه... (١).

أقول: وهذا كله يدل على أن الإسراء كان من بيت خديجه عليها السلام وانه هو المعنى بقوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

وهما خصوصيتان في آن واحد تكشفان عن شرافه الدار وأهلها وحرمتها.

الا ان هذه الحرمه والشرافه التي جعلها الله تعالى لهذا البيت وأهله لم تكن بمانعه الوهابيين الذين دنسوا المسجد الحرام فحولوه إلى حمامات ودورات مياه.

ف (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) من مصيبه ما أعظمها على الإسلام!!

المبحث الرابع: مبيت الإمام على عليه السلام في دار خديجه عليها السلام ليله خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينه

إشاره

إن من الأحداث التي لازمت سيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فتناولتها كتب السير والتاريخ والحديث والتفسير هي خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينه ومبيت الإمام على عليه السلام في دار خديجه عليها السلام.

ص: ٥٢

١- جواهر الكلام للشيخ الجواهرى: ج ٢٢، ص ٣٥٢.

وعلى الرغم من اشتهاار الحادئه، ان لم تكن من مفاصل حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن المحدثين والمفسرين وغيرهم لم يتناولوا اختصاص هذه الفضيله بهذه الدار، دار خديجه عليها السلام، بل نجدهم قد صرفوا الانظار إلى دار أخرى فى عمليه الخروج والهجره، وهى دار أبى بكر مشيرين إلى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما خرج من دار أبى بكر فى تفاصيل غريبه وعجيبه لا- تتسق مع جوهر النبوه والاعتقاد بالغيب؛ وحيث إن البحث مخصص لمبيت الإمام على عليه السلام فى دار خديجه فقد أرجأنا البحث، فى هذه التفاصيل، أى هجره النبى صلى الله عليه وآله وسلم والعله فى اصطحابه لأبى بكر وملايسات الغار وغيرها إلى مبحث آخر أفردنا له كتاباً خاصاً كى يستوفى البحث حقه من التحليل والدراسه.

ولذلك:

فإن هذه الفضيله المخصوصه بعلى بن أبى طالب عليهما السلام كانت قد وقعت فى دار سيدتنا ومولاتنا خديجه الكبرى عليها السلام، ولأهميه هذه الحادئه وما رافقها من مسائل عقائديه وتاريخيه فقد خصصت لها مبحثاً كى تستوفى الحادئه حقه من البحث والدراسه والتحليل.

المسأله الأولى: كيف وقعت الحادئه ؟

اشاره

لقد تناول ابن إسحاق رحمه الله ومن نهل عنه فى تدوين السيره النبويه وغيرهم من المؤرخين والمحدثين حادئه مبيت الإمام على عليه السلام فى دار خديجه بألفاظ متفاوتة فى عرض الحدث وبيان تسلسل وقوعه.

ص: ٥٣

ولذلك وجدت ان أضع بين يدي القارئ الكريم هذا الحدث من خلال الخزين الذي احتوته المكتبة الإسلاميه بمختلف مذاهب علمائها. وذلك للأهميه الكبيره التي ارتبطت بهذا الحدث المفصلي من حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ألف: ما رواه ابن إسحاق والطبري وغيرهما

بعد أن تمت بيعه الأنصار في العقبه الثانيه، وكانوا قد بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على القتال وعادوا إلى المدينه، عزم بعض المسلمين في مكه بالهجره إلى المدينه، وذلك قبل خروج النبي إليها بأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً لهم:

«إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها»^(١).

فخرجوا إرسالاً وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر أن يأذن له الله بالخروج.

أما من بقى من المسلمين في مكه فقد لاقى من قريش أشد أنواع العذاب، وأبقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، كما بقى أيضاً في مكه أبو بكر وهو ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما أدركت قريش أن المسلمين خرجوا إلى المدينه أيقنت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوف يلحق بهم ولذا كانوا في حيره من أمرهم لا

ص: ٥٤

يعلمون أى السبل تمكنهم من الحؤول دون خروج النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه لو تمكن من ذلك وسكن المدينه لتجمع من حوله المسلمون ولعظم أمره ولم يتمكنوا بعد ذلك من القضاء عليه.

ولذا اجتمع أشرافهم فى دار الندوه - وهى المكان الذى يجتمعون فيه للأمر المهمه - واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيله رجلا قويا، ويعطى سيفاً، ثم يجهزون على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويضربونه ضربه رجل واحد فيقتلونه ويتفرق دمه بين القبائل، وبذلك لا يتمكن بنو عبد مناف من الأخذ بثأره؛ لأنهم لا قدره لهم على قتال كل هؤلاء القبائل ويرضون بالفديه. فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأنزل الله تعالى فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له:

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يُمَكِّرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ١ .

فأتى جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«لأتبت هذه الليله على فراشك الذى كنت تبيت عليه»(١)

فلما كانت عتمه من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فيشبون

ص: ٥٥

١- السيره النبويه لابن هشام: ج ٢، ص ٣٣٣؛ تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ١٠٠، تفسير الآلوسى: ج ٩، ص ١٩٨.

عليه(١)، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب:

نم على فراشى وتسبح ببردى هذا الحضرمى الأخضر فتم فيه، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم(٢).

وفى مسند أحمد: (وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبى صلى الله عليه وآله وسلم)(٣).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام.

قال: لما اجتمعوا، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال - ابن إسحاق -: وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ حفنه من تراب فى يده، ثم قال:

إنا أقول ذلك، أنت أحدهم.

ص: ٥٦

١- السيرة النبوية للنووى: ص ٨٥ ط دار البصائر، وجاء قوله: (انهم كانوا مائة نفر) وهذا خلاف المشهور).

٢- السيرة النبوية لابن هشام: ج ٢، ص ٣٣٣؛ تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٩٩؛ تفسير الثعلبى: ج ٢، ص ١٢٦؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ٢٨٢؛ البدايه والنهائيه لابن كثير: ج ٣، ص ٢١٦؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٢٣٥.

٣- مسند احمد بن حنبل: ج ١، ص ٣٤٨، من حديث ابن عباس.

وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل يفشى ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس:

(يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) إلى قوله (... فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ١ .

حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم أنصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنظرون ههنا؟.

قالوا: محمداً. قال: خبيكم الله! لقد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا -وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟.

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عليه السلام عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا(١).

ص: ٥٧

١- السيره النبويه لابن هشام: ج ٢، ص ١٢٦-١٢٧، ط دار القلم - بيروت؛ السيره النبويه لابن جرير الطبري: ص ٨٨؛ السيره النبويه لابن سيد الناس: ج ١، ص ٢٣٥؛ السيره النبويه

ولهذا الحديث وقفه سنعود إليها بعد ايفاء الحادثة حقها من البيان، وستتناول فيها بعض ما جاء فى الحديث من أحداث ونسلط عليها الضوء لنرى ما حوته من مصداقيه أو إخفاء لحقائق واقعيه رافقت عمليه الهجره النبويه.

باء: ما رواه الشيخ الطوسى رحمه الله

يروى الشيخ الطوسى رحمه الله تفاصيل الحادثة عن أبى عبيده بن محمد ابن عمار بن ياسر عن أبيه، وعن عبيد الله بن أبى رافع جميعاً عن عمار بن ياسر رضى الله عنه، وأبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد تداخل حديث هؤلاء ببعض فقالوا:

« كان الله عز وجل يمنع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعمه أبى طالب، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوؤه مده حياته، فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغيتها وأصابته بعظيم الأذى حتى تركته لقي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لأسرع ما وجدنا فقدك يا عم! وصلتك رحم فجزيت خيراً يا عم».

ثم توفيت خديجه بعد أبي طالب بشهر فاجتمع بذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزنان حتى عرف ذلك فيه، قال هند: ثم انطلق ذوو الطول والشرف من قريش إلى دار الندوه، ليأتمروا في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسروا ذلك بينهم، فقال بعضهم: نبنى له علما، وينزل برجا نستودعه فيه، فلا يخلص من الضباه إليه أحد، ولا يزال في رنق من العيش حتى يتضيفه ريب المنون، وصاحب هذه المشوره العاص بن وائل، وأميه، وأبى ابنا خلف.

وقال قائل: بئس الرأي ما رأيتم، ولئن صنعتكم ذلك ليتنمرن له الحذب الحميم والمولى الحليف، ثم ليأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن فليتنزعن من أنشطتكم قولوا قولكم. قال عتبه وشيبه وشركهما أبو سفيان، قالوا: فإننا نرى أن نرحل بعيرا صعبا، ونوثق محمدا عليه كتافا وشدا، ثم نقصع البعير بأطراف الرماح، فيوشك أن يقطع بين الدكادك إربا إربا. فقال صاحب رأيهم: إنكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئا، رأيتم إن خلص به البعير سالما إلى بعض الأفاريق، فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه وطلاوه لسانه، فصبا القوم إليه، واستجابت القبائل له قبيله قبيله، فليسيرن حينئذ إليكم بالكتائب والمقانب، فلتهلكن كما هلكت إياد ومن كان قبلكم؟! قولوا قولكم. فقال له أبو جهل: لكن أرى لكم أن تعمدوا إلى قبائلكم العشره، فتنتدبوا من كل قبيله رجلا نجدا، ثم تسلحوه حساما عضبا، وتمهل الفتية حتى إذا غسق الليل وغور بيتوا بابن أبي كبيشه بياتا، فيذهب دمه في قبائل قريش جميعا فلا يستطع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضه قبائل قريش في صاحبهم، فيرضون حينئذ بالعقل منهم، فقال صاحب

رأيهم: أصبت يا أبا الحكم.

ثم أقبل عليهم فقال: هذا الرأي فلا تعدلوا به رأيا، وأوكتوا في ذلك أفواهكم حتى يستتب أمركم، فخرج القوم عزين، وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل (عليه السلام)، فتلا هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله):

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ١ .

فلما أخبره جبرئيل (عليه السلام) بأمر الله في ذلك ووحيه، وما عزم له من الهجره، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام)، وقال له:

يا علي إن الروح هبط على بهذه الآية آنفا، يخبرني أن قريشا اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنه أوحى إلى ربي (عز وجل) أن أهجرك دار قومي، وأن انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنه أمرني أن أمرك بالمبيت على ضجاعي - أو قال: مضجعي - ليخفي بمبيتك عليه أثرى، فما أنت قائل، وما صانع؟.

فقال علي (عليه السلام):

أو تسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟

قال:

نعم.

ص: ٦٠

تبسم على (عليه السلام) ضاحكا، وأهوى إلى الأرض ساجدا، شكرا بما أنبأه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سلامته، وكان على (صلوات الله عليه) أول من سجد لله شكرا، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الامه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما رفع رأسه قال له:

امض لما أمرت فداك سمعى وبصرى وسويداء قلبى، ومرنى بما شئت أكن فيه كمسرتك، واقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقى إلا بالله.

قال:

وإن ألقى عليك شبه منى، أو قال: شبهى.

قال:

إن - بمعنى نعم -.

قال:

فارق على فراشى واشتمل ببردى الحضرمى، ثم إنى أخبرك يا على أن الله (تعالى) يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا بن عم وامتحنى فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبرا صبورا، فإن رحمه الله قريب من المحسنين.

ثم ضمه النبى (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وبكى إليه وجدا به، وبكى على (عليه السلام) جشعا لفراق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: ٦١

واستتبع رسول (صلى الله عليه وآله) أبا بكر بن أبي قحافه وهند بن أبى هاله، فأمرهما أن يقعدا له بمكان ذكره لهما من طريقه إلى الغار، ولبث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكانه مع على (عليه السلام) يوصيه ويأمره فى ذلك بالصبر حتى صلى العشاءين. ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى فحمة العشاء الآخرة، والرصد من قريش قد أطافوا بداره، ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية:

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ١.

وأخذ بيده قبضه من تراب، فرمى بها على رؤوسهم، فما شعر القوم به حتى تجاوزهم، ومضى حتى أتى إلى هند وأبى بكر فنهضا معه، حتى وصلوا إلى الغار. ثم رجع هند إلى مكة بما أمره به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر إلى الغار، فلما غلق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر، أقبل القوم على على (عليه السلام) يقدفونه بالحجاره والحلم، ولا يشكون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على على (صلوات الله عليه)، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم على (عليه السلام) قد انتصوا السيوف وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له على (عليه السلام) فختله وهمز يده، فجعل خالد

يقمص قماص البكر، ويرغو رغاء الجمل، ويذعر ويصيح، وهم فى عرج الدار من خلفه، وشد عليهم على (عليه السلام) بسيفه -
يعنى سيف خالد - فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار، فتبصروه فإذا هو على (عليه السلام)، فقالوا: إنك لعلى؟ قال:
أنا على.

قالوا: فإننا لم نردك، فما فعل صاحبك؟ قال:

لا علم لى به.

وقد كان علم - يعنى عليا (عليه السلام) - أن الله (تعالى) قد أنجى نبيه (صلى الله عليه وآله) بما كان أخبره من مضيه إلى الغار واختبائه فيه، فأذكت قريش عليه العيون، وركبت فى طلبه الصعب والذلول، وأمهل على (صلوات الله عليه) حتى إذا أعتم من الليله القابله انطلق هو وهند بن أبى هاله حتى دخلا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى الغار، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) هندا أن يتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لى ولك يا نبى الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب. فقال:

إنى لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن.

قال: فهى لك بذلك، فأمر (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) فأقبضه الثمن، ثم أوصاه بحفظ ذمته وأداء أمانته. وكانت قريش تدعو محمدا (صلى الله عليه وآله) فى الجاهليه الأمين، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكه من العرب فى الموسم، وجاءته النبوه والرساله

ص: ٦٣

والأمر كذلك، فأمر عليا (عليه السلام) أن يقيم صارخا يهتف بالأبطح غدوه وعشيا:

ألا من كان له قبل محمد أمانه أو وديعه فليأت فلتؤد إليه أمانته.

قال:

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي، فأد أمانتي علي أعين الناس ظاهرا، ثم إنى مستخلفك علي فاطمه ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما.

وأمره أن يبتاع رواحله وللنواظم ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم. قال أبو عبيده: فقلت لعبيد الله - يعنى ابن أبي رافع - أو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إنى سألت أبي عما سألتنى، وكان يحدث بهذا الحديث، فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجه (عليها السلام)؟ وقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال خديجه (عليها السلام)، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفكك من مالها الغارم والعانى ويحمل الكل، ويعطى فى النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت قريش إذا رحلت غيرها فى الرحلتين - يعنى رحله الشتاء والصيف - كانت طائفه من العير لخديجه، وكانت أكثر قريش مالا، وكان (صلى الله عليه وآله) ينفق منه ما شاء فى حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها. قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى وهو يوصيه:

ص: ٦٤

وإذا أبرمت ما أمرتك فكن على أهبة الهجره إلى الله ورسوله، وسر إلى لقدم كتابي إليك، ولا تلبث بعده.

وانطلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) لوجهه يؤم المدينة، وكان مقامه في الغار ثلاثاً، ومبيت على (صلوات الله عليه) على الفراش أول ليله. قال عبيد الله بن أبي رافع: وقد قال على بن أبي طالب (عليه السلام) شعراً يذكر فيه مبيته على الفراش ومقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الغار ثلاثاً.

وقيت بنفسى خير من وطئ الحصا ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر

وبت أراعيهم متى ينشروننى وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

وبات رسول الله في الغار آمننا هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصا أينما تفرى(١)

وفي الحديث أمور ينبغي التوقف عندها كما كان حال الحديث السابق نوردها معاً:

الأمر الأول: تدل الروايه على ان قريشاً عزمتم على قتل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاه خديجه عليها السلام بزمن قريب جداً يوم أو يومين، لأنها خشيت تفويت الفرصه بعد ذهاب ركنى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم اللذين كان يتكئ عليهما في تبليغ الرساله الإلهيه. فضلاً

ص: ٦٥

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٦٢-٤٦٩؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج ٥، ص ٤٧٦.

عن ان قريشاً تريد ان تغتتم هذه الأجواء من الحزن التي يمرّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه مشغول بفقد عزيزيه.

ولذا: فقد بادرت إلى الاجتماع في دار الندوه سريعاً بعد وفاه أم المؤمنين خديجه عليها السلام.

الأمر الثاني: أين فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأحداث؟

هذا السؤال استوقفني كثيرا وأنا أبحث بين أقوال الرواه وتناقل الحفاظ وهم يعرضون لنا أحداث هجره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فنجدهم يشيرون إلى ذكر بنتي أبي بكر «أسماء وعائشه» وتعطى لهما أدوار مهمه في الجهاد والمشاركه وكتمان الأمر وإطعام الطعام، وغيرها من الأمور في حين لا نجد ولو مجرد ذكر لفاطمه! أو حتى مجرد التذكير بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بنت وهي الآن في السنه الثامنه من عمرها فما هو دورها في خضم هذه الأحداث؟ وأين تركها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما خرج ولماذا لم تقم بأى دور كما قامت أسماء بنت أبي بكر؟.

فهل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخفى عليها، أم هل أن الرواه جفوها لأن ذكرها لا يدبر عليهم المال؟ أو لعله يغضب السلطه الحاكمه.

وكيف يمكن أن يعقل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلم بخروجه غير الإمام على بن أبي طالب عليه السلام الذي أراد منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينام في فراشه والشخص الثاني هو أبو بكر وآله أى: «عبد الله،

وأسماء وعائشه(1)؟ فهؤلاء فقط الذين علموا بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأين أبنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

أما بخصوص سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام فهي وإن لم يكن التاريخ قد انصفها من خلال ما صاغته ألسنة الرواه ودونته ذاكره الحفاظ، إلا أن العقل والوجدان الحي لا ينسجم مع فكره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلع ابنته الحبيبه التي لها من المكان في كيان النبي المقدس ما عرفه الجميع ويتركها دون أن يودعها أو على الأقل يوصيها بالاهتمام بنفسها.

إن الدين وجميع الشرائع السماويه لتقول وتأمر بالغيره على العرض فما بالكم بسيد الخلق فلا والله ما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن ودّع ابنته فاطمه عليه السلام في بيت آل أبي طالب وعند فاطمه بنت أسد تلك المرأة الجليله التي أفنت عمرها في رعايه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه على بن أبي طالب ومن ثم سيده النساء وبقيه النبوه فاطمه عليها السلام.

لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أمن عليها وأوصى بها ومن ثم طمأنها كما طمأن علياً عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإنه لن يخلص إليك ما تكرهه منهم».

وطمأنها بأن الله حامى أبيها وواقيه شر الأعداء، وأن الله جامعها معه وأن الفراق لن يطول كثيراً، فلا النبي قادر على فراق فاطمه عليها السلام ولا

ص: ٦٧

١- السيره النبويه لابن هشام: ج ٢، ص ١٢٦-١٢٧؛ السيره النبويه لابن كثير: ج ٢، ص ٢٣٤، ط دار المعرفه؛ وفي غيرها من المصادر - فراجع.

فاطمه تحتمل فراق أبيها فسرعان ما اجتمعا في الدنيا والآخرة.

الأمر الثالث: بقى أمر ثالث فى هذه العجالة، وهو دور أبى بكر فى هذه الحادثة وما صاغته أيدى الكتاب نقلاً عن ألسنه الرواه فى كتب المسلمين، ولأن الحديث يحتاج إلى دراسه وتحليل فقد دوناه فى كتاب هجره النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو كتاب مستقل.

الا أننا نسجل هنا بعض الأسئلة:

أ. كيف التقى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأبى بكر حينما خرج من مكه ؟

ب. ولماذا يخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من دار أبى بكر ولم يصحبه معه إلى دار خديجه فيخرجها منه معاً؟

ج. لماذا يرفض النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبض الراحلتين من أبى بكر إلا- بالثمن فلما قبض أبو بكر الثمن أخذهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

د. لماذا تكون أسماء بنت أبى بكر هى التى تجلب الطعام للغار؟ وكيف لم يراقبها المشركون وهى تحمل الطعام وقد خرج أبوها؟.

ه . لماذا يبقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثه أيام فى الغار؟

وغيرها من الأسئلة تجد الإجابة عليها فى كتاب حول الهجره النبويه سيطلع قريباً إن شاء الله.

المسأله الثانيه: الإمام على بن أبى طالب عليه السلام يفدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ابتغاء مرضاه الله تعالى

إن من الأسئلة التي تطرح حول روايه ابن إسحاق أو من جاء بعده فنهل من روايته: هو: لماذا لم يكمل لنا بقيه الروايه، ولم يُطلع القارئ المسلم أو المتتبع لسيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم بموقف الإمام على بن أبى طالب عليه السلام عندما سمع قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يطلب منه أن ينام فى فراشه، ويتشج ببرده الحضرمى الأخضر، كى يتمكن هو صلى الله عليه وآله وسلم من النجاه؟

وهذا يعنى أن يكون الإمام على بن أبى طالب عليه السلام هو البديل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى تلقى ضربات السيوف المسلوله خلف الباب.

ففى هذه الحاله وهذا الموقف! لابد أن يكون هناك رد من الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، وإن يكون له موقف، مهما كانت طبيعته ايجابا أم رفضا فالأمانه فى النقل تقتضى أن يروى الراوى أو الحافظ ما جاءت به الأحداث من مواقف تكشف عن حقائق الناس، لا أن يعمل بمنهاج (القضم) فيقضم من الروايه ما لا ينسجم مع موالاته وحبه لبعض الرموز، أو كسب رضا الساسه وما تحمله منحهم وأكياسهم.

ولكى لا- نعمل بهذا المنهاج الذى عمل به الكثيرون، ومن أجل أن يطلع المسلم على طبيعه الرد ويتعرف نوعيه الموقف الذى أبداه الإمام على بن أبى

طالب عليه السلام، نورد ما جاءت به بقيه المصادر الإسلاميه التي تناولت بأمانه مجريات هذه الحادته.

١ - ذكر مفتى مكه السيد زيني دحلان: «كان على رضى الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاه الله، ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه امتثل أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يقول له:

«لن يخلص إليك شيء».

فصدق عليه أنه بالامتثال باع نفسه»(١).

وفى هذه الفقره إشارات منها:

أ. أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنه أراد أن يسجل التاريخ حقيقه هذه الشخصيه للوجدان الإنسانى؛ إذ يبدو بشكل واضح أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليه هذا العرض بدون ضمانات فى السلامه أو النجاه، بل إنه عرض طابعه وحقيقته الموت، وغايته الحصول على رضا الله عز وجل. وهنا تعرف حقائق الإيمان وتصرخ صفحات القلوب مليه نداء التضحية بالنفس أو التمسك والتثبت بالحياه، وقد سجل التاريخ: أن على بن أبى طالب عليه السلام قد قدم رضا الله على النفس، هذه النفس إن كانت هى الوسيله فى الحصول على رضا الله عز وجل، فكيف بها إذا كانت قد جمعت أيضا نجاه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والتي فيها رضا الله سبحانه؟!!

ب. ثم يبدو من هذه الحادته: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن

ص: ٧٠

١- السيره النبويه لدحلان: ج ١، ص ٣٠٤، ط الأهلبيه للنشر والتوزيع - بيروت.

بان له موقف الإمام على عليه السلام - وهو العارف بحقائق على عليه السلام - ذكر لعل الضمانات فى السلامه قائلا:

«فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه».

وفى هذه النقطه تحديدا نقول: لو شككت لجنه حيه الضمائر وأرادت أن تمنح أوسمه فهل تجد فى تاريخ النبوه شخصيه آمنت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدقت حديثه وسلمت نفسها للموت الحقيقى وهى لا تملك سوى صدقها بهذه الكلمات:

«فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم».

ثم نامت هذه النفس مطمئنه لأنها مصدقه بما سمعت!

فهل هذه اللجنه تجد من تمنحه وسام (الصدق) غير هذا النائب فى فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أم هل أن هذه الأوسمه كانت وما تزال تمنح للبعض من أجل الوجهه فتضاف فى سجلات العوائل أو تعلق على الجدران؟ ويبقى الاختيار عند ذوى العقول السليمه.

٢ - روى الشيخ الطوسى والثعلبى والرازى والحسكانى والغزالي فى الإحياء ونقل عنه الديار بكرى وغيرهم: (إن ليله بات على بن أبى طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: أنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياته فاختر كلاهما الحياه وأحبها فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه

بنفسه ويؤثره بالحياه اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ينادى: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب تباهى بك الملائكه(١).

فأنزل الله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) ٢ .

أقول: حق للمسلم أن يتباهى هو أيضا على الأمم الأخرى بعلى بن أبي طالب عليه السلام.

٣ - أورد كثير من حفاظ المسلمين أن قول الله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ) . نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن نام بفراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو عازم على إفدائه بنفسه(٢).

ص: ٧٢

١- الأمالى للطوسى: ص ٤٦٩؛ تفسير الثعلبى: ج ٢، ص ١٢٦؛ تفسير الرازى: ج ٥، ص ٢٢٤؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ١٢٣؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣٤٠؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ص ٢٧٤؛ تاريخ الخمس للديار بكرى: ج ١، ص ٣٢٥-٣٢٦؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ١٩، ص ٨٧.

٢- شواهد التنزيل للحسكاني الحنفى: ج ١، ص ٩٦، ح ١٣٣ و ١٣٤ إلى ح ١٤٢؛ كفايه الطالب للشبلنجى: ص ٢٣٩، ط الحيدريه؛ وص ١٦٤، ط الغرى؛ الفصول المهمه لابن الصباغ: ص ٣١، ط الحيدريه؛ تذكره الخواص لابن الجوزى: ص ٣٠ و ٢٠٠، ط الحيدريه؛ نور الابصار للشبلنجى: ص ٧٨، ط السعيديه؛ وص ٧٨، ط العثمانيه؛ ينابيع

وفيه نقل الحاكم النيسابورى عن على بن الحسين: (أن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله على بن أبى طالب)، وأقره الذهبى فى التلخيص (١).

٤ - وفى هذا التكريم كان يفتخر الإمام على بن أبى طالب فأنشد قائلاً:

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصا ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

وبات رسول الله فى الغار آمناً فنجاه ذو الطول الإله من المكر

وبت أراعيهم وما يتهموننى وقد وطنت نفسى على القتل والأسر (٢)

المسألة الثالثة: شبهه ابن تيميه والحلبى فى رد فضيله الفداء، شبهه واهيه ومخالفه للقرآن الكريم

إشارة

إن مما يستوقف الباحث فى السيره النبويه هو مروره بآراء كثيره لمن كتبوا فى سيره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا تنسجم مع جوهر القرآن الكريم فضلاً عن أنها مخالفه للمنهج العلمى والموضوعى.

بل: ليجد الباحث أن كثيراً من هذه الآراء ليس فقط انها تخالف المنهج ا

ص: ٧٣

١- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ٤، وبهامشه تلخيص الذهبى.

٢- الأمالى للطوسى: ص ٤٦٩؛ الفصول المختاره للشريف المرتضى: ص ٥٩؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى:

ج ٣، ص ٤؛ تفسير الدر المنثور للسيوطى: ج ٣، ص ١٨٠؛ تفسير الآلوسى: ج ٩، ص ١٩٨؛ شواهد التنزيل للحاكم الحسکانى: ج

١، ص ١٣١.

لعلمى والموضوعى وإنما فيها تعمد الكذب فيكون صاحب هذا الرأى قد جمع الجهل فى المنهج الأخلاقى والعلمى والموضوعى.

ومن هذه الأمثله التى حوت بين جنباتها هذا النموذج من الآراء، هو قول الحلبي - صاحب السير النبويه - فى رده لفضيله الفداء التى اختص بها على بن أبى طالب عليه السلام ليله المبيت فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى دار خديجه فيقول بعد استشهاده بقول إمامه ابن تيميه:

(وأما ما روى أن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل وميكائيل أنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياه فاختار كلاهما الحياه فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياه اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله فقال: جبرئيل بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب باهى الله بك الملائكه وأنزل الله عز وجل:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ١ .

قال فيه الإمام ابن تيميه: إنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير).

وأيضاً - والقول للحلبى -: (قد حصلت له الطمأنينه بقول الصادق له لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا إيثار بالحياه، والآيه المذكوره فى سورة البقره هى مدنيه باتفاق، وقد قيل إنها نزلت فى صهيب

لما هاجر، أى كما تقدم؛ لكنه فى الإمتاع لم يذكر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى: ما ذكر، وعليه: فىكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه واضحاً ولا مانع من تكرار نزول الآية فى حق على وفى حق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وفى حق صهيب بمعنى اشترى نفسه بماله هذه الآية بمكه لا يخرج سورة البقره عن كونها مدنيه لأن الحكم يكون للغالب(١).

وهذه الشبهه التى أطلقها الحلبي والتى تضمنت رأى إمامه ابن تيميه وتبينه لهذا الرأى مع تغيير سبب نزول الآية وجعلها فى صهيب، وغيرها، مخالفه للمنهج الأخلاقى والقرآنى والعلمى كما سيمر بيانه من خلال الملاحظات الآتية:

أولاً: إتفاق أهل العلم بالحديث والسير على صدور هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبه يتضح كذب ابن تيميه

إشارة

إن ما أطلقه ابن تيميه وتبناه الحلبي ائتماماً بإمامه فهو كذب صراح ومخالف للأخلاق؛ لأن الكذب من أسوأ صفات الإنسان على أى دين كان وذلك للآتى:

ألف. فابن تيميه لم يوضح للقارئ كيف حصل له العلم بأن (أهل العلم بالحديث والسير قد اتفقوا على ان هذا الحديث كذب).

فهل سافر إلى جميع أقطار المسلمين وسأل أهلها عن العلماء فالتقى بهم وسألهم عن هذا الحديث فقالوا له انه كذب؟ فإن قيل: نعم، فهذا هو الكذب

ص: ٧٥

١- السيره الحلبيه: ج ٢، ص ١٩٢.

لأن ابن تيميه سيقضى عمره كله بالسفر إلى أقطار المسلمين يبحث عن أهل العلم بالحديث وعندها لن يستطيع ان يجمع لنا أقوالهم ولن يحصل على اتفاقهم وإن قيل: لا فهذا إقرار بأنه كاذب في قوله: بأن أهل العلم قد اتفقوا.

باء. ما هو الميزان الذى اعتمده ابن تيميه فى تحديد أهل العلم كى نتعرف عليهم ونصدق قول ابن تيميه فى انهم من أهل العلم؛ فإبليس من أهل العلم، ولذا قال الله رب العالمين:

(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَيِّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١).

فعلم إبليس بالصراط المستقيم يمكنه من تضليل الناس عنه، بل إن إبليس أعلم من ابن تيميه بالصراط المستقيم ولذا فهو سبب ضلال البشرية منذ ان أ* رج آدم وحواء من الجنة.

كما ان كعب الأخبار من أهل العلم بالحديث، بل ان كل فرقه من المسلمين تعتقد بأن أئمتها وزعماءها هم من أهل العلم بالحديث ولذا فهم يعتقدون بأنهم الفرقة الناجيه من هذه الامه فعلى سبيل المثال: «يعتقد الخوارج أنهم من الناحيه الدينيه يمثلون الفئه القليله التى لا- تقبل فى الحق مساومه، وأن زعماءهم من جماعه القراء والفقهاء هم الحريصون على الالتزام بالكتاب والسنة دون موارد أو تأويل»^(١) ولا أدرى أى كتاب أو سنه تجيز قتل على بن

ص: ٧٦

١- الموسوعه العربيه العالميه، الخوارج: ص ١.

أبى طالب عليه السلام؟

ولذلك: لم يصرح ابن تيميه بالقاعده أو الضوابط التى لديه فى معرفه أهل العلم كى نعتقد بأنه ينطبق عليهم هذا الوصف، وكى نأخذ بكلامه.

جيم - ثم لماذا لم يرشدنا إلى مواضع اتفاق أهل العلم ويدلنا على أقوالهم أكان مدوناً فى مصنفاتهم أم تحديثاً فى حلقاتهم فسمعه ابن تيميه من تلامذتهم؟ فعلم أنه كذب؟

دال - أما أهل العلم بالحديث الذين أقرت لهم الامه الإسلاميه فهم قسمان:

القسم الأول: فهم علماء الشيعة الذين لا يرى فيهم ابن تيميه ومن اتخذه إماماً له بأنهم من أهل العلم إلا أننا نؤمن بأنهم من أهل العلم على رغم أنف ابن تيميه ومن تولاه؛ إذ يكفى ثبوت صدقهم عندنا كثبوت كذب ابن تيميه.

وأما القسم الثانى: فهم علماء السنه والجماعه وهؤلاء اتفقوا على كذب ابن تيميه الذى نسب إليهم ما لم ينطقوا به وتقول عليهم ما لم يقولوا، وكى ثبت للقارئ كذب ابن تيميه فى قوله حول حديث نزول جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لحفظ على بن أبى طالب عليه السلام حينما فدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه.

الذى قال عنه ابن تيميه: (إنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير) فهؤلاء أهل العلم بالحديث والسير ندرجهم بأسمائهم كى يتضح كذب ابن تيميه.

وقبل ان أورد أسماء أهل العلم أذكر القارئ الكريم بأننى فى صدد الحديث القائل بنزول الملائكة فى ليله مبيت الإمام على عليه السلام، وليس فى اختصاص الآيه فى على عليه السلام وحصرها فيه فهذا سيرد بيانه.

القسم الأول: روايه أهل العلم بالحديث والسير لنزول جبرائيل وميكائيل لحفظ على عليه السلام ليله المبيت من الشيعة على رغم أنف ابن تيميه

١. الحافظ ابن عقده الكوفى رحمه الله (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) وقد رواه بإسناده، عن ابن عباس، وأبى رافع - مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهند بن أبى هاله أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أنى آخيت بينكما...»(١).

٢. أخرجه الشيخ الطوسى رضوان الله تعالى عليه (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) فى الأمالى بإسناده فقال: أخبرنا جماعه، عن أبى المفضل، قال حدثنا أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفى سنة إحدى وعشرين وثلاث مائه، قال: حدثنا على بن محمد بن سليمان النوفلى سنة خمسين ومائتين، قال حدثنى الحسن بن حمزه أبو العباس بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب، عن الزبير بن سعيد الهاشمى، قال: حدثني أبو عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر رضى الله عنه بين القبر والروضه، عن أبيه وعبيد الله بن أبى رافع جميعاً عن عمار بن ياسر (رضى الله عنه) وأبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٧٨

١- فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقده الكوفى: ص ١٨١.

قال أبو عبيده: وحدثني سنان بن أبي سنان: أن هند بن هند بن أبي هاله الأسدي حدثه عن أبيه هند بن أبي هاله ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه خديجه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخته لأمه فاطمه صلوات الله عليها.

قال أبو عبيده: وكان هؤلاء الثلاثة هند بن هاله وأبو رافع وعمار بن ياسر جميعاً يحدثون عن هجره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينه وميته قبل ذلك على فراشه (١).

أقول: أما حديث نزول الملائكه لحراسه علي بن أبي طالب عليه السلام ليله المبيت فقد حدث به الصحابي المنتجب أبو اليقظان عمار بن ياسر كما صرح به الشيخ الطوسي (٢).

وأما ما قاله أبو عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر: «وحدثني سنان بن أبي سنان: أن هند بن هند بن أبي هاله الأسدي حدثه عن أبيه هند بن أبي هاله ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه خديجه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخته لأمه فاطمه صلوات الله عليها.

فقد اثبتنا في الفصل الأول من الكتاب عدم صحه زواج أم المؤمنين خديجه عليها السلام قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن هند هذا هو ابن

ص: ٧٩

١- الأمالى للشيخ الطوسي: ص ٤٦٣.

٢- الأمالى للشيخ الطوسي: ص ٤٦٩.

اختها احتضنته أم المؤمنين خديجه وتكفلت برعايته فنشأ في دارها حاله كحال زينب وأم كلثوم ورقيه، فعرف بابنها كما عرفن هؤلاء النسوة بيناتها - وقد مرّ بيانه مفصلاً فليراجع -.

٣. الحافظ ابن شهر آشوب المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨ هـ)

قال الثعلبي في تفسيره: وابن عقب في ملحمته، وأبو السعادات في فضائل العتره، والغزالي في الإحياء وفي كيمياء السعاده أيضاً برواياتهم عن أبي اليقظان، وجماعه من أصحابنا ومن ينتمى إلينا نحو: ابن بابويه، وابن شاذان، والكليني، والطوسي، وابن عقده، والبرقي، وابن فياض، والعبدلي، والصفواني، والثقفى بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هاله... وساق الحديث^(١).

أقول:

الظاهر في كلام ابن شهر رحمه الله أمور منها:

أ. أنه قد جمع في قوله هذا اختصاص آية الفداء والشراء في علي بن أبي طالب عليه السلام بشكل عام وبين إيرادها مع ذكر نزول الملائكة عليهم السلام، إذ إن اختصاص الآية بعلي عليه السلام رواه العلماء عن ابن عباس كما سيمر، واختصاص نزول الملائكة رواه العلماء عن أبي اليقظان عمار بن ياسر (رضى الله تعالى عنه).

ب. قد يكون الحافظ ابن شهر آشوب قد وجد هذا الحديث في

ص: ٨٠

١- مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج ١، ص ٣٤٠.

مصنفات أولئك العلماء في زمانه وان هذه المصنفات لم تنشر بعد فهي مازالت في أروقه حصون المخطوطات المنتشرة في البلاد الإسلامية، وفي الواقع لم أعث على الحديث فيما توفر من نشر لبعض مصنفات ابن بابويه رحمه الله وغيره.

ج. وقد يكون الحافظ قد وجد هذا الحديث ضمن مصنفات علماء العامة الذين ذكرهم الا ان هذه المصنفات قد تعرضت للحذف والتزوير بعد مرور أكثر من ثمانمائة عام كما حدث لصحيح مسلم من التزوير كما أشرنا في مبحث منزله خديجه في السنه وانها من رواه الحديث الشريف.

وعليه: فغرضنا إيراد أسماء أهل العلم بالحديث والسير من علماء الشيعة رحمهم الله تعالى.

٤. السيد ابن طاووس رحمه (المتوفى سنة ٦٦٤ هـ).

قال رحمه الله: «قال الثعلبي بعد كلام ذكره: ففعل ذلك على عليه السلام فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام...»(١).

٥. الشيخ الطبرسي رحمه الله (المتوفى ٥٤٨ هـ) وقد أورد الروايه في المجمع(٢).

٦. الحافظ ابن كرامه رحمه الله (المتوفى ٤٩٤ هـ) وقد رواه في التنبيه(٣).

ص: ٨١

١- الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص ٣٧؛ وذكره أيضاً في تفسير سعد السعود: ص ٢١٦.

٢- مجمع البيان في تفسير الميزان للشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٥٧.

٣- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين للمحسن بن كرامه: ص ٢٤.

٧. الحافظ ابن البطريق رحمه الله (المتوفى سنة ٥٦٠٠ هـ) (١).

٨. الحافظ ابن أبي حاتم رحمه الله (المتوفى سنة ٦٦٤ هـ) (٢).

٩. الحافظ ابن جبر رحمه الله (من أعلام القرن السابع الهجرى) (٣).

١٠. الشيخ الحر العاملى رحمه الله تعالى صاحب الوسائل المتوفى سنة ١١٠٤ رواه فى جواهره (٤).

١١. السيد هاشم البحرانى رحمه الله (المتوفى سنة ١١٠٧ هـ) (٥).

١٢. العلامة المجلسى رحمه الله (المتوفى ١١١١ هـ) (٦).

وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى.

القسم الثانى: روايه أهل العلم بالحديث والسير من السنه والجماعه فى نزول جبرائيل وميكائيل

١. الثعلبى (المتوفى سنة ٤٢٧ هـ) قائلاً: «ورأيت فى الكتب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد الهجره خلف على بن أبى طالب بمكه لقضاء ديونه ورد الودائع التى كانت عنده... إلى أن يقول: فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام وساق الحديث» (٧).

ص: ٨٢

١- خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق: ص ١٢٠.

٢- الدر النظيم لابن أبى حاتم: ص ٣٢١.

٣- نهج الإيمان لابن جبر: ص ٣٠٥.

٤- الجواهر السنيه للحر العاملى: ص ٣٠٨.

٥- حليه الأبرار: ج ١، ص ١٢٩.

٦- بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٨٧.

٧- تفسير الثعلبى: ج ٢، ص ١٢٦.

وقول الثعلبي: (ورأيت في الكتب).

دليل قوى على انتشار هذا الحديث في مصنفات علماء المسلمين إلا ان يد السياسة الجائره والمتزلفه لحكام بنى أميه ومن سار على نهجهم منعت وصول هذا الحديث إلى أسماع كثير من الناس فضلاً عن هذا الحديث وغيره مما يتعلق بفضائل أهل البيت عليهم السلام ما زال محجوباً عن الناس ومخزوناً في المخطوطات التي يتعمد أرباب المكاتب العامه والمشرفون عليها بعدم إخراجها للنور ناظرين في ذلك إلى الجانب المادى وما غلا سعره دون النظر إلى ما ينفع الناس والذي فيه رضا الله تعالى.

٢. الحاكم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس للهجره) أخرجه في الشواهد مسندا، فقال: أخبرنا أبو سعد السعدى بقراءتى عليه من أصل سماعه بخط السلمى قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن زكريا الطحان ببغداد قال: حدثنا إبراهيم بن احمد البذورى قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن أحمد الملقى قال: حدثنا سعيد بن عبد الله الرفاء قال: حدثنا على بن حكام الرازى عن شعبه عن أبى سلمه، عن أبى نصره، عن أبى سعيد الخدرى قال: لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم يريد الغار، بات على بن أبى طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل:

إنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياه.

فكلاهما اختارها وأحبا الحياه، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يقيه بنفسه، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل ينادى: بخ بخ، من مثلك يا بن أبى طالب، الله عز وجل يباهى بك الملائكه فأنزل الله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) ١,٢ .

أقول:

لقد أوردت الحديث بتمامه كى يطلع القارئ على تطابق المتن مع ما أورده أهل العلم بالحديث والسير فى مصنفاتهم، وان هذا الحديث له اسناد آخر أورده الحاكم الحسكاني عن أبى سعيد الخدرى فى حين كان للحديث اسناد آخر إلى أبى اليقظان عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. أبو حامد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) أورد الحديث بدون ذكر السند وهو طابعه فى إيراد الأحاديث فى الإحياء غالباً (١).

٤. الفخر الرازى، إمام المفسرين عند أهل السنه والجماعه (المتوفى سنه

ص: ٨٤

١- احياء علوم الدين حامد الغزالي: ج ٣، ص ٢٥٨.

٥٦٠٦ هـ) وقد أورد الحديث بحذف السند مع اختصار في المتن (١).

٥. الحافظ ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) وقد أسند الحديث إلى الثعلبي المفسر (٢).

٦. الحافظ محمد بن أحمد بن الشهاب الدمشقي (المتوفى سنة ٨٧١ هـ) وقد أوردته في جواهره نقلاً عن الغزالي (٣).

٧. المؤرخ اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٩٢ هـ) (٤)، رواه في تاريخه.

٨. ابن حجه الحموي (المتوفى سنة ٧٦٧ هـ) (٥)، وقد أوردته في الثمرات.

٩. العاصمي (٦) المكي الشافعي (المتوفى سنة ١١١١ هـ) وقد أوردته في تاريخه سمط النجوم.

١٠. الدياربركي (المتوفى سنة ٩٦٦ هـ) (٧)، وقد أوردته في تاريخه.

١١. الزبيدي الحنفي (٨)، وأوردته في الاتحاف.

ص: ٨٥

١- تفسير الرازي: ج ٥، ص ٢٢٤.

٢- اسد الغابه: ج ٤، ص ٢٥.

٣- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابن الدمشقي: ج ١، ص ٢١٩.

٤- تاريخ اليعقوبي: ص ١١٩.

٥- ثمرات الأوراق لابن حجه الحموي: ج ١، ص ٢١٩.

٦- سمط النجوم العوالي للعاصمي: ص ١٤٦.

٧- تاريخ الخميس: ج ١، ص ٣٢٥، ط المطبعة الوهبيه بمصر سنة ١٢٨٣.

٨- اتحاف الساده المتقين للزبيدي: ج ٨، ص ٢٠٢، ط الميمنية بمصر.

١٢. القاضي التنوخي (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) (١)، وقد أورده في المستجاد.

١٣. الحافظ أبو الفضل زين الدين العراقي (المتوفى سنة ٨٠٦ هـ) شيخ ابن حجر والهيتمي، قال في تخريجه لأحاديث الاحياء حينما تناول الحديث المذكور أعلاه: (رواه احمد مختصراً عن ابن عباس).

ولم يقم الحافظ العراقي بتكذيب الحديث كما كذب ابن تيميه على المسلمين فقال: كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير (٢).

١٥. ابن الصباغ المالكي (المتوفى سنة ١٤٢٢) (٣)، وقد رواه في الفصول.

١٦. القندوزي (المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ) (٤)، وقد رواه في ينباع.

فهؤلاء جميعاً قد رووا الحديث في كتبهم فإما انهم ليسوا من أهل العلم وإما ان ابن تيميه كذب عليهم؛ وإما ان أهل العلم لم يتفقوا أصلاً في هذا الحديث ومن ثم يكون ابن تيميه كاذباً أيضاً.

فضلاً عن ذلك فقد اعتمد ابن تيميه طريقه شيطانيه ماكره، فقد مكر في الجمع بين سبب نزول الآيه المباركه في علي بن أبي طالب عليه السلام، مع هذا الحديث الذي ينص على نزول الملائكه لنصرته ليرد الآيه عن علي عليه السلام

ص: ٨٦

١- المستجاد للقاضي التنوخي: ص ١.

٢- تخريج أحاديث الاحياء للعراقي: ج ٧، ص ٣٩٩؛ الابتلاء سنة الهيه لعلی سباط: ج ٦، ص ١٠؛ سبيل المستبصرين: ج ١٦، ص ٩.

٣- الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٢٩٤.

٤- ينباع الموده للقندوزي: ج ١، ص ٢٧٥، الباب الحادي والعشرون.

حينما جعل سبب النزول محصوراً في نزول جبرائيل وميكائيل ليله المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس في قيام على عليه السلام في فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه كى ينصرف ذهن القارئ أو السامع إلى أن هذه الآيه ليست من الآيات التي تتحدث عن فداء على للنبي بنفسه، فضلاً عن نفي الحادثه من الأصل، لكن فات على ابن تيميه أن هذا المكر لا يصمد أمام مكر الله تعالى بالذين كذبوا بآيات الله والذين يصدون عن سبيله فسرعان ما يفضحهم ويخزيهم في الحياه الدنيا ولهم في الآخره عذاب عظيم.

ثانياً: اسماء الذين رووا من أهل العلم بالحديث والسير واتفاقهم على ان علياً عليه السلام هو الذى شرى بنفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنام فى مكانه فى دار خديجه عليها السلام

إلا أننى سأورد هنا بعض أسماء أهل العلم بالحديث وهم يصرحون فى اختصاص هذه المنزله بأمر المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وانه هو الذى شرى نفسه ابتغاء مرضاه الله.

وسأورد هذه الأسماء مشتركه دون فصل بينها لكثرتها وأكتفى منها باثنى عشر اسماً.

ألف. روى الشيخ الطوسى رحمه الله عن أنس بن مالك قال: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغار ومعه أبو بكر، أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه وآله وسلم علياً عليه السلام، أن ينام على فراشه ويتوشح ببردته، فبات على (عليه السلام) موطناً نفسه على القتل، وجاءت رجال قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما أرادوا أن يضعوا عليه

أسيافهم لا يشكون أنه محمد (صلى الله عليه وآله) فقالوا: أيقظوه ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه، فلما أيقظوه ورأوه عليا (عليه السلام) تركوه وتفرقوا في طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأنزل الله (عز وجل):

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) ١ .

باء. روى امام الحنابلة احمد بن حنبل فى مسنده قائلاً: «حدثنا أبو بلج حدثنا عمرو بن ميمون قال: إنى لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعه رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو - بنا بين - هؤلاء.

قال، فقال ابن عباس: بل - أنا - أقوم معكم. قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال: فابتدأوا فتحدثوا فلا ندرى ما قالوا. قال فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا فى رجل له عشر وقعوا فى رجل قال له النبى صلى الله عليه وسلم:

لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا يجب الله ورسوله قال فاستشرف لها من استشرف.

قال:

أين على ؟.

قالوا: هو فى الرحل يطحن. قال:

وما كان أحدكم ليطحن.

ص: ٨٨

قال: فجاء وهو أرمدا لا يكاد يبصر قال فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطها إياه فجاء بصفية بنت حبي.

قال ثم بعث فلانا - أي أبا بكر - بسوره التوبه فبعث عليا خلفه فأخذها منه قال:

لا يذهب بها الا رجل منى وأنا منه.

قال: وقال لبني عمه:

أيكم يواليني في الدنيا والآخرة.

قال: وعلى معه جالس فأبوا فقال علي:

أنا أو اليك في الدنيا والآخرة.

قال:

أنت وليي في الدنيا والآخرة.

قال فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال:

أيكم يواليني في الدنيا والآخرة.

فأبوا قال: فقال علي:

أنا أو اليك في الدنيا والآخرة.

فقال:

أنت وليي في الدنيا والآخرة.

قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجه.

قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي

وفاطمه وحسن وحسين فقال:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

قال: وشري على نفسه، لبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه، قال وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر وعلى نائم قال وأبو بكر يحسب أنه نبي الله قال فقال يا نبي الله قال فقال له على إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد انطلق نحو بئر ميمون فأدر كه قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال وجعل على يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتصور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا انك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتصور وأنت تتصور وقد استنكرنا ذلك.

قال وخرج بالناس في غزوه تبوك، قال، فقال له على: أخرج معك؟ قال فقال له نبي الله: لا، فبكى على، فقال له:

أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى الا أنك لست بنبي انه لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي.

قال وقال له رسول الله:

أنت وليي في كل مؤمن بعدى.

وقال:

سدوا أبواب المسجد غير باب على.

ص: ٩٠

فقال:

فدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال وقال:

من كنت مولاه فان مولاه على (١).

أقول: والحديث يدل على جملة من الحقائق، منها:

١. انقسام الصحابه والتابعين فى حب على بن أبى طالب عليه السلام وبغضه فمنهم من كان يحبه ومنهم من كان يبغضه ولذا نجد: ان الروايه تصرح بمجىء مجموعه من هؤلاء مع عدم تصريح عوانه بن ميمون عن أسمائهم إلى ابن عباس ومناشدته بالذهاب معهم للرد على نفر من التابعين والصحابه الذين أبغضوا علياً فأخذوا ينالون منه بدرجه كبيره يكشفها استياء ابن عباس الشديداً لما سمعه منهم.

حينها لم يجد حبر الامه جواباً يليق بهؤلاء غير (التفل) فقال: أف، وتُف!!!

٢. عدم تصريح ميمون بن عوانه بأسماء الذين وقعوا فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يدل على أمور:

ألف. إنا أنهم من الشخصيات المعروفة فى المجتمع ولهم باع فى الدعوه إلى الإسلام (الأموى) ومن ثم يعد التصريح بهم كشفاً عن حقائق إيمانهم فهم ببغضهم لعلى عليه السلام ووقوعهم فيه يكونون قد صرحوا بنفاقهم للملأ من

ص: ٩١

الناس وهذا يخجل كثيراً من أشياعهم وأتباعهم ويفضحهم إذ يظهر كذبهم وتدجيلهم على الناس فضلاً عن تتبع أقلام المؤرخين لهذه المشاهد.

باء. وإيّا أن يكون هؤلاء الذين وقعوا في الإمام على عليه السلام هم من اقطاب السلطه الحاكمه ومن ثم لا يستطيع التصريح بأسمائهم لما يترتب على ذلك من أخطار تلحق بميمون بن عوانه.

جيم. وإما أنهم مجهولو الهويه وهذا يكشف عن حقيقه خطيره، إذ تدل هذه المشاهد على وجود عناصر تريد الفتك بالإسلام والنيل منه وبث الفرقة فيه، وهؤلاء إمّا مرتبطون باليهود - وإمّا بأعداء أهل البيت عليهم السلام لغرض تثقيف الناس على بغض على بن أبي طالب عليه السلام، أو أقله كسر حاجز القداسه المستند إلى الحكم الشرعى فى حب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، بل وأهل البيت عموماً، إلا أن حب على بن أبى طالب عليه السلام كان هو الميزان والمحك الذى يكشف عن معدن إيمان المسلمين.

ولذلك: نجد أنّ عبد الله بن عباس أورد هذه الخصال العشر لغرض إعاده القلوب والعقول إلى جاده الإسلام المحمدى.

دال. وإمّا أنّ هؤلاء مجموعه من عامه الناس ليس لهم ارتباط بجهه ولم يكونوا من ضمن ما يعرف بـ «الطابور الخامس».

وعندها تكون المصيبه أعظم؛ لأن ذلك يدل على انتشار هذه الثقافه فى المجتمع الإسلامى وتداولها فيما بين العامه مما يدفع بالامه إلى حافه الهاويه والسقوط ، ولذا وجد ابن عباس ان الواجب الشرعى يحتم عليه ان يذكر بهذه الحدود الشرعيه التى أسسها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. من الملاحظ في الرواية: ان عبد الله بن عباس يؤسس لمنهج علمي في الاحتجاج مع هذا الفكر الجديد الذي بدأ ينتشر في المدينة المنورة، وهو عدم الدخول مع أولئك المنافقين في حوار أو جدال، والعله في ذلك أنهم أعداء الله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان عدواً لله ورسوله فهؤلاء لا ينفع معهم أن يقال لهم: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» لأنهم من الأصل لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيماذا ينفع معهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

ولذلك: مثل هؤلاء كثير في المجتمعات وهم يتجددون بأشكال ووجوه جديدة إلا أن أفكارهم واحده ومبادئهم واحده وهى محاربه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومحاربه على بن أبي طالب وشيعته.

وعليه: لم ينفع معهم القول بل لا يستحقون الرد.

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) ١ .

مما جعل ابن عباس يعرض عنهم ولم يحدثهم بهذه الخصال العشر، بل نراه ذكرها لما رجع منهم، ولذلك لم يلقوا منه غير (التفل).

٤. تدل الرواية على معرفه الصحابه باختصاص آيه الشراء بعلى بن أبي طالب عليه السلام ودرايتهم بذلك، ولذا: فقد ابتدأ ابن عباس حديثه بقوله: (وشرى على نفسه).

فهذه بعض ما يتعلق بروايه أحمد بن حنبل عن ابن عباس، ونعود إلى

أقوال أهل العلم بالحديث فى روايتهم لفضيله الغداء وآيه الشراء.

جيم. روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال:

«أتى رأس اليهود، على بن أبى طالب عليه السلام عند منصرفه عن وقعه النهروان وهو جالس فى مسجد الكوفه».

فقال: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصى نبي. فقال عليه السلام:

يا أخا اليهود سل ما بدا لك.

- فكان مما سأله ان قال :- فأخبرني كم امتحنك الله فى حياه محمد من مره ؟ وكم امتحنك بعد وفاته من مره، والى ما يصير آخر أمرك ؟

- ونأخذ موضع الشاهد - فقال عليه السلام:

وأما الثانيه يا أخا اليهود، فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل فى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان آخر ما اجتمعت فى ذلك يوم الدار - دار الندوه - وإبليس الملعون حاضر فى صورته أعور ثقيف فلم تزل تضرب أمرها ظهر البطن حتى اجتمعت آراؤها على أن يندب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربه رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضى دمه دهراً، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك وأخبره بالليله التى يجتمعون

فيها والساعه التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر، وأمرني ان اضطجع في مضجعه وأقيه بنفسى فأسرت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسى بأن أقتل دونه، فمضى عليه السلام لوجهه واضطجعت في مضجعه...»(١).

دال. أخرج الحاكم النيسابورى (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ) في مستدرکه عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس انه قال: «شرى على نفسه، ولبس ثوب النبى صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ألبسه برده وكانت قريش تريد أن تقتل النبى صلى الله عليه وآله فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد لبس برده وجعل على رضى الله عنه يتصور فإذا هو على فقالوا انك للثيم انك لتتصور وكان صاحبك لا يتصور ولقد استنكرناه منك. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسى وغيره عن أبي عوانه بزياده ألفاظ (٢).

هاء. محمد بن مسعود العياشى (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) روى عن ابن عباس انه قال: «شرى على نفسه، ولبس ثوب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه...»(٣).

ص: ٩٥

١- الخصال للشيخ الصدوق: ص ٣٦٧.

٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ٤؛ وج ٣، ص ١٣٣.

٣- تفسير العياشى: ج ١، ص ١٠١؛ تفسير فرات الكوفى: ص ٣٤٢؛ خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق: ص ١١٩.

واو. الحافظ النسائي صاحب السنن (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) أخرج الحديث عن ابن عباس انه قال: «... وشري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام في مكانه...»(١).

زاي. روى الشيخ الطوسى رحمه الله عن عبد الله بن جندب بن أبى ثابت، عن أبيه، عن مجاهد، قال: فخرت عائشه بأبيها ومكانه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الغار.

فقال عبد الله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من على بن أبى طالب حيث نام فى مكانه وهو يرى أنه يقتل؟.

فسكتت - عائشه - ولم تحر جواباً(٢).

وأضاف ابن شهر آشوب: (وشتان بين قوله:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ٣.

وبين قوله:

(لَا تَخْزَنَ لِيِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ٤.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه يقوى قلبه ولم يكن مع على.

وهو لم يصبه وجع، وعلى يرمى بالحجاره.

ص: ٩٤

١- خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام للنسائي: ص ٦٤.

٢- الأمالى للشيخ الطوسى رحمه الله: ص ٤٤٧.

وهو مختف بالغار، وعلى ظاهر للكفار.

واستخلفه الرسول لرد الودائع؛ لأنه كان أميناً فلما أداها قام على الكعبه فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانه؟ هل من صاحب وصيه؟ هل من عده له قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وكان في ذلك دلالة على خلافته وأمانته وشجاعته، وحمل نساء الرسول خلفه بعد ثلاثه أيام وفيهن عائشه فله المنه على أبي بكر بحفظ ولده، ولعلي المنه - على أبي بكر - في هجرته، وعلى ذو الهجرتين والشجاع البابت بين أربعمائه سيف، وإنما اباته على فراشه ثقة بنجدته فكانوا محققين به إلى طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً فيذهب دمه بمشاهده بنى هاشم قاتليه من جمع القبائل(١).

حاء. وروى الحافظ الهيثمي (المتوفى سنه ٨٠٧ هـ) في مجمعهم عن عمرو ابن ميمون انه قال: «وشرى على نفسه لبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال: رواه احمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين(٢).

وفضلاً عن أولئك فقد رواه أيضاً:

١. الحافظ الحسكاني (المتوفى في القرن الخامس الهجري)(٣).

ص: ٩٧

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣٣٤؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٩، ص ٥٦؛ حليه الأبرار للسيد هاشم البحراني: ج ١، ص ١٣٨.

٢- مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ١٢٠.

٣- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ١٢٧.

٢. خاتمه الحفاظ جلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١هـ) (١).

٣. الحافظ ابن كثير الدمشقى الأموى (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) (٢).

٤. الحافظ الموفق بن أحمد البكرى المكى الحنفى الخوارزمى (المتوفى سنة ٥٦٨ هـ) (٣).

٥. ابو العباس محب الدين الطبرى المكى الشافعى (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ) (٤).

وغيرهم كثير مما يدل على أمور منها:

ألف. أن آية الشراء هى من الآيات النازلة فى على بن أبى طالب عليه السلام حينما شرى بنفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليله المبيت فى دار خديجه عليها السلام وان هذه الفضيله من خصائص دار خديجه عليها السلام فضلاً عن نزول جبرائيل وميكائيل هذه الليلة لحراسه على بن أبى طالب عليه السلام من القتل حينما مكر المشركون هذه الليلة لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ٥.

ص: ٩٨

١- الدر المنثور: ج ٣، ص ١٨٠.

٢- البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٧، ص ٣٧٤.

٣- المناقب للموفق الخوارزمى: ص ١٢٦.

٤- ذخائر العقبى: ص ٨٧.

باء. ان هذه الحادته ثابتة لعلی علیه السلام باتفاق أهل العلم بالحديث والسير وهي من المسلمات التي لا نقاش فيها عندهم الا من أعماه الله.

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) ١ .

جيم. ان دعوى ابن تيميه دعوى كاذبه وان هؤلاء العلماء قد اتفقوا حينما رووا هذا الحديث على كذب ابن تيميه وانه كسالفه الذين اجتمعوا للوقوع في علي بن أبي طالب عليه السلام الا ان الفارق بين الحادتين هو افتقادنا لعبد الله بن عباس الذي يجيبه بمثل ما أجاب أسلاف ابن تيميه حينما قال لهم: «أف، وتُف».

دال. إن هذه المحاولات اليائسه في تضليل الناس عن الدين المحمدي والسنة النبويه وحرفهم إلى السنة الأمويه لم تنته بابن تيميه كما لم تبدأ منه كما مرّ بيانه، ولذلك نجد أنّ هذه المنقبه، أي: منقبه الفداء لم تكن هي الوحيدة التي تعرضت للنفي والتحريف والتضليل، بل جميع مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إلا- ان الفارق بين هذه المنقبه وغيرها هي ارتباطها بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تبعها من اصطحابه - بأبي وأمي - أبا بكر ونزوله معه في الغار، ومحاولة الكثيرين ممن تشيعوا لبني أميه أو للخليفتين تعظيم هذا الخروج والدخول للغار كمحاولة واهيه لشد انتباه الناس إليها وصرفهم عن عظم التضحيه والفداء فضلاً عن صدق النيه وخلصها لنيل مرضاه الله تعالى

فيما قامت به هذه النفس ليله المبيت في دار خديجه عليها السلام وفي فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا: نجد أنّ هذه الآيه المباركه قد تعرضت لمحاربه شديده وقاسيه مستمره منذ القرن الأول للهجره النبويه والى يومنا هذا كما سيمر بيانه:

ثالثاً: محاربه آيه الشراء منذ القرن الأول للهجره والى يومنا هذا

إشاره

لم تزل تشهد هذه الآيه المباركه الضربات التي يوجهها الحكام وأصحاب الأمراض القلبيه منذ ان توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وظهور الفتن كأنها قطع من الليل المظلم مما دعا الإمام علياً عليه السلام وثله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدفاع عن القرآن والسنة النبويه وارشاد الناس إلى جاده القرآن فكان عليه السلام بين الحين والآخر يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنته ويحثهم على التمسك بها كيلا يتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله، فكان مما يذكر به عليه السلام هو هذه الآيه المباركه، التي جاءت ضمن مناشداته لصحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحين والآخر، فكانت من بينها هذه المناشده التي رواها كلٌّ من:

١ - أبي بكر احمد بن موسى بن مردويه المتوفى سنة ٤١٠ هـ .

٢ - الحافظ ابن عساكر الدمشقي (المتوفى سنة ٥٧١ هـ).

٣ - الحافظ الموفق الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هـ).

٤ - ابن أبي حاتم العاملي (المتوفى سنة ٦٦٤ هـ).

ص: ١٠٠

٥ - ابن جبر (المتوفى ق ٧).

٦ - المتقى الهندى (المتوفى سنة ٩٧٥ هـ) وغيرهم.

فضلاً عن أن هذه (المناشده) رواها الحافظ ابن مردويه بسندين:

الأول: حدثنا أبو بكر احمد بن محمد بن أبي دارم، قال حدثنا المنذر بن محمد، قال حدثني أبي، قال حدثني عمي، قال حدثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن عامر بن واثله.

والثاني: عن زافر بن سليمان بن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر ابن واثله قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً عليه السلام يقول:

بايع الناس أبا بكر وأنا والله، أولى بالأمر وأحق به، فسمعت وأطعت، مخافه أن يرجع الناس كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا والله، أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت؛ مخافه أن يرجع الناس كفاراً، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذن لا- أسمع ولا أطيع، إن عمر جعلني في خمس نفر أنا سادسهم. لأيم الله، لا يعرف لى فضل فى الصلاح ولا يعرفونه لى كما نحن فيه شرع سواء. وأيم الله، لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربهم ولا عجمهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك أن يرد خصله منها.

ثم قال:

أنشدكم الله أيها الخمسه، أمنكم أخو رسول الله (صلى الله عليه

ص: ١٠١

وآله) غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد له أخ مثل أخى المزين بالجناحين، يطير مع الملائكة فى الجنة ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد له عم مثل عمى حمزه بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد له ابن عم مثل ابن عمى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد له زوجه مثل زوجتى فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سيده نساء هذه الامه ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطى هذه الامه، ابنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد قتل مشركى قريش غيرى ؟ قالوا: لا. قال: أمنكم أحد وحد الله قبلى ؟

قالوا: لا. قال:

ص: ١٠٢

أمنكم أحد صلى القبلتين غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد أمر الله بمودته غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد سكن المسجد يمر فيه جنبا غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد ردت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلى العصر غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين قرب إليه الطير فأعجبه، فقال: صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير صلى الله عليه وآله وسلم، فجئت وأنا لا أعلم ما كان من قوله، فدخلت فقال: صلى الله عليه وآله وسلم: «والى يا رب، والى يا رب» غيرى ؟

قالوا: لا. قال:

أفيكم أحد كان أقتل للمشركين عند كل شديده تنزل برسول الله منى ؟

قالوا: لا.

ص: ١٠٣

قال:

أفيكم أحد كان أعظم عناء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منى حتى اضطجعت على فراشه، ووقيته بنفسى وبذلت مهجتي،
غيرى؟

قالوا: لا. قال:

أفيكم أحد كان يأخذ الخمس غيرى وغير زوجتى فاطمه؟

قالوا: لا. قال:

أمنكم أحد كان له سهم فى الخاص وسهم فى العام غيرى؟

قالوا: لا. قال:

أفيكم أحد يطهره كتاب الله غيرى حتى سد النبى أبواب المهاجرين وفتح بابى إليه حتى قام إليه عماء: حمزه والعباس فقالا: يا
رسول الله، سددت أبوابنا وفتحت باب على؟ فقال النبى (صلى الله عليه وآله): «ما أنا فتحت بابى ولا سددت أبوابكم، بل الله فتح
بابه وسد أبوابكم».

قالوا: لا. قال:

أفيكم أحد تمم الله نوره من السماء حين قال:

(فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) غيرى؟

قالوا: اللهم لا. قال:

أفيكم أحد ناجى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ست عشره مره غيرى حين قال:

ص: ١٠٤

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) ١ .

قالوا: اللهم لا. قال:

هل فيكم أحد ولى غمض رسول الله غيرى؟

قالوا: اللهم لا. قال:

أفيكم أحد آخر عهده برسوله (صلى الله عليه وآله) حين وضعت في حفرته غيرى؟

قالوا: لا(١).

والحديث الشريف فيه دلالات كثيرة لا يسع المقام بيانها الا أننى أقول:

من الملاحظ أن الإمام علياً عليه السلام قد تحمل من هذه الامه من الجهد والعناء ما يعجز البيان عن وصفه فضلاً عن سلوك هذه الامه العناد فى قبول نهج القرآن والسنة المحمديه منذ ان قبض صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك: ليس من المستغرب ان يُحارب القرآن والسنة والحال كما بينه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ وليس من المستغرب أيضاً أن نقرأ فى المصادر الإسلاميه استمرار هذه المحاربه إلى وقتنا الحاضر.

ص: ١٠٥

١- مناقب على بن أبى طالب عليه السلام لأبى بكر بن مردويه الأصفهاني: ص ١٢٨، الأحاديث ١٦١-١٦٢؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٤٣٥؛ مناقب أمير المؤمنين لموفق الخوارزمي: ص ٣١٥؛ الدر النظيم لابن أبى حاتم: ص ٣٣١؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص ٥٢٩؛ كنز العمال للهندي: ج ٥، ص ٧٢٦.

ولكن فلنعد إلى القرن الأول للهجرة ولننظر كيف حوربت هذه الآية:

ألف. بذل معاوية آلاف الدراهم لتحريف نزول الآية

يروى ابن أبي الحديد المعتزلى عن أبى جعفر الإسكافى انه قال: «وقد روى أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائه ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) ١ .

وأن الآية الثانية نزلت فى ابن ملجم، وهى قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) .

فلم يقبل، فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائه ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائه ألف فقبل، وروى ذلك.

قال - أى أبو جعفر الاسكافى - : وقد صح أن بنى أميه منعوا من إظهار فضائل على عليه السلام، وعاقبوا على ذلك الراوى له، حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبى زينب.

وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أن أترك

فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً في الليل، وأن عنقى هذه ضربت بالسيف.

قال - أبو جعفر -: كالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهره والاستفاضه وكثره النقل إلى غايه بعيده، لانقطع نقلها للخوف والتقيه من بنى مروان مع طول المده، وشده العداوه، ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث، ولا عرفت له منقبه ألا ترى أن رئيس قريه لو سخط على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمّل ذكره، ونسى اسمه، وصار وهو موجود معدوماً، وهو حي ميتاً! (١).

والحديث لا يحتاج إلى تعليق فهو واضح الدلاله فيما صنعه أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في محاربتهم للقرآن والسنة النبويه.

فضلاً عن ان الخوارج يسمون أنفسهم بالشره لاعتقادهم ان الآيه فيهم (٢)، والفضل في ذلك يعود لمعاويه بن أبي سفيان.

ص: ١٠٧

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٤، ص ٧٣. الغارات للثقفى: ج ٢، ص ٨٤١. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ١٣٢. البحار للمجلسى: ج ٣٣، ص ٢١٥.

٢- الشراه: بالضم، الواحد شار، سمعوا بذلك لقولهم إنا شرينا في طاعه الله، أى: بعناها بالجنه؛ خزانه الأدب للبغدادى: ج ٥، ص ٣٥١. وقال ابن منظور: الشُراه: الخوارج، لأنهم غضبوا ولجوا، وأما هم فقالوا نحن الشراه لقوله عزّ وجل: (وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)؛ أى: يبيعهها ويبذلها في الجهاد وثمانها الجنه؛ لسان العرب: ج ١٤، ص ٤٢٩؛ الموسوعه العربيه العالميه، ماده الخوارج: ص ١١.

باء. تعمد ابن تيميه الكذب على العلماء والقراء في صرف الآيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام

لقد تعمد ابن تيميه الكذب على العلماء في صرف الآيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام معتمداً أسلوب المكر في جمع حادثه مييت الإمام علي في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليله خروجه مهاجراً مع حديث المؤاخاه بين جبرائيل وميكائيل ونزولهما في ليله المبيت في دار خديجه عليها السلام - كما مر بيانه - كى يوهم القارئ ان الآيه لا تخص علي بن أبي طالب ولا شأن لها بتلك الحادثه. فضلاً عن تثقيف القراء على ثقافه التسقيط والتشهير بطائفه كبيره من المسلمين لا ذنب لهم إلا موالاتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام وحبهم له وهذا ما لا يؤمن به ابن تيميه الذى تتبع فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام فحاربها في منهاج السنه الأمويه بأشد مما قام به حكام بنى أميه.

جيم. منهج الألبانى في دفع الآيه عن علي عليه السلام

يبتكر الألبانى منهجاً جديداً فى التعامل مع فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يختلف عما اعتمده اسلافه الماضون فى التعامل مع هذه الفضائل.

والمنهاج الجديد يعتمد على قذف الروايه بالوضع دون أن يعطى سبباً علمياً لذلك مما يجعل المتطفلين على العلم والذين أذهب الله ببصيرتهم يتسارعون لحمل كلام الألبانى وحكمه فى الروايه دون الوقوف على الدرايه.

ومثاله: ما نحن بصدده، فقد أورد الألبانى حديث المؤاخاه بين جبرائيل وميكائيل ونزولهما فى دار خديجه ليله شرى بنفسه أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فى السلسله الضعيفه فيصدر حكمه على الحديث مباشرة فيقول: (موضوع) دون أن يبين العله فى الوضع.

ثم يختم الحديث بحكم آخر فيقول: «لم تتم دراسه الحديث»^(١)!!

والسؤال المطروح: كيف يكون الحديث (موضوعاً) وهو (لم تتم دراسته)!!؟

فلا ندرى أى منهج هذا الذى يسير عليه الألبانى فى استنباط الأحكام فى الأحاديث أهو الهوى أم العمى، أم السير على منهاج السنه الأمويه؟!.

رابعاً: الشبهه الحلبيه ومخالفتها للقرآن والسنة

اشاره

وعوداً على بدء فيما أورده الحلبى (المتوفى ١٠٤٤ هـ) فى سيرته من شبهه عقائديه وتاريخيه حول مبيت الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى فراش النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليله خروجه من مكه فقال - بعد أن قدّم قول إمامه ابن تيميه الذى مرّ ذكره وزيفه فاعقبه بزيف آخر - قائلاً: «وأيضاً قد حصلت له الطمأنينه بقول الصادق له لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا إثارة بالحياه والآيه المذكوره فى سوره البقره وهى مدنيه باتفاق، وقد قيل إنها نزلت فى صهيب (رضى الله عنه) لما هاجر النبى كما تقدم لكنه فى الإمتاع لم يذكر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى ما ذكر وعليه فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واضحاً ولا مانع من

ص: ١٠٩

١- السلسله الضعيفه للألبانى: ج ١٠، ص ٤٩٤٦.

تكرار نزول الآية في حق علي وفي حق المصطفى صلى الله عليه - وآله - وسلم وفي حق صهيب بمعنى اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقره عن كونها مدنيه لان الحكم يكون للغالب»(١).

أقول:

وهذه الأسطر القليله التي تضمنت كلام الحلبي احتوت على مجموعه شبهات وأباطيل في آن واحد وإن كان محور الكلام يدور حول مبيت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكى نذهب بهذا الزبد جُفاءً فقد قمت بإفراد هذه الشبهات كي تأخذ ما يناسبها من ردود فكانت كالاتي:

١. رد شبهه، حصول الطمأنينه لعلي عليه السلام بقول الصادق له، لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم

ولعمري لقد أراد الحلبي أن يذم فمدح، إذ إن حصول الطمأنينه لعلي عليه السلام لا يتحقق ذلك إلا بإيمانه الراسخ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان في قلبه مقدار ذره من الشك - والعياذ بالله - لما حصلت له الطمأنينه، وهو الصديق حقاً.

إلا إننا نفرق بين الطمأنينه التي قصدتها الحلبي في عدم حصول الضرر عليه، وبين الطمأنينه التي تؤمن بها وهي سلامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المبيت في فراشه، والتغطي ببرده الأخضر كي يعتقد القوم أنه

ص: ١١٠

صلى الله عليه وآله وسلم ما زال فى فراشه نائماً.

نعم: لقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه الصلاة والسلام مطمئناً، ولكن ليس من عدم حصول المكروه، وإنما كان اطمئنانه بسلامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا قدم نفسه لأجل تحقيق هذه السلامه.

ولذا نراه يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ذكر له أن القوم يمكرون به وهم عازمون على قتله كما أخبره جبرائيل وهو محتاج إلى أن ينام على فى مكانه فكان أول ما سأل عنه على عليه السلام بعد أن سمع هذا الكلام ان قال:

«أو تسلم فى مبيتى هناك»؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«نعم».

فتبسم على ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً(١).

فهذا هو الاطمئنان الذى خالج قلب أمير المؤمنين عليه السلام ولذا فداه بنفسه.

٢. رد شبهه قول الحلبي: (فلم يكن فيه فداء بالنفس)

بمعنى: أن تصديق الإمام على عليه السلام بقول رسول الله (لم يصلك مكروه) جعله ينام فى مكانه ومن ثم لم يكن فيه فداء بالنفس.

ص: ١١١

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٥٨؛ الدر النظيم لابن حاتم العاملى: ص ١١٥.

أقول: فضلاً عما مرّ في الفقرة السابقة الا انني أضيف هنا ما يأتي:

ألف. لم يقدم الحلبي دليلاً واحداً على أن تصديق الإمام على عليه السلام بكلام رسول الله كان خاصاً بهذه الجملة تحديداً، ولا نعلم كيف توصل إلى معرفه ما يدور في نفس أمير المؤمنين عليه السلام في تلك اللحظات التي لم يكن فيها عليهما مطلع غير الله سبحانه وتعالى.

باء. لم يذكر الحلبي حينما أطلق هذه الشبهه الوقت الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين على بن أبي طالب بأنه «لن يخلص إليك شيء تكرهه» أفي أول كلامه مع على عليه السلام كان أم في آخره؟!

فان كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر علياً عليه السلام في ليله المبيت في أول كلامه كأن قال له: (لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم فتم في مكاني وقد أخبرني جبرئيل بأنهم يريدون قتلي) فهذا يحتاج إلى بينه يلزم من الحلبي تقديمها كي نصدقه بأن علياً أول ما سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لن يصله مكروه، ولذا كان مطمئناً لأنه عرف ان نفسه لن يصيبها مكروه، وبما ان الحلبي لم يقدم بينه على ذلك فقولته ساقط ، وفيه افتراء على بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه نسب إليه ما لم يكن واقعاً.

وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر علياً بأنه يكون سالماً بعد أن أخبره بحديث جبرائيل من اجتماع القوم في دار الندوه وعزمهم على قتله وتفريق دمه بين القبائل وان جبرائيل طلب منه ان لا ينام هذه الليله بفراشه وان يخرج من الدار، وإن القوم قد أحاطوا بدار خديجه فيلزم أن يكون

علّي في فراشه كى يتمكن من خداعهم فيخرج من دار خديجه مهاجراً؛ فهذا عين الفداء والتضحيه؛ لأنه قبل بفداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يسمع منه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لن يصله مكروهه، فضلاً عن ذلك فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن عرض على علي عليه السلام ذلك احتاج أن يسمع رأيه، ويرى قبوله أو رفضه، فعلى عليه السلام هنا مخير وليس مجبراً على المييت، فإن قبل على ان ينام لزم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكافئه، أو على الأقل يبين له ما سيحدث له؛ وان كان جواب الإمام على الرفض فهل ينفع عندئذ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

«لن يخلص إليك شيء تكرهه».

وهل سيكون للاطمئنان بسلامه النفس وجود، أو أى أثر.

وعليه:

إن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ابتدأ القول بالاطمئنان قبل أن يخبر علياً بما يجرى عليه فهذا مخالف للخلق النبوى، لأن النبي لا يزج بأحد في الهلاك والقتل وتحمل ضربات السيوف قبل ان يسمع منه رأياً، فمن يدرى لعله يرفض، وعندها لا ينفع تطمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء.

وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر علياً (بأنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم) كان بعد قبوله عليه السلام العرض في أن ينام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه فيه سلامه رسول الله صلى الله

ص: ١١٣

عليه وآله وسلم، فحينها يكون الإمام قد قدم نفسه فداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآثر حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حياته. وبذلك يندفع زيف قول الحلبي (لم يكن فيه فداء بالنفس ولا إيثار بالحياه).

فضلاً عن أن هناك من الروايات ما يدل على أن النبي الأكرم قد أخبر علياً (بأنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم) كان بعد أن أخبره بسلامته من المشركين وسيتمكن من الهجره إلى المدينه، عندها سجد الإمام على عليه السلام لله شكراً وبعد أن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه هذا الصنيع والشكر لله قام فأخبره (بأنه لن يصله منهم شيء يكرهه).

فأما ابن إسحاق ومن جاء بعده فقد روى الحادته بلفظ :

١ - فلما كانت عتمه من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب:

«نم على فراشي وتسبح ببردى هذا الحضرمي الأخضر، فم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه».

وهنا: كان تظمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب منه النوم في مكانه وبعد اخباره بما ينتظره خلف الباب(١).

٢ - وأما الشيخ الطوسي رحمه الله فقد روى عن عمار بن ياسر وأبي رافع قائلاً: (فلما أخبره جبرائيل بأمر الله في ذلك ووحيه، وما عزم له من

ص: ١١٤

١- السيره النبويه لابن هشام: ج، ص ٩٩؛ تفسير الثعلبي: ج ٢، ص ١٢٦.

الهجره، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام وقال له:

«يا علي إن الروح هبط عليّ بهذه الآيه آنفا، يخبرني أن قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنه أوحى إليّ ربي عزّ وجل أن أهجّر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وإنه أمرني أن أمرّك بالمبيت على ضجاعي، أو قال: مضجعي، ليخفي بمبيتك عليه أثري فما أنت قائل، وما صانع؟».

فقال علي عليه السلام:

«أو تسلّم بمبيتي هناك يا نبي الله؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«نعم».

تبسم علي عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً بما أنبأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلامته، وكان على صلوات الله عليه أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الامه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رفع رأسه قال له:

«امض لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك، واقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقى إلا بالله».

قال: وإن ألقى عليك شبه مني، أو قال: شبهي، قال: إن - بمعنى نعم - قال:

ص: ١١٥

«فارقده على فراشى واشتمل ببردى الحضرى، ثم إنى أخبرك يا على أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا بن عم وامتحنى فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبرا صبورا، فإن رحمه قريب من المحسنين»(١).

٣. رد شبه قول الحلبي: (والآيه المذكوره فى سورة البقره هى مدنيه باتفاق)

أقول: لم يفتأ هؤلاء الذين لديهم مشكله قلبيه مع الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أن يعمدوا إلى التديس فى الروايات والحيله فى تقديم الأقوال لغرض تضليل المسلمين ودفعم عن معرفه فضائل الإمام على عليه السلام وكأنهم أرادوا حجب نور الشمس بالمنخل.

فهنا يعمد الحلبي إلى تقديم إشكاله بالاحتيال على الآيه المباركه فيقول: (الآيه فى سورة البقره وهى مدنيه باتفاق) فيوهم القارئ بأن الضمير فى «هى» يعود للآيه لأنه ابتداء بها وليس للسوره فيجعلها فى نفس الحكم من حيث تحديد مكان نزولها، ثم يؤكد الاحتيال على القارئ فيقول باتفاق، أى: باتفاق أهل الاختصاص بعلوم القرآن، مما يجعل القارئ مطمئناً بأن الآيه لا علاقته لها بعلى ابن أبى طالب عليه السلام لأنها مدنيه وليله المبيت وقعت فى مكه وفى دار خديجه عليها السلام.

ص: ١١٦

١- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٦٦؛ البحار للمجلسى: ج ١٩، ص ٦١.

وهذه الحيله واهيه لأنها مخالفة للمنهج العلمي فضلاً عن الأخلاقي وذلك لما يأتي:

ألف. أما كون سورة البقره مدنيه فهذا لا-خلاف فيه، ولكن نحن بصدد الحديث عن آيه الشراء التي نزلت في ليله المبيت والفداء والتضحيه ولسنا في صدد الحديث عن سورة البقره وحكمها من المدني والمكي، ولذا كان من الأمانه العلميه - إن وجدت - الحديث عن حكم الآيه وليس السوره.

باء. أما ما اتفق عليه أهل الاختصاص في علوم القرآن كالزركشى والسيوطى فقد نقلا عن أبى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى في كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن، أنه قال: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكه ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينه كذلك، ثم ما نزل بمكه وحكمه مدنى، وما نزل بالمدينه وحكمه مكي، وما نزل بمكه في أهل المدينه، وما نزل بالمدينه في أهل مكه، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالجحفه، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبيه، ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، ثم الآيات المدنيات في السوره المكيه، والآيات المكيه في السور المدنيه، ثم ما حمل من مكه إلى المدينه، وما حمل من المدينه إلى مكه، وما حمل من المدينه إلى أرض الحبشه، ثم ما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما نزل مرموزاً، ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدنى، هذه خمس وعشرون وجهاً، من لم يعرفها ولم يميز بينها لم يحل له أن يتكلم في

ولا أدري كيف استحل الحلبي الكلام فجعل الآية في حكم المدني وقد نزلت قبل وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، بل كيف استحل التدليس والتضليل.

جيم. قال السيوطي: «إعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

أخرج عثمان بن أبي سعيد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلم قال ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل ان يبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني.

الثاني: ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة(٢).

والسؤال المطروح: أعلم الحلبي هذه الأوجه أم أنه كان يجهلها؟ فان علمها فلماذا يخالف المنهج العلمي ويتبع هواه، ولم يخش الله؟ وان لم يعلمها فلماذا ينطق بما لا يعلم ويتدخل بما ليس له أهلاً، فضلاً عن تضليل القراء.

ص: ١١٨

١- البرهان للزركشي: ج ١، ص ١٩٢؛ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج ١، ص ٣٤.

٢- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج ١، ص ٣٤.

إذن: فأية الشراء مكيه حسبما جاء به أهل الاختصاص من تلك الأوجه في النزول، وإن كانت ضمن سورة مدنيه، وهذا خلاف ما يدعيه الحلبي ظلماً وزوراً.

٤. رد شبه قول الحلبي (وقد قيل انها نزلت في صهيب)

أما هذه الشبهه التي نطق بها الحلبي، أي: إن آيه الشراء نزلت في صهيب فلقد تتبعها العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (زاد الله في توفيقه) - نوردها تيمناً - ولنا إضافه بعدها، فقال: (لقد رووا: انه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخروج إلى الغار أرسل أبا بكر مرتين أو ثلاثاً إلى صهيب فوجده يصلي، فكره أن يقطع صلاته، وبعد أن جرى ما جرى عاد صهيب إلى بيت أبي بكر، فسأل عن أخويه: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر، فأخبروه بما جرى. فأراد الهجره وحده. ولكن المشركين لم يمكنوه من ذلك حتى بذل لهم ماله، فلما اجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قباء قال صلى الله عليه وآله وسلم: ربح صهيب ربح صهيب، أو ربح البيع، فأنزل الله: ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الخ. وألفاظ الروايه مختلفه كما يعلم بمراجعه الدر المنثور للسيوطي وغيره ويكفي أن نذكر أن بعضها يذكر: أن الآيه نزلت لما أخذ المشركون صهييا ليعذبوه، فقال لهم: انى شيخ كبير لا- يضر أمنكم كنت، أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالى وتدعونى ودينى؟ ففعلوا. وروايه أخرى تذكر القضييه بنحو يشبه ما جرى لأ-مير المؤمنين حين هجرته، وتهديده إياهم ورجوعهم عنه؟ فراجع. ولكنها قصه لا تصح.

أولاً: لأن إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر إلى صهيب ثلاث مرات في ظرف كهذا غير معقول، لاسيما وهم يدعون: أن قريشا كانت تطلب أبا بكر كما تطلب النبي، وجعلت مئه ناقه لمن يأتي به، وان كنا نعتقد بعدم صحه ذلك كما سنرى.

ولكن قريشا ولا شك إنما كانت تهتم في أن تستدل على النبي من خلال أبي بكر. أضف إلى ما تقدم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبر أحداً بهجرته تلك الليلة، بل يروون: أنه صلى الله عليه وآله وسلم انما صادف أبا بكر، وهو في طريقه إلى الغار.

ثانياً: إن كلامه معه وهو في الصلاة، واخباره بالامر، لا يوجب قطع صلاه صهيب، إذ باستطاعته أن يلقي إليه الكلام ويرجع دون أن يقطع عليه صلاته، كما أنه يمكن أن ينتظره دقيقه أو دقيقتين حتى يفرغ من صلاته، فيخبره بما يريد.

ويمكن أيضاً أن يوصى أهل بيته أن يبلغوه الرساله التي يريد ابلاغها إلا إذا كان لا يثق بهم، أمّا أن يدعى: أن أبا بكر كان بحيث لا يدرى كيف يتصرف، أو أنه كان يرى حرمه إلقاء الكلام ليسمعه المصلى، فكلاهما غير محتمل في حقه، أو لا يرضى محبوه بنسبته إليه على الأقل، وباقي الفروض الآنفه تبقى على حالها. هذا فضلاً عن هذه الصدفة النادره فإنه يأتيه مرتين أو ثلاثاً، وهو لا يزال يصلى!!

ثالثاً: لماذا يهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصهيب خاصه، ويترك

من سواه من ضعفاء المؤمنين، الذين كانت قريش تمارس ضدهم أقسى أنواع التعذيب والأذى، فلا يرسل إليهم، ولو مره واحده، ولا نقول ثلاث مرات؟

وهل هذا ينسجم مع ما نعرفه من عدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعطفه الشديد على أمته؟

إلا أن يقال: لعل غير صهيب كان المشركون يراقبونه، أو أن صهيبا كان أشد بلاء من غيره، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي لا دليل عليها، ولا شاهد لها.

رابعا: اننا نجد بعض الروايات تقول: إن أبا بكر - وليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم - هو الذى قال لصهيب: ربح البيع يا صهيب وذلك فى قضيه أخرى لا ربط لها بحديث الغار والبعض يذكر القضية، ولكنه لا يذكر نزول الآية فيه.

خامسا: إن الآية إنما تمدح من يبذل نفسه فى مرضاه الله، لا أنه يبذل المال فى مرضاته، وروايه صهيب ناظره إلى الثانى لا الأول.

سادسا: قد قلنا آنفا: إن صهيبا لم يكن الوحيد الذى بذل ماله فى سبيل دينه، فلماذا اختص هذا الوسام به دونهم؟!؟

سابعا: انهم يذكرون: أنه لم يتخلف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد من المهاجرين باستثناء من حبس أو فتن، إلا عليا وأبا بكر.

ثامنا: إن الروايه القائله بأنَّ صهيبا كان شيخا كبيرا لا يضر المشركين، أكان معهم أم مع غيرهم. لا تصح، لأن صهيبا قد توفى سنه ثمان أو تسع

وثلاثين وعمره سبعون سنة، فعمره يكون حين الهجره واحداً أو اثنين وثلاثين سنة، فهو قد كان في عنفوان شبابه، لا كما تريد أن تدعيه هذه الروايه المفتعله. هذا كله، عدا تناقضات روايات صهيب. وأن عدداً منها لا يذكر نزول الآية في حقه. كما أنها عموماً إما مرويه عن صهيب نفسه، أو عن تابعي لم يدرك عهد النبي، كعكرمه، وابن المسيب، وابن جريح، وليس هناك سوى روايه واحده وردت عن ابن عباس الذي ولد قبل الهجره بثلاث سنين فقط. ويجب أن يعلم: أن صهيباً كان من أعوان الهيئه الحاكمه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وممن تخلف عن بيعه أمير المؤمنين، وكان يعادى أهل البيت عليهم السلام. فلعل المقصود هو مكافأته على مواقفه تلك، بمنحه هذه الفضيله الثابته لأمير المؤمنين عليه السلام، فيكون هؤلاء قد أصابوا عصفورين بحجر واحد حينما يزين لهم شيطانهم أن علياً يخسر وخصومه يربحون(1). انتهى كلامه (زاد الله في توفيقه) -.

وأقول - فضلاً عما أورده السيد العلامة :-

١. إن الآية ان كانت قد نزلت في صهيب وأنها مدنيه فهذا يدل على انها لم تكن نازله في صهيب لان الحادثه وقعت في مكه فكيف تكون في صهيب!؟

وعليه: أما أنها مدنيه كما ادعى الحلبي وهي بهذا تكون غير مخصوصه بصهيب وان قوله انها نزلت في صهيب كذب وافتراء.

ص: ١٢٢

١- الصحيح من سيره النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى العاملى: ج ٤، ص ٤٠-٤٤.

واما انها مكيه وقد ادعى الحلبي بأنها مدنيه وهذا كذب أيضاً.

٢. إن الحلبي قد تراجع عن نفي الآيه عن أمير المؤمنين على عليه الصلاه والسلام كما تراجع عن نزولها في صهيب وهذا تعثر في المنهج فضلاً عن فقدانه عند الحلبي، بل أريد من ذلك بث الشبهات في الأذهان وحينها تحتاج إلى ازاله، ان لم يتناقلها الناس فيما بينهم ويثقفون أبناءهم عليها.

ولذلك: تراجع عن ادعائه.

فقال: «لكنه في الإمتاع لم يذكر انه صلى الله عليه - وآله - وسلم قال لعلى ما ذكر، وعليه: فيكون فداؤه بنفسه واضحاً».

٣. وفي تراجع عن كونها نزلت في صهيب انه قال: «ولا مانع من تكرار نزول الآيه في حق على وفي حق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وفي حق صهيب»

ونسى ان يأتي بدليل يثبت تكرار نزولها في الثلاثه، فضلاً عن أن الآيه تتحدث عن عقد يتكون من أربعة أركان:

ألف. البائع.

باء. الثمن.

جيم. المثلث.

دال. المشتري.

فإن كان العقد الذي نصت عليه الآيه يخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن يكون البائع رسول الله فما هو المثلث؟،
أى: الشيء الذي باعه

ص: ١٢٣

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما هو الثمن الذي كان مقابل هذا الشيء الذي باعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟، ومن هو المشتري؟ فهل كان خروجه من مكة تنطبق عليه هذه الأركان؟ فهذا ما لم يقل به أحد.

وان كان العقد يخص صهيياً على أنه هو البائع فان المثلن المال الذى قدمه للمشركين، وان الثمن سلامته من الصلب، وان المشتري هم المشركون، وهذا خلاف نص الآيه المباركه.

وان كان العقد مع الامام على عليه السلام بكونه البائع وإن المشتري هو الله سبحانه، فإن المثلن هو النفس حينما قدمها للقتل وهو نائم فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبه يتحقق الطرف الأول من العقد أى البائع والشيء الذى يعرضه للبيع وهو قوله تعالى:

(مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ) ١ .

أى: بائع يبيع نفسه فان الثمن الذى يقدمه المشتري للبائع هو مرضاته، ولأن المشتري هو الله تعالى وهو المتكفل بالشريعة فحق على الله ان يكرم من يتقرب إليه بسلامه حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وان تحقق سلامه الحبيب أرجى عند المحب من سلامه البعيد عن المحب كصهيب؛ وهكذا كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، كما دلت عليه سيرته العطره فضلاً عما نطقت به النصوص المتضافره.

١. قال عليه السلام:

ص: ١٢٤

«إني والله لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط ، ولم أعصه في أمر قط ، أقيه بنفسى في المواطن التى تنكص فيها الأبطال، وترعد منها الفرائص، بقوه أكرمنى الله بها، فله الحمد»(١).

٢. وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما رددت على الله كلمه قط ، ولا خالفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شىء أفديه فى المواطن كلها بنفسى، ولقد جلّيت الكرب العظيم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجده أعطانيها ربي»(٢).

٣. وقال - بأبى وأمى :-

«لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم إني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعه قط ، ولقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام، نجده منى أكرمنى الله بها»(٣).

فكان نومه عليه الصلاة والسلام فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحداً من تلك المواطن العديده التى وقى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنفسه فخلدها رب العزه فى محكم كتابه تتلى آناء الليل وأطراف النهار ولو كره الكافرون.

ص: ١٢٥

١- الأمالى للشيخ المفيد: ص ٢٣٥.

٢- مناقب الامام على لمحمد بن سليمان الكوفى: ج ٢، ص ٥٥٦.

٣- نهج البلاغه للإمام على عليه السلام: ج ٢، ص ١٧١. الأمالى للصدوق: ص ٧٠٣.

إشاره

لم يزل دار خديجه عليها الصلاه والسلام يحظى بأهم الأحداث النبويه التي شكلت مفاصل حركه الهدايه ومحاربه الباطل ونشر التوحيد وقمع الشرك وأهله.

ولم تزل الكعبه - أعزها الله - موضع العناية الإلهيه منذ خلق الله تعالى الأرض وخصها بالخليقه واختارها للخليفه فكان:

(أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَتْهُ مَبَارَكًا) ١ .

ولأنه أول بيت وضع للناس، ولأنه مبارك، ولأن:

(فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ) ٢ .

اقتضت الضروره الشرعيه ان يكون هذا البيت على مَرَّ الدهور طاهراً من الرجز الذي يتبلور في الشرك ورموزه.

وعليه: كانت حركه إبراهيم واسماعيل عليهما السلام تتجه إلى تثبيت قواعد البيت وتطهيره وتهيئته للعاكفين والراكعين، والمناداه بالناس لحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

ولأن المشرّع واحد سبحانه لا شريك له، فقد جاء النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأداء تلك الوظيفة التي كلف بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في تطهير البيت الحرام من رموز الشرك الوثني والطاغوتي.

فأما الوثني فكان تطهير الكعبة المشرفة من الأصنام والأوثان التي وضعت فوقها وفي داخلها، وأما الطاغوتي فهو تطهير العقول من عبادة الجبت والطاغوت وهو أهم من الأول لقوله سبحانه:

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ١٠ .

والملاحظ في عملية التطهير التي قام بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بشقيها الوثني والطاغوتي هو استعانتة بعلي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام متبعاً في ذلك حركة أبيه إبراهيم عليه السلام حينما انتدب ولده إسماعيل لهذه العملية فقد اختارهما الله تعالى في عملية البناء والتطهير ودعوه الناس إلى البيت الحرام.

وكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد انتدب لهذه الحركة النبوية في مجالاتها الثلاثة «البناء والتطهير، والدعوة» أخاه علي بن أبي طالب عليه السلام.

والملاحظ أيضاً: أن إبراهيم عليه السلام قدّم، لإتمام البناء ومن ثم التطهير، ولده إسماعيل فداءً للتوحيد الذي جعل البيت الحرام رمزاً من رموز

إقامته في الأرض ودليلاً يستدل به الناس على وجود دين التوحيد، دين إبراهيم الخليل عليه السلام.

وكذا كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فقد قدم لإقامه الدين الذي هو خير الأديان ليس أخاه علياً فقط بل جميع أهل بيته عليهم السلام، لكن الفارق بين الفداءين لعظيم وعظيم.

كما دلت الآية المباركة:

(وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) ١.

فالفارق بين أن يكون المقدم شخصاً واحداً، وبين أن يكون المقدم جميع الولد كما نص عليه ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قائلاً:

«ما منا إلا مسموم أو مقتول»^(١).

وتلك صفحات التاريخ تصرخ بوجه من عميت عيناه عن الحقائق ان عتره النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد مضوا إلى ربهم قتلاً وقرابين لبناء التوحيد، وتطهير العقول من الجبت والطاغوت وتنزيه البيت الحرام من الأصنام.

فكان المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قد أعدّ لهذه العملية عدتها وزمانها فكان دار خديجه عليها السلام منطلقه وعودته كدليل واضح للامه

ص: ١٢٨

١- كفايه الأثر للخزاز القمي: ص ٢٢٨؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج ٢، ص ١٢٩؛ البحار: ج ٢٧، ص ٢١٧.

ينادى فى أبنائها: ان عمليه التطهير وإقامه التوحيد تخرج من هذه الدار وإليه تعود على كرور الليالى والدهور، حتى يخرج من ولد فاطمه عليها السلام من يطهر الأرض ويملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ولذا كانت هذه العمليه التطهيريه من الشرك وتنقيه بيت الله الحرام فى مكه قد بدأها النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع على عليه السلام وستنتهى حينما يمن الله سبحانه على الذين استضعفوا فى الأرض بظهور مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولأهميه هذه الحادثه فقد تضمنت جملة من المسائل منها:

المسأله الأولى: كيف وصلت الأصنام إلى بيت الله الحرام ونصبت على سطح الكعبه ؟

تعد عباده الأصنام، التى هى نواه الشرك - والعباذ بالله - من الانحرافات العقائديه التى رافقت مجموعه من المجاميع البشريه على بقاع مختلفه من الأرض، فضلاً عن قدمها وتجذرها فى المجتمعات الشرقيه، بوصفها محط بعث الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

ولذا: يتناولها القرآن الكريم فى معرض حديثه عن حال المجتمع البابلى الذى حكمه النمرود، ففى تلك الحقبه التى شهدت مختلف الانحرافات العقائديه المحاربه للتوحيد كعباده النجوم والشمس والقمر والليل والنهار والنمرود وعباده الأصنام التى بينها القرآن فى عرضه لمعالجه إبراهيم عليه السلام هذه العقول المريضة وجهاده فى محاربه أئمه الكفر فقام

بتكسيها إلا كبيرهم، أى كبير هذه الأصنام - والقضية مفصلة فى كتب التفسير -.

إلا أن قدومها - أى الأصنام - إلى مكة بعد أن قام إبراهيم عليه السلام بإنشاء مجتمع جديد قائم على الطهر والتوحيد وبناء رمز التوحيد وهو بيت الله الحرام، يعد أمراً ملفتاً للانتباه، ويحتاج إلى توضيح وبيان كى يدرك القارئ ان البيت الحرام لم يزل يشهد المحاولات الكثيره من المحاربه والانتهاك، وان عمليه تطهيره منوطه بإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام.

وعليه:

كان أول من أدخل هذا الانحراف العقائدى إلى مكة ودنس البيت الحرام هو عمرو بن يحيى فهو الذى جاء ب - (هبل) من أرض الشام حينما دخلها فوجد فيها قوماً يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأوثان التى أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها نستنصرها، فننصر، ونستسقى بها فنسقى، فقال: ألا تعطونى منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب، عند بيت الله الذى تفد إليه العرب؟

فأعطوه صنماً يقال له هُبل، فقدم به مكة، فوضعه عند الكعبه، فكان أول صنم وضع بمكة، ثم وضعوا به أساف، ونائله، كل واحد منهما على ركن من أركان البيت، فكان الطائف (1)، إذا طاف، بدأ بإساف، فقبله، وختم به.

ونصبوا على الصفا صنماً يقال له (مجاور الريح)، وعلى المروه صنماً

ص: ١٣٠

١- الطائف: اسم فاعل، وهو مأخوذ من الطواف، أى الدوران حول بيت الله الحرام.

يقال له (مطعم الطير)، فكانت العرب إذا حجّت البيت، فرأت تلك الأصنام، سألت قريشاً وخزاعه، فيقولون: نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى.

فلما رأت العرب ذلك اتخذتها أصناماً، فجعلت كل قبيله لها صنماً يصلون له تقرباً إلى الله (١).

كما يزعمون وقد بين القرآن هذه الحقيقه بقوله تعالى:

(ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ٢ .

وقد بلغ عدد الأصنام الموضوعه فى ذلك المكان المقدس (٣٦٠) صنماً، فى مختلف الأشكال، والهيئات، والصور، بل كان النصرى أيضاً قد نقشوا على جدران البيت وأعمدته صوراً لمريم والمسيح والملائكه وقصه إبراهيم عليهم السلام (٢).

أما الطواف حول البيت الحرام: فإن العرب ما عدا قريشاً وما ولدت كانوا يطوفون بالبيت عراه، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون؛ وهؤلاء يسمون بـ «الحله» (٣). وإن نساءهم لتطوف وهى بادية العوره (٤).

ص: ١٣١

١- تاريخ اليعقوبى: ج ١، ص ٣٠٧؛ مروج الذهب للمسعودى: ج ٢، ص ٢٥٤.

٢- الأصنام للكلبى: ص ٢٣.

٣- تاريخ اليعقوبى: ج ١، ص ٣١٠؛ تفسير النيسابورى بحاشيه الطبرى: ج ٩، ص ١٥٧.

٤- أخبار مكه للأزرقى: ج ١، ص ١١٥-١١٧؛ لسان العرب: ج ١١، ص ١٢٩، ماده (طوف)؛ الروض الأنف للسهيلى: ج ١، ص ١٣٣.

فهذا حال البيت الحرام قبل مبعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا كان من مفاصل حركة النبوه هو قيام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتطهير البيت الحرام من مظاهر الرجز الممثلة بوجود هذه الأصنام على سطح الكعبه وفي داخلها.

لكن كيف تم ذلك، وفي أى زمان؟

المسأله الثانيه: من دار خديجه عليها السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصطحباً علياً عليه السلام لتكسير الأصنام قبل الهجره

اشاره

تعدّ حادثه تكسير الأصنام من الحوادث التي بلغت من الشهره حد التواتر عند المحدثين والمؤرخين والمفسرين، وقد تناولها البخارى، ومسلم، واحمد، وأصحاب السنن، والمستدركات، فى مصنفاتهم، فمنهم من رواها مجملاً، ومنهم من رواها مفصلاً، فضلاً عما احتوته مصنفات الاماميه من أحاديث متضافره فى هذه الحادثه التي اقترن فيها اسم الإمام على بن أبى طالب مع اسم رسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الا ان الفارق بين هذه الروايات العديده أى بين ما ترويه مدرسه أهل البيت عليهم السلام ومدرسه السنّه والجماعه يكمن فيما يأتى:

١. ان هذه الروايات التي أخرجها أصحاب الصحاح لم تتناول فيما

ص: ١٣٢

عرضته أى ذكر للإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى جميع مراحل التطهير لبىء الله الحرام، فى حين تلازم ذكر النبىء والإمام على عليهما السلام فى كتب الإماميه.

٢. ان هذه الأحاديث جميعها لم تلتفت إلى أن الحادثه قد وقعت لأكثر من مره، ويمكن تقسيمها من حيث الوقوع الزمنى إلى مرحلتين:

المرحله الأولى: ما قبل الهجره، والمرحله الثانيه: فى عام الفتح.

٣. إن أصحاب الصحاح قد أغفلوا حادثه تكسير الأصنام فى مرحلتها الأولى، أى قبل الهجره، والظاهر - إن لم يكن من المؤكد - أن السبب يكمن فى وجود على بن أبى طالب عليه السلام كطرف ثانٍ فى هذه العمليه التطهيريه لبىء الله الحرام ومحاربه الشرك.

٤. التعقيم على دور على بن أبى طالب عليه السلام بشكل تام فى المرحله الثانيه أى فى فتح مكه، كما فى صحيح البخارى ومسلم، وذلك يعود إلى:

ألف: أما لغرض حبس فضائل على بن أبى طالب عليه السلام ومنعها من الظهور.

باء: واما لقيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عمليه التكسير ابتداءً ثم أمر علياً أن يقوم بتكسيورها من بعده فأغفل الرواه دور على عليه السلام.

جيم: وإما لتفرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمليه التكسير فى عام الفتح بمفرده ولم يشرك فيها أحداً.

دال: وإما أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الذى قام بتكسير الأصنام وحده وعلى يديه تم تطهير بيت الله الحرام، ومن ثمّ لم يحتمل المبغضون لعلى عليه السلام هذه المنقبه الفريده والخصيصه الخاصه فعمدوا إلى تهميش الحادثه فى عام الفتح، أى القيام بأقل ما يمكن القيام به فى مواجهه هذه الحادثه.

وعليه:

احتاج البحث إلى التفريق بين الوقوع الزمنى للحادثه، كى نستدل على تكررها ومن قام بذلك، أرسل الله صلى الله عليه وآله وسلم بمفرده، أم بانتادبه علياً لذلك واشراكه فى الأمر، أم ان علياً انفرد به ؟

الحلقه الأولى: ما يدل على وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره دون تحديد السنه

١. يروى إمام الحنابله فى مسنده، والنسائى فى سننه الكبرى، والحاكم فى مستدرکه، وغيرهم عمليه تكسير الأصنام بألفاظ متفاوتة، إلاّ أنّها تجمع على وقوعها قبل الهجره النبويه، وفى أوج المواجهه مع قريش كما سيأتى!

ففى مسند أحمد، ومصنف ابن أبى شيبه، وزوائد الهيثمى، عن على عليه السلام انه قال:

«انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اتينا الكعبه، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إجلس».

وصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفاً فنزل وجلس لى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: «اصعد على منكبى».

ص: ١٣٤

قال: فصعدت على منكبيه. قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إلى أنى لو شئت لنتلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر، أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أقذف به.

فقدت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس»(١).

٢. ورواه النسائي في سننه الكبرى، والموصلي في مسنده، والطبراني في معجمه، والزيلعي في تخريجه عن المدائني، عن أبي مريم بلفظ آخر قال: قال علي - عليه السلام -:

انطلقت مع رسول الله حتى أتينا الكعبة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منكبي فنهض به علي، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ضعفتي قال لي: اجلس فجلست، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس لي، وقال لي: اصعد علي منكبي.

فصعدت علي منكبيه فنهض بي، فقال علي - عليه السلام -: انه يخيل إلى أنى لو شئت لنتلت أفق السماء، فصعدت علي الكعبة

ص: ١٣٥

١- مسند احمد بن حنبل، من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام: ج ١، ص ٨٤؛ مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٦، ص ٢٣؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج ٨، ص ٥٣٤.

وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأزيله يمينا، وشمالاً، وقداما، ومن بين يديه، ومن خلفه، حتى استمكنت منه.

فقال نبي الله: أقذفه.

فقدفت به فكسرتة، كما تكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستبق حتى توأرينا بالبيوت، خشيه أن يلقانا أحد(١).

٣. ورواه ابن أبي قتيبة الكوفي (المتوفى سنة ٢٣٥ هـ) في مصنفه، والحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ) في مستدرکه، والخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) في تاريخه، والموفق الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هـ) في مناقبه وغيرهم بلفظ آخر:

قال علي - عليه السلام -:

«أنطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى بي الكعبه، فقال: (إجلس) فجلست إلى جنب الكعبه، وصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منكبى، ثم قال لى: (انهض بى) فنهضت به، فلما رأى ضعفى تحته قال: (اجلس).

فجلست فنزل عنى وجلس لى فقال: يا على اصعد على منكبى.

فصعدت على منكبه، ثم نهض بى رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ١٣٦

١- السنن الكبرى للنسائى: ج ٥، ص ١٤٢؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١١٣، برقم ٨٥٠٧؛ مسند أبى يعلى الموصلى: ج ١، ص ٢٥١، برقم ٢٩٢؛ تخريج الأحاديث للزيلعى: ج ٢، ص ٢٨٧، برقم ٧٢٤؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٤٠٣.

وسلم، فلما نهض بي خيل إلى أنى لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت على الكعبه، وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: (ألق صنمهم الأكبر صنم قريش).

وكان من نحاس، وكان موتودا بأوتاد من حديد فى الأرض فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (عالجه)، فجعلت أعالجه حتى استمكنت منه، فقال: (أقذفه).

فقدفته، ونزلت»(١).

والأحاديث الثلاثة تدل على أمور عديدة، منها:

١. أن عمليه تكسير الأصنام كانت قبل الهجره بدليل قول أمير المؤمنين عليه السلام - كما فى مسند احمد -:

«فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشيه ان يلقانا أحد من الناس».

وفى سنن النسائي ومسند الموصلى بلفظ :

«فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشيه ان يلقانا أحد».

٢. ان هذه الروايات لم تحدد السنه التى وقعت فيها الحادته قبل الهجره.

ص: ١٣٧

١- المصنف لابن أبى شيبه الكوفى: ج ٨، ص ٥٣٤؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٢، ص ٣٦٦؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى: ج ١٣، ص ٣٠٤؛ مناقب الإمام على عليه السلام للموفق الخوارزمى: ص ١٢٣؛ نهج الإيمان لابن جبر: ص ٦٠٨؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفى: ص ١٢٥؛ السيره الحلبيه: ج ٣، ص ٢٩؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ٢، ص ٣٠٣.

٣. عدم تمكن الإمام علي عليه السلام من حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما دعاه ان يجلس ويحمله علي كتفه صلى الله عليه وآله وسلم لعله خاصه سيمر بيانها في آخر البحث.

الحلقه الثانيه: ما يدل على قيام الإمام علي عليه السلام بتكسير الأصنام في ليله مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

إلا أنني وجدت ما يدل على تحديد السنه التي وقعت فيها عمليه تكسير الأصنام قبل الهجره، بل ويحدد الليله التي وقعت فيها الحادثه وهو ما أخرجه الحاكم النيسابورى عن علي عليه السلام أنه قال:

«لما كان الليله التي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أبيت على فراشه وخرج من مكه مهاجراً، انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأصنام فقال: «اجلس»، فجلست إلى جنب الكعبه ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منكبى ثم قال: «انهض». فنهضت به، فلما رأى ضعفى تحته قال: «اجلس».

فجلست، فأنزله عنى، وجلس لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لى: «يا على، اصعد على منكبى»، فصعدت على منكبىه ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخيل لى أنى لو شئت نلت السماء وصعدت إلى الكعبه وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فألقيت صنمهم الأكبر وكان من نحاس موتدا بأوتاد من حديد إلى الأرض.

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عالجه».

فعالجت، فما زلت أعالجه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ايه، ايه».

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

فقال: «دقه».

فدققته فكسرتة ونزلت»^(١).

والحديث فيه جملة من الدلالات، منها:

١. ان الحديث يحدد بوضوح السنه التي وقعت فيها حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره النبويه المباركه بل يحدد الحديث الليله أيضاً، وهى ليله مبيت الإمام على عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما عزم على الخروج من مكه مهاجراً إلى المدينه.

٢. ان الحديث لا يكشف عن حاله التخفى التي دلت عليها الأحاديث السابقه وهذا يكشف عن ما يلي:

أولاً: أن تلك الأحاديث السابقه تشير إلى تكرار وقوع حادثه تكسير الأصنام وانها كانت فى السنوات الأولى للبعثه أو انها فى ذروه المواجهه مع قريش حينما بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتسفيه أحلامهم وتعييب عقولهم - كما سيمر ما يدل على تكرار الحادثه قبل الهجره وتعددتها -.

ثانياً: ان اختيار هذه الليله تحديداً أى ليله المبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخروجه من مكه هو بحد ذاته له دلالات كثيره، بل

ص: ١٣٩

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ٣، ص ٥.

يطرح العديد من الأسئلة منها:

ألف: ترى لماذا هذه الليلة تحديداً والقوم يتهيئون لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

باء: كيف سيترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وحده يواجه طواغيت قريش حينما يكتشفون ما جرى لصنمهم الأكبر؟.

جيم: ما هو أثر هذه العملية على المجتمع المكي عامه من الناحية العقائديه؟ وغيرها من الأسئلة...

أقول:

تحتاج هذه الأسئلة إلى مجموعه من العناوين وهي كالآتي:

ألف. التلازم في تحقق الأثر الإرشادي بين عمل نبي الله إبراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تكسير الأصنام

حينما نرجع إلى كتاب الله العزيز نجد أن هذه العملية التوحيدية لمحاربه الشرك يقدمها القرآن بصورة جليه في حياه إبراهيم الخليل عليه السلام بتفاصيل تجعل القارئ يستحضرها أمامه وهو يقرأ عمليه تكسير الأصنام التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١. إبراهيم عليه السلام دخل ليلاً إلى معبد بابل لتكسير الأصنام في غفله من أهلها وهذا لا يدل على الخوف، والحال نفسه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو شاء إبراهيم أن يقوم بتكسيرها نهاراً لفعل وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بن أبي طالب عليه السلام.

ص: ١٤٠

لكن حينما يفقد الأثر التوجيهى والإرشادى دوره فى إرجاع العقول إلى التفكير فى عباده هذه الحجارة التى لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فكيف تنفع غيرها.

فضلاً عن أن ذلك سيثير غضب الكهان وسدنه الأصنام والمستميتين من أجل عقيدتهم فيقومون بمنع إبراهيم عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إتمام عمله، إن لم يمنع أصلاً من القيام بذلك. ومن ثم لا يتحقق الغرض الإرشادى.

ويسلب الإنسان تلك اللحظات من الوقوف مع حاكميه العقل، فلو تم العمل نهائياً أمام مرأى الناس لانشغلوا بالفاعل دون آثار هذا الفعل فيصبح العقل أسيراً لهذه الظاهره.

٢. إنَّ الزمان الذى حدده إبراهيم عليه السلام لم يكن من اختياره وانما هو بوحى من الله تعالى لحكمه خاصه ترتبط بما وصل إليه هؤلاء المشركون من حاله دوران الشك واليقين بزيف عباده الأصنام وهى حاله يمكن لإبراهيم عليه السلام من خلال علم النبوه ان يحدد مستوى التأثير على قومه ونسبه استجابتهم لدعوته وان كثيراً منهم يحتاج إلى حاله القطع بفساد هذه العباده.

٣. إنَّ تكسير الأصنام فى هذا الوقت يدل على وصول الأمر العلاجى إلى حاله الكى وكما قيل فى الأمثال (ان آخر العلاج الكى) فهذه الأصنام يجب أن تكسر كى تنكسر معها تلك العقول المتحجره.

٤. إنَّ عمليه التفسير كاشفه عن زيف من جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادعى انه آمن به، بمعنى كشف المنافقين فهؤلاء مهما تستروا ولبسوا مختلف الأقنعه الا ان تكسير الأصنام سيجعلهم لا محاله يتأثرون ويحزنون ان لم يكشروا عن أنبياهم، وهذه الحاله الاختباريه نراها تجدد في كل زمان حينما يتعرض الجبت والطاغوت إلى التفسير، فسرعان ما نرى من آمن بهما كيف ينتفض ويرتعش كارتعاش الصراصير حينما يشق النور ظلام جحورها.

٥. إنَّ تكسير الأصنام في سيره إبراهيم عليه السلام يدل على بدء مرحله جديده من الدعوه إلى التوحيد وأن هذه مرحله الجديده هي مرحله المواجهه والقتال، فأما إبراهيم فبعد ان كسر الاصنام عزم قومه على قتله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عزم قومه على قتله وان المواجهه وصلت إلى مرحله من الاقتتال. والفارق بين المقامين أن إبراهيم عمد إلى تكسير الاصنام لمره واحده في حين كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كرر العمليه لأكثر من مره كما سيمر لاحقاً.

٦. إنَّ هجره إبراهيم من العراق إلى بيت المقدس أعقت ليله تكسير الأصنام وان هجره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمت في نفس الليله.

٧. أن الله سبحانه وتعالى يقدم لبني آدم من الآيات ما هو خلاف حساباتهم وتدبيرهم وتفكيرهم وذلك من خلال ما يقوم به الأنبياء والمرسلون

من حاله من التعامل التي يتوقف معها العقل عن إيجاد حل، ان لم يكن من الأصل ينفىها ومثال ذلك اجتماع السلامه من الموت والحفظ من الهلاك، والنجاه من القتل، لطفل رضيع حينما يوضع في تابوت فيرمى في البحر، كما حدث لموسى عليه السلام؛ إذ كيف يتحقق جميع ذلك من الناحية العقلية لطفل رضيع وهو يرمى في البحر. كما هو بيّن في قوله تعالى لأم موسى:

(فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ) ١٠ .

إنه شيء يعجز العقل في التعامل معه واستيعابه.

وهكذا إبراهيم عليه السلام يكون إرشاده لقومه من خلال تكسير آلهتهم وإثارة حفيظتهم وعزمهم على قتله بشكل لا يتكرر على مر البشرية من حين الجمع لمواد النار وحجمها ومساحتها مقابل شخص واحد.

وكذا حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه يكسر الأصنام ثم يخرج من مكة تاركاً ابنته فاطمه عليها السلام وأخاه على بن أبي طالب عليه السلام الذي تولى تكسير صنمهم الأكبر وهو يواجه صناديد قريش وأجلافها فما أشبه؛

(فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ) .

بقذف على في فوهه المواجهه وغضب قريش ورجوعه سالماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة مع الفواطم.

بل:

إن هذه العمليه وحدها كافيه لفهم دور الإمام على عليه السلام من الرساله، وانه كدور هارون من موسى واشتراكهما في الدعوه إلى التوحيد واقامه شرع الله غير ان هارون نبى وعلياً وصى .

فكما ان موسى وهارون كانا شريكين في الدعوه والمواجهه والجهاد كذلك حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام وجاعلاً هارون شريكاً.

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا- رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَ أَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ١٠).

لكن أنى لبعض العقول أن تتدبر في كتاب الله تعالى وقد طبع على قلوبهم فهم لا يعقلون.

ص: ١٤٤

باء. التوحيد ينطلق من دار خديجه وإليه يرجع الموحدون

من دار خديجه خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام وإليه عاد مع الإمام على عليه السلام ومما دلت عليه روايه الحاكم النيسابورى، اختصاص دار خديجه بهذه المزيه الجديده فى نشر التوحيد ومحاربه الشرك وازهاق الباطل.

فالروايه وان كانت لم تذكر دار خديجه الا أن تحديدها للزمن الذى وقعت فيه وهو:

(الليله التى أمر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً أن يبني على فراشه وخرج فيها مهاجراً).

يدل بشكل قطعى على خروجهما من دار خديجه لهذه المهمه وإليه عادا بعد إتمامهما لهذه العمليه التطهيريه، ثم قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج من الدار حينما اجتمع القوم حوله.

وهذا كاشف عن ان التوحيد ينطلق من دار خديجه وان عمليه الإصلاح ومحاربه الباطل تخرج من دار خديجه أيضاً.

وإن نشر التوحيد أوكل إلى أهل هذه الدار منذ أن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى اليوم الذى يخرج منه ولده المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لتكسير الأصنام ونسف الجبوت والطاغوت ودك عروشهما فى جميع بقاع الأرض.

جيم. الحكمه فى اجتماع تكسير الأصنام والمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ليله واحده

إن اجتماع عمليه تكسير الأصنام والمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ليله واحده له من الدلالات ما لا حصر لها، ومنها:

١. الملازمه بين التوحيد والنبوه فلا انفكاك بينهما، بمعنى: لا يتحقق التوحيد الا من خلال الاعتقاد بالنبوه كما لا يتحقق النبوه الا من خلال الاعتقاد بالتوحيد.

٢. ان علياً عليه السلام اختاره الله تعالى لمسؤوليه الدفاع عن التوحيد من خلال تكسير الاصنام والدفاع عن النبوه حينما بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا ما لا يجتمع لبشر قط .

٣. لا- يمكن للمسلم أن يدرك مراتب التوحيد والتصديق بالنبوه الا- من خلال على بن أبى طالب عليه السلام فهو الذى لم يشرك بالله طرفه عين فأباد جميع أنواع الشرك وصنوفه، وهو المصدق الأول برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبالغ حق اليقين فيهما، ولذا جمعهما الله تعالى له فى ليله واحده.

٤. تكبيد المشركين والكفار أعظم الخسائر فى هذه الليله من خلال تكسير آلهتهم ونجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أيديهم بفضل الله تعالى وجهود أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

٥. فى هذه الليله يبلغ عداء قريش لعلى بن أبى طالب عليه السلام فى أعلى درجاته فهو الذى أذل آلهتهم وكسرها وأفشل كيدهم برسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم وفضحهم أمام العرب.

٦. فى هذه الليلة يقف الإمام على عليه السلام كالجبل الشامخ أمام التحديات التى تنوء منها الجبال ليواجه كل ما أجمع له المشركون من حنق وانتقام لآلهتهم، ومن غير على عليه السلام لهذه المهمات فىكون حجه على تاركه.

٧. لىأهى الله تعالى بعلى الملائكه فقد كسر الأصنام وفدى بنفسه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فى ليله واحده.

٨. لتتحقق معجزه إبراهيم عليه السلام فى هذه الليلة وتكون نيران أحقاد المشركين وسيوفهم المشهوره على على عليه السلام بردا وسلاما.

ولذلك: كيف لا يأمر الله تعالى جبرائيل وميكائيل بالنزول إليه ليحميانه من كيد أعدائه فىكون جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

الحلقه الثالثه: ما يدل على تعدد وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره

لم تكن حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره النبويه محصوره فى مره واحده بل تدل كتب مدرسه أتباع أهل البيت عليهم السلام على تكرار الحادثه وتعدد وقوعها الزمنى والمكانى وان كان الموضع واحداً وهو الكعبه المشرفه أعزها الله تعالى.

هذا ما دلت عليه روايه شاذان بن جبرئيل القمى (المتوفى سنه ٥٦٠ هـ) فقد أورد الروايه عن على عليه السلام أنه قال:

ص: ١٤٧

«دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمنزل خديجه عليها السلام ذات ليله فلما صرت إليه، قال: «اتبعني يا علي».

فما زال يمشى وأنا خلفه، ونحن نخرق دروب مكة، حتى اتينا الكعبه، وقد أنام الله تعالى كل عين فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي».

فقلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «اصعد يا علي، فوق كتفي وكسر الأصنام».

قلت: بل أنت يا رسول الله أصعد فوق كتفي وكسر الأصنام.

قال: بل أنت أصعد يا علي.

وانحنى صلى الله عليه وآله وسلم، فصعدت فوق كتفه وأقبلت الأصنام على وجوهها، ونزلت فخرجنا من الكعبه شرفها الله تعالى حتى اتينا منزل خديجه عليها السلام.

فقال: «يا علي أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم عليه السلام ثم أنت يا علي، آخر من كسرها».

قال - علي عليه السلام -:

فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكسه، مقلوبه على رؤوسها، فقالوا: ما فعل هذا بألهتنا إلا محمد وابن عمه، ثم لم يقم بعدها في الكعبه صنم»^(١).

ص: ١٤٨

١- الروضه في فضائل أمير المؤمنين - لشاذان بن جبرئيل القمي: ص ٣٤؛ الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي: ص ٩٧؛ البحار للمجلسي: ج ٣٨، ص ٨٥؛ شرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ج ٨، ص ٦٨٩.

والحديث يدل على أمور منها:

١. ان الحادثه وقعت قبل ليله المبيت التى مرّ ذكرها لقوله عليه السلام:

«دعانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمنزل خديجه ذات ليله».

وهنا لم يحدد هذه الليله والتي يبدو أنها لم تكن ذات علامه أو خصوصيه يمكن الاشاره إليها فيستدل بذلك على تحديدها. وهذا يعنى انها غير ليله المبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أشار عليه السلام سابقاً إلى تحديد الليله حينما قال:

«لما كان الليله التى أمرنى رسول الله أن أبيت على فراشه وخرج من مكه مهاجراً».

٢. قوله عليه السلام:

«ونحن نخترق مكه».

يدل على اختيار النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لعدده طرق لغرض الاحتياط من المراقبه والمتابعه لوجود بعض العيون للمشركين أو لعل سلوكهما الطرق المؤديه مباشره إلى الكعبه فى منتصف الليل يثير انتباه من يراهما وهذا كاشف عن وقوع الحادثه فى الحقبه التى كان فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ظروف المواجهه.

٣. قوله عليه السلام (وقد أنام الله كل عين) يشير إلى تحديد وقت الخروج بعد منتصف الليل وهذا يكشف عن نيه استخدام هذا الوقت المخصوص

ص: ١٤٩

بالعبادة والتقرب إلى الله تعالى فيكون الجهاد في تكسير الأصنام يؤدّى في وقت التنفل والصلاه فضلاً عن الحيطه والحذر، ويدل قوله عليه السلام أيضاً: على انها غير ليله المبيت حيث كان المشركون ساهرين وقد تجمعوا لكي يأتوا إلى منزل خديجه عليها السلام ليغتالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. هذا الحديث يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام في موضعين من الكعبه - أعزها الله -.

الموضع الأول: هو سطح الكعبه وقد قام الإمام على عليه السلام بقلب الأصنام على وجوهها.

الموضع الثاني: هو تكسير الأصنام في داخل الكعبه بدليل.

ألف: قوله عليه السلام:

«فخرجنا من الكعبه».

وهذا يدل على انهما كان في داخلها.

باء: قوله عليه السلام:

«ثم لم يقيم في الكعبه صنم».

أى في داخل الكعبه.

جيم. ذكرت الصحاح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل مكة في عام الفتح كان في مكة (وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً)^(١). وانها موزعه في البيت الحرام، فمنها ما هو على سطح الكعبه ومنها ما هو بداخلها.

ص: ١٥٠

١- صحيح البخارى: ج ٣، ص ١٠٨، كتاب المظالم.

ولذلك:

فان عمليه تكسير الأصنام وهى بهذا العدد الكبير لاسيما التى على سطح الكعبه (أعزها الله) أو التى فى داخلها يحتاج إلى عمليات متكرره وهو ما دلت عليها الروايات الآنفه الذكر.

المسأله الثالثه: ما يدل على مباشره الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح

اشاره

لم تنته محاربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للشرك ورموزه، وازهاق الباطل وأهله، واذلال الكفر وأشياعه، منتدباً لذلك أخاه على بن أبى طالب الذى شد صلى الله عليه وآله وسلم به أزره.

إلا أن أئمه الكفر، وصناديد النفاق، لم يرق لهم ذلك فعمدوا إلى محاربه العتره المحمديه مادياً ومعنوياً فأجهزوا عليهم بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين قتلهم، وحبسهم، وتهجيرهم، ومصادره أموالهم، وحقوقهم، وطمس فضائلهم، وتضليل الناس عنهم، وهم فى ذلك يخيل إليهم يستطيعون:

(أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ١ .

ولذلك: يمكن للقارئ الكريم أن يتعرف على دور أئمه النفاق فى محاربه الله ورسوله ممثلاً ذلك فى صد الناس عن عتره رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ١٥١

وسلم وإخفاء دورهم الاصلاحى وتضييع جهادهم فى محاربه الشرك ورموزه وأشباعه، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: تعميم البخارى على دور الإمام على عليه السلام فى تكسير الأصنام فى فتح مكة

والدليل على ذلك:

حينما نأتى إلى البخارى نجده يقدم لنا الروايات المشتمله على فضائل العتره بصيغه مبتوره أو أن هذه الأحاديث قدمت بنصف وجه؛ اما الوجه الآخر فهو مستور عن القارئ، ان لم يجد القارئ حينها صورته موحشه تتحدث عن حادثه لم تكتمل ملامحها فقد أولدها البخارى وهى خداج.

ولعله، أى البخارى، معذور فيما أولد للمسلمين من روايات؟! لأن الراوى غير شرعى، إذ كيف يكون شرعياً وهو يبغض على بن أبى طالب عليه السلام؟ وما أكثرهم فى البخارى!!

وعليه: أصبح المسلم لا يجد أثراً لعلى بن أبى طالب عليه السلام فى عام الفتح وعند دخول النبى إلى مكة، بل إنه يجد ذكر أبى سفيان بن حرب وداره التى (من دخلها كان آمناً)!! ولا نعلم من أى شىء هو آمن، أىكون آمناً من سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

أم يكون آمناً بعزه أبى سفيان فرعون المشركين؟ أم يكون آمناً بالله؟ فضلاً عن اننا لم نشهد القرآن الكريم يذكر ان نبياً من الأنبياء ولا رسولاً من المرسلين عليهم السلام أجمعين قد أعطى الأمان للمشركين والكفار حينما يلتجئون إلى بيوت طواغيتهم أو فراعتهم، وكيف سيرد هؤلاء الأنبياء عليهم السلام فيما لو

ص: ١٥٢

سألهم أحد ممن آمن بهم أو ممن لم يؤمن: علامَ تقاتلون الناس وقد أصبح الفراعنه ملجأ لمن كفر بالله تعالى؟ انها مهزله العقل الأموى!!!

ثم متى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخالف ربه عز وجل - والعياذ بالله - فيداهن ويماطل حينما يأمره بجهاد الكفار المنافقين فيقول له سبحانه:

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ١ .

ثم يقوم بالتودد إلى أبي سفيان فيعطيه من العزّه والمنعه والمكانه الاجتماعيه فيجعل داره من حيث الحرمه كحرمه بيت الله الحرام فمن دخل دار أبي سفيان كمن دخل بيت الله!!؟

إنها الصناعه الأمويه لتوليد الأفكار السامه لقتل العقل الإسلامى.

أما تكسير الأصنام فى عام الفتح فقد جهد البخارى وغيره على إخفاء دور على بن أبى طالب عليه السلام فى هذه الحادثه، فضلاً عن التعتيم الكلى لعملية تكسير الأصنام قبل الهجره على الرغم من اخراج احمد، والنسائى، وابن أبى شيبه، والحاكم، والموصلى، وغيرهم لها.

بل ان كل ما أخرجه البخارى ومسلم من تفاصيل حول هذه الحادثه هو عباره عن سطرين، وبسند واحد، عن مجاهد، عن أبى معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: «دخل النبى صلى الله عليه وآله - وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائه وستون صنماً فجعل يطعنهما بعود فى يده، وجعل يقول:

(جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ...) الآيه.

فى حىن لم يكن الله تعالى بمضيع أجر أوليائه، وأنه صادق الوعد فى نصره رسله، ولو كره المشركون وجهد الكافرون، وتحايل المنافقون، وهو ما سنورده فى الآتى:

ثانياً: ما يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح وتعمد البخارى ومسلم اخفاء ذلك

فى الوقت الذى تحايل فيه البخارى ورواته على حادثه تكسير الأصنام فقد شاء الله أن يظهرها على لسان غير البخارى، فقد روى أبو القاسم النيسابورى المفسر (المتوفى سنة ٧٦٢)؛ والمفتى أبو السعود العمادى (المتوفى سنة ٨٩٨ هـ)؛ والخطيب الشربىنى (المتوفى سنة ٩٧٧ هـ)؛ وابن عجبىه الانجرى المغربى المتوفى سنة ١١٦٠ وغيرهم: قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى فتح مكة.

أما روايه عبد الله بن مسعود التى أخرجها البخارى ومسلم، فقد أخرجها أبو القاسم النيسابورى المفسر، والبيضاوى، والمفتى ابو السعود العمادى، بلفظ آخر، وهو:

(عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً لقبائل العرب. صنم كل - قوم بحيالهم - فجعل يطعنهما بعود فى يده ويقول:

(جاء الحقُّ وَ زَهَقَ الباطِلُ ...) الآية.

فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم لخزاعه فوق الكعبه - وكان من قوارير صفر - فقال:

«يا على ارم به».

فحمله رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم حتى صعد، فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد(1).

ورواه الزمخشري، والزيلعي، والشرييني، والطبرسي، والعاصمي، وغيرهم بلفظ آخر وهو:

(لما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً وهو ينكت بالمخصره في عينه ويقول:

(جاء الحقُّ وَ زَهَقَ الباطلُ ...) الآية.

فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعه فوق الكعبه وكان من قوارير صفر فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

«يا على ارم به».

فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد، فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد صلى الله عليه وآله وسلم(2).

ص: ١٥٥

١- تفسير النيسابوري: ج ٥، ص ١٣٤؛ تفسير اليبضاوي: ج ٣، ص ٤٦٤؛ تفسير أبي السعود: ج ٥، ص ١٩١؛ تفسير حقي: ج ٧، ص ٢٧٣؛ تفسير ابن عجيبة الانجری: ج ٣، ص ٣٥٧.

٢- تفسير الكشاف للزمخشري: ج ٢، ص ٤٦٣؛ تخريج الأحاديث للزيلعي: ج ٢، ص ٢٨٨؛ تفسير السراج المنير للشرييني: ص ٢١٤٣؛ جوامع الجامع للطبرسي: ج ٢، ص ٣٩٠؛ سمط النجوم العوالي: ج ٢، ص ٣٩٠.

تدل الروايات على أنَّ الإمام علياً عليه السلام هو الذى باشر عملية تكسير الأصنام فى مراحلها الزمانيه والمكانيه، أى: قبل الهجره وبعدها، وفى داخل الكعبه، وعلى سطحها.

وان الله تعالى قد خصه بكرامه لم يخص بها أحداً من بنى آدم، وهى الارتقاء على كنفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فضلاً عن تكسير الأصنام وتحطيمها، حتى عرف الإمام على عليه السلام بمكسر الأصنام، واشتهر به، مما يؤكد ثبوت هذه الفضيله فيه واختصاصها به.

فكان يفتخر على أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول فى خطبه الافتخار:

«... أنا كسرت الأصنام، أنا رفعت الأعلام، أنا بنيت الإسلام»(١).

وكان يناشد أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه المغصوب فيقول لأبى بكر:

«فأنشدك بالله أنت الذى حملك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتفيه فى طرح صنم الكعبه وكسره حتى لو شاء أن ينال أفق السماء لنالها أم أنا؟».

قال: بل أنت(٢).

ص: ١٥٦

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣٩٩؛ البحار للمجلسي: ج ٣٨، ص ٧٨.

٢- الخصال للصدوق: ص ٥٥٢.

ثالثاً: العله فى عدم تمكن الإمام على عليه السلام من حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام

بقى أن نبين للقارئ الكريم العله التى من أجلها لم يستطع الإمام على عليه السلام فى حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل، وجلس لعلى فحملة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على كتفه؟ هذه العله وجوابها يظهرها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

حينما سأله محمد بن حرب الهلالى أمير المدينة المنوره قائلاً:

(سألت جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نفسى مسأله أريد أن أسألك عنها. فقال:

إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألنى وإن شئت فسل؟

قال: قلت له بين رسول الله وبأى شىء تعرف ما فى نفسى قبل سؤالى؟ قال:

بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل:

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ).

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

قال: فقلت له يا بن رسول الله فأخبرنى بمسألتى قال:

أردت ان تسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله لِمَ لَمْ يَطَّقْ حَمَلَهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ حَطِّ الْأَصْنَامِ مِنْ سَطْحِ الْكَعْبَةِ مَعَ قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ وَمَا ظَهَرَ مِنْهُ فِي قَلْعِ بَابِ الْقَمُوصِ بِخَيْرِ الرَّمَىٰ بِهِ

إلى ورائه أربعين ذراعاً وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليله المعراج وكل ذلك دون على في القوه والشده.

قال: فقلت له عن هذا والله أردت ان أسألك يا بن رسول الله فأخبرني فقال:

ان عليا عليه السلام برسول الله تشرف وبه ارتفع وبه وصل إلى أن اطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي صلى الله عليه وآله لحط الأصنام لكان عليه السلام بعلى مرتفعاً وتشريفاً وواصلًا إلى حط الأصنام ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى ان عليا عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت ان أنال السماء لنتتها، أما علمت أن المصباح هو الذى يهتدى به فى الظلمه وانبعث فرعه من أصله، وقد قال على عليه السلام:

أنا من احمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفى عام، وان الملائكة لما رأته ذلك النور رأته له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نور من نوري أصله نبوه وفرعه إمامه، أما النبوه فلمحمد عبدى ورسولى، واما الإمامه فلعلى حجتى ووليتى ولولاهما ما خلقت خلقى، اما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد على عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطينهما فجعله مولى المسلمين،

وإمامهم وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حضيره بنى النجار فلما قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما يا رسول الله قال: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما، وانه صلى الله عليه وآله كان يصلى بأصحابه فأطال سجده من سجداته فلما سلم قيل له يا رسول الله لقد أطلت هذه السجده فقال صلى الله عليه وآله:

ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك صلى الله عليه وآله رفعهم وتشریفهم، فالنبي صلى الله عليه وآله إمام ونبي، وعلى عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطبق لحمل أثقال النبوه.

قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له زدني يا بن رسول الله فقال:

إنك لأهل للزياده، ان رسول الله صلى الله عليه وآله حمل عليا عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمه من صلبه، كما حول رداءه فى صلاه الاستسقاء وأراد ان يعلم أصحابه بذلك انه قد تحول الجذب خصبا.

قال: قلت له زدني يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام يريد بذلك ان يعلم قومه انه هو الذى يخفف عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ما عليه من الدين والعداء والأداء عنه من بعده.

قال: فقلت له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله زدني فقال:

احتمله ليعلم بذلك انه قد احتمله وما حمل إلا- لأنه معصوم لا يحمل وزرا، فتكون أفعاله عند الناس حكمه وصوابا، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلى:

يا على ان الله تبارك وتعالى حملنى ذنوب شيعتك ثم غفرها لى، وذلك قوله تعالى:

(لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ) .

ولما أنزل الله عز وجل، إذا اهتديتم، وعلى نفسى وأخى، أطيعوا عليا فإنه مطهر، معصوم، لا يضل، ولا يشقى ثم تلا هذه الآية:

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) .

قال محمد بن حرب الهلالى، ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام:

أيها الأمير لو أخبرتك بما فى حمل النبي صلى الله عليه وآله عليا عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعانى التى أرادها به، لقلت ان جعفر بن محمد لمجنون، فحسبك من ذلك ما قد سمعت.

فقمتم إليه وقبلت رأسه وقلت الله أعلم حيث يجعل رسالته(١).

ص: ١٦٠

١- علل الشرائع: ج ١، ص ١٧٣-١٧٥؛ معانى الأخبار للصدوق: ص ٣٥٠؛ الأربعون حديثاً للشهيد الأول: ص ٦٩؛ البحار للمجلسي: ج ٣٨، ص ٧٩؛ تفسير نور الثقلين للحويزى: ج ٣، ص ٢٥.

إشاره

من الحقائق التي ارتبطت بهذا الموضوع الذي كشفت الروايات الشريفه عن سر تفضيله فكان كما مرّ «أفضل الأماكن بعد بيت الله الحرام» هو اتخاذ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من دار خديجه عليها السلام محلاً لرؤيه بعض المؤمنين فيه في موسم الحج.

والسر في ذلك:

١. إما لأنه - أي دار خديجه - كان دار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمرء يعود إلى دار أهله.
 ٢. وإما لأنه آخر أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم فهذه الدار تحت ولايته ووصايته.
 ٣. وإما لأنها محل نزول القرآن، وهبوط الوحي والملائكه، والموضع الذي ولدت فيه سيده نساء العالمين عليها السلام وغيرها من الخصائص التي دلت عليها الروايات؛ ولذا كانت محلاً لرؤيه الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.
- وعليه: لا يمكنني الوصول إلى أكثر من ذلك في معرفه الحكمه التي من أجلها اختار الإمام المهدي هذه الدار محلاً لرؤيه بعض المؤمنين الا أن ذلك يزيد في شرف هذه الدار التي خصها الله بما لم يخص به غيرها من بيوت الأنبياء عليهم السلام.

ولقد روى كل من الشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي رضى الله تعالى عنهما، روايتين تدلان على هذه الحقيقه التي تشرف بها أصحابها.

المسأله الأولى: روايه الشيخ الصدوق رضى الله تعالى عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار خديجه عليها السلام

أشاره

قال رضى الله عنه: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضى الله عنه قال: حدثنا على بن أحمد الكوفي المعروف بأبى القاسم الخديجى قال: حدثنا سليمان بن إبراهيم الرفى قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن وحناء النصيبى قال: (كنت جالساً تحت الميزاب فى رابع أربع وخمسين حجه بعد العتمه، وأنا أتضرع فى الدعاء إذ حركنى محرك فقال:

«قم يا حسن بن وحناء».

قال: فقمتم، فإذا جاريه صفراء نحيفه البدن، أقول: إنها من أبناء أربعين فما فوقها، فمشت بين يدى أنا لا أسألها عن شىء حتى أتت دار خديجه عليها السلام، وفيها بيت بابه فى وسط الحائط وله درج ساج يرتقى، فصعدت الجاريه وجاءنى النداء:

أصعد يا حسن.

فصعدت فوقفت بالباب، فقال لى صاحب الزمان عليه السلام:

اصعد يا حسن.

فصعدت فوقفت بالباب، فقال لى صاحب الزمان عليه السلام:

ص: ١٤٢

يا حسن أتراك خفيت على والله ما من وقت فى حجك إلا وأنا معك فيه.

ثم جعل يعد على أوقاتي، فوقعت مغشياً على وجهي، فحسست بيد قد وقعت على فقامت، فقال لى:

يا حسن الزم دار جعفر بن محمد عليهما السلام، ولا يهمنك طعامك ولا شرابك، ولا ما يستر عورتك.

ثم دفع إلى دفتر فيه دعاء الفرج وصلاه عليه، فقال:

بهذا فأدع، وهكذا صل على، ولا تعطه إلا محض أوليائى فإن الله جل جلاله موفقك.

فقلت: يا مولاي ألا أراك بعدها؟ فقال:

يا حسن إذا شاء الله.

قال: فانصرفت من حجتي ولزمت دار جعفر بن محمد عليهما السلام فأنا أخرج منها فلا أعود إليها إلا لثلاث خصال، لتجديد وضوء، أو لنوم، أو لوقت الإفطار، وأدخل بيتى وقت الإفطار فأصيب رباعياً مملوءاً ماء ورغيفاً على رأسه وعليه ما تشتهي نفسى بالنهار، فأكل ذلك فهو كفايه لى، وكسوه الشتاء فى وقت الشتاء، وكسوه الصيف فى وقت الصيف، وإنى لأدخل الماء بالنهار فأرش البيت وأدع الكوز فارغاً فأوتى بالطعام ولا حاجه لى إليه فأصدق به ليلاً كيلاً يعلم بى من معى(١).

ص: ١٦٣

١- كمال الدين وتمام النعمه للشيخ الصدوق رضى الله عنه: ص ٤٤٤؛ الثاقب لابن حمزه الطوسى: ص ٦١٢؛ الخرائج والجرائح للراوندى: ج ٢، ص ٩٦١.

والحديث يدل على مسائل كثيره لا مجال لذكرها هنا لما تحتاجه إلى سعه في البيان، وحيث ان الأصل في الموضوع هو بيان ما لدار خديجه عليها السلام من الخصائص الإلهيه والكرامات النبويه التي يعجز القلم عن بيانها، فإن هذا الموضوع هو بعض ما جاء في شرافه هذا الدار الذي لم يبق له الوهابيون من حرمه بعد أن حولوه إلى دورات مياه يدنسه الداخلون في الليل والنهار، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أما ما يقال هنا: بخصوص الحديث:

أولاً: تحقق رؤيه صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبه الصغرى

إن هذا الحديث يدل على تحقق رؤيه صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبه الصغرى في واحده من الأدله الواقعيه لهذه الحقيقه(١).

أما بخصوص حضوره عليه الصلاه والسلام في دار خديجه عليها السلام وتشرف بعض المؤمنين بلقياه هناك لأكثر من مره هو ما أخرجه الشيخ الطوسى رضى الله تعالى عنه في كتابه الغيبه.

ثانياً: تقوى الحسن بن الوجناء وشده مثابته على طاعه الله والتقرب إليه

تحدثت الروايه بشكل صريح عن منزله الحسن بن الوجناء عند الإمام الحجه عجل الله تعالى فرجه الشريف حينما تشرف بلقياه فضلاً عما قدمته الروايه من بيان لعباده هذا الرجل وسعيه في التقرب لله تعالى من خلال قصد

ص: ١٦٤

١- أنظر هذه الوقائع في كتاب إلزام الناصب للشيخ على اليزدى الحائرى: ج ١، ص ٣٢١-٣٤١.

بيته الحرام خلال هذه السنين، فمن هو؟

هو الحسن بن محمد بن الوجناء النصيبي، أبو محمد، روى عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وروى عنه الصفواني، ذكره النجاشي في ترجمه محمد بن أحمد بن عبد الله بن مهران (١).

وعده السيد الأبطحي من وكلاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢)، وإنه من وجوه الشيعة وأكابرهم الذين اجتمعوا حول العمري السفير (٣).

وقال السيد الخوئي قدس سره تعقيباً على الرواية التي مرّ ذكرها (وفي الرواية دلالة على قوه إيمانيه) (٤).

مما لا شك فيه أن استطاعه الإنسان الثبات على طاعة الله تعالى والمثابرة في حصول رضاه، ممثلاً في السعي من أجل الاتيان بالنوافل لاسيما حج بيت الله تعالى وبهذا العدد الذي أصابه الحسن بن الوجناء، مع الأخذ بعين الاعتبار المشقة البالغة الذي كان يبذلها الحجاج لبيت الله الحرام آنذاك بلحاظ بعد المسافة بين نصيبين ومكة وقله توفر الوسيله؛ إذ لا غنى للمسافر عن الجمال، نضيف إلى ذلك: إن هذا العدد من السنين يدل على تحول الفصول، أي انتقال الأشهر العربيه في حركة الأرض، فقد يقع شهر ذي الحجه في فصل الشتاء وبعد مرور

ص: ١٦٥

١- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٦، ص ١٤١؛ مستدركات علم الرجال للشاهرودي: ج ٣، ص ٥٢.

٢- تهذيب المقال ٢٥٦.

٣- المصدر السابق.

٤- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٦، ص ١٤٢.

ثلاثين سنه أو أكثر يقع فى فصل الصيف، فضلاً عن أن المواظبه على الحج خلال نصف قرن ودون انقطاع لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، ويدل على قوه إيمان صاحبه، وشده مثابرته على نيل رضا الله تعالى فكان مؤهلاً للتشرف برؤيه صاحبه الأمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المسأله الثانيه: روايه الشيخ الطوسى رضى الله عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار خديجه عليها السلام

قال رضى الله عنه: عن أبى الحسين محمد بن جعفر الأسدى قال: حدثنى الحسين بن محمد بن عامر الأشعري القمى، قال: حدثنى يعقوب بن يوسف الضراب الغسانى - فى منصرفه من أصفهان - قال: حججت فى سنه احدى وثمانين ومائتين وكنت مع قوم مخالفين من أهل بلدنا، فلما قدمنا مكه تقدم بعضهم فاكترى لنا دارا فى زقاق بين سوق الليل، وهى دار خديجه عليها السلام تسمى دار الرضا عليه السلام، وفيها عجوز سمراء فسألتها - لما وقفت على أنها دار الرضا عليه السلام - ما تكونين من أصحاب هذه الدار؟ ولم سميت دار الرضا؟ فقالت: أنا من مواليهم وهذه دار الرضا على بن موسى عليهما السلام، أسكنيتها الحسن بن على عليهما السلام، فإنى كنت من خدمه. فلما سمعت ذلك منها آنست بها وأسرت الامر عن رفقائى المخالفين، فكنت إذا انصرفت من الطواف بالليل أنام معهم فى رواق فى الدار، ونغلق الباب ونلقى خلف الباب حجرا كبيرا كنا ندير خلف الباب. فرأيت غير ليله ضوء

السراج فى الرواق الذى كنا فىه شبيها بضوء المشعل، ورأيت الباب قد انفتح ولا أرى أحدا فتحه من أهل الدار، ورأيت رجلا ربه أسمر إلى الصفرة ما هو قليل اللحم، فى وجهه سجاده عليه قميصان وإزار رقيق قد تقنع به وفى رجله نعل طاق فصعد إلى الغرفه فى الدار حيث كانت العجوز تسكن، وكانت تقول لنا: إن فى الغرفه ابنه لا تدع أحدا يصعد إليها، فكنت أرى الضوء الذى رأيتة يضىء فى الرواق على الدرجه عند صعود الرجل إلى الغرفه التى يصعدها، ثم أراه فى الغرفه من غير أن أرى السراج بعينه، وكان الذين معى يرون مثل ما أرى فتوهموا أن يكون هذا الرجل يختلف إلى ابنه العجوز، وأن يكون قد تمتع بها فقالوا: هؤلاء العلويه يرون المتعه، وهذا حرام لا- يحل فيما زعموا، وكنا نراه يدخل ويخرج ونجىء إلى الباب وإذا الحجر على حاله الذى تركناه، وكنا نغلق هذا الباب خوفا على متاعنا، وكنا لا نرى أحدا يفتحه ولا يغلقه، والرجل يدخل ويخرج والحجر خلف الباب إلى وقت ننحيه إذا خرجنا.

فلما رأيت هذه الأسباب ضرب على قلبى ووقعت فى قلبى فتته فتلطفت العجوز وأحببت أن أقف على خبر الرجل، فقلت لها: يا فلانہ إنى أحب أن أسألك وأفوضك من غير حضور من معى فلا أقدر عليه، فأنا أحب إذا رأيتنى فى الدار وحدى أن تنزلى إلى لأسألك عن أمر، فقالت لى مسرعه: وأنا أريد أن أسر إليك شيئا فلم يتهاى لى ذلك من أجل من معك، فقلت ما أردت أن تقولى؟ فقالت: يقول لك - ولم تذكر أحدا - لا تخاشن أصحابك وشركاءك ولا تلاجهم، فإنهم أعداؤك ودارهم، فقلت لها: من يقول؟ فقالت: أنا أقول، فلم أجسر لما دخل قلبى من الهيبة أن أراجعها، فقلت أى أصحابى

تعنين؟ فظننت أنها تعنى رفقائى الذين كانوا حجاجا معى قالت: شركاؤك الذين فى بلدك وفى الدار معك، وكان جرى بينى وبين الذين معى فى الدار عنت فى الدين، فسعوا بى حتى هربت واستترت بذلك السبب فوقفت على أنها عنت أولئك، فقلت لها ما تكونين أنت من الرضا؟

فقلت كنت خادمه للحسن بن على عليهما السلام، فلما استيقنت ذلك قلت: لأسألنها عن الغائب عليه السلام، فقلت: بالله عليك رأيت به بعينك، فقالت: يا أخى لم أراه بعينى فإنى خرجت وأختى جلى وبشرنى الحسن بن على عليهما السلام بأنى سوف أراه فى آخر عمرى، وقال لى: تكونين له كما كنت لى، وأنا اليوم منذ كذا بمصر، وإنما قدمت الآن بكتابه ونفقه وجه بها إلى على يدى رجل من أهل خراسان لا يفصح بالعربية، وهى ثلاثون دينارا وأمرنى أن أحج سنتى هذه فخرجت رغبة منى فى أن أراه فوقع فى قلبى أن الرجل الذى كنت أراه يدخل ويخرج هو هو، فأخذت عشره دراهم صحاحا، فيها سته رضويه من ضرب الرضا عليه السلام قد كنت خبأتها لألقيها فى مقام إبراهيم عليه السلام، وكنت نذرت ونويت ذلك، فدفعتها إليها وقلت فى نفسى أدفعها إلى قوم من ولد فاطمه عليها السلام أفضل مما ألقىها فى المقام وأعظم ثوابا، فقلت لها: إدفعى هذه الدراهم إلى من يستحقها من ولد فاطمه عليها السلام، وكان فى نيتى أن الذى رأيت هو الرجل، وإنما تدفعها إليه، فأخذت الدراهم وصعدت وبقيت ساعه ثم نزلت، فقالت: يقول لك: ليس لنا فيها حق إجعلها فى الموضع الذى نويت، ولكن هذه الرضويه خذ منا بدلها وألقها فى الموضع الذى نويت، ففعلت وقلت فى نفسى: الذى أمرت به عن الرجل.

ثم كان معى نسخه توقيع خرج إلى القاسم بن العلاء بأذربيجان فقلت لها: تعرضين هذه النسخه على إنسان قد رأى توقيعات الغائب، فقالت ناولنى فإنى أعرفها، فأريتها النسخه وظننت أن المرأه تحسن أن تقرأ فقالت: لا يمكننى أن أقرأ فى هذا المكان فصعدت الغرفه ثم أنزلته فقالت: صحيح وفى التوقيع أبشركم ببشرى ما بشرت به (إياه) وغيره.

ثم قالت: يقول لك إذا صليت على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، كيف تصلى (عليه)؟ فقلت أقول: اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كأفضل ما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

فقال لا إذا صليت عليهم فصل عليهم كلهم وسمهم، فقلت: نعم، فلما كانت من الغد نزلت ومعها دفتر صغير، فقالت: يقول لك: إذا صليت على النبى فصل عليه وعلى أوصيائه على هذه النسخه، فأخذتها وكنت أعمل بها، ورأيت عده ليال قد نزل من الغرفه وضوء السراج قائم.

وكنت أفتح الباب وأخرج على أثر الضوء وأنا أراه - أعنى الضوء - ولا أرى أحداً حتى يدخل المسجد، وأرى جماعه من الرجال من بلدان شتى يأتون باب هذه الدار، فبعضهم يدفعون إلى العجوز رقاعاً معهم، ورأيت العجوز قد دفعت إليهم كذلك الرقاع فيكلمونها وتكلمهم ولا أفهم عنهم، ورأيت منهم فى منصرفنا جماعه فى طريقى إلى أن قدمت بغداد.

نسخه الدفتر الذى خرج:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وحجه رب العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الظلال، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب، المؤمل للنجاه، المرتجى للشفاعة، المفوض إليه دين الله.

اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، وأعطه الفضل والفضيله، والدرجة والوسيله الرفيعه، وابعثه مقاما محمودا، يغبطه به الأولون والآخرون.

وصل على أمير المؤمنين ووارث المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الوصيين وحجه رب العالمين.

وصل على الحسن بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على الحسين بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على علي بن الحسين إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على محمد بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على جعفر بن محمد إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على موسى بن جعفر إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على علي بن موسى إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على محمد بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على محمد إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، وصل على

الحسن بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين وحجه رب العالمين، وصل على الخلف الصالح الهادي المهدي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجه رب العالمين، اللهم صل على محمد وأهل بيته الأئمة الهادين المهديين العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، دعائم دينك، وأركان توحيدك، وتراجمه وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك، الذين اخترتهم لنفسك واصطفيتهم على عبادك، وارتضيتهم لدينك، وخصصتهم بمعرفتك، وجللتهم بكرامتك وغشيتهم برحمتك، وربيتهم بنعمتك، وغذيتهم بحكمتك، وألبستهم نورك، ورفعتهم في ملكوتك، وحففتهم بملائكتك، وشرفتهم بنبيك.

اللهم صل على محمد وعليهم صلاة كثيره دائمه طيبه، لا يحيط بها إلا أنت، ولا يسعها إلا علمك، ولا يحصيها أحد غيرك.

اللهم صل على وليك المحيي سنتك، القائم بأمرك، الداعي إليك الدليل عليك، وحجتك على خلقك، وخليفتك في أرضك، وشاهدك على عبادك.

اللهم أعز نصره، ومد في عمره، وزين الأرض بطول بقائه.

اللهم اكفه بغى الحاسدين وأعداه من شر الكائدين، وادحر عنه إرادته الظالمين، وتخلصه من أيدي الجبارين.

اللهم أعطه في نفسه وذريته وشيعته ورعيته وخاصته وعامته وعدوه وجميع أهل الدنيا ما تقر به عينه، وتسره به نفسه، وبلغه أفضل أمله في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم جدد به ما محى من دينك، وأحى به ما بدل من كتابك

وأظهر به ما غير من حكمك، حتى يعود دينك به وعلى يديه غضا جديدا، خالصا مخلصا لا شك فيه ولا شبهه معه، ولا باطل عنده، ولا بدعه لديه.

اللهم نور بنوره كل ظلمه، وهد بركنه كل بدعه، وأهدم بعزته كل ضلاله، واقصم به كل جبار، واخمد بسيفه كل نار، وأهلك بعدله كل جبار، وأجر حكمه على كل حكم وأذل لسلطانه كل سلطان.

اللهم أذل كل من ناواه، وأهلك كل من عاداه وامكر بمن كاده، واستأصل من جحد حقه، واستهان بأمره، وسعى في إطفاء نوره وأراد إخماد ذكره.

اللهم صل على محمد المصطفى، وعلى المرتضى، وفاطمه الزهراء، (و) الحسن الرضا، والحسين المصطفى، وجميع الأوصياء، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، ومنار التقى، والعروه الوثقى، والجبل المتين، والصراط المستقيم، وصل على وليك وولاه عهده، والأئمة من ولده، ومد في أعمارهم، وأزد في آجالهم، وبلغهم أقصى آمالهم [ديننا]، دنيا وآخره إنك على كل شيء قدير» (١).

ص: ١٧٢

١- الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٢٧٣-٢٨٠، برقم ٢٣٨.

بعد أن مضيت بلطف الله وعنايته في بيان حال أولاد السيده خديجه عليها السلام في بدايه الكتاب متناولاً بالدراسه والتحقيق ما حفت به سيرتهم، بقى لنا من هؤلاء الأولاد السيده البتول فاطمه الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، ولأنها تختلف عن بقيه أولاد خديجه عليها السلام في جميع شؤونها وأحوالها فقد كان لزاماً علينا أن نتناول ما يتعلق بهذه الشخصيه ضمن هذه الحقبه الزمنيه من حياتها مع أمها خديجه عليها السلام بالمزيد من التحقيق والدراسه لوجود عناوين مشتركه فيما بين الشخصيتين، وعليه قد يجد القارئ في مورد من الموارد إسهاباً في الدراسه والتحليل وقد يجد اختصاراً حسب ما تلزمه العناوين من ذلك.

المبحث الأول: خلقها من ثمار الجنه

اشاره

ستتناول في هذا المبحث الأحاديث الوارده في خلق فاطمه من ثمار الجنه ولكون هذا العنوان قد انفردت به الزهراء عليها السلام دون غيرها من الخلق، فقد تضمن هذا المبحث مسائل كثيره.

ولذا فقد اقتضى المبحث ان تسبقه توطئه تشمل على محورين.

ص: ١٧٥

اشاره

كيف استقبل بعض الكتاب الإسلاميين هذا الحدث؟ وكيف تفاعلوا معه؟ وماذا أفرز هذا التفاعل من أقوال قد أكثر فيها بعضهم النقد والتجريح والتهم؟! (١) فكان أهون ما قيل: «إنه غريب الإسناد والتمن» (٢).

والسبب للأمور التاليه:

الأمر الأول: اعتماد بعض الكتاب فيما يرونه على ما يتلاءم مع اعتقادهم

لقد اعتمد البعض ممن كتب في سيره النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على الروايه التي تقول:

«إن فاطمه عليها السلام قد ولدت قبل البعثه بخمس سنوات» (٣).

سبب هذا أن هذه الروايه جاءت موافقه لما عليه هذا الكاتب أو ذاك من عقيدته.

الأمر الثاني: الاختلاف في وقت حدوث رحله الإسراء لا يلقى الحقيقه

إنّ الاختلاف في وقت حدوث رحله الإسراء والمعراج النبوي صلى الله عليه وآله وسلم، بين وقوعها في السنه الثالثه من البعثه، وهو ما عليه أئمه أهل

ص: ١٧٤

١- الموضوعات لابن الجوزي: ج ١ ص ٤١٢-٤١٣، ط المكتبه السلفيه، المدينه المنوره - السعوديه.

٢- المستدرک للحاکم: ج ٣ ص ١٥٦ ط المعرفه بيروت.

٣- تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١ ص ٢٧٧. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ٤٣٩، ح ٧٠٧٠، ط دار المعرفه - بيروت.

أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ١، ص ٣٠٧، ط دار التعارف - بيروت.

البيت النبوى عليهم السلام، وبين وقوعها فى السنه الثالثه عشره من البعثه وهو ما عليه بعض صحابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

كان سببا فى إعراض البعض عن حقيقه خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه.

الأمر الثالث: الإعراض عن روايات أهل البيت عليهم السلام لا يدل على صحه المفروض عنها

إعراض بعض هؤلاء الكتاب عن الروايات الوارده عن أهل البيت عليهم السلام فلم يأخذوا بما ورد عنهم فى هذا المجال أو فى غيره، دون تقديم سبب منطقى لهذا الإعراض فى حين أن الشرع المقدس والعقل يوجبان الأخذ بأقوالهم.

وهذه الأمور مجتمعه أو منفرده جعلت البعض كابن الجوزى وغيره، يتحامل على الروايه وراويها وكأنه جاء بما لا يغتفر!

والحال أنه كان يكفى أن توصف هذه الروايه - على فرض عدم صحتها - بما يناسبها من مصطلحات علم الحديث، من حيث السند، وكان يكفى من المعترضين الإشاره إلى وجود تعارض بينها وبين ما يعتقد به ابن الجوزى السلفى فى وقت الإسراء والمعراج! وبهذا يتحقق القصد فى بيان واقع الروايه عند من يعتقد بأن الإسراء وقع سنه ثلاث عشره من البعثه.

فهذه هى وظيفه الباحث حينما يريد أن يظهر عدم صحه هذه الروايه أو ذاك الحدث.

أما أن يكون التعليق يحمل كلمات التوهين والتنقيص بالروايه، ووصف الراوى بالغباء والخزى؟! لأنه خالف عقيدته ابن الجوزى أو غيره؟!، فهذا يكشف عن الافتقار إلى النزاهه العلميه، ويكشف أيضاً عن سريره القائل، وميوله النفسيه.

المحور الثاني: السنه النبويه والعقل يؤكدان حقيقه خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه

اشاره

إن مسأله خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه هي حقيقه نصت عليها السنه المحمديه على صاحبها وآله أفضل الصلاه وأزكى السلام.

ولو كان هؤلاء الذين اعترضوا على هذه الحقيقه قد تدبروا سنه النبي المصطفى بقلبٍ حر من قيود الأهواء، لوجدوا الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بينت هذه الحقيقه، فى مواضع كثيره.

وقبل أن نشير إلى بعض هذه المواضع، فلا بد من الالتفات إلى ما أخرجه الكثير من الحفاظ لرواياتٍ عديده فى مولد فاطمه الزهراء عليها السلام، وهى كالاتى:

١ - فمنهم من روى أنها ولدت على رأس البعته(١).

ص: ١٧٨

١- تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢ ص ٤٤١ ط دار صادر بيروت؛ منح المدح لابن سيد الناس: ص ٣٥٥، وقد جاء فيهما: «وكان لها يوم تزوجها على بن أبى طالب خمس عشره سنه وخمسه أشهر» أى: إنها ولدت سنه أربعين؛ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص ٧٥ ط مطبعه السعاده.

٢ - ومنهم من قال: سنه إحدى وأربعين (١).

٣ - ومنهم من ذهب إلى السنه الثامنه من البعته (٢).

٤ - كثير منهم من قال: إنها ولدت فى السنه الخامسه من البعته (٣).

وهذه الأقوال وإن كانت لا تنسجم مع ما اعتقده البعض من أن الإسراء والمعراج كان فى السنه الثالثه عشره من البعته، إلا أن هذا لا ينافى كونها عليها السلام قد خلقت من ثمار الجنه، كما أن الاعتقاد بهذا القول لا يصلح أن يكون دليلاً على دحض حقيقه خلق فاطمه من ثمار الجنه، بعد أن نصت عليها السنه النبويه المطهره بنصوص صحيحه، نذكر منها نصين فقط على سبيل الاستدلال لا الحصر.

ما أخرجه البخارى ومسلم، وابن حبان، وابن خزيمه وغيرهم، عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال:

«إنى لست كهيتكم إنى يطعمنى ربى ويسقنى» (٤).

ص: ١٧٩

-
- ١- مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٦٣؛ دلائل النبوه للبيهقى: ج ٢ ص ٧١ ط الكتب العلميه؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٢ ص ٢٦٩؛ نهايه الأرب للنويرى: ج ٨ ص ٢١٣؛ المواهب اللدنيه للقسلانى: ج ١ ص ١٩٨.
 - ٢- نهايه الأرب للنويرى: ج ١٨ ص ٢١٣ ط الحبشه المصريه؛ بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩.
 - ٣- دلائل الإمامه للطبرى: ص ١٠؛ مروج الذهب للمسعودى: ج ٢ ص ٢٨٩؛ ذخائر العقبى: ص ٥٢ ط دار المعرفه؛ تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ٢ ص ٢٧٨؛ مواليد أهل البيت للدراع: ص ٢٧٨؛ البحار للمجلسى: ج ٤٣ ص ١-١٠.
 - ٤- صحيح البخارى، كتاب الصوم: ج ٢، ص ٢٤٣؛ المجموع للنووى: ج ٦، ص ٣٥٦، ط دار

وفى صحيح مسلم بلفظ :

«أنكم لستم فى ذلك مثلى إنى أبيت يطعمنى ربه ويسقبنى»(١).

وفى لفظ آخر أخرجه البخارى:

«إنى لست كهيتتكم أنى أبيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقبنى»(٢).

وعليه: أكان الله تبارك وتعالى يطعم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من ثمار الجنة أم من غير ثمارها؟! أم كان يسقيه من غير مائها وأنهارها!؟

فإن قيل: إن الله تعالى كان يطعمه من غير ثمار الجنة، فهذا يؤدى إلى جعل مريم بنت عمران أفضل من سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وبه يأثم قائله.

وإن قيل: كان يطعمه عزوجل من ثمار الجنة، ويسقيه من مائها، فما وجه اعتراض المعترضين وامتعاض قلوب المنافقين من أن أصل النطفة الزكية، الطيبة، التى خلقت منها البضعة النبويه فاطمه الزهراء صلوات الله عليها، كانت من ثمار الجنة التى أطعمها الله لنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

أما جميع المسأله فهى من أيسر ما يمكن أن يعطيه الله لحبيبه المصطفى

ص: ١٨٠

١- صحيح مسلم، باب بيان أن القبله فى الصوم: ج ٣، ص ١٣٤.

٢- صحيح البخارى، كتاب الصوم: ج ٢، ص ٢٤٢.

صلى الله عليه وآله وسلم فما قدر الجنة مقابل علو مقام سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبل الدخول إلى هذا المبحث، فلا بد من الإشارة إلى الآتي:

أولاً

إن الأحاديث في هذا المبحث تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نتحدث فيه عن تناول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثمار الجنة في رحله الإسراء والمعراج ودخوله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة وأكله من ثمارها.

أما القسم الثاني: فإنه يشير إلى أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أكل من ثمار الجنة وهو في الأرض، حينما كان ينزلها إليه جبرائيل عليه السلام بأمر من الله تبارك وتعالى.

ثانياً

إن جميع هذه الثمار سواء أكان تناولها في السماء أم في الأرض كان الحامل والمقدم لها هو جبرائيل عليه السلام، وهذا له من الأسرار العجيبة، والألطف الإلهية المحكمه، التي خص الله بها فاطمه عليها السلام وسنشير إليه في حينه إن شاء الله تعالى.

ثالثاً

إشاره

قد أشارت الأحاديث في هذا الموضوع: إلى تناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأكثر من نوع من أنواع الثمار وهي: «التفاح - السفرجل - الرطب -

العنب - شجره طوبى» ولم يختار الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم غيرها، وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول

هو أن الله عزوجل قد اختار هذه الثمار لنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها من أحب الثمار إليه صلى الله عليه وآله وسلم، وأقربها إلى نفسه المقدسه وهو من خواص الجنة لقوله:

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ١ .

الأمر الثانى

هو لوجود خصائص ومميزات لكل نوع من هذه الأنواع التى ذكرت وتأثيرها على تكوين الجنين، وقد أشارت الأحاديث الشريفه إلى وجود علاقته بين الجنين وهذه الثمار وتحديداً: (السفرجل والرطب)، وتأثيرها فى ذكاء الطفل وجمال خلقته وخلقته (١).

المسأله الأولى: إنها خلقت من شجره طوبى

عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«كان رسول الله يكثر تقبيل فاطمه عليها وعلى أبيها وبعلمها

ص: ١٨٢

١- سنشير إلى فوائد هذه الثمار حسب إيرادها فى مسائل هذا المبحث بعونه تعالى.

وبنيها آلاف التحية والسلام، فانكرت ذلك عائشه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشه إنى لما أسرى بى إلى السماء دخلت الجنة فأدنانى جبرائيل من شجره طوبى وناولنى من ثمارها فأكلته فحول الله ذلك ماءً فى ظهري، فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجه فحملت بفاطمه، فما قبلتها قط إلا وجدت رائحه شجره طوبى منها».

هذا الحديث يدل على المحبه التى يكنها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه عليها السلام ممثله فى كثره تقبيله لها. ويدل أيضاً على أنها خلقت من ثمار شجره طوبى دون أن يذكر لنا الحديث نوع هذه الثمره ولا شكلها أو أى صفة عنها سوى أنها من ثمار شجره طوبى.

أما شجره طوبى فقد وردت روايات عن أئمة العتره عليهم السلام تبين صفة هذه الشجره، منها:

١. عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

«طوبى هى شجره تخرج من جنه عدن، غرسها ربنا بيده»^(١).

٢. وعن ثابت، عن ابن سيرين، فى قوله:

(طوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بٍ) ٢ .

ص: ١٨٣

١- تفسير أبى حمزه الثمالى رحمه الله: ص ٢١٧، ط مطبعه الهادى - قم؛ تفسير العياشى لابن مسعود العياشى: ج ٢، ص ٢١٢، ح ٤٧، ط المكتبه العلميه الإسلاميه - طهران؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج ٨، ص ١٤٣، ح ٦٤، ط مؤسسه الوفاء - بيروت.

قال:

«طوبى شجره أصلها فى حجره على عليه السلام، وليس فى الجنة حجره إلا فيها غصن من أغصانها»(١).

٣. وعن معاوية بن حمزه، عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«طوبى شجره غرسها الله بيده نفخ فيها من روحه تنبت الحلوى والحلل وأن أغصانها لترى من وراء سور الجنة»(٢).

٤. عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛

(طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بٍ).

قام المقداد بن الأسود الكندى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله وما طوبى؟»

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا مقداد شجره فى الجنة لو يسير الراكب الجواد لسار فى ظلها مائه عام قبل أن يقطعها،

ص: ١٨٤

١- تفسير الدر المنثور للسيوطى: ج ٤، ص ٥٩، ط دار المعرفة - بيروت؛ بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٧٢؛ تفسير العياشى لمحمد

بن مسعود: ج ٢، ص ٢١٢، ح ٤٨، ط المكتبة العلميه الإسلاميه - طهران.

٢- تفسير الثعلبى: ج ٥، ص ٢٢٨٨؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلوى: ص ١٨٣، ص ٢١٩؛ تفسير فرات الكوفى: ص ٢٠٨، ح

٢٧٧ و ٢٧٩.

وورقها وبسرها برود خضر، وزهرها رياض صفر، وأفنانها سندس واستبرق، وثمرها حلل خضر، وصمغها زنجبيل وعسل وبطعاؤها
ياقوت وزمرد أخضر، وترابها مسك وعنبر وكافور أصفر وحشيشها زعفران يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها السلسيل
والرحيق والمعين وظلها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(١).

المسألة الثانية: إنها خلقت من سفرجل الجنة

عن الزهري عن سعيد بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتاني جبرائيل عليه الصلاة والسلام بسفرجله من الجنة فأكلتها ليله أسرى بي فعلقت خديجه بفاطمه، فكنت إذا اشتقت إلى
رائحه الجنة شممت رقبه فاطمه»(٢).

يمكن لنا أن نفهم العله من خلق فاطمه عليها السلام من هذه الثمره من خلال بعض الأحاديث الشريفه، ومنها:

١ - روى الحر العاملي رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما بعث الله عزّ وجل نبياً إلا ومعه السفرجل»(٣).

ص: ١٨٥

-
- ١- تفسير سعد السعود لابن طاووس: ص ١٠٩، ط منشورات الرضى؛ شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج ٣، ص ٤٩٦؛
البحار للمجلسي: ج ٦٥، ص ٧٢، ح ١٣١.
 - ٢- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ١٥٦؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ١٠٩، ح ٣٤٢٢٨؛ تذكره الموضوعات للفتنى: ص
٩٩؛ الدر المنثور للسيوطي: ج ٤، ص ١٥٣.
 - ٣- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٣١.

٢ - وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما بعث الله نبياً إلا أطعمه من سفرجل الجنة فيزيد فيه قوه أربعين رجلاً»(١).

٣ - قال الإمام الرضا عليه السلام:

«ما بعث الله نبياً إلا أوجد منه ريح السفرجل»(٢).

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي أطعم فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم السفرجل فتحول ماءً في صلبه صلى الله عليه وآله وسلم لتلد خديجه عليها السلام الحوراء الإنسيه صلوات الله عليها وليكون أولادها الأئمه يحملون من القوه ما يحملها الأنبياء عليهم السلام.

المسأله الثالثه: خلقها من رطب الجنة

عن الهروى قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرنى عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال:

نعم وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء.

قال: فقلت له: إن قوماً يقولون: إنهما مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام:

ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد

ص: ١٨٦

١- بحار الأنوار: ج ٦٣، ص ١٧٧.

٢- المصدر السابق.

كذَّب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذَّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلَّد في نار جهنم، قال الله عزَّوجلَّ :

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ۝١ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفه في صلبى فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجه فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسيه، فكلما اشتقت إلى الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمه»(١).

المسألة الرابعة: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنة

عن ابن عماره عن أبيه عن جابر، عن أبي جعفر - الباقر - عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك تلثم فاطمه وتلزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟

فقال:

إن جبرائيل عليه السلام أتاني بتفاحه من الجنة فأكلتها فتحولت ماء في صلبى ثم وقعت خديجه فحملت بفاطمه فأنا

ص: ١٨٧

١- بحار الأنوار: ج ٨، ص ١١٩؛ الأمالى للصدوق: ص ٥٤٦، ح ٧/٧٢٨؛ الاحتجاج للطبرسى: ج ٢، ص ١٩١.

أشم منها رائحه الجنة»(١).

ورد فى الحديث لفظ «أحد بناتك» وقلنا فى الفصول السابقه إن المراد بكلمه «بناتك» الربائب لأن العرب اعتادت أن تطلق على الربيبه اسم البنت فكان هذا هو لسانهم الذى بعث عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ٢ .

المسأله الخامسه: إنها خلقت من جميع ثمار الجنة

أشاره

عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكثر تقبيل فاطمه عليها السلام فقالت له عائشه: «بأبى أنت وأمى إنى أراك تكثر تقبيل فاطمه» فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن جبرائيل ليله أسرى بى أدخلنى الجنة وأطعمنى من جميع ثمارها فصار ذلك ماء فى صلبى فحملت منى خديجه بفاطمه، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمه فأصبت من ريح تلك الثمار التى أكلتها»(٢).

ص: ١٨٨

١- علل الشرايع للصدوق: ج ١، ص ١٨٣، الباب ١٤٧، ح ١؛ البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٥، حديث ٤؛ تاريخ بغداد للخطيب: ج ٥؛ ص ١٧؛ دلائل الإمامه الطبرى: ص ١٤٦، ح ٥٤.

٢- ذخائر العقبى لمحبه الدين الطبرى: ص ٣٦؛ تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١،

أولاً: (فأصبت من ريح تلك الثمار)

هذا الحديث جاء ليعطى صورته أخرى لعله تقبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمه عليها السلام، وهو يقرب المعنى أكثر مما مرَّ في الحديث السابق. إلا أن الصورة الجديدة هي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح لعائشه بأن رائحة فاطمه عليها السلام هي رائحة ثمار الجنة. فكيف يمكن أن تكون هذه العطور؟ الله ورسوله أعلم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الوحيد الذي أكل من جميع هذه الثمار، وهو الوحيد الذي شم عطرها.

ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنة

إن الأمر الآخر الذي يظهر من خلال هذا الحديث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الشوق إلى الجنة وكثره الشوق دفعته إلى كثره التقبيل لابنته الحوراء الأنسية الزهراء عليها السلام. وهو ما أثار اهتمام عائشه قائله له صلى الله عليه وآله وسلم: (إني أراك تكثر تقبيل فاطمه)^(١).

ص: ١٨٩

١- للأحاديث الشريفه التي مر ذكرها في خلق فاطمه من ثمار الجنة دلالات كثيره لا يسعنا ذكرها هنا، ولقد قمنا بذكرها في كتاب (هذه فاطمه) وهو قيد التنضيد والاخراج والله الموفق لكل خير.

إشاره

تناولنا بحمد الله وتوفيقه فى المبحث السابق الأحاديث التى تخبر عن خلق فاطمه من ثمار الجنة وفى هذا المبحث نتعرض لنفس المعنى لكن الاختلاف بين هذا المبحث وذاك هو أننا نعرض هنا الأحاديث التى تخبر عن نزول جبرائيل عليه السلام بثمار من الجنة إلى الأرض بينما كان الحديث فى المبحث السابق يخص تناول النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذه الثمار فى السماء فى رحله الإسراء والمعراج.

ومن هنا، فإن جميع هذه الأحاديث التى فى المبحثين تنص على مسأله واحده، هى: أن النطفه النورانيه الزكيه التى خلقت منها البضعه النبويه، والصديقه الكبرى فاطمه الزهراء سلام الله عليها كانت من عالم الأمر، وعالم النور، من خلال ثمار الجنة.

أما كيف يمكن الجمع بين هذه الأحاديث وتلك السابقه وبخاصه أن فاطمه الزهراء سلام الله عليها قد ولدت بعد المعراج بستين، أى إن هذه الثمار بقيت سنتين فى بدن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ومفاد الأحاديث يخبر عن انتقال هذا النور إلى خديجه عليها السلام بعد هذه المرحله السماويه وهو محل إشكال!؟

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول

هو أن هذه الثمار لا يمكن قياسها بعالم الدنيا وثمارها، وأن هذه الثمار

تحمل من المعانى الدنيويه المسميات لغرض بيان دلالة اللفظ الذى يطلق على هذه الثمره أو تلك، ولكى يتناسب ذلك مع العقل البشرى ولا تمجه أذهانهم، فالناس ليسوا على مستوى واحد من الإدراك والاستيعاب للحقائق.

وعليه فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد أن يبين للناس منزله فاطمه صلوات الله عليها ومقاماتها صاغ الأمر بشكله الذى يستوعبه السامع، أمّا بواطن الكلمات وألطف معانيها فهو لذوى القلوب النيره والآذان الواعيه.

ومن هنا فإن معنى تناول النبى صلى الله عليه وآله وسلم من ثمار الجنه فى الإسراء والمعراج كان لغايه واحده، هذه الغايه هى انتقال النور الإلهى إلى صلب النبوه، وإن الحكمة الإلهيه اقتضت أن يتم انتقال هذا النور على مرحلتين، المرحله الأولى: تتم فى الإسراء والمعراج وفى مكان خاص من السماء وهى السماء السادسة التى جعل الله فيها الجنه وأن يكون المرشد والطاعم والدليل هو روح القدس وأمين الوحي جبرائيل عليه السلام وإن يكون هذا النور ضمن هيئه خاصه وعناصر محدده من اللون والطعم والرائحه، فكل لون من الألوان له أسرارهِ الخاصه به ومدلولاته الكونيه، فلذا ترى تعددت الثمار من: «رطبٍ ، وتَفَاحٍ ، وسفَرَجَلٍ»، مع ثمره شجره طوبى التى لم تصرح الروايه عن طبيعتها ولم تذكر صفاتها.

كل ذلك لأسرار خاصه بنور فاطمه صلوات الله عليها، فهذه هى الغايه التى من أجلها تناول النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هذه الثمار فى

الجنة، وليست الغايه هي تذويق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الثمار؛ إذ ما أسهل ذلك عليه وهو الذي يبيت عند ربه كل ليله وله مُطعم يطعمه وساقٍ يسقيه(1) فهذه هي المرحله الأولى من انتقال النور من عالم الأمر، أى عالم السماء إلى عالم الشهاده، إلى الأرض.

ثم تكون المرحله الثانيه من نزول النور وانتقاله إلى الأرض من خلال نزول جبرائيل عليه السلام حاملاً لهذه الثمار فيضاف إليها (العنب).

وعليه: فيمكن أن يكون هذا النور قد انتقل إلى صلب النبوه مفرقاً على هيئته شعبتين، الأولى كانت فى الجنة، والثانيه كانت فى الدنيا لتُجمع هاتان الشعبتان فى صلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى الأرض.

الوجه الثانى

اشاره

إنّ من خواص بدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو حفظ ما يرد إليه من الأنوار الإلهيه والفيوضات الرحمانيه لتناسب طبيعه بدنه المقدس مع هذه الأنوار بأمر الله عزّوجلّ .

نضيف إلى ذلك أن من المعاجز النبويه التى فاقت معجزه إبراهيم الخليل عليه السلام هي معجزه احتفاظ بدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالسم الذى قدمته إليه اليهوديه الخبيريه لشهور عديده حتى ظهر أثره عليه وتوفى شهيداً، وهى حقيقه نص عليها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فى بيانه

ص: ١٩٢

١- صحيح البخارى، كتاب الصيام، باب: الوصال، برقم ١٨٦٣؛ ومسلم فى صحيحه، كتاب الصوم، باب: الوصال، برقم ١١٠٥.

خاتمه العتره و اختياره - تعالى - لهم من الشهاده فقال:

«ما منا ألا مسموم أو مقتول»(١).

وعليه: فإن بقاء ماء هذه الثمار فى بدنه المقدس وفى صلبه النورانى النبوى أولى من بقاء نار السم الذى قدمته إليه اليهوديه.

أما العله فى بقاء السم دون ظهور أى إشاره فذلك لكونه أفضل الأنبياء والمرسلين وهذا التفضيل يقتضى الشده فى الابتلاء، وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن أشد الناس بلاءً؟ فقال:

«الأنبياء ثم الأوصياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أودى نبى مثل ما أوديت»(٣).

وأن يأتى بجميع معاجز الأنبياء عليهم السلام وبشكل أكبر وأقوى من معاجزهم ومنها معجزه إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت معجزه النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أكبر من ذلك؛ إذ بقاء النار فى جوف الإنسان وفى داخل بدنه لشهور عديده أكبر وأعظم بكثير من معجزه دخول إبراهيم عليه السلام النار للحظات والخروج منها بإذن الله تعالى.

ص: ١٩٣

١- كفايه الأثر للخزاز القمى: ص ٢٢٧؛ البحار للمجلسى: ج ٢٧، ص ٢١٨.

٢- الدعوات لقطب الدين الراوندى: ص ١٦٧؛ وأخرجه أحمد والترمذى بلفظ مقارب: مسند أحمد: ج ١، ص ١٧٢؛ سنن الترمذى: ج ٤، ص ٢٨.

٣- تفسير الرازى: ج ٤، ص ١٧٥؛ البحار للمجلسى: ج ٣٩، ص ٥٦؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٤٢.

وهى حقيقه احتج بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بعض اليهود الذين جاءوه يسألون عن عله تفضيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على بقيه الأنبياء عليهم السلام وهو لم يؤت بمعاجزهم فقال عليه السلام فيما أوتى إبراهيم من معجزه النار فكانت برداً وسلاماً:

(محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بخير سمته الخبيريه فصير الله السم فى جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر فى الجوف كما أن النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره)(١).

إذن:

كان الوجه الثانى: هو احتفاظه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النور أو بماء هذه الثمار فى صلبه لمدته عامين أو أكثر بأمر الله تعالى. حتى حان الإذن الإلهى فى انتقال هذه النطفه إلى الطاهره خديجه عليها السلام.

وفىما يأتى نذكر هذه الأحاديث ونشير إلى معانيها التى وفقنا الله لبيانها والإشاره إليها بشفاعه البضعه المحمديه صلوات الله عليها.

المحور الأول: أحاديث اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجه عليها السلام

«الله يأمر النبى بالتهيؤ لنزول أمرٍ مهمٍّ».

الحديث الأول؛ روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان جالساً

ص: ١٩٤

١- الاحتجاج للطبرسى، احتجاجه عليه السلام على اليهود: ج ١، ص ٣١٤؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٨٦؛ البحار للمجلسى: ج ١٠، ص ٣٣.

بالأبطح ومعه عمّار بن ياسر، ومنذر بن الضحضاح، وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجماعه إذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام فى صورته العظمى قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه:

يا محمد العلى الأعلى اقرأ عليك السلام وهو يأمرك أن تعتزل خديجه أربعين صباحاً، فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لها محبباً وبها وامقاً.

قال: فأقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه ذلك بعث إلى خديجه بعمار بن ياسر وقال: قل لها:

يا خديجه لا تظنى أن انقطاعى عنك هجره ولا قلى، ولكن ربى عزّوجلّ أمرنى بذلك لتنفيذ أمره، فلا تظنى يا خديجه إلا خيراً فإن الله عزّوجلّ لياهى بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جنك الليل فأجيفى الباب وخذى مضجعك من فراشك، فإنى فى منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خديجه تحزن فى كل يوم مراراً لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

هذه المقطوعه اقتطعناها من حديث طويل سنورد بقيه ما جاء فيه فى المبحثين القادمين مع ما يناسبها من أحاديث أخرى.

ص: ١٩٥

١- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٨-٧٩، ح ٢٠؛ الخصائص الفاطمية للكجورى: ج ١ ص ٣٤٣-٣٤٤؛ الأنوار البهيه للشيخ عباس القمى: ص ٥٣-٥٤.

إن الحديث يبين لنا أنّ الله عزّوجلّ يأمر نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالتهيئه والاستعداد لتلقى أمر معين وأن هذه الترتيبات وهذا التأهب يظهر أهميه هذا الأمر وعظم منزلته عند الله تبارك وتعالى. وهو ما نرجو أن يوفقنا الله لبيانه من خلال هذه المسائل.

المسأله الأولى: (لماذا الاعتزال لمدته أربعين يوماً؟)

أولاً: (الاعتزال)

وهو منهج من مناهج القرآن الكريم وطريقه من طرق الأنبياء والمرسلين، وأسلوب تعبدى من أساليب الأولياء والصالحين بالتقرب إلى رب العالمين، وهو من الرياضات الروحيه التي اعتمدت عليها مدارس العرفان لاسيما إذا توج بالتفكر والتأمل. والقرآن الكريم يعرض هذا المنهاج التعبدى التقربى فى مواضع عدّه ليبين آثاره على من انتهجه وسلكه ومن ذلك قوله عزّوجلّ فى أصحاب الكهف:

(وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُؤُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) ١ .

فهذه الآيه الكريمه ترشد العارف إلى خاصّتين من خواص الاعتزال إحداهما إنه يمنح المنتهج له آثار رحمه الله فيكون مستحقاً لهذه الرحمه فينشرها الله عليه.

والأخرى أن الله عزَّوجلَّ يهيئ للمتقرب إليه بهذه العبادة سبل النجاه وطرق الخلاص من المهلكات. كما كان واضحاً من حال هذه النخبة المؤمنة التي انتهجت هذا النهج التعبدي، لأن أهم ما في هذا النهج أنه يرشد صاحبه إلى نبع الإخلاص فيروى القلب بمائه الصافي والروح بعذبه الفراتي.

ومن هنا نجد مرافقاً لأولياء الله عزَّوجلَّ، لأن الإخلاص غايتهم الموصوله إلى رياض القدس الإلهيه وموجب لنزول الفيوضات الربانيه، كما كان حال العذراء مريم عليها السلام ونهجها التجردى الاعتزالي التعبدي إلى الله عزَّوجلَّ فكانت لا ترى أحداً ولا يراها أحد إلا نبي الله زكريا عليه السلام فلم تأخذها العاطفه إلى أهلها والشوق إلى خاصتها وذويها لأن الإخلاص لله غايتها، قال تعالى:

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) ١ .

فكانت بهذا النهج قد حازت على الاصطفاء والطهر من الله عزَّوجلَّ، وأصبحت موضعاً لامتداد النبوه، فمن خلالها لحق عيسى بإبراهيم عليهما السلام.

ثم ينقل القرآن الكريم صورته أخرى لهذا النهج التعبدي، ورائداً آخر من رواد هذا الصرح الولائي لله عزَّوجلَّ لنلمس جانباً آخر من جوانب رحمه الله، وأثراً خاصاً من آثار عناية الله، ولوناً جديداً من ألوان المنّ الإلهي والفضل

المولوى والعطاء الربانى على عبده ونبيه وخليله إبراهيم عليه السلام.

فنبى الله إبراهيم أيضاً قد سلك هذا المسلك وتقرّب إلى الله عزّوجلّ بهذا النوع من العباده متقرباً بالإخلاص من خلاله إلى الله تعالى فكان ذلك سبباً لنزول الرحمه الإلهيه واختصاصه بالأفضال الربانيه وموجباً للعنايه الإلهيه بعد طول عناء وجهد واجتهاد.

قال تعالى:

(فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَ مَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً) ١ .

فكان (اعتزال) إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه وما يعبدون من دون الله سبباً فى نزول الرحمه الإلهيه فوهب له عزّ شأنه الذريّه وخص هذه الذريه بالنبوّه.

ومن هنا: يظهر لنا بعض أوجه الحكمه فى اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم خديجه عليها السلام متعبداً بهذا النهج وكان مع اعتزاله صائماً فى النهار وقائماً فى الليل يتقرّب إلى الله بأحب العبادات إليه وأوصلها إلى قربه ليلمس آثار رحمه الله العظمى ويتلقى الهبه الربانيه والتحفه الإلهيه وليعطى ما لم يعطه الله لأحدٍ من العالمين، فهذه فاطمه عليها السلام، أى إن الله أعطاه الأخيار، وحقه الأنوار، وأمه الملك الجبار، وأم الأئمه الأطهار صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

ص: ١٩٨

يعدُّ علم الأعداد أحد أهم علوم أرباب الأسرار وأهل العرفان، والمتصوفه، وكان له رواج كبير لدى العلماء السابقين، أما المتأخرون فما يزال هناك من يأنس بهذا العلم لاسيما المهتمين بالأمور العرفانية، وقد وردت معانٍ كثيره لخواص هذا العدد في أحاديث أهل البيت عليهم الصلاه والسلام(١).

ونحن لا نريد أن ندخل في هذا العلم وأبوابه الواسعه وأسراره الخفيه فلهذا العلم أهله وحملته إلا أننا نقول فيما يخص الأعداد، وبخاصه فيما نحن بصدده وهو العدد «أربعون» - الذى جاءت به الروايه من خلال ما ذكره جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما حدد له المده فى الاعتزال - نقول: إن لهذا العدد سره الدفين الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم وهم محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم. فهم العارفون بخصائصه الغيبية. إلا أننا يمكن أن نصل إلى قناعه فى أهميه هذا العدد وآثاره الغيبية من خلال: (القرآن والعترة المحمديه).

بعض الآيات القرآنيه والأحاديث الوارده عن العترة المحمديه تعرض لنا بعض الحقائق المرتبطه بالأنبياء وعلاقتهم مع هذا العدد.

قال تعالى:

(وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ص: ١٩٩

فالقرآن يعرض لنا فى هذه الآيه المده التى غاب فيها موسى عليه السلام عن قومه وبعد انتهاء هذه المده، أى الأربعين يوماً فإن القوم انقلبوا على أعقابهم واتخذوا عباده العجل.

ثم يبين القرآن الكريم فى نفس المجال فيطلق على هذا العدد بـ «الميقات» فيقول عزّوجلّ :

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ٢.

فالآيه هنا تشير إلى سر خفى فى هذا العدد الذى به يتم الميقات الإلهى.

والقرآن لا يقتصر فى أسرار هذا العدد على الأنبياء عليهم السلام بل ينقل لنا صورته عن العقاب الإلهى للظالمين فيقول تعالى:

(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) ٣.

وهم قوم نبي الله موسى الذى رفضوا دخول الأرض المقدسه فتاهوا أربعين سنه فى اليبداء.

ثم ينتقل القرآن الكريم إلى مجال آخر فيشير إلى تكرار هذا العدد في موضع جديد هو كمال العقل والأشد، قال تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سِنَهُ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ١٠ .

ومن هنا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هبط عليه جبرائيل عليه السلام في الأربعين من عمره الشريف فبعثه الله رحمه للعالمين.

أما ما جاء في الأحاديث الواردة عن العتره الطاهره فكثيره في هذا المجال، نذكر ما تيسر منها تيمناً.

فقد ورد ذكر هذا العدد في حفظ الأحاديث النبويه، وأثر هذا الحفظ المقيد بالأربعين حديثاً على الإنسان في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في دينه يريد وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» (١).

وقد ورد أيضاً ذكر هذا العدد وبيان آثاره على من أخلص لله عزّوجلّ مدّه من الزمن بتمامه، فعن أبي جعفر الباقر عليه الصلاة

ص: ٢٠١

١- بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥٣ و ١٥٤، ح ٣ و ٥ و ٦؛ الخصال للصدوق: ص ٥٤٢، ح ١٧؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٨، ص ٤٥، ح ٥٩٥.

والسلام أنه قال:

«ما أخلص عبد الإيمان لله أربعين يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها وأثبتت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»^(١).

وجاء ذكره في مَنْ أراد التوجه إلى الله عزَّوجلَّ بالدعاء وطلب الاستجابة في قضاء الحوائج أن يقدم الاستغفار لأربعين مؤمناً ويدعو لهم حتى يضمن لنفسه الاستجابة وقضاء الحاجة.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قدّم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا لنفسه استجيب له»^(٢).

ومنه جاء الاستحباب في تقديم أربعين مؤمناً يعدّهم بأسمائهم ويستغفر لهم في صلاة الوتر من نافله الليل قبل أن يستغفر لنفسه.

ومن الأسرار الخفية في قضاء الحوائج هو اجتماع أربعين رجلاً في مجلس واحد يدعون الله عزَّوجلَّ في أمرٍ ما فيقضى [الله لهم هذا الأمر يستجيب لهم، وهو ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق رُوحى فداه، قال عليه السلام:

ص: ٢٠٢

١- البحار: ج ٧٠، ص ٢٤٠، حديث ٨؛ جامع السعادات للتراقي: ج ٢، ص ٣١٣؛ مستدرک الوسائل للنورى: ص ٢٩٥، ح ١٧/٥٩٠١.

٢- وسائل الشيعة: ج ٤ باب ٤٥ من أبواب الدعاء ص ١١٥٤ حديث ٥؛ الأمالي للصدوق: ص ٥٤١، ح ٧٢٥؛ البحار للمجلسي: ج ٩٠، ص ٣٨٤، ح ٦.

«ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزوجل في أمر إلا استجاب لهم»(١).

ومنها استحباب رش قبر الميت لمدته أربعين يوماً في كل يوم مره، وقد أمر الإمام على بن موسى الرضا صلوات الله عليه:

«أن يرش قبره أربعين يوماً في كل يوم مره»(٢).

ومنها إن مراحل تكوين الجنين من نطفه إلى علقه إلى مضغه إلى عظام، أربعون يوماً لكل مرحلة، فيكون الجنين عند ذلك في شهره السادس وهو قوله تعالى:

(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ٣.

وغيرها من الأحاديث في المجالات المختلفة فإن جميعها تدل على أسرار هذا العدد وشرافته من بين الأعداد عند الله عزوجل .

وعليه نلمس العناية الإلهية في اعتزال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

ص: ٢٠٣

١- وسائل الشيعة: ج ٤ باب ٣٨ ص ١١٤٣ حديث ١؛ الكافي للكليني: ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ١؛ عده الداعي لابن فهد الحلبي: ص ١٤٤.

٢- وسائل الشيعة «آل البيت»: ج ٢ ص ٨٦٠ باب ٣٢ من الدفع حديث ٦؛ وسائل الشيعة «الإسلامية»: ج ٣، ص ١٩٧، باب ٣٣، ح (٣٣٩٣) ٦؛ كشف اللثام للفاضل الهندي: ج ٢، ص ٣٩٦، الفصل الرابع.

وسلم هذه المده من الزمن لكى يتھياً ويستعد لاستقبال الهبه الربانيه والتحفه الإلهيه وهو فى نفس الوقت يكشف عن عظم الأمر الذى ينزل به جبرائيل عليه السلام وكبر شأنه عند الله تعالى لأنه استلزم اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً متعبداً فيها صائماً قائماً مصلياً متصدقاً متقرباً إلى الله عزّوجلّ .

المسأله الثانيه: «جبرائيل عليه السلام يهبط فى صورته العظمى»

اشاره

لا بد من الحديث عن الملائكه قبل الدخول فى معنى نزول الملك جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى، حتى نصل إلى نتيجته البحث وندرك معنى الأمر، ونفهم عظم المسأله التى استعد لها أشرف خلق الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أولاً: معنى تسميتهم بالملائكه

فأما معنى تسميتهم بالملائكه: فهو إما مشتقه من الألوكة بمعنى «الرساله»، أو مشتقه من الملك بمعنى «العبوديه» المحضه الخالصه.

والملائكه المدبرات والمقدرات، وملائكه الجنه والنار، والملائكه الذين هم حملة التدبير والتقدير والتسخير وغيرها، سميت ملكاً لظهور مبدأ الاشتقاق فيه، لأنهم رسل الله فى اتصال ما يتحملون من جهات الفيض ورؤوس المشيئه إلى محالها ومواقعها كما نصّ عليهم بأنهم رسل الله فى قوله تعالى:

(إِنَّا رُسُلٌ) ١ .

وهم المتمحضون فى العبودية والمخلصون فى الطاعة:

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) ٢ .

بحال من الأحوال وطور من الأطوار، كما نص عليهم بقوله:

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً) ٣ .

وقوله تعالى:

(بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ) ٤ .

وقوله تعالى:

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ٥ .

فلما ظهر فيهم مبدأ الاشتقاق وتحققت المناسبه المطلوبه بين اللفظ والمعنى أطلق عليهم لفظ الملائكه، وإلا فهم صنف آخر ونوع آخر غير جنس الجن والإنس وغيرهم، وإنما سموا (ملائكه) لهذه العله التى هى ظهور مبدأ

ص: ٢٠٥

الاشتقاق، فعلى هذا كل شىء فيه هذا المعنى يصح إطلاق لفظ الملائكة عليهم (١).

وهى - أى الملائكة - «ذوات نورانية قد اضمحلت فيهم جهة الميولات النفسانية والشهوات الإنسانية والجنسية، فغلبت عليهم جهة النور، بحيث اضمحلت فيهم الظلمة بالرمة فلا أثر لها بالكلية» (٢) وهذا القول مأخوذ من أقوال العتره المحمديه صلوات الله وسلامه عليهم.

فقد وصفهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه:

«صور عاريه عن المواد خاليه عن القوه والاستعداد، تجلى بها فأشرقت، وطالعتها فتلاآت، وألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله» (٣).

وفيما يخص الملائكة من أحاديث فهى كثيره جداً فى مدرسه ثقل القرآن وعتره الهادى إلى طريق الرحمن، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم إلا إننا أوردنا هذا المقدار لكى لا يطول بنا الوقوف عند هذا المبحث وهو ليس قصداً وغايتنا بقدر ما نريد أن نمهد لمعنى نزول جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى ونضيف إلى ذلك أنهم، أى: الملائكة عليهم السلام لهم مراتب ثابتة فلا يستطيع أحدهم الصعود إلى مرتبه أعلى من خلال طاعته وهو ما جاء فى قول مولانا وسيدنا الإمام الصادق سلام الله عليه فى الملائكة:

ص: ٢٠٦

١- أنوار الغيب للسيد كاظم الحسينى الرشتى: ص ٥٠، تحقيق الشيخ أحمد آل بو شفيح.

٢- شرح القصيده للسيد كاظم الرشتى: السؤال ١٥ ص ٢٣١، أنوار الغيب: ص ٤٦.

٣- كتاب أصول العقائد: ص ١٨٤.

«إنهم ناقصون لا يحتملون الزيادة»(١).

وهي بمعنى أوضح:

إن الملك ناقص لا- يحتمل الكمال لأنه صورته عاربه عن المواد خاليه عن القوه والاستعداد؛ لأن الملك مطبوع على الطاعه ومقطوع عليها، مثلاً ميكائيل عليه السلام لما خلقه الله تعالى، له مقام ومرتبته ولكنه لا يزيد ولا ينمو بطاعته وخدمته الله تعالى إلى مقام أرفع وأعلى الآن.

وإنما هو كالسراج إذا أشعلته في أول الليل وأتيت إليه في آخر الليل لا تجده أنور وأشد ضوءاً عن أول الليل، فإنه نور لا يوجد في مقابلته ظلمه.

وأما الإنسان فإنه تتساوى عنده باختياره نسبه الطاعه إلى المعصيه، فإنه مركب من قوى رحمانيه عقليه ومن قوى حيوانيه، فهو متردد بين الكمال والنقصان، فبطاعته ينمو ويزداد ويترقى إلى مقام القرب الإلهي كسلمان المحمدي رضوان الله عليه فإنه انقطع إلى الله وإلى عبادته مع وجود النقيض في النفس(٢)، وهو أول الصحابه المنتجبين وأسبق الشيعة إلى ولايه آل الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

لذلك تجدهم عليهم السلام في مراتب مختلفه فمنهم «العالمون» وهم: (إسرافيل، وجبرائيل، وميكائيل وعزرائيل) عليهم السلام، ومنهم الكروبيون وهم:

ص: ٢٠٧

١- البحار للمجلسي: ج ٣، ص ١٥ و ٣٧.

٢- أنوار الغيب للسيد كاظم الحسيني الرشتي: ص ٥٣.

«الذين جعلهم الله خلف العرش، ولو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم».

وهو قول مولانا الإمام الصادق عليه السلام في وصفهم (١).

والقرآن الكريم يذكر أنواع الملائكة في قوله تعالى:

(وَ النَّازِعَاتِ غَزَقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) ٢.

وقوله:

(وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) ٣.

ولكونهم ذوات نورانية، وقوى روحانية وجسمانية، ذوات شعور وإدراك واختيار، لكنها لضعف تركيبها وعدم كمال انعقادها وغلبه نوريتها تتشكل بأشكال مختلفة، وتظهر بصور مختلفة، ما عدا الصور القبيحة والخبيثة (٢).

وقد كان جبرائيل عليه السلام يظهر بصوره «دحية الكلبى» وهو أحد

ص: ٢٠٨

١- البحار للعلامة المجلسى: ج ٥٦ ص ١٨٤، رواه ٢٦.

٢- أنوار الغيب للسيد كاظم الرشتى: ص ٤١.

صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ظهر بصورته مرات عديدة للمسلمين بشكل جماعي وهم ذاهبون لغزوه خيبر(١) ، وبشكل فرادى كما ظهر لأم سلمه رضی الله عنها(٢).

بينما كان يظهر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورة رجل جميل الصورة عذب الصوت، كما ظهر لمريم بهيئه بشريه:

(فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) ٣ .

أى: جميل الصورة والصوت.

ثانياً: المواضع التي ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى

اشاره

أما صورته الأصلية فلم يظهر فيها إلا في ثلاثه مواضع:

الموضع الأول

تجلى فيه جبرائيل عليه السلام بصورته الأصلية في غار حراء يوم المبعث في السابع والعشرين من شهر رجب لسنة أربعين من عمره المبارك، وفي هذا اليوم، وفي هذا الموضع، ولهذا الأمر شأن ومنزله وخطر عظيم عند الله عزوجل ، ولذا تراه تجلى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورته الأصلية.

ص: ٢٠٩

١- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٢٤٦؛ والبدايه والنهائيه: ج ٤، ص ١٣٦؛ الكافى للكلينى: ج ٢، ص ٥٨٧، ح ٢٥؛ أمالى الصدوق: ص ٤٢٦ سنن النسائى: ج ٨، ص ١٠٣.

٢- صحيح مسلم، كتاب المناقب، مناقب أم سلمه رضی الله عنها: ج ٧، ص ١.

الموضع الثاني

فقد تجلى فيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورته العظمى التي خلقه الله عليها ليده الإسراء والمعراج، وهو مفاد قوله تعالى:
(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُتَّهَى) ١.

وهذه الصورة التي عليها جبرائيل عليه السلام كانت آية من آيات الله الكبرى، ولقوله تعالى:
(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) ٢.

الموضع الثالث

هو عند نزول أمر الله تعالى لنبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالاعتزال عن خديجه والناس لمدة أربعين يوماً، وفي هذا دليل على عظمه مهمته وجلاله الأمر الذي جاء به، وهو انعقاد نطفه فاطمه أم الأئمة الأطهار وزوجه ولي الله حيدر الكرار.

ثالثاً: أثر الاعتزال والريضة النفسية في خلق الجنين

إن التعبد بالصيام والقيام أربعين يوماً وليله، واعتزال الخلق، وهجران الزوجه، وتشديد الشوق والميل الطبيعي بين السيده خديجه والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك يكون له الأثر الخاص في انعقاد النطفه الزكيه،

خصوصاً إذا ألحق به ارتياض سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم رياضه خاصه تتناسب مع مقامه عند الله تعالى ومنزلته لديه حتى حصل الاستعداد لقبول الهدية السماويه والعطيه الربانيه.

رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجه عليها السلام

إن بعثه صلى الله عليه وآله وسلم عمار بن ياسر رضوان الله عليه إلى خديجه؛ ليطمئنها عليه وينقل لها كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان مقامها ومنزلتها عند الله، وإنه ليباهي ملائكته بها كل ذلك دلائل على عظم منزلتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل على حب النبي الكبير للسيدة الجليله خديجه سلام الله عليها.

المسأله الثالثه: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنه

اشاره

تناولنا في المبحث الأول اعتزال النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً صائماً قائماً مصلياً متصدّقاً متقرباً إلى الله عزّوجلّ .

ونورد هنا ما كان من مجريات للأحداث التي رافقت هذا الأمر الإلهي لسيد الأنبياء وأكرم من خلق الله عزّوجلّ حبيبه المصطفى وعبد المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال سيدنا ومولانا روحى له الفدى الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه:

ص: ٢١١

«فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد! العليّ الأعلى يقرئك السلام هو يأمرك بأن تتأهب لتحيته وتحفته.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل وما تحفه ربّ العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لا علم لي، قال: فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأقبل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يريد الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي علي باب المنزل وقال: بين أبي طالب، إنه طعام محرم إلا عليّ .

قال علي عليه السلام:

فجلست علي الباب وخلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطعام وكشف الطبق، فإذا عُثق من رطب وعنقود من عنب فأكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه شبعاً، وشرب من الماء رياً، ومد يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرائيل وغسل يده ميكائيل وتمندل له اسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء ثم قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي فأقبل جبرائيل وقال: الصلاة محرّمه عليك في وقتك حتى تأتي خديجه

فتواقعها، فإن الله عزَّوجلَّ آل على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذريه طيبه، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل خديجه»(١).

مسائل البحث في الحديث:

أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه)

نزول الملائكة المقربين الثلاثة وهم العالون، خصوصاً إسرافيل، حيث لم ينزل قط سوى هذه المره - حسب ما توفر لدى من مصادر، وطاقه في البحث - مصحوباً بالتشريفات الخاصه من السندس والإبريق والمنديل والماء والطبق من الجنة مع ما قاموا به عليهم السلام من تقسيم للعمل في حضره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك «التشريف» السماوى فكان الذى أفاض الماء جبرائيل عليه السلام والذى غسل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميكائيل، والحال كان يكفى بجبرائيل بصب الماء على اليدين فيقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغسلهما لكن أن يقوم بغسل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو غاية قصوى في التشرف بخدمته، وكذلك الحال بالنسبه لإسرافيل عليه السلام فإنه يمكن للنبي أن يأخذ المنديل من إسرافيل عليه السلام فيمسح يديه ويمندل يديه لكن أن يقوم إسرافيل ويمندل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمسحهما فهو تشريف لإسرافيل عليه السلام وإكرام لفاطمه صلوات الله

ص: ٢١٣

١- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٩، باب ٥؛ الدر النظيم لابن حاتم العاملى: ص ٤٥٣؛ العدد القويه لعلى بن يوسف الحللى: ص ٢٢١؛ بيت الأحزان للشيخ عباس القمى: ص ٢٠؛ الخصائص الفاطميه للكجورى رحمه الله: ج ١ ص ٣٤٤-٣٤٥.

عليها، حيث إنزلت بتلك العطايا والهدايا يحملها كبار سكان الملائكة الأعلى.

وكيف لا وهي صاحبه النور الأوحى الذى خلقه الله من نور عظمتة فأشرقت به السماوات والأرضيون، وقد غشى أبصار الملائكة فخرؤا لله ساجدين وبحمده قائلين وبثنائه مسبحين.

ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاة فى شتى الأحوال لعل راجحه)!!

قد جاء فى الحديث: قول جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الصلاة محرمة عليك فى وقتك حتى تأتى منزل خديجه».

أما الجواب على هذا السؤال فهو عند الفقهاء: «الجواز» فقد جاء فى الشريعة السمحاء موارد عديدة يستثنى فيها من المبادره إلى إقامة الصلاة فى أول وقتها.

الأول: الظهر والعصر إذا أراد الإتيان بنافلتهما، وكذا الفجر إذا لم يقدم نافلتها قبل دخول الوقت، ما لم يتضيق وقت فضيله الفريضة.

الثانى: مطلق الحاضره لمن عليه قضاء يومه أول ليلته، فإن عليه المبادره بالفائته ما لم تتضيق الحاضره حتى لو كان قد نوى الحاضره فعليه أن يعدل إلى الفائته، هذا إذا تذكر قبل فوات محلها، وذلك للنصوص (1)، التى لأجلها قيل بالمضايقه فى قضاء يومه وليلته إلا فى فريضة الفجر فلا يتقدم عليها فائته لحديث

ص: ٢١٤

١- الوسائل، باب ٦٢ من أبواب المواقيت، الحديث: ١، ٢، ٤، ٧، ٨ وجميع أحاديث الباب ٦٣.

أبى بصير وحديث ابن مسكان، كلاهما عن الإمام الصادق عليه السلام(١).

الثالث: التيمم مع احتمال زوال العذر أو رجائه، أو لمن عليه البحث عن الماء غلوه سهم أو سهمين كما هو مبين فى أحكام التيمم عند الفقهاء.

الرابع: لدفع الأخبثين للحاقن بهما، لقول الصادق عليه السلام:

«لا صلاه لحاقن ولا لحاقنه الحديث»(٢).

وقوله:

«لا تصلّ وأنت تجد شيئاً من الأخبثين»(٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يصلى أحدكم وبه أحد العنصرين، يعنى: البول والغائط»(٤).

أى حتى يزيلهما ويتطهر من جديد ويصلّى.

الخامس: ليدرك فضيله الجماعه، والمسجد، وحضور القلب، ولدرك كلّ فضيله وكمال، ما لم يفض إلى الإفراط فى التأخير.

السادس: المستحاضه الكبرى، لها أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر

ص: ٢١٥

١- الوسائل، باب ٦٢ من أبواب المواقيت، الحديث ٣-٤.

٢- الوسائل، باب ٨ من أبواب قواطع الصلاه، الحديث: ٢؛ أمالى الصدوق: ص ٤٩٨، ح ١٢/٦٨٣؛ المعتمد للمحقق الحلّى: ج ٢، ص ٢٦٢؛ المحاسن لأحمد بن محمد البرقى: ج ١، ص ٨٣.

٣- الوسائل: باب ٨ من أبواب قواطع الصلاه، الحديث: ٣-٨؛ تذكره الفقهاء: ج ٣، ص ٢٩٨؛ تهذيب الأحكام للطوسى: ج ٢، ص ٣٢٦، ح ١٣٣٣.

٤- المحاسن لأحمد بن محمد البرقى: ج ١، ص ٨٢، ح ١٤.

بغسل واحد، وتؤخر المغرب لتجمعها مع العشاء كذلك.

السابع: المغرب والعشاء لمن أفاض من عرفات إلى المشعر، فله أن يؤخرهما ولو إلى ثلث الليل فيجمع بينها، وهذه من السنه المؤكده ففي صحيح محمد بن مسلم عن أحدهما لا تصل المغرب حتى تأتي جمعاً (١) وإن ذهب ثلث الليل (٢) ونحوه موثقه سماعه عن الإمام الصادق عليه السلام (٣).

الثامن: صلاه المغرب لمن ينتظره قومٌ صومٌ يخشى أن يجسمهم عن إفتارهم، أو هو تشتاق نفسه إلى الإفطار وتنازعه. كما في صحيح الحلبي وحديث الفضيل وزراره (٤).

التاسع: من أتى بأربع ركعات من صلاه الليل أو أكثر، فدخل الفجر، فله أن يتم وتره مخففه ثم يصلى الفجر، ما لم يسفر الصبح أو تغور النجوم (٥)، وناقله الفجر أفضل من الوتر.

العاشر: صلاه المغرب للمسافر حتى يغيب الشفق، أو إلى ربع الليل، أو إلى ثلثه، بل مطلق الصلاه لمطلق المسافر المستعجل (٦)، بل ولمطلق الاعتذار

ص: ٢١٦

١- جمعاً: الجمع هو المشعر الحرام، ويسمى، أيضاً: المزدلفه.

٢- الوسائل، باب ٥، من أبواب الوقوف بالمشعر، الحديث: ١-٢؛ روض الجنان للشهيد الثاني: ص ١٨٦؛ منتهى المطلب للعلامه الحلبي: ج ٢، ص ٧٢٣.

٣- منتقى الجمعان للشيخ حسن صاحب المعالم: ج ٣، ص ٣٥٣.

٤- الوسائل، باب ٧ من أبواب آداب الصائم، الحديث ١-٢.

٥- الوسائل، الباب ٤٧-٤٨ من أبواب المواقيت.

٦- الوسائل، الباب ١٩ من أبواب المواقيت.

فجميع هذه الموارد قد وردت في الشريعة المحمديه عن طريق العتره النبويه صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد ورد في التاريخ والسيره العطره لسيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أمر المسلمين بتأخير الصلاة في غزوه خيبر.

فضلاً عما ذكر فإن إدخال السرور على قلب المؤمن من السنن المستحبه المؤكده لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفضل الأعمال بعد الفرائض إدخال السرور على قلب المؤمن»(٢).

ومن المؤكد إن رؤيه الوجه النوراني المشرق باللطف الرحمانى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المسرات على قلب المؤمن ولاسيما زوجته الحبيبه خديجه الكبرى، وقد طال بها الانتظار لرؤياه وحدا بها الشوق لملاقاه وألمها الحنين لعدوبه صوته وحلاوه منطقه.

ومما لا شك فيه إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ به الشوق والحنين إلى حبيته وأم ولده سلام الله عليها، فما تأخير الصلاة عن أدائها في أول أوقاتها مع جميع هذه العلل الراجحه والحال التى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا من باب العناية الإلهيه بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢١٧

١- أنظر: اجماعيات فقه الشيعة للفقيه المحقق إسماعيل الحسينى.

٢- أعلام الدين فى صفات المؤمنين للديلمى: ص ٢٥٤.

نكمل إن شاء الله تعالى فى هذا المبحث رحله النور الفاطمى والفيض الأقدس، لكوثر الخير، وحوض اليمن، ونسمه الطهر فاطمه الزهراء صلوات الله عليها، ومراحل تنقل هذا النور الإلهى من تحت ساق العرش واشراقه فى قناديل معلقه وانتقاله إلى الجنه فأودعه الرحمن فى ثمارها ليستلمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ضمن مرحلتين، كانت الأولى فى الجنه، وكانت الثانيه فى الأرض من يد جبرائيل عليه السلام لتقر الوديعه الإلهيه فى قرار النبوه وصب رساله وعمود الوحي وروح الشريعه، ثم ينتقل هذا النور الإلهى المودع فى النطفه الزكيه الفاطميه فى أرض الطاهره خديجه الكبرى سيده النساء بعد فاطمه المحمديه.

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) ١ .

لتنمو فى تلك الأرض الطاهره المطهره المعده لاستقبال النور الإلهى فتنال بذلك ما لم تنله امرأه من العالمين، فأى رحم حوى مثل فاطمه المطهره... وأى بطن نما فيه مثل البضعه الطاهره !!؟

ولقد ذكرنا فى المبحثين السابقين حديث خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه التى نزل بها جبرائيل بعد أن اعتزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم خديجه أربعين يوماً.

وفى هذا المبحث نكمل ما بقى من هذا الحديث لاختصاصه بما تصدره من عنوان، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«قالت خديجه رضوان الله تعالى عليها: وكنت قد الفت الوحده - بسبب اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها هذه المده - فكان إذا جنى الليل غطيت رأسي، واسجفت ستري، وغلقت بابي، وصليت وردى، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي، فلما كان في تلك الليله لم أكن بالنائمه ولا بالمشبهه، إذ جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قالت خديجه عليها السلام: فنادى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعذوبه كلامه وحلاوه منطقه: افتحى يا خديجه فإني محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -.

قالت عليها السلام: فقمتم فرحه مستبشره بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتحت الباب ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنزل وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المنزل دعا بالإئاء فتطهر للصلاه ثم يقوم فيصلى ركعتين يوجز فيهما ثم يأوى إلى فراشه، فلما كان في تلك الليله لم يدع بالإئاء ولم يتأهب للصلاه، غير أنه أخذ بعضدى وأقعدنى على فراشه وداعبنى ومازحنى وكان بينى وبينه ما يكون بين المرأه وبعلمها، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى حسست بثقل فاطمه فى بطنى»(١).

ص: ٢١٩

١- الأنوار البهيه للشيخ عباس القمى: ص ٥٦؛ العدد القويه لعلى بن يوسف الحلبي: ص ٢٢٢، ح ١٤؛ بيت الأحران للشيخ عباس القمى: ص ٢١؛ الدر النظيم لابن حاتم العاملى: ص ٤٥٣.

أولاً: (المنهاج التربوى الأسرى عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم)

هنا فى هذا الحديث تظهر لنا أم المؤمنىن خديجه سلام الله عليها إحدى الصور المشرقه عن حياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأسرى، فهو المعلم الأول فى الحياه المدنيه المتحضره.

وهذه الصوره كانت تحكى عن جانب من الجوانب العديده فى الحياه الأسرى، والذى يمتاز بالأهميه الكبيره والتأثير النفسى على الأسره وهو أحد المناهج التى تنمو من خلالها الأسره ولتنتج أبناء صلحاء نافعىن لأنفسهم ولمجتمعهم.

ولذلك، كيف يكون الأسلوب الذى يقوم به الزوج عند دخوله البيت ؟

هنا فى هذه اللحظات القليله والدقائق المعدوده ينظر الجميع ببالح الأهميه لما يقوم به الأب من أفعال وينصتون إلى ما يخرج من فمه من كلمات، فإذا كانت مظاهر التعب والضجر واضحه على الأب انعكس ذلك على الزوجه والأولاد ولاسيما لو كانت فى الأسره بنىات فهن الأسرع تأثراً بهذا المنظر والأكثر شعوراً لما يظهر على الوالد.

ومن هنا: فإن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدخل إلى البيت بهذا الشكل الذى نقلته هنا زوجته الحبيبه البارہ المخلصه الوفيه بهذه الكلمات: «وكان إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاه ثم يقوم فيصلى ركعتىن يوجز فىهما ثم يأوى إلى فراشه».

وهنا يظهر بشكل واضح هذا المنهاج التربوي الأسرى الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالأب الذى يبدأ مشواره الأسرى بالوضوء والصلاه فإنه يضى على زوجته وأولاده الطمأنينه والسكينه والرحمه، فأى هو أروع من هذه الأجواء الرحمانيه؟! وأى أثر يتركه هذا الاسلوب فى نفوس الأولاد والزوجه؟! وهو فى نفس الوقت يعلمهم أهميه الصلاه وأنها المفتاح الذى يجب عليهم أن يفتتحوها به خطوات حياتهم، فيتمسكوا بها ويستعينوا بها ويكونوا مصادقاً لقوله تعالى:

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) ١,٢ .

ثانياً: المنهاج التربوي فى العلاقة الزوجيه

ثم تمضى سلام الله عليها لتبين لنا صورته أخرى من الصور التعليميه فى جميع جوانب الحياه الدنيويه والأخروييه.

وهنا تنقلنا السيده خديجه فى رحاب العلاقة الزوجيه لتشير إلى أهم الأسس التى يعتمد عليها قيام البيت وهى صمام الأمان فى الحياه الأسريه، فكم من أسره تهدمت، وكم من علاقته زوجيه فشلت وكم من أطفال ضيعت وكانت هى الضحيه، بل هى التى دفعت فاتوره الاسلوب الفاشل الذى يفتقده الأب فى كثير من العلاقات الزوجيه الأسريه كحالات منفردته متعدده.

ص: ٢٢١

وعندما نقول الأب لأسباب كثيره منها القيموميه التي لديه والقدره في التحكم في شؤون الحياه الأسريه وغيرها.

ومن هنا فإن السيده خديجه سلام الله عليها تصف لنا هذه العلاقه الزوجيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمات الرقيقه والمنطق العذب والرقه والعاطفه والحب الكبير لهذا الزوج مع الحفاظ على العفه المحاطه بهذه الكلمات، والحشمه التي تفوح من هذه الألفاظ ، قالت سلام الله عليها:

«فلما كان في تلك الليله لم يدع بالإناء ولم يتأهب للصلاه، غير أنه أخذ بعضدى وأقعدنى على فراشه وداعبنى ومازحنى، وكان بينى وبينه ما يكون بين المرأه وبعلمها».

فهذه الكلمات على قلتها قد كشفت أحد السنن النبويه في آداب المعاشره الزوجيه وتظهر بشكل كبير الأجواء العاطفيه التي ينبغى لكل زوج أن يتعلمها ويستسن بها، لأن هذا التعامل يجمع الشفافيه في الاسلوب، والجمال في المبادره لاستجلاب عاطفه المرأه وتحريكها واستدرار حبها.

ومن هنا فهذا المنهاج التربوى من أهم المناهج التي تدوم بها الحياه الزوجيه وتستمر من خلالها العلاقه الزوجيه.

وقد اعتمد طب النفس الأسرى في كثير من البحوث والدراسات على هذا المنهاج ووضع كمنهاج يعتمد عليه قيام الرابط الأسرى وهو أحد الأسس التي يقوم عليها دوام العلاقه الزوجيه، وكم نحن اليوم بحاجة إلى مراجعه تلك السنن النبويه ومعرفه الآداب المحمديه في مختلف ضروب الحياه ولا سيما في الجانب الأسرى كأزواج وآباء وإخوان وأبناء.

إشاره

إن إحساس السيده الطاهره والصديقه الجليله أم الزهراء صلوات الله عليها بثقل فاطمه عليها السلام، هو خلاف العاده البشريه، وعملية الإحساس بثقل الجنين يتحدد عند الأم بعد الشهر الرابع للحمل.

أمّا بالنسبه للسيدته خديجه عليها السلام فإن إحساسها بثقل فاطمه عليها السلام عائد إلى النطفه الزكيه الحامله للنور الفاطمي وهو كإحساس السيده مريم عليها السلام بعد أن تمثل لها روح القدس عليه السلام بشراً سويًا فإحساسها بثقل فاطمه إنما هو من نور فاطمه وكونها من عصاره دار الآخره وخلاصه نعيمها الممزوج بعرق روح القدس وزغبه وهو حامل الوحي والفيض الإلهي.

الحديث الثاني

عن زيد بن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لما أن مات ولدى من خديجه، أوحى الله إلى أن أمسك عن خديجه وكنت لها عاشقاً، فسألت الله أن يجمع بيني وبينها، فأتاني جبرائيل في شهر رمضان ليله الجمععه لأربع وعشرين ومعه طبق من رطب الجنة فقال لي: يا محمد كل هذا وواقع خديجه الليله، ففعلت فحملت بفاطمه، فما لثمت فاطمه إلا وجدت ريح ذلك الرطب وهو في عترتها إلى يوم القيامه»^(١).

ص: ٢٢٣

أولاً: تعين ليله انعقاد النطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه

في هذا الحديث نجد هناك تحديداً لليله التي انعقدت فيها النطفه الزكيه لفاطمه صلوات الله عليها وهي ليله الجمعه من شهر رمضان الواقعه في الليله الرابعه والعشرين منه، وهذا التوقيت الدقيق لانتقال النور الفاطمي إلى رحم خديجه عليها السلام في غايه الاهتمام الرباني والعنايه الإلهيه، إذ لا يخفى أن العشر الأواخر من شهر رمضان هي أفضل لياليه وإن كل ليله من هذه الليالي يطلب العباد فيها التوفيق لليله القدر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اطلبوها في العشر الأواخر»(١).

إضافه إلى فضل ليله الجمعه على الليالي، فسبحان من قدّر لها هذا التقدير وهيأ لها هذا الوقت المحفوف بالبركات ونزول الفيوضات الرحمانيه!

وعليه: فإن ولادتها الميمونه السعيده تكون في شهر جمادى الآخره وهو ما اشتهر في ميلادها ومطابقاً لما نصت عليه الروايات الوارده عن العتره النبويه صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: ٢٢٤

١- المصنف لابن أبي شيبه الكوفي: ج ٢، ص ٣٩٥، في ليله القدر، ح ١١؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ٨، ص ٦٣٣، ليله القدر، ح ٢٤٤٨٦؛ تفسير الثعلبي: ج ١٠، ص ٢٥٢؛ مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ص ٤٦٧، ح (٨٦٦٩) ٤.

ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام

هذا الحديث يحمل دليلاً آخر لما قدمناه في الجزء الأول من هذا الكتاب الذى بحثنا فيه حياه أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلنا: إن حقيقه أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم ثلاثة فقط ، ولدان وهما القاسم وعبد الله وقد ولدا وماتا في الإسلام وفيهما قال: العاص بن وائل السهمي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعوه فإنه مات ولده فهو أبتى، فأنزل الله تعالى فيه:

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ١ .

وبنت واحده هى فاطمه صلوات الله عليها والحديث واضح وضوح الشمس أن الله منّ على نبيه الأعظم بفاطمه بعدهما، فكانت كوثر ذريته وأولاده وهو قوله تعالى:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ٢ .

إذن: دلت هذه الأحاديث على مجموعه من الحقائق وهى كالاتى:

١ - أن خلق فاطمه من ثمار الجنه هى حقيقه نصت عليها الأحاديث الشريفه الوارده عن العتره النبويه، وقد كانت على مرحلتين، الأولى فى السماء فى رحله الإسراء والمعراج، والثانيه فى الأرض بعد نزول الأمر الإلهي للنبي بالاعتزال أربعين يوماً.

٢ - أن الليله التى خلقت فيها بضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد

رافقتها تشریفات خاصه من نزول الملائكه المقربين إلى الأرض وإطعام النبی صلی الله علیه وآله وسلم بطعام الجنة فضلاً عن تحديد الزمن الذى كانت فيه هذه الانتقاله وهى الليله الرابعه والعشرون من شهر رمضان وأنها ليله الجمععه وهذا كله يكشف جانباً من منزله فاطمه الزهراء عليها السلام عند الله تعالى وما اختاره الله تعالى لحفظ شريعته وحججه على خلقه وهم أولاد فاطمه عليها السلام.

المبحث الثالث: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام ؟

اشاره

عن حماد بن عيسى، عن زرعه بن محمد، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام؟ فقال عليه السلام:

«نعم، إنَّ خديجه عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرتها نسوه مكه فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأه تدخل عليها فاستوحشت خديجه لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله وسلم فلما حملت بفاطمه كانت فاطمه عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجه تحدث فاطمه عليها السلام فقال لها:

يا خديجه من تحدّثين؟.

قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدّثنى ويؤنسنى.

قال: يا خديجه هذا جبرئيل يبشرنى أنها أنثى، وأنها النسله الطاهره الميمونه وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلى منها وسيجعل من نسلها أئمه ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه»(١).

مسائل البحث فى الحديث:

المسأله الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهى فى بطنها

إن من السنن التى سننها الله عز وجل فى هذا الكون أن جعل آيات وعلامات ومعجزات ترافق سيره رسله وأنبيائه وأوليائه، وكلما عظمت منزله الرسول أو النبى أو الولى وعلا شأنه ودنا قربه وأكرم محله كلما كانت هذه الآيات والدلائل والمعجزات التى ترافقه أعظم وأكبر وأدل وآثر وأبلغ تأثيراً فى العقل البشرى، قال عز وجل:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ٢ .

ولذلك نجد أن انشقاق القمر هو أعظم من فلق البحر، وأن القرآن أكبر وأدل وأبلغ من التوراه والإنجيل والزبور، وأن مما خص به خاتم النبیین هى فاطمه أم الأئمه الهداه الميامین وكان مما خص به الأئمه أنهم: (محدثون) وقد سأل زرارہ بن أعین الإمام الباقر عليه السلام: «من الرسول؟ ومن النبى؟ ومن

ص: ٢٢٧

١- أمالى الصدوق: ص، البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٢.

المحدث؟ قال عليه السلام:

الرسول: يأتيه جبرائيل فيكلمه قبلاً- فيراه كما يرى الرجل صاحبه الذي يكلمه، فهذا الرسول، والنبى: الذى يؤتى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السبات إذ أتاه جبرئيل هكذا النبى.

ومنهم من تجمع له الرساله والنبوه، وكان رسول الله رسولاً نبياً يأتيه جبرائيل قبلاً فيكلمه ويراه ويأتيه فى النوم، والنبى الذى يسمع كلام الملك حتى يعاينه فيحدثه، أما المحدث فهو الذى يسمع ولا يعاين ولا يؤتى فى المنام^(١).

وهذا الأمر هو من خواص عتره النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فالأئمه عليهم السلام كلهم «محدث»، جاء ذلك عن الإمام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام، وقد سمعه سليم بن قيس، يقول:

«إنى وأوصيائى من ولدى مهديون كلنا محدثون.

فقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال:

الحسن والحسين ثم ابنى على بن الحسين عليهم الصلاة والسلام.

قال: وعلى يومئذ رضيع ثم ثمانية من بعده واحداً بعد واحد هم الذين أقسم الله بهم فقال:

(وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ) ٢ .

ص: ٢٢٨

١- بصائر الدرجات للصفار: ص ٣٩٣، ط منشورات الأعلمى، ايران؛ البحار: ج ٢٦، ص ٨٠.

أما الوالد فرسول الله وأما ما ولد يعنى هؤلاء الأوصياء»(١).

أما بخصوص فاطمه عليها السلام فإنها كانت «محدّثة» وهو أحد أسمائها فهي تُحدّثها الملائكة وهو غير الوحي ولا يسمى بهذه التسمية وهو ما عليه أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد في شرح عقائد الصدوق رضى الله تعالى عنهما: هل الوحي هو الكلام الخفى؟، ثم قد يطلق على كل شىء قصد به إلى إفهام المخاطب على الستر له عن غيره والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل صلى الله عليهم خاصة دون سواهم على عرف الإسلام وشريعته النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) ٢.

فاتفق أهل الإسلام على أن الوحي كان رؤيا مناماً وكلاماً سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص، وقال تعالى:

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) ٣.

يريد به الإلهام الخفى إذ كان خالصاً لمن أفردته دون ما سواه، فكان علمه حاصلًا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره.

ص: ٢٢٩

١- بصائر الدرجات: ص ٣٩٢؛ البحار: ج ٢٦، ص ٧٩.

وساق رحمه الله الكلام إلى أن قال: وقد يُرى الله في منامه (١) خلقاً كثيراً ما يصح تأويله ويثبت حقه لكنه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي ولا يقال في هذا الوقت لمن أطلعه الله على علم شيء: إنه يوحى إليه، وعندنا إن الله يُسمع الحجج بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً يلقيه إليهم في علم ما يكون، لكنه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدمناه من إجماع المسلمين.

على أنه لا وحي لأحد بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لا يقال في شيء مما ذكرناه: إنه وحي إلى أحد، والله تعالى أن يبيح إطلاق الكلام أحياناً ويحظره أحياناً، ويمنع السمات بشيء حيناً ويطلقها حيناً، فأما المعاني فإنها لا تتغير عن حقائقها على ما قدمناه (٢).

فإذن اعتقادنا في عتره الهادي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أن الله يُسمع الأئمة عليهم السلام كلاماً إليهم بواسطة الملائكة عليهم السلام وهو لا يسمى وحيّاً، لأنه لا يوحى لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام فأما النبوه فلا» (٣).

وقال المجلسي رحمه الله في بيان الحديث: «أى إنما يجب عليكم أن تقوموا عندنا وتعكفوا على أبوابنا والكون معنا - أى الكينونه معهم - لاستعلام الحلال

ص: ٢٣٠

١- العبارة وردت كذا في المصدر، والصحيح: وقد يُرى الله خلقاً كثيراً في منامه لكي يعود الضمير في (منامه) على (خلقاً).

٢- تصحيح الاعتقاد: ص ٥٦ و ٥٧؛ البحار: ج ٢٦، ص ٨٣-٨٤.

٣- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٦٨؛ البحار للمجلسي: ج ٢٦، ص ٨٣.

والحرام لا أن تقولوا بنبوتنا، وإنما لكم أن تفقوا علينا في إثبات علم الحلال والحرام وإنا نواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ذلك لكم ولا تتجاوزوا بنا إلى إثبات النبوه»(١).

ومن هنا فإن تسميه فاطمه عليها السلام بـ «المحدّثه» هو لسماها حديث الملائكه وهي تحدّثها، وحالها كحال مريم بنت عمران عليها السلام قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٢)﴾.

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام هذا المعنى فقال:

«إنما سميت فاطمه محدّثه لأن الملائكه كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمه إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمه اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها فقالت لهم ذات ليله: أليست المفضله على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيده نساء عالمها وإن الله عز وجل جعلك سيده نساء عالمك وعالمها وسيده نساء الأولين والآخرين»(٢).

ص: ٢٣١

١- البحار للمجلسي: ج ٢٦، ص ٨٣.

٢- علل الشرايع: ج ١، ص ١٨٢؛ البحار: ج ١٤، ص ٢٠٦، من طريق: محمد بن الحسن

وفى حديث آخر: عن الحسن بن على بن أبى حمزه، عن أبىه، عن سعد ابن جبير، عن ابن عباس فى حديث طويل فى: (فضائل على وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام) رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فى فاطمه عليها السلام وما يصيبها من الظلم بعده:

«ثم ترى ذليله بعد أن كانت فى أيام أبيها عزيزه، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى بالملائكة، فتناديها بما نادى به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمه إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمه اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ثم يبتدئ بها الوجع فتمرض.....»(١).

ولم يقتصر الأمر على مريم فقط فقد حدثت الملائكة زوجه إبراهيم الخليل عليه السلام وهو قوله تعالى:

(وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ٢.

فإذن: فاطمه عليها السلام: (محدّثه) بفتح الحاء والذال وتشديدها، وهى: «محدّثه» بفتح الحاء وكسر الدال، أى هى التى كانت تحدث أمها خديجه عليها السلام وهى فى بطنها كما جاء فى الحديث.

ص: ٢٣٢

١- أمالى الصدوق: ص ١٧٧؛ البحار: ج ١٤، ص ٢٠٥، برقم ٢٢.

وهذا الأمر هو أحد معجزاتها عليها السلام، وحاله كحال عيسى عليه السلام وحديثه مع أمه بعد الولاده قبل أن يكلم أحداً من قومه وهو قوله تعالى:

(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) ١ .

فإن قيل: إن هذا من مصاديق نبوته عليه السلام ودعوه أمه إلى التصديق به؟! فما بال فاطمه عليها السلام؟!.

قلنا: إن مريم كانت تؤمن به نبياً قبل نطقه بل قبل ميلاده وهو قوله تعالى:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ) ٢ .

أما كون ذلك من مصاديق نبوته، فإن نطقه ابتداءً كان مع أمه مريم حينما أخبرها بهز النخلة كما دل عليه قوله تعالى:

(وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) ٣ .

والحكمة فيه لتسليتها وذهاب حزنها ولإطعامها، ولذا فهي لم تكن بحاجة إلى نطقه حججاً ودليلاً على تصديقها بنبوته وقد أخبرتها الملائكة بأنه يكلم

الناس فى المهد، فضلاً عن أن الله تعالى قد أنطق طفلاً فى مهده ولم يكن من النبين كما فى قصة نبى الله يوسف عليه السلام فى قوله تعالى:

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) ١ .

فالشاهد كان طفلاً فى المهد بل إن الناطقين فى المهد أربعة هم: (شاهد يوسف، وابن ماشطه بنت فرعون، وعيسى بن مريم، وصاحب جريج الراهب) (١).

أما اعتراض الفخر الرازى على هذا القول، وذهابه إلى أن شاهد يوسف عليه السلام كان ابن عم للمرأة، وكان رجلاً حكيماً واتفق فى ذلك الوقت إنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليه فقال: قد سمعنا الجلبه من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندرى أيكما قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادق والرجل كاذب... الخ» وإن هذا القول أولى من القول الأول لوجوه منها:

(إنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبه كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من البراهين القاطعه القاهره، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر دليل ظنى ضعيف والعدول عن الحججه القاطعه حال حضورها وحصولها إلى الدلاله الظنيه لا يجوز) (٢).

ص: ٢٣٤

١- التفسير الكبير للفخر الرازى: ج ٩، ص ١٢٦، ط دار الفكر، عن ابن عباس رضى الله عنه.

٢- تفسير الفخر الرازى: ج ٩، ص ١٢٦، ط دار الفكر.

قلنا:

وإن كان هذا الكلام صحيحاً أعني: «لا يجوز العدول عن الحجج القاطعه عند حصولها وحضورها إلى الدلاله الظنيه» إلا أن هذه الحجج لا يمكن عدّها قاطعه لمجرد نطق الصبي قائلًا: (إنها كاذبه وهو صادق) لأن الاكتفاء بهذا اللفظ لا يحقق حججه القطع، فما أهون أن يتهم يوسف عليه السلام بالسحر! فتقول عندئذ المرأه إنه سحر الطفل فأنطقه بسحره، فلا حجه أصلاً لنجاته ولا برهان لصدقه، كما اتهم فرعون موسى بالسحر وأنه كبير السحره.

ومن هنا تظهر حكمه الله عز وجل في إعطاء الدليل العقلي والقطعي لزوج المرأه بحيث لا يقبل الشك بالتحقق من جهة قدّ القميص، وإن هذا الدليل صادر من فم الطفل في المهد فهذا أعمق في الدلاله وأبلغ في الحججه وأمضى في القطع، لأن الأمر متعلق بعفه يوسف عليه السلام وإخلاصه وهو أعظم شىء يمتلكه الإنسان وبخاصه الدعاه إلى الله عز وجل، ولأن الأنبياء عليهم السلام أقصى ما اتهموا به السحر والجنون لكن لم يتهموا بعفتهم فهم أعم الخلق ومن هنا يظهر خطر المسأله وعظمتها، فكان نطق الصبي والدليل الذى تفوه به قد حقق حججه القطع عند الملك بعفه يوسف عليه السلام.

فإن قيل: إن هذا الكلام يرد فيه إشكالٌ وهو: أن يوسف عليه السلام فى هذه الحادثه لم يبعث نبياً بعد والمعجز تحصل بعد بعث الأنبياء عليهم السلام!؟

قلنا: إن الإشكال مرفوع بأمرين:

ص: ٢٣٥

١ - إن من لطيف حكمه الله عز وجل أن جعل دلائل كثيره تراقف الأنبياء عليهم السلام قبل بعثهم ليسهل على الناس التصديق بهم والاهتداء إليهم واتباعهم، كتظليل الغمامه للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عند خروجه إلى الشام (١) ، والاستسقاء به وغيرها من الآيات الربانيه.

وكموسى عليه السلام وسقيه بنات شعيب عليه السلام، وقد شاهد الناس قوته الخارقه أو إلقائه فى البحر وعودته إلى أمه لترضعه، ونطق الصبى فى المههد ليوسف، أو خروجه من البئر سالمًا وغيرها من الدلائل والظواهر التى تراقف سيره الأنبياء والرسل قبل بعثهم.

٢ - قد نص القرآن الكريم على أن المتكلم هو صبى فى المههد وليس رجلاً حكيمًا ابن عم لها، كما ذهب إليه الفخر الرازى. وهو قوله تعالى:

(ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسُجُنَّةً حَتَّى حِينٍ) ٢ .

فلا- يقال لكلام رجل حكيم بأنه آيه من آيات الله عز وجل، وإنما يقال ذلك: عندما يحصل أمر خارق للعادة ومخالف لقوانين الطبيعه، أو هو مما يعجز عنه البشر، ففى هذه الأمور وعند حدوثها يقال لها: آيه من آيات الله عز وجل، كما هو الحال فى نطق الصبى وهو فى المههد.

ومن هنا:

ص: ٢٣٦

١- سيره ابن هشام: ج ١، ص ١٩٢، ط دار القلم.

فإن ما ورد في الحديث من أن: «فاطمه كانت تحدث أمها خديجه وهي في بطنها فتصبرها وتؤنسها).

هو: آيه من آيات الله عز وجل التي يظهرها لأوليائه، ومما لا شك فيه أن أم المؤمنين خديجه عليها السلام هي من أولياء الله عز وجل، ومما لا شك فيه أن فاطمه أكرم عند الله من ابن ما شاطه بنت فرعون أو الشاهد الذي شهد ليوسف عليه السلام وهو في المهدي، وهي بضعه أشرف خلق الله وسيدة نساء العالمين التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها.

ومن كانت بهذه المنزله فما أهون على الله تعالى أن ينطقها وهي في بطن خديجه عليها السلام، أو أن تحدثها الملائكه كما كانت تحدث مريم بنت عمران عليها السلام.

المسأله الثانيه: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا خديجه هذا جبرائيل يبشرنى أنها أنثى، وأنها النسله الطاهره الميمونه، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلى منها، وسيجعل من نسلها أئمه ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه».

هذه الكلمات كانت من قبل جبرائيل عليه السلام وهي مما بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءت هذه الكلمات لتبين صفات هذه المولوده وتظهر خصائصها.

وهو النهج الذى جاء به القرآن الكريم فى تبشير الأنبياء السابقين بمن يأتى من بعدهم وبخاصه عندما يتعلق الأمر بدعوه نبيّ ، أو يكون النبي المبشر به هو من نسل نبي أيضاً، وهذه البشارات إنما بدأت من إبراهيم الخليل كما يعرضها القرآن الكريم، وهو من لطائف الحكمة الإلهيه التى خصت إبراهيم عليه السلام بهذا النهج وابتدأت به وما ذاك إلا- للإعلان عن البشري الكبرى والرحمه العظمى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرآنه وعترته، وهما الثقلان اللذان أوصى بهما هذه الامه المرحومه به صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا فإن البشري بدأت ببيت إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى (١) .

هذه البشري كانت بامتداد النبوه من إبراهيم وجعلها فى نسله وصولاً إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت البشاره تحمل معها أيضاً صفات هذا الغلام ولم تقتصر على غلام فقط وإن كان مجيئه بعد بلوغ سن الشيخوخه هو نعمه كبيره فكيف إذا كان يحمل صفات عظيمه.

قال تعالى:

(قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَن (٥٤) قَالُوا بِشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَا لَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٢) .

ص: ٢٣٨

وفى آيه أخرى أضيفت صفه أخرى إلى هذا الغلام غير العلم وهى أنه: (حليم):

(فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) ١ .

فيكون هذا الغلام يحمل العلم والحلم، ثم ينتقل القرآن ليعطى صورته أخرى عن هذه البشرى ووصولها إلى أم هذا الغلام، وهى زوجه إبراهيم وسماعها للبشرى كان للأسباب التاليه:

١ - رعايه لحق الأمومه، فالأم هى بحاجه أيضاً إلى سماع البشرى بحصول الحمل.

٢ - سماعها حديث الملائكه مع إبراهيم عليه السلام يكشف عن منزلتها عند الله عز وجل وإن هذه المنزله محفوظه ولأجلها كشف لها عن السمع فسمعت حوارهم وحديثهم، ثم هى تعلم أنهم رسل الله عز وجل؛ لأنها لاحظت عليهم كما لاحظ زوجها إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى الطعام، فلهذه المنزله بشرت.

٣ - لإخلاصها لزوجها وقيامها على خدمته والعنايه به ورعايته، على الرغم من كبر سنها فهى أيضاً قد مستها الشيخوخه.

فضلا عن ذلك فإن من اللطائف الإلهيه أن الملائكه اكتفت بذكر البشاره بمجىء الغلام فقط دون أن تذكر لها صفاته، واللفظ الإلهى فى ذلك يكشف عن حبها الكبير فى أن ترى طفلاً ينمو فى أحشائها ويربى فى حجرها، أى إنها

كانت فى عطش كبير لسد حاجه الأمومه التى شعرت لسنين طوال أنها قد فقدتها وإلى الأبد، لكن رحمه الله تعالى أدركتها فبشرتها بإمداد هذا النسل، وأن الله سيجعل من ولدها هذا نبياً وهو يعقوب عليه السلام.

ثم تبين الملائكة: أن ذلك كله من رحمه الله وبركاته على أهل البيت.

قال تعالى:

(وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) ١.

ثم يستمر القرآن بالبشرى فبشر إبراهيم عليه السلام بمولود آخر وهو من الأنبياء أيضاً:

(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) ٢.

ثم تنتقل البشرى من إبراهيم عليه السلام إلى زكريا:

(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) ٣.

ص: ٢٤٠

وهذا النبي يحمل صفات عده بُشِّرَ بها زكريا عليه السلام ومن بين هذه الصفات أنه مصدقٌ بالنبي الذي يعاصره وهو عيسى عليه السلام:

(أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا) ١ .

فكانت أول هذه الصفات:

«التصديق بكلمه من الله» وهكذا إلى مريم عليها السلام وتبشيرها بعيسى:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ٢ .

وعيسى يبشر بخاتمه البشارات وأصل ظهورها والعله فى تنقلها فيقول عز وجل فى كتابه الكريم عن تبشير عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

(وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) ٣ .

بشرى المسيح أنت عنوان دعوته وقبله كل هادٍ صادق القدم (١)

حتى إذا بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن البشرى كانت فى أمرين:

ص: ٢٤١

١- أنوار الربيع لابن معصوم: ج ٤، ص ٣٣٣، والبيت للشيخ عز الدين الموصلى.

الأمر الأول: هو القرآن الكريم:

(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١).

وقوله تعالى:

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٢).

والأمر الثانى: هو عترته صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته الذين قال الله فيهم:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ٣.

ثم أعلن النبى صلى الله عليه وآله وسلم للامه عظمها وخطرها وأنها نجاه المسلمين فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى وقد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»(١).

ص: ٢٤٢

١- تناقلت صحاح المسلمين ومسانيدهم ومستدركاتهم حديث الثقلين بطرق عدة وأسانيد جمه

وعدم افتراق أهل البيت عن القرآن حجه قاطعه في عصمتهم التي هي عدل عصمه القرآن.

ومن هنا يظهر معنى بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بفاطمه عليها السلام.

ومن هنا ندرك معنى صفاتها التي أعلنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمة المؤمنين خديجه عليها السلام، وهو نفس البشاره التي جاء بها القرآن الكريم في ذكره للبشاره بولاده الأنبياء عليهم السلام وبيان صفاتهم.

ونحن لا- نقول: إن فاطمه عليها السلام من الأنبياء، إلا أنها البضعة النبويه التي جعل الله نسل النبي المصطفى منها، وجعل من نسلها أئمة هداة مهديين خلفاء الله في أرضه بعد انقضاء وحيه.

ثم ذكر صلى الله عليه وآله وسلم بعض صفاتها وهي:

«التَّسْمَهُ، الطَّاهِرَهُ، المِيمُونَهُ».

فهذه صفات ثلاث ذكرها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وكل صفه لها معنًى خاصٌّ بها.

فأما معنًى: (التَّسْمَهُ)، فهي الروح أو النفس (١)، فإذا أريد بها (الروح)

ص: ٢٤٣

١- لسان العرب لابن منظور: ج ١٤، ص ١٣٠، مادة: نسَم.

فإن فيه معاني جمّة، ودلائل عظيمه، منها: (الحياه) فإن كل شيء لا روح فيه فلا حياه له، أو فيه؛ وهو إما جماد، وإما ممات.

والحياه هنا: هي حياه ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بوصفها الأصل في نمو ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها كان ظهور الأئمه؛ لأنها أهمهم جميعاً عليهم الصلاه والسلام الذين أحيا الله بهم الدين.

وأما إذا أريد به: (النفس).

ففاطمه عليها الصلاه والسلام هي: (النفس المطمئنه)^(١)، ويمكن الاستدلال على ذلك بأمر:

١ - قد ورد في الحديث في ذكر أسمائها عليها السلام أنها (الراضيه، المرضيه)^(٢).

٢ - الاطمئنان أصله الإيمان ومقره القلب، حتى إنه ارتبط به ارتباطاً وثيقاً.

ص: ٢٤٤

١- وهو قوله تعالى في سوره الفجر، الآيتان: ٢٧ و ٢٨ (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً...).

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١٣٣، ط مطبعه الحيدريه، النجف؛ الأمالى للصدوق: ص ٢٥٠، مؤسسه البعثه؛ عيون أخبار الرضا للصدوق: ج ١، ص ٣٠، مؤسسه الأعلمی بیروت؛ البحار للمجلسی: ج ٨، ص ١٧٨؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٩، ص ٢٨٢، ط مؤسسه إسماعيلیان؛ ينابيع الموده للقندوزی: ج ١، ص ٤١٠ وج ٢، ص ١٧٩، ط دار الأسوه.

قال تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) ١ .

فقدم الإيمان على الاطمئنان لأنه الأصل، ولولاه لم يحدث الاطمئنان.

وبالإيمان يثبت القلب أى يكون مستقراً فلا تؤثر فيه الكروب النازله أو الحوادث المكرهه.

قال تعالى:

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ) ٢ .

ومن هنا فإن من كان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها(١)، كانت كل ذره فى ذاتها وكيانها تنطق إيماناً وتشع اطمئناناً.

وعليه: فإنها عليها السلام كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (التَّسْمَهُ) أى: (النفس المطمئنه).

ولا تعارض فى أن يكون هذا حال الأئمه عليهم السلام لكونهم حجج الله على خلقه وأمناءه على شرعه.

ص: ٢٤٥

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٥٣-١٥٤؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ٢٢، ص ٤٠١، برقم (١٠٠١)؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٥٦-٥٧ ط دار الجبل؛ الثغور الباسمه للسيوطى: ص ٣٠، برقم ٤٢؛ وقال: إسناده حسن مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٠٣، وقال: إسناده حسن؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٧، ص ١٢٢٤.

وبعد أن حملت الصديقه الطاهره، أم المؤمنين خديجه الكبرى سلام الله عليها بالنطفه الزكيه النورانيه المحمديه ونمت فاطمه سلام الله عليها فى أحشاء خديجه تسعه أشهر إلا أربعة أيام؛ إذ إنَّ ليله انعقاد النطفه النبويه كانت ليله الرابع والعشرين من رمضان المبارك، وها هو اليوم العشرون من جمادى الآخره وفيه بدت آلام المخاض على أم المؤمنين خديجه عليها السلام:

«وحانت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبنى هاشم أن تعالين لتلين منى ما تلى النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلى قولنا وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب فقيراً لا مال له فلسنا نجىء ولا نلى من أمرك شيئاً فاغتمت خديجه عليها السلام لذلك.

فبينما هى كذلك إذ دخل عليها أربع نسوه سمر طوال كأنهن من نساء بنى هاشم ففزعت منهنَّ لما رأتهنَّ فقالت إحداهنَّ : لا تحزنى يا خديجه فإننا رسل ربك إليك ونحن أخواتك»!؟

أنا ساره، وهذه آسيه بنت مزاحم، وهى رفيقتك فى الجنه، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلى منك ما تلى النساء من النساء، فجلست واحده عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثه بين يديها، والرابعه من خلفها، فوضعت فاطمه عليها السلام طاهره مطهره.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها التور حتى دخل بيوت مكه ولم يبق فى شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور.

ودخل عشر من الحور العين كل واحد منهن معها طشت من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفتها بواحد، وقنعتها بالثانيه.

ثم استنطقتها فنطقت فاطمه عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبى رسول الله وأن بعلى سيد الأوصياء وولدى سادة الأسباط .

ثم سلمت عليهن وسمت كل واحد منهن باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولاده فاطمه عليها السلام، وحدث فى السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك.

وقالت النسوة: خذيها يا خديجه، طاهره، مطهره، زكيه، ميمونه، بورك فيها وفى نسلها، فتناولتها فرحه مستبشره والقمتها ثديها فدر عليها، فكانت فاطمه عليها السلام تنمى فى اليوم كما ينمو الصبى فى الشهر وتنمى فى الشهر كما ينمو الصبى فى السنه(1).

دلالات البحث فى الحديث:

بعد أن تناولنا الأحاديث السابقه وبيننا بعض دلالات البحث فيها والتي بدا بعضها موسعاً بسبب أهميتها فإنى وجدت أن أشير إلى بقيه الدلالات فى الأحاديث القادمه على نحو الاختصار معتمداً على ذكر الإشاره فى البعض منها، ومحاولاً عدم الإطاله فيها إلا ما ألزمتنى الضروره فى ذلك من قبيل

ص: ٢٤٧

١- أمالى الصدوق: ص ٦٩، ط مؤسسه البعثه، البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٢، ح ١.

المسؤولية الشرعية في بيان حقائق الأحداث أو لتكامل حلقات البحث بحيث لا يمكن ترك بعضها لأنه يسبب حدوث فراغ ذهني أو حلقة مفقوده.

المسألة الأولى: الحكمة في ذكر الرفقة لآسيا مع خديجه في الجنة

(لماذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام الرفقة لآسيه مع خديجه في الجنة ولم يذكرها لبقية النساء وهنَّ جميعاً في الجنة)؟!

الوجه الأول في ذلك: أن آسيه بنت مزاحم كانت قد سألت الله أن يبنى لها بيتاً في الجنة:

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١ .

إن خديجه بنت خويلد سلام الله عليها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (١).

كما أن البيت الذي سألت الله آسيه أن يبنيه لها هو بجوار بيت خديجه، وبهذا تكون رفيقه لخديجه في الجنة.

ص: ٢٤٨

١- البحار للمجلسي: ج ١٦، ص ٨ ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ صحيح البخارى: ج ٤، ص ٢٣١، ط دار الفكر - بيروت؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٢٤، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٧، ص ٣٠٢، ط دار الكتب العلميه بيروت؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٣٨، ط دار الكتب العربى - بيروت؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠١، ط دار الكتب العلميه - بيروت.

الوجه الثاني: هو أن آسيا بنت مزاحم كانت بسبب إخفائها إيمانها تتعبد بمنهج الاعتزال من قومها، بل حتى مع أقرب الناس إليها بما تفرضه الحياه الزوجيه عليها من اختلاط وتقارب إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعتزل هذه الدنيا، وكذا كان حال خديجه عليها السلام فقد اعتزلت الحياه الدنيا والتجأت إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عما فرضه المشركون رجالاً ونساءً من حصار وعزله على خديجه كما أظهره الحديث.

المسأله الثانيه: ما هي العلاقه بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتي دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟

(لماذا كان دخول النساء على خديجه عليها السلام بصفه نساء بنى هاشم، وهل له علاقه بفاطمه عليها السلام)؟!

إن لدخول النساء الأربع اللاتي جاء ذكرهنّ وتعريفهنّ في الحديث الشريف للإمام الصادق عليه السلام بصفه نساء بنى هاشم له عده أوجه، منها:

١ - لأفضليه بنى هاشم وشرافتهم على سائر قبائل العرب، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانه، واصطفى من قريش بنى هاشم»(١).

ص: ٢٤٩

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن وائله بن الأسقع: ج ٧، ص ٥٩، باب: في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - من الطبيعي أن امتناع نساء قريش عن المجيء إلى خديجه عليها السلام، ترك في نفسها الحزن والشعور بالوحشه، وأن دخول النساء عليها وهنّ على غير الهيئه والصفه التي لنساء قريش وبخاصه بنى هاشم يزيد في فزعها عند رؤيتها مما يؤدي إلى التسبب في زياده آلامها وهي في وضع لا يسمح أن تضطرب فيه نفسيتها.

بل بحاجه إلى السكينه والطمأنينه لتسهيل الولاده، فدخولهنّ عليها بهيأه نساء بنى هاشم كان خوفاً عليها وعلى مولودها النبوى الفاطمى صلوات الله عليها.

٣ - من المفروض أن يستجيب الأقرباء إلى تلبيه نداء المحتاج للمعونه من أقربائه وخديجه هي أقرب الناس إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ إنها تتصل معه بالجد الرابع وهو قصى بن كلاب فبنو هاشم هم أولى برعايه خديجه عليها السلام وهي في حال كهكذا من المخاض.

وهذا يكشف عن الرعايه الإلهيه واللفظ الرحمانى بخديجه كى تشعر بأن أهلها معها.

المسأله الثالثه: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه عند ولادتها؟

(ما المقصود من دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور)؟!

ص: ٢٥٠

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: هو إشارته إلى دخول الإسلام إلى جميع بيوت مكة وهذا معنى عام، ولكونها عليها السلام شجره الإمامه.

الوجه الآخر: وهو الأقرب إلى القصد، فإن نورها الذى ملأ الشرق والغرب وأشرق فى جميع مواضع الدنيا هو ولدها الإمام المهدي عجل الله فرجه.

«الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»(١).

وهذا الامتلاء لا يتحقق معناه إلا بوصول العدل الإسلامى المحمدى العلوى الفاطمى إلى كل ذره فى الأرض، كما وصل نور فاطمه عليها السلام وأشرق فى كل موضع فى شرق الأرض وغربها.

المسألة الرابعة: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين

هذا الأمر من خواص المعصومين عليهم السلام، وهو أحد الدلائل التى تدل على اختصاصهم بالعصمه الإلهيه، والاصطفاء الربانى.

إذ إن المعصوم عليه السلام يبين بعد ذكره الشهادتين المهمه المكلف بها والدور الذى اختاره الله له، والأمر الموكل إليه، وشاهده من الكتاب الحكيم عن ولاده نبى الله عيسى عليه السلام:

ص: ٢٥١

١- وهو حديث نبوى، أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ج ١٥، ص ٢٥٣؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤، ص ١٦١؛ أنظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٣١٦، (يملاً الأرض عدلاً وقسطاً).

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) ١ .

بعد ذلك يَبِّن عليه السلام الأمر الإلهي الذي كلف به:

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ٢ .

ولذلك:

فإن الزهراء فاطمه عليها السلام بعد أن ذكرت الشهادتين، ذكرت الولاية لعلى بن أبي طالب وبأنه سيد الأوصياء وأن ولديها سادة الأسباب ، ومن هذا الكلام تظهر عليها السلام الجعل الإلهي لها فقد جعلها الله تعالى: (زوجه سيد الأوصياء) و (أم سادة الأسباب).

ثم قامت عليها السلام، بالسلام على جميع من حضرن للتشريف بولادتها وتسميتهن بأسمائهن لأنها عليها الصلاة والسلام سيدتهن ، فهي: (سيده نساء العالمين)^(١) والخور من نساء العالمين.

ص: ٢٥٢

١- أخرجه الحاكم في المستدرک: ج ٣، ص ١٥٦، ط دار المعرفه - بيروت؛ والديلمي في مسند الفردوس: ج ٣، ص ١٤٥، حديث ٤٣٨٨، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ١١٠، حديث ٢٤٢٣٢؛ الجمع بين رجال الصحيحين للعتسراني: ج ٢، ص ٦١١، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٥٦، ط دار الجيل - بيروت؛ الجامع من المقدمات لابن رشد: ص ٦٦، ط دار العرفان؛ وسوف نورد المزيد من المصادر في باب: (منزله فاطمه في السنه النبويه).

إنّ الموضع الذى ولدت فيه فاطمه عليها السلام يعدّ من المواضع التى يتقرب بها المؤمنون إلى الله عز وجل، ومنها يتوجهون إليه بالدعاء لقضاء حوائجهم، وقد دلت النصوص التاريخيه وواقع حال المسلمين فى زيارتهم للأماكن المقدسه فى مكه المكرمه وما عليه فقهاؤهم قبل مجيء الوهابيين إلى الحكم هو أن دار أم المؤمنين خديجه سلام الله عليها وهو البيت الذى ولدت فيه فاطمه عليها السلام كان من الدور المخصوصه للعباده ويقصدها الناس بالزياره(١).

وكيف لا- وهى بيت النبى الذى تزوج فيها وعاش أكثر من أربع وعشرين سنه حتى هاجر عنها إلى المدينه وفيها رُبِيَتْ الزهراء وفيها زغب جبرائيل وعرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيها مهبط الملائكه ومحل عروجهم وبين جوانبها نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعبده وموضع تهجده.

فجميع هذا وغيره هو مما حظى به دار خديجه أم المؤمنين سلام الله عليها، حتى عرف اليوم بموضع مولد فاطمه صلوات الله عليها؛ لعظم هذا التشريف، ولخصوصيه ولاده البضعه النبويه والشجنه المحمديه.

وعليه؛ فإن فاطمه الزهراء قد ولدت فى بيت أمها الصديقه الطاهره حبيبه رسول رب العالمين وأم أولاده، فكان هذا الدار أحد المواضع المكرمه والمشرفه بالعباده والزياره والتوسل إلى الله تعالى.

ص: ٢٥٣

١- شفاء الغرام للحافظ أبى الطيب الفاسى: ج ١، ص ٢٧٢، ط دار الكتب العلميه.

إن السبب الذي دفعني لإفراد بحث مستقل في رضاع فاطمه سلام الله عليها كان لارتباطه بالسيدة خديجه عليها السلام فضلاً عن أهميه حجر الأمومه وأثره الكبير في بناء شخصيه الإنسان؛ إذ إن لبن الأم له تأثيرات بايولوجيه وأخرى سايكولوجيه.

فالأم التي تغذى وليدها بلبنها لا تنمى فيه الجانب التكويني الخلقى فقط بل هي تنمى فيه الجانب الخلقى أيضاً فتورثه من صفاتها الأخلاقية الكثير من دون أن تشعر بذلك أو تريد، وهو ما أشار إليه حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص فقال:

«ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركه عليه من لبن أمه»^(١).

وقال عليه السلام:

«لا ترضعوا أولادكم عند المرأة الحمقاء فإن لبنها يعدى»^(٢).

أى إن هذا اللبن يحمل بين جزيئاته وبحسب لغه الطب الوقائي «جرثوماً»

ص: ٢٥٤

١- الكافي للكلينى: ج ٦، ص ٤٠؛ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٣، ص ٤٧٥؛ تهذيب الأحكام للطوسى: ج ٨، ص ١٠٨.

٢- تذكره الفقهاء للعلامه الحلى: ج ٢، ص ٦٢٧، ط منشورات مكتبه المرتضى؛ الحدائق الناضره للمحقق البحرانى: ج ٢٣، ص ٣٧٦، ط مؤسسه النشر التابعه لجماعه المدرسين - قم؛ البحار للمجلسى: ج ١٠٠، ص ٣٢٣، ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ وسائل الشيعه (الاسلاميه) للحر العاملى: ج ١٥، ص ١٨٨، ط دار احياء التراث العربى - بيروت.

أو «فايروساً» لكن لا- يصيب الخلايا الجسميه إنما يصيب الخلايا العقلية، أو فلنقل المسؤول عن الإدراك والوعى فى الدماغ، فيؤدى إلى نشوء طفل لا يحسن التصرف ولا يميز الأمور ولا يدرك بجديه ما يدور من حوله وبالنتيجه يتخرج من هذا الحجر الذى نما فيه وتربى عنده إنسان فاشل لا يشعر بالمسؤوليه ولا يسعى لتحقيق أى هدف.

فكيف إذا أضيف له ما يتوارث من حجر الأم خاصه فهو وفى الوقت الذى يتناول فيه اللبن فإن آذانه تسمع ما تتلفظه هذه الأم وإن جهازه السمعى الباطنى يسجل هذه الألفاظ فى ذاكره الدماغ فما إن يكبر الإنسان حتى يجد هناك أموراً كثيره تدفعه وتحرك مشاعره إما إلى الخير وإما إلى الشر، وهو ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»(١).

وعليه كيف يمكن أن يتحقق معنى التحصيل للعلوم فيما لو كان هذا الجهاز معطلاً أى الجهاز السمعى الباطنى عند الطفل والذى أسماه القرآن الكريم: (الأذن الواعيه)(٢).

ص: ٢٥٥

١- العلم والحكمه فى الكتاب والسنة لمحمد الريشهري: ص ٢٠٦، ٢٠٧، ط مؤسسه دار الحديث - قم؛ كشف الظنون لحاجى خليفه: ج ١، ص ٥١، ط دار احياء التراث العربى - بيروت، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٤، ص ١١٢، ط دار التعارف - بيروت.

٢- مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفى: ج ١، ص ١٥٨، ط مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه - قم؛ معانى الأخبار للصدوق: ج ٩، ص ٥٩، ط مؤسسه النشر

وهذه الأذن الواعية تتجلى بأكبر صورها وأعلى قدرتها عند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعند الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وقيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب سلام الله عليه خاصة (1).

وعليه:

فإن البضعة النبوية المحمّدية وكما مر علينا سابقاً كانت تسمع وترى وتجب على ما كان يدور من حولها، وهذه إحدى خصائص من اجتباهم الله عز وجل لرسالته وجعلهم تراجمه وحيه ولسان توحيده، والبدالين عليه والهادين إليه سلام الله عليهم أجمعين.

ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى الخصائص والمزايا التي يشترك بها بنو آدم معهم؛ لنبين أنها حتى من هذا الجانب فقد خصها الله بما لم يخص به أحداً من العالمين.

ص: ٢٥٦

١- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي: ج ١، ص ١٥٨، ط مجمع إحياء الثقافة الاسلاميه؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج ٣، ص ١٣٧، ط المكتبة المرتضوية؛ البحار للمجلسي: ج ٣٥، ص ٣٢٩، مؤسسه الوفاء - بيروت؛ تفسير فرات الكوفي لفرات بن إبراهيم الكوفي: ص ٤٩٩، مؤسسه الثقافة والارشاد - طهران.

ومن بين هذه الخصائص التي تشرك فيها الزهراء مع بنى آدم من جهة المثليه لهم أنها عليها السلام دخلت إلى حجر الأمومه كما دخلوا لكن حجر الأمومه الذى ربيت فيه فاطمه الزهراء ليس له مثل على وجه الأرض.

إنه حجر أم المؤمنين الصديقه الطاهره الزكيه الجليله هذه المرأه التى كانت مسكن خاتم الأنبياء، وأنس سيد المرسلين، ومأوى حبيب رب العالمين، وملجأ أشرف الخلق أجمعين.

فتأمل أيها القارئ الكريم عندما تكون الأم التى تروى طفلها وتغذيه بلبنها بهذه الصفات فكيف ينمو طفلها وأى صفات سيرتها؟!!

وعندما تكون هذه الأم مأوى ووقى لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الشكل، فكيف ستكون لفلذه كبدها وسويداء قلبها وبخاصه أنها فقدت طفلين من قبل فكيف ستحنو على هذه المولوده سلام الله عليها؟!!

ومن هنا: نفهم لماذا أبت أم المؤمنين خديجه عليها السلام أن يرضع أحد من النساء فاطمه، وتولت هى رضاعتها(1).

وهذا فيه من العناية الإلهيه الخاصه بأن جعل فاطمه تنمو فى أحشاء خديجه سلام الله عليها وترضعها وتتولى رعايتها والإشراف عليها منذ اللحظات الأولى لولادتها.

فما إن انتهت مراسم استقبالها وتغسيلها بماء الجنه ولفها بخرقه بيضاء

ص: ٢٥٧

١- طبقات ابن سعد: باب ترجمتها، السيره النبويه لابن كثير: ج ٤، ص ٦٠٨، ط دار المعرفه - بيروت.

من الجنه كما مر بيانه، فتناولتها أم المؤمنين خديجه سلام الله عليها وهي فرحه مستبشره وألقتها ثديها فدر عليها فكانت فاطمه عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنه (١).

والحكمه في ذلك هو لكي يراها الناظر وهي على هيئة المرأه الكبيره فيدرك وهو ينظر إليها تمشى وجلباها يخط الأرض أن الذي يمشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أولاً.

أما ثانياً: فلكى تُعد إعداداً خاصاً لما ينتظرها بعد وفاه خديجه سلام الله عليها من العنايه والرعايه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكى تكون قادره على خوض عمليه بناء الإسلام مع أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: إقراراً لعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يراها وهي أمامه امرأه تحاكي هيئتها من كانت في العشرين فيسعد بها وهو يراها قد بلغت مبلغ النساء فيعيد بالنظر إليها تلك اللحظات السعيده التي عاشها مع أم المؤمنين خديجه.

رابعاً: إن في ذلك حرباً على المنافقين وشوكه في عيون الكافرين وقد وصفوا النبي من قبل بالأبتر بعد أن مات ولداه فهاهى فاطمه تنمو بأسرع مما ينمو به الطفل فتملاً الدار النبوى بهجته وسروراً.

ص: ٢٥٨

١- بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٣، حديث ١، نقلاً عن الأمالى للصدوق.

إن من السنه المؤكده استحباب اختيار الاسم الجميل للمولود، بل قد ورد فى الحديث: استحباب اختيار اسم للمولود قبل ولادته (١).

ولقد كانت العرب قبل تشرفها ببعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسمى أبناءها بأسماء تكشف عن غلظه قلوبهم وحبهم للحروب، فكانت تختار ما يرمز إلى القوه والشده فذهبت إلى تسميه أبنائها بأسماء الحيوانات وبخاصه المفترسه ومنها الطيور الجارحه «كنمر، وأسد، وفهد، وصقر، وغيرها» وأيضاً ما كان يدل على الصلابه والتحدى: كصخر، وحرب، ومُره... الخ.

فلما جاء الإسلام وظهر فى مجتمع الجزيره أخذوا يسمون أبناءهم بتسميات جميله عملاً بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن» (٢).

لكن قبل ذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يباشر بتغيير أسماء كثيره كأبى بكر وكان اسمه قبل الإسلام عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه

ص: ٢٥٩

١- وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام) للحر العاملى: ج ٢١، ص ٣٨٧، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم؛ وسائل الشيعة (الإسلاميه) للحر العاملى: ج ١٥، ص ١٢١، ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج ٢١، ص ٣٣١؛ الخصائص الفاطميه للشيخ محمد باقر الكجورى: ج ٢، ص ٥٦٩، انتشارات الشريف الرضى.

٢- الآداب للبيهقى: ص ٢٩٠، ج ٦٠٤، ط دار الكتب العلميه.

وآله وسلم: (عبد الرحمن)(١) وكتغير اسم زينب بنت أم سلمه وكان اسمها بتره (بره) فسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (زينب)(٢)، وغير ذلك هم كثر.

ثم بعد ذلك أخذوا يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبنائهم فيضعونهم في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعو لهم ويبارك عليهم ويسمى البعض منهم، وفي هذا الصدد فقد سجل التاريخ حادثه جرت لأحد هؤلاء الأطفال وهو «مروان بن الحكم» فما إن أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«هو الوزغ بن الملعون بن الملعون»(٣)؟!؟

وتمر الأيام ويكبر هذا (الوزغ) وإذا به خليفه للمسلمين؟!؟

فكيف يكون حال الإسلام والحاكم الذي تسلط على رقابهم قد لعنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟! والعجيب في الأمر أنك تجد صحاح المسلمين مليئه بأحاديث هذا الملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٢٦٠

-
- ١- سيره الحلبي: ج ٢، ص ٤١٤، ط دار المعرفه - بيروت؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٦، ص ١٥٢، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ فتوح البلدان للبلاذري: ج ١، ص ١١٠، ط مكتبه النهضه المصريه - القاهره.
 - ٢- الأدب المفرد للبخاري: ص ٢٤٤؛ الآداب للبيهقي: ص ٢٩٢.
 - ٣- ينابيع الموده للقندوزي الشافعي: ج ٢، ص ٤٧٠؛ النصائح الكافيه لابن عقيل: ص ٧٦؛ مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٧٩، ط دار المعرفه؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ج ١٢، ص ٢٧٦؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ٥١٠؛ جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٩٢؛ الحدائق الناضره للمحقق البحراني: ج ٤، ص ١٩٦.

وسلم! والأعجب منه أن يصنفه البعض ضمن قائمه الصحابه ونظريه: «كلهم عدول» فأى عدلٍ هذا والرجل إنما هو «فضض من لعنه الله» أو «قصص من لعنه الله» كما صرحت بذلك عائشه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم(١).

والأمر لم يتوقف عليه فقد لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعن أباه وولده جميعاً وهو ما رواه محمد بن سوجه الشعبى عن ابن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعن الحكم وولده»(٢).

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى منامه: (بنى الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره كما تنزُّ القرده فما رُئى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجماً ضاحكاً بعد هذه الرؤيا حتى توفى)(٣).

ص: ٢٤١

١- المستدرک للحاكم النيسابورى: ج ٤، ص ٤٨١؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٨، ص ٤٤٣؛ عمدہ القارى للعينى: ج ١٩، ص ١٦٩؛ تخريج الأحاديث والآثار للزيلعى: ج ٣، ص ٢٨٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٤، ص ١٧٢؛ الدر المنثور للسيوطى: ج ٦، ص ٤١؛ فتح القدير للشوكانى؛ تفسير الآلوسى: ج ٢٦، ص ٤؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ١٢، ص ٢٧٧؛ جواهر المطالب لابن الدمشقى: ج ٢، ص ١٩٢؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ٢، ص ٤٦٩.

٢- مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٨١، ط دار المعرفه. والذهبي فى التخليص مطبوع مع المستدرک: ج ٤، ص ٤٨١.

٣- كنز العمال للهندي: ج ٦، ص ٢٩، وص ٣٩، وقال: أخرجه أحمد بن حنبل، والطبرانى؛ المستدرک للحاكم: ج ٤، ص ٤٨٠، عن أبى ذر الغفارى وواقفه الذهبى عليه فى تلخيصه.

وقد نزل جبرائيل عليه السلام بعد هذه الرؤيا بقوله تعالى:

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) ١.

وهذه الشجرة الملعونه هم: (بنو أمية) (١).

ومن ذلك نعلم كيف أن الله ابتلى الإسلام بهم وجعلهم فتنة للناس، وهنا: جاء قوله تعالى بكلمه: (الناس) ولم يقل: «المسلمين»، لأن بلاءهم وأفعالهم أهلكت النسل والحرث ولم يسلم منهم أحد لا من المسلمين ولا من غيرهم، لأنهم أشر الخلق لله تعالى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً» (٢).

ومن هذا كله يستفاد أن مجيئهم بأولادهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو لحكمه خاصه، فيها الحجج البالغة، ليعلم المسلمون أن هذا المولود وذاك إنما حقيقتهم هي بهذا الشكل الشنيع حتى يتجنبوهم ويحذروهم، لكن

ص: ٢٤٢

١- التفسير الكبير للرازي: ج ١٠، ص ٢٣٨، تفسير سورة الإسراء، ط دار الفكر - بيروت؛ تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج ٥، ص ٣٠٩، ط دار الفكر، وقال: أخرجه ابن مردويه عن عائشه أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله يقول لجدك وأبيك: إنكم الشجرة الملعونه في القرآن.

٢- المعجم الصغير للطبراني: ج ٢، ص ١٣٦؛ مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٤٨٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ٤٧٩.

هيهات هيهات فكثير من المسلمين آزرهم وناصرهم فنالوا بذلك إثم إعانته الظالمين وتحمل أوزارهم على الرغم من كشف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للامة حال مروان خاصة وبنى أميه عامه وأظهر للمسلمين حقائقهم وما سيؤول إليه أمرهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن هذا سيخالف كتاب الله وسنه نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء وبعضكم يومئذ شيعة»^(١).

فإن الله وإنا إليه راجعون.

والشيء الثاني المستفاد من تغييره صلى الله عليه وآله وسلم أسماءهم: هو أن هذه الأسماء تؤثر من الناحية النفسية على الشخص الحامل للاسم غير الجميل.

وحديث سعيد بن المسيب يكشف لنا هذه الحقيقة، فعن عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده «حزناً» قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«ما اسمك؟»

قال: اسمي حزن.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«بل أنت سهل».

ص: ٢٤٣

١- مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٥، ص ٢٤٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ١٢، ص ٣٣٦؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٧، ص ٢٤٧؛ كنز العمال: ج ١١، ص ١٦٦، برقم ٣١٠٦٠.

قال: (ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبى).

قال ابن المسيب: (فما زالت فينا الحزونية)(١).

بعد هذه الجوله التي بينا فيها أحد مناهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تغيير هذه الامه ورفع مستواها الحضارى بعد أن كانت تعصف بها رياح الجهل والظلام فأنقذها الله بأبى الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم.

نعود إلى رحاب أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسأل: من الذى سمى البضعه النبويه بفاطمه عليها السلام؟!.

والجواب على هذا السؤال نسمعه أو نقرأه من خلال هذا الحديث الوارد عن العتره النبويه: فعن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لما ولدت فاطمه عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمها: فاطمه»(٢).

أما معنى هذا الاسم فقد وردت فيه أحاديث كثيره عن العتره المحمديه عليهم السلام لا يسعنا إيرادها هنا(٣).

ص: ٢٦٤

١- الأدب المفرد للبخارى: ص ٢٥٠، حديث ٨١٤، ط دار الكتب العلميه؛ الآداب للبيهقي: ص ٢٩١، حديث ٦١٠، ط دار الكتب العلميه.

٢- علل الشرايع للصدوق: ج ١، ص ١٧٩، ط المكتبه الحيدريه، النجف؛ البحار للمجلسي: ج ٣٤، ص ١٣، حديث ٩، باب ٢.

٣- لقد قمنا بحمد الله تعالى فى كتاب موسوعه فاطمه عليها السلام البحث فى تفرعات هذا المبحث، وقد أشبعنا هذه العناوين بمزيد من الدراسه والتحقيق ونسأل الله أن نوفق لإكمالها وطباعتها.

ان من السنن المستحبه التي ترافق المولود بعد ولادته هي العقيقه.

«والعقيقه» هي: الشعر الذي يولد به الطفل لأنه يشق الجلد، فيقال لهذا الشعر «عقيقه» وجعل الزمخشري: الشعر أصلاً، والشاه المذبوحه مشتقه منه.

وعقّ الرجل عن ابنه يعقّ: أي حلق عقيقته، أو ذبح عنه شاه(١)، وفي التهذيب: يوم أسبوعه فقيده بالسابع، واسم تلك الشاه العقيقه(٢).

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

في العقيقه عن الغلام شاتان مثلاً، وعن الجاربه شاه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«في الغلام عقيقه فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى»(٣).

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«عق عنده - أي المولود - وأحلق رأسه يوم السابع»(٤).

والعقيقه شاه أو جزور تجتمع فيها شرائط الأضحيه، وهي: السلامه من العيوب والسمن، والسن على الأفضل، ويجزى فيها مطلق الشاه(٥).

ص: ٢٦٥

- ١- لسان العرب، لابن منظور: ج ٩، ص ٣٢٤، ماده: «عقق».
- ٢- تهذيب الصحاح للزنجاني: ص ٥٩٠، ط دار المعارف بمصر.
- ٣- الجامع الصغير للسيوطي: ج ٢، ص ٦٦٥، برقم: «٥٩٥٩».
- ٤- الوسائل: كتاب النكاح باب، ٤٤، من أبواب أحكام الأولاد الحديث: ٨.
- ٥- اللغه دمشقيه للشهيد جمال الدين العاملي: ج ٥، ص ٤٤٧، كتاب النكاح، أحكام الأولاد.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«انما هي شاه لحم، ليست بمنزله الأضحيه، يجرى منها كل شيء، وخيرها أسمونها»^(١).

اما ما يخص البضعه النبويه عليها السلام، فقد عقت عنها السيده خديجه عليها السلام بشاه^(٢) وإنها أطعمتها للمؤمنين عملاً بالسنة وقصدًا لحصول الأجر في ورود السرور عند الإطعام.

المبحث الثامن: فاطمه في حجر النبوه

المسألة الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه

ان المراد بالحجر لغه هو: «الحِضْنُ»، فيقال: حَجَرُ المرأه وَحِجْرُها حِضْنُها^(٣).

وهنا عندما نقول: حَجَرُ النبوه، أى إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى احتضنها ورباها ضمن أصول النبوه، وقواعدها، ومناهجها.

فكان خلقها عليها السلام خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى خاطبه المولى قائلاً:

ص: ٢٦٦

١- الوسائل للعاملى: كتاب النكاح، باب: ٤٥، من أبواب أحكام الأولاد الحديث: ٢.

٢- الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٦، ط دار الكتب الحديثه؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٨٣.

٣- لسان العرب لابن منظور: ج ٣، ص ٥٧، ماده حجر.

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ١.

وخاطب صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين قائلاً:

«لقد أدبنى ربي فأحسن تأديبي»(١).

فأدب فاطمه وخلقها هو: أدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلقها. حتى قالت عائشه: (ما رأيت أحداً أفضل من فاطمه غير أبيها)(٢).

بعد هذه الإشارة في بيان الركنتين الأساسيين في نشأه كل إنسان وأقصد والديه، فإننا نرحل في سفينه الحب النبوي إلى بيت خديجه أم المؤمنين عليها السلام لترسو بنا سفينتا على سواحل أعتاب بيتها نلتمس الإذن في الدخول إلى رحاب البيت الذي كان سكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبع الحنان والحب والموده التي ملأت كل ذره من كيان أم المؤمنين خديجه عليها السلام. لتهبها لزوجها وتبذلها له فما ادخرت جهداً وما بخلت بعطيه، وما شكت ألماً، ولا تبرمت من حال أنزله بها كفار مكة نساءً ورجالاً.

ص: ٢٤٧

-
- ١- البحار للمجلسي: ج ١٦، ص ٢١٠، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٢٣٣، ط دار إحياء الكتب العربية؛ الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ١، ص ٥١، برقم ٣١٠، ط دار الفكر - بيروت.
 - ٢- الغدير للشيخ الأميني: ج ٣، ص ٢٥، ط دار الكتب العربي - بيروت؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٠١، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ الاصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٦٤، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ ينابيع الموده لذوى القربى، القندوزي: ج ٢، ص ٥٨، برقم ٣٥، ط دار الأسوه.

فعندما يحيا الإنسان وتكون أيام طفولته في مثل هذه الأجواء المليئه بالحب والحنان والرحمه فمما لا شك فيه سيكون هذا الإنسان منبعاً لهذه الفضائل التي نمت عليها عروقه وتوغلت فيها جذوره.

ونحن وان كنا نعرض مثل هذه النقاط التي مع أهميتها الكبيره لدى الباحثين وأصحاب الاختصاص في الحياه الأسريه والعلوم النفسيه، إلا أننا لا نجعلها الأساس في تكوين شخصيه فاطمه الزهراء عليها السلام.

إذ إن الملاك والضابطه في حياه الأولياء هو الاصطفاء الإلهي وهو مفاد قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

ومع هذا الاصطفاء يكون الاصطناع الرباني، لقوله تعالى:

(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) ٢، (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) ٣.

فالصناعه ربانيه، والاصطفاء إلهي، ومن كان الله قد اصطفاه لنفسه فلا تؤثر فيه قوى الشر ولا يمسه رجس الكافرين، وقد أعطى القرآن دليلاً - لمن كان يؤمن بالله تعالى ولمن كان بعيداً عنه - يثبت أن الظروف والعوامل التي تحيط بحياه الأنبياء والأولياء لا يمكن حملها على بقيه حياه الناس وكيفيه نشأتهم.

وها هو نبي الله موسى الكليم تلقيه أمه وهي خائفه وجله عليه من القتل فترميه في البحر ليسوقه جبرائيل إلى بيت عدو الله فيأخذه ويريبه ويتولى تنشئته، ولم يكن قصر فرعون وطغيانه وكفره مؤثراً في إيمان موسى عليه السلام.

أما سبب تأكيدنا على البيت الذي نشأت فيه الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام، فذلك من أجل معرفه العنايه الإلهيه الكبيره، والاهتمام البالغ والتركيز على فاطمه عليها السلام.

لأن الغايه والعله التي خلقت لها فاطمه تستوجب هذا الاعتناء الرباني، وهذا الاهتمام الإلهي. ويكفيك من هذا بياناً بأنها (أم أبيها).

فالله قد اصطفاه، وحببه قد علمها ورباه، وحببه رسوله قد غذتها وأنشأتها.

المسأله الثانيه: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها في أم المؤمنين خديجه عليها السلام

ان السنين الأولى لطفوله فاطمه عليها السلام كانت فيها عليها السلام قد أعادت بسمه الأمومه لخديجه، تلك البسمه التي لا تمنحها الأم إلا لطفلها الذي يتأمل بعينين مفتوحتين تلك التقاطيع التي ترافق وجه أمه وهي مبتسمه له وكأنها تسمعه باعذب الكلمات التي تعجز عنها لغات العالم.

فأى لغه يمكن ان تعبر عما ينطقه وجه الأم وهي تنظر لولدها وقد زينت وجهها هذه الابتسامه؟!

إنها لغه لا يعلمها الا قلب هذا الطفل ولا يصدرها الا قلب الأم.

وبخاصه عندما تتعامل أم كخديجه مع طفلها الجديد الذى انتظرته كثيراً بعد أن فقدت طفلين هما «القاسم وعبدالله عليهما السلام»، اللذين لم يعيشا طويلاً، بل إنهما لم يكملا رضاعهما فقد اختار الله لهما دار الآخرة.

ثم تبقى خديجه عليها السلام تنتظر رحمه الله عز وجل أن يمنَّ عليها بحمل ومولود جديد ويطول بها المقام ويتأخر عليها الحمل، لحكمه أرادها الله عز وجل.

ومن هنا فإن حملها بفاطمه وولادتها قد أعادتْ عليها تلك الابتسامه التى كانت تطلقها فاطمه عليها السلام.

وكانت سنتا الرضاعه أياماً عاشتها فاطمه بالحب والرحمه والرأفه والحنان النبوى اللامتناهى، ومع هذا كله كانت تعيش أجواء السلام والطمأنينه؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان مُحَصِّباً مُنِيعاً بعمه أبى طالب الذى دأب يحنو عليه ويذب عنه كيد قريش ويدفع عنه طغاتها.

فكانت هذه السنن من عمرها المبارك مميزه ومليئه بالدفء والحنان والرحمه والحب والسكينه.

إلا- أن هذه الأ-جواء لم تكن دائمه فقد تغير حال البيت النبوى بعد مرور عامين على ولاده فاطمه عليها السلام؛ إذ قد اجتمع المشركون وعزموا على فرض الحصار الاقتصادى والاجتماعى على بنى هاشم رجالاً ونساءً وأطفالاً فقضت أم المؤمنين خديجه عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنتها فاطمه عليها السلام هذه السنوات الثلاث حتى توفيت وقد تركت فاطمه وهى فى الخامسة من عمرها (فإننا لله وإنا إليه راجعون).

الفصل الثامن

خصائص دار خديجه عليها السلام فى مكه

توطئه: البحث عن الهويه الإسلاميه بين حضارتين ٧

المبحث الأول: موقع دار خديجه الجغرافى ١٣

١. إنه فى سوق الصباغين ١٤

٢. إنه فى شعب أبى طالب عليه السلام ١٤

٣. إنه فى زقاق العطارين ١٥

المبحث الثانى: صفه دار خديجه عليها السلام وفضله ١٦

المسأله الأولى: أقوال المؤرخين فى بيان صفه دار خديجه وإظهار فضله وشرافته ١٦

المسأله الثانیه: امتهان الوهايه لدار أم المؤمنین خديجه عليها السلام وتحويلها إلى دورات مياه!!! ٢١

المبحث الثالث: دار خديجه عليها السلام يشهد أهم الأحداث التى عاشها النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال ربع قرن ٢٤

المسألة الأولى: زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار خديجه عليها السلام وعيشه فيها ٢٤

المسألة الثانية: نزول الوحي بسوره المدثر في بيت خديجه عليه السلام ٢٥

المسألة الثالثه: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلن تنصيب وصيه وخليفته من بعده في دار خديجه عليها السلام ٢٧

المسألة الرابعه: إسلام الصحابه في دار خديجه عليها السلام ٣٥

أولاً: إسلام أبي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه في بيت أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٣٦

ثانياً: إسلام أبي بكر عند بيت خديجه عليها السلام ٣٨

المسألة الخامسه: إسرائ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من دار خديجه عليها السلام ٤١

أولاً: إن بيت خديجه هو المسجد الحرام ٤٢

ثانياً: إن لخديجه من الطهر ما لمريم عليهما السلام ٤٣

المبحث الرابع: مبيت الإمام على عليه السلام في دار خديجه عليها السلام ليله خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى

المدينه ٥٢

المسألة الأولى: كيف وقعت الحادثه ؟ ٥٣

ألف: ما رواه ابن إسحاق والطبرى وغيرهما ٥٤

باء: ما رواه الشيخ الطوسى رحمه الله ٥٨

المسألة الثانيه: الإمام على بن أبى طالب عليه السلام يفدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ابتغاء مرضاه الله تعالى ٦٩

المسألة الثالثه: شبهه ابن تيميه والحلبى في رد فضيله الفداء، شبهه واهيه ومخالفه للقرآن الكريم ٧٣

أولاً: إتفاق أهل العلم بالحديث والسير على صدور هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبه يتضح كذب ابن تيميه

٧٥

ص: ٢٧٢

القسم الأول: رواه أهل العلم بالحديث والسير لنزول جبرائيل وميكائيل لحفظ علي عليه السلام ليله المبيت من الشيعة على رغم أنف ابن تيميه ٧٨

القسم الثاني: رواه أهل العلم بالحديث والسير من السنه والجماعه فى نزول جبرائيل وميكائيل ٨٢

ثانياً: اسماء الذين رووا من أهل العلم بالحديث والسير واتفاقهم على ان علياً عليه السلام هو الذى شرى بنفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنام فى مكانه فى دار خديجه عليها السلام ٨٧

ثالثاً: محاربه آيه الشراء منذ القرن الأول للهجره والى يومنا هذا ١٠٠

ألف. بذل معاويه آلاف الدراهم لتحريف نزول الآيه ١٠٦

باء. تعمد ابن تيميه الكذب على العلماء والقراء فى صرف الآيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام ١٠٨

جيم. منهج الألبانى فى دفع الآيه عن علي عليه السلام ١٠٨

رابعاً: شبهه الحلبيه ومخالفتها للقرآن والسنه ١٠٩

١. رد شبهه، حصول الطمأنينه لعلي عليه السلام بقول الصادق له، لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ١١٠

٢. رد شبهه قول الحلبي: (فلم يكن فيه فداء بالنفس) ١١١

٣. رد شبهه قول الحلبي: (والآيه المذكوره فى سوره البقره هى مدنيه باتفاق) ١١٦

٤. رد شبهه قول الحلبي (وقد قيل انها نزلت فى صهيب) ١١٩

المبحث الخامس: من دار خديجه عليها السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام مصطحباً علي بن أبي طالب عليه السلام ١٢٦

المسأله الأولى: كيف وصلت الأصنام إلى بيت الله الحرام ونصبت على سطح الكعبه ؟ ١٢٩

المسأله الثانيه: من دار خديجه عليها السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصطحباً علياً عليه السلام لتكسير الأصنام قبل الهجره ١٣٢

الحلقه الأولى: ما يدل على وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره دون تحديد السنه ١٣٤

الحلقه الثانيه: ما يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى ليله ميته على فراش النبى صلى الله عليه وآله وسلم

١٣٨

ألف. التلازم فى تحقق الأثر الإرشادى بين عمل نبى الله إبراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تكسير

الأصنام ١٤٠

باء. التوحيد ينطلق من دار خديجه وإليه يرجع الموحدون ١٤٥

جيم. الحكمه فى اجتماع تكسير الأصنام والمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ليله واحده ١٤٦

الحلقه الثالثه: ما يدل على تعدد وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره ١٤٧

المسأله الثالثه: ما يدل على مباشره الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح ١٥١

أولاً: تعميم البخارى على دور الإمام على عليه السلام فى تكسير الأصنام فى فتح مكه ١٥٢

ثانياً: ما يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح وتعهد البخارى ومسلم اخفاء ذلك ١٥٤

ثالثاً: العله فى عدم تمكن الإمام على عليه السلام من حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام ١٥٧

المبحث السادس: التقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ببعض المؤمنين فى دار خديجه عليها السلام ١٦١

المسأله الأولى: روايه الشيخ الصدوق رضى الله تعالى عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار

خديجه عليها السلام ١٦٢

أولاً: تحقق رؤيه صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف فى زمن الغيبه الصغرى ١٦٤

ثانياً: تقوى الحسن بن الوجناء وشده مثابرتة على طاعه الله والتقرب إليه ١٦٤

المسأله الثانيه: روايه الشيخ الطوسى رضى الله عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار خديجه عليها

السلام ١٦٦

ص: ٢٧٤

الفصل التاسع

حملها بفاطمه عليها السلام و ولادتها

المبحث الأول: خلقها من ثمار الجنه ١٧٥

المحور الأول: تفاعل الكتاب مع حدث خلق فاطمه من ثمار الجنه ١٧٦

الأمر الأول: اعتماد بعض الكتاب فيما يرونه على ما يتلاءم مع اعتقادهم ١٧٦

الأمر الثاني: الاختلاف في وقت حدوث رحله الإسراء لا يلغى الحقيقه ١٧٦

الأمر الثالث: الإعراض عن روايات أهل البيت عليهم السلام لا يدل على صحه المعروض عنها ١٧٧

المحور الثاني: السنه النبويه والعقل يؤكدان حقيقه خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه ١٧٨

أولاً ١٨١

ثانياً ١٨١

ثالثاً ١٨١

الأمر الأول ١٨٢

الأمر الثاني ١٨٢

المسأله الأولى: إنها خلقت من شجره طوبى ١٨٢

المسأله الثانيه: إنها خلقت من سفرجل الجنه ١٨٥

المسأله الثالثه: خلقها من رطب الجنه ١٨٦

المسأله الرابعه: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنه ١٨٧

المسأله الخامسه: إنها خلقت من جميع ثمار الجنه ١٨٨

بعض دلالات الحديث: ١٨٩

أولاً: (فأصببت من ريح تلك الثمار) ١٨٩

ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنة ١٨٩

المبحث الثاني: التهيئة النبويّة لنزول الأنوار الفاطميه ١٩٠

الوجه الأول ١٩٠

الوجه الثاني ١٩٢

المحور الأول: أحاديث اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجه عليها السلام ١٩٤

المسألة الأولى: (لماذا الاعتزال لمدته أربعين يوماً؟) ١٩٦

أولاً: (الاعتزال) ١٩٦

ثانياً: علم الأعداد والحروف وشرافه العدد أربعين ١٩٩

المسألة الثانية: «جبرائيل عليه السلام يهبط في صورته العظمى» ٢٠٤

أولاً: معنى تسميتهم بالملائكة ٢٠٤

ثانياً: المواضع التي ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى ٢٠٩

الموضع الأول ٢٠٩

الموضع الثاني ٢١٠

الموضع الثالث ٢١٠

ثالثاً: أثر الاعتزال والرياضه النفسيه في خلق الجنين ٢١٠

رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجه عليها السلام ٢١١

المسألة الثالثة: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنة ٢١١

أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه) ٢١٣

ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاه في شتى الأحوال لعل راجحه)؟! ٢١٤

المسألة الرابعة: انتقال النور الفاطمي إلى الأرض الطاهره ٢١٨

أولاً: (المنهاج التربوي الأسرى عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٢٠

ثانياً: المنهاج التربوي في علاقه الزوجيه ٢٢١

ثالثاً: (الإحساس بثقل فاطمه عليها السلام) ٢٢٣

الحديث الثاني ٢٢٣

ص: ٢٧٤

أولاً: تعين ليله انعقاد النطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه ٢٢٤

ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام ٢٢٥

المبحث الثالث: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام ؟ ٢٢٦

المسأله الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهى فى بطنها ٢٢٧

المسأله الثانيه: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى ٢٣٧

المبحث الرابع:(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) ٢٤٦

المسأله الأولى: الحكمه فى ذكر الرفقه لآسيا مع خديجه فى الجنه ٢٤٨

المسأله الثانيه: ما هى العلاقه بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتى دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟

٢٤٩

المسأله الثالثه: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه عند ولادتها؟ ٢٥٠

المسأله الرابعه: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين ٢٥١

المسأله الخامسه: مكان ولاده فاطمه عليها السلام ٢٥٣

المبحث الخامس: إرضاع خديجه إياها (عليها السلام) ٢٥٤

المبحث السادس: تسميتها ٢٥٩

المبحث السابع: عقيقتها ٢٦٥

المبحث الثامن: فاطمه فى حجر النبوه ٢٦٦

المسأله الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه ٢٦٦

المسأله الثانيه: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها فى أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٢٦٩

ص: ٢٧٧

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسنى

كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

مشخصات كتاب : ٤ج

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق.

٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود.

٣. تدوين التاريخ الإسلامى - شبهات وردود.

ص : ١

موسوعه خديجه بنت خويلد عليها السلام / دراسه نبيل الحسني. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ ق. ٢٠١١ م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٥٢).

المصادر.

١. خديجه بنت خويلد (عليها السلام) ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - السيره - دراسه وتحقيق. ٢. خديجه بنت خويلد (عليها السلام)، ٥٣؟ - ٣ قبل الهجره - شبهات وردود. ٣. تدوين التاريخ الإسلامي - شبهات وردود. ٤. محمد (صلى الله عليه وآله)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - نساءه - شبهات وردود. ٥. محمد (صلى الله عليه وآله)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجره - ١١ ق. - الأولاد - دراسه وتحقيق. ٦. على بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره - ٤٠ ق. - فضائل - شبهات وردود. ٧. فاطمه الزهراء (عليها السلام)، ٨؟ - ١١ ق. - السيره - دراسه وتحقيق. ألف. الحلو، محمدعلي، مقدم. ب. العتبه الحسينيه المقدسه. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلميه. ج. عنون. د. عنوان: خديجه بنت خويلد أمه جُمعت في امرأه.

٤ خ ٥ ح / ٢٦/٢٠٨ BP

تمت الفهرسه في مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه قبل النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

الفصل العاشر: اخوه خديجه عليها السلام وارجامها

اشاره

ص: ٥

فى هذا الفصل نحاول أن نظهر للقارئ حجم هذه الأسره التى أنجبت السیده الطاهره أم المؤمنین خدیجه بنت خویلد علیها السلام، وما قامت به بعض هذه الشخصیات التى ارتبطت بالسیده خدیجه برابطه الدم والرحم من أعمال فى الإسلام حتى أصبحت أحد رموز التاريخ والعقیده.

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الأسره التى أنجبت خدیجه علیها السلام تتكون من مجموعه من الأخوه الذكور بلغ عددهم خمسة، وأن عدد اخواتها الأناث كان ستاً.

وهم على النحو الآتى:

المبحث الأول: إختها الذكور

إشاره

لقد أحيطت السیده خدیجه علیها السلام بعدد من الأخوه الذكور الذين برزت بعض أسمائهم من خلال أبنائهم وما قاموا به من أدوار فى الساحة الإسلامیه، فى حين كان البعض الآخر منهم ممن لم يؤمن بالله ورسوله صلى الله علیه وآله وسلم.

ص: ٧

المسألة الأولى: العوام بن خويلد بن أسد

تزوج العوام من صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية وتوفى عنها وقد ولدت له (الزبير، والسائب، وعبد الكعبة)^(١).

وقد برز اسم العوام بن خويلد من خلال ولديه الزبير والسائب وأولادهما عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير، وقد ملأت سيرتهما كتب التاريخ والحديث، وظهرا في أهم الأحداث الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسعني بيانها في هذا الموضوع من الكتاب.

المسألة الثانية: حزام بن خويلد

إشاره

كان ممن هلك في الجاهلية في حرب الفجار^(٢)؛ ولكن برز اسمه من خلال ولديه حكيم، وخالد؛ أما حكيم، فقد ولد قبل عام الفيل بثلاث عشره سنه^(٣)؛ وقد تأخر إسلامه إلى عام الفتح وكان من المؤلفه قلوبهم وقد توفى في المدينه عام ٥٤٤ هـ - وقد بلغ مائه وعشرين عاماً^(٤).

وقد أخرج له البخارى في صحيحه أربعة أحاديث^(٥).

ص: ٨

١- الطبقات الكبرى، لابن سعد: ج ٨، ص ٤١.

٢- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ٤٨٣.

٣- المصدر السابق.

٤- الاصابه لابن حجر: ج ٢، ص ٩٨.

٥- مقدمه فتح البارى لابن حجر: ص ٤٧٥.

الا ان كل ذلك لم يكن بالأمر الذى يستحق الشهره واهتمام المحدثين فكثير هُم الذين أخرج لهم البخارى، وإنما كانت هذه الشهره نابعه من قولهم: انه الوحيد الذى ولد فى الكعبه (أعزها الله تعالى) ومن ثم فهم لا يعتقدون بولاده على بن أبى طالب عليه السلام فى الكعبه.

والسؤال المطروح فى البحث هو:

ألف. حقيقه ولاده حكيم بن حزام فى الكعبه (أعزها الله تعالى) أواقعه أم هى حبر على ورق ؟

إشاره

وللوقوف على صحه هذا المدعى فلا بد من استعراض تلك الأقوال التى أشارت إلى ولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبه.

أولاً: رد هذا الإدعاء وبيان زيفه

١. قال مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح: «ولد حكيم بن حزام فى جوف الكعبه وعاش مائه وعشرين سنه»^(١).

٢. قال الحاكم النيسابورى: «سمعت» أبا الفضل الحسن بن يعقوب يقول: سمعت أبا أحمد محمد بن عبد الوهاب يقول: «سمعت على بن غنام العامرى يقول: ولد حكيم بن حزام فى جوف الكعبه دخلت أمه الكعبه فمخضت فيها فولدت فى البيت»^(٢).

٣. قال ابن حبان: «دخلت أمه الكعبه فمخضت فيها فولدت حكيم بن

ص: ٩

١- صحيح مسلم، باب: النهى عن بيع الثمار: ج ٥، ص ١١.

٢- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ٤٨٢.

٤. قال ابن حجر: (وحكى الزبير بن بكار أنّ حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبه، قال وكان من سادات قريش فى الجاهليه والإسلام)(٢).

وهذه الأقوال فيها كفايه لأنها صدرت عن رجال يعتقد كثير من المسلمين بعلمهم.

وأقول:

١. أما قول مسلم بن الحجاج النيسابورى صاحب (الصحيح) فقد أورده بدون سند فقد أدخله على الحديث وأقحمه فيه إقحاماً وهو كما ترى تدليس فى الحديث، إذ قال: حدثنا عمرو بن على، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا همام عن أبى التياح قال: سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن حكيم بن حزام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمثله (قال مسلم بن الحجاج ولد حكيم بن حزام فى جوف الكعبه وعاش مائه وعشرين سنه).

وهذا الأسلوب لا يدل على صحه هذا القول وإنما يعبر عن رأى مسلم الذى أقحمه فيما بين الحديثين، ولو وجد مسلم بن الحجاج لولاده حكيم بن حزام أصلاً وسنداً لأوردها دون تردد لكنه عمد إلى الالتفاف على الحديث.

٢. وأما قول الحاكم النيسابورى الذى أورده فى المستدرک سماعاً فإنه سرعان ما يعود إليه فينفيه بل ويظهر زيف هذا المدعى وأنه عباره عن وهم

ص: ١٠

١- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص ٣٢.

٢- تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ٣٨٥.

توهم فيه قائله. فانظر - عزيزى القارئ - إلى ما قال:

(أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربى، ثنا مصعب بن عبد الله فذكر نسب حكيم بن حزام وزاد فيه وأمه فاخته بنت زهير بن أسد بن عبد العزى وكانت ولدت حكيماً فى الكعبه وهى حامل فضرِبها المنخاض وهى فى جوف الكعبه فولدت فيها فحملت فى نطح وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم ولم يولد قبله ولا بعده فى الكعبه أحد).

قال الحاكم: «وَهَمَّ مصعب فى الحرف الأخير - أى توهم - فقد تواترت الأخبار أن فاطمه بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى جوف الكعبه»(١).

وقد قدم لنا الحاكم فى رده لهذا الوهم والزيف حقيقه مهمه؛ إذ يكشف بأسلوب مهذب أصل هذا الخبر ومحل صدوره وهو مصعب بن عبد الله، الذى ستوقف معه لنستنطقه فى معرفه الأسباب التى دعت له لخلق هذا الوهم ونشره بين المسلمين.

٣. أما قول ابن حبان فقد أورده دون أن يوثقه بسند يدعمه ويؤكد وقوعه، ولم يذكر حتى ممن سمعه أو قال له، ولعله علم ان ذكره لمصعب بن عبد الله سيفضح مدعاه.

٤. أما قول ابن حجر فقد نقله عن الزبير بن بكار حكاية ثم أتبعه بقوله: «وقال الزبير عن عمه مصعب قال: جاء الإسلام وفى يد حكيم الوفاده وكان

ص: ١١

يفعل المعروف ويصل الرحم ويحض على البر(١).

وهذا يكشف أن هذه الأقوال نابعه عن مصعب بن عبد الله الذى وصف عم أبيه بأنه أحد سادات قريش فى الجاهليه وفى الإسلام.

وأقول:

أما فى الجاهليه فنعم؛ وأما فى الإسلام فلا، والأدله على ذلك كثيره جداً، فمنها:

١. أنه تأخر إسلامه حتى عام الفتح(٢). حينما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكه، وهذا يعنى أنه من الطلقاء حاله فى ذلك حال أبى سفيان وولديه، وعتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم، وبديل بن ورقاء، وغيرهم كثير جداً.

ولذا فمن أين جاءت له السيادة فى الإسلام؟! أبكونه من الطلقاء أم لتخلفه عن على بن أبى طالب عليه السلام؟

٢. أنه من المؤلفه قلوبهم(٣)، أى الذين كان يعطيهم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مالاً كى تميل قلوبهم إلى الإسلام.

٣. ولعل بنى أميه أرادوا مكافأته لموقفه من عثمان بن عفان يوم دخل

ص: ١٢

١- تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ٣٨٥.

٢- الكاشف لمن له فى روايه للذهبي: ج ١، ص ٣٤٧؛ تهذيب الكمال للمزى: ج ٧، ص ١٧٤؛ اسد الغابه: ج ٢، ص ٤٠؛ الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٠٠.

٣- عمده القارى للعيني: ج ١٥، ص ٧٠.

عليه الصحابه وأبناؤهم فقتلوه فى داره، وتركوه فيها ثلاثه أيام، حسبما أخبرنا به المدائنى وغيره، إذ قال: (إن طلحه - صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! - منع من دفنه ثلاثه أيام، وأن علياً لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسه أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بنى أسد بن عبد العزى، وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل، استنجدوا بعلى عليه السلام على دفنه.

فأقعد طلحه لهم فى الطريق ناساً بالحجاره، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينه يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه، فأرسل على عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه فى حش كوكب(١).

وكان حكيم بن حزام أحد الرجال الثلاثه الذين صلوا على عثمان وألحدوه فى لحدوه ودفنوه(٢).

وقال ابن عبد البر: (لما قتل عثمان ألقى على المزبله ثلاثه أيام فلما كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير...) (٣).

ص: ١٣

-
- ١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ١٠، ص ٦؛ تاريخ الطبرى: ج ٣، ص ٤٣٩؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٩٦؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ١، ص ٧٩؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٣، ص ١٨٠.
 - ٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٧٩؛ تاريخ الطبرى: ج ٣، ص ٤٣٩.
 - ٣- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١٠٤٧.

وعليه: كيف لا يجعل له بنو أميه هذه الخصوصيه فيجعلونه أحد سادات قريش في الإسلام، وأنه الوحيد الذى ولد في جوف الكعبه؟!.

فضلاً عن ذلك فقد اعتزل حكيم بن حزام الإمام علياً عليه السلام، فيما كان ولده عبد الله واحداً من الذين خرجوا لقتال على بن أبى طالب عليه السلام فى حرب الجمل، ولقد وقف عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعد أن انتهت المعركه فقال: (هذا خالف أباه فى الخروج، وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن فى بيعته لنا، وإن قد كف وجلس حيث شك فى القتال، وما ألوم من كف عنا وعن غيرنا ولكن المليم الذى يقاتلنا)^(١).

وهذه المواقف لا يمكن لأعداء على عليه السلام ان يدعوها تُمُر دون ان تجازى ويرد لأهلها جميلهم وصنيعهم الحسن..
ولذلك:

كان من بين أهم المكافآت التى قدمت لحكيم بن حزام هى القول بأنه ولد فى جوف الكعبه.

ثانياً: دور الزبير بن بكار وعمه مصعب فى نشر هذا الادعاء والدليل على زيفه

إلا- أننا نجد أن الحافظ ابن حجر العسقلانى قد كشف عن الراوى الأساس فى قضيه ولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبه، فقال: «وحكى الزبير بن بكار: أنّ حكيم بن حزام قد ولد فى جوف الكعبه وكان من سادات قريش فى الجاهليه والإسلام».

ص: ١٤

١- الإرشاد للمفيد: ج ١، ص ٢٥٥؛ الجمل لضمّن بن شدقم المدنى: ص ١٥٥.

وهو بذاك قد وضع أيدينا على الجرح؛ وذلك لما عُرف به الزبير بن بكار من معاداة للعلويين في المدينة المنوره وفي غيرها حسبما دلت عليه النصوص التاريخيه: -

١. قال ابن الأثير الجزري: (قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين؛ لأنه كان ينال منهم فتهدّوده فهرب منهم، وقدم على عمه مصعب بن عبد الله وشكا إليه حاله وخوفه من العلويين وسأله إنهاء حاله إلى المعتصم - الخليفه العباسي - فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه.

قال أحمد: فشكا ذلك إلى وسألني مخاطبه عمه في أمره، فقلت له في ذلك وأنكرت عليه إعراضه عنه فقال لي: إن الزبير فيه جهل وتسرع، فأشر عليه أن يستعطف العلويين، ويزيل ما في نفوسهم، والله على مثل ذلك أواقفه ولا أقدر أذكرهم عنده بقيح، فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم(١).

ومن كان هذا حاله من العلويين، ومعروف لدى الناس بدمهم، فضلاً عن إقرار عمه مصعب بأنه جاهل ومتسرع كيف لا يدعى بأن حكيم بن حزام قد ولد في جوف الكعبه نكايه بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. ذكره أحمد بن علي السليمانى - صاحب كتاب العالم والمتعلم - في عداد من يضع الحديث؛ وقال - مره - : منكر الحديث، وهو ما نقله الحافظ الذهبي في ميزانه، وغيره(٢).

ص: ١٥

١- الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٦، ص ٥٢٦.

٢- ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٢، ص ٦٦؛ الكشف الحثيث لسبط ابن العجمي: ص ١١٩.

وهذه الرتبة وان كان الذهبى قد حاول عدم الإقرار بها، إلا أنها تكشف حال الرجل عند غير الذهبى.

٣. وقد حدث الشيخ الصدوق عن أحمد بن محمد بن إسحاق الخراسانى قال: سمعت على بن محمد النوفلى يقول: استخلف الزبير بن بكار رجل من الطالبين على شىء بين القبر والمنبر، فحلف فبرص، فأنا رأيتُه وبساقيه وقدميه برص كثير، وكان أبوه بكار قد ظلم الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام فى شىء فدعا عليه، فسقط فى وقت دعائه عليه حجر من قصر فاندقت عنقه.

وأما أبوه عبد الله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسن وأهانته بين يدى الرشيد وقال: أقتله يا أمير المؤمنين فإنه لا أمان له، فقال يحيى للرشيد: انه خرج مع أخى بالأمس - وأنشد أشعاراً له - فأنكرها، فحلفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحم من وقته، ومات بعد ثلاثه، وانخسف قبره مرات كثيره(١).

٤. ولم يكن عداء الزبير بن بكار للعلويين، واتهامه لهم، ومحاربتهم، ليمرّ دون عقاب دنيوى يكشف عن سوء العاقبه، فقد ذكر الخطيب البغدادي، والحافظ المزى، والسمعانى:

(إن سبب وفاته أن وقع من فوق سطحه فمكث يومين لا يتكلم ومات)(٢).

ص: ١٦

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٤٤.

٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٨، ص ٤٧٢؛ تهذيب الكمال للمزى: ج ٩، ص ٢٩٦؛ الأنساب للسمعانى: ج ٣، ص ١٣٧.

أما حال عمه مصعب بن عبد الله الذى نسب إليه مدعى ولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبة، فقد قال ابن الأثير الجزرى فى بيان حاله مع الإمام على ابن أبى طالب عليه السلام، أنه قال:

(وهو عم الزبير بن بكار، وكان عالماً فقيهاً، إلا أنه كان منحرفاً عن على عليه السلام)^(١).

ومن كان منحرفاً عن على بن أبى طالب عليه السلام الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبه علامه لوجود الإيمان؛ وان بغضه علامه لوجود النفاق، كيف لا يتقول الأكاذيب فى شأن على عليه السلام، وما قوله فى ولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبة إلا واحد من تلك البدع التى نال بها من العلويين.

باء. هل الولادة فى جوف الكعبة، هى منقبه ؟

اشاره

إن مما يلفت الانتباه فى مسأله الولادة فى جوف الكعبة هى عدّها منقبه تحيط بمن خص بها، كما قال الذهبى فى ترجمته لحكيم بن حزام، قائلاً: (وله منقبه، وهو أنه ولد فى جوف الكعبة)^(٢)، والسؤال المطروح من أين جاءت هذه المنقبه ؟

وبمعنى آخر: المنقبه حاصله من البيت الحرام؛ لما فيه من خصوصيه نابعه من كونه بيت الله الحرام، أم لأن الكعبة لها حرمة ؟

ص: ١٧

١- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٧، ص ٥٧.

٢- تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤، ص ٢٠٠.

ومن ثم فمن ولد في جوف الكعبة فانه ينال تلك المنقبه، أما؛ لأنه ولد في بيت الله وهذا تكريم من الله تعالى لعبده إذ ساقه إلى بيته فتلك منقبه، وإما أنه ولد في جوف الكعبة فنال من حرمتها فتلك منقبه، أو انه نال الاثني معا في تلك الولاده في جوف الكعبة للملازمه بينهما.

وأقول:

أما انها منقبه بلحاظ كون الكعبه (أعزها الله) لها حرمة خاصه، فهذا مرهون بمن يعتقد بوجود هذه الحرمة، اما من لا يعتقد بوجود أي حرمة للكعبه أعزها الله تعالى فكيف يعتقد بحصول المنقبه، والأمثله على ذلك كثيره، والشواهد أكثر مما تعد.

فمن الشواهد على اعتقاد البعض بعدم وجود أي حرمة للكعبه أعزها الله تعالى قبل الإسلام وبعده ما يأتي:

أولاً: ما يدل على عدم الاعتقاد بحرمة الكعبه قبل عام الفيل

إن مما يؤسف له ان كثيراً من المخازي والأفعال الدينيه كانت تحدث في جوف الكعبه (أعزها الله تعالى) قبل الإسلام وهذا يكشف عن فقدان الحرمة في نفوس أولئك الجناه، بل ان أول انتهاكه لحرمة الكعبه وقعت على يد الجرهميين، وهم سكان مكه الأصليين.

الدليل الأول: ارتكابهم الزنى في جوف الكعبه!

ألف: قال الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ -): (فكان أول من ولي من جرهم البيت مضاض، ثم وليته بعده بنوه كابر عن كابر حتى بغت جرهم بمكه

ص: ١٨

واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها وظلموا من دخل مكة ثم لم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى، فزعموا أن أسافاً بغى بنائله فى جوف الكعبة فمسخا حجريْن (١).

باء: وقال محمد بن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ -): (كان مفتاح البيت فى أيدي جرهم وإن رجلاً منهم يقال له إساف بن يعلى عشق امرأه منهم يقال لها: نائلة بنت مزيد أو زيد فأصابا من البيت خلوه ففجرا فيه فمسخا حجريْن فأخرجا فنصبا عند الكعبة ليعتبر الناس) (٢).

جيم: قال ابن إسحاق عن عائشه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها قالت: (ما زلنا نسمع أن أسافاً ونائلة رجل وامرأه من جرهم زنيا فى الكعبة فمسخا حجريْن) (٣).

هاء: وقال ابن كثير: «ان اسافاً ونائلة كانا بشريْن فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجريْن فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبداً ثم حولاً إلى الصفا والمروه فنصبا هناك فكان من طاف بالصفا والمروه يستلمهما ولهذا يقول ابو طالب فى قصيدته المشهورة:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم لمفضى السيول من أسافٍ ونائلٍ (٤)

ص: ١٩

١- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٣٧.

٢- كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص ٢٨٢.

٣- سيره ابن إسحاق: ج ١، ص ٣.

٤- تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٢٠٥.

فهذه حال الكعبة أعزها الله عند الجرهميين فلو ولد لأحدهم مولود في جوف الكعبة فهل يعدون ذلك منقبه حظى بها الوليد في البيت. من الطبيعي انها لا تعد منقبه.

ولذلك: فالمنقبه ينظر لها على انها كذلك حينما يعتقد الناظر بحرمه الكعبة المشرفه. اما من لا يعتقد بحرمتها فلا يعتقد بوجود أى منقبه فيها، بل لعله يعتقد العكس حسبما تمليه عليه معطياته الفكرية والثقافية.

الدليل الثانى: الإشراك بالله فى جوف الكعبة

إنّ الملاحظ فى حادثه الجرهميين ومن جاء بعدهم فسكن مكة هو تلك العقليه التى كانت تسود تصرفات هؤلاء الناس، فهم عوض أن يتعظوا من مسخ هؤلاء الجناه حجرين فيكفوا عن غيرهم، انقلب الأمر فاخذوا يعبدونهما من دون الله تعالى، وهذا يكشف عن انعدام الحرمة من الأصل.

بمعنى:

انهم لا- يرون حرمة الله تعالى من الأصل مما دفعهم إلى اقتراف الزنى داخل الكعبة ثم القيام بعباده الأصنام، ولعل الكثير منهم لا يجعلها فقط فى مرتبه الشريك لله سبحانه وإنما هو يراها إلهاً واحداً والعياذ بالله.

ولذلك لا- يرى ضروره فى وجودها فى الكعبة أم خارجها فجعلت على الصفا والمروه؛ وهذا كله يكشف عن حدود عقليه هؤلاء. وتفاوت الحرمة ونسبتها فقد تكون الحرمة محصوره فى الصنم الذى يعبدون وقد تكون الحرمة فى الكعبة بوصفها بيت الشريك - والعياذ بالله - كما يؤمنون به.

ص: ٢٠

ومن هنا:

نجدهم جعلوا (هبل) وهو أكبر أصنامهم في جوف الكعبة لاشتراك الحرمه فيما بينهما حسبما يعتقدون، أى حرمه الكعبه وحرمه هبل، كما تدل النصوص التاريخيه.

ألف: قال ابن إسحاق: «وكان هبل أعظم أصنام قريش بمكه وكانت على بئر في جوف الكعبه، وكانت تلك البئر هي التي تجمع فيها ما يهدى للكعبه»^(١). أى اجتماع الحرمتين في عقول القرشيين، حرمه الصنم وحرمه الكعبه.

باء: ولم يقتصر الأمر فقط على وجود هبل في جوف الكعبه، وانما كان هناك أصنام أخرى، وهي (اللات، ومناه، والعزى)^(٢).

وهذا يدل على تغلغل هذا الاعتقاد في نفوس القرشيين ومن ثم تحديد المنقبه في ولاده حكيم بن حزام في جوف الكعبه مرتبط بما يعتقد القرشيون لا بما يعتقد الحافظ الذهبي لاسيما ان حكيم بن حزام ولد قبل عام الفيل بثلاث عشره سنه.

بمعنى لم ترتكز بعد في نفوسهم حرمه الكعبه التي ظهر برهانها في هلاك إبرهه الحبشى وجيشه كما تبينه سوره الفيل.

ص: ٢١

١- سيره ابن إسحاق: ج ١، ص ١١؛ جامع البيان لابن جرير الطبرى: ج ٦، ص ١٠٣؛ تفسير الثعلبي: ج ٤، ص ١٥.

٢- تفسير البغوى: ج ٤، ص ٢٥٠؛ زاد المسير لابن الجوزى: ج ٧، ص ٢٣٢؛ تفسير الواحدي: ج ٢، ص ١٠٤٠.

نعم، لو وقعت هذه الولاده فى الكعبه بعد عام الفيل لرجح الظن إلى عدّها منقبه عند القرشيين؛ لأنهم رأوا بأم أعينهم كيف دافع الله تعالى عن بيته الحرام، وهو ما يدعو إلى رجحان هذا الأمر وتحققه فى ولاده الإمام على عليه السلام لسريان ثقافه ارتباط الكعبه بالله سبحانه بعد عام الفيل، وظهور حرمتها إلى رتبه القطع عند أهل مكه وغيرهم من الناس لانتشار هذا المعجز فى أرجاء البلاد.

ثانياً: ما يدل على عدم الاعتقاد بحرمه الكعبه أعزها الله بعد الإسلام وسيران هذه الثقافه فى المجتمع

ولم يقتصر هذا الامر على تلك الحقبه الزمنيه التى مرت بها الأجيال العربيه التى سكنت بجوار بيت الله الحرام، وانما تعداه إلى أزمنه أخرى ومتعاقبه لذلك الزمن حتى بعد مجيء النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حسبما تدل عليه النصوص التاريخيه والحديثيه، ومن ثمّ فالاعتقاد بحصول الولاده فى جوف الكعبه متلائم مع الاعتقاد بحرمه الكعبه أعزها الله وهو ما لم يتحقق حصوله عند بنى أميه والزييريين كما دلت عليه المصنفات الإسلاميه التى باتت حبلى بهذه الحوادث والشواهد.

ألف. أما الأمويون فقد كشفوا عن حقيقه اعتقادهم بحرمه الكعبه من خلال إرسالهم لمسرف بن عقبه الذى بعثه يزيد بن معاويه لأخذ البيعه له من أهل المدينه ومكه وقاتل عبد الله بن الزبير الذى تحصن بالحرم، فقدم الجيش وهو بقيادة الحصين بن نمير السكونى لتحقيق هذا الهدف الذى تم إنجاز بعضه

على يد مسرف بن عقبه فى المدينه المنوره حينما دخلها واستباحها ثلاثه ايام وأخذ البيعه من الصحابه على أنهم عبيد (ليزيد بن معاويه) (١) لتظهر بهذه البيعه الأمويه والشريعه السفينيه ثقافه الاعتقاد بحرمه المدينه وحرمة الصحابه.

وأما مكه فظهر اعتقاد بنى أميه بحرمتها من خلال قتالهم ابن الزبير، فلما استعصى عليهم نصبوا المنجنيق ورموا بيت الله بالحجاره، وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطاره مثل الفنيق المزبد نرمى بها أعواد هذا المسجد (٢)

باء. ولم تكن هذه المره الوحيده التى يتعرض فيها بيت الله لهتك الحرمه والدمار. بل حدث ما هو أعظم من ذلك! حينما أمر عبد الملك بن مروان، الحجاج بن يوسف الثقفى بالتوجه إلى مكه وقتل عبد الله بن الزبير، فكان له ما أراد، بعد أن حاصر الحجاج وجيشه البيت الحرام فى الشهر الحرام، ولم يمنعه من ذلك الفعل الشنيع مانع، فلا البيت له حرمة، ولا الشهر له حرمة، ولا المسلمون الذين قدموا لتأديه المناسك كانت لهم حرمة عند بنى أميه وأشياعهم.

فكان من أمر الحجاج أن نصب المنجنيق على جبل أبى قبيس ورمى به الكعبه (٣).

وأول مارمى بالمنجنيق رعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجاره فاشتمل عليها!! فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا بأيديهم.

ص: ٢٣

١- كتاب المنق لمحمد بن حبيب البغدادى: ص ٣١٦؛ الطرائف لابن طاووس: ص ١٦٦.

٢- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ١٢٤.

٣- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٥٠. أسد الغابه لابن الأثير: ج ٣، ص ٢٤٤.

فرفع الحجاج بركه قبائه فغرزها في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال أرموا ورمى معهم؛ ثم أصبحوا فجاءت صاعقه تتبعها أخرى، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً؛ فانكسر أهل الشام.

فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا، فإنى ابن تهامه وهذه صواعقها، وهذا الفتح قد حضر فأبشروا^(١).

فأخذوا يرمون بيت الله، وجعلت الحجارة لا تهد، لكنها تقع في المسجد الحرام كالمطر، وكان رماه المنجنيق إذا هم وهنوا، وسكتوا ساعه فلم يرموا يبعث إليهم الحجاج فيشتمهم ويتهددهم بالقتل.

فلم يزل الحجاج وأصحابه يرمون بيت الله الحرام بالحجارة حتى انصدع الحائط الذى على بئر زمزم عن آخره! وانتفضت الكعبه من جوانبها!

ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفط والنار، حتى احترقت الستارات كلها فصارت رماداً!

والحجاج واقف ينظر كيف تحترق الستارات، وهو يرتجز ويقول:

إما تراها ساطعاً غبارها والله فيما يزعمون جارها

فقد وهت وصدعت أحجارها ونفرت منها معاً أطيارها

وحان من كعبته دمارها وحرقت منها معاً أстарها

لما علاها نطفها ونارها^(٢)

ص: ٢٤

١- المصدر السابق.

٢- الفتوح لابن أعثم: ج ٦، ص ٣٤٠.

ثم جرت معركة عظيمه ودخل جيش الشام على عبد الله بن الزبير من أبواب المسجد الحرام في وقت الصلاة وهم ينادونه: (بين العمياء)(١)، (بين ذات النطاقين)(٢).

ودار القتال في باحة المسجد الحرام وقتل عبد الله بن الزبير وجميع من كان معه، وقطع رأسه وأرسل إلى عبد الملك بن مروان(٣).

أما بدن ابن الزبير فقد صلب على جذع، وقيل على خشبه، منكساً على رأسه لعدّه أيام(٤) وربط معه كلب ميت(٥)؛ ثم أنزله الحجاج وألقى به في مقابر اليهود(٦). وقيل دفنته أمه بالحجون(٧).

ص: ٢٥

١- تاريخ أبي مخنف: ج ٢، ص ٩٥؛ مروج الذهب: ج ٣، ص ١٢٩؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج ٥، ص ٢٨٠.
٢- ذات النطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر وقد أصيبت بالعمى في آخر عمرها؛ وسبب تسميتها بـ «ذات النطاقين» هو لكونها شقت نطاقها إلى نصفين حينما جهزت طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر في خروجهما إلى المدينة، فربطت الطعام بشق من النطاق والماء بالشق الآخر. أنظر: صحيح البخارى: ج ٣، ص ١٠٨٧، حديث ٢٨١٧؛ صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٩٧١، حديث ٢٥٤٥.

٣- الفتوح لابن أعمش: ج ٦، ص ٣٤٢؛ تاريخ الطبرى: ج ٣، ص ١١٩٢.

٤- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٥٦-٣٥٧؛ الفتوح لابن أعمش: ج ٦، ص ٣٤٣.

٥- الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٥٧.

٦- صحيح مسلم، باب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها: ج ٤، ص ١٩٧١.

٧- الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٥٧.

وقتل معه مائتان وأربعون رجلاً منهم من سال دمه في جوف الكعبة (١).

وبعد هذه الانتهاكات العظيمة لبيت الله، من الهدم، والحرق، وقتل الناس، وصلبهم على الجذوع كيف تبقى له حرمة بين الناس وعلى مختلف معتقداتهم؟!

بل: إن السؤال الذي يفرض نفسه في البحث هو: كيف تعاد للبيت حرمة وهيئته بعد الآن؟!

وكيف يمكن دفع الضرر عنه مستقبلاً؟! بل كيف سيعاد بناؤه؟!، سؤال سيرد جوابه لاحقاً.

وعليه:

فأى منقبه نالها حكيم بن حزام في ولادته في جوف الكعبة حسبما يدعى الذهبي، والبيت بهذه الحالة وبنو أمية لا يرون له حرمة؟! ومن ثم قد ذهبت المناقب بذهاب الحرم.

ثالثاً: دور الزبيريين في هتك حرمة البيت الحرام وأهله

وبه تنكشف حقيقته الادعاء بولاده حكيم بن حزام في جوف الكعبة.

فلم يكونوا بأحسن حالاً من الأمويين في الاعتقاد بحرمة بيت الله وأهله وبعدهم لعلي بن أبي طالب وبنو هاشم عامه، ولم يكن البيت الحرام ولا أهله بمانعيهم عن المحاربه لهما.

ص: ٢٦

١- الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٧، ص ٩٤؛ فوات الوفيات للكتبي: ج ١، ص ٥٣٥.

روى الشيخ الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (كانت الكعبه على عهد إبراهيم عليه السلام تسعه أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانيه عشر ذراعاً فهدمها الحجاج فبناها سبعة وعشرين ذراعاً)^(١).

٢. معاداته لأهل البيت وامتناعه من الصلاه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغضاً لأهل بيته عليهم السلام

ومما يدل على زيف ادعاء الزبيريين فى ولاده ابن عمهم حكيم بن حزام فى جوف الكعبه فضلاً عن بيان السبب الحقيقى لهذا الادعاء الكاذب والدافع من ورائه، هو ما رواه أبو الفرج الاصفهاني من حديث يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الامام الحسن بن على عليهما السلام مع عبد الله بن مصعب - الراوى لحديث ولاده حكيم فى الكعبه - حينما اتهمه بالخروج على الخليفه العباسى هارون، وقد جمع بينهما هارون (الرشيد) بعد أن سجن يحيى بن عبد الله بن الحسن فأخرجه من السجن وأحضره إلى القصر، وكان عبد الله بن مصعب حاضراً فقال لهارون متهماً يحيى بالخروج على الخليفه:

(إن هذا دعانى إلى بيعته. فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين أتصدق هذا وتستنصحه وهو ابن عبد الله بن الزبير! أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى تخلصه ابو عبد الله الجدلى صاحب على بن أبى طالب منه عنوه.

ص: ٢٧

وهو الذى بقى أربعين جمعه لا يصلى على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فى خطبته حتى التاثر عليه الناس. فقال:

ان له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم وأشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكره.

وهو الذى فعل بعبد الله بن العباس ما لا خفاء به عليك حتى لقد ذبحت يوماً عنده بقرة فوجدت كبدها قد نقتت فقال ابنه على بن عبد الله: يا أبه اما ترى كبد هذه البقرة؟ فقال: يا بنى، هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعلى ابنه: يا بنى، الحق بقومك من بنى عبد مناف بالشام، ولا تقم فى بلد لابن الزبير فيه إمره. فاختار له صحبه يزيد بن معاويه على صحبه عبد الله بن الزبير. ووالله إن عداوه هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزله سواء، ولكنه قوى على بك وضعفت عنك، فتقرب بى إليك، ليظفر منك بما يريد، إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك ان تسوغه ذلك فى، فان معاويه بن أبى سفيان، وهو أبعد نسبا منك إلينا، ذكر يوماً الحسن بن على فسفهه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك، فزجره معاويه وانتهره فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين! فقال: إن الحسن لحمى آكله. ولا أوكله.

فقال عبد الله بن مصعب: إن عبد الله بن الزبير طلب امرأ فأدر كه. وإن الحسن باع الخلافه من معاويه بالدرهم، أتقول هذا فى عبد الله بن الزبير، وهو ابن صفيه بنت عبد المطلب؟

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما أنصفنا ان يفخر علينا بامرأه من نساءنا

وامرأه منا، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والاساميات والحمديات!

فقال عبد الله بن مصعب: ما تدعون بغيركم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟

فرجع يحيى رأسه إليه، ولم يكن يكلمه قبل ذلك، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبد الله، فقال له: أتوثبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم - أصلحك الله - عرفني فلست أعرفكم؟ فرجع الرشيد رأسه إلى السقف يحيله فيه ليستر ما عراه من الضحك ثم غلب عليه الضحك ساعه، وخجل ابن مصعب. ثم التفت يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخى على أبيك والقائل له:

إن الحمامه يوم الشعب من دثن هاجت فؤاد محب دائم الحزن

إننا لنأمل أن تترد الفتنة بعد التدابر والبغضاء والإحن

حتى يثاب على الإحسان محسنا ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن

وتنفضى دوله أحكام قاداتها فينا كأحكام قوم عابدى وثن

فطالما قد بروا بالجور أعظمتنا برى الصناعات قدام النبع بالسفن

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافه فيكم يا بنى الحسن

لا عز ركنا نزار عند سطوتها إن أسلمتكم ولا ركنا ذوى يمن

الست أكرمهم عودا إذا انتسبوا يوما وأطهرهم ثوبا من الدرر

وأعظم الناس عند الناس منزله وأبعد الناس من عيب ومن وهن

قال: فتغير وجه الرشيد عند استماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذى لا إله إلا هو، وبأيمان البيعه أن هذا الشعر ليس له وانه

لسديف. فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله: الرحمن الرحيم، الطالب الغالب، استحيى أن يعاقبه، فدعنى أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل. قال: حلفه.

قال: قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولى وقوتى، وتقلدت الحول والقوه من دون الله، استكبارا على الله، واستغناء عنه واستعلاء عليه إن كنت قلت هذا الشعر. فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: يا عباسى ماله لا يحلف إن كان صادقا؟ هذا طيلسانى على، وهذه ثيابى لو حلفنى انها لى لحلفت.

فرفس الفضل بن الربيع عبد الله بن مصعب برجله وصاح به: إحلف ويحك - وكان له فيه هوى - فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال: يا بن مصعب قطعت والله عمرك، والله لا تفلح بعدها. فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات فى اليوم الثالث.

فحضر الفضل بن الربيع جنازته، ومشى الناس معه، فلما جاءوا به إلى القبر ووضعوه فى لحدته وجعل اللبن فوقه، انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس، فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبره عظيمه.

فصاح الفضل: التراب التراب فجعل يطرح التراب وهو يهوى، ودعا بأحمال الشوك فطرحها فهوت، فأمر حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسرا.

فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل: رأيت يا عباسي، ما أسرع ما اديل ليحيى من ابن مصعب(١).

والحادثة تدل على جملة من الحقائق:

١. المجاهره ببغض عتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. إعلان الحرب عليهم وإيذائهم أشد الأذى، مع ما فى ذلك من أذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. محاربه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم جهاراً بالامتناع عن الصلاه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأربعين أسبوعاً أى لتسعه أشهر.

٤. الدافع الحقيقى لإطلاق أكذوبه ولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبه هو التقليل من شأن العلويين والهاشميين الذين حباهم الله سبحانه برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبوصيه وخليفته على بن أبى طالب عليه السلام.

٥. ثبوت حرمه ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض النفوس التى خالطتها الظنون حينما رأوا بأمر أعينهم ما جرى لعبد الله بن مصعب من الهلاك والخزى فى الدنيا.

(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) ٢.

ص: ٣١

١- مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصفهانى: ص ٣١٥-٣١٨؛ البحار للمجلسي: ج ٤٨، ص ١٨٣؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلى: ج

١٩، ص ٩١.

إذن:

لم يكن لولاده حكيم بن حزام فى جوف الكعبه أى حقيقه وإنما هو دعوى باطله انطلقت من فم امرئ عُرف هو وآباؤه بعدائهم الشديد لعتره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجاهرتهم بالنفاق من خلال بغضهم لعلى بن أبى طالب عليه السلام، وهذا أولاً.

وثانياً: أن المناقب تعد مناقب عند أهلها أما من لا يجد لله ورسوله حرمه فلا منقبه لديه فيما يرتبط بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكأننا فى هذه الحاله نقول للمسيحيين فى العالم وغيرهم ان من المناقب التى خصكم الله بها ان جعل الله تعالى مكه قبله للمصلين. فسرعان ما يقولون: أى مصلين هؤلاء؟ وأى قبله تلك؟ إنما المناقب عندنا محصوره فى بيت المقدس وبالسيد العذراء وابنها عليهما السلام.

والحال نفسه عند الأمويين والزييريين فالمناقب عندهم محصوره فى سادات الجاهليه وتجاره العبيد والتحكم فى سوق النساء والخمور والسطو والقتل، اما ان يولد أحدهم فى جوف الكعبه فهذا آخر مهمهم.

ثالثاً: إن الولاده فى جوف الكعبه هى منقبه عند أهل الكعبه؛ لأنهم يدركون حرمتها ويعظمون حقها ويجلون شأنها.

ومما يدل على ذلك:

١. قال إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أنزل أهله عند الكعبه (أعزها الله):

ص: ٣٢

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) ١.

فإبراهيم عليه السلام هو الذى يعظم البيت ويدرك حرمة وليس بنو أميه وحجاجهم الثقفى ولا الزبيريون وقتالهم فى الكعبة.

٢. إن إبراهيم عليه السلام هو الذى قدم ولده فداء لإقامه البيت الحرام فتلك هى المنقبة العظمى، وليس حزام بن حكيم الذى كان من الطلقاء ومن أشد المحاربين لله ورسوله.

٣. إن عبد المطلب هو من تبع أباه إبراهيم فى فداء البيت الحرام فنذر ولده عبد الله فكان ولده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابن الذبيحين.

٤. خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة خير دليل على تعظيم أهل البيت عليهم السلام لبيت الله الحرام وهو القائل:

«ولأن أقتل وبينى وبين الحرم باع أحب إلى من أن أقتل وبينى وبينه شبر، ولأن أقتل بالطف أحب إلى من أن أقتل بالحرم» (١).

جيم. أيبد الإنسان أمر الولادة فى جوف الكعبة أم يبد الله تعالى ؟

بقى لنا فى البحث هذا السؤال: الولادة فى جوف الكعبة أيبد فاخته بنت زهير بن أسد (٢) حينما كانت حاملاً بحكيم بن حزام، أم يبد فاطمه بنت أسد

ص: ٣٣

١- كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٥١.

٢- المستدرک للحاكم: ج ٣، ص ٤٨٣.

وهى حامل بعلى بن أبى طالب عليه السلام، أم هو بيد الله تعالى ؟

بالطبع: أن الأمر بيد الله تعالى، لاسيما ونحن نتحدث عن حدث وقع فى زمن لم يكن للتقنيه الطبيه والتكنولوجياه أى حضور، ومن ثم تنعدم إمكانيه اختيار كلِّ من فاخته بنت زهير أو فاطمه بنت أسد رضى الله تعالى عنها بتحديد المكان الذى سيلدن مولودهن فيه.

وعليه: الأمر بيد الله تعالى حتى مع التقدم العلمى والبحث فى المجالات كافه فمن يضمن ان تتم الولاده ومن يضمن بقاء الأم على قيد الحياه، ومن يضمن تكوين الجنين من الأصل، فالأمر لله من قبل ومن بعد.

ومن هنا:

حينما يكون الأمر كله لله تعالى فالسؤال المطروح: ما هى الخصوصيه التى كانت لحكيم بن حزام عند الله تعالى كى يقدر لفاخته بنت زهير الذهاب إلى بيته وحرمة ويضرب فى أحشائها المخاض كى تلد حكيم بن حزام.

فها هو التاريخ يظهر لنا خصوصيه حكيم بن حزام.

١. أمضى ستين سنه من عمره وهو يعبد الأصنام ومشركا بالله تعالى.

٢. تأخر إسلامه إلى عام الفتح حينما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكه.

٣. أنه من الطلقاء الذين شملهم عفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. انه من المؤلفه قلوبهم كأبى سفيان وولده معاويه وغيرهما، فهؤلاء

ص: ٣٤

كان يعطيهم النسي الأ-عظم صلى الله عليه وآله وسلم أموالاً- كى يستعطف قلوبهم ويكفوا شرهم عن الإسلام فلا- يحيكوا له الدسائس.

٥. اعتزله الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والقعود عن نصرته، وهو ميزان الإيمان والنفاق وعليه:

أين الخصوصيه لحكيم بن حزام كى يخصه الله بالولاده فى بيته وحرمة ؟

ولكن إن عكسنا السؤال فى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام وبحثنا عن الخصوصيه التى له فى الإسلام، فهل نجد أن رجلاً جمع من الخصائص والمناقب والمآثر ما جمعه على بن أبى طالب عليه السلام، وهل إمكانية منح هذه (المنقبه) - كما يقول الذهبى - تتناسب مع اختيار الله تعالى للكعبه المشرفه محلاً- لنزول على بن أبى طالب عليه السلام إلى الدنيا أم أن ذلك لا يتناسب؟!.

دال. ما هى الحكمة فى ولاده الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى جوف الكعبه ؟

من البديهى أن يكون لولاده الإمام على عليه السلام فى جوف الكعبه حكمه خاصه تنسجم مع ما للبيت الحرام وعلى بن أبى طالب عليه السلام من خصائص لاسيما ونحن نؤمن بأن الأمر كله لله تعالى، وهو العزيز الحكيم.

ولذلك:

يمكن أن نقف على بعض وجوه الحكمة فى ولاده الإمام على بن أبى طالب عليه السلام من خلال القرآن والسنة المطهره.

١. إن خير دال على التلازم بين الكعبه (أعزها الله تعالى) وعلى بن أبى

طالب عليه السلام هو ما كشفه مقيم البيت وبانيه، أى: إبراهيم الخليل عليه السلام.

قال تعالى عن لسان عبده إبراهيم:

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ١.

هنا:

يُظهر إبراهيم عليه السلام العلاقة بين البيت الحرام وذريته، ويدل في الوقت نفسه على العلة التي أوجبت تكوين هذه العلاقة، والغاية من الحضور، ألا وهي: الصلاة.

وإقامه الصلاة مرهونه بذريه إبراهيم؛ بمعنى بناء الصلاة وتقويمها هو من اختصاص ذريه إبراهيم عليه السلام فكان البناء من مرحلتين.

المرحلة الأولى: بناء بيت الله الحرام كى يتوجه المصلون إليه فى صلاتهم. والذى بعدم تحقيقه أى التوجه للقبله، تبطل الصلاة بإجماع فقهاء المسلمين. فكان إبراهيم وولده إسماعيل هما من أقاما القواعد والبناء فى المرحلة الأولى.

والمرحلة الثانية: كانت الإقامة للصلاة بعد أن بنى البيت الحرام وهذا مرهون بذريه إبراهيم.

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ).

ص: ٣٤

وعليه كانت الكعبة محل التوجه للصلاة وكان على بن أبي طالب عليه السلام إمام الإقامة.

ولكن لماذا على دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

لأن علياً هو الفيصل الذي تتكشف به حقائق الأعمال فإما كفر ونفاق، وإما إيمان وتقوى أى به تتحدد الصلاة فإما تكون مقبولة وإما مردوده بدلاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

والمنافق لا تزيده صلاته إلا بعداً عن الله تعالى.

بمعنى آخر: لا تقام الصلاة بدون البيت الحرام ولا تقام أيضاً بدون ذريه إبراهيم عليهم السلام وهم على والأئمة من ولده.

٢. للتشابه بين الإمام والبيت الحرام فى العلاقة مع الناس؛ فالإمام لا يأتى إلى الناس وإنما الناس هم الذين يأتون إليه، حاله فى ذلك حال الكعبة، فالناس هم الذين يأتون إلى الكعبة وليس العكس، وهو ما دلّ عليه الحديث النبوى الشريف.

فعن على عليه السلام وهو يحاجج أبا بكر فى حقه المغصوب، وقد قال له أبو بكر: «...، وأنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافى والاجترأ على أصحابى، وقد تركناك فاتركنا، ولا تردنا فيرد عليك منا ما يوحشك ويزيدك تنوياً إلى تنويمك».

فقال عليه السلام:

ص: ٣٧

لقد أوحشني الله منك ومن جمعك، وأنس بي كل مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر، فإنني أقص عليك نبأه، انه لما رأى تكاثف جنوده وكثره جمعه زها في نفسه، فأراد الوضع مني في موضع رفع ومحل ذي جمع، ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت عنه عندما خطر بباله، وهم بي وهو عارف بي حق معرفته، وما كان الله ليرضى بفعله.

فقال له أبو بكر: فنضيف هذا إلى تقاعدك عن نصره الإسلام، وقله رغبتك في الجهاد، فبهذا أمرك الله ورسوله، أم عن نفسك تفعل هذا؟! فقال علي عليه السلام:

يا أبا بكر! وعلى مثلي يتفقه الجاهلون؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم ببيعتي، وفرض عليكم طاعتي، وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا- يأتي، فقال: يا علي! ستعذر بك أمتي من بعدى كما غدرت الأمم بعد مضي الأنبياء بأوصيائها إلا قليل، وسيكون لك ولهم بعدى هنا وهناك، فاصبر، أنت كبيت الله: من دخله كان آمنا ومن رغب عنه كان كافرا، قال الله عز وجل:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا).

وانى وأنت سواء إلا النبوه، فإنني خاتم النبيين وأنت خاتم الوصيين (1).

٣. لتحقق الأمان في الالتجاء للبيت الحرام وعلي بن أبي طالب عليه السلام؛ فمثلا يتحقق الأمان في البيت الحرام حينما يلتجئ إليه الإنسان فمن

ص: ٣٨

دخله كان آمناً) كذلك حال من يلتجئ إلى علي بن أبي طالب فإنه يحصل على الأمان من الهلاك والضلال والوقوع في الفتن والفوز في الآخرة؛ لأنه استمسك بالعروة الوثقى، وأخذ بالصراط المستقيم، وكان في زمره الصالحين كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهما وهو ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«أنت كبيت الله، من دخله كان آمناً، ومن رغب عنه كان كافراً».

فهذا حال البيت الحرام وحال علي؛ وليس حال أبي سفيان فمن دخل داره كان آمناً كما ينق بنو أمية لاتباعهم الهمج الرعاع.

٤. للتلازم فيما بين الإمامة والإقامة؛ إن نكران البعض لإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام لا يضر في إمامة علي عليه السلام شيئاً حاله حال من أنكر الكعبة والإقامة نحوها في الصلاة فان ذلك لا يضر الكعبة شيئاً كما لا يفقدها خصوصيتها فضلاً عن حال صلاة المنكر لها، فهل تكون هذه الصلاة مقبولة بغير التوجه للكعبة؟ وهل تقام صلاة الجماعة بدون إمام؟!

٥. للاعتبار من حياه علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فهذه الحياه اختار الله لها أن تبدأ في أول ثانيه منها في بيت الله الحرام، وأن تنتهي آخر ثانيه منها في بيت الله أيضاً وما بينهما كله لله تعالى. فمثل هذه الحياه خير واعظ لبني آدم فكيف بأهل هذه المله؟!

٦. إن موقع الكعبة الجغرافي والفلكي والفيزيائي يجعلها في نواه محور حركه دوران الأرض مما يجعلها في مركز حركه الأرض ودوام الحياه عليها، وكذا موقع الإمامة في الحياه والشريعه.

هاء. ما يدل من الأحاديث على ثبوت ولادة الإمام على عليه السلام في جوف الكعبة

ربما يكون إيراد الأحاديث الداله على ولادة الإمام على عليه السلام في جوف الكعبة تحصيل حاصل بعد هذه الجولة من الاستدلالات العقلية والعقلية.

إلا اننى أحببت ان أورد بعض هذه الأحاديث كى نقطع الطريق على من ظل يماطل فى الإذعان لهذه الحقيقه كابن أبى الحديد المعتزلى حيث قال:

(واختلف فى مولد على عليه السلام أين كان؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد فى الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود فى الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد)^(١).

وأقول:

ألف. لم يقدم بن أبى الحديد أى دليل يظهر فيه وجود هذا النوع من الاختلاف عند المحدثين كما انه لم يحلِ القارئ إلى أى مصدر يطلعه على وجود الاختلاف بين المحدثين حول ولادة على بن أبى طالب عليه السلام فى جوف الكعبة.

باء. قوله: إن كثيراً من الشيعة يزعمون أنه ولد فى الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك؟

وأقول: هذا تقوّل واضح على المحدثين وعلى الشيعة.

ص: ٤٠

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ١، ص ١٤.

فأما المحدثون، فهم لا ينكرون ولاده على بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة، وإنما ينكرون على غيرهم في اعتمادهم الأوهام في ولاده حكيم ابن حزام في جوف الكعبة، وهذا قولهم.

١. الحاكم النيسابوري (صاحب المستدرک)، فقد رد على مصعب بن عبد الله حينما نسب الولاده في جوف الكعبة إلى فاخته بنت زهير بن أسد حينما كانت حاملاً بولدها حكيم، ان قال: (وهم مصعب - أى توهم - فقد تواترت الأخبار: أن فاطمه بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة)^(١).

إذن: الثابت الذى عليه حد التواتر عند المحدثين هو ولاده على بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة وليس كما يزعم ابن أبي الحديد بأن ذلك من قول الشيعة.

٢. قال الزرندي الشافعي (المتوفى عام ٧٥٠ هـ -): (وولد كرم الله وجهه في جوف الكعبة، يوم الجمعة الثالث عشر من رجب قبل الهجره بثلاث وعشرين سنه على المشهور)^(٢).

٣. قال ابن الصباغ المالكي نقلاً عن أبي المعالي الفقيه المالكي وقد روى خبراً يرفعه إلى على بن الحسين - عليهما السلام - أنه قال:

ص: ٤١

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ٤٨٢.

٢- معارج الوصول إلى معرفه فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزرندي الشافعي: ص ٥٧.

(كنا عند علي بن الحسين - عليه السلام - في بعض الأيام وإذا بنسوه مجتمعين فأقبلت امرأه منهن علينا فقلت لها:

من أنت يرحمك الله؟

قالت: أنا زيدة ابنه العجلان من بني ساعده، فقلت لها:

هل عندك من شيء تحدثينا به؟

قالت: أي والله حدثتني أم عماره بنت عباد بن فضله بن مالك بن عجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له ما شأنك؟

قال: إن فاطمه بنت أسد في شدة من الطلق. ثم أخذ بيدها وجاء بها إلى الكعبه فدخل بها، وقال: اجلسي علي اسم الله، فطلقت طلقه واحده فولدت غلاماً نظيفاً منظفاً لم أر أحسن وجهاً منه، فسماه أبو طالب علياً وقال شعراً:

سميته بعلي كي يدوم له عز العلو وفخر العز أدومه

وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحمله معه إلى منزل أمه.

قال علي بن الحسين:

فوالله ما سمعت بشيء حسن قط ، إلا وهذا من أحسنه»(١).

أما ما روى عن علماء الشيعة فهو كالاتي:

ألف. روى ابن أبي الفتح الأربلي (المتوفى سنة ٦٩٣ هـ -) عن كتاب بشاير

ص: ٤٢

١- العقول المهمه لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ١٧٥؛ كشف الغمه للأربلي: ج ١، ص ٦٠.

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعاً إلى يزيد بن قعب قال:

(كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وفريق من بنى عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمه بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً به لتسعه أشهر وقد أخذها الطلق فقالت:

يا رب إنى مؤمنه بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنى مصدّقه بكلام جدى إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق فبحق الذى بنى هذا البيت والمولود الذى فى بطنى إلا ما يسرت على ولادتى.

قال يزيد بن قعب:

فرايت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمه فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب! فلم يفتح فعلمنا ان ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت فى اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ثم قالت:

إنى فضلت على من تقدمنى من النساء لأن آسيا بنت مزاحم عبدت الله سرا فى موضع لا يحب الله ان يعبد فيه إلا اضطراراً، وان مريم بنت عمران هزّت النخله اليابسه بيدها حتى اكلت منها رطباً جنياً، وإنى دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنه وأرزاقها فلما أردت ان أخرج هتف بى هاتف وقال:

ص: ٤٣

يا فاطمه سميّه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى، يقول: اشتقت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته علي غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدمني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت علياً ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً وقال لها:

اجعلي مهده بقرب فراشي.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول:

هذا أخي وولي وناصر، وصفى، وذخري، وكهفي، ومهري، ووصيي، وزوج كريمي، وأميني علي وصيتي، وخليفتي.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها صلى الله عليه وآله وسلم على الحامل والمحمول(1).

فهذه هي حقيقه ولاده الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبه وبها يتضح معنى اختيار الله تعالى لفاطمه بنت أسد بيته الحرام محلاً لولاده خاتم الأوصياء وأبي الأئمة النجباء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ص: ٤٤

١- كشف الغمه للأربلي: ج ١، ص ٦١-٦٢؛ الجواهر السنيه للحر العاملي (باختصار): ص ٢٣٠؛ شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج

يعد نوفل بن خويلد أحد رموز الشرك في قريش، وقد نعمته ابن هشام الحميري بانه: كان من شياطين قريش(١)، وسيمر سبب تسميه ابن هشام له بذلك، في حين سماه الواقدي ب -: أسد قريش(٢).

والظاهر ان السبب في هذه التسميه قد اتفق عليه ابن هشام والواقدي كما سيمر، ويسمى أيضاً ب - (ابن العدويه)(٣).

ولد لنوفل بن خويلد، ولدان، وهما: صفوان بن نوفل، والأسود بن نوفل، ولقد أسلم الأسود في مكه في السنين الأولى للبعثه، وهاجر إلى الحبشه وبقى فيها إلى حين رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام بمن بقي من المسلمين في الحبشه إلى المدينه.

وكان رجوعه قد تزامن مع انتصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود في خيبر وفتحها فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أم بفتح خيبر»(٤).

ص: ٤٥

-
- ١- السيره النبويه لابن هشام: ج ١، ص ١٨١.
 - ٢- العثمانيه للجاحظ: ص ٢٨؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٢١٥.
 - ٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٢١٥. المستدرک للحاكم: ج ٣، ص ٣٦٩.
 - ٤- مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٧٢. المعجم الصغير للطبراني: ج ١، ص ١٩. الاستيعاب لابن عبد البر: ج ١، ص ٢٤٢. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١، ص ٢١٤.

ألف: نزل في نوفل قوله تعالى: (و لو نزلنا عليك كتابا في قرطاس)

وعرف نوفل بن خويلد بعدائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أحد الرموز التي آلت على نفسها محاربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتصدي له بشتى الوسائل، وقد تجمع حوله نفر من قريش عرفوا بنفس الطباع والعداء للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كالنضر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، وهم الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له: «يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله تعالى، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وانك رسوله، فنزل فيهم قوله تعالى:

(و لو نزلنا عليك كتابا في قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحرٌ مبينٌ) ١.

باء: اشتراكه في قتال المسلمين في بدر الكبرى وهلاكه بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام

وكان نوفل بن خويلد قد خرج مع قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر الكبرى، فلما علم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بحضوره في المعركة، قال:

«اللهم اكفني نوفل بن خويلد»(١).

ص: ٤٦

(وأقبل نوفل يومئذ وهو مرعوبٌ قد رأى قتل أصحابه، وكان في أول ما التقواهم والمسلمون يصيح بصوت له زجل رافعاً صوته: يا معشر قريش، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعه، فلما رأى قريشا قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دماننا؟ أما ترون من تقتلون؟ أما لكم في اللبن من حاجه.

فأسره جبار بن صخر، فهو يسوقه أمامه، فجعل نوفل يقول لجبار، وقد رأى علياً عليه السلام مقبلاً نحوه يا أخا الأنصار، من هذا؟ واللوات والعزى إني لأرى رجلاً، إنه ليريدني؟! قال جبار - بن صخر -: هذا علي بن أبي طالب.

قال نوفل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه، فصمد له علي عليه السلام فيضربه فينشب سيف علي في جحفته (١) ساعه ثم ينزعه فيضرب به ساقيه، ودرعه مُشتمره فيقطعها، ثم أجهز عليه فقتله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من له علم بنوفل بن خويلد؟

قال علي عليه السلام:

أنا قتلته، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه» (٢).

ص: ٤٧

١- الجحفة: الترس، أي الدرع.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٤، ص ١٤٤؛ امتاع الأسماع للمقرئزي: ج ١٢، ص ١٦٦؛ السيره الحلبيه: ج ٢، ص ٤١٨؛ السيره النبويه لابن هشام (مختصراً): ج ١، ص ١٨١.

جيم: حقيقه تعذيب نوفل بن خويلد لأبى بكر وطلحه بن عبيد الله، وهل فيه تفضيل على بن أبى طالب عليه السلام كما يدعى الجاحظ؟

أولاً: كيف حدث تعذيبهما

روى ابن سعد عن محمد بن عمر مرفوعاً إلى إبراهيم بن محمد بن طلحه قال: «قال طلحه بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى فإذا راهب فى صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم قال طلحه فقلت: نعم أنا.

فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قال قلت: ومن أحمد؟، قال: ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل، وحره، وسباخ، فأياك أن تسبق إليه.

قال طلحه: فوقع فى قلبى ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حدث؟

قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه بن أبى قحافه.

قال: فخرجت حتى دخلت على أبى بكر فقلت: أتبع هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحه بما قال الراهب فخرج أبو بكر بطلحه فدخل به على رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فأسلم طلحه، وأخبر رسول الله بما قال الراهب فسُرّ رسول الله بذلك.

فلما أسلم أبو بكر وطلحه بن عبيد الله أخذهما نوفل بن خويلد بن

العدويه فشهدهما فى جبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل بن خويلد يدعى أسد قريش فلذلك سمي أبو بكر وطلحه القرينين(١).

ثانياً: اعتقاد الجاحظ وتعامله على الإمام على عليه السلام مستنداً إلى هذه الحادثة!

ولقد ذهب الجاحظ إلى ان هذه الحادثة هي من المناقب التي فاق بها أبو بكر وطلحه على بن أبي طالب عليه السلام والسبب يعود - حسب اعتقاده - إلى أن أبا بكر (كان يلقي في الله ورسوله بيطن مكة، وعلى، خلى الروع، آمن السرب، رخي البال، كما لقي يوم دعا طلحه إلى الإسلام فأسلم وحضر به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخذلتها تيم، وأخذهما نوفل بن خويلد بن أسد، فأما ابن إسحاق فزعم أنه كان من شياطين قريش، وأما الواقدي وغيره فزعموا انه كان يلقب أسد قريش وهو الذي يقال له ابن العدويه فقرنهما فى جبل وفتنهما على دينهما وعذبهما، فلذلك سمي أبو بكر وطلحه (القرينين)(٢).

أقول:

فلنعد فى بادئ الأمر إلى الحادثة التي اعتمد عليها الجاحظ ، والذي قدم لنا صورته أخرى من صور العقل الأموى ومهازله المستمره عبر التاريخ، ولنناقش الروايه مناقشه علميه وموضوعيه كى يتضح لنا: أهؤلاء الأمويين أسس علميه يعتمدون عليها فى قرائتهم للحدث التاريخي، أم أنهم مغول الفكر الإنساني

ص: ٤٩

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٢١٥؛ المستدرک للحاكم: ج ٣، ص ٣٦٩.

٢- العثمانيه للجاحظ : ص ٢٨.

الذى لا يرى سوى الكذب، والدجل، والنفاق، وبغض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته؟!!

ألف: إنّ الراهب أخبر طلحه بأن هذا الشهر، هو الشهر الذى سيخرج فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوصاه أن يحرص على أن لا يسبقه أحد إلى الإيمان به، فعاد سريعاً إلى مكة، فسأل عن حدوث شيء جديد فأخبروه بأن محمد بن عبد الله قد تنبأ وقد تبعه ابن أبى قحافه.

وأقول:

١. فأين مدعاكم بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان فى السنوات الأولى من بعثته متخفياً من قريش مستترا عن أهلها حتى نزل قوله تعالى:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ١.

فأعلن عن دعوته؟ فأى تناقض هذا بين أن تكون الدعوه سرية لسنوات مع علم أهل مكة سريعاً ببعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ وزادوا عليه: أى على علمهم بخبر النبى وانتشاره بينهم هو علمهم بأن ابن أبى قحافه قد تبعه! فإما انها لم تكن سرية فانتشر خبرها بين قريش وعلموا باتباع ابن أبى قحافه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيكون قولهم: إنها سرية كذباً وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتاريخ.

وإما أنها كانت سرية وأن أبا بكر تبعه سراً، وهذا يدل على أن قول طلحه فى هذه الروايه كذب وافتراء.

ص: ٥٠

٢. إن أحمد بن حنبل، والحافظ النسائي، ومحمد بن إسحاق صاحب السير، والحاكم النيسابوري، والذهبي وغيرهم ينصون على كذب طلحة بن عبيد الله في هذه الرواية وذلك من خلال ما أخرجه الجميع عن عفيف الكندي حينما قدم إلى مكة، في أول البعثة ونزل على العباس بن عبد المطلب. ولشهره الحديث فقد أخرجه من طريقين:

الطريق الأول: رواه الحافظ النسائي (١) صاحب السنن قائلًا: أخبرني محمد بن محمد الكوفي قال: حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال:

جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما ارتفعت الشمس، وحلقت في السماء، وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل القبلة فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام

ص: ٥١

١- وهو الحافظ المحدث القاضي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي - والنسائي، نسبه إلى نسا بلده بخراسان ولد عام (٢١٥ هـ -) وكان قد تتلمذ عند عدد كبير من شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي، وكان قد تتلمذ عنده جمع كثير، منهم: الدولابي، والطحاوي، والطبراني. واتهم النسائي بالتحسين لروايته أحاديث في فضائل علي عليه السلام. وقد ذكر محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي، قال: سمعت قوماً ينكرون علي أبي عبد الرحمن النسائي كتاب: الخصائص لعلي - عليه السلام -، وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب الخصائص، رجوت أن يهديهم الله تعالى. «سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٤، ص ١٢٥».

فقام من يمينه فلم يلبث حتى جاءت امرأه فقامت خلفهما فرقع الشاب فرقع الغلام والمرأه، فرقع الغلام والمرأه، فخر الشاب ساجداً، فسجدا معه.

فقلت يا عباس: أمرٌ عظيم!؟

فقال: أتدرى من هذا الشاب؟، فقلت: لا.

فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - صلى الله عليه وآله وسلم -، هذا ابن أخى.

وقال: أتدرى من هذا الغلام؟

فقلت: لا.

قال: هذا على بن أبى طالب بن عبد المطلب، هذا ابن أخى، هل تدرى من هذه المرأه التى خلفهما؟. قلت: لا.

قال: هذه خديجه بنت خويلد زوجة ابن أخى هذا، حدثنى ان ربك ربّ السموات والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه.

لا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»^(١).

ولهذا الحديث طريق آخر، أخرجه ابن إسحاق وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل والحاكم وغيرهم، وهو:

ص: ٥٢

١- النسائى فى خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب - عليه السلام - : ص ٢٣ برقم ٦؛ ابن سعد فى طبقاته: ج ٨، ص ١٧؛ وأبو يعلى الموصلى فى المسند: ج ٣، ص ١١٧.

محمد بن إسحاق، عن يحيى بن أبي الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف بن عمرو، قال: كنت امرأةً تاجراً و كنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية فقدمت لتجاره فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى ف جاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلى ثم جاءت امرأه فقامت تصلى ثم جاء غلام حين راهق اللحم فقام يصلى فقلت للعباس: من هذا؟.

فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام، وهذه المرأة: خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال عفيف الكندي وأسلم وأحسن إسلامه: (لوددت أنى كنت أسلمت يومئذ فيكون لى ربع الإسلام)(1).

قال الحاكم النيسابورى: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أى: البخارى ومسلم.

أقول:

ص: ٥٣

١- السير والمغازى لابن إسحاق: ص ١٣٧-١٣٨؛ فصل: اسلام على بن أبى طالب - عليه السلام -؛ وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير: ج ٧، ص ٧٤. ص ٧٥ برقم ٣٤١؛ وأحمد ابن حنبل فى المسند: ج ١، ص ٢٠٩؛ والحاكم فى المستدرک: ج ٣، ص ١٨٣؛ وأقره الذهبى فى تلخيصه؛ والبيهقى فى الدلائل: ج ١، ص ٤١٥؛ والهشيمى فى الزوائد: ج ٩، ص ١٢٦، برقم (١٤٦٠٥)؛ وابن سيد الناس فى عيون الأثر: ج ١، ص ٩٣؛ والحافظ الطبرانى فى المعجم الكبير: ج ١٨، ص ١٠٠-١٠١، برقم (١٨١).

وهذا يدل على أن الروايه التي رواها ابن سعد عن طلحه بن عبيده لا أساس لها من الصحه، وأن تعذيب أبي بكر وطلحه هو من نسج خيال الساسه الذين جلسوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وان إسلامه في هذه الحقبه كذب صريح؛ فضلا عن ذلك فان الروايه فيها من الأباطيل الأخرى نعرضها في الفقره (باء).

باء. ومما جاء في الروايه أيضاً أن طلحه أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قال الراهب (فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك).

وهذا الافتراء أفضح من السابق وأخزى، إذ كيف يسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلام الكهنه وكأنه لا يعلم انه نبي صلى الله عليه وآله وسلم والعياذ بالله حتى يحتاج إلى تطمينات الرهبان بانه هو نبي هذا الزمان؛ والسؤال المطروح: لو عكسنا الحال فكان الراهب مكذباً لخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفتراه يحزن لقول الراهب؟! أي افتراء هذا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!؟

نعم لو فرح طلحه بن عبيد الله بكلام الراهب لقلنا ان ذلك حقيقى؛ لأنهم كانوا يعتمدون على الرهبان في معتقداتهم ويصدقونهم فيما يقولون، والدليل أن طلحه لشده تصديقه بكلام الراهب قام فرجع إلى مكه مسرعاً وهنا الطامه الكبرى؛ إذ لو كان هذا الراهب قد أنكر خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان طلحه لا يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لو رأى جبرائيل عليه السلام بأم عينه.

جيم. ثم ما هذا الترابط العجيب بين قول الراهب وقول أبي بكر؟ أفيكون أبو بكر، راهباً أيضاً ولا- يعلم به أحد غير طلحه؟! ولذلك كان تصديقه للراهب بنفس مستوى تصديقه لأبي بكر بحيث كان على مرحلتين، الأولى كانت من فم الراهب، والثانية من فم أبي بكر؟!

دال. ثم ما هذا الدور العجيب للرهبان والأثر السحري لهم في إيمان الصحابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! فطلحه يسرع إلى مكة بفضل كلام الراهب ويسلم!! وأبو بكر يخرج إلى اليمن فيلقى راهباً فيخبره بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيعود إلى مكة فيسلم!!

والأغرب من ذلك كله هو التشابه في أدوار الرهبان، فدور راهب طلحه هو نفسه دور راهب أبي بكر!! ولا- نعلم لماذا يختار الرهبان طلحه وأبا بكر ليكون لهما الفضل واليد الطولى في هدايتهما وإسلامهما!!

أما كيف تم الحدث في اليمن فيرويه لنا أبو بكر كما روى لنا طلحه سابقاً، وهي صدفة أخرى عجيبة!!

فقد روى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود عن أبي بكر أنه قال: «خرج - خرجت - إلى اليمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم فنزلت على شيخ من الأزدي عالم قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيراً فلما رآني قال: أحسبك حرمياً؟ قال أبو بكر قلت: نعم، أنا من أهل الحرم.

قال: وأحسبك تيمياً؟ قال: قلت، نعم أنا من تيم بن مره، أنا عبد الله ابن عثمان من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مره؛ قال: بقيت لي فيك واحده.

قلت: ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنك؟

قلت: لا أفعل، إذ تخبرني لم ذاك؟!

قال أجد في العلم الصحيح الزكي الصادق أن نبيا يبعث في الحرم تعاون على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامه وعلى فخذه اليسرى علامه وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفه إلا ما خفى على.

قال أبو بكر: فكشفت له عن بطني فرأى شامه سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبه وإنى متقدم إليك في أمر فاحذره! قال أبو بكر: قلت، وما هو؟ قال إياك والميل عن الهدى، وتمسك بالطريقه الوسطى، وخف الله فيما حولك وأعطاك.

قال أبو بكر: فقضيت باليمن أربى ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال: أحامل أنت منى أبياتا قلتها في ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: قلت: نعم، فأنشأ يقول:

ألم تر أنى قد وهنت معاشرى ونفسى وقد أصبحت فى الحى واهنا

حبيب وفى الأيام للمرء عبره ثلاث مئين ثم تسعين آمنا

وصاحبت أختيارا أبانوا بعلمهم غياهيب فى سد ترى فيه طامنا

وكم عليل راهب فوق قائم لقيت وما غادرت فى البحر كاهنا

فكلهم لما تطمست قال لى بأن نبيا سوف نلقاه دانيا

بمكه والأديان فيها غزيره فيركسها حتى يراها كواهنا

فما زلت أدعو الله فى كل حاضر حللت بها سرا وجهرا معالنا

وقد خمدت منى شراره قوتى وألقت شحنا لا أطيق الشواحنا

وأنت ورب البيت تلقى محمدا بعامك هذا قد أقام البراهنا

فحى رسول الله عنى فإننى على دينه أحيا وإن كنت داكنا

فيا ليتنى أدركته فى شيبتى فكنت له عبدا أو الا العجاهنا

عليه سلام الله ما در شارق وما حمل الركبان فيه السواجنا

وما سبحت بالحكمتين وسبحه وما صح ضحاك من النور هاقنا

قال أبو بكر: فحفظت وصيته وشعره وقدمت مكه وقد بعث النبى (صلى الله عليه - وآله - وسلم) فجاءنى عقبه بن أبى معيط ،
وشيبه بن ربيعه، وأبو جهل بن هشام، وأبو البخترى بن هشام، وصناديد قريش فقلت لهم هل نابتكم نائبه، أو ظهر فيكم أمر؟

قالوا: يا أبا بكر أعظم الخطب وأجل النوائب، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى، ولولا أنت ما انتظرنا به!!! فإذا قد جئت فأنت الغايه
والكفايه لنا!!!!

قال أبو بكر: فصرفتهم على حس مس، وسألت عن النبى (صلى الله عليه - وآله - وسلم) فقيل: إنه فى منزل خديجه فقرعت عليه
الباب فخرج إلى فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلك، واتهموك بالفتنه، وتركت دين آبائك وأجدادك ؟

قال: يا أبا بكر إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فأمن بالله فقلت: وما دليلك على ذلك ؟

قال: الشيخ الذى لقيته باليمن.

قلت: وكم من مشايخ لقيت باليمن، وأمرت، وأخذت، وأعطيت؟

قال: الشيخ الذى أفادك الأبيات.

قلت: ومن خبرك بهذا يا حبيبي؟

قال: الملك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبل.

قلت: مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لابتئها أشد سرورا من رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) بإسلامي(١)!!!

وأقول:

وهذه الرواية لا تختلف من حيث الصياغة والدلالة عن رواية طلحة بن عبيد الله وكتاهما تكشف عن تصديق طلحة بن عبيد الله وأبن أبى قحافة بكلام الرهبان وتأثيره الكبير فى معتقداتهما، ولا ندرى كم سيكون إيمانهما وتصديقهما برسول الله فيما لو التقيا بهذين الراهبين وقد تغير كلامهما فى خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتراهما يتبعان الرهبان بوصفهما كانا الطريق إلى الإسلام، أم انهما ينكران عليهما تراجعهما عن قوليهما؟ لا ندرى، ولعل طلحة وأبا بكر هما أدري بوثاقه الرهبان، إذ كانا (قرينين) بتصديق الرهبان.

ص: ٥٨

١- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج ٣٠، ص ٣١-٣٣؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٣، ص ٢٠٨؛ تفسير الثعالبي: ج ١، ص ٣٢٠.

أو أن هاتين الروایتین لا أساس لهما من الصحه وأن أبا بكر وطلحه لم يلتقيا بالرهبان ولم يصدقا بقولهما ولم يسلما من خلالهما، وان إسلامهما تأخر بضع سنوات وانهما لم يعذبا ولم يكونا قرينين في العذاب، وان نوفل بن خويلد برىء من تعذيبهما كبراء الذئب من دم يوسف عليه السلام ومن ثم.

فنحن أمام روايه أساسها الكذب ودلائها الكذب.

ثالثاً: لماذا نوفل بن خويلد؟ وما علاقته بأبي بكر وطلحه كى يعذبهما؟ ولماذا لم يتدخل بنو تيم؟!؟

هذا السؤال استوقفنى وأنا أراجع حقيقه تعذيب نوفل بن خويلد لطلحه وأبى بكر، فما علاقته بهما فهما من بنى تيم ونوفل بن خويلد من بنى أسد؟ علماً ان النظام الاجتماعى فى مكه قائم على ضوابط العشائر وتكفلها بأبنائها فلماذا يتولى نوفل بن خويلد تعذيبهما وهما ليسا من عشيرته؟ ولماذا لم يتدخل بنو تيم؟ وعليه: فنحن أمام احتمالات منها:

١. إما انهما ليسا من بنى تيم، فقد يكونان من الموالى أو العبيد، ومن ثم لا علاقته لبنى تيم بهما سواء أسلما أم لم يسلما، عُذبا أم لم يُعذبا، وعليه فادعواؤهما بأنهما تيميّان كذب.

٢. وإما أنهما مملوكان عند نوفل بن خويلد ومن ثم هو المسؤول عن تأديبهما كما هو سائد فى مكه وما يفرضه نظام الرق من قوانين.

٣. أو أن أبا بكر وطلحه هما من أرذل البيوت فى قريش ومن ثم لا قدره لذويهما على مواجهه نوفل بن خويلد فتركوا أبا بكر وطلحه تحت سطوه نوفل

ابن خويلد لاسيما وان هناك من النصوص ما يدل عليه.

ألف. روى الحاكم النيسابورى عن أبى الشعثاء الكندى عن مره الطيب قال جاء أبو سفيان بن حرب إلى على بن أبى طالب - عليه السلام - فقال: «ما بال هذا الأمر فى أقل قريش قله، وأذلها ذله - يعنى أبى بكر - والله لان شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً».

فقال على - عليه السلام -: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبى سفيان، فلم يضره ذلك، انا وجدنا أبى بكر لها أهلاً» (١).

أقول: ومعنى كلامه عليه السلام.

١. أن ذله أبى بكر فى قريش وقلة أهله وذويه لا يضر أبى بكر فى شىء، لأنه نطق الشهادتين فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

٢. (انا وجدنا أبى بكر لها أهلاً) هو ليس إقراراً بصحة خلافه أبى بكر وإنما لقطع الطريق على أبى سفيان ورداً على عرضه الذى قدمه، بقرينه قوله لأبى سفيان لطالما عاديت الإسلام وأهله.

فضلاً عن أن أبى سفيان قد جاء مدعياً وقوفه مع على عليه السلام فى حقه المغصوب فى خلافه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام عليه السلام بحكمته فقطع الطريق على سيد الأحزاب وشيخ المعادين لرسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم.

باء. روى الحافظ ابن عساكر والمتقى الهندى كلاهما عن سويد بن غفله

ص: ٦٠

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ٧٨.

قال: (دخل ابو سفيان على على والعباس فقال: يا على وانت يا عباس ما بال هذا الأمر فى أذل قبيله من قريش وأقلها، والله لأن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً، ولأثورنها عليه من أقطارها)(١).

٤. إنَّ تحديد دور نوفل بن خويلد لهذه الحادثة قد اختير بعنايه وهو أشبه ما يكون بالأدوار التى يكتبها أصحاب الروايات البوليسيه، وهو أقرب إلى الأدب القصصى الذى امتازت به (أجاثا كرسى) حينما تسرد للقارئ احدى الشخصيات وقد اشتهر بالقسوه والشيطنه والسطو فيعذب الضعفاء من الناس ثم فى ظروف إما غامضه وإما معلومه ينتهى دوره الشرير وبنفس الجزاء فيكون مصيره القتل، بل والقتل المميز كما حدث لنوفل بن خويلد. ومن ثم إنك لا تستطيع ان تستفهم سبب ممارسته لهذا السلوك العدوانى مع طلحه وأبى بكر؟! وتعلق القضييه لعدم اكتمال التحقيق إلى حين يبعث نوفل بن خويلد!؟

٥. إن وصفهم لنوفل بن خويلد بأنه (من شياطين قريش)، وأنه (أسد قريش) إنما كان لتعديبه أبا بكر وطلحه، فلو لم يعدبهما لكان نوفل بن خويلد بريئاً من الشيطنه والأسوديه، ولكان أذعر من الفأر حينما يرى السنور.

وأى: أسوديه تلك التى وصفوه بها وقد شوهده فى معركة بدر مرعوباً يلتفت وينادى بأهل قريش، وأى: أسد هذا وقد أخذ جبار بن صخر يسوقه أمامه أسيراً كأنه المعزى ؟

ص: ٦١

١- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٢٣، ص ٤٦٥؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ٥، ص ٦٥٧، برقم (١٤١٥٦).

أليس من الغريب غض الطرف عن إيدائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيبه له فلا يوصف حينها بالشيطنه وتساق له هذه الصفه حينما يتعلق الأمر بطلحه وأبى بكر؟

وعليه: فالحادثه كلها كذب وافتراء قد صنعتها يد المتزلفه لحكام بنى أميه وأشياعهم ومن سار على عقيدتهم كالجاحظ الذى رأى فى هذا الكذب واقعاً يريد ان يفتخر به على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فكان فى أمره مخزياً وفى قوله مفضوحاً بالنفاق؛ لانه قد ران على قلبه فغفل أن حب على ابن أبى طالب إيمان، وبغضه نفاق.

رابعاً: افتضاح الجاحظ فى تعامله على على عليه السلام ورد الاسكافى عليه

إلا اننى وجدت من خير ما قيل فى الرد على هذا الخزى والعار، ما خرج عن فم الاسكافى المعتزلى شيخ ابن أبى الحديد، وقد أحببت أن أورد قول الجاحظ ورد الاسكافى عليه كى تكون الدلاله أحجى وأمضى، والمعنى أبين وأوضح.

قال الجاحظ : وكان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكه قبل الهجره، فضربه نوفل بن خويلد المعروف بابن العدويه مرتين، حتى أدماه وشده مع طلحه بن عبيد الله فى قرن، وجعلهما فى الهاجره عمير بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مره ولذلك كانا يدعيان القرنين، ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيرا، وبلوغ منزلته شديداً، ولو كان يوماً واحداً لكان عظيماً، وعلى ابن أبى طالب رافه وادع، ليس بمطلوب ولا طالب، وليس انه لم يكن فى طبعه

الشهامه والنجده، وفي غريزته البساله فى الشجاعه، لكنه لم يكن قد تمت أدواته، ولا استكملت آلته، ورجال الطلب وأصحاب الثار يغمصون ذا الحدائه ويزدرون بذى الصبا والغراره، إلى أن يلحق بالرجال، ويخرج من طبع الأطفال.

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: أما القول فممكّن والدعوى سهله، سيما على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب، وهو من دعوى الباطل غير بعيد، فمعناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع، وكلامه لعب ولهو، يقول الشىء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ ولا- لدعواه حد قائم، وإلا فكيف تجاسر على القول بان عليا حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً، وقد بينا بالأخبار الصحيحه، والحديث المرفوع المسند انه كان يوم أسلم بالغاً كاملاً منابذا بلسانه وقلبه لمشركى قريش، ثقيلاً- على قلوبهم، وهو المخصوص دون أبى بكر بالحصار فى الشعب، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله فى تلك الظلمات، المتجرع لغصص المرار من أبى لهب وأبى جهل وغيرهما، والمصطفى لكل مكروه والشريك لنبيه فى كل أذى، قد نهض بالحمل الثقيل، وبان بالامر الجليل، ومن الذى كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئه السارق، يخفى نفسه، ويضائل شخصه، حتى يأتى إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عدى وغيره، فيحمل لبنى هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح، وهو على أشد خوف من أعدائهم، كأبى جهل وغيره، لو ظفروا به لأراقوا دمه.

أعلى كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب، أم أبو بكر وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ، فقال في خطبه له مشهوره:

«فتعاقدوا الا يعاملونا ولا يناكحونا، وأوقدت الحرب علينا نيرانها، واضطرونا إلى جبل وعر، مؤمنا يرجو الثواب، وكافرنا يحامى عن الأصل»^(١).

ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم، وقطعوا عنهم الماره والميره، فكانوا يتوقعون الموت جوعا، صباحا ومساء، لا يرون وجهها ولا فرجا، قد اضمحل عزمهم، وانقطع رجاؤهم، فمن الذى خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد صلى الله عليه وآله الا على عليه السلام وحده وما عسى أن يقول الواصف والمطنب فى هذه الفضيله، من تقصى معانيها، وبلوغ غايه كنهها، وفضيله الصابر عندها ودامت هذه المحنه عليهم ثلاث سنين، حتى انفرجت عنهم بقصه الصحفيه، والقصه مشهوره.

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول فى على عليه السلام انه قبل الهجره كان وادعا رافها لم يكن مطلوبا ولا طالبا، وهو صاحب الفراش الذى فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، ووقاه بمهجته، واحتمل السيوف ورضح الحجاره دونه، وهل ينتهى الواصف وإن أطنب، والمادح وإن أسهب،

ص: ٦٤

١- أراد بقوله عليه السلام: (وكافرنا يحامى عن الأصل) هو أن قريش عاقبت جميع بنى هاشم سواء من كان آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن لم يؤمن مع نسائهم وأطفالهم وألجأتهم إلى الجبل وضربت عليهم طوقاً وحصاراً شديداً سعيّاً منهم للأباده الجماعيه واستئصال الشجره الهاشميه ذريه إسماعيل وإبراهيم من مكه.

إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيله، والايضاح بمزيه هذه الخصيصه.

فأما قوله: إن أبا بكر عذب بمكه، فانا لا نعلم أن العذاب كان واقعا الا بعدد أو عسيف، أو لمن لا عشيره له تمنعه، فأنتم فى أبى بكر بين أمرين تاره تجعلونه دخيلا ساقطا، وهجينا رذيلا مستضعفا ذليلا، وتاره تجعلونه رئيسا متبعا، وكبيرا مطاعا، فاعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم. ولو كان الفضل فى الفتنة والعذاب، لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكه أفضل من أبى بكر، لأنهم كانوا من العذاب فى أكثر مما كان فيه، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه.

كقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا).

قالوا نزلت فى خباب وبلال، ونزل فى عمار قوله:

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه، وهم يعذبون، يعذبهم بنو مخزوم؛ لأنهم كانوا حلفاءهم، فيقول: (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)، وكان بلال يقلب على الرضاء، وهو يقول: أحد أحد، وما سمعنا لأبى بكر فى شىء من ذلك ذكرا، ولقد كان لعلى عليه السلام عنده يد غراء، إن صح ما روئتموه فى تعذيبه، لأنه قتل نوفل بن خويلد وعمير بن عثمان يوم بدر، ضرب نوفلا فقطع ساقه، فقال: أذكرك الله والرحم فقال قد قطع الله كل رحم وصهر إلا من كان تابعا لمحمد، ثم ضربه أخرى ففاضت

ص: ٦٥

نفسه، وصمد لعمير بن عثمان التميمي، فوجده يروم الهرب، وقد ارتج عليه المسلك، فضربه على شراسيف صدره، فصار نصفه الأعلى بين رجليه، وليس أن أبا بكر لم يطلب بثاره منهما، ويجتهد، لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل على عليه السلام، فبان على عليه السلام بفعله دونه.

قال الجاحظ ولأبي بكر مراتب لا- يشركه فيها على ولا غيره، وذلك قبل الهجره فقد علم الناس أن عليا عليه السلام إنما ظهر فضله، وانتشر صيته، وامتحن ولقى المشاق منذ يوم بدر، وانه إنما قاتل في الزمان الذي استوفى فيه أهل الإسلام، وأهل الشرك، وطمعوا في أن يكون الحرب بينهم سجالات، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبه للمتقين، وأبو بكر كان قبل الهجره معذبا ومطرودا مشردا، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا- حركه، ولذلك قال أبو بكر في خلافته: طوبى لمن مات في فأفاه الإسلام، يقول: في ضعفه.

قال أبو جعفر رحمه الله: لا- أشك أن الباطل خان أبا عثمان، والخطأ أقعده، والخذلان أصاره إلى الحيره، فما علم وعرف حتى قال ما قال، فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجره لم يمتحن ولم يكابد المشاق، وانه إنما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر، ونسى الحصار في الشعب، وما منى به منه، وأبو بكر وادع رافه، يأكل ما يريد، ويجلس مع من يحب، مخلى سربه، طيبه نفسه، ساكنا قلبه، وعلى - عليه السلام - يقاسى الغمرات، ويكابد الأهوال، ويجوع ويظمأ، ويتوقع القتل صباحا ومساء، لأنه كان هو المتوصل

المحتال فى إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا، ليقيم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبنى هاشم، وهم فى الحصار، ولا يأمن فى كل وقت مفاجأه أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالقتل، كأبى جهل بن هشام وعقبه بن أبى معيط، والوليد بن المغيرة، وعته بن ربيعه وغيرهم من فراعنه قريش وجابرتها، ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده، ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه وهو كان المعلل له إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش، وأبو بكر بنجوه عن ذلك لا يمسه مما يمسه ألم، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقه، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم، الا على سبيل الاجمال دون التفصيل، ثلاث سنين، محرمه معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف فى أنفسهم، فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيله، ونسى هذه الخصيصة، ولا نظير لها ولكن لا يبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه، وتنسق له خطابته، ما ضيع من المعنى، ورجع عليه من الخطأ.

فأما قوله واعلموا أن العاقبه للمتقين، ففيه إشاره إلى معنى غامض قصده الجاحظ - يعنى أن لا- فضيله لعلى عليه السلام فى الجهاد، لان الرسول كان أعلمه انه منصور، وان العاقبه له - وهذا من دسائس الجاحظ وهمزاته ولمزاته، وليس بحق ما قاله، لان رسول الله صلى الله عليه وآله اعلم أصحابه جمله أن العاقبه لهم، ولم يعلم واحدا منهم بعينه انه لا- يقتل، لا عليا ولا غيره، وان صح انه كان أعلمه انه لا يقتل، فلم يعلمه انه لا يقطع عضو من

أعضائه، ولم يعلمه انه لا يمسه ألم جراح فى جسده، ولم يعلمه انه لا يناله الضرب الشديد.

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اعلم أصحابه قبل يوم بدر - وهو يومئذ بمكة - أن العاقبة لهم، كما اعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك، فإن لم يكن لعلى والمجاهدين فضيله فى الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم ذلك، فلا فضيله لأبى بكر وغيره فى احتمال المشاق قبل الهجرة لإعلامه إياهم بذلك، فقد جاء فى الخبر انه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر، وانه قال له أرسلت إلى هؤلاء بالذبح، وان الله تعالى سيغنمنا أموالهم، ويملكنا ديارهم، فالقول فى الموضوعين متساو ومتفق (1).

وعليه:

فهذا ما جاء عن لسان الشيخ أبى جعفر الاسكافى أجزاء الله خيراً، فى رد أباطيل الجاحظ وافترائه على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبه يكتمل البحث فى حقيقه تعذيب نوفل بن خويلد لطلحه وأبى بكر حينما أسلما.

المسألة الرابعة: عدى بن خويلد الأخ الرابع لأم المؤمنين خديجه عليها السلام

لم يرد له ذكر فى كتب التاريخ أو الأنساب سوى ما يتعلق بابنته أم عبد الله، فقد ترجم لها ابن حجر بقوله:

ص: ٦٨

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٣، ص ٢٥٢-٢٥٧.

(أم عبد الله بنت عدى بن خويلد الأسديه بنت أخي خديجه، وزوج الحسين بن الحارث بن المطلب، ذكرها ابن سعد(١) في ترجمه الحصين، وهى والده عبد الله بن الحصين المذكور)(٢).

وقد ترجم ابن حجر لولدها عبد الله بن الحصين فقال:

«عبد الله بن الحصين بن الحارث بن المطلب القرشى المطلبى، ذكره البلاذرى فى الأنساب وقال: كان شاعراً وأمه أم عبد الله بنت عدى بن خويلد الأسديه بنت أخي خديجه أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها»(٣).

المسأله الخامسه: عمرو بن خويلد، الأخ الخامس لأم المؤمنين خديجه عليها السلام

اقتصر ابن إسحاق فى سيرته على إيراد اسمه فى زواج خديجه عليها السلام مشيراً إلى أنه هو الذى زوجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٤).

ثم لم يرد له ذكر فى كتب التاريخ والسيره وغيرها ولا يعلم من حاله أى شىء كولاته وموته وغير ذلك.

ص: ٦٩

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٥٢.

٢- الإصابه، لابن حجر: ج ٨، ص ٤٢٨، برقم (١٢١٤٢).

٣- المصدر السابق، برقم: (٤٦٤٨).

٤- السيره النبويه لابن هشام: ج ٤، ص ١٠٥٨؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ٦، ص ٧٢؛ البدايه والنهائيه: ج ٢، ص ٣٦٢.

إشاره

أحاط بأأم المؤمنين خديجه عليها السلام مجموعه من الأخوات اللائى بلغ عددهن أربعة، الا أن التاريخ لم يتناولهن بكثير من الذكر وهذا يكشف عن أن دورهن الحياتى لم يكن ذا ميزه يمكن من خلالها معرفتهن واشتهارهن، بل أن التاريخ عرفهن من خلال أم المؤمنين خديجه عليها السلام بوصفهن أخواتها، وهن الآتى ذكرهن :

المسأله الأولى: هاله بنت خويلد، الأخت الأولى لأأم المؤمنين خديجه عليها السلام

تعدُّ هاله بنت خويلد من حيث الشهره أوفر حظاً من أخواتها الأخريات، فقد ورد اسمها فى الصحاح وفى كتب التاريخ والسيره من خلال دخولها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجره إلى المدينه حسبما دلت عليه النصوص.

كما أن هاله بنت خويلد هى شقيقه أم المؤمنين خديجه عليها السلام(١).

أولاً. ما رواه الشيخان فى الصحيح، فقد أخرج البخارى ومسلم عن عائشه أنها قالت: (استأذنت هاله بنت خويلد أخت خديجه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعرف استئذان خديجه فارتاع لذلك فقال اللهم هاله.

ص: ٧٠

قالت - عائشه - فغرت! فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدقين هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيراً منها(١).

والحديث فيه دلالات منها:

١. أن هاله بنت خويلد قد تكون أصغر سنّاً من خديجه عليها السلام، وقد تكون أكبر منها إلا أن الله تعالى قد أمّد في عمرها فكانت تزور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فى حين لم نشهد مثل هذه الزيارات لبقية أخواتها، فقد يكنّ قد هلكن قبلها، وقد يكون إسلامهن قد تأخر.

٢. أن هذه الزياره كانت فى المدينه المنوره بدلاله وجود عائشه وقولها (قد أبدلك الله خيراً منها).

٣. أن الروايه تكشف عن غيره عائشه المفرطه من خديجه عليها السلام، وحيث إن المرأه لا تتولد عندها غيره الا بظهور حب الزوج لضرتها لاسيما أنها شاهدت ارتياح النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما سمع استئذان هاله، فإن الروايه تكشف أيضاً عن الحب الكبير الذى يحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأم المؤمنين خديجه عليها السلام.

ويبدو كذلك من النصوص أن عائشه كانت تكرر هذا القول فى محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتنال من السيده خديجه عليها السلام كما يروى أحمد فى المسند.

ص: ٧١

١- صحيح البخارى، باب: تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجه عليها السلام: ج ٤، ص ٢٣٢.

فقد قالت: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ذكر خديجه أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عزوجل بها خيراً منها.

قال - (صلى الله عليه وآله وسلم) -: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبتني الناس وواستني بماله إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(١).

ثانياً: واشتهرت هاله أيضاً من خلال ولدها أبي العاص بن الربيع الذي تزوج من ربيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب، ولم يثبت من خلال الفصول الأولى للكتاب تحديد بنوه زينب إلى واحده من أخوات خديجه عليها السلام، فإما أن أمها قد توفيت سريعاً وإما أن زينب هي تجهل ذلك من الأصل ولم يخبرها أحد أو قد أخبرت بذلك ولكن الأمر لم يصل إلى تلك الشهرة التي يستحق، فالأمر مرتبط بأرحام خديجه وليس بها عليها السلام، فضلاً عن أننا وجدنا في حال مرور أبي طالب سلام الله عليه بمرحلة من الفقر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اتفق مع عمه العباس بن عبد المطلب لتخفيف مؤونه أبي طالب فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً فتكفل به، وأخذ العباس عقيلاً فتكفل به.

والحال نفسه قد يكون جرى مع خديجه عليها السلام فبادرت إلى التخفيف عن مؤونه إحدى أخواتها أو إخوانها فتكفلت بزینب ورقیه وأم كلثوم

ص: ٧٢

١- مسند أحمد بن حنبل، من حديث عائشه: ج ٦، ص ١١٨؛ فتح الباري لابن حجر: ج ٧، ص ١٠٣؛ الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨٢٥.

فنشأن في دارها وتربين تحت كنفها لاسيما أنها من عُرِفَت بتلك الأخلاق الحميده والسجايا الفاضله، وسعه الحال، وكثره المال.

ثالثاً: ان لهاله بنت خويلد خصوصيه أخرى فهي أم رقيه وأم كلثوم - كما مر بيانه سابقاً - ولذلك لها مكانه خاصه في نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشفها حاله عندما سمع استئذانها فضلاً عن أن لها خصوصيه عند أختها خديجه وأنها كانت قريبه إلى قلبها فقد قامت بتنشئه بناتها (رقيه وأم كلثوم) ولذلك حنَّ لها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما يدل عليه:

١. أن بقيه أخوات خديجه عليها السلام لم يقمَنَّ بتلك الزيارات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيمر بترجمتهن .

٢. أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يبيد اهتماماً ملحوظاً كما هو الحال مع أميمه بنت رقيه بنت خويلد حينما جاءته تباعه مع بعض النسوه - كما سيمر لاحقاً - وهذا كله يكشف عن حقيقه المكانه التي لهاله بنت خويلد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المسأله الثانيه: خالده بنت خويلد، الأخت الثانيه لأم المؤمنين خديجه عليها السلام

اقتصر المؤرخون على ذكرها تحت عنوان «أسلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم» فأدرج اسمها مع زوجها علاج بن أبي سلمه بن عبد العزى بن غيره (١) ، هو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٧٣

١- كتاب المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: ص ١٠٠؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٦، ص ٦٣٥.

ولم يذكر لنا التاريخ متى ولدت ومتى ماتت، أسلمت أم لم تسلم، وكم رزقت من الأولاد، وما شأن زوجها، كل ذلك لم يرد له ذكر في كتب التاريخ والسيرة.

المسألة الثالثة: رُقَيْقَةُ بنت خويلد، الأخت الثالثة لأم المؤمنين خديجة عليها السلام

إشاره

وحالها أفضل من حال أختها خالده، وان كان ابن حبيب البغدادي (المتوفى ٢٤٥ هـ -) قد اقتصر على ذكرها في أسلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما تزوجها عبد الله بن بجاد بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مره بن كعب فولدت له أمه الله بنت عبد الله بن بجاد.

إلا- أن اسمها قد ورد في كتب الرجال من خلال ابنتها أميمه كأحد الرواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي كتب التاريخ من خلال بنات أميمه المعذبات في الله بمكه، هنّ الآتى ذكرهنّ :

أولاً. أميمه بنت رقيقه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فأما كونها من رواه الحديث النبوي الشريف فقد ترجم لها ابن حجر بقوله: «أميمه بنت رقيقه بقافين مصغره، هي بنت بجاد، وأمها رقيقه بنت خويلد بن أسد أخت خديجه.

روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، روى عنها محمد بن المنكدر وبنيتها حُكَيْمَه بالتصغير(١).

ص: ٧٤

١- الاصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٣١، برقم ١٠٨٥٥.

وحدثها عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أخرجه مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والترمذى؛ قال مالك: حدثني محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة، أنها قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نسوة بايعنه على الإسلام. فقلن: يا رسول الله! نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك فى معروف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فيما استطعتن وأطقتن.

قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. هلم نبايعك يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إني لا أصافح النساء. إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة. أو مثل قوله لامرأة واحدة (١).

ولها حديث آخر تتحدث فيه عن أمها رقيقة حينما التقاها رسول الله فى الطائف، خرج إليها طالباً النصره بعد وفاه عمه أبى طالب رضوان الله تعالى عليه.

والحديث أخرجه الطبرانى وابن حجر، من طريق عبد ربه بن الحكم عن أميمة، عن رقيقة، قالت: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف يطلب النصر من ثقيف فدخل على فسقيته سوقياً فشرب وقال:

ص: ٧٥

١- كتاب الموطأ: ج ٢، ص ٩٨٣؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٣٥٦؛ سنن الترمذى: ج ٣، ص ٧٧.

«لا تعبدى طاغيتهم ولا تصلى إليها».

فقلت: إذن يقتلونى.

قال:

«فإن جاؤوك فقولى ربى، رب هذه الطاغية، ووليتها ظهر ك إذا صليت».

قالت: أميمه فحدثنى أخواى وهب وسفيان ابنا قيس، قالوا: لما أسلمت ثقيف، قال لنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

ما فعلت أمكما؟

قالا: ماتت على الحال التى فارقتها عليها. قال:

أسلمت أمكما إذن»(١).

ثانياً: ان بنات أميمه من المعذبات بالله فى مكه

قال ابن سعد فى الطبقات: واغتربت أميمه وتزوجها حبيب بن كعب بن عتير الثقفى فولدت له النهديه، وأم عبيس، وزنيره، وأسلمن بمكه قديما وكن ممن يعذب فى الله فاشترهن أبو بكر الصديق فاعتقهن، فقال له أبوه أبو قحافه: يا بنى انقطعت إلى هذا الرجل وفارقت قومك وتشتري هؤلاء الضعفاء؟ فقال له: يا أبه أنا أعلم بما أصنع.

وكان مع النهديه يوم اشتراها طحين لسيدتها تطحنه أو تدق لها نوى؛ فقال لها أبو بكر: ردى إليها طحينها أو نواها؟

ص: ٧٦

١- المعجم الكبير للطبرانى: ج ٧، ص ٨١؛ الاصابه لابن حجر: ج ٣، ص ١٠٨.

فقال: لا حتى أعمله لها، وذلك بعد أن باعتها وأعتقها أبو بكر، وأصيبت زنيـره فى بصرها فعميت فقيل لها:

أصابتك اللات والعزى؛ فـقالـت لا والله ما أصابنى، وهذا من الله، فكشف الله عن بصرها ورددـه إليها فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وهذا الحديث لا يستند إلى الصحه لما يأتى:

١. تقتضى الروايه ان يكون هؤلاء النساء فى الرق وأنهنَّ مملوكات إلى بعض نساء قريش، وهذا لا يصح مع ما عرفت به خديجه من حسن الحال ووفره المال، فكيف بها تترك بنات أختها، وقد أسلمن وهن تحت سطوه الرق وذل العبوديه حتى يأتى أبو بكر فيبذل ماله لعتقهن!

٢. بل أين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهن لماذا يتركهن يذهبن للعذاب ولا يصنع لهن شيئاً، فى حين نجده صلى الله عليه وآله وسلم يواسى عماراً وأهله ويبشرهم بالجنه.

٣. إن أمهن أميمه كانت قد أسلمت فى عام الفتح حسبما أظهرت الروايه السابقه من مجيئها لمبايعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع مجموعه من النسوه فكيف كن بناتها من المعذبات فى مكه وتحت الرق والعبوديه ؟

أفـيكون إسلامهن مقدماً على أمهنَّ أميمه، أم أنهن كن قد أسلمنَّ معها، فلماذا لم يأتين مع أمهنَّ لمبايعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهنَّ لم يكن متزوجات!؟

وعليه: يظهر من الروايه أنها أرادت أن تسجل لأبى بكر دوراً مصطنعاً يقترب به إلى السلاطين فى عتقه لبعض المسلمين بأسلوب مفضوح سرعان ما تكشف زيفه وبطلانه.

المسأله الرابعه: هند بنت خويلد، الأخت الرابعه لأم المؤمنين خديجه عليها السلام

ويقال هى نفسها هاله بنت خويلد كما أشار إلى ذلك العينى(١)، وابن عساكر حينما ترجم لابن العاص بن الربيع(٢)، وكذلك ابن كثير(٣).

المسأله الخامسه: الطاهره بنت خويلد

وهى نفسها أم المؤمنين خديجه بنت خويلد كما صرح بذلك كلُّ من الحافظ ابن عساكر، وابن كثير، والسبب فى هذا الخلط، هو: أن السيده خديجه عليها السلام كانت تلقب فى الجاهليه بـ «الطاهره بنت خويلد»(٤).

فى حين جعلها ابن حجر شخصاً آخر فترجم لها بقوله: «الطاهره بنت خويلد أخت خديجه زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها الزبير بن بكار»(٥).

ص: ٧٨

- ١- عمدہ القارئ للعينى: ج ٤، ص ٣٠٢.
- ٢- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٦٧، ص ٨.
- ٣- البدايه والنهايہ لابن كثير: ج ٦، ص ٣٩٠.
- ٤- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣؛ البدايه والنهايہ لابن كثير: ج ٥، ص ٣٢٩.
- ٥- الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٢٤.

إن من السنن التي قدّرها الله تعالى في الحياه وأحكمها فيها هي سنه الموت، فما من شيء خلقه الله تعالى إلا ومصيره الموت والفناء، إلا- أنّ الفارق فيما بين النهايات التي أنيطت بوجود الأشياء هو الكيفيه التي تنتهي أو تموت عليها هذه الأشياء أو الكائنات.

ولو حاول الإنسان أن يجمع هذه الظواهر بين دفتي كتاب لاحتاج إلى سنوات عديده وأفراد كثيرين حتى يتمكن من إحصاء جزء يسير منها ولكان هذا الجزء خير واعظ يتّعظ به بنو البشر وبه يعلمون كيف كانت عاقبه هذا العمل أو ذاك، ومن خلاله يتوصلون إلى حسن سلوك هذا المرء أو ذاك فضلاً عن التفاضل بين هذه الحالات والتمايز بين هذه المشاهد حتى يبدو للناظرين من خلال هذه المحطات أن بعض الناس قد كانت عواقبهم الحياتيه وخواتيمهم الدنيويه هي خير دليل على شأنيتهم عند الله تعالى وحظوتهم لديه جلّ شأنه.

ولذلك:

لم تكن خديجه عليها السلام بالمرأه التي انتهت رحلتها الحياتيه بدون خصوصيه خاصه، ولم تكن وفاتها مجردة من الكرامات والشأنيه النبويه التي لديها عند خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا فضلاً عن أن الوفاه والانتقال من الحياه الدنيا إلى الحياه الآخره هي من أصعب ما يمر به الإنسان إن لم تكن هذه المرحله هي الأعظم على نفس ابن آدم؛ لشده ما يرى من الأهوال والمخاوف التي دلّ عليها القرآن الكريم بقوله سبحانه:

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) ١.

وحذر منها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته بأحاديث عديده تكشف عن هذه الحقائق التي لا مفر للإنسان من المرور بها والتعرض لها، وهي تكشف في نفس الوقت عن الحاجه الماسه لرحمه الله تعالى ولطفه.

وعليه:

فإن وفاه أم المؤمنين خديجه عليها السلام تميزت - كما كانت حياتها - بميزات عديده وأحيطت بخصوصيه خاصه تكشف عن منزلتها عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تكشف عن جوهر هذه الرحله الحياتيه، وتظهر للمسلمين درجه إيمانها، وصواب مسلكها الذي سلكته في الحياه الدنيا.

ص: ٨٢

إشاره

لم تكن تلك السنوات الثلاث التي عاشتها أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى شعب أبى طالب بتاركة إياها بسلام، بل قد غرزت هذه السنوات العجاف مخالبتها فى جسد أم المؤمنين خديجه عليها السلام حتى أنهكتها، وبذاك يكون المشركون قد حققوا مبتغاهم فى النيل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما فرضوا عليه وعلى بنى هاشم جميعاً، سواء من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم لم يؤمن، فهم بذلك الحصار الجائر كادوا يبيدوهم جميعاً؛ بل لو كان آنذاك منظمات حقوقيه وإنسانيه لسجلت أبشع أنواع التطرف العنصرى والعرقى والعقائدى، فما ذنب بنى هاشم إن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم؟! وما ذنب مَنْ لم يؤمن به فيؤخذ بجريره من آمن فيحاصرون ويجوعون ويعذبون؟!!

وهل انتهى هذا الحصار؟ وهل توقف هذا التطرف؟ كلا، فما زال بنو هاشم يدفعون ضريبه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وأنّ على ابن أبى طالب منهم، وأن عتره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، حتى قال أمير المؤمنين على عليه السلام حينما خرجت عائشه وطلحه بن عبيد الله والزبير لقتاله:

«مالى وقريش! أما والله لأقتلهم كافرين، ولأقتلهم مفتونين، وإنى لصاحبهم بالأمس، وما لنا إليها من ذنب غير أن خيرنا فأدخلناهم فى خيرنا.

أما والله لا أترك الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته إنشاء

الله، فلتضح منى قريش ضحيجاً»(١).

ولذلك: شاءت قريش أن تنال من ركنى النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حصار بنى هاشم جميعاً فكان لها ما أرادت، فقد مضى أبو طالب رضوان الله تعالى عليه سريعاً بعد الخروج من الشعب وفك الحصار عن بنى هاشم فينهده لفقده ركن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الأول ليردده رسول الله بقوله وقد اعترض جنازته.

«وصلتك رحمٌ وجزيت خيراً يا عم فقد كفلت صغيراً ونصرت وأزرت كبيراً»(٢).

وتكالت عليه قريش فأذوه أشد الأذى حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما نالت منى قريش شيئاً أكره حتى مات أبو طالب»(٣).

فقد ذهب الناصر وفقد المؤازر وبان عليه الوجد والحزن الشديد قائلاً:

«لاسرع ما وجدنا فقدك يا عم»(٤).

ص: ٨٤

١- الكافئه للشيخ المفيد: ص ٢٠؛ البحار للمجلسي: ج ٣٢، ص ١١٣.

٢- راجع فى اعتراض النبى صلى الله عليه وآله وسلم جنازه أبى طالب وسيره معها وترحمه عليه: الطرائف لابن طاووس: ص ٣٠٥؛ المصنف لعبد الرزاق: ج ٦، ص ٣٨ * تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٥٩، ص ٢٥٠؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١، ص ٢٣٥؛ كنز العمال: ج ١٢، ص ١٥٣؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١٣، ص ١٩٦؛ تاريخ اليعقوبى: ج ١، ص ٣٥٤-٣٥٥؛ الإصابه لابن حجر، ترجمه ابن عباس: ج ٧، ص ١٩٨؛ البحار للمجلسي: ج ١٩، ص ٢٠؛ منتهى الآمال للقمي: ص ٧٧.

٣- إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ١، ص ٤٥.

٤- الأمالى للشيخ الطوسى: ص ٤٦٤؛ حليه الأبرار للسيد هاشم البحرانى: ج ١، ص ١٤٠؛

وبين وداعه لعمه أبى طالب رضوان الله تعالى عليه، وحزنه عليه وبين تحزب المشركين ضده وإيذائهم له كانت أنيسه وسكنه تصارع الألم وتكافح لشد الهمة ودفع المرض كى لا يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً.

إلا- أن هذا الكفاح لم يكن بحائل عن تحقيق الفراق والانتقال إلى جوار الرحمن حيث لا خوف ولا أحزان، بل روح وريحان ورضوان من الله أكبر.

وبين هذا الجهاد والدفاع لغرض البقاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين أن لا يرى عليها آلامها فيحزن لذلك، إذ يدخل عليها صلى الله عليه وآله وسلم فيراها قد ذبلت وتغير لونها على الرغم من أن خديجه عليها السلام كانت - كما أسلفنا - تحاول جاهده أن لا يظهر عليها المرض كى لا يحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لكنه - بأبى وأمى - يعلم حالها، وحقيقه حبها له، وجهادها من أجله، فيحزنه ما يرى عليه حالها وهى التى عاشت معه أربعاً وعشرين سنة قضاها النبى صلى الله عليه وآله وسلم كأسعد زوج، فيدخل عليها ويبارها القول:

«بالكره منى ما أرى منك يا خديجه، وقد يجعل الله فى الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران، وكلتم أخت موسى، وآسيه امرأه فرعون.

قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟!.

قال: نعم.

قالت: بالرفاء والبنين»(١).

وهذا الحوار يدل على إيمانها الراسخ بالله عزوجل ويكشف عن صلابه يقينها؛ إذ إن قبولها بالأمر وتسليمها به؛ لأنه من الله، ودعاؤها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بـ «الرفاء والبنين» هو غايه فى الرضا والتسليم بقضاء الله عز وجل مع حبها البالغ لزوجها صلى الله عليه وآله وسلم.

وفضلاً عن ذلك فالحوار يدل على أمور أخرى، منها:

أولاً. قوله صلى الله عليه وآله وسلم: قد زوجنى الله معك فى الجنة أراد فيه أمرين:

١. تبشيرها بأنها زوجته فى الدنيا والآخرة وهذا خاص بها؛ إذ لا يعلم مصير الإنسان فى الآخرة أىكون مع زوجته وأهله أم أن لكل امرئ منهم شأنًا يغنيه:

ف :- (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ٢.

ولذلك: بشرها صلى الله عليه وآله وسلم أنها معه فى الآخرة.

ص: ٨٤

١- بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٩، ص ٢١؛ مستدرک سفینه البحار للشاهرودى: ج ٤، ص ٣٢٢؛ الدر المنثور للسيوطي: ج ٥، ص ١٢١؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٢، ص ٧٤؛ السيره الحلبيه: ج ٢، ص ٤١.

٢. حسن رعايته لها وملاطفتها وهي في وضع تحتاج فيه إلى الملاطفة؛ لكي يخفف عنها هموم المرض، وهذا فيه من الآثار الكبيره على حاله النفسيه التي يمر بها الإنسان حينما يكون مريضاً.

كما أن هذا الفعل النبوي يرشد إلى أحد الدروس في التربيه الأسريه التي ترسم للرجل الكيفيه التي ينبغي له أن يتعامل بها مع الزوجه حينما تمر بمرحله من المرض، فبعضهم يهرب من المرأه حينما تمرض فيهجرها مع آلامها إن لم يقسُ عليها ويتذمر منها.

ثانياً. أما قولها عليها السلام:

(وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟).

فإنه يشير إلى جملة من الحقائق، منها:

١. أدبها البالغ في الحديث مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحترامها اللامتناهي له، فعلى الرغم من أن المرأه لا تتقبل مجرد الفكره في وجود زوجه أخرى وضره في حياتها إلا- أن خديجه عليها السلام استفسرت عن جديده الأمر، ولم يخرجها سماعها لوجود ثلاث ضرات أخريات في حياتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن منتهى الأدب والذوق الجميل، إذ لم تخاطبه باسمه الصريح وإنما قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟

٢. أنها أظهرت في هذا القول البليغ معنى في منتهى الجمال؛ إذ إنها مع سماعها لهذا الخبر لم تخرج عن ثقتها الكبيره بحب رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم لها، وأن زواجه من مريم وآسيه وكلثم أخت موسى لم يكن بإقدامه واختياره وإنما الله سبحانه وتعالى هو من زوجه
منهن.

ولذلك، قالت:

وقد فعل الله ذلك ؟.

فقال: نعم.

٣. لما علمت بانه أمر الله تعالى سلمت لأمره ورضت بحكمه، بل وتمنت لرسول الله الخير والسعادة فقالت:

بالرفاء والبنين.

فى حين أننا - وعلى سبيل المثال - نجد غيرها من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم كعائشه حينما نزل قوله تعالى:

(تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ)١.

أنها قالت له صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك»(١).

والعجيب من بعض المسلمين كيف يقايسون بينها وبين أم المؤمنين خديجه عليها السلام بل الأءعجب من ذلك هو تفضيل
البعض منهم لعائشه على بقيه أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

ص: ٨٨

١- صحيح البخارى، تفسير سورة الأحزاب: ج ٤، ص ٢٤؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٢٦١.

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ١.

فكيف يفهمون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يفعل؟! وكيف لهم أن يعضوا الطرف عن كل هذا الحب النبوي
لأم المؤمنين خديجه لدرجة التصريح بذلك فيقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«فقد رزقت حبها» (١)؟!.

وهل هناك أدنى شك من أن حبه صلى الله عليه وآله وسلم هو من حسن تبعلها وشده تمسكها بطاعته وحرصها على اتباعه،
فضلاً عن جهادها بمالها ونفسها فكان هذا الحب النبوي هو عينه حب الله تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ٣.

وهل هناك زوجة من زوجاته قد اتبعته حقيقه الاتباع مثل أم المؤمنين خديجه عليها الصلاه والسلام ولذلك:

نجده يتألم لما نزل بها من المرض فيقول لها:

«بالكره ما أرى منك يا خديجه».

ثم يفوض أمره إلى ربه ويصبرها على محنتها فيقول لها:

«وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً».

ص: ٨٩

١- صحيح مسلم (كتاب البنوات، باب: فضائل خديجه بنت خويلد برقم ٢٤٣٠. المفهم في تلخيص مسلم للقرطبي: ج ٦، ص ٣١٥، برقم ٢٣٤٣.

المسأله الثانيه: وصيتها عليها السلام

أما هذا الخير الكثير لخديجه فهو جوار ربها بعد أن جاهدت في سبيله هذه السنوات حتى اللحظات الأخيره التي عاشتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: أخذت توصى رسول الله بوصاياها فقالت:

«يا رسول الله اسمع وصاياى أولاً فإنى قاصره فى حقك فاعفنى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«حاشا وكلا، ما رأيت منك تقصيراً فقد بلغت جهدك وتعبت فى دارى غايه التعب ولقد بذلت أموالك، وصرفت فى سبيل الله جميع مالك».

قالت:

يا رسول الله، الوصيه الثانيه: أوصيك بهذه وأشار إلى فاطمه، فإنها غريبه من بعدى فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدّها ولا يصحن فى وجهها، ولا يرينها مكروهاً.

وأما الوصيه الثالثه: فإنى أقولها لابنتى فاطمه وهى تقول لك فإنى مستحيه منك يا رسول الله. فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من الحجره فدعت بفاطمه وقالت: يا حبيبتى وقره عينى قولى لأبيك إن أمى تقول: أنا خائفه من القبر أريد منك رداءك الذى تلبسه حين نزول الوحي تكفنى فيه فخرجت

ص: ٩٠

فاطمه وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجه.

فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسلّم الرداء إلى فاطمه وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً(١).

الا- أن قلب خديجه عليها السلام بقى متعلقاً بأمر آخر لم تكشفه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تظهره لابنتها فاطمه صلوات الله وسلامه عليها؛ لأنه أمر خاص ومتعلق بخصوصيه المرأة، والأمر حينما يكون من خصوصيات المرأة فإنه محفوف بالحياء ومتشح بالستر لأن مصدره العفه.

ولذلك لم تجد غير أسماء بنت عميس معيناً لها في حمل هذه الوصيه، وذلك بعد أن دخلت عليها فوجدتها - بأبي وأمي - تبكى، فقالت:

«أتبكين وأنت سيده نساء العالمين، وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبشره على لسانه بالجنه؟!». فقالت - عليها السلام :-

ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليله زفافها لا بد لها من امرأه تقضى إليها بسرهما وتستعين لها على حوائجها وفاطمه حديثه عهد بصبي وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتى لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر(٢).

وتمر الأيام والشهور وتزف فاطمه الزهراء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي

ص: ٩١

١- شجره طوبى للشيخ محمد مهدى الحائرى: ج ٢، ص ٢٣٥.

٢- البحار للمجلسي: ج ٤٣، ص ١٣٨؛ كشف الغمه للأربلى: ج ١، ص ٣٧٥؛ كشف اليقين للعلامه الحلبي: ص ١٩٨.

طالب صلوات الله عليهما وتحضر زفافها أسماء بنت عميس، ولا بد لها أن تبرّ قسمها لخديجه عليها السلام في هذه الليلة.

فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر النساء بالخروج من الدار فخرجن وبقيت أسماء، فلما أراد الخروج رأى سوادها فقال:

«من أنت؟»..

- قالت - فقلت: أسماء بنت عميس. فقال:

ألم أمرك أن تخرجي؟

قالت، فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، وما قصدت خلافك ولكنني أعطيت خديجه عهداً وحدثته.

فبكى صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«تالله لهذا وقفت؟».

قالت، فقلت: نعم والله، فدعا لي [\(1\)](#).

ولا يخفى على اللبيب ما في بكاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من الدلالات عند سماعه حديث أسماء بنت عميس، وهي تقصّ عليه وصيه خديجه بفاطمه عليهما السلام.

وإني لا أدري أعجب من حنان خديجه وحبها لابنتها فاطمه عليها السلام أم أعجب من حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخديجه وبكائه عند سماعه ذكرها.

ص: ٩٢

١- المصادر السابقة.

أما سبب بكاء خديجه عليها السلام فلأنها كانت وحيدة فقد قاطعها نساء قريش وهجرنها فلم يبقَ لديها من تبث له حزنها وتوصيه بفاطمه، ولعل دخول أسماء كان استثنائياً أو لعلها سمعت بمرضها فحنت عليها فجاءت تعاودها فوجدت خديجه متنفساً لهما في سؤال أسماء بنت عميس لها.

المبحث الثاني: احتضارها وتغسيلها عليها الصلاه والسلام

المسأله الأولى: احتضارها

وجاءت اللحظات الأخيره المتبقيه لها في الحياه الدنيا، فقد آن لها الانتقال إلى جوار ربها بعد هذا الجهد والجهاد والمثابره في نصره الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحيث إنَّ الإنسان حينما يمر بهذه اللحظات فإنه يمر بأصعب ما يمكن أن يتحملة عاقل، وذلك؛ لشده الأهوال وتعاضم المخاوف ولذا فهو محتاج إلى قشه يتمسك بها وينجو مما يراه، وليس لذاك إلا رحمه الله تعالى الواسعه والمتجسده في حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو القائل جل شأنه:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ١.

فكيف ستكون رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بخديجه في هذه اللحظات، أتركها مع أهوال المطلع ومخاوف الموت وحضور ملك الموت وأعوانه.

أم يتركها جبرائيل عليه السلام وهو الذي خصها بالسلام والتحية والإكرام، أترى هل يدعها رسول الله مع ملك الموت وهو؛

(بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُفٌ رَحِيمٌ) ١.

دون أن يكون واقفاً بقربها وكأنه يناديه: لطفاً بخديجه، مهلاً بأُم العيال، لا تعجل بربه البيت، اللهم اجعله برداً وسلاماً على أم الزهراء، هكذا يتراءى لى حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع رفيقه دربه وسكنه فى حياته، وناصرته فى دعوته، ومصداقته فى نبوته.

ولعل اللحظات الأخرى التى لها فى الحياه الدنيا، ولاسيما لحظات الاحتضار (وهى تجود بنفسها) - كما عبّر عنها المؤرخون والمفسرون - تكشف عن خصوصيه أخرى من خصائص خديجه عليها السلام، بل تفردت بها فلم تخص بها امرأه غيرها حسبما يروى لنا المؤرخون والمفسرون.

فقد روى اليعقوبى، والثعلبى، والقرطبى، والطبرسى، جميعاً عن معاذ ابن جبل: «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل على خديجه وهى تجود بنفسها فقال:

«أكره ما نزل بك يا خديجه وقد جعل الله فى الكره خيراً كثيراً، فإذا قدمت على ضراتك فأقرئهن منى السلام».

قالت:

يا رسول الله من هنّ؟

ص: ٩٤

قال:

«مريم بنت عمران وآسيه بنت مزاحم وكليمه - أو حليمه - أخت موسى».

قالت:

بالرفاه والبنين»(١).

والحديث لا يختلف من حيث الدلالة وإن اختلف اللفظ عن الحديث السابق الذي أوردناه، إلا أننا نضيف هنا:

١. أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث مع خديجه عليها السلام وهي في هذه اللحظات الصعبة - على جميع ولد آدم - بأسلوب يكشف عن انه يتحدث مع امرأه من أهل الجنة وليست من أهل الأرض؛ إذ إن السنن الطبيعيه في هذه اللحظات تقتضى أن ينشغل الإنسان بنفسه وبما يراه من حوله من الملائكه التي قدمت لقبض روحه فضلاً عن بقيه الأرواح وما تم ستره عن الإنسان في الحياه الدنيا فقد كشف للمحتضر عن بصره ورفع عنه الحجب فهو يرى الآن حقائق الأشياء، ولذلك يكون مذهولاً بما يرى فضلاً عن انشغاله بنفسه وما يؤول عليه أمره وينتهي به عمره.

إلا أن خديجه هي الآن حسبما يدل الحديث الشريف برتبه أهل الجنة فقد أخذت النتائج مبكره في الحياه الدنيا قبل الانتقال للدار الآخره.

ص: ٩٥

١- تاريخ يعقوبى: ج ٢، ص ٣٥؛ تفسير الثعلبى: ج ٩، ص ٣٥٣؛ تفسير القرطبى: ج ١٨، ص ٢٠٤؛ تفسير مجمع البيان للطبرسى: ج ١٠، ص ٦٦؛ تفسير نور الثقلين للحويزى: ج ٥، ص ٣٧٧؛ مجمع البحرين للطريحي: ج ٢، ص ١٩٩.

ولذلك:

لم يجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مانعاً من الحديث معها بهذا الأسلوب وانها ذاهبه مباشرة إلى الجنة، وان مكانها مع أولئك النساء، مريم بنت عمران وآسيه بنت مزاحم وحليمه أو حكيمه وهن ضرائر لها، وحيث إنه لا تنازع في الجنة ولا تخاصم بين أهلها، وإن التحاسد والنزاعات من خواص أهل الدنيا فلذا، قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بالرفاه والبنين، أى: إنها وصلت إلى مرحلة من اليقين جعلتها بمستوى أهل الجنة وهى فى الحياه الدنيا فضلاً عن أنها الآن فى حاله الاحتضار وهى تجود بنفسها فكان حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم برتبه التبشير وإزاله الحزن عنها لما يرافق حاله نزع الروح.

٢. ان هذا الحديث يكشف عن أن احتضار خديجه عليها السلام قد امتاز بخصوصيه خاصه وهى أنها مرت بحاله من السكينه والطمأنينه جعلتها تتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكأنها فى عز شبابها وفى أتم عافيتها حيث لا وجود للالام وأثر للاضطراب والخوف وهى حاله خاصه بمن سبقت لهم من الله الحسنى.

قال تعالى:

(يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي) ١.

ص: ٩٤

إنّ من السنن الواجبه في الإسلام هو تغسيل الميت وتحنيطه وتكفينه، وحيث إنّ هذه المسائل تناولها الفقهاء في مصنفاتهم فانا نعرض عن بيان أحكامها وتفصيلها فمن أرادها فليراجعها في مظانها.

غير أن ما يرتبط بتغسيل أم المؤمنين خديجه عليها السلام هو قيام «أم أيمن وأم الفضل بتغسيلها»^(١).

وهذا يتطلب بيان منزله هاتين المرأتين وعلاقتهم بخديجه عليها السلام.

أولاً: ترجمه أم أيمن

(٢)

اسمها بركة بنت ثعلبه بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمه بن عمرو ابن النعمان، وهي أم أيمن غلبت عليها كنيته فكنيت باسم ولدها أيمن بن عبيد الحبشي^(٣).

وهي مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدّها البرقي ممن

ص: ٩٧

١- أنساب الأشراف للبلاذري: ج ١، ص ١٨٠؛ قاموس الرجال للتستري: ج ١٢، ص ٤٧.

٢- أنظر ترجمتها في: الطبقات لابن سعد: ج ٨، ص ٢٢٣-٢٢٧؛ الجرح والتعديل للرازي: ج ٩، ص ٤٦١؛ الثقات لابن حبان: ج

٣، ص ٤٦٠؛ إكمال الأكمال لابن ماكولا: ج ١، ص ٢٣٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤، ص ٣٠٢؛ أسد الغابه لابن

الأثير: ج ٥، ص ٤٠٨؛ تهذيب الكمال للمزي: ج ٣٥، ص ٣٢٩؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٢٣، ٢٢٤؛ الاستيعاب لابن

عبد البر: ج ٤، ص ١٧٩٣، برقم (٣٣٥٢)؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره): ج ٤، ص ١٩٩.

٣- الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤، ص ١٧٩٣.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النساء(١).

«هاجرت إلى الحبشه وإلى المدينه تعرف ب - (أم الطباء) وقال ابن شهاب: كانت وصيفه لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشه، فلما ولدت آمنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما توفي أبوه حضنته أم أيمن حتى كبر، ثم أعتقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أنكحها زيد بن حارثه، توفيت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمسه أشهر، وقيل: بسته أشهر، وقد روى الأربلى وابن شهر ما يشير إلى أنها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبع سنين.

وفى الاستيعاب: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزورها ويقول:

«أم أيمن أمى بعد أمى».

وفى أنساب البلاذرى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

من سره أن يتزوج امرأه من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن.

فتزوجها زيد فولدت له أسامه، - وشهد لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنه - ورد أبو بكر وعمر مع ذلك شهادتها فى فدك لفاطمه عليها السلام(٢).

(أما كراماتها، فقد روى الفريقان فى كتبهم ما خص الله به أم أيمن من الكرامه التى تظهر منزلتها عند الله تعالى وأنها من عباده الصالحين، جاء ذلك

ص: ٩٨

١- معجم رجال الحديث للسيد الخوئى قدس سره: ج ٢٤، ص ١٩٩.

٢- قاموس الرجال للتستري: ج ١٢، ص ١٩٣.

حينما خرجت أم أيمن من المدينة بعد استشهاد فاطمه عليها السلام واتجهت إلى مكة وقالت: لا أرى المدينة بعدها، أى: بعد فاطمه عليها السلام؛ فلما كانت فى بعض الطريق عطشت عطشاً شديداً فرفعت يديها وقالت: يا رب أنا خادمه فاطمه أتقتلنى عطشاً، فأنزل الله عليها دلواً من السماء فشربت فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين وكان الناس يبعثونها فى اليوم الشديد الحر فما يصيبها عطش(١).

وقد روى هذه الكرامه التى نالتها أم أيمن كلُّ من ابن سعد، والذهبي، وابن حجر، وغيرهم عن عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت وليس معها ماء وهى صائمه فجهدها العطش فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذه فشربت منه حتى رويت، فكانت تقول ما أصابنى بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربه وإن كنت لأصوم فى اليوم الحار فما أعطش(٢).

وهذه الترجمة تكشف ما لهذه المرأة من توفيق خاص وعنايه إلهيه فقد أمد الله بعمرها وأكرمها بأن تكون حاضنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تشهد تلك المعاجز التى حفت به فى أثناء الولاده لأنها كانت إحدى

ص: ٩٩

١- الخرائج والجرائح للأربلي: ج ٢، ص ٥٣٠؛ المناقب لابن شهر: ج ٣، ص ٣٣٢.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٢٢٤؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢٢٥؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٣٥٩؛ تاريخ المدينة لابن شبه: ص ٤٩٧؛ البدايه والنهائيه: ج ٥، ص ٣٤٧.

موالى عبد المطلب وبذلك أكرمها الله تعالى بحكم وجودها فى بيت عبد المطلب بأن اختارها لأن تكون ممن يعين آمنه بنت وهب.

ثم شهدت طفوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروت عن سيرته وسمته وخلقه النبوى الكثير من الأحاديث، فكانت ماله خصبه ترفد المسلمين بما يتوقون لمعرفة من تلك السيره النبويه حتى أكرمها تعالى بالإسلام فأعتقها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ثم زوجها من زيد بن حارثه ولم ينته معها اللطف الإلهى والكرم الربانى حتى كانت ممن يخدم فاطمه سيده نساء العالمين، وممن يتشرف بولاده ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام.

فكان هذا العمر المديد محفوفاً بالألطف الإلهيه والتوفيق الربانى والملازمه للعترة النبويه حتى كانت ممن يغسل خديجه بنت خويلد عليها السلام، وكذلك كانت ممن حضر تغسيل ابنتها فاطمه عليها السلام مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثانياً: ترجمه أم الفضل

(١)

ترجم لها ابن سعد بقوله: (وهى لبابه الكبرى ابنه الحارث بن حزن بن البجير، وكانت أم الفضل أول امرأه أسلمت بمكه بعد خديجه بنت خويلد،

ص: ١٠٠

١- أنظر ترجمتها: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٢٧٧؛ طبقات خليفه: ص ٦٣١، الجرح والتعديل للرازى: ج ٩، ص ٤٦٥؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٦٠٨؛ تهذيب الكمال للمزى: ج ٣٥، ص ٢٩٨؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢١٤؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٤٤٩، برقم (١٢٢٠٤).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزورها ويقبل في بيتها(١).

وقد تزوجها العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فولدت له الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبدا، وقثم، وعبد الرحمن، وأم حبيب(٢).

وقد عدّها الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٣)، وقد وثقها ابو داود الحلي والنجاشي(٤).

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وروى عنها: أنس بن مالك، وتمام بن العباس؛ وعبد الله بن الحارث بن نوفل وابنها عبد الله بن عباس(٥).

وقد أخرج لها أصحاب الصحاح الستة في صحاحهم(٦)، وكان من شأنها انها انتقلت مع العباس بن عبد المطلب بعد عام الفتح إلى المدينة(٧). وتوفيت في خلافة عثمان بن عفان(٨).

ص: ١٠١

١- من القيلولة، وهي النوم في الظهيرة، لسان العرب: ج ١١، ص ٥٧٧، ماده «قيل».

٢- الطبقات لابن سعد: ج ٨، ص ٢٧٧.

٣- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ٢٤، ص ٢٠٦؛ رجال الطوسي: ص ٥٢.

٤- رجال أبي داود: ص ٢٢٣.

٥- تهذيب الكمال للمزى: ج ٣٥، ص ٢٩٨.

٦- الكاشف للذهبي: ج ٢، ص ٥٢٦.

٧- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ٢١٤.

٨- المصدر السابق.

ومن خلال هذه الترجمة يتضح ما لأم الفضل من المنزلة والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي بذلك تكون ممن خصها الله تعالى بتغسيل إحدى سيدات الجنة فضلاً عما لخديجه من منزلة الأمومه على هذه الأئمة والخصوصية التي لها عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثالثة: تكفينها

فى خصوص تكفينها سلام الله عليها لم أعر - مع ما توفر لى من مصادر ومع قصورى فى البحث عن المسألة - على حديث معتبر فى كتب علمائنا الماضين - زاد الله فى شرفهم - إلا - أنى وجدت حديثاً واحداً فى كتاب شجره طوبى، وكتاب الأنوار الساطعة يتحدث عن هذه المسألة، والحديث كالاتى:

إنَّ أم المؤمنين خديجه عليها السلام قالت لفاطمه (صلوات الله وسلامه عليها):

«يا حبيبتي وقره عينى قولى لأبيك: إن أمى تقول: إنى خائفه من القبر أريد منك رداءك الذى تلبسه حين نزول الوحي تكفنى فيه.

فخرجت فاطمه وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجه فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسلم الرداء إلى فاطمه وجاءت به إلى أمها وسرت به سروراً عظيماً.

فلما توفيت خديجه أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرئيل وقال:

ص: ١٠٢

يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك يا محمد إن كفن خديجه من عندنا فإنها بذلت مالها في سيلنا، فجاء جبرئيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجه وهو من أكفان الجنة أهدى الله إليها.

فكفنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً، فكان لها كفنان، كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

والحديث يدل على الآتى:

١. لعل مراد أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى طلبها رداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يرتديه عند نزول الوحي هو الدثار الذى غطته به حينما هبط عليه الوحي عليه السلام بعد رجوعه من غار حراء حينما هبط عليه جبرائيل فى يوم مبعثه المبارك.

والا حقيقه الأمر أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم متى يهبط عليه الوحي؛ إذ ليس له وقت محدد كما هو ثابت فى سيرته صلى الله عليه وآله وسلم إلا اللهم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتخذ رداء للمناجاة والعبادة، وهو وارد فى سيره المعصومين عليهم السلام الذين كانوا مماثلين لجدهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

ص: ١٠٣

١- شجره طوبى للحائرى: ج ٢، ص ٢٣٥. الأنوار الساطعه للشيخ غالب الهلاوى: ص ٣٧٨.

فانها عليها السلام إما أرادت الدثار الذى ذكره الله تعالى فى قوله سبحانه:

(يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) ١.

أو أرادت الرداء الذى كان يرتديه النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينما نزل عليه جبرائيل فى يوم مبعثه، أو أنها قصدت رداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان عليه فى أغلب أوقات نزول الوحي، وبالطبع من دون أن يهيبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لذلك.

وكونها زوجته وأعلم من غيرها بخصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم أحواله لاسيما أنها زوجته الوحيده فقد تكون قد رصدت هذه الخصوصيه فى أحد أثواب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فأرادت أن تتخذها وسيله لدفع خوفها من القبر لما يحمله من خصوصيات نزول الفيض الأقدس وتلبسه بالأنوار الإلهيه، وفضلاً عن ملامسته لبدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أى ملامسته لرحمه الله الواسعه.

٢. قد يشكل البعض من المخالفين أو غيرهم على اختصاص أم المؤمنين خديجه عليها السلام بكفن من الجنه فضلاً عن رفض الموضوع من الأصل ونقول:

وقد لا- يؤمن البعض الآخر بطلبها عليها السلام لثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجه أن الإنسان مرهون بعمله، فإذا كان من أهل التقوى

والعمل الصالح لم يحتج مع هذا إلى ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى غيره، وإذا كان عمله من أهل النفاق والفساد فماذا ينفعه ثوب الأنبياء عليهم السلام؟!

ونقول:

أولاً: إن المشكله في أولئك المعترضين على التمسك بالأولياء الصالحين أو الالتجاء إليهم هو عدم فهم أولئك المعترضين لكتاب الله تعالى، وعدم فهمهم عائداً إلى أمرين، أحدهما، لأنهم قد طبع على قلوبهم لابتعادهم عن العتره والآخر، لابتعادهم عن القرآن وعدم الأخذ بحججه مكابره وعناداً.

فهاهو يوسف عليه السلام يبعث بقميصه إلى أبيه الذى أُصيب بالعمى على الرغم من كونه نبياً فيشفيه الله تعالى على الرغم من دعاء الأنبياء لا يرد وعلى الرغم من أن يوسف هو ابن يعقوب وعليه: كيف يكون قميص سيد الأنبياء والمرسلين؟

ثانياً: إن حقيقه تكفين المؤمن مطلقاً بكفن من الجنه تهبط به الملائكه هو ليس ضرباً من الخيال وإنما من الأحاديث النبويه الشريفه والصحيحه لاسيما أن عدداً ليس بالقليل من حفاظ المسلمين قد أخرجوا هذه الحقيقه فى مصنفاتهم ورووا هذه الأحاديث فى كتبهم.

فقد روى أبو داود الطيالسى، وأحمد بن حنبل فى مسنديهما، وابن أبى شيبه الكوفى فى مصنفه والحاكم النيسابورى فى مستدركه، وغيرهم، جميعاً عن أبى عوانه عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب

ص: ١٠٥

قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم في جنازه رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولم يلحد.

فجلس رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال:

«استعيذوا من عذاب القبر»؛ ثلاث مرات أو مرتين.

ثم قال:

«إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس حتى يجلسون منه مدَّ البصر، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة ثم يجيء ملك الموت فيقعده عند رأسه فيقول: أيتها النفس المؤمنة الطيبة (المؤمنة) أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.

فتخرج تسيل كما تسيل القطره من في السقاء فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملك من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا...»(١).

ص: ١٠٦

١- مسند أبي داود الطيالسي: ص ١٠٢؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٢٨٧؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج ٣، ص ٢٥٦؛ مستدرک الحاكم: ج ١، ص ٣٧؛ مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٣، ص ٤٩؛ الأحاديث الطوال للطبراني: ص ٦٦؛ اثبات عذاب القبر للبيهقي: ص ٣٧؛ كنز

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة التي تدل على حقيقه نزول الملائكه بكفن وحنوط من الجنة لتكفن به روح المؤمن وتطيب بحنوطها.

إلا أن الخصوصيه التي نالتها أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى تكفينها هو اختصاصها بكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رداؤه الذى طلبته.

وثانياً: بكفن من الجنة نزل به جبرائيل عليه السلام وهو يختلف عما ذكرته الروايه السابقه التى تنص على نزول الملائكه بكفن من الجنة يكفن به روح المؤمن.

فهذا الكفن هديه سيكون لبدن خديجه وروحها، وقطعاً له من الصفات التى تكشف عن عظيم رحمه الله تعالى بخديجه، وما لديها من منزله عنده، فضلاً عن آثاره الغيبية التى يحتاجها الانسان فى القبر ويوم النشور والوقوف بين يدي الله تعالى.

ثالثاً: إن هذا الحديث ليدل على حقيقه افتقار الإنسان لربه أشد الافتقار وأن الدنيا محطه للتزود، يتزود الإنسان منها للحياه الآخرة، وإن أول عقباتها الكاشفه عن أهوالها وشدتها هو الاحتضار ونزع الروح وما بعدها.

بعد قيام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتكفينها بالصوره التي مرّ بيانها آنفاً قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتشييعها إلى قبرها مع بعض أرحامها وخواصه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أشار حزام بن حكيم بن خويلد وهو أحد أبناء إخوان أم المؤمنين خديجه عليها السلام - والذي مرت ترجمته في الفصل السابق - إلى تشييعها ودفنها. فقد روى ابن سعد والطبري وابن عساكر وغيرهم عن أبي حبيبه مولى الزبير قال: سمعت حكيم بن حزام يقول: توفيت خديجه وهي يومئذ ابنه خمس وستين سنه، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حفرتها ولم تكن يومئذ سنه الجنائز الصلاه عليها(١).

ويدل الحديث على أمور عدّه، منها:

١. لم يصح ما ذكره مولى الزبير وادعاؤه بأنه سمع حكيم بن حزام يقول إن عمر خديجه - عليها السلام - حين الوفاه كان (خمساً وستين) وقد اثبتنا بالأدله في الجزء الأول من الكتاب أن حقيقه عمرها كان يوم توفيت تسعاً وأربعين سنه أو هي في الخمسين - فليراجع -.

٢. من السمات التي اختص بها تشييع خديجه عليها السلام هو وجود

ص: ١٠٨

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ١٨؛ المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص ٨٦؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٩٤؛ تفسير القرطبي: ج ١٤، ص ١٦٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التشييع واتباعه جنازه أم المؤمنين خديجه عليها السلام وهي سمه لم يشهدا غيرها من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك؛ لوفاته صلى الله عليه وآله وسلم قبلهن .

٣. كما امتاز دفنها عليها السلام بنزول سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقبرها، ولا يخفى على أهل المعرفه ما يترتب على هذا الفعل النبوي من آثار غيبية تتناسب مع منزله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى و آثار ذلك على التوسعه في القبر وحضور جموع الملائكه كما يكشف أيضاً عن منزلتها لديه صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. لم يصلّ عليها النبي صلّاه الجنائز؛ لأن ذلك لم يسن بعد على الأئمه الا أنّ ترحم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عليها واستغفاره لها ودعاءه إليها لم يكن بأقل مما للصلاه من آثار غيبية على الميت.

المسأله الخامسه: حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فقد خديجه حتى خشى عليه من الهلاك

ليس من الغريب أن يكون لفقدها عليها السلام أثر كبير في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد دخل عليه من الحزن الشديد والأسى البالغ، والوحشه الكبيره ما لا نظير له (حتى خشى عليه) (١) من الحزن.

ص: ١٠٩

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ٦٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٢، ص ١١٦؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٢.

ولقد دخلت عليه خوله بنت حكيم بن الأوقص السلميه امرأه عثمان بن مظعون فقالت له: كأنى أراك قد دخلتكم خله لفقد خديجه قال:

«أجل كانت أم العيال ورب البيت»(١).

ويدل دخول خوله بنت حكيم عليه إلى اشتها حاله صلى الله عليه وآله وسلم فى أوساط مكة حتى تحدثوا بذلك فى محافلهم وأنديتهم ومجالسهم ودورهم فقالوا: (ما رأينا رجلاً حزن على امرأه مثل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -)(٢).

وقال بعضهم: (يحق له أن يحزن عليها للخصال التى ركب فيها من عقلها، وعفتها، وطهارتها، وأدبها، وحسن ودادها، فقال رجل منهم يقال له (ابو عزيزه) يرثى خديجه - عليها السلام - وينشده شعراً، فيقول:

ذُرِفْتُ دموعك يا بن عبد مناف زين الرجال وسيد الأشراف

يا ابن الأكابر من ذؤابه هاشم وابن المعد لرحله الإيلاف

المطعمون الطير فى أوكارها والقائلون هلم للأضياف

رزى النبى بفقده لخديجه حتى تتابع دمعه بوكاف

ما فى الأنام محافظ لقرينه إلا الأمين وصاحب الإنصاف

بيكى خديجه دهره زين النساء الطاهرات جميله الأوصاف

ص: ١١٠

١- الطبقات لابن سعد: ج ٨، ص ٥٨؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣، ص ١٧٢؛ الإصابه لابن شهر: ج ٨، ص ١٠٢؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ٦، ص ٣٣.

٢- «مخطوط» الجزء الثانى من سيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى الحسن البكرى، يرقد هذا المخطوط فى مكتبه الأسد بدمشق الشام، ويحمل الرقم (١٢٤٤٢).

قال: فبلغت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعجبه ذلك وبعث إليه ببرده ودراهم كرامه له على أبياته، وتحدثوا أهل مكة بحديثه(١).

وذكر أصحاب السير: أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد سمي هذا العام الذي توفيت فيه خديجه وعمه أبو طالب (بعام الحزن)(٢).

بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم اتخذ لنفسه أسلوباً خاصاً في التعامل مع هذه الأحزان «فقد لزم بيته وأقل الخروج»(٣)؛ فقد توالى عليه في هذا العام مصيبتان(٤).

فهكذا كان حزنه على رحيل خديجه عليها السلام بعد أن عاشت معه ما يقارب الخمس والعشرين سنة، وقفت معه فيها على تبليغ رساله ربه، وناصرته، وآزرته في دعوته، وبذلت في ذلك الغالي والنفيس، فضلاً عن مواساتها له صلى الله عليه وآله وسلم في تحمل أعباء الرساله ومواجهه أعداء

ص: ١١١

١- المصدر السابق.

٢- السيره الحلبيه: ج ٢، ص ٤٢؛ المناقب لابن شهر: ج ١، ص ١٥١؛ البحار للمجلسي: ج ١٩، ص ١٥؛ الرساله المحمديه للثعالبي: ص ٧٦؛ عمده القاريء في شرح صحيح البخارى للعيني: ج ٨، ص ١٨٠؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ص ٤٥؛ كشف الغمه للأربلي: ج ١، ص ١٦.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٢١١؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ١٦٥؛ سبل الهدى للشامى: ج ٢، ص ٤٣٥.

٤- الذريه الطاهره للدولابي: ص ٦٣؛ المنتخب من كتاب أزواج النبي للزبير بن بكار: ص ٣٣؛ سمط النجوم العوالى للصنعانى: ج ٧، ص ٤٩٢، ح ١٤٠٠٣؛ القوانين الفقيهيه لابن الكلبي: ص ٤٠٨، ط دار الكتاب العربى؛ وسيله الإسلام لابن قنفذ: ص ٥٤.

الله حتى كانت تقف أمام الحجارة التي يرمونه بها فتحميه بجسدها، بل وأكلت معه ورق الأشجار، وصبرت على ظلم قريش لهما حتى وافتها المنية صابره محتسبه على ما نزل بها في سبيل الله ونصره دينه، وإيماناً وتصديقاً برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك:

كان لها من القدر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله ينظر إليها كنفسه المقدسه لاسيما وقد نص على ذلك بقوله حينما دخل عليه الصحابي الجليل سلمان المحمدي (الفارسي) وعنده جماعه من أصحابه وأهل بيته فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من عرف قدر خديجه فقد عرف قدرى، ومن أهان قدرها، أهان قدرى»(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أراد هوان خديجه فقد أهان الله تعالى»(٢).

ولعل في بطون المخطوطات ما هو أكثر مما عثرت عليه في هذه العجالة مع ما تفرضه قوانين حصائن المخطوطات التي فيها ما هو أبين في الدلالة وألزم في الحجج على الذين نافقوا لأهل السلطه والتمسوا منهم الفتات من موائدهم المنصوبه على ضلوع الأيامي والأيتام والجياع.

ص: ١١٢

١- «مخطوط»، كتاب فضائل العشره لابن العباس الكنكشى، يرقد هذا المخطوط في مكتبه الأسد بدمشق ويحمل الرقم (١٢٩٩٠).

٢- نفس المصدر السابق.

ولولا ارتكاس البعض في وحل التعصب لكان ما في بطون المخزون من المخطوطات خير معلم للخلف بسيره نبيهم وأوضح دليل على شرفهم الذي غيبتة دراهم بيت المال.

المسألة السادسة: حُزن فاطمه على أمها عليهما السلام

لم يغب عن ناظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك العيون التي ينهمل منها الدمع وقد غمرها الحزن فما زال العمر مبكراً لكي يتحمل مصاب رحيل الأم، بل مازال العمر في أول مراحل نموّه، وهو أحوج ما يكون إلى وجود الأم لتغدقه بنبع حنانها وترويه من معين رأفتها ولطفها، ففاطمه عليها السلام هي الآن في الخامسة من عمرها وقد رحلت عنها أمها وبقيت في الدار لا ترى سوى أبيها الذي لم يكن دمعه بأقل من دمעה، فقد ذهب المؤمنس والسكن والمعين على محن الدنيا.

غير أنّ فاطمه عليها السلام بعد أنّ وجدت الدار خاليه (جعلت تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدور حوله، وتقول:

يا أبة، أين أمي؟) (١).

سؤال يملأ المكان ويتردد صداه بين جدران بيت خديجه، هذا البيت الذي عطّره زغب أجنحه الوحي، فكانت خير معزٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنته، وخير مسعف لأب مفجوع، وزوج أخذ الوجد منه كل مأخذ فلا يرى لسؤال فاطمه من مجيب غير حبيبه جبرائيل عليه السلام.

ص: ١١٣

١- الأمالى للطوسى: ١٧٥.

فسرعان ما حضر عنده قائلاً:

«ربك يأمرك أن تقرئ فاطمه السلام، وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسيه ومريم بنت عمران»(١).

فردت على ما سمعت من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أن أخبرها صلى الله عليه وآله وسلم بقول جبرائيل عليه السلام قائله:

«إن الله هو السلام، ومنه السلام؛ وإليه السلام»(٢).

واطمأن قلبها الحزين لرحيل أمها خديجه وعلمت أنها في:

(مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ)٣.

وفى الحديث بيان يغنى اللبيب عن العبارة في معرفه ما لهذا المصاب وأهله عند الله من المنزل.

المسأله السابعه: تاريخ وفاتها

اتفق المؤرخون على أن وفاه خديجه وأبي طالب عليهما السلام كانت في عام واحد(٣).

ص: ١١٤

١- الروايه للامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام نقلت بتصريف، وتوجد في: الأمالى للشيخ الطوسى: ص ١٧٥؛ الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندى: ج ٢، ص ٥٣٠؛ الجواهر السنیه للحر العاملى: ص ٢٦٤؛ البحار للمجلسى: ج ١٦، ص ١.

٢- المصدر السابق.

٣- البحار للمجلسى: ج ١٩، ص ٥؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١٧١؛ الذريه الطاهره للدولابى: ص ٦٥؛ تاريخ دمشق: ج ٢١، ص ١٤٣.

وأنهما توفيا في شهر رمضان، في السنه العاشره من البعثة(١)، أو ثلاث سنوات قبل الهجره(٢).

واختلفوا في الفارق الزمني بينهما إلى عدة أقوال:

١. أنها توفيت بعد أبي طالب عليهما السلام بثلاثة أيام(٣).

٢. أنها توفيت بعده بشهر واحد(٤).

٣. وقيل: بشهر وخمسه أيام(٥).

٤. وقيل: بشهرين(٦).

٥. وقيل: بسته أشهر(٧).

٦. وقيل: إنها توفيت بعد الإسراء(٨)، وهو مخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام وذلك أن الإسراء عندهم وقع في السنه الثالثه من البعثة النبويه.

ص: ١١٥

١- الطبقات لابن سعد: ج ٨، ص ١٨؛ فتح الباري لابن حجر: ج ٧، ص ١٧٦.

٢- الذريه الطاهره للدولابي: ص ٦٤، ح ٣١؛ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج ٧، ص ٤٩٢؛ القوانين الفقهيه: ص ٤٠٨.

٣- المعارف لابن قتيبه: ص ١٣٤؛ عمدته القارى للعيني: ج ١، ص ٦٣؛ بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٦.

٤- الأمالى للطوسى: ص ٤٦٣؛ كشف الغمه للأربلى: ج ٢، ص ٣٠.

٥- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ١٢٥؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٦٦، ص ٣٤٥؛ سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١١٢.

٦- البحار للمجلسى: ج ١٩، ص ٥.

٧- البحار للمجلسى: ج ١٩، ص ١٤.

٨- أسد الغابه لابن الأثير: ج ١، ص ١٩؛ السيره الحلييه: ج ٢، ص ٤٠.

وعليه: يبقى اليوم العاشر من شهر رمضان(١)، يوم تتجدد فيه الأحزان على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى شيعتهم ومحبيهم، وفيه تقام مجالس المواساه والعزاء وإحياء هذه الذكرى الأليمة كما هو معروف لدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ف:- (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

المبحث الثالث: موضع قبر خديجه عليها السلام وخصائصه

إشاره

تشير الروايات إلى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حينما توفيت أم المؤمنين عليها السلام حملها إلى موضع من مواضع مكة ودفنها فيه بل الظاهر أن خديجه هي أول من دفن في هذا المكان.

المسأله الأولى: شرافه موضع قبرها

ذكر ابن حجر، وابن عبد البر، والذهبي، وغيرهم: أنها دفنت بالحجون(٢)، بفتح الحاء وضم الجيم وهو الجبل المطل على المسجد بأعلى مكة على يمين المصعد، وهناك مقبره أهل مكة(٣).

ص: ١١٤

- ١- الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠٣؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ج ٦، ص ٢٩؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي: ج ٢، ص ٤٣٤؛ سيره ابن إسحاق: ج ٥، ص ٢٢٨..
- ٢- تحفه الأحمدي: ج ١٠، ص ٢٦٤؛ أسد الغابه: ج ٥، ص ٤٣٩؛ سير أعلام النبلاء: ج ١، ص ١١٢؛ الإصابه: ج ٨، ص ١٠٣؛ المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص ٢؛ تاريخ الإسلام: ج ١، ص ٢٣٧؛ الاستيعاب: ج ٤، ص ١٨٢٥.
- ٣- فتح الباري لابن حجر: ج ٣، ص ٣٢٣.

وقال الأصمعي: هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعه على شعب الجزارين (١).

وتدل أبيات مضاض بن عمرو الجرهمي وهو يتشوق إلى مكة لما أجلتهم عنها خزاعه إلى اشتهاار هذا الموضع عند المكيين وتفضيله على غيره من الأماكن وانهم لم يتخذوه مقبره حتى دفنت خديجه كما سيمر في الأحاديث.

قال عمرو الجرهمي:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فأخرجنا منها المليك بقدره كذلك يا للناس تجرى المقادر

فصرنا أحاديثاً وكنا بغيطة كذلك عضتنا السنون الغوابر

وبدلنا كعب بها دار غربه بها الذئب يعوى والعدو المكاشر

فسحت دموع العين تجرى لبلده بها حرم أمن وفيها المشاعر (٢)

وقد ورد في السنه المطهره على صاحبها وآله صلاه الرحمن وسلامه ما يدل على منزله هذا المكان وتفضيله على كثير من بقاع مكة وغيرها من الأراضى، فمنها:

١. قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينشران في الجنة وهما

ص: ١١٧

١- معجم البلدان للحموى: ج ٢، ص ٢٢٥.

٢- معجم البلدان للحموى: ج ٢، ص ٢٢٥.

٢. وقريب من هذا اللفظ ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«إن الله تعالى يأمر يوم القيامة أن يأخذوا بأطراف الحجون والبقيع، وهما مقبرتان بمكة والمدينه فيطرحان في الجنه»(٢).

والظاهر هنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أرشد المسلمين إلى اتخاذ الحجون والبقيع محلاً لدفن موتاهم لما لهما من خصوصيه في الآخره(٣)، وإلا فهما لم يكونا قبل ذلك محلاً لدفن المؤمنين.

ومما يدل عليه الحديث الآتى:

٣. وعن عبد الله بن مسعود، قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ثنيه الحجون وليس بها يومئذ مقبره فقال:

يبعث الله من هذه البقعه ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليله البدر يدخلون الجنه بغير حساب، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليله البدر»(٤).

ص: ١١٨

١- تخريج الأحاديث والآثار للزبيلى: ج ١، ص ١٩٩؛ الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ٤٤٨؛ تفسير الثعلبي: ج ٣، ص ١٥١؛ تفسير النسفى: ج ١، ص ١٦٨؛ تفسير أبى السعود: ج ٢، ص ٦١.

٢- مستدرک الوسائل للمحدث النورى: ج ٢، ص ٣٠٩.

٣- تخريج الأحاديث والآثار للزبيلى: ج ١، ص ١٩٩؛ الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ٤٤٨؛ تفسير الثعلبي: ج ٣، ص ١٥١؛ مستدرک الوسائل للمحدث النورى: ج ٢، ص ٣٠٩؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج ١٠، ص ٨٩؛ تفسير الثعلبي: ج ٣، ص ١٥١.

٤- الكشاف للزمخشري: ج ١، ص ٤٤٨. تفسير أبى السعود: ج ٢، ص ٦١.

٤. روى أبان بن عياش عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل مع الآمنين»(١).

٥. وقال وهب بن منبه: مكتوب في التوراه أن الله يبعث يوم القيامة سبعمائيه ألف ملك من الملائكة المقربين بيد كل واحد منهم سلسله من ذهب إلى البيت الحرام فيقول لهم:

إذهبوا إلى البيت الحرام فزموه بهذه السلاسل ثم قودوه إلى المحشر فيأتونه فيزموه بسبعمائيه ألف سلسله من ذهب ثم يمدونه وملك ينادى: يا كعبه الله سيرى. فتقول: لست بسائره حتى أعطى سؤلى.

فينادى ملك من جو السماء: سلى تعطى.

فتقول الكعبه: يا رب شفنى فى جيرتى الذين دفنوا حولى من المؤمنين.

فيقول الله: قد أعطيتك سؤلك. قال: فيحشر موتى مكه من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمين، فيجتمعون حول الكعبه يلبون ثم يقول الملائكه: سيرى يا كعبه الله، فتقول: لست بسائره حتى أعطى سؤلى، فينادى ملك من جو السماء: سلى تعطى، فتقول الكعبه: يا رب عبادك المؤمنين الذين وفدوا إلى من كل فج عميق شعنا غربا، تركوا الأهلين والأولاد والأحباب، وخرجوا شوقا إلى زائرین مسلمين طائعين، حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم، فأسألك أن تؤمنهم من الفرع الأكبر وتشفنى فيهم وتجمعهم حولى،

ص: ١١٩

١- تفسير الثعلبى: ج ٣، ص ١٥١. تفسير النسفى: ج ١، ص ١٦٨.

فينادى الملك: إن منهم من ارتكب الذنوب بعدك وأصر على الذنوب الكبائر حتى وجبت له النار، فتقول الكعبة: إنما أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظام. فيقول الله: قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤللك. فينادى منادٍ من جو السماء: ألا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس. فيعتزلون، فيجمعهم الله حول البيت الحرام بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون ويلبون، ثم ينادى ملك من جو السماء: ألا يا كعبة الله سيرى. فتقول الكعبة: لبيك لبيك والخير بيديك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، ثم (يمدونها) إلى المحشر(١).

وهذه الأحاديث تدل على خصوصية الموضع الذى دفنت فيه خديجه عليها السلام؛ وأن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إنما دفن أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى هذا الموضع لمعرفة بفضيلته عند الله تعالى، مما جعل المكيين يدفنون موتاهم فيه؛ فضلاً عن أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أراد حفظ قبر خديجه عليها السلام من أيدي الأعراب حينما يتخذة أهل مكة، أى الحجون محلاً لدفن موتاهم.

كما تكشف هذه الأحاديث أهميه أن يحمل الميت إلى الأماكن التى فضلها الله على غيرها من الأرض لاسيما أرض الحرمين، وأرض كربلاء، والنجف الأشرف، كما دلت عليه أحاديث أهل البيت عليهم السلام الكاشفه عن اختصاص هذه الأماكن باللطف الإلهى والكرامه الخاصه.

ص: ١٢٠

ومن الأحاديث الشريفه الوارده عن العتره النبويه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما يكشف عن حال أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى البرزخ، وهو القبر بصوره خاصه، وما يتعلق بحال الإنسان مؤمناً كان أم كافراً بشكل عام، وخير ماتم جمعه فى هذا الصدد هو ما قام به الشهيد الأول (١) رضوان الله

ص: ١٢١

١- هو الشيخ أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين مكى ابن الشيخ شمس الدين محمد بن حامد بن أحمد المطلبى العاملى النباطى الجزينى المعروف بالشهيد الأول وبالشهيد على الإطلاق. والمطلبى نسبه إلى المطلب أخى هاشم لانه من ذريته، والى المطلب ينسب عبد المطلب بن هاشم واسمه شيبه الحمد. ولد الشهيد الأول سنه ٧٣٤ واستشهد بدمشق ضحى يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى سنه ٧٨٦ قتلًا بالسيف على التشيع وعمره اثنان وخمسون سنه؛ (أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ١٠، ص ٥٩). من أقوال العلماء فيه: قال الشيخ المحدث صاحب الوسائل الحر العاملى (قدس سره) فى أمل الآمل: كان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً مدققاً ثقة متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقلية والنقلية، زاهداً، عباداً، شاعراً، أديباً، منشئاً، فريد دهره، عديم النظر فى زمانه، روى الشيخ فخر الدين محمد بن العلامة (الحلى)، وعن جماعه كثيرين من علماء الخاصه والعامه. له كتب منها: ١. كتاب ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة فى فقه الإماميه مخرج منه أكثر الفقه، لم يتم. ٢. كتاب غايه المراد فى نكت الإرشاد. ٣. اللمعه الدمشقيه فى الفقه كتبه فى سبعة أيام.

تعالى عليه في كتابه ذكرى الشيعة الا- أنني أحببت أن أتعرض أولاً- لحال الإنسان مطلقاً في البرزخ كي يكون محطه للترود والمعرفه بحال أم المؤمنين خديجه عليها السلام في البرزخ.

أولاً: ما هو حال الإنسان في البرزخ، وهل يتفاوت حال الناس في القبر؟

قال الشهيد الأول رضوان الله تعالى عليه في الذكرى:

«البرزخ، وهو لغه: الحاجز، والمراد هنا ما بين الموت والبعث، قال الله تعالى:

(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ۱.

روى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام:

«ان بين الدنيا والآخره ألف عقبه، أهونها وأيسرها الموت».

وهنا مسائل:

ألف: سؤال القبر.

عليه الاجماع، إلا لمن لقن على ما روى من الأخبار، وروى الكليني

ص: ١٢٢

بعده أسانيد عن الصادق عليه السلام:

«إنما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر محضاً، وأما ما سوى ذلك فيلهى عنه» (١).

وعن الباقر عليه السلام، ومثله، ويجوز أن يؤول بسؤال خاص لا مطلق السؤال.

وعن بشير الدهان عن الصادق عليه السلام:

يجيء الملكان: منكر ونكير، فيسألان الميت: من ربك؟ فإذا كان مؤمناً، قال: الله ربي، ودينى الإسلام.

فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذى خرج بين ظهرايكم؟

فيقول: أشهد أنه رسول الله.

فيقولان له: نم نومه لا حلم فيها، ويفسح له فى قبره تسع أذرع، ويفتح له باب إلى الجنة فيرى مقعده فيها. وإذا كان كافراً دخلاً عليه، وأقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس.

فيقولان من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذى خرج بين ظهرايكم؟ فيقول: لا أدري.

فيخيلان بينه وبين الشيطان، ويفتح له باب إلى النار، ويرى مقعده فيها).

وعن أبى بكر الحضرمي:

(يسألون عن الحجة القائم بين أظهرهم، فيقول: ما تقول في

ص: ١٢٣

١- الكافي للكلىنى: ج ٣، ص ٢٣٥.

فلان بن فلان ؟

فيقول: ذاك إمامي.

فيقال له: نم أنام الله عينك، ويفتح له باب إلى الجنة.

فما يزال ينفحه من روحها إلى يوم القيامة.

ويقال للكافر: ما تقول في فلان ؟ فيقول: قد سمعت به، وما أدري ما هو!

فيقال له: لا دريت، ويفتح له باب من النار، فلا يزال ينفحه من حرها إلى يوم القيامة).

وروا في الصحاح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله:

(إن هذه الأئمة تمتلي في قبورها، فإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول: ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه يقول: كنت أعبد الله، فيقول: ما كنت تقول في هذا؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. قال: فما يسأل عن شيء غيرها، فينطلق به إلى بيته الذي كان في النار، فيقال: هذا بيتك في النار، ولكن الله عصمك ورحمك وأبدلك به بيتا في الجنة فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: أسكن. وإن الكافر إذ وضع في قبره أتاه ملك فينتهزه، فيقول: ما كنت تعبد؟ فيقول لا أدري! فيقال له: لا دريت ولا تليت. فيقول: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: كنت أقول مثل ما يقول الناس! قال: فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحه يسمعها الخلائق غير الثقلين).

ومعنى تليت: قرأت، أتى بالياء لمجانسه دريت. ويروى: أتليت، من

أُتلت الإبل إذا ولدت وتلاها أولادها.

وفى روايه أخرى:

(والكافر يرى مقعده من الجنة، فيقال هذا مقعدك من الجنة، ولكنك عصيت الله وأطعت عدوه).

وعن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى:

(يُجِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ١.

قال:

هذا فى القبر إذا سئل عن ذلك.

وروى عن الكلينى عن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام فى المؤمن إذا أجاب:

(يقولان له: نم نومه لا حلم فيها. ويفسح له فى قبره تسع أذرع، ويرى مقعده من الجنة، وهو قول الله تعالى:

(يُجِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) الآية.

باء: تضافرت الأخبار بعذاب القبر - نعوذ بالله منه - وقد مر طرف منها.

وقوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يُؤْمَرُونَ السَّاعَةَ ٢ يدل عليه.

ص: ١٢٥

وقد روى ابن مسعود: أن أرواحهم فى أجواف طير سود، يعرضون على النار بكره وعشيا إلى يوم القيامة.

وروى الكلينى عن جابر، (عن الباقر عليه السلام:

«قال النبى صلى الله عليه وآله: ليس من نبى إلا وقد رعى الغنم. كنت أنظر إلى الغنم والإبل وأنا أرهاها قبل النبوه، وهى متمكنه ما حولها شىء يهيجها حتى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ فأعجب، حتى حدثنى جبرئيل عليه السلام أن الكافر يضرب ضربه ما خلق الله جل وعز شيئاً إلا يسمعها ويدعر لها إلا الثقلين، فنعوذ بالله من عذاب القبر»).

وعن أبى بصير (عن الصادق عليه السلام:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج فى جنازه سعد وقد شيعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثم قال: أو مثل سعد يضم؟ فقالت أم سعد: هنيئاً لك يا سعد. فقال لها النبى صلى الله عليه وآله: يا أم سعد لا تحتمى على الله عز وجل»).

وعن بشير الدهان عن الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إنما القبر روضه من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار».

وعن أبى بصير عنه عليه السلام فى الكافر:

«ينادى من السماء: افرشوا له فى قبره من النار، وألبسوه ثياب النار، وافتحوا له باباً إلى النار حتى يأتينا وما عندنا شىء له، فيضربانه بمرزبه ثلاث ضربات ليس فيها ضربه إلا يتطاير

قبره، لو ضرب بتلك المرزبه جبال تهامه لكانت رميما».

وعن الصادق عليه السلام فى المصلوب يصيبه عذاب القبر:

«يوحى الله عز وجل إلى الهواء فيضغظه ضغظه أشد من ضغظه القبر».

وعن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما ماتت رقيه ابنته -: إنى لأعرف ضعفها، وسألت الله عز وجل أن يجيرها من عذاب القبر».

وعن أبى بصير عن الصادق عليه السلام:

«ما أقل من يفلت من ضغظه القبر!».

وفى البخارى ومسلم عن أنس: أن النبى صلى الله عليه وآله دخل نخلا لبني النجار، فسمع صوتا ففزع، فقال:

«من أصحاب هذه القبور؟».

فقالوا: يا رسول الله ناس ماتوا فى الجاهليه. فقال:

«نعوذ بالله من عذاب القبر».

وفى روايه أخرى فى المنافق والكافر:

«ليضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتعودوا بالله من عذابه ونقمته».

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، وإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن

أهل

ص: ١٢٧

النار. فيقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

جيم: دل القرآن العزيز بقوله تعالى:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ).

وقوله تعالى:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ).

وغير ذلك على بقاء النفس بعد الموت بناء على تجردها وعليه كثير من الأصحاب ومن المسلمين أو على تعلقها بالأبدان، وهو مروى بأسانيد كثيرة من الجانبين، فمنها ما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال:

«أرواح الشهداء في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل في ظل العرش».

ومنها ما روى من الطرفين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم»،

قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال:

أما حياتي فإن الله تعالى يقول:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ).

وأما مفارقتي إياكم، فإن أعمالكم تعرض على كل يوم، فما كان من حسن استرتدت الله لكم، وما كان من قبيح، استغفرت الله لكم».

قالوا: وقد رمت ؟ فقال:

«كلا، إن الله عز وجل حرم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئا».

وروى الأصحاب فى تفسير قوله تعالى:

(وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ).

إن أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمة عليهم السلام كل يوم، أبرارها وفجارها.

وفى التهذيب: عن مروان بن مسلم، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قلت له: إن أخى ببغداد، وأخاف أن يموت بها. قال:

«ما تبالى حيشما مات، أنه لا يبقى مؤمن فى شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادى السلام».

قال:

«وهو ظهر الكوفه، كأنى بهم حلق حلق قعودا يتحدثون».

ورواه فى الكافى أيضا. وفى التهذيب: عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«ما يقول الناس فى أرواح المؤمنين؟»

قلت: يقولون فى حواصل طيور خضر فى قناديل تحت العرش. فقال أبو عبد الله:

«سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه فى

حوصله طائر أخضر. يا يونس: المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، وإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي في الدنيا».

وروى في التهذيب أيضا عن علي، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين؟ فقال:

«في الجنة على صور أبدانهم، لو رأيته لقلت فلان».

ومثله رواه في الكافي بسنده إلى أبي ولاد الحنيط، عن أبي عبد الله عليه السلام. وعن أبي بصير عنه عليه السلام:

«أن أرواح المؤمنين لفي شجره في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون ربنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا».

وعن أبي بصير عنه عليه السلام:

«ان الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تتعارف وتتساءل، فإذا قدمت الروح عليهم يقولون: دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم. ثم يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيا ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى».

ويقرب منه روايه يونس بن يعقوب عنه عليه السلام.

وفي الكافي بإسناده إلى جبه العرنى، قال: خرجت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقامت لقيامه

حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت فعل ذلك غير مره ثم عرض على أمير المؤمنين الجلوس، فقال:

«يا حبه إن هو إلا محادثه مؤمن أو مؤانسته، ولو كشفت لك لرأيتهم حلقا حلقا يتحادثون».

فقلت: أجسام أو أرواح؟ فقال:

«أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعه في بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقى بوادى السلام، وإنها لبقعه من جنه عدن».

وفى الكافى عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام، فى أرواح المشركين:

«فى النار يعذبون، يقولون: ربنا لا تقم لنا الساعه، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأولنا».

وعن القداح عن أبى عبد الله عليه السلام:

«قال أمير المؤمنين (عليه السلام): شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو بحضرموت، ترده هام الكفار».

وأكثر من الأخبار فى ذلك. ومما يدل على بقاء النفس مدركه بعد الموت أحاديث الزياره، وهى كثيره منها: روايه حفص بن

البخترى، عن أبى عبد الله عليه السلام:

«إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب، ويستر عنه ما يكره. وإن الكافر يزور أهله فيرى ما يكره، ويستر عنه ما يحب».

قال:

ص: ١٣١

«ومنهم من يزور كل جمعه ومن يزور على قدر عمله».

وفى روايه إسحاق بن عمار، عن الكاظم عليه السلام:

«يزورون على قدر فضائلهم، منهم من يزور فى كل يوم، ومنهم فى كل يومين، ومنهم فى كل ثلاثه، وإن زيارتهم عند الزوال».

وفى روايه أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتى أهله كل يوم عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون الصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون الصالحات كانت عليه حسره».

وفى روايه إسحاق عن الكاظم عليه السلام:

«فبيعت الله ملكا فيريه ما يسره، ويستر عنه ما يكره، فيرى ما يسره ويرجع إلى قره عين»^(١).

ولقد أوردت هذه الأحاديث بتمام إيرادها فى الذكرى كى يتسنى للقارئ معرفه ما ينتظره فى عالم البرزخ من أمور لا يمكن له تجنبها الا من خلال التمسك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباع نهجه وهديه حينما أوصى الأمة بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته.

وعليه:

فلقد كانت هذه الحقائق تستدعى بالمسلم الوقوف عند حال أم المؤمنين خديجه عليها السلام فى هذا العالم الغريب بعد نزولها القبر وهو البرزخ، وهو ما سنعرض له فى المسأله القادمه.

ص: ١٣٢

١- ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة للشهيد الأول: ج ٢، ص ٨٥-٩٣.

تكشف الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في بيان مقام أم المؤمنين خديجه عليها السلام في البرزخ وتُظهر أيضاً علو منزلتها في هذا العالم الذي تحدثت عنه الروايات السابقه وبيّنت أحواله العجيبه والمهوله الا لمن عصم الله واتقى في الحياه الدنيا.

ألف: ان خديجه عليها السلام في جنتها البرزخيه على نهر من أنهارها

يروى الهيثمي في المجمع عن جابر أنه قال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم عن عمرو بن نفيل، فقلنا: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبله ويقول: ديني دين إبراهيم وإلهي إله إبراهيم، وكان يصلي ويسجد قال:

ذاك أمه وحده يحشر بيني وبين يدي عيسى بن مريم.

وسئل عن ورقه بن نوفل، وقيل: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبله ويقول: إلهي إله زيد وديني دين زيد وكان يتوجه ويقول:

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عنيت بتثور من النار حامياً

بدينك ديناً ليس دين كمثلته وتركك حنان الجبال كما هي

قال صلى الله عليه - وآله - وسلم:

رأيته يمشى في بطنان الجنة عليه حله من سندس.

وسئل عن خديجه - عليها السلام - فقال صلى الله عليه - وآله - وسلم:

«رأيتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا تعب فيه

ويدل الحديث على بعض الحقائق، منها:

١. ان السؤال كان بعد وفاه خديجه عليها السلام بقريته قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رأيتها على نهر من أنهار الجنة».

وقطعاً إن هذه الرؤيه بعد غياب خديجه عليها السلام ورحيلها إلى عالم الآخرة، وبقريته أخرى وهي تتابع الأسئلة عن أحوال اثنين من شخصيات مكة قد توفاهما الله تعالى فأراد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلعوا على حالهم في البرزخ وهما (زيد بن عمرو بن نفيل، وورقه بن نوفل) ثم اتبعوا ذلك بسؤالهم عن خديجه عليها السلام، فضلاً عن روايه أبي يعلى الموصلي التي يصرح بها الرواي عن حال خديجه بعد موتها لقوله: وسئل عن خديجه؛ لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن(٢).

٢. إنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حينما وصف حال أم المؤمنين خديجه عليها السلام بأنها على نهر من الجنة في بيت من قصب إنما هو

ص: ١٣٤

-
- ١- مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٩، ص ٤١٧؛ ورواه أبو يعلى الموصلي، والنووي في المجموع، والطبراني في الأوسط، بلفظ: «أبصرتها في الجنة في بيت من القصب...» أنظر: مسند أبي يعلى: ج ٤، ص ٤٢؛ المجموع للنووي: ج ٥، ص ٢٥٨؛ المعجم الأوسط للطبراني: ج ٨، ص ١٣١؛ الكامل لابن عدي: ج ١، ص ٣١٩؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٦٣، ص ٢٣؛ البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٣، ص ١٤.
- ٢- مسند أبي يعلى: ج ٤، ص ٤٢.

جنته البرزخ، وذلك أن الجنة والنار يكون فيهما مقر ابن آدم بعد الحساب، والذي يتحدد فيه مصيره وينال جزاءه، أما أن يكون بعد موته مباشرة في الجنة فهذه جنته البرزخ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«القبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»^(١).

إذن:

فإن أم المؤمنين خديجة عليها السلام في روضه من رياض الجنة على نهر من أنهارها في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

باء: تعدد منازلها عليها السلام في جنته البرزخ

ومما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعترته النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في بيان مقام أم المؤمنين خديجة عليها السلام في البرزخ هو ما أخرجه الصفار عن محمد بن عمار عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض الأرض برجله فإذا بحر فيه سفن من فضه فركب وركبت حتى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضه فدخلها ثم خرج فقال:

«رأيت الخيمة التي دخلتها أولاً؟ فقلت نعم، قال: تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأخرى خيمة أمير المؤمنين عليه السلام والثالثة خيمة فاطمة والرابعة خيمة خديجة والخامسة خيمة الحسن والسادسة خيمة الحسين والسابعة خيمة علي بن الحسين، والثامنة خيمة أبي والتاسعة

ص: ١٣٥

١- مسند أبي يعلى: ج ٤، ص ٤٢، برقم (٢٠٤٧).

خيمتى وليس أحد منا يموت إلا وله خيمه يسكن فيها»(١).

والحديث يدل على جملة أمور:

١. أن هذا الفعل الذى قام به الإمام الصادق عليه السلام هو من الآيات التى أعطها الله تعالى لأوليائه وأمنائه على شريعته وحجته على خلقه، وهم مخيرون فى إظهارها لمن يرون فيه الأهلية لتقبل هذه الكرامات وحملها، وحال أبى بصير فى ذلك كحال من منّ عليه نبي الله سليمان فى زمانه فخصه ببعض الآيات؛ قال تعالى:

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ٢.

ولعل الظاهر فى اختصاص أبى بصير بهذه الكرامه فمن الإمام الصادق عليه بها، هو لكونه أحد المستأمنين على حمل علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان ذاك مما يثبت به فؤاده، ويطمئن به قلبه، وهو مما جرى فى كثير من حياه أصحاب الأنبياء والأئمه سلام الله عليهم أجمعين.

٢. إن أم المؤمنين خديجه عليها السلام هى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمه أهل البيت عليهم السلام فى البرزخ فى محمل واحد وان اختلفت مواضع قبورهم عليهم السلام إلا أنهم جميعاً فى تلك الجنة البرزخيه التى أعدها الله تعالى لهم.

ص: ١٣٦

١- بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار، باب: ١٣، ص ٤٢٦؛ البحار للمجلسي: ج ٦، ص ٢٤٥.

٣. إنها عليها السلام لها دار آخر غير الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكونه من قصب الجنة، وإن هذه الدار من الفضه وعلى هياها الخيمه وهذا يكشف عن علو شأنها عند الله تعالى، وتعدد منازلها فى البرزخ.

المسأله الثالثه: اتخاذ الإمام الحسين عليه السلام قبر جدته خديجه عليها السلام محلاً للدعاء والمناجاه

إن من الخصائص التى حظى بها قبر مولاتنا السيده خديجه عليها السلام هو اتخاذ الإمام الحسين عليه السلام منه محلاً للمناجاه والتضرع إلى الله تعالى وهذا يدل على أمور:

١. مشروعيه زياره القبور - كما سيمر بيانه لاحقاً فى زياره قبرها عليها السلام - فضلاً عن اختصاص هذا الموضع - أى قبرها عليها السلام - بالحطوه والمنزله عند الله تعالى، بل يكشف عن أهميه التوجه إلى هذه الأماكن التى ضمت بين ترابها أرواح من صدقوا الله فى إيمانهم وجاهدوا فى سبيله ونالوا بذلك رضاه ورضا رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فضلاً على ذلك ما لأم المؤمنين خديجه عليها السلام من زلفه عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف لا- يكون الورود إلى محل دفنها وموضع قبرها، وهى التى نالت السلام من الله تعالى وجبرائيل فى حياتها، فهى الآن تحف بها الملائكه من كل جانب، وماذاك على الله بعزير، بل هو ما أعده لعباده الصالحين.

(وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١.

٢. إنَّ قصد قبرها عليها السلام وقبور أولادها الأئمة المعصومين عليهم السلام هو مما يدل على تعريف الأجيال بتلك الشمس الإيمانية والرموز الإسلامية التي تُستلهم منها الدروس والعبر في الثبات والجهد والتضحية والتقوى وغيرها من الفضائل.

٣. إن إتيان قبرها عليها السلام هو أداء لبعض حقوقها على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً، فإن لم تكن تستحق ذلك من كونها المرأة الصابرة والمثابرة والمناصرة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي أم المؤمنين أفلا يكون لها الحق على أبنائها بزيارته قبرها ومن ثم ، ألا يكون التارك لقبرها عاقاً في حق أمه؟!.

إذن:

يعلمنا سيدنا ومولانا أبو عبد الله الإمام الحسين عليه السلام هذا المنهج التربوي في الإيفاء بحق أم المؤمنين عليها السلام والسعي في برها، فضلاً عن إرشادنا إلى أن هذا الموضوع هو من الأماكن التي يرفع فيها الدعاء وتقضى عنده الحاجات وإلا لما كان يتضرع إلى ربه ويناجيه فيه والبيت الحرام بجواره، وحجر إسماعيل بقربه، ومقام إبراهيم أمام ناظريه.

ولذلك:

فقد توجه - بأبي وأمي - إلى قبرها حينما خرج من المدينة المنورة بأهل بيته

ص: ١٣٨

وأخوته وأصحابه وقد عزم والى المدينة على الغدر به فكان من شأنه حينما عزم على الخروج من مكة متجهاً إلى العراق أن جاء زائراً لقبر جدته خديجة عليها السلام ومودعاً أياها وشاكياً إلى الله تعالى ما نزل به من الظلم.

قال أنس بن مالك - وكان قد سائر الإمام الحسين عليه السلام - فأتى قبر خديجة، فبكى عليه السلام ثم قال - لأنس :-

«أذهب عنى».

قال أنس:

فاستخفيت عنه، فلما طال وقوفه فى الصلاة سمعته قائلاً:

يا رب يا رب أنت مولاه فارحم عبيداً إليك ملجأه

يا ذا المعالى عليك معتمدى طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادماً أرقاً يشكو إلى ذى الجلال بلواه

وما به عله ولا سقم أكثر من حبه لمولاه

إذا اشتكى بثه وغصته أجابه الله ثم لباه

فنودى:

لييك عبدى وأنت فى كنفى وكلما قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتى فحسبك الصوت قد سمعناه

لوهبت الريح من جوانبه خر صريعاً لما تغشاه

سلنى بلا رغبه ولا رهب ولا حساب إنى أنا الله [\(١\)](#)

ص: ١٣٩

١- مناقب آل أبى طالب لابن شهر: ج ٣، ص ٢٢٤؛ البحار: ج ٤٤، ص ١٩٣؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص

قال العلامة المجلسي (طيب الله ثراه) في بيان بعض مضامين هذه الآيات:

(الأرق، بكسر الراء، من سهر بالليل، قوله: قد سفرناه، أى حسبك إنا قد كشفنا الستر عنك. قوله: لو هبت الريح من جوانبه، الضمير إما راجع إلى الدعاء كناية عن أنه يجول في مقام لو كان في مكانه رجل لغشى عليه مما يغشاه من أنوار الجلاله، ويحتمل ارجاعه إليه عليه السلام على سبيل الالتفات لبيان غايه خضوعه وولفه في العباده بحيث لو تحركت الريح لأسقطته)(١).

المسأله الرابعه: رؤيا بعض الصحابه لخديجه عليها السلام في منامهم وحثها لهم على نصره الإمام الحسين عليه السلام

لم تنزل رزيه أهل البيت عليهم السلام ومصابهم بالإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه من أعظم الرزايا التي حلت على الإسلام والمسلمين، بل: لم يشهد بيت من بيوت الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ألماً وأذى مثلما شهدته بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الفاجعه.

ولذلك:

لا يمكن تحديد حجم الأذى والألم الذي نزل بكل من له نسب أو سبب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن الأقربين لسيد الشهداء عليه السلام كأبيه وأبيه وجده وأخيه لاسيما جدته خديجه الكبرى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ص: ١٤٠

وعليه:

فليس من الغريب أن يرى بعض الصحابه كسليمان بن صرد الخزاعي خديجه عليها السلام فى منامه وهى تحته على نصره آل البيت عليهم السلام بعد وقوع مأساه الطفوف.

أما لماذا سليمان بن صرد دون غيره ؟

فذلك لنهوض سليمان وبعض أصحابه وخواصه من التابعين كالمسيب ابن نجبه الفزارى وجمع من أهل الكوفه لقتال بنى أميه وأسقاط حكمهم بعد أن أقدموا على قتل ربحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فى كربلاء.

(فخرجوا من الكوفه وكانوا أربعة آلاف فأتوا عين الورد وهى ناحيه قرقيسياء فلقبهم جمع من أهل الشام وهم عشرون ألفاً عليهم الحصين بن نمير)^(١)، لتشهد هذه البقعه صوراً يندر وجودها فى التضحيه والثبات حتى الممات تحت مواسى السيوف وأسنة الرماح ونصال السهام.

وتكشف بعض الروايات عن شدة القتال واستماته التوايين فى هذه المعركة (إن سليمان وأصحابه بقوا يقاتلون فيها سبعة أيام حتى قتل أصحاب سليمان، عدا سبعة وعشرين رجلاً- مثخين بالجراح المفرط ، فالتمسوا منه الفرار فأبى إلا القتال حتى يقتل ويلقى الله ورسوله وهما راضيان عنه).

ص: ١٤١

ولأنه كان صادقا مع الله ورسوله في نفسه فقد (رأى سليمان في الليلة الثامنة وهو نائم خديجه الكبرى وفاطمه الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، فقالت له خديجه:

«شكر الله سعيك ولأخوانك، فإنكم معنا يوم القيامة».

وقالوا: له:

«أبشر، فأنت عندنا غدا عند الزوال»(١).

(فلما أصبح سليمان بن صرد ترجل عن جواده يقاتلهم فرماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فسقط وقال: فزت ورب الكعبة - فقطع رأسه - وحمله أدهم بن محرز الباهلي إلى مروان بن الحكم)(٢).

فصلب الرأس بدمشق، مع رأس المسيب بن نجبه الفزاري، وكان له رضى الله تعالى عنه يوم قتل ثلاث وتسعون سنة(٣).

ولعل بعض القراء يجهل حال سليمان بن صرد ومقامه بين صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعتقد بما يطبل له مترلفو بنى أميه فى كيل التهم له ولأمثاله وأصحابه المجاهدين الذين حاربوا السلطان الجائر بالقول والفعل فنتعهم بنو أميه بالخارجين على الحاكم أو محاربه أولى الأمر ونسوا أن الباطل لا يدوم والكاذب مفضوح وإن طال به الأمر؛ وإلا كيف لم

ص: ١٤٢

١- مستدركات علم الرجال للشيخ على النمازى: ج ٤، ص ١٣٧.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤، ص ٢٩٢.

٣- نفس المصدر السابق.

يقنع أخلافهم بولاه الأمر فى وقتنا المعاصر وهؤلاء الولاه لهم حق الطاعه كما كان أسلافهم يقولون؟ وكيف يسمون أنفسهم بالمجاهدين وغيرهم بالخارجيين.

وأنى لاتباع السلف بنكران الطاعه والخروج على الولاه وهم اليوم يحيون تحت رايه الدول الغربيه أو الشرقيه التى تعتقد بماركس وبوذا وغيرهما؟! إنه واقع لن يجد له الخلف من فهم بفعل ما حرفه السلف.

أما ما ورد فى ترجمته عند أعلام المدارس الإسلاميه فهى كالتى:

١ - قال ابن سعد (المتوفى سنه ٢٣٠ هـ -)

- هو - (سليمان بن سرد بن الجون بن أبى الجون وهو عبد العزى بن منقذ بن ربيعه بن ضبيس، ويكنى أبا مطرف، أسلم وصحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان اسمه يسار فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سليمان، وكانت له سن عاليه وشرف فى قومه، فلما قبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحول فنزل الكوفه حين نزلها المسلمون وشهد مع على بن أبى طالب عليه السلام الجمل وصفين وكان فيمن كتب إلى الحسين بن على أن يقدم الكوفه فلما قدم أمسك عنه ولم يقاتل معه) (١).

أقول:

لا يخفى على الباحث الدور الذى بذله بنو أميه فى النيل من الرموز الإسلاميه التى تصدت لظلمها وطغيانها كعمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى

ص: ١٤٣

١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤، ص ٢٩٢.

وتهجيره إلى الربذه وقتل حجر بن عدى، ومحمد بن أبى بكر، وغيرهم كثير لا- حصر لهم، ومنهم سليمان بن صرد فنعت بالتخاذل عن نصره سيد الشهداء بعد البيعه له.

فى حين يروى لنا التاريخ صورته أخرى عن عدم تمكن سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبه، وإبراهيم بن مالك الأشر، وصعصعه بن صوحان، والمختار ابن عبيد الثقفى وغيرهم (١)، عن نصره سيد الشهداء الإمام الحسين بن على عليه السلام.

فهؤلاء كانوا جميعاً مع نفر كثير بلغوا أربعة آلاف وخمسمائة تمكن عبيد الله بن زياد من زجهم فى سجن الكوفه (٢)، بعد وقوع قيس بن مسهر الصيداوى بيد جلاوزه عبيد الله بن زياد فتم قتله بعد عثورهم على رساله الإمام الحسين عليه السلام إلى سليمان بن صرد وأصحابه فألقاهم عبيد الله فى السجن فكان هذا هو السبب فى عدم تمكن سليمان من القتال مع الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء.

إلا أن ندم كثير من أهل الكوفه على عدم الخروج لنصره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعهم للنهوض فى وجه طاغيه بنى أميه وواليه على العراق فكان تحركهم واجتماعهم سرّاً إلى تلك الرموز التى خرجت للطلب بدم ربحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٤٤

١- مستدركات علم الرجال للشاهرودى: ج ٤، ص ١٣٧.

٢- نفس المصدر السابق.

ولجلاله قدر سليمان بن صرد في الكوفة ونسكه وعبادته وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وملازمته لعلي بن أبي طالب وحته شيعة أهل البيت لمحاربه الظالمين دفع هؤلاء إلى تأميره عليهم فعرف بأمر التوابين.

٢ - ترجم له الحافظ شمس الدين الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ -) بقوله:

الأمير أبو مطرف الخزاعي الكوفي الصحابي له روايه يسيره، وكان ديناً عابداً(١).

٣ - ترجم له الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ -) بقوله:

سليمان بن صرد بن الجون... وكان خيراً فاضلاً، شهد صفين مع علي ابن أبي طالب عليه السلام وقتل حوشباً مبارزه(٢).

٤ - أخرج له البخاري(٣)، ومسلم(٤)، وأحمد(٥)، وابن ماجه(٦)، وأبو

ص: ١٤٥

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ٣٩٥.

٢- الإصابه في تمييز الصحابه: ج ٣، ص ١٤٤.

٣- صحيح البخاري، كتاب الغسل: ج ١، ص ٦٩؛ وفي كتاب الأذان، باب: ما يقول إذا سمع المنادى: ج ١، ص ١٥٢؛ وفي كتاب بدء الخلق: ج ٤، ص ٩٣؛ وفي باب: غزوه الخندق: ج ٥، ص ٤٨؛ وكتاب الآداب: ج ٧، ص ٨٤.

٤- صحيح مسلم، كتاب الطهاره، باب: استحباب إفاضه الماء: ج ١، ص ١٧٧، وغيرها.

٥- أفرد له أحمد فصلاً تحت عنوان (حديث سليمان بن صرد رضى الله تعالى عنه): ج ٤، ص ٢٦٢؛ ج ٦، ص ١٢٤؛ ج ٦، ص ١٣٤.

٦- سنن ابن ماجه، باب: في الوضوء بعد الغسل: ج ١، ص ١٩١، وغيرها.

داود السجستاني (١)، والترمذى (٢)، والنسائي (٣)، وغيرهم، فى صحاحهم وسننهم بعض الأحاديث النبويه.

وعليه: تدل رؤياه وتشرفه بحضور خديجه الكبرى، وسيده نساء العالمين فاطمه وسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله وسلام عليهم أجمعين على منزلته لديهم، وصدق جهاده فى سبيل الله تعالى؛ وهذا أولاً.

وثانياً: تكشف هذه الحادثة عن حجم الأذى والألم الذى نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته بما جرى فى كربلاء من مصائب لم يزل الإسلام يئنُّ منها حتى يأذن الله تعالى لمهدى آل محمد بن فاطمه صلوات الله عليه وعلى آبائه بأخذ الثأر لتلك الدماء الطاهره.

المسألة الخامسة: قيام الأعراب بهدم قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام

لمّا نزل أم المؤمنين خديجه عليها السلام تتلقى من الأعراب والمنافقين الضربات فى حرمتها وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولم تهدأ هذه الأعراب عن التعرض لام المؤمنين خديجه ولم تفتأ تتعرض لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ ان بعثه الله فهؤلاء المنافقون لم يغمض لهم جفن حتى ينتقموا منه ومن أزواجه وأهل بيته وأصحابه.

ص: ١٤٦

١- سنن أبى داود، باب: الغسل من الجنابه: ج ١، ص ٦١، وغيرها.

٢- سنن الترمذى، باب: ما جاء فى الشهداء: ج ٢، ص ٢٦٤، وغيرها.

٣- سنن النسائى، باب: ذكر ما يكفى الجنب: ج ١، ص ١٣٥، وغيرها.

فبالأمس كانوا يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في دار أم المؤمنين خديجه عليها السلام فتقف تتلقاها بيدنها وتنادى: (أترمى الحرّه في دارها) فيكفون عنها، واليوم ترمى بالرصاص ويهدم قبرها مبتهجين بذلك وهم ينشدون:

طالما عبدت الناس نفسك فالآن قومي وامنعينا(١)

إلا أن الفارق بين أولئك الأعراب وهؤلاء هو أنّ أولئك كانوا يحتفظون في أنفسهم ببعض الحياء، ولذا كفوا عن رمي خديجه بالحجاره.

وأما هؤلاء المعاصرون فقد تجردوا من كل القيم الإنسانيه والطباع البشريه فكانوا مسوخاً حيوانيه لا يعرف لها هيئه حتى في المخلوقات المجهرية.

(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) ٢.

المسأله السادسه: التوسل بها إلى الله تعالى

اشاره

تعد قضيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أو بتعبير أعمّ بالأولياء الصالحين من القضايا العقائديه التي أثيرت حولها الاعتراضات والممانعات منذ القرن السابع للهجره أى منذ ظهور ابن تيميه بفكره الأموى

ص: ١٤٧

١- شجره طوبى للحائرى: ج ١، ص ١٧٥؛ كما يمكن الاطلاع بشكل تفصيلى على إقدام الأعراب على هدم قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام من خلال الشبكه العالميه المعلوماتيه (الانترنت).

ضمن مسميات وعناوين ذات صبغه إسلاميه كالتوحيد والشرك الأكبر والشرك الأصغر وما إلى ذلك من الأغطية الشرعية لضرب شريعته محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

والحديث حول التوسل قديماً وحديثاً كان يدور بين علماء المذاهب الإسلاميه الأربعة وبين ابن تيميه ومأموميه إلا أنه انحصر فى الوقت المعاصر بين الإماميه والوهابيه، الذين ذهبوا إلى تكفير الإماميه فى توسلهم إلى الله تعالى بالنبي وعترته عليهم السلام.

ولو أردنا أن نحيط بجوانب الموضوع لاحتجنا إلى تخصيص مجال واسع من الكتاب مما يعد خروجاً على المنهج العلمى للبحث.

وعليه:

فقد اقتصرنا على بعض الشواهد لما حمله هذا الموضوع من مطارحات وردود؛ كى تكون مقدمه لبيان أن علماء المسلمين منذ أن ظهرت المذاهب الإسلاميه الأربعة، أى (الحنفى، والمالكي، والشافعي، والحنبلى) وإلى يومنا هذا وهم يتوسلون إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم بالأولياء، سوى الوهابيه الذين جاءوا بشريعته لا يعرفها أبو حنيفه ولا المالكي ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل.

بل:

لا يعرفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما أنزل الله بها من سلطان.

ص: ١٤٨

ولذا:

فقد تصدى علماء المذاهب لابن تيميه وأفكاره التكفيريه فكان ممن عاصره الحافظ السبكي (رحمه الله) الذى أَلَفَ كتاباً يرد فيه على ابن تيميه حينما أفتى بحرمه السفر لزياره قبر رسول الله والتوسل به وبالأولياء الصالحين، ومن ثم جاء الوهابيون بحرمه توجه المسلم وسؤاله ربه بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بجاه النبي وغيرها من ألفاظ التوسل، بحجه أن ليس للعبد مهما بلغ حق على الله، أو أن يكون له جاهٌ عنده إلى غيرها من الترهات والسخافات التى تكشف عن أن الوهابيين وإمامهم ابن تيميه قد ران على قلوبهم فها هو القرآن الكريم يقول فى بيان وجاهه عيسى عند الله تعالى:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) ١.

وقال عز وجل فى بيان وجاهه موسى عنده:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) ٢.

فكيف يكون لعيسى وموسى عليهما السلام جاهٌ عند الله ولا يكون لسيدهم صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٤٩

أما ما جاء عن الحافظ السبكي (رحمه الله) من ردود حول هذه المسألة على فتوى ابن تيمية التكفيريه أن قال: (إنّ التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، في مده حياته في الدنيا، وبعد موته، في مده البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنه، وهو على ثلاثه أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به، بمعنى أن طالب الحاجه يسأل الله تعالى به أو بجاهه، أو ببركته، فجواز ذلك في الأحوال الثلاثه، وقد ورد في كل منها خبر صحيح.

أما الحاله الأولى: التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلقه

فيدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته، وهو ما رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين.

فعن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئه، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي؟».

فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلق له؟

قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت

أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.

فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلى، إذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

ثم يقوم الحافظ السبكي بذكر نصوص أخرى يستدل بها على توسل نبي الله عيسى عليه السلام بل، - وكما قال رحمه الله -
توسل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنينا صلى الله عليه وآله وسلم - وبعد ذكر جملة من الردود يقول: فإنه لا شك أن للنبي صلى
الله عليه وآله وسلم قدرا عنده، ومن أنكر ذلك فقد كفر.

فمتى قال: (أسألك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم) فلا شك في جوازه.

وكذا إذا قال: (بحق محمد).

والمراد بالحق:

الرتبة والمنزلة، والحق الذي جعله الله على الخلق، أو الحق الذي جعله الله بفضله له عليه، كما في الحديث الصحيح: قال فما حق
العباد على الله؟

وليس المراد بالحق الواجب، فإنه لا- يجب على الله شيء، وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء في الامتناع من
إطلاق هذه اللفظة.

ص: ١٥١

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج ٢، ص ٦١٥.

الحاله الثانيه: التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خلقه في مده حياته

فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى كتاب الدعوات، عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أدع الله أن يعافينى.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

(إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك).

قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء:

(اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمه، يا محمد، إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى ليقتضى لى، اللهم شفعه فى) (١).

وفى الدلائل للبيهقى جاء فى آخر الحديث: (يا محمد، إنى أتوجه لك إلى ربى فيجلى عن بصرى، اللهم شفعه فى، وشفعنى فى نفسى).

قال عثمان: فو الله ما تفرقتنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر قط) (٢).

ص: ١٥٢

١- سنن الترمذى: ج ٥، ص ٢٢٩، ح ٣٦٤٩؛ السنن الكبرى للنسائى: ج ٦، ص ١٦٩، ح ١٠٤٩٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١٣٨.

٢- تاريخ الإسلام للذهبى: ج ١، ص ٣٦٥؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج ١، ص ٥٢٧.

اشاره

لما رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أبي أمامه بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: (أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجه له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: إيت الميضاه فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل:

إلهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمه، يا محمد إنى أتوجه إليك إلى ربك فيقضى حاجتى.

وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل: فصنع ما قال له، أتى باب عثمان بن عفان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسه فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعه، وقال: ما كانت لك حاجه فاذكرها.

ثم إنَّ الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتى ولا- يلتفت إلى حتى كلمته فَيَّ .

فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أو تصبر»؟

فقال: يا رسول الله إنه ليس لى قائد، وقد شقَّ عليّ .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إيت الميضاه فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات».

قال ابن حنيف: فو الله، ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط (١).

أقول:

ومما يدل على أن التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم كان من عقيدة الصحابه ما يأتي:

أولاً: جواز التوسل إلى الله تعالى بقرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقضاء الحوائج

ومما يدل على أن الصحابه كانوا يتوسلون بقرابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم هو توسلهم إلى الله تعالى بعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم العباس بن عبد المطلب، وهذا لا يدل فقط على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته وإنما يدل على جواز

ص: ١٥٤

١- المعجم الصغير للطبرانى: ج ١، ص ١٨٣؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ٩، ص ٣١؛ كتاب الدعاء للطبرانى: ص ٣٢٠؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٢، ص ٢٧٩؛ تحفه الأ-حوذى: ج ١٠، ص ٢٤؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ١١، ص ٣٢٧؛ دفع الشبهه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للحصنى الدمشقى: ص ١٥٠؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامى: ج ١٢، ص ٤٠٧؛ شفاء السقام لتقى الدين السبكي: ص ٣٠٣-٣٠٤.

التوسل إلى الله تعالى بمن له قرابه برسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن بيان منزله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى.

أما الحادثة فكانت بهذه الصورة:

قال الحافظ السبكي: (وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما كان عمر بن الخطاب إذا قحط استسقى بالعباس بن عبد المطلب، ويقول: أَللّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا تَوَسَّلْنَا بِنَبِينَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاسْقِنَا.

قال فيسقون، رواه البخارى من حديث أنس(١).

واستسقى به عام الرماده فسقوا، وفي ذلك يقول عباس بن عتبه بن أبى لهب:

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشيهِ يستسقى بشيئته عمر(٢).

واستسقى حمزه بن القاسم الهاشمى ببغداد فقال: (أَللّهُمَّ إِنَّا مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي اسْتَسْقَى بِشَيْبَتِهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَسَقُوا)، فما زال يتوسل حتى سقوا.

وروى أنه لما استسقى عمر بالعباس، وفرغ عمر من دعائه، قال العباس: أَللّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يَكْشِفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ بِي الْقَوْمُ إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ

ص: ١٥٥

١- صحيح البخارى: ج ٢، ص ٤٥٣، كتاب الاستسقاء، باب ٦٤٠١.

٢- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ٣٣٤.

بالذنوب ونواصينا بالتوبه... وذكر دعاء، فما تم دعاؤه حتى ارتخت السماء بمثل الجبال.

وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين، وهذا شيء لا ينكره مسلم، بل متدين بمله من الملل(١).

أقول:

بل ذهب علماء أهل السنه والجماعه كابن قدامه الحنبلي(٢) ، والألباني(٣) إلى أن الصحابه كانوا يتوسلون بغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحياء، بمن يرون فيه الصلاح فكانوا يستغيثون به إلى الله تعالى فيغاثون؛ وهو ما رواه ابن سعد وغيره عن عامر الخبائري: (أن السماء قحطت فخرج معاوية ابن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون فلما قعد معاوية قال: ابن يزيد بن الأسود الجرشي؟ قال: فناده الناس، فأقبل يتخطى فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجله فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي(٤) ، يا يزيد أرفع يديك إلى الله، فرفع

ص: ١٥٦

١- شفاء السقام لتقى الدين السبكي: ص ٣٠٩.

٢- المغنى لابن قدامه: ج ٢، ص ٢٩٥.

٣- رواء الغليل لمحمد ناصر الألباني: ج ٣، ص ١٤٠.

٤- هو: يزيد بن الأسود الجرشي (أبو الأسود) جاهلي، أدرك المغيرة بن شعبه وجماعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سكن الشام وكان من العباد، وقد عده ابن حبان من الثقات، وعده ابن حجر من الصحابه. أنظر: (الثقات لابن حبان: ج ٥، ص ٥٣٣؛ الإصابه لابن حجر: ج ٧، ص ٢٤؛ الاستيعاب: ج ٤، ص ١٥٧).

يزيد ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابه في المغرب وهبت لها ريح فسقينا حتى كاد الناس لا يصلون إلى منازلهم(١).

والغريب في الأمر أن الألباني يقر بصحة سند الحادثة قائلاً: (وأما توسل معاويه، فأخرجه أبو زرعه الدمشقي في تاريخ دمشق (ق ٢/١٣): حدثنا الحكم ابن نافع عن عصفوان بن عمرو عن سليم بن عامر: (إن الناس قحطوا بدمشق فخرج معاويه يستسقى بيزيد بن الأسود) وهذا سند صحيح كما قال الحافظ في التلخيص: (١٥١)(٢).

إلا أن السلفيه: يرون أن التوسل بالأولياء الصالحين من الشرك؛ فأى تناقض عجيب هذا؟!.

ثانياً: الصحابه يتوسلون إلى الله تعالى بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكشف الضر عنهم

حينما يران على قلوب الذين نافقوا، يصبح التخبط في السير والقباحه في السلوك والفضاحه في القول والفعل أمراً بديها. فهؤلاء المنافقون منذ أن صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يخافون أن تنزل عليهم آيه فتفضحهم وتكشف سريرتهم، ولقد سرى هذا الخوف فيهم إلى يوم تبدل الأرض غير الأرض إلا أن الفارق بين الزمانين هو أن

ص: ١٥٧

-
- ١- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٧، ص ٤٤٥؛ مقدمه ابن الصلاح: ص ٢١١؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥، ٥٣٨؛ البدايه والنهائيه لابن كثير: ج ٨، ص ٣٥٧.
 - ٢- إرواء الغليل لمحمد ناصر الألباني: ج ٣، ص ١٤٠.

الوحي في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان هو المخبر عنهم، وفي غيره من الأزمنة يكون الأثر النبوي وفعل الصحابه هو الذى يفضحهم، أما الخلف فعلى الرغم من كثره تقوّلهم بأنهم يقتدون بالسلف، إلا أن الوحي وفعل النبي وسيره السلف لتكذب هذا الادعاء، وتفصح هذا القول.

فها هو السلف يفضحهم ويظهر كذبهم، ففي الوقت الذى يدعى هؤلاء بحرمه التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالأولياء الصالحين، بل حرمه السفر إلى زياره قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأولياء.

فإن السلف ولاسيما أمهات المؤمنين يلذن بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكشف الضر عن الأمه، ليكون هذا الفعل أحد مصاديق سنه الله تعالى فى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإنه المستغاث به إلى الله تعالى.

قال سبحانه:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ١.

فإذا كان وجوده يدفع عن الأمه العذاب، وإن الله تعالى لا يعذب أهل الأرض ما زال فيهم رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف لا- يكشف الله الضر عن المستغيث إليه بحبيبه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبقبره؟! كما فعلت عائشه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ١٥٨

قال الحافظ السبكي: (روى عن أبي الجوزاء قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشه، فقالت: فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاجعلوا منه كوه إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف.

ففعّلوا فمطروا، حتى نبت العشب، وسمن الأبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق) (١).

وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظهر المعنى فلا عليك في تسميته (توسلاً) أو (تشفعاً) أو (استغاثه) أو (تجوهاً) أو (توجهها) لأن المعنى في جميع ذلك سواء:

أما التشفُّعُ: فقد جاء في حديث وفد بني فزاره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قولهم: (تشفع لنا إلى ربك)، وفي حديث الأعمى ما يقتضيه أيضاً.

والتوسُّلُ: في معناه.

وأما التوجُّه والسؤال: ففي حديث الأعمى.

والتجوّه: في معنى التوجه، قال تعالى في حق موسى عليه السلام:

(وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۚ ٢.

وقال في حق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام:

(وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ ٣.

ص: ١٥٩

وقال المفسرون (وجيها) أى ذا جاه ومنزله عنده.

وقال الجوهري فى فعل (وجه): وجه، إذا صار وجيها ذا جاه وقدر.

وقال الجوهري أيضا فى فعل (جوه): الجاه القدر والمنزله، وفلان ذو جاه، وقد أوجهته ووجهته أنا، أى جعلته وجيها.

وقال ابن فارس: فلان وجيه، ذو جاه.

إذا عرف ذلك، فمعنى (تجوه) توجه بجاهه، وهو منزلته وقدره عند الله تعالى إليه.

وأما الاستغاثه: فهى طلب الغوث.

وتاره: يطلب الغوث من خالقه، وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى:

(إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ) ١.

وتاره: يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الاستغاثه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى هذين القسمين.

وتعدى الفعل تاره: بنفسه، كقوله تعالى:

(إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ).

وقال سبحانه وتعالى:

(فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) ٢.

ص: ١٦٠

وتاره: بحرف الجر، كما فى كلام النجاه فى المستغاث به، وفى (كتاب سبويه): فاستغاث بهم ليشترىوا له كليباً.

فىصح أن يقال: (استغثت النبى صلى الله عليه وآله وسلم) و (أستغيث بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم) بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين فى التوسل من غير فرق، وذلك فى حياته وبعد موته.

ويقول: (استغثت الله) و (أستغيث بالله) بمعنى طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث، فالغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم مستغاث، والغوث منه تسبباً وكسباً، ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعدياً بنفسه، أو لازماً، أو تعدى بالباء.

وقد تكون الاستغاثه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم على وجه آخر، وهو أن يقول: (استغثت الله بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم) كما يقول: (سألت الله بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم) فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده، وقد يحذف المفعول به ويقال: (استغثت بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا المعنى.

فصار لفظ (الاستغاثه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم) له معنيان: أحدهما: أن يكون مستغاثاً.

والثانى: أن يكون مستغاثاً به، والباء للاستعانه.

فقد ظهر جواز إطلاق (الاستغاثه) و (التوسل) جميعاً، وهذا أمر لا يشك

فيه، فإن (الاستغاثه) فى اللغه طلب الغوث، وهذا جائز لغه وشرعا من كل من يقدر عليه بأى لفظ عبر عنه، كما قالت أم إسماعيل: أغث إن كان عندك غوث(١).

ثالثا: القرآن ينص على أن النعم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

لم يزل كتاب الله تعالى هو المعنى الأول فى الدفاع عن شريعه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو الرد الذى لا يعييه مترندق بالدين فى بيان الحلال والحرام؛ فالقرآن الكريم فضلاً عن بيانه للأصول فى دين الله تعالى فى كثير من آياته المحكمات يؤصل لعقيده التوحيد.

إذ إن الوقت الذى يدعى ابن تيميه والوهابيون بحرمة التوسل إلى الله تعالى بحق النبى أو بجاهه عند الله بحجه أن لا حق لعبد على الله، وأن ذلك من الشرك والعياذ بالله، يأتى القرآن بآيه محكمه تلجم تلك الأفواه الهدامه لشريعه المسلمين.

ويكشف القرآن الكريم أيضا عن أن هؤلاء لا يمكن أن يصلوا إلى معرفته وفهمه، ففى الوقت الذى عمى فيه هؤلاء عن الكتاب العزيز عموا أيضا عن قراءه التاريخ الإسلامى.

فهاهو الإمام الصادق عليه السلام فى مناظرته مع أبى حنيفه النعمان، يظهر لذوى الألباب أن معرفه التوحيد يجب تحصيلها من أهل القرآن وثقله وهم عتره محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن التارك لهم ضال عن طريق الإسلام

ص: ١٦٢

١- شفاء السقام لتقى الدين السبكي: ص ٣١٤-٣١٦.

هاوٍ في الفتن والشبهات، مُتردِّ في المهالك، لا محاله.

أما الحادثة فهي كالآتي:

روى أبو الفتح الكراكي قائلاً: (إن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فلما رفع الصادق عليه السلام يده من أكله قال:

«الحمد لله رب العالمين، أَللّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَمِنْ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

فقال أبو حنيفة: أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً؟ فقال له:

«ويلك! فإن الله تعالى يقول في كتابه:

(وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) ١.

ويقول في موضع آخر:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) ٢.

فقال أبو حنيفة: ووالله لكأني ما قرأتها قط من كتاب الله ولا سمعتها إلا في هذا الوقت!؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

ص: ١٦٣

«بلى قد قرأتها وسمعتهما، ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك:

(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) ١.

وقال:

(كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ٢(٣).

رابعاً: توسل الشيخ عبد الله الميرغنى بقبر السيده خديجه عليها السلام

إنّ مما يدل على تمسك علماء المسلمين بالتوسل إلى الله تعالى بالأولياء الصالحين وأن ما جاء عن ابن تيميه وأشياعه الوهابيين هو أمر خارج عن الشريعة، هو توسل الشيخ الميرغنى الحنفى بقبور المسلمين فى الحجون كى يكونوا شفعاء له عند أم المؤمنين خديجه عليها السلام لكونهم جيرانها وليحظى فى ذلك فى إغاثته بما جعل الله تعالى لها من القدر والمنزله فضلاً عن منزلتها عند حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الشيخ أبو السيادة عفيف الدين، المحجوب الميرغنى(١)، فى كتابه

ص: ١٦٤

١- عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن أمين بن الميرغنى أبو السيادة، عفيف الدين، المحجوب، فاضل، من فقهاء الحنفية، مولده بمكه، ووفاته بالطائف، لقب بالمحجوب للزومه العزله فى داره نحو ثلاثين سنه.

(المخطوط) الموسوم: (المقاصد الفخرى فى بعض مناقب السيده خديجه الكبرى) (١) وقد كتبه فى جمادى الثانيه سنه ١١٧٩ هـ
- فى المدينه المنوره بمسكنه وقد افتتح كتابه هذا بهذه الأبيات متوسلاً بآل الكساء عليهم السلام، فيقول:

بأحمد والبتول وصنوطه وبالحسين أصحاب الكساء

توسل مستغيثاً مستجيراً وبالأحباب ثم أولى العباء

أما قصيدته فكانت آخر الكتاب وسبقها بقوله:

وهذا آخر الكلام على المقاصد الفخرى فى بعض مناقب السيده خديجه الكبرى نفعنا الله بها فى الدنيا والآخره وقد ألحقتها أبياتاً
متوسلاً بجيرانها عليها

ص: ١٦٥

١- يرقد هذا المخطوط فى مكتبه الأسد الوطنيه بدمشق الشام ويحمل الرقم: (٤١٣٤) وتوجد نسخه أخرى لهذه المخطوطه التى
فى دمشق هى بخط المؤلف رحمه الله، فى سنه ١١٧٩ هـ .-

ومستغيثاً بها إليها وهي:

أيا عرب الحجون وخير وادٍ تقديس سرمداً أبد الدهور

حويتم للمكارم والمعالي وفزتم بالجنان وبالقصور

وحزتم محشد الشرف المعلى وفقتم بالأصايل والبكور

رقيتم خير مرقى بالمعلى إلى كبرى النساء وخير حور

فطوبى ثم طوبى ثم طوبى لكم يا أهل هاتيك الخدور

ولم لا والخديجه زوج طه حبيته على مرّ العصور

هي السلطانة العظمى لديكم وهي مجد وهي بحر البحور

وهي السند العظيم لخير آل ومرجع آل مكة في الأمور

فيا عرب الحجون بكم إليها فإني بالتطاول في القصور

وإني في بحار من ذنوب بلا عد ولا حصر حصور

وها أنا في حماكم مستجير أراقب نجده من ذى القبور

ومن كبرى الأنام وخير ملجا ومن هي فى العلى صدر الصدور

ومن قد غارت الغراء منها وزادت فى التغاير والغيور

ومن قد بشرت حقاً وصدقا بيت من لآلٍ فى القصور

ومن هي آمنت قبل البرايا وثبتت الرسول على الظهور

ومن هي أثمرت أقطاب كون وأنجاباً وأبدالا بنور

وأشرافا وسادات كراما غياثا للأنام مدى الدهور

عليها من إلهى خير فيض يدوم مع الشمول بلا فتور

مع الآل الكرام وخير صحب عقيب خليلهم حب الشكور

إشاره

إن من الأسئلة التي تفرض نفسها في البحث هو: إلى أيه شريعته رجع أولئك الأعراب فأخذوا عنها إباحه هدم قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام وإحدى سيدات الجنه؟ إلى شريعته الرحمن استندوا، أم إلى شريعته الشيطان التجأوا؟! فإذا كانوا من المسلمين فهؤلاء فقهاؤهم يقولون في زياره القبور بما يأتي:

المسأله الأولى: مشروعيه زياره القبور عند فقهاء المذاهب الإسلاميه

أولاً: زياره القبور عند أئمه أهل البيت عليهم السلام

١. قال الشهيد الأول قدس سره في كتاب الذكرى: روى مسلم عن بريده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كنت نهيتكم عن زياره القبور، فزورها فإنها تذكركم الآخرة»^(١).

٢. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«زوروا القبور فإنها تذكركم الموت»^(٢).

٣. روى الشيخ الكليني عن محمد بن مسلم، عن الصادق عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه، وعند قبر أمه، بعد ما يدعو لهما»^(٣).

ص: ١٦٧

١- ذكرى الشيعة للشهيد الأول: ج ٢، ص ٦٢؛ صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٧، ح ٩٧٧.

٢- صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٧١، ح ٩٧٦.

٣- الكافي للكليني: ج ٣، ص ٢٣٠.

٤. وعن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام، قال:

«عاشت فاطمه عليها السلام بعد أبيها خمسه وسبعين يوماً، لم تر كاشره ولا ضاحكه، تأتي قبور الشهداء في كل جمعه مرتين: الأثنين، والخميس»^(١).

٥. وعن يونس عنه عليه السلام:

«ان فاطمه كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداه سبت، فتأتي قبر حمزه فترحم عليه وتستغفر له»^(٢).

قال الشهيد الأول قدس سره: وفيه دليل على جوازه للنساء، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمه بضعه مني»^(٣).

٦. أما ما يقوله الزائر عند زيارته القبور، فقد روى أبو المقدام عن الإمام الباقر عليه السلام، انه وقف على قبر رجل من الشيعة بالقيع فقال:

«اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، وأسكن إليه من رحمتك رحمه يستغنى بها عن رحمه من سواك، وألحقه بمن كان يتولاه»^(٤).

ثم قرأ القدر سبعاً.

ص: ١٦٨

١- وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي: ج ٣، ص ٢٢٤.

٢- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١، ص ١٨١.

٣- صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين: ج ٤، ص ٢١٠.

٤- فقه الرضا عليه السلام ابن بابويه القمي: ص ١٧٢.

٧. عن عبد الله بن سنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أسلم على أهل القبور؟ قال:

«يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا فرط ونحن إن شاء الله بكم لاحقون»(١).

٨. وروى الصدوق عن محمد بن مسلم، قلت للصادق عليه السلام: الموتى نزورهم؟ قال:

نعم.

قلت: أفيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال:

قل: اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، ولقهم منك رضوانا، واسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم، وتؤنس به وحشتهم، إنك على كل شيء قدير(٢).

٩. وروى إسحاق بن عمار عن الكاظم عليه السلام:

«ان الميت يعلم بزائره، ويأنس به، ويستوحش لانصرافه»(٣).

١٠. قال الإمام الرضا عليه السلام:

«من أتى قبر المؤمن، يقرأ عنده إنا أنزلناه سبع مرات، غفر الله له ولصاحب القبر»(٤).

ص: ١٦٩

١- كامل الزيارات لابن قولويه: ص ٥٣١.

٢- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١، ص ١٨.

٣- ذكرى الشيعة للشهيد الأول: ج ٢، ص ٦٤.

٤- وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام) للحر العاملي: ج ٣، ص ٢٢٨.

١١. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مرّ على القبور قال:

«السلام عليكم من ديار قوم مؤمنين، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون»(١).

١٢. روى مسلم عن بريده كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر:

«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون»(٢).

١٣. قال المحقق الحلبي قدس سره (المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ -): (زياره قبور الأئمه والمؤمنين مستحبه مؤكده للرجال ويكره للنساء ولا يحرم، وهو مذهب أهل العلم)(٣).

١٤. قال العلامة الحلبي قدس سره (المتوفى سنة ١٠٢٦ هـ -): (يستحب زياره مقابر المؤمنين إجماعاً...)(٤).

١٥. قال المحقق البحراني في الحقائق: (في زياره القبور، وهي مستحبه إجماعاً نصاً وفتوى إلا أنّ المحقق - الحلبي - في المعتبر وجمعاً ممن تأخر عنه خصوا ذلك بالرجال وكرهوه للنساء)(٥).

ص: ١٧٠

١- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١، ص ١٨٠.

٢- المغني لعبد الله بن قدامة: ج ٢، ص ٤٢٤.

٣- المعتبر للمحقق الحلبي، في اعتبار المماثلة: ج ١، ص ٣٣٩.

٤- تذكره الفقهاء للعلامة الحلبي: ج ٢، ص ١٢٨.

٥- الحقائق الناضرة للمحقق البحراني: ج ٤، ص ١٦٩.

١٦. قال الشيخ الجواهرى قدس سره فى استحباب زياره القبور فى الخميس - بعد أن أورد حديث الإمام الرضا عليه السلام:

«من أتى قبر أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ إنا أنزلناه فى ليله القدر سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر، أو يوم الفزع».

فانه دال على وضع اليد ولو فى غير حال الدفن، كما انه دال على استحباب قراءه إنا أنزلناه، وعلى استحباب زياره قبور الأخوان كما استفاض به الأخبار، وتداولته الطائفة الأخيار.

وقد حكى الاجماع عليه، العلامة والشهيد بالنسبه للرجال، ويتأكد استحباب ذلك يوم الاثنين وغداه السبت تأسيماً بالمحكى من فعل فاطمه عليها السلام فى زياره قبور الشهداء؛ ومنه يعلم استحباب زياره النساء للقبور كما نص عليه بعضهم خلافاً للمصنف فى المعبر، فكرهه لهن.

بل ظاهره أو صريحه نسبته ذلك فيه إلى أهل العلم، ولكن علله بمنافاته للستر والصيانه، وهو يوحى إلى كراهته لأمر خارج عنه، وإذا استلزم الجزع وعدم الصبر لقضاء الله؛ بل ربما يصل إلى حد الحرمة؛ وأما بدون ذلك فالظاهر الاستحباب للعموم وخصوص بعض الأخبار.

ومن العجيب دعواه للكرامه حتى بالنسبه إلى زياره الأئمه عليهم السلام، مع كثره العمومات الداله على رجحانها المنجبره بعمل الأصحاب وغير ذلك، فتأمل جيداً.

ويتأكد استحباب الزياره فى الخميس تأسيماً بفعل فاطمه عليها السلام

أيضاً، وفي نصوص العشيّه منه تأسيّاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان يخرج في ملأ من أصحابه كل عشيّه خميس إلى بقيع المؤمنين فيقول:

«السلام عليكم يا اهل الديار ثلاثاً».

وربما يفهم من التأمل في الأخبار الفرق بين زياره القبر الواحد وشبهه وبين زياره المقبره فيستحب وضع اليد على القبر وقراءه (إنّا أنزلناه) سبعاً في الأول لما عرفت، وللمرسل عن الرضا عليه السلام:

«ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عنده إنّا أنزلناه في ليله القدر سبع مرات إلا- غفر الله له ولصاحب القبر، والسلام ونحوه في الثاني»^(١).

وهذا يدل على استحباب زياره القبور للرجال والنساء وقراءه القدر ونحوه من الأدعيه لله تعالى في الترحم والاستغفار لصاحب القبر لما فيه من آثار أخرويّه واجتماعيه وتربويه على الفرد المسلم وعلى أسرته.

ثانياً: زياره القبور عند فقهاء المذهب المالكي

١. قال الحطاب الرعيني في المواهب: «قال سيدي عبد الرحمن الثعالبي في كتابه المسمى بالعلوم الفاخره في النظر في أمور الآخره: وزياره القبور للرجال متفق عليها، وأما النساء فيباح للقواعد، ويحرم على الشواب اللواتي يخشى عليهن من الفتنة»^(٢).

ص: ١٧٢

١- جواهر الكلام للشيخ الجواهرى: ج ٤، ص ٣٢١.

٢- مواهب الجليل للحطاب الرعيني: ج ٣، ص ٥٠.

٢. وقال الدسوقي فى حاشيته فى زياره القبور: (بل هى مندوبه» أى لقوله - (صلى الله عليه وآله وسلم) :-

«كنت نهيتكم عن زياره القبور فزوروها».

ولأحاديث أخر تقتضى الحث على الزياره؛ وذكر فى المدخل فى زياره النساء للقبور ثلاثه أقوال:

المنع، والجواز على ما يعلم فى الشرع من الستر والتحفظ عكس ما يفعل اليوم؛ والثالث: الفرق بين المتجاله والشابه(١).

٣. قال أبو بركات: «وجاز (زياره القبور)، بل هى مندوبه (بلا حد) بيوم أو وقت أو فى مقدار ما يمكث عندها أو فيما يدعى به أو الجميع، وينبغى مزيد الاعتبار حال الزياره والاشتغال بالدعاء والتضرع وعدم الأكل والشرب على القبور خصوصاً لأهل العلم والعباده»(٢).

ثالثاً: زياره القبور عند فقهاء المذهب الحنفى

١. قال السرخسى فى المبسوط : (والأصح عندنا أن الرخصه ثابتة - فى زياره القبور - فى حق الرجال والنساء جميعاً)(٣).

٢. قال أبو بكر الكاشانى فى البدائع: «فان من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الأموات أو الأحياء جاز ويصل ثوابها إليهم عند أهل

ص: ١٧٣

١- حاشيه الدسوقي: ج ١، ص ٤٢٢.

٢- الشرح الكبير لأبى البركات: ج ١، ص ٤٢٢.

٣- المبسوط للسرخسى: ج ٢٤، ص ١٠.

السنة والجماعة؛ وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن آمن بوحانيه الله تعالى وبرسالته صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى أن سعد بن أبي وقاص سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنَّ أُمِّي كانت تحب الصدقة فأتصدق عنها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«تصدق».

وعليه عمل المسلمين من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا من زياره القبور وقراءه القرآن عليها والتكفين والصدقات والصوم والصلاة وجعل ثوابها للأموات؛ ولا امتناع في العقل أيضاً؛ لأن الثواب من الله تعالى إفضال منه لا استحقاق عليه فله أن يتفضل على من عمل، لاجعله يجعل الثواب له، كما له أن يتفضل بإعطاء الثواب من غير عمل رأساً^(١).

رابعاً: زيارة القبور عند فقهاء المذهب الشافعي

١. قال النووي في المجموع: أما الأحكام فاتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أنه يستحب للرجال زيارة القبور وهو قول العلماء كافة^(٢).

٢. قال الشريبي في الإقناع: «ويندب زيارة القبور التي فيها المسلمون للرجال والنساء بالإجماع»^(٣).

ص: ١٧٤

١- بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ج ٢، ص ٢١٢.

٢- المجموع للنوري: ج ٥، ص ٣١٠.

٣- الامتناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشريبي: ج ١، ص ١٩٢.

خامساً: زيارة القبور عند فقهاء المذهب الحنبلي

١. قال عبد الله بن قدامة المقدسي: «قال علي بن سعيد: سألت أحمد - بن حنبل - عن زيارة القبور، تركها عنده أفضل أم زيارتها؟»

قال: زيارتها، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(١).

سادساً: زيارة القبور عند فقهاء المذهب الظاهري

١. قال ابن حزم: وتستحب زيارة القبور، وهو فرض ولو مره ولا بأس بأن يزور المسلم قبر حميه المشرك، الرجال والنساء سواء^(٢).

وعليه:

فهذه جميع المذاهب الإسلامية تحكم بإباحه زيارة القبور للرجال والنساء، بل تذهب إلى استحبابها للرجال واختلف بعضهم في حكم الكراهه للنساء بين العموم والخصوص كما مرّ بيانه.

ولذلك: لم يكن لأولئك الأعراب شريعته إسلاميه يستندون إليها في أحكامهم وصدور فتاواهم وذلك؛ لأنهم من الأصل.

(أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٣.

ص: ١٧٥

١- المغنى لابن قدامة: ج ٢، ص ٤٢٤.

٢- المحلى لابن حزم: ج ٥، ص ١٦١.

أولاً: الصلاه عليها فى يوم الجمعة

اشاره

إن من البديهيات فى مذهب الإماميه هو رجوعهم فى تكاليفهم الشرعيه إلى الثقلين (القرآن والعترة النبويه)، وحيث إن زياره خديجه والصلاه عليها من البعد أو القرب حيث الوقوف عند حضرتها المشرفه وروضتها الفردوسيه كان يرجع فيه أتباع هذه المدرسه إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام.

فأما إتيان قبرها (صلوات الله وسلامه عليها) فقد دلت الروايات على أن الإمام أبا عبد الله الحسين بن على عليهما السلام كان قد تعاهد قبرها بالزياره والدعاء والمناجاه لله رب العالمين - كما مرّ بيانه سابقاً - وأما من البعد فقد روى شيخ الطائفه الطوسى رضوان الله تعالى عليه عن أبى المفضل الشيبانى قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد العابد بالداليه لفظاً، قال: سألت مولاى أبا محمد الحسن بن على عليهما السلام فى منزله بسر من رأى، سنه خمس وخمسين ومائتين أن يُملىء على من الصلاه على النبى وأوصيائه عليه وعليهم السلام، وأحضرت معى قرطاساً كثيراً فأملى على لفظاً من غير كتاب.

فقال عليه السلام:

«اللهم صل على محمد كما حمل وحيك وبلغ رسالاتك، وصل على محمد كما أحل حلالك وحرم حرامك وعلم كتابك،

وصل على محمد كما أقام الصلاة وأتى الزكاه ودعا إلى دينك، وصل على محمد كما صدق بوعدك وأشفق من وعيدك، وصل على محمد كما غفرت به الذنوب وسترت به العيوب، وفرجت به الكروب، وصل على محمد كما دفعت به الشقاء، وكشفت به العماء، وأجبت به الدعاء، ونجيت به من البلاء، وصل على محمد كما رحمت به العباد، وأحييت به البلاد، وقصمت به الجبابره، وأهلكت به الفراعنه، وصل على محمد كما أضعفت به الأموال، وحذرت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام، ورحمت به الأنام وصل على محمد كما بعثته بخير الأديان، وأعززت به الايمان، وتبرت به الأوثان، وعصمت به البيت الحرام، وصل على محمد وأهل بيته الطاهرين الأخيار وسلم تسليماً».

الصلاه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«اللهم صل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخى نبيك ووليه ووصيه ووزيره، ومستودع علمه، وموضع سره، وباب حكمته، والناطق بحجته والداعى إلى شريعته، وخليفته فى أمته، ومفرج الكروب عن وجهه، وقاصم الكفره، ومرغم الفجره، الذى جعلته من نبيك بمنزله هارون من موسى، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من نصب له من الأولين والآخرين، وصل عليه أفضل ما صليت على أحد من أوصياء أنبيائك يا رب العالمين.

الصلاه على السيده فاطمه عليها السلام:

«اللهم صل على الصديقه فاطمه الزهراء الزكيه، حبيبه نبيك، وأم أحبائك وأصفيائك، التي انتجبتها وفضلتها، واخترتها على نساء العالمين، اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها، واستخف بحقها، اللهم وكن الناصر لها [اللهم] بدم أولادها، اللهم وكما جعلتها أم أئمه الهدى، وحليله صاحب اللوا الكريمه عند الملاء الاعلى، فصل عليها وعلى أمها خديجه الكبرى، صلاه تكرم بها وجه محمد صلى الله عليه وآله وتقر بها أعين ذريتها وأبلغهم عنى فى هذه الساعه أفضل التحيه والسلام».

الصلاه على الحسن والحسين عليهما السلام:

«اللهم صل على الحسن والحسين عبديك وولييك وابنى رسولك، وسبى الرحمه، وسيدى شباب أهل الجنه، أفضل ما صليت على أحد من أولاد النبيين والمرسلين، اللهم صل على....»(١).

وهذه الصلوات على محمد وآله الأئمه المعصومين عليهم السلام جاءت مخصصه بأسمائهم جميعاً إلى خاتمتهم المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه أجمعين.

ثانياً: أقوال الفقهاء فى زياره قبر أم المؤمنين خديجه عليها السلام

١. قال الشهيد الأول(٢) قدس سره (المتوفى سنه ٧٨٦ هـ -): (ويستحب

ص: ١٧٨

١- مصباح المتهدد للشيخ الطوسى: ص ٤٠١؛ جمال الأسبوع لابن طاووس: ص ٢٩٧؛ البحار للمجلسى: ج ٩١، ص ٧٤.

٢- مرّ ذكر ترجمته رضوان الله تعالى عليه فى مبحث البرزخ فليراجع.

أن يزور خديجه عليها السلام بالحجون، وقبرها معروف هناك قريب من سفح الجبل(١).

٣. قال المحقق النراقي (المتوفى عام ١٢٤٤ هـ -): «ومما عده بعضهم من المستحبات: إتيان بعض المواضع المتبركه بمكه، كمولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنزل خديجه، وزياره قبر خديجه...»(٢).

وقال أيضاً فى تحديد موضع قبرها نقلاً عن والده رحمه الله: قبر خديجه، وهو فى مقابر معلاه، قريب بانتهاء المقابر فى سفح الجبل، وله قبه معروفه، أصل القبه بيضاء وحيطانها صفراء، وتستحب زيارتها»(٣).

قال العلامة المجلسى، فى الأيام الشريفه التى يستحب فيها زياره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعَدَّ (منها يوم عاشر شهر ربيع الأول: وكذا يستحب فيه زياره خديجه، وكذا ساير الأيام والليالى المختصه به) (٤).

٢. ذكر المحقق السبزوارى قدس سره (المتوفى سنه ١٠٩٠ هـ -) فى ذخيره المعاد: - إنَّ من المستحبات فى مكه أموراً، وعد منها - زياره خديجه عليها السلام بالحجون(٥).

ص: ١٧٩

١- الدروس للشهيد الأول: ج ١، ص ٤٦٩.

٢- مستند الشيعة للمحقق النراقي: ج ١٣، ص ٩٦.

٣- المصدر السابق.

٤- البحار للمجلسى: ج ٩٧، ص ١٦٩.

٥- ذخيره المعاد للمحقق السبزوارى: ج ١، ق ٣، ص ٦٩٥.

٣. قال السيد محسن الحكيم قدس سره (المتوفى ١٣٩٠ هـ -): ويستحب زيارة خديجه بالحجون، وقبرها هناك معروف في سفح الجبل، وأن يزور قبر أبي طالب (١).

٤. وذكر الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء قدس سره في القلائد، قوله: (ويستحب زيارة خديجه بالحجون) (٢).

٥. وقال السيد محمد رضا الكلبيكاني قدس سره: يستحب مؤكداً للحاج مده بقائه بمكة عدة أمور - وعد منها - زيارة قبر خديجه الكبرى، وقبرها بالحجون معروف في سفح الجبل (٣).

٦. وقال السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره: (ويستحب زيارة قبر خديجه عليها السلام المعروفه بالمعلی؛ لأنها أم المسلمين ومن بر الأولاد بأهمهم زيارة قبرها بعد ارتحالها مع أنها بذلت نهایه جهدها في خدمه سيد المرسلين ومالها في نشر دعوه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك من مفاخرها التي ملأت كتب الفريقين، فمن شك بعد ذلك في رجحان زيارتها فهو عاق لأمه) (٤).

وغير ذلك من أقوال فقهاء مدرسه أهل البيت عليهم السلام الذين اتبعوا

ص: ١٨٠

١- دليل المناسك للسيد محسن الطباطبائي الحكيم: ص ٤٨٩.

٢- الأنوار الساطعه للشيخ غالب السيلاوي: ص ٤٠٤، نقلاً عن: قلائد الدرر في مناسك من حج واعتمر: ص ١٤٣.

٣- مناسك الحج للسيد الكلبيكاني: ص ١٦٧، ص ١٦٨.

٤- مهذب الأحكام للسيد السبزواري: ج ١٤، ص ٤٠١.

سبيل آل محمد وساروا بهديهم وتمسكوا بحجزتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في تعظيم حق أم المؤمنين خديجه عليها السلام وبرها بعد وفاتها من خلال زياره قبرها والتوسل إلى الله تعالى بها فإن لها شأنًا عند الله تعالى وجاهًا، ومنزله عظيمه.

ثالثاً: نص زيارتها

إشاره

أما بخصوص ما يقوله الزائر لحضرته المشرفه فقد جاء فيها عن السيد التقى القمي زاد الله في شرفه: (لا ريب ولا إشكال في أنّ الإتيان بهذه الزياره من القريب أو البعيد رجاء لا يكون فيه خلاف فإن باب الرجاء واسع ويمكن الاستدلال على رجحان زيارتها بأنها مقربه عند الله تعالى وعند الرسول وعند أمير المؤمنين وفاطمه الزهراء والأئمه عليهم السلام؛ ولكن مقتضى الاحتياط التام أن لا يقصد بزيارتها الورود بل يقصد الرجاء والله العالم بحقائق الأشياء)(١).

ألف: نص ما جاء من زيارتها في روضات الجنات

السلام عليك يا أم المؤمنين؛ السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين؛ السلام عليك يا أم فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين؛ السلام عليك يا أول المؤمنات؛ السلام عليك يا من أنفقت مالها في نصره سيد الأنبياء؛ ونصرته ما استطاعت؛ ودافعت عنه الأعداء؛ السلام عليك يا من سلم عليها جبرئيل

ص: ١٨١

وَبَلَّغَهَا السَّلَامَ مِنَ اللَّهِ الْجَلِيلِ؛ فَهَنِيئًا لَكَ بِمَا أَوْلَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ؛ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ(١).

باء: نص ما جاء في زيارتها في كتاب آداب الحرمين

(السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ نَبِيِّ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ الْمُؤْمِنَاتِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَنْفَقَتْ مَالَهَا فِي نَصْرِهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَصْرَتِهِ مَا اسْتَطَاعَتْ وَدَافَعَتْ عَنْهُ الْأَعْدَاءَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهَا جِبْرَائِيلُ وَبَلَّغَهَا السَّلَامَ مِنَ اللَّهِ الْجَلِيلِ؛ فَهَنِيئًا لَكَ بِمَا أَوْلَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ؛ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ).

وَذَكَرَهَا فِي الْمُنْتَخَبِ الْحَسَنِيِّ، وَذَكَرَ السَّيِّدَ الْبَطْحَانِيَّ زِيَارَةَ أُخْرَى:

(السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ نَبِيِّ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنَاتِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا خَالِصَةَ الْمُخْلِصَاتِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَةَ الْحَرَمِ وَمَلِكَةَ الْبَطْحَاءِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ مَنْ صَدَقَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ مِنَ النِّسَاءِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مَنْ وَفَتْ بِالْعِبَادَةِ حَقَّ الْوَفَاءِ؛ وَأَسْلَمَتْ نَفْسَهَا وَأَنْفَقَتْ مَالَهَا لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ؛ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا قَرِينَةَ حَبِيبِ

ص: ١٨٢

١- مفتاح الجنات للسيد محسن الأمين: ص ٣٠٦. مناسك الحج للسيد الكلبي كاني: ص ١٦٩.

إله السماء؛ المزوجه بخلاصه الأصفياء؛ يابنه إبراهيم الخليل؛ السلام عليك يا حافظه دين الله؛ السلام عليك يا ناصره رسول الله؛ السلام عليك يا من تولى دفنها رسول الله؛ واستودعها إلى رحمه الله، أشهد أنك حبيب الله، وخيره الله؛ وأن الله جعلك في مستقر رحمته؛ في قصر من الياقوت والعقيان في أعلى منازل الجنان؛ صلى الله عليك ورحمه الله وبركاته (١).

تم بحمد الله ومنه وسابق لطفه وكرمه.

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ٢.

السيد نبيل قدورى حسن الحسنى

مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ١٨٣

١- الأنوار الساطعه: ص ٤٠٧

قال:

«طوبى شجره أصلها فى حجره على عليه السلام، وليس فى الجنة حجره إلا فيها غصن من أغصانها»(١).

٣. وعن معاوية بن حمزه، عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«طوبى شجره غرسها الله بيده نفخ فيها من روحه تنبت الحلوى والحلل وأن أغصانها لترى من وراء سور الجنة»(٢).

٤. عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛

(طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بٍ).

قام المقداد بن الأسود الكندى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله وما طوبى؟»

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا مقداد شجره فى الجنة لو يسير الراكب الجواد لسار فى ظلها مائه عام قبل أن يقطعها،

ص: ١٨٤

١- تفسير الدر المنثور للسيوطى: ج ٤، ص ٥٩، ط دار المعرفة - بيروت؛ بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٧٢؛ تفسير العياشى لمحمد

بن مسعود: ج ٢، ص ٢١٢، ح ٤٨، ط المكتبة العلميه الإسلاميه - طهران.

٢- تفسير الثعلبى: ج ٥، ص ٢٢٨٨؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلوى: ص ١٨٣، ص ٢١٩؛ تفسير فرات الكوفى: ص ٢٠٨، ح

٢٧٧ و ٢٧٩.

وورقها وبسرها برود خضر، وزهرها رياض صفر، وأفنانها سندس واستبرق، وثمرها حلل خضر، وصمغها زنجبيل وعسل وبطعاؤها
ياقوت وزمرد أخضر، وترابها مسك وعنبر وكافور أصفر وحشيشها زعفران يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها السلسيل
والرحيق والمعين وظلها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(١).

المسألة الثانية: إنها خلقت من سفرجل الجنة

عن الزهري عن سعيد بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتانى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بسفرجله من الجنة فأكلتها ليله أسرى بي فعلقت خديجه بفاطمه، فكنت إذا اشتقت إلى
رائحه الجنة شممت رقبه فاطمه»(٢).

يمكن لنا أن نفهم العله من خلق فاطمه عليها السلام من هذه الثمره من خلال بعض الأحاديث الشريفه، ومنها:

١ - روى الحر العاملي رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما بعث الله عزّ وجل نبياً إلا ومعه السفرجل»(٣).

ص: ١٨٥

-
- ١- تفسير سعد السعود لابن طاووس: ص ١٠٩، ط منشورات الرضى؛ شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج ٣، ص ٤٩٦؛
البحار للمجلسي: ج ٦٥، ص ٧٢، ح ١٣١.
 - ٢- مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ١٥٦؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ١٠٩، ح ٣٤٢٢٨؛ تذكره الموضوعات للفتنى: ص
٩٩؛ الدر المنثور للسيوطي: ج ٤، ص ١٥٣.
 - ٣- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٣١.

٢ - وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما بعث الله نبياً إلا أطعمه من سفرجل الجنة فيزيد فيه قوه أربعين رجلاً»(١).

٣ - قال الإمام الرضا عليه السلام:

«ما بعث الله نبياً إلا أوجد منه ريح السفرجل»(٢).

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي أطعم فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم السفرجل فتحول ماءً في صلبه صلى الله عليه وآله وسلم لتلد خديجه عليها السلام الحوراء الإنسيه صلوات الله عليها وليكون أولادها الأئمه يحملون من القوه ما يحملها الأنبياء عليهم السلام.

المسأله الثالثه: خلقها من رطب الجنة

عن الهروى قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرنى عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال:

نعم وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء.

قال: فقلت له: إن قوماً يقولون: إنهما مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام:

ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد

ص: ١٨٦

١- بحار الأنوار: ج ٦٣، ص ١٧٧.

٢- المصدر السابق.

كذَّبَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذَّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلَّد في نار جهنم، قال الله عزَّوجلَّ :

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ۝١ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفه في صلبى فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجه فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسيه، فكلما اشتقت إلى الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمه»(١).

المسألة الرابعة: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنة

عن ابن عماره عن أبيه عن جابر، عن أبي جعفر - الباقر - عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك تلثم فاطمه وتلزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟

فقال:

إن جبرائيل عليه السلام أتاني بتفاحه من الجنة فأكلتها فتحولت ماء في صلبى ثم وقعت خديجه فحملت بفاطمه فأنا

ص: ١٨٧

١- بحار الأنوار: ج ٨، ص ١١٩؛ الأمالى للصدوق: ص ٥٤٦، ح ٧/٧٢٨؛ الاحتجاج للطبرسى: ج ٢، ص ١٩١.

أشم منها رائحه الجنة»(١).

ورد في الحديث لفظ «أحد بناتك» وقلنا في الفصول السابقه إن المراد بكلمه «بناتك» الربائب لأن العرب اعتادت أن تطلق على الربيبه اسم البنت فكان هذا هو لسانهم الذى بعث عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ٢ .

المسأله الخامسه: إنها خلقت من جميع ثمار الجنة

أشاره

عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر تقبيل فاطمه عليها السلام فقالت له عائشه: «بأبى أنت وأمى إنى أراك تكثر تقبيل فاطمه» فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن جبرائيل ليله أسرى بى أدخلنى الجنة وأطعمنى من جميع ثمارها فصار ذلك ماء فى صلبى فحملت منى خديجه بفاطمه، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمه فأصبت من ريح تلك الثمار التى أكلتها»(٢).

ص: ١٨٨

١- علل الشرايع للصدوق: ج ١، ص ١٨٣، الباب ١٤٧، ح ١؛ البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٥، حديث ٤؛ تاريخ بغداد للخطيب: ج ٥؛ ص ١٧؛ دلائل الإمامه الطبرى: ص ١٤٦، ح ٥٤.

٢- ذخائر العقبى لمحبه الدين الطبرى: ص ٣٦؛ تاريخ الخميس للديار بكرى: ج ١،

أولاً: (فأصبت من ريح تلك الثمار)

هذا الحديث جاء ليعطى صورته أخرى لعله تقبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمه عليها السلام، وهو يقرب المعنى أكثر مما مرَّ في الحديث السابق. إلا أن الصورة الجديدة هي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح لعائشه بأن رائحة فاطمه عليها السلام هي رائحة ثمار الجنة. فكيف يمكن أن تكون هذه العطور؟ الله ورسوله أعلم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الوحيد الذي أكل من جميع هذه الثمار، وهو الوحيد الذي شم عطرها.

ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنة

إن الأمر الآخر الذي يظهر من خلال هذا الحديث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الشوق إلى الجنة وكثره الشوق دفعته إلى كثره التقبيل لابنته الحوراء الأنسية الزهراء عليها السلام. وهو ما أثار اهتمام عائشه قائله له صلى الله عليه وآله وسلم: (إني أراك تكثر تقبيل فاطمه)^(١).

ص: ١٨٩

١- للأحاديث الشريفه التي مر ذكرها في خلق فاطمه من ثمار الجنة دلالات كثيره لا يسعنا ذكرها هنا، ولقد قمنا بذكرها في كتاب (هذه فاطمه) وهو قيد التنضيد والاخراج والله الموفق لكل خير.

إشاره

تناولنا بحمد الله وتوفيقه فى المبحث السابق الأحاديث التى تخبر عن خلق فاطمه من ثمار الجنة وفى هذا المبحث نتعرض لنفس المعنى لكن الاختلاف بين هذا المبحث وذاك هو أننا نعرض هنا الأحاديث التى تخبر عن نزول جبرائيل عليه السلام بثمار من الجنة إلى الأرض بينما كان الحديث فى المبحث السابق يخص تناول النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذه الثمار فى السماء فى رحله الإسراء والمعراج.

ومن هنا، فإن جميع هذه الأحاديث التى فى المبحثين تنص على مسأله واحده، هى: أن النطفه النورانيه الزكيه التى خلقت منها البضعه النبويه، والصديقه الكبرى فاطمه الزهراء سلام الله عليها كانت من عالم الأمر، وعالم النور، من خلال ثمار الجنة.

أما كيف يمكن الجمع بين هذه الأحاديث وتلك السابقه وبخاصه أن فاطمه الزهراء سلام الله عليها قد ولدت بعد المعراج بستين، أى إن هذه الثمار بقيت ستين فى بدن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ومفاد الأحاديث يخبر عن انتقال هذا النور إلى خديجه عليها السلام بعد هذه المرحله السماويه وهو محل إشكال!؟

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول

هو أن هذه الثمار لا يمكن قياسها بعالم الدنيا وثمارها، وأن هذه الثمار

تحمل من المعانى الدنيويه المسميات لغرض بيان دلالة اللفظ الذى يطلق على هذه الثمره أو تلك، ولكى يتناسب ذلك مع العقل البشرى ولا تمجه أذهانهم، فالناس ليسوا على مستوى واحد من الإدراك والاستيعاب للحقائق.

وعليه فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد أن يبين للناس منزله فاطمه صلوات الله عليها ومقاماتها صاغ الأمر بشكله الذى يستوعبه السامع، أمّا بواطن الكلمات وألطف معانيها فهو لذوى القلوب النيره والآذان الواعيه.

ومن هنا فإن معنى تناول النبى صلى الله عليه وآله وسلم من ثمار الجنه فى الإسراء والمعراج كان لغايه واحده، هذه الغايه هى انتقال النور الإلهى إلى صلب النبوه، وإن الحكمة الإلهيه اقتضت أن يتم انتقال هذا النور على مرحلتين، المرحله الأولى: تتم فى الإسراء والمعراج وفى مكان خاص من السماء وهى السماء السادسة التى جعل الله فيها الجنه وأن يكون المرشد والطاعم والدليل هو روح القدس وأمين الوحي جبرائيل عليه السلام وإن يكون هذا النور ضمن هيئه خاصه وعناصر محدده من اللون والطعم والرائحه، فكل لون من الألوان له أسرارهِ الخاصه به ومدلولاته الكونيه، فلذا ترى تعددت الثمار من: «رطبٍ ، وتَفَاحٍ ، وسفَرَجَلٍ»، مع ثمره شجره طوبى التى لم تصرح الروايه عن طبيعتها ولم تذكر صفاتها.

كل ذلك لأسرار خاصه بنور فاطمه صلوات الله عليها، فهذه هى الغايه التى من أجلها تناول النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هذه الثمار فى

الجنة، وليست الغايه هي تذويق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الثمار؛ إذ ما أسهل ذلك عليه وهو الذى يبيت عند ربه كل ليله وله مُطعم يطعمه وساقٍ يسقيه(1) فهذه هي المرحله الأولى من انتقال النور من عالم الأمر، أى عالم السماء إلى عالم الشهاده، إلى الأرض.

ثم تكون المرحله الثانيه من نزول النور وانتقاله إلى الأرض من خلال نزول جبرائيل عليه السلام حاملاً لهذه الثمار فيضاف إليها (العنب).

وعليه: فيمكن أن يكون هذا النور قد انتقل إلى صلب النبوه مفرقاً على هيئته شعبتين، الأولى كانت فى الجنة، والثانيه كانت فى الدنيا لتُجمع هاتان الشعبتان فى صلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى الأرض.

الوجه الثانى

اشاره

إنّ من خواص بدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو حفظ ما يرد إليه من الأنوار الإلهيه والفيوضات الرحمانيه لتناسب طبيعه بدنه المقدس مع هذه الأنوار بأمر الله عزّوجلّ .

نضيف إلى ذلك أن من المعاجز النبويه التى فاقت معجزه إبراهيم الخليل عليه السلام هي معجزه احتفاظ بدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالسم الذى قدمته إليه اليهوديه الخبيريه لشهور عديده حتى ظهر أثره عليه وتوفى شهيداً، وهي حقيقه نص عليها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فى بيانه

ص: ١٩٢

١- صحيح البخارى، كتاب الصيام، باب: الوصال، برقم ١٨٦٣؛ ومسلم فى صحيحه، كتاب الصوم، باب: الوصال، برقم ١١٠٥.

خاتمه العتره و اختياره - تعالى - لهم من الشهاده فقال:

«ما منا ألا مسموم أو مقتول»(١).

وعليه: فإن بقاء ماء هذه الثمار فى بدنه المقدس وفى صلبه النورانى النبوى أولى من بقاء نار السم الذى قدمته إليه اليهوديه.

أما العله فى بقاء السم دون ظهور أى إشاره فذلك لكونه أفضل الأنبياء والمرسلين وهذا التفضيل يقتضى الشده فى الابتلاء، وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن أشد الناس بلاءً؟ فقال:

«الأنبياء ثم الأوصياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أودى نبى مثل ما أوديت»(٣).

وأن يأتى بجميع معاجز الأنبياء عليهم السلام وبشكل أكبر وأقوى من معاجزهم ومنها معجزه إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت معجزه النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أكبر من ذلك؛ إذ بقاء النار فى جوف الإنسان وفى داخل بدنه لشهور عديده أكبر وأعظم بكثير من معجزه دخول إبراهيم عليه السلام النار للحظات والخروج منها بإذن الله تعالى.

ص: ١٩٣

١- كفايه الأثر للخزاز القمى: ص ٢٢٧؛ البحار للمجلسى: ج ٢٧، ص ٢١٨.

٢- الدعوات لقطب الدين الراوندى: ص ١٦٧؛ وأخرجه أحمد والترمذى بلفظ مقارب: مسند أحمد: ج ١، ص ١٧٢؛ سنن الترمذى: ج ٤، ص ٢٨.

٣- تفسير الرازى: ج ٤، ص ١٧٥؛ البحار للمجلسى: ج ٣٩، ص ٥٦؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٤٢.

وهى حقيقته احتج بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بعض اليهود الذين جاءوه يسألون عن عله تفضيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على بقيه الأنبياء عليهم السلام وهو لم يؤت بمعاجزهم فقال عليه السلام فيما أوتى إبراهيم من معجزه النار فكانت برداً وسلاماً:

(محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بخير سمتة الخبيريه فصير الله السم فى جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر فى الجوف كما أن النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره)(١).

إذن:

كان الوجه الثانى: هو احتفاظه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النور أو بماء هذه الثمار فى صلبه لمدته عامين أو أكثر بأمر الله تعالى. حتى حان الإذن الإلهى فى انتقال هذه النطفه إلى الطاهره خديجه عليها السلام.

وفيما يأتى نذكر هذه الأحاديث ونشير إلى معانيها التى وفقنا الله لبيانها والإشارة إليها بشفاعه البضعه المحمديه صلوات الله عليها.

المحور الأول: أحاديث اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجه عليها السلام

«الله يأمر النبي بالتهيؤ لنزول أمرٍ مهمٍّ».

الحديث الأول؛ روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان جالساً

ص: ١٩٤

١- الاحتجاج للطبرسى، احتجاجه عليه السلام على اليهود: ج ١، ص ٣١٤؛ مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٨٦؛ البحار للمجلسى: ج ١٠، ص ٣٣.

بالأبطح ومعه عمّار بن ياسر، ومنذر بن الضحضاح، وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجماعه إذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام فى صورته العظمى قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه:

يا محمد العلى الأعلى اقرأ عليك السلام وهو يأمرك أن تعتزل خديجه أربعين صباحاً، فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لها محبباً وبها وامقاً.

قال: فأقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه ذلك بعث إلى خديجه بعمار بن ياسر وقال: قل لها:

يا خديجه لا تظنى أن انقطاعى عنك هجره ولا قلى، ولكن ربى عزّوجلّ أمرنى بذلك لتنفيذ أمره، فلا تظنى يا خديجه إلا خيراً فإن الله عزّوجلّ لياهى بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جنك الليل فأجيفى الباب وخذى مضجعك من فراشك، فإنى فى منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خديجه تحزن فى كل يوم مراراً لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

هذه المقطوعه اقتطعناها من حديث طويل سنورد بقيه ما جاء فيه فى المبحثين القادمين مع ما يناسبها من أحاديث أخرى.

ص: ١٩٥

١- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٨-٧٩، ح ٢٠؛ الخصائص الفاطمية للكجورى: ج ١ ص ٣٤٣-٣٤٤؛ الأنوار البهيه للشيخ عباس القمى: ص ٥٣-٥٤.

إن الحديث يبين لنا أنّ الله عزّوجلّ يأمر نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالتهيئة والاستعداد لتلقى أمر معين وأن هذه الترتيبات وهذا التأهب يظهر أهميه هذا الأمر وعظم منزلته عند الله تبارك وتعالى. وهو ما نرجو أن يوفقنا الله لبيانه من خلال هذه المسائل.

المسألة الأولى: (لماذا الاعتزال لمدته أربعين يوماً؟)

أولاً: (الاعتزال)

وهو منهج من مناهج القرآن الكريم وطريقه من طرق الأنبياء والمرسلين، وأسلوب تعبدى من أساليب الأولياء والصالحين بالتقرب إلى رب العالمين، وهو من الرياضات الروحية التي اعتمدت عليها مدارس العرفان لاسيما إذا توج بالتفكير والتأمل.

والقرآن الكريم يعرض هذا المنهج التعبدى التقربى فى مواضع عدة ليبين آثاره على من انتهجه وسلكه ومن ذلك قوله عزّوجلّ فى أصحاب الكهف:

(وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُؤُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقاً) ١ .

فهذه الآيه الكريمه ترشد العارف إلى خاصّتين من خواص الاعتزال إحداهما إنه يمنح المنتهج له آثار رحمه الله فيكون مستحقاً لهذه الرحمه فينشرها الله عليه.

والأخرى أن الله عزّوجلّ يهيئ للمتقرب إليه بهذه العبادة سبل النجاه وطرق الخلاص من المهلكات. كما كان واضحاً من حال هذه النخبة المؤمنة التي انتهجت هذا النهج التعبدي، لأن أهم ما في هذا النهج أنه يرشد صاحبه إلى نبع الإخلاص فيروى القلب بمائه الصافي والروح بعذبه الفراتي.

ومن هنا نجد مرافقاً لأولياء الله عزّوجلّ، لأن الإخلاص غايتهم الموصوله إلى رياض القدس الإلهيه وموجب لنزول الفيوضات الربانيه، كما كان حال العذراء مريم عليها السلام ونهجها التجردى الاعتزالي التعبدي إلى الله عزّوجلّ فكانت لا ترى أحداً ولا يراها أحد إلا نبي الله زكريا عليه السلام فلم تأخذها العاطفه إلى أهلها والشوق إلى خاصتها وذويها لأن الإخلاص لله غايتها، قال تعالى:

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) ١ .

فكانت بهذا النهج قد حازت على الاصطفاء والطهر من الله عزّوجلّ، وأصبحت موضعاً لامتداد النبوه، فمن خلالها لحق عيسى بإبراهيم عليهما السلام.

ثم ينقل القرآن الكريم صورته أخرى لهذا النهج التعبدي، ورائداً آخر من رواد هذا الصرح الولائي لله عزّوجلّ لنلمس جانباً آخر من جوانب رحمته الله، وأثراً خاصاً من آثار عنايه الله، ولوناً جديداً من ألوان المنّ الإلهي والفضل

المولوى والعطاء الربانى على عبده ونبيه وخليله إبراهيم عليه السلام.

فنبى الله إبراهيم أيضاً قد سلك هذا المسلك وتقرّب إلى الله عزّوجلّ بهذا النوع من العباده متقرباً بالإخلاص من خلاله إلى الله تعالى فكان ذلك سبباً لنزول الرحمه الإلهيه واختصاصه بالأفضال الربانيه وموجباً للعنايه الإلهيه بعد طول عناء وجهد واجتهاد.

قال تعالى:

(فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَ مَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا) ١ .

فكان (اعتزال) إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه وما يعبدون من دون الله سبباً فى نزول الرحمه الإلهيه فوهب له عزّ شأنه الذريّه وخص هذه الذريه بالنبوّه.

ومن هنا: يظهر لنا بعض أوجه الحكمه فى اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم خديجه عليها السلام متعبداً بهذا النهج وكان مع اعتزاله صائماً فى النهار وقائماً فى الليل يتقرب إلى الله بأحب العبادات إليه وأوصلها إلى قربه ليلمس آثار رحمه الله العظمى ويتلقى الهبه الربانيه والتحفه الإلهيه وليعطى ما لم يعطه الله لأحدٍ من العالمين، فهذه فاطمه عليها السلام، أى إن الله أعطاه الأخيار، وحقه الأنوار، وأمه الملك الجبار، وأم الأئمه الأطهار صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

ص: ١٩٨

يعدُّ علم الأعداد أحد أهم علوم أرباب الأسرار وأهل العرفان، والمتصوفه، وكان له رواج كبير لدى العلماء السابقين، أما المتأخرون فما يزال هناك من يأنس بهذا العلم لاسيما المهتمين بالأمور العرفانية، وقد وردت معانٍ كثيره لخواص هذا العدد في أحاديث أهل البيت عليهم الصلاه والسلام(١).

ونحن لا نريد أن ندخل في هذا العلم وأبوابه الواسعه وأسراره الخفيه فلهذا العلم أهله وحملته إلا أننا نقول فيما يخص الأعداد، وبخاصه فيما نحن بصدده وهو العدد «أربعون» - الذي جاءت به الروايه من خلال ما ذكره جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما حدد له المده في الاعتزال - نقول: إن لهذا العدد سره الدفين الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم وهم محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم. فهم العارفون بخصائصه الغيبية. إلا أننا يمكن أن نصل إلى قناعه في أهميه هذا العدد وآثاره الغيبية من خلال: (القرآن والعترة المحمديه).

بعض الآيات القرآنيه والأحاديث الوارده عن العترة المحمديه تعرض لنا بعض الحقائق المرتبطه بالأنبياء وعلاقتهم مع هذا العدد.

قال تعالى:

(وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ص: ١٩٩

فالقرآن يعرض لنا فى هذه الآيه المده التى غاب فيها موسى عليه السلام عن قومه وبعد انتهاء هذه المده، أى الأربعين يوماً فإن القوم انقلبوا على أعقابهم واتخذوا عباده العجل.

ثم يبين القرآن الكريم فى نفس المجال فيطلق على هذا العدد بـ «الميقات» فيقول عزّوجلّ :

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ٢.

فالآيه هنا تشير إلى سر خفى فى هذا العدد الذى به يتم الميقات الإلهى.

والقرآن لا يقتصر فى أسرار هذا العدد على الأنبياء عليهم السلام بل ينقل لنا صورته عن العقاب الإلهى للظالمين فيقول تعالى:

(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) ٣.

وهم قوم نبي الله موسى الذى رفضوا دخول الأرض المقدسه فتأهوا أربعين سنه فى البيداء.

ثم ينتقل القرآن الكريم إلى مجال آخر فيشير إلى تكرار هذا العدد في موضع جديد هو كمال العقل والأشد، قال تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَهُ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ١٠ .

ومن هنا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هبط عليه جبرائيل عليه السلام في الأربعين من عمره الشريف فبعثه الله رحمه للعالمين.

أما ما جاء في الأحاديث الواردة عن العتره الطاهره فكثيره في هذا المجال، نذكر ما تيسر منها تيمناً.

فقد ورد ذكر هذا العدد في حفظ الأحاديث النبويه، وأثر هذا الحفظ المقيد بالأربعين حديثاً على الإنسان في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من حفظ عنى من أمتى أربعين حديثاً في دينه يريد وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» (١).

وقد ورد أيضاً ذكر هذا العدد وبيان آثاره على من أخلص لله عزّوجلّ مدّه من الزمن بتمامه، فعن أبي جعفر الباقر عليه الصلاة

ص: ٢٠١

١- بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥٣ و ١٥٤، ح ٣ و ٥ و ٦؛ الخصال للصدوق: ص ٥٤٢، ح ١٧؛ تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر: ج ٨، ص ٤٥، ح ٥٩٥.

والسلام أنه قال:

«ما أخلص عبد الإيمان لله أربعين يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها وأثبتت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»^(١).

وجاء ذكره في مَنْ أراد التوجه إلى الله عزَّوجلَّ بالدعاء وطلب الاستجابة في قضاء الحوائج أن يقدم الاستغفار لأربعين مؤمناً ويدعو لهم حتى يضمن لنفسه الاستجابة وقضاء الحاجة.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قدّم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا لنفسه استجيب له»^(٢).

ومنه جاء الاستحباب في تقديم أربعين مؤمناً يعدّهم بأسمائهم ويستغفر لهم في صلاة الوتر من نافله الليل قبل أن يستغفر لنفسه.

ومن الأسرار الخفية في قضاء الحوائج هو اجتماع أربعين رجلاً في مجلس واحد يدعون الله عزَّوجلَّ في أمرٍ ما فيقضى [الله لهم هذا الأمر يستجيب لهم، وهو ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق رُوحى فداه، قال عليه السلام:

ص: ٢٠٢

١- البحار: ج ٧٠، ص ٢٤٠، حديث ٨؛ جامع السعادات للتراقي: ج ٢، ص ٣١٣؛ مستدرک الوسائل للنورى: ص ٢٩٥، ح ١٧/٥٩٠١.

٢- وسائل الشيعة: ج ٤ باب ٤٥ من أبواب الدعاء ص ١١٥٤ حديث ٥؛ الأمالي للصدوق: ص ٥٤١، ح ٧٢٥؛ البحار للمجلسي: ج ٩٠، ص ٣٨٤، ح ٦.

«ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزوجل في أمر إلا استجاب لهم»(١).

ومنها استحباب رش قبر الميت لمدته أربعين يوماً في كل يوم مره، وقد أمر الإمام على بن موسى الرضا صلوات الله عليه:

«أن يرش قبره أربعين يوماً في كل يوم مره»(٢).

ومنها إن مراحل تكوين الجنين من نطفه إلى علقه إلى مضغه إلى عظام، أربعون يوماً لكل مرحلة، فيكون الجنين عند ذلك في شهره السادس وهو قوله تعالى:

(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ٣.

وغيرها من الأحاديث في المجالات المختلفة فإن جميعها تدل على أسرار هذا العدد وشرافته من بين الأعداد عند الله عزوجل .

وعليه نلمس العناية الإلهية في اعتزال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

ص: ٢٠٣

١- وسائل الشيعة: ج ٤ باب ٣٨ ص ١١٤٣ حديث ١؛ الكافي للكليني: ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ١؛ عده الداعي لابن فهد الحلبي: ص ١٤٤.

٢- وسائل الشيعة «آل البيت»: ج ٢ ص ٨٦٠ باب ٣٢ من الدفع حديث ٦؛ وسائل الشيعة «الإسلامية»: ج ٣، ص ١٩٧، باب ٣٣، ح (٣٣٩٣) ٦؛ كشف اللثام للفاضل الهندي: ج ٢، ص ٣٩٦، الفصل الرابع.

وسلم هذه المده من الزمن لكى يتهاً ويستعد لاستقبال الهبه الربانيه والتحفه الإلهيه وهو فى نفس الوقت يكشف عن عظم الأمر الذى ينزل به جبرائيل عليه السلام وكبر شأنه عند الله تعالى لأنه استلزم اعتزال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً متعبداً فيها صائماً قائماً مصلياً متصدقاً متقرباً إلى الله عزّوجلّ .

المسأله الثانيه: «جبرائيل عليه السلام يهبط فى صورته العظمى»

اشاره

لا بد من الحديث عن الملائكه قبل الدخول فى معنى نزول الملك جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى، حتى نصل إلى نتيجته البحث وندرك معنى الأمر، ونفهم عظم المسأله التى استعد لها أشرف خلق الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أولاً: معنى تسميتهم بالملائكه

فأما معنى تسميتهم بالملائكه: فهو إما مشتقه من الألوكة بمعنى «الرساله»، أو مشتقه من الملك بمعنى «العبوديه» المحضه الخالصه.

والملائكه المدبرات والمقدرات، وملائكه الجنه والنار، والملائكه الذين هم حملة التدبير والتقدير والتسخير وغيرها، سميت ملكاً لظهور مبدأ الاشتقاق فيه، لأنهم رسل الله فى اتصال ما يتحملون من جهات الفيض ورؤوس المشيئه إلى محالها ومواقعها كما نصّ عليهم بأنهم رسل الله فى قوله تعالى:

(إِنَّا رُسُلٌ) ١ .

وهم المتمحضون فى العبودية والمخلصون فى الطاعة:

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) ٢ .

بحال من الأحوال وطور من الأطوار، كما نص عليهم بقوله:

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثًا) ٣ .

وقوله تعالى:

(بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ) ٤ .

وقوله تعالى:

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ٥ .

فلما ظهر فيهم مبدأ الاشتقاق وتحققت المناسبه المطلوبه بين اللفظ والمعنى أطلق عليهم لفظ الملائكه، وإلا فهم صنف آخر ونوع آخر غير جنس الجن والإنس وغيرهم، وإنما سموا (ملائكه) لهذه العله التى هى ظهور مبدأ

ص: ٢٠٥

الاشتقاق، فعلى هذا كل شىء فيه هذا المعنى يصح إطلاق لفظ الملائكة عليهم (١).

وهى - أى الملائكة - «ذوات نورانية قد اضمحلت فيهم جهة الميولات النفسانية والشهوات الإنسانية والجنسية، فغلبت عليهم جهة النور، بحيث اضمحلت فيهم الظلمة بالرمة فلا أثر لها بالكليه» (٢) وهذا القول مأخوذ من أقوال العتره المحمديه صلوات الله وسلامه عليهم.

فقد وصفهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه:

«صور عاريه عن المواد خاليه عن القوه والاستعداد، تجلى بها فأشرقت، وطالعتها فتلاآت، وألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله» (٣).

وفيما يخص الملائكة من أحاديث فهى كثيره جداً فى مدرسه ثقل القرآن وعتره الهادى إلى طريق الرحمن، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم إلا إننا أوردنا هذا المقدار لكى لا يطول بنا الوقوف عند هذا المبحث وهو ليس قصداً وغايتنا بقدر ما نريد أن نمهد لمعنى نزول جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى ونضيف إلى ذلك أنهم، أى: الملائكة عليهم السلام لهم مراتب ثابتة فلا يستطيع أحدهم الصعود إلى مرتبه أعلى من خلال طاعته وهو ما جاء فى قول مولانا وسيدنا الإمام الصادق سلام الله عليه فى الملائكة:

ص: ٢٠٦

-
- ١- أنوار الغيب للسيد كاظم الحسينى الرشتى: ص ٥٠، تحقيق الشيخ أحمد آل بو شفيح.
 - ٢- شرح القصيده للسيد كاظم الرشتى: السؤال ١٥ ص ٢٣١، أنوار الغيب: ص ٤٦.
 - ٣- كتاب أصول العقائد: ص ١٨٤.

«إنهم ناقصون لا يحتملون الزيادة»(١).

وهي بمعنى أوضح:

إن الملك ناقص لا- يحتمل الكمال لأنه صورته عاربه عن المواد خاليه عن القوه والاستعداد؛ لأن الملك مطبوع على الطاعه ومقطوع عليها، مثلاً ميكائيل عليه السلام لما خلقه الله تعالى، له مقام ومرتبته ولكنه لا يزيد ولا ينمو بطاعته وخدمته الله تعالى إلى مقام أرفع وأعلى الآن.

وإنما هو كالسراج إذا أشعلته في أول الليل وأتيت إليه في آخر الليل لا تجده أنور وأشد ضوءاً عن أول الليل، فإنه نور لا يوجد في مقابلته ظلمه.

وأما الإنسان فإنه تتساوى عنده باختياره نسبه الطاعه إلى المعصيه، فإنه مركب من قوى رحمانيه عقليه ومن قوى حيوانيه، فهو متردد بين الكمال والنقصان، فبطاعته ينمو ويزداد ويترقى إلى مقام القرب الإلهي كسلمان المحمدي رضوان الله عليه فإنه انقطع إلى الله وإلى عبادته مع وجود النقيض في النفس(٢)، وهو أول الصحابه المنتجبين وأسبق الشيعة إلى ولايه آل الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

لذلك تجدهم عليهم السلام في مراتب مختلفه فمنهم «العالمون» وهم: (إسرافيل، وجبرائيل، وميكائيل وعزرائيل) عليهم السلام، ومنهم الكروبيون وهم:

ص: ٢٠٧

١- البحار للمجلسي: ج ٣، ص ١٥ و ٣٧.

٢- أنوار الغيب للسيد كاظم الحسيني الرشتي: ص ٥٣.

«الذين جعلهم الله خلف العرش، ولو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم».

وهو قول مولانا الإمام الصادق عليه السلام في وصفهم (١).

والقرآن الكريم يذكر أنواع الملائكة في قوله تعالى:

(وَ النَّازِعَاتِ غَزَقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) ٢.

وقوله:

(وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) ٣.

ولكونهم ذوات نورانية، وقوى روحانية وجسمانية، ذوات شعور وإدراك واختيار، لكنها لضعف تركيبها وعدم كمال انعقادها وغلبه نوريتها تتشكل بأشكال مختلفة، وتظهر بصور مختلفة، ما عدا الصور القبيحة والخبيثة (٢).

وقد كان جبرائيل عليه السلام يظهر بصوره «دحية الكلبى» وهو أحد

ص: ٢٠٨

١- البحار للعلامة المجلسى: ج ٥٦ ص ١٨٤، رواه ٢٦.

٢- أنوار الغيب للسيد كاظم الرشتى: ص ٤١.

صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ظهر بصورته مرات عديدة للمسلمين بشكل جماعى وهم ذاهبون لغزوه خيبر(١) ، وبشكل فرادى كما ظهر لأم سلمه رضى الله عنها(٢).

بينما كان يظهر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورة رجل جميل الصورة عذب الصوت، كما ظهر لمريم بهيئه بشريه:

(فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)٣ .

أى: جميل الصورة والصوت.

ثانياً: المواضع التى ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى

اشاره

أما صورته الأصلية فلم يظهر فيها إلا فى ثلاثه مواضع:

الموضع الأول

تجلى فيه جبرائيل عليه السلام بصورته الأصلية فى غار حراء يوم المبعث فى السابع والعشرين من شهر رجب لسنه أربعين من عمره المبارك، وفى هذا اليوم، وفى هذا الموضع، ولهذا الأمر شأن ومنزله وخطر عظيم عند الله عزوجل ، ولذا تراه تجلى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورته الأصلية.

ص: ٢٠٩

١- تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٢٤٦؛ والبدايه والنهائيه: ج ٤، ص ١٣٦؛ الكافى للكلينى: ج ٢، ص ٥٨٧، ح ٢٥؛ أمالى الصدوق: ص

٤٢٦ سنن النسائى: ج ٨، ص ١٠٣.

٢- صحيح مسلم، كتاب المناقب، مناقب أم سلمه رضى الله عنها: ج ٧، ص ١.

الموضع الثاني

فقد تجلى فيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورته العظمية التي خلقه الله عليها ليده الإسراء والمعراج، وهو مفاد قوله تعالى:
(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُتَّهَى) ١.

وهذه الصورة التي عليها جبرائيل عليه السلام كانت آية من آيات الله الكبرى، ولقوله تعالى:
(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) ٢.

الموضع الثالث

هو عند نزول أمر الله تعالى لنبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالاعتزال عن خديجه والناس لمدة أربعين يوماً، وفي هذا دليل على عظمه مهمته وجلاله الأمر الذي جاء به، وهو انعقاد نطفه فاطمه أم الأئمة الأطهار وزوجه ولي الله حيدر الكرار.

ثالثاً: أثر الاعتزال والريضة النفسية في خلق الجنين

إن التعبد بالصيام والقيام أربعين يوماً وليلته، واعتزال الخلق، وهجران الزوجه، وتشديد الشوق والميل الطبيعي بين السيده خديجه والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك يكون له الأثر الخاص في انعقاد النطفه الزكيه،

خصوصاً إذا ألحق به ارتياض سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم رياضه خاصه تتناسب مع مقامه عند الله تعالى ومنزلته لديه حتى حصل الاستعداد لقبول الهدية السماويه والعطيه الربانيه.

رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجه عليها السلام

إن بعثه صلى الله عليه وآله وسلم عمار بن ياسر رضوان الله عليه إلى خديجه؛ ليطمئنها عليه وينقل لها كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان مقامها ومنزلتها عند الله، وإنه ليباهي ملائكته بها كل ذلك دلائل على عظم منزلتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل على حب النبي الكبير للسيدة الجليله خديجه سلام الله عليها.

المسأله الثالثه: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنه

اشاره

تناولنا في المبحث الأول اعتزال النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً صائماً قائماً مصلياً متصدّقاً متقرباً إلى الله عزّوجلّ .

ونورد هنا ما كان من مجريات للأحداث التي رافقت هذا الأمر الإلهي لسيد الأنبياء وأكرم من خلق الله عزّوجلّ حبيبه المصطفى وعبد الممجّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال سيدنا ومولانا روحى له الفدى الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه:

ص: ٢١١

«فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد! العليّ الأعلى يقرئك السلام هو يأمرك بأن تتأهب لتحيته وتحفته.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل وما تحفه ربّ العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لا علم لي، قال: فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأقبل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يريد الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي علي باب المنزل وقال: بين أبي طالب، إنه طعام محرم إلا عليّ .

قال علي عليه السلام:

فجلست علي الباب وخلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطعام وكشف الطبق، فإذا عُثق من رطب وعنقود من عنب فأكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه شبعاً، وشرب من الماء رياً، ومد يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرائيل وغسل يده ميكائيل وتمندل له اسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء ثم قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي فأقبل جبرائيل وقال: الصلاة محرّمه عليك في وقتك حتى تأتي خديجه

فتواقعها، فإن الله عزَّوجلَّ آل على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذريه طيبه، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل خديجه»(١).

مسائل البحث في الحديث:

أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه)

نزول الملائكة المقربين الثلاثة وهم العالون، خصوصاً إسرافيل، حيث لم ينزل قط سوى هذه المره - حسب ما توفر لدى من مصادر، وطاقه في البحث - مصحوباً بالتشريفات الخاصه من السندس والإبريق والمنديل والماء والطبق من الجنة مع ما قاموا به عليهم السلام من تقسيم للعمل في حضره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك «التشريف» السماوى فكان الذى أفاض الماء جبرائيل عليه السلام والذى غسل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميكائيل، والحال كان يكفى بجبرائيل بصب الماء على اليدين فيقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغسلهما لكن أن يقوم بغسل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو غاية قصوى في التشرف بخدمته، وكذلك الحال بالنسبه لإسرافيل عليه السلام فإنه يمكن للنبي أن يأخذ المنديل من إسرافيل عليه السلام فيمسح يديه ويمندل يديه لكن أن يقوم إسرافيل ويمندل يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمسحهما فهو تشريف لإسرافيل عليه السلام وإكرام لفاطمه صلوات الله

ص: ٢١٣

١- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٩، باب ٥؛ الدر النظيم لابن حاتم العاملى: ص ٤٥٣؛ العدد القويه لعلى بن يوسف الحللى: ص ٢٢١؛ بيت الأحزان للشيخ عباس القمى: ص ٢٠؛ الخصائص الفاطميه للكجورى رحمه الله: ج ١ ص ٣٤٤-٣٤٥.

عليها، حيث إنزلت بتلك العطايا والهدايا يحملها كبار سكان الملائكة الأعلى.

وكيف لا وهي صاحبه النور الأوحى الذى خلقه الله من نور عظمته فأشرقت به السماوات والأرضيون، وقد غشى أبصار الملائكة فخرؤا لله ساجدين وبحمده قائلين وبثائه مسبحين.

ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاة فى شتى الأحوال لعل راجحه)!!

قد جاء فى الحديث: قول جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الصلاة محرمة عليك فى وقتك حتى تأتى منزل خديجه».

أما الجواب على هذا السؤال فهو عند الفقهاء: «الجواز» فقد جاء فى الشريعة السمحاء موارد عديدة يستثنى فيها من المبادره إلى إقامة الصلاة فى أول وقتها.

الأول: الظهر والعصر إذا أراد الإتيان بنافلتهما، وكذا الفجر إذا لم يقدم نافلتها قبل دخول الوقت، ما لم يتضيق وقت فضيله الفريضة.

الثانى: مطلق الحاضره لمن عليه قضاء يومه أول ليلته، فإن عليه المبادره بالفائته ما لم تتضيق الحاضره حتى لو كان قد نوى الحاضره فعليه أن يعدل إلى الفائته، هذا إذا تذكر قبل فوات محلها، وذلك للنصوص (1)، التى لأجلها قيل بالمضايقه فى قضاء يومه وليلته إلا فى فريضة الفجر فلا يتقدم عليها فائته لحديث

ص: ٢١٤

١- الوسائل، باب ٦٢ من أبواب المواقيت، الحديث: ١، ٢، ٤، ٧، ٨ وجميع أحاديث الباب ٦٣.

أبى بصير وحديث ابن مسكان، كلاهما عن الإمام الصادق عليه السلام(١).

الثالث: التيمم مع احتمال زوال العذر أو رجائه، أو لمن عليه البحث عن الماء غلوه سهم أو سهمين كما هو مبين فى أحكام التيمم عند الفقهاء.

الرابع: لدفع الأخبثين للحاقن بهما، لقول الصادق عليه السلام:

«لا صلاه لحاقن ولا لحاقنه الحديث»(٢).

وقوله:

«لا تصلّ وأنت تجد شيئاً من الأخبثين»(٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يصلى أحدكم وبه أحد العنصرين، يعنى: البول والغائط»(٤).

أى حتى يزيلهما ويتطهر من جديد ويصلّى.

الخامس: ليدرك فضيله الجماعه، والمسجد، وحضور القلب، ولدرك كلّ فضيله وكمال، ما لم يفض إلى الإفراط فى التأخير.

السادس: المستحاضه الكبرى، لها أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر

ص: ٢١٥

١- الوسائل، باب ٦٢ من أبواب المواقيت، الحديث ٣-٤.

٢- الوسائل، باب ٨ من أبواب قواطع الصلاه، الحديث: ٢؛ أمالى الصدوق: ص ٤٩٨، ح ١٢/٦٨٣؛ المعتمد للمحقق الحلّى: ج ٢، ص ٢٦٢؛ المحاسن لأحمد بن محمد البرقى: ج ١، ص ٨٣.

٣- الوسائل: باب ٨ من أبواب قواطع الصلاه، الحديث: ٣-٨؛ تذكره الفقهاء: ج ٣، ص ٢٩٨؛ تهذيب الأحكام للطوسى: ج ٢، ص ٣٢٦، ح ١٣٣٣.

٤- المحاسن لأحمد بن محمد البرقى: ج ١، ص ٨٢، ح ١٤.

بغسل واحد، وتؤخر المغرب لتجمعها مع العشاء كذلك.

السابع: المغرب والعشاء لمن أفاض من عرفات إلى المشعر، فله أن يؤخرهما ولو إلى ثلث الليل فيجمع بينها، وهذه من السنه المؤكده ففي صحيح محمد بن مسلم عن أحدهما لا تصل المغرب حتى تأتي جمعاً (١) وإن ذهب ثلث الليل (٢) ونحوه موثقه سماعه عن الإمام الصادق عليه السلام (٣).

الثامن: صلاه المغرب لمن ينتظره قومٌ صومٌ يخشى أن يجسمهم عن إفطارهم، أو هو تشتاق نفسه إلى الإفطار وتنازعه. كما في صحيح الحلبي وحديث الفضيل وزراره (٤).

التاسع: من أتى بأربع ركعات من صلاه الليل أو أكثر، فدخل الفجر، فله أن يتم وتره مخففه ثم يصلى الفجر، ما لم يسفر الصبح أو تغور النجوم (٥)، وناقله الفجر أفضل من الوتر.

العاشر: صلاه المغرب للمسافر حتى يغيب الشفق، أو إلى ربع الليل، أو إلى ثلثه، بل مطلق الصلاه لمطلق المسافر المستعجل (٦)، بل ولمطلق الاعتذار

ص: ٢١٦

١- جمعاً: الجمع هو المشعر الحرام، ويسمى، أيضاً: المزدلفه.

٢- الوسائل، باب ٥، من أبواب الوقوف بالمشعر، الحديث: ١-٢؛ روض الجنان للشهيد الثاني: ص ١٨٦؛ منتهى المطلب للعلامه الحلبي: ج ٢، ص ٧٢٣.

٣- منتقى الجمعان للشيخ حسن صاحب المعالم: ج ٣، ص ٣٥٣.

٤- الوسائل، باب ٧ من أبواب آداب الصائم، الحديث ١-٢.

٥- الوسائل، الباب ٤٧-٤٨ من أبواب المواقيت.

٦- الوسائل، الباب ١٩ من أبواب المواقيت.

فجميع هذه الموارد قد وردت في الشريعة المحمديه عن طريق العتره النبويه صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد ورد في التاريخ والسيره العطره لسيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أمر المسلمين بتأخير الصلاة في غزوه خيبر.

فضلاً عما ذكر فإن إدخال السرور على قلب المؤمن من السنن المستحبه المؤكده لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفضل الأعمال بعد الفرائض إدخال السرور على قلب المؤمن»(٢).

ومن المؤكد إن رؤيه الوجه النوراني المشرق باللطف الرحمانى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المسرات على قلب المؤمن ولاسيما زوجته الحبيبه خديجه الكبرى، وقد طال بها الانتظار لرؤياه وحدا بها الشوق لملاقاه وألمها الحنين لعدوبه صوته وحلاوه منطقه.

ومما لا شك فيه إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ به الشوق والحنين إلى حبيته وأم ولده سلام الله عليها، فما تأخير الصلاة عن أدائها في أول أوقاتها مع جميع هذه العلل الراجحه والحال التى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا من باب العناية الإلهيه بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢١٧

١- أنظر: اجماعيات فقه الشيعة للفقيه المحقق إسماعيل الحسينى.

٢- أعلام الدين فى صفات المؤمنين للديلمى: ص ٢٥٤.

نكمل إن شاء الله تعالى فى هذا المبحث رحله النور الفاطمى والفيض الأقدس، لكوثر الخير، وحوض اليمن، ونسمه الطهر فاطمه الزهراء صلوات الله عليها، ومراحل تنقل هذا النور الإلهى من تحت ساق العرش واشراقه فى قناديل معلقه وانتقاله إلى الجنه فأودعه الرحمن فى ثمارها ليستلمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ضمن مرحلتين، كانت الأولى فى الجنه، وكانت الثانيه فى الأرض من يد جبرائيل عليه السلام لتقر الوديعه الإلهيه فى قرار النبوه وصب رساله وعمود الوحي وروح الشريعه، ثم ينتقل هذا النور الإلهى المودع فى النطفه الزكيه الفاطميه فى أرض الطاهره خديجه الكبرى سيده النساء بعد فاطمه المحمديه.

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّتُهَا نَبَاتًا حَسَنًا) ١ .

لتنمو فى تلك الأرض الطاهره المطهره المعده لاستقبال النور الإلهى فتنال بذلك ما لم تنله امرأه من العالمين، فأى رحم حوى مثل فاطمه المطهره... وأى بطن نما فيه مثل البضعه الطاهره !!؟

ولقد ذكرنا فى المبحثين السابقين حديث خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه التى نزل بها جبرائيل بعد أن اعتزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم خديجه أربعين يوماً.

وفى هذا المبحث نكمل ما بقى من هذا الحديث لاختصاصه بما تصدره من عنوان، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«قالت خديجه رضوان الله تعالى عليها: وكنت قد الفت الوحده - بسبب اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها هذه المده - فكان إذا جنى الليل غطيت رأسي، واسجفت ستري، وغلقت بابي، وصليت وردى، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي، فلما كان في تلك الليله لم أكن بالنائم ولا بالمشبهه، إذ جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقه لا يقرعها إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قالت خديجه عليها السلام: فنادى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعذوبه كلامه وحلاوه منطقه: افتحى يا خديجه فإني محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -.

قالت عليها السلام: فقمتم فرحه مستبشره بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتحت الباب ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنزل وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المنزل دعا بالإئاء فتطهر للصلاه ثم يقوم فيصلى ركعتين يوجز فيهما ثم يأوى إلى فراشه، فلما كان في تلك الليله لم يدع بالإئاء ولم يتأهب للصلاه، غير أنه أخذ بعضدى وأقعدنى على فراشه وداعبنى ومازحنى وكان بينى وبينه ما يكون بين المرأه وبعلمها، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى حسست بثقل فاطمه فى بطنى»(١).

ص: ٢١٩

١- الأنوار البهيه للشيخ عباس القمى: ص ٥٦؛ العدد القويه لعلى بن يوسف الحلبي: ص ٢٢٢، ح ١٤؛ بيت الأحران للشيخ عباس القمى: ص ٢١؛ الدر النظيم لابن حاتم العاملى: ص ٤٥٣.

أولاً: (المنهاج التربوى الأسرى عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم)

هنا فى هذا الحديث تظهر لنا أم المؤمنىن خديجه سلام الله عليها أحدى الصور المشرقه عن حياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأسريه، فهو المعلم الأول فى الحياه المدنيه المتحضره.

وهذه الصوره كانت تحكى عن جانب من الجوانب العديده فى الحياه الأسريه، والذى يمتاز بالأهميه الكبيره والتأثير النفسى على الأسره وهو أحد المناهج التى تنمو من خلالها الأسره ولتنتج أبناء صلحاء نافعىن لأنفسهم ولمجتمعهم.

ولذلك، كيف يكون الأسلوب الذى يقوم به الزوج عند دخوله البيت ؟

هنا فى هذه اللحظات القليله والدقائق المعدوده ينظر الجميع ببالح الأهميه لما يقوم به الأب من أفعال وينصتون إلى ما يخرج من فمه من كلمات، فإذا كانت مظاهر التعب والضجر واضحه على الأب انعكس ذلك على الزوجه والأولاد ولاسيما لو كانت فى الأسره بنىات فهن الأسرع تأثراً بهذا المنظر والأكثر شعوراً لما يظهر على الوالد.

ومن هنا: فإن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدخل إلى البيت بهذا الشكل الذى نقلته هنا زوجته الحبيبه البارہ المخلصه الوفيه بهذه الكلمات: «وكان إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاه ثم يقوم فيصلى ركعتين يوجز فيهما ثم يأوى إلى فراشه».

وهنا يظهر بشكل واضح هذا المنهاج التربوي الأسرى الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالأب الذى يبدأ مشواره الأسرى بالوضوء والصلاه فإنه يضيف على زوجته وأولاده الطمأنينه والسكينه والرحمه، فأى هو أروع من هذه الأجواء الرحمانيه؟! وأى أثر يتركه هذا الاسلوب فى نفوس الأولاد والزوجه؟! وهو فى نفس الوقت يعلمهم أهميه الصلاه وأنها المفتاح الذى يجب عليهم أن يفتتحوها به خطوات حياتهم، فيتمسكوا بها ويستعينوا بها ويكونوا مصادقاً لقوله تعالى:

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) ١,٢ .

ثانياً: المنهاج التربوي فى العلاقة الزوجيه

ثم تمضى سلام الله عليها لتبين لنا صوره أخرى من الصور التعليميه فى جميع جوانب الحياه الدنيويه والأخرويه.

وهنا تنقلنا السيده خديجه فى رحاب العلاقة الزوجيه لتشير إلى أهم الأسس التى يعتمد عليها قيام البيت وهى صمام الأمان فى الحياه الأسريه، فكم من أسره تهدمت، وكم من علاقته زوجيه فشلت وكم من أطفال ضيعت وكانت هى الضحيه، بل هى التى دفعت فاتوره الاسلوب الفاشل الذى يفتقده الأب فى كثير من العلاقات الزوجيه الأسريه كحالات منفرده متعدده.

ص: ٢٢١

وعندما نقول الأب لأسباب كثيره منها القيموميه التى لديه والقدره فى التحكم فى شؤون الحياه الأسريه وغيرها.

ومن هنا فإن السيده خديجه سلام الله عليها تصف لنا هذه العلاقه الزوجيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمات الرقيقه والمنطق العذب والرقه والعاطفه والحب الكبير لهذا الزوج مع الحفاظ على العفه المحاطه بهذه الكلمات، والحشمه التى تفوح من هذه الألفاظ ، قالت سلام الله عليها:

«فلما كان فى تلك الليله لم يدع بالإناء ولم يتأهب للصلاه، غير أنه أخذ بعضدى وأقعدنى على فراشه وداعبنى ومازحنى، وكان بينى وبينه ما يكون بين المرأه وبعلمها».

فهذه الكلمات على قلتها قد كشفت أحد السنن النبويه فى آداب المعاشره الزوجيه وتظهر بشكل كبير الأجواء العاطفيه التى ينبغى لكل زوج أن يتعلمها ويستسن بها، لأن هذا التعامل يجمع الشفافيه فى الاسلوب، والجمال فى المبادره لاستجلاب عاطفه المرأه وتحريكها واستدرار حبها.

ومن هنا فهذا المنهاج التربوى من أهم المناهج التى تدوم بها الحياه الزوجيه وتستمر من خلالها العلاقه الزوجيه.

وقد اعتمد طب النفس الأسرى فى كثير من البحوث والدراسات على هذا المنهاج ووضع كمنهاج يعتمد عليه قيام الرابط الأسرى وهو أحد الأسس التى يقوم عليها دوام العلاقه الزوجيه، وكم نحن اليوم بحاجة إلى مراجعه تلك السنن النبويه ومعرفه الآداب المحمديه فى مختلف ضروب الحياه ولا سيما فى الجانب الأسرى كأزواج وآباء وإخوان وأبناء.

إشاره

إن إحساس السيده الطاهره والصديقه الجليله أم الزهراء صلوات الله عليها بثقل فاطمه عليها السلام، هو خلاف العاده البشريه، وعملية الإحساس بثقل الجنين يتحدد عند الأم بعد الشهر الرابع للحمل.

أمّا بالنسبه للسيدته خديجه عليها السلام فإن إحساسها بثقل فاطمه عليها السلام عائد إلى النطفه الزكيه الحامله للنور الفاطمي وهو كإحساس السيده مريم عليها السلام بعد أن تمثل لها روح القدس عليه السلام بشراً سوياً فإحساسها بثقل فاطمه إنما هو من نور فاطمه وكونها من عصاره دار الآخره وخلاصه نعيمها الممزوج بعرق روح القدس وزغبه وهو حامل الوحي والفيض الإلهي.

الحديث الثاني

عن زيد بن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لما أن مات ولدى من خديجه، أوحى الله إلى أن أمسك عن خديجه وكنت لها عاشقاً، فسألت الله أن يجمع بيني وبينها، فأتاني جبرائيل في شهر رمضان ليله الجمععه لأربع وعشرين ومعه طبق من رطب الجنة فقال لي: يا محمد كل هذا وواقع خديجه الليله، ففعلت فحملت بفاطمه، فما لثمت فاطمه إلا وجدت ريح ذلك الرطب وهو في عترتها إلى يوم القيامه»^(١).

ص: ٢٢٣

١- مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي: ج ١ ص ٦٨ الفصل الخامس نقلاً عن كتاب فضائل

أولاً: تعين ليله انعقاد النطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه

في هذا الحديث نجد هناك تحديداً لليله التي انعقدت فيها النطفه الزكيه لفاطمه صلوات الله عليها وهي ليله الجمعه من شهر رمضان الواقعه في الليله الرابعه والعشرين منه، وهذا التوقيت الدقيق لانتقال النور الفاطمي إلى رحم خديجه عليها السلام في غايه الاهتمام الرباني والعنايه الإلهيه، إذ لا يخفى أن العشر الأواخر من شهر رمضان هي أفضل لياليه وإن كل ليله من هذه الليالي يطلب العباد فيها التوفيق لليله القدر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اطلبوها في العشر الأواخر»(١).

إضافه إلى فضل ليله الجمعه على الليالي، فسبحان من قدّر لها هذا التقدير وهيأ لها هذا الوقت المحفوف بالبركات ونزول الفيوضات الرحمانيه!

وعليه: فإن ولادتها الميمونه السعيده تكون في شهر جمادى الآخره وهو ما اشتهر في ميلادها ومطابقاً لما نصت عليه الروايات الوارده عن العتره النبويه صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: ٢٢٤

١- المصنف لابن أبي شيبه الكوفي: ج ٢، ص ٣٩٥، في ليله القدر، ح ١١؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ٨، ص ٦٣٣، ليله القدر، ح ٢٤٤٨٦؛ تفسير الثعلبي: ج ١٠، ص ٢٥٢؛ مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ص ٤٦٧، ح (٨٦٦٩) ٤.

ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام

هذا الحديث يحمل دليلاً آخر لما قدمناه في الجزء الأول من هذا الكتاب الذى بحثنا فيه حياه أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلنا: إن حقيقه أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم ثلاثة فقط ، ولدان وهما القاسم وعبد الله وقد ولدا وماتا في الإسلام وفيهما قال: العاص بن وائل السهمي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعوه فإنه مات ولده فهو أبتى، فأنزل الله تعالى فيه:

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ١ .

وبنت واحده هى فاطمه صلوات الله عليها والحديث واضح وضوح الشمس أن الله منّ على نبيه الأعظم بفاطمه بعدهما، فكانت كوثر ذريته وأولاده وهو قوله تعالى:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ٢ .

إذن: دلت هذه الأحاديث على مجموعه من الحقائق وهى كالاتى:

١ - أن خلق فاطمه من ثمار الجنة هى حقيقه نصت عليها الأحاديث الشريفه الوارده عن العتره النبويه، وقد كانت على مرحلتين، الأولى فى السماء فى رحله الإسراء والمعراج، والثانيه فى الأرض بعد نزول الأمر الإلهي للنبي بالاعتزال أربعين يوماً.

٢ - أن الليله التى خلقت فيها بضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد

رافقتها تشریفات خاصه من نزول الملائكه المقربين إلى الأرض وإطعام النبی صلی الله علیه وآله وسلم بطعام الجنة فضلاً عن تحديد الزمن الذى كانت فيه هذه الانتقاله وهى الليله الرابعه والعشرون من شهر رمضان وأنها ليله الجمععه وهذا كله يكشف جانباً من منزله فاطمه الزهراء عليها السلام عند الله تعالى وما اختاره الله تعالى لحفظ شريعته وحججه على خلقه وهم أولاد فاطمه عليها السلام.

المبحث الثالث: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام ؟

اشاره

عن حماد بن عيسى، عن زرعه بن محمد، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام؟ فقال عليه السلام:

«نعم، إنَّ خديجه عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرتها نسوه مكه فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأه تدخل عليها فاستوحشت خديجه لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله وسلم فلما حملت بفاطمه كانت فاطمه عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجه تحدث فاطمه عليها السلام فقال لها:

يا خديجه من تحدّثين؟.

قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدّثنى ويؤنسنى.

قال: يا خديجه هذا جبرئيل يبشرنى أنها أنثى، وأنها النسله الطاهره الميمونه وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلى منها وسيجعل من نسلها أئمه ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه»(١).

مسائل البحث فى الحديث:

المسأله الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهى فى بطنها

إن من السنن التى سننها الله عز وجل فى هذا الكون أن جعل آيات وعلامات ومعاجز ترافق سيره رسله وأنبيائه وأوليائه، وكلما عظمت منزله الرسول أو النبى أو الولى وعلا شأنه ودنا قربه وأكرم محله كلما كانت هذه الآيات والدلائل والمعاجز التى ترافقه أعظم وأكبر وأدل وآثر وأبلغ تأثيراً فى العقل البشرى، قال عز وجل:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ٢ .

ولذلك نجد أن انشقاق القمر هو أعظم من فلق البحر، وأن القرآن أكبر وأدل وأبلغ من التوراه والإنجيل والزبور، وأن مما خص به خاتم النبیین هى فاطمه أم الأئمه الهداه الميامین وكان مما خص به الأئمه أنهم: (محدثون) وقد سأل زرارہ بن أعین الإمام الباقر عليه السلام: «من الرسول؟ ومن النبى؟ ومن

ص: ٢٢٧

١- أمالى الصدوق: ص، البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٢.

المحدث؟ قال عليه السلام:

الرسول: يأتيه جبرائيل فيكلمه قبلاً- فيراه كما يرى الرجل صاحبه الذي يكلمه، فهذا الرسول، والنبى: الذى يؤتى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السبات إذ أتاه جبرئيل هكذا النبى.

ومنهم من تجمع له الرساله والنبوه، وكان رسول الله رسولاً نبياً يأتيه جبرائيل قبلاً فيكلمه ويراه ويأتيه فى النوم، والنبى الذى يسمع كلام الملك حتى يعاينه فيحدثه، أما المحدث فهو الذى يسمع ولا يعاين ولا يؤتى فى المنام^(١).

وهذا الأمر هو من خواص عتره النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فالأئمه عليهم السلام كلهم «محدث»، جاء ذلك عن الإمام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام، وقد سمعه سليم بن قيس، يقول:

«إنى وأوصيائى من ولدى مهديون كلنا محدثون.

فقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال:

الحسن والحسين ثم ابنى على بن الحسين عليهم الصلاه والسلام.

قال: وعلى يومئذ رضيع ثم ثمانيه من بعده واحداً بعد واحد هم الذين أقسم الله بهم فقال:

(وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ) ٢ .

ص: ٢٢٨

١- بصائر الدرجات للصفار: ص ٣٩٣، ط منشورات الأعلمى، ايران؛ البحار: ج ٢٦، ص ٨٠.

أما الوالد فرسول الله وأما ما ولد يعنى هؤلاء الأوصياء»(١).

أما بخصوص فاطمه عليها السلام فإنها كانت «محدّثة» وهو أحد أسمائها فهي تُحدّثها الملائكة وهو غير الوحي ولا يسمى بهذه التسمية وهو ما عليه أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد فى شرح عقائد الصدّوق رضى الله تعالى عنهما: هل الوحي هو الكلام الخفى؟، ثم قد يطلق على كل شىء قصد به إلى إفهام المخاطب على الستر له عن غيره والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل صلى الله عليهم خاصة دون سواهم على عرف الإسلام وشريعته النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) ٢.

فاتفق أهل الإسلام على أن الوحي كان رؤيا مناماً وكلاماً سمعته أم موسى فى منامها على الاختصاص، وقال تعالى:

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) ٣.

يريد به الإلهام الخفى إذ كان خالصاً لمن أفرده دون ما سواه، فكان علمه حاصلًا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره.

ص: ٢٢٩

١- بصائر الدرجات: ص ٣٩٢؛ البحار: ج ٢٦، ص ٧٩.

وساق رحمه الله الكلام إلى أن قال: وقد يُرى الله في منامه (١) خلقاً كثيراً ما يصح تأويله ويثبت حقه لكنه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي ولا يقال في هذا الوقت لمن أطلعه الله على علم شيء: إنه يوحى إليه، وعندنا إن الله يُسمع الحجج بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً يلقيه إليهم في علم ما يكون، لكنه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدمناه من إجماع المسلمين.

على أنه لا وحي لأحد بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لا يقال في شيء مما ذكرناه: إنه وحي إلى أحد، والله تعالى أن يبيح إطلاق الكلام أحياناً ويحظره أحياناً، ويمنع السمات بشيء حيناً ويطلقها حيناً، فأما المعاني فإنها لا تتغير عن حقائقها على ما قدمناه (٢).

فإذن اعتقادنا في عتره الهادي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أن الله يُسمع الأئمة عليهم السلام كلاماً إليهم بواسطة الملائكة عليهم السلام وهو لا يسمى وحياً، لأنه لا يوحى لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام فأما النبوه فلا» (٣).

وقال المجلسي رحمه الله في بيان الحديث: «أى إنما يجب عليكم أن تقوموا عندنا وتعكفوا على أبوابنا والكون معنا - أى الكينونه معهم - لاستعلام الحلال

ص: ٢٣٠

١- العبارة وردت كذا في المصدر، والصحيح: وقد يُرى الله خلقاً كثيراً في منامه لكي يعود الضمير في (منامه) على (خلقاً).

٢- تصحيح الاعتقاد: ص ٥٦ و ٥٧؛ البحار: ج ٢٦، ص ٨٣-٨٤.

٣- أصول الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٦٨؛ البحار للمجلسي: ج ٢٦، ص ٨٣.

والحرام لا أن تقولوا بنبوتنا، وإنما لكم أن تفقوا علينا في إثبات علم الحلال والحرام وإنا نواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ذلك لكم ولا تتجاوزوا بنا إلى إثبات النبوه»(١).

ومن هنا فإن تسميه فاطمه عليها السلام بـ «المحدّثه» هو لسماعتها حديث الملائكه وهي تحدثها، وحالها كحال مريم بنت عمران عليها السلام قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٢)﴾.

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام هذا المعنى فقال:

«إنما سميت فاطمه محدّثه لأن الملائكه كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمه إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمه اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها فقالت لهم ذات ليله: أليست المفضله على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيده نساء عالمها وإن الله عز وجل جعلك سيده نساء عالمك وعالمها وسيده نساء الأولين والآخرين»(٢).

ص: ٢٣١

١- البحار للمجلسي: ج ٢٦، ص ٨٣.

٢- علل الشرايع: ج ١، ص ١٨٢؛ البحار: ج ١٤، ص ٢٠٦، من طريق: محمد بن الحسن

وفى حديث آخر: عن الحسن بن على بن أبى حمزه، عن أبىه، عن سعد ابن جبير، عن ابن عباس فى حديث طويل فى: (فضائل على وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام) رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فى فاطمه عليها السلام وما يصيبها من الظلم بعده:

«ثم ترى ذليله بعد أن كانت فى أيام أبيها عزيزه، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى بالملائكة، فتناديها بما نادى به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمه إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمه اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ثم يبتدئ بها الوجع فتمرض.....»(١).

ولم يقتصر الأمر على مريم فقط فقد حدثت الملائكة زوجه إبراهيم الخليل عليه السلام وهو قوله تعالى:

(وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ٢.

فإذن: فاطمه عليها السلام: (محدّثه) بفتح الحاء والذال وتشديدها، وهى: «محدّثه» بفتح الحاء وكسر الدال، أى هى التى كانت تحدث أمها خديجه عليها السلام وهى فى بطنها كما جاء فى الحديث.

ص: ٢٣٢

١- أمالى الصدوق: ص ١٧٧؛ البحار: ج ١٤، ص ٢٠٥، برقم ٢٢.

وهذا الأمر هو أحد معجزاتها عليها السلام، وحاله كحال عيسى عليه السلام وحديثه مع أمه بعد الولاده قبل أن يكلم أحداً من قومه وهو قوله تعالى:

(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) ١ .

فإن قيل: إن هذا من مصاديق نبوته عليه السلام ودعوه أمه إلى التصديق به؟! فما بال فاطمه عليها السلام؟!.

قلنا: إن مريم كانت تؤمن به نبياً قبل نطقه بل قبل ميلاده وهو قوله تعالى:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ) ٢ .

أما كون ذلك من مصاديق نبوته، فإن نطقه ابتداءً كان مع أمه مريم حينما أخبرها بهز النخلة كما دل عليه قوله تعالى:

(وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا) ٣ .

والحكمة فيه لتسليتها وذهاب حزنها ولإطعامها، ولذا فهي لم تكن بحاجة إلى نطقه حججاً ودليلاً على تصديقها بنبوته وقد أخبرتها الملائكة بأنه يكلم

الناس فى المهد، فضلاً عن أن الله تعالى قد أنطق طفلاً فى مهده ولم يكن من النبين كما فى قصة نبي الله يوسف عليه السلام فى قوله تعالى:

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) ١ .

فالشاهد كان طفلاً فى المهد بل إن الناطقين فى المهد أربعة هم: (شاهد يوسف، وابن ماشطه بنت فرعون، وعيسى بن مريم، وصاحب جريج الراهب) (١).

أما اعتراض الفخر الرازى على هذا القول، وذهابه إلى أن شاهد يوسف عليه السلام كان ابن عم للمرأة، وكان رجلاً حكيماً واتفق فى ذلك الوقت إنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليه فقال: قد سمعنا الجلبه من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندرى أيكما قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادق والرجل كاذب... الخ» وإن هذا القول أولى من القول الأول لوجوه منها:

(إنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبه كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من البراهين القاطعه القاهره، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر دليل ظنى ضعيف والعدول عن الحججه القاطعه حال حضورها وحصولها إلى الدلاله الظنيه لا يجوز) (٢).

ص: ٢٣٤

١- التفسير الكبير للفخر الرازى: ج ٩، ص ١٢٦، ط دار الفكر، عن ابن عباس رضى الله عنه.

٢- تفسير الفخر الرازى: ج ٩، ص ١٢٦، ط دار الفكر.

قلنا:

وإن كان هذا الكلام صحيحاً أعني: «لا يجوز العدول عن الحجج القاطعه عند حصولها وحضورها إلى الدلاله الظنيه» إلا أن هذه الحجج لا يمكن عدّها قاطعه لمجرد نطق الصبي قائلًا: (إنها كاذبه وهو صادق) لأن الاكتفاء بهذا اللفظ لا يحقق حججه القطع، فما أهون أن يتهم يوسف عليه السلام بالسحر! فتقول عندئذ المرأه إنه سحر الطفل فأنطقه بسحره، فلا حجه أصلاً لنجاته ولا برهان لصدقه، كما اتهم فرعون موسى بالسحر وأنه كبير السحره.

ومن هنا تظهر حكمه الله عز وجل في إعطاء الدليل العقلي والقطعي لزوج المرأه بحيث لا يقبل الشك بالتحقق من جهة قدّ القميص، وإن هذا الدليل صادر من فم الطفل في المهد فهذا أعمق في الدلاله وأبلغ في الحججه وأمضى في القطع، لأن الأمر متعلق بعفه يوسف عليه السلام وإخلاصه وهو أعظم شىء يمتلكه الإنسان وبخاصه الدعاه إلى الله عز وجل، ولأن الأنبياء عليهم السلام أقصى ما اتهموا به السحر والجنون لكن لم يتهموا بعفتهم فهم أعم الخلق ومن هنا يظهر خطر المسأله وعظمتها، فكان نطق الصبي والدليل الذى تفوه به قد حقق حججه القطع عند الملك بعفه يوسف عليه السلام.

فإن قيل: إن هذا الكلام يرد فيه إشكالٌ وهو: أن يوسف عليه السلام فى هذه الحادثه لم يبعث نبياً بعد والمعجز تحصل بعد بعث الأنبياء عليهم السلام!؟

قلنا: إن الإشكال مرفوع بأمرين:

ص: ٢٣٥

١ - إن من لطيف حكمه الله عز وجل أن جعل دلائل كثيره تراقف الأنبياء عليهم السلام قبل بعثهم ليسهل على الناس التصديق بهم والاهتداء إليهم واتباعهم، كتظليل الغمامه للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عند خروجه إلى الشام (١) ، والاستسقاء به وغيرها من الآيات الربانيه.

وكموسى عليه السلام وسقيه بنات شعيب عليه السلام، وقد شاهد الناس قوته الخارقه أو إلقائه فى البحر وعودته إلى أمه لترضعه، ونطق الصبى فى المههد ليوسف، أو خروجه من البئر سالمًا وغيرها من الدلائل والظواهر التى تراقف سيره الأنبياء والرسل قبل بعثهم.

٢ - قد نص القرآن الكريم على أن المتكلم هو صبى فى المههد وليس رجلاً حكيماً ابن عم لها، كما ذهب إليه الفخر الرازى. وهو قوله تعالى:

(ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسُجُنَّةً حَتَّى حِينٍ) ٢ .

فلا- يقال لكلام رجل حكيمة بأنه آيه من آيات الله عز وجل، وإنما يقال ذلك: عندما يحصل أمر خارق للعادة ومخالف لقوانين الطبيعه، أو هو مما يعجز عنه البشر، ففى هذه الأمور وعند حدوثها يقال لها: آيه من آيات الله عز وجل، كما هو الحال فى نطق الصبى وهو فى المههد.

ومن هنا:

ص: ٢٣٦

١- سيره ابن هشام: ج ١، ص ١٩٢، ط دار القلم.

فإن ما ورد في الحديث من أن: «فاطمه كانت تحدث أمها خديجه وهي في بطنها فتصبرها وتؤنسها).

هو: آيه من آيات الله عز وجل التي يظهرها لأوليائه، ومما لا شك فيه أن أم المؤمنين خديجه عليها السلام هي من أولياء الله عز وجل، ومما لا شك فيه أن فاطمه أكرم عند الله من ابن ما شاطه بنت فرعون أو الشاهد الذي شهد ليوسف عليه السلام وهو في المهدي، وهي بضعه أشرف خلق الله وسيدة نساء العالمين التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها.

ومن كانت بهذه المنزله فما أهون على الله تعالى أن ينطقها وهي في بطن خديجه عليها السلام، أو أن تحدثها الملائكه كما كانت تحدث مريم بنت عمران عليها السلام.

المسأله الثانيه: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا خديجه هذا جبرائيل يبشرنى أنها أنثى، وأنها النسله الطاهره الميمونه، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلى منها، وسيجعل من نسلها أئمه ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه».

هذه الكلمات كانت من قبل جبرائيل عليه السلام وهي مما بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءت هذه الكلمات لتبين صفات هذه المولوده وتظهر خصائصها.

وهو النهج الذى جاء به القرآن الكريم فى تبشير الأنبياء السابقين بمن يأتى من بعدهم وبخاصه عندما يتعلق الأمر بدعوه نبيّ ، أو يكون النبي المبشر به هو من نسل نبي أيضاً، وهذه البشارات إنما بدأت من إبراهيم الخليل كما يعرضها القرآن الكريم، وهو من لطائف الحكمة الإلهيه التى خصت إبراهيم عليه السلام بهذا النهج وابتدأت به وما ذاك إلا للإعلان عن البشري الكبرى والرحمه العظمى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرآنه وعترته، وهما الثقلان اللذان أوصى بهما هذه الامه المرحومه به صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا فإن البشري بدأت ببيت إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى (١).

هذه البشري كانت بامتداد النبوه من إبراهيم وجعلها فى نسله وصولاً إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت البشاره تحمل معها أيضاً صفات هذا الغلام ولم تقتصر على غلام فقط وإن كان مجيئه بعد بلوغ سن الشيخوخه هو نعمه كبيره فكيف إذا كان يحمل صفات عظيمه.

قال تعالى:

(قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَن (٥٤) قَالُوا بِشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَمَا تُكْنُ مِنْ الْقَانِطِينَ (٢).

ص: ٢٣٨

وفى آيه أخرى أضيفت صفه أخرى إلى هذا الغلام غير العلم وهى أنه: (حليم):

(فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) ١ .

فيكون هذا الغلام يحمل العلم والحلم، ثم ينتقل القرآن ليعطى صورته أخرى عن هذه البشرى ووصولها إلى أم هذا الغلام، وهى زوجه إبراهيم وسماعها للبشرى كان للأسباب التاليه:

١ - رعايه لحق الأمومه، فالأم هى بحاجه أيضاً إلى سماع البشرى بحصول الحمل.

٢ - سماعها حديث الملائكه مع إبراهيم عليه السلام يكشف عن منزلتها عند الله عز وجل وإن هذه المنزله محفوظه ولأجلها كشف لها عن السمع فسمعت حوارهم وحديثهم، ثم هى تعلم أنهم رسل الله عز وجل؛ لأنها لاحظت عليهم كما لاحظ زوجها إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى الطعام، فلهذه المنزله بشرت.

٣ - لإخلاصها لزوجها وقيامها على خدمته والعنايه به ورعايته، على الرغم من كبر سنها فهى أيضاً قد مستها الشيخوخه.

فضلا عن ذلك فإن من اللطائف الإلهيه أن الملائكه اكتفت بذكر البشاره بمجىء الغلام فقط دون أن تذكر لها صفاته، واللفظ الإلهى فى ذلك يكشف عن حبها الكبير فى أن ترى طفلاً ينمو فى أحشائها ويربى فى حجرها، أى إنها

كانت فى عطش كبير لسد حاجه الأمومه التى شعرت لسنين طوال أنها قد فقدتها وإلى الأبد، لكن رحمه الله تعالى أدركتها فبشرتها بإمداد هذا النسل، وأن الله سيجعل من ولدها هذا نبياً وهو يعقوب عليه السلام.

ثم تبين الملائكة: أن ذلك كله من رحمه الله وبركاته على أهل البيت.

قال تعالى:

(وَأَمْرَأْتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) ١.

ثم يستمر القرآن بالبشرى فبشر إبراهيم عليه السلام بمولود آخر وهو من الأنبياء أيضاً:

(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) ٢.

ثم تنتقل البشرى من إبراهيم عليه السلام إلى زكريا:

(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) ٣.

ص: ٢٤٠

وهذا النبي يحمل صفات عده بُشِّرَ بها زكريا عليه السلام ومن بين هذه الصفات أنه مُصَدِّقٌ بالنبي الذي يعاصره وهو عيسى عليه السلام:

(أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا) ١ .

فكانت أول هذه الصفات:

«التصديق بكلمه من الله» وهكذا إلى مريم عليها السلام وتبشيرها بعيسى:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ٢ .

وعيسى يبشر بخاتمه البشارات وأصل ظهورها والعله فى تنقلها فيقول عز وجل فى كتابه الكريم عن تبشير عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

(وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) ٣ .

بشرى المسيح أنت عنوان دعوته وقبله كل هادٍ صادق القدم (١)

حتى إذا بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن البشرى كانت فى أمرين:

ص: ٢٤١

١- أنوار الربيع لابن معصوم: ج ٤، ص ٣٣٣، والبيت للشيخ عز الدين الموصلى.

الأمر الأول: هو القرآن الكريم:

(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) ١ .

وقوله تعالى:

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) ٢ .

والأمر الثانى: هو عترته صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته الذين قال الله فيهم:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ٣ .

ثم أعلن النبى صلى الله عليه وآله وسلم للامه عظمها وخطرها وأنها نجاه المسلمين فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى وقد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»(١).

ص: ٢٤٢

١- تناقلت صحاح المسلمين ومسانيدهم ومستدركاتهم حديث الثقلين بطرق عدة وأسانيد جمه

وعدم افتراق أهل البيت عن القرآن حجه قاطعه في عصمتهم التي هي عدل عصمه القرآن.

ومن هنا يظهر معنى بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بفاطمه عليها السلام.

ومن هنا ندرك معنى صفاتها التي أعلنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمة المؤمنين خديجه عليها السلام، وهو نفس البشاره التي جاء بها القرآن الكريم في ذكره للبشاره بولاده الأنبياء عليهم السلام وبيان صفاتهم.

ونحن لا- نقول: إن فاطمه عليها السلام من الأنبياء، إلا أنها البضعة النبويه التي جعل الله نسل النبي المصطفى منها، وجعل من نسلها أئمة هداة مهديين خلفاء الله في أرضه بعد انقضاء وحيه.

ثم ذكر صلى الله عليه وآله وسلم بعض صفاتها وهي:

«التَّسْمَهُ، الطَّاهِرَهُ، المِيمُونَهُ».

فهذه صفات ثلاث ذكرها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وكل صفه لها معنًى خاصٌّ بها.

فأما معنًى: (التَّسْمَهُ)، فهي الروح أو النفس (١)، فإذا أريد بها (الروح)

ص: ٢٤٣

١- لسان العرب لابن منظور: ج ١٤، ص ١٣٠، مادة: نسَم.

فإن فيه معانِي جَمَّة، ودلائل عظيمه، منها: (الحياه) فإن كل شيء لا روح فيه فلا حياه له، أو فيه؛ وهو إما جماد، وإما ممات.

والحياه هنا: هي حياه ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بوصفها الأصل في نمو ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها كان ظهور الأئمه؛ لأنها أهمهم جميعاً عليهم الصلاه والسلام الذين أحيا الله بهم الدين.

وأما إذا أريد به: (النفس).

ففاطمه عليها الصلاه والسلام هي: (النفس المطمئنه) (١)، ويمكن الاستدلال على ذلك بأمر:

١ - قد ورد في الحديث في ذكر أسمائها عليها السلام أنها (الراضيه، المرضيه) (٢).

٢ - الاطمئنان أصله الإيمان ومقره القلب، حتى إنه ارتبط به ارتباطاً وثيقاً.

ص: ٢٤٤

١- وهو قوله تعالى في سوره الفجر، الآيتان: ٢٧ و ٢٨ (يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ...).

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١٣٣، ط مطبعه الحيدريه، النجف؛ الأمالى للصدوق: ص ٢٥٠، مؤسسه البعثه؛ عيون أخبار الرضا للصدوق: ج ١، ص ٣٠، مؤسسه الأعلمی بیروت؛ البحار للمجلسی: ج ٨، ص ١٧٨؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٩، ص ٢٨٢، ط مؤسسه إسماعيليان؛ ينابيع الموده للقندوزی: ج ١، ص ٤١٠ وج ٢، ص ١٧٩، ط دار الأسوه.

قال تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) ١ .

فقدم الإيمان على الاطمئنان لأنه الأصل، ولولاه لم يحدث الاطمئنان.

وبالإيمان يثبت القلب أى يكون مستقراً فلا تؤثر فيه الكروب النازله أو الحوادث المكرهه.

قال تعالى:

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ) ٢ .

ومن هنا فإن من كان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها(١)، كانت كل ذره فى ذاتها وكيانها تنطق إيماناً وتشع اطمئناناً.

وعليه: فإنها عليها السلام كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (التَّسْمَهُ) أى: (النفس المطمئنه).

ولا تعارض فى أن يكون هذا حال الأئمه عليهم السلام لكونهم حجج الله على خلقه وأمناءه على شرعه.

ص: ٢٤٥

١- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٥٣-١٥٤؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ٢٢، ص ٤٠١، برقم (١٠٠١)؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٥٦-٥٧ ط دار الجبل؛ الثغور الباسمه للسيوطى: ص ٣٠، برقم ٤٢؛ وقال: إسناده حسن مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٠٣، وقال: إسناده حسن؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٧، ص ١٢٢٤.

وبعد أن حملت الصديقه الطاهره، أم المؤمنين خديجه الكبرى سلام الله عليها بالنطفه الزكيه النورانيه المحمديه ونمت فاطمه سلام الله عليها فى أحشاء خديجه تسعه أشهر إلا أربعة أيام؛ إذ إنَّ ليله انعقاد النطفه النبويه كانت ليله الرابع والعشرين من رمضان المبارك، وها هو اليوم العشرون من جمادى الآخره وفيه بدت آلام المخاض على أم المؤمنين خديجه عليها السلام:

«وحانت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبنى هاشم أن تعالين لتلين منى ما تلى النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلى قولنا وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب فقيراً لا مال له فلسنا نجىء ولا نلى من أمرك شيئاً فاغتمت خديجه عليها السلام لذلك.

فبينما هى كذلك إذ دخل عليها أربع نسوه سمر طوال كأنهن من نساء بنى هاشم ففزعت منهنَّ لما رأتهنَّ فقالت إحداهنَّ : لا تحزنى يا خديجه فإننا رسل ربك إليك ونحن أخواتك»!؟

أنا ساره، وهذه آسيه بنت مزاحم، وهى رفيقتك فى الجنه، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلى منك ما تلى النساء من النساء، فجلست واحده عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثه بين يديها، والرابعه من خلفها، فوضعت فاطمه عليها السلام طاهره مطهره.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها التور حتى دخل بيوت مكه ولم يبق فى شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور.

ودخل عشر من الحور العين كل واحد منهن معها طشت من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفتها بواحد، وقنعتها بالثانيه.

ثم استنطقتها فنطقت فاطمه عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبى رسول الله وأن بعلى سيد الأوصياء وولدى سادة الأسباط .

ثم سلمت عليهن وسمت كل واحد منهن باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولاده فاطمه عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك.

وقالت النسوة: خذيها يا خديجه، طاهره، مطهره، زكيه، ميمونه، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحه مستبشره والقمتها ثديها فدر عليها، فكانت فاطمه عليها السلام تنمى في اليوم كما ينمو الصبى في الشهر وتنمى في الشهر كما ينمو الصبى في السنه(1).

دلالات البحث في الحديث:

بعد أن تناولنا الأحاديث السابقه وبينا بعض دلالات البحث فيها والتي بدا بعضها موسعاً بسبب أهميتها فإنى وجدت أن أشير إلى بقيه الدلالات فى الأحاديث القادمه على نحو الاختصار معتمداً على ذكر الإشاره فى البعض منها، ومحاولاً عدم الإطاله فيها إلا ما ألزمتنى الضروره فى ذلك من قبيل

ص: ٢٤٧

١- أمالى الصدوق: ص ٦٩، ط مؤسسه البعثه، البحار للمجلسى: ج ٤٣، ص ٢، ح ١.

المسؤولية الشرعية في بيان حقائق الأحداث أو لتكامل حلقات البحث بحيث لا يمكن ترك بعضها لأنه يسبب حدوث فراغ ذهني أو حلقة مفقوده.

المسألة الأولى: الحكمة في ذكر الرفقة لآسيا مع خديجه في الجنة

(لماذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام الرفقة لآسيه مع خديجه في الجنة ولم يذكرها لبقية النساء وهنَّ جميعاً في الجنة)؟!

الوجه الأول في ذلك: أن آسيه بنت مزاحم كانت قد سألت الله أن يبني لها بيتاً في الجنة:

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١ .

إن خديجه بنت خويلد سلام الله عليها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(١).

كما أن البيت الذي سألت الله آسيه أن يبنيه لها هو بجوار بيت خديجه، وبهذا تكون رفيقه لخديجه في الجنة.

ص: ٢٤٨

١- البحار للمجلسي: ج ١٦، ص ٨ ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ صحيح البخارى: ج ٤، ص ٢٣١، ط دار الفكر - بيروت؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ٢٢٤، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٧، ص ٣٠٢، ط دار الكتب العلميه بيروت؛ أسد الغابه لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٣٨، ط دار الكتب العربى - بيروت؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ١٠١، ط دار الكتب العلميه - بيروت.

الوجه الثاني: هو أن آسيا بنت مزاحم كانت بسبب إخفائها إيمانها تتعبد بمنهج الاعتزال من قومها، بل حتى مع أقرب الناس إليها بما تفرضه الحياه الزوجيه عليها من اختلاط وتقارب إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعتزل هذه الدنيا، وكذا كان حال خديجه عليها السلام فقد اعتزلت الحياه الدنيا والتجأت إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عما فرضه المشركون رجالاً ونساءً من حصار وعزله على خديجه كما أظهره الحديث.

المسأله الثانيه: ما هي العلاقه بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتي دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟

(لماذا كان دخول النساء على خديجه عليها السلام بصفه نساء بنى هاشم، وهل له علاقه بفاطمه عليها السلام)؟!

إن لدخول النساء الأربع اللاتي جاء ذكرهنّ وتعريفهنّ في الحديث الشريف للإمام الصادق عليه السلام بصفه نساء بنى هاشم له عده أوجه، منها:

١ - لأفضليه بنى هاشم وشرافتهم على سائر قبائل العرب، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانه، واصطفى من قريش بنى هاشم»(١).

ص: ٢٤٩

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن وائله بن الأسقع: ج ٧، ص ٥٩، باب: في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - من الطبيعي أن امتناع نساء قريش عن المجيء إلى خديجه عليها السلام، ترك في نفسها الحزن والشعور بالوحشه، وأن دخول النساء عليها وهنّ على غير الهيئه والصفه التي لنساء قريش وبخاصه بنى هاشم يزيد في فزعها عند رؤيتها مما يؤدي إلى التسبب في زياده آلامها وهي في وضع لا يسمح أن تضطرب فيه نفسيتها.

بل بحاجه إلى السكينه والطمأنينه لتسهيل الولاده، فدخولهنّ عليها بهيأه نساء بنى هاشم كان خوفاً عليها وعلى مولودها النبوى الفاطمى صلوات الله عليها.

٣ - من المفروض أن يستجيب الأقرباء إلى تلبيه نداء المحتاج للمعونه من أقربائه وخديجه هي أقرب الناس إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ إنها تتصل معه بالجد الرابع وهو قصى بن كلاب فبنو هاشم هم أولى برعايه خديجه عليها السلام وهي في حال كهكذا من المخاض.

وهذا يكشف عن الرعايه الإلهيه واللفظ الرحمانى بخديجه كى تشعر بأن أهلها معها.

المسأله الثالثه: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه عند ولادتها؟

(ما المقصود من دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور)؟!

ص: ٢٥٠

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: هو إشارته إلى دخول الإسلام إلى جميع بيوت مكة وهذا معنى عام، ولكونها عليها السلام شجره الإمامه.

الوجه الآخر: وهو الأقرب إلى القصد، فإن نورها الذى ملأ الشرق والغرب وأشرق فى جميع مواضع الدنيا هو ولدها الإمام المهدي عجل الله فرجه.

«الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»(١).

وهذا الامتلاء لا يتحقق معناه إلا بوصول العدل الإسلامى المحمدي العلوي الفاطمي إلى كل ذره فى الأرض، كما وصل نور فاطمه عليها السلام وأشرق فى كل موضع فى شرق الأرض وغربها.

المسألة الرابعة: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين

هذا الأمر من خواص المعصومين عليهم السلام، وهو أحد الدلائل التى تدل على اختصاصهم بالعصمة الإلهية، والاصطفاء الرباني.

إذ إن المعصوم عليه السلام يبين بعد ذكره الشهادتين المهمة المكلف بها والدور الذى اختاره الله له، والأمر الموكل إليه، وشاهده من الكتاب الحكيم عن ولاده نبي الله عيسى عليه السلام:

ص: ٢٥١

١- وهو حديث نبوي، أخرجه الذهبي فى سير أعلام النبلاء: ج ١٥، ص ٢٥٣؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤، ص ١٦١؛ أنظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٣١٦، (يملاً الأرض عدلاً وقسطاً).

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) ١ .

بعد ذلك يَبَيِّنُ عليه السلام الأمر الإلهي الذي كلف به:

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ٢ .

ولذلك:

فإن الزهراء فاطمه عليها السلام بعد أن ذكرت الشهادتين، ذكرت الولاية لعلى بن أبي طالب وبأنه سيد الأوصياء وأن ولديها سادته الأسباب ، ومن هذا الكلام تظهر عليها السلام الجعل الإلهي لها فقد جعلها الله تعالى: (زوجه سيد الأوصياء) و (أم سادته الأسباب).

ثم قامت عليها السلام، بالسلام على جميع مَنْ حضرنَ للتشريف بولادتها وتسميتهن بأسمائهنَّ لأنها عليها الصلاة والسلام سيدتهنَّ ، فهي: (سيده نساء العالمين)(١) والخور من نساء العالمين.

ص: ٢٥٢

١- أخرجه الحاكم في المستدرک: ج ٣، ص ١٥٦، ط دار المعرفه - بيروت؛ والديلمي في مسند الفردوس: ج ٣، ص ١٤٥، حديث ٤٣٨٨، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١٢، ص ١١٠، حديث ٢٤٢٣٢؛ الجمع بين رجال الصحيحين للعتسراني: ج ٢، ص ٦١١، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ الإصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٥٦، ط دار الجيل - بيروت؛ الجامع من المقدمات لابن رشد: ص ٦٦، ط دار العرفان؛ وسوف نورد المزيد من المصادر في باب: (منزله فاطمه في السنه النبويه).

إنّ الموضع الذى ولدت فيه فاطمه عليها السلام يعدّ من المواضع التى يتقرب بها المؤمنون إلى الله عز وجل، ومنها يتوجهون إليه بالدعاء لقضاء حوائجهم، وقد دلت النصوص التاريخيه وواقع حال المسلمين فى زيارتهم للأماكن المقدسه فى مكه المكرمه وما عليه فقهاؤهم قبل مجيء الوهابيين إلى الحكم هو أن دار أم المؤمنين خديجه سلام الله عليها وهو البيت الذى ولدت فيه فاطمه عليها السلام كان من الدور المخصوصه للعباده ويقصدها الناس بالزياره(١).

وكيف لا- وهى بيت النبى الذى تزوج فيها وعاش أكثر من أربع وعشرين سنه حتى هاجر عنها إلى المدينه وفيها رُبِيَتْ الزهراء وفيها زغب جبرائيل وعرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيها مهبط الملائكه ومحل عروجهم وبين جوانبها نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعبده وموضع تهجده.

فجميع هذا وغيره هو مما حظى به دار خديجه أم المؤمنين سلام الله عليها، حتى عرف اليوم بموضع مولد فاطمه صلوات الله عليها؛ لعظم هذا التشريف، ولخصوصيه ولاده البضعه النبويه والشجنه المحمديه.

وعليه؛ فإن فاطمه الزهراء قد ولدت فى بيت أمها الصديقه الطاهره حبيبه رسول رب العالمين وأم أولاده، فكان هذا الدار أحد المواضع المكرمه والمشرفه بالعباده والزياره والتوسل إلى الله تعالى.

ص: ٢٥٣

١- شفاء الغرام للحافظ أبى الطيب الفاسى: ج ١، ص ٢٧٢، ط دار الكتب العلميه.

إن السبب الذي دفعني لإفراد بحث مستقل في رضاع فاطمه سلام الله عليها كان لارتباطه بالسيدة خديجه عليها السلام فضلاً عن أهميه حجر الأمومه وأثره الكبير في بناء شخصيه الإنسان؛ إذ إن لبن الأم له تأثيرات بايولوجيه وأخرى سايكولوجيه.

فالأم التي تغذى وليدها بلبنها لا تنمى فيه الجانب التكويني الخلقى فقط بل هي تنمى فيه الجانب الخلقى أيضاً فتورثه من صفاتها الأخلاقية الكثير من دون أن تشعر بذلك أو تريد، وهو ما أشار إليه حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص فقال:

«ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركه عليه من لبن أمه»^(١).

وقال عليه السلام:

«لا ترضعوا أولادكم عند المرأة الحمقاء فإن لبنها يعدى»^(٢).

أى إن هذا اللبن يحمل بين جزيئاته وبحسب لغه الطب الوقائي «جرثوماً»

ص: ٢٥٤

١- الكافي للكلينى: ج ٦، ص ٤٠؛ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٣، ص ٤٧٥؛ تهذيب الأحكام للطوسى: ج ٨، ص ١٠٨.

٢- تذكره الفقهاء للعلامه الحلى: ج ٢، ص ٦٢٧، ط منشورات مكتبه المرتضى؛ الحدائق الناضره للمحقق البحرانى: ج ٢٣، ص ٣٧٦، ط مؤسسه النشر التابعه لجماعه المدرسين - قم؛ البحار للمجلسى: ج ١٠٠، ص ٣٢٣، ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ وسائل الشيعه (الاسلاميه) للحر العاملى: ج ١٥، ص ١٨٨، ط دار احياء التراث العربى - بيروت.

أو «فايروساً» لكن لا- يصيب الخلايا الجسميه إنما يصيب الخلايا العقلية، أو فلنقل المسؤول عن الإدراك والوعى فى الدماغ، فيؤدى إلى نشوء طفل لا يحسن التصرف ولا يميز الأمور ولا يدرك بجديه ما يدور من حوله وبالنتيجه يتخرج من هذا الحجر الذى نما فيه وتربى عنده إنسان فاشل لا يشعر بالمسؤوليه ولا يسعى لتحقيق أى هدف.

فكيف إذا أضيف له ما يتوارث من حجر الأم خاصه فهو وفى الوقت الذى يتناول فيه اللبن فإن آذانه تسمع ما تتلفظه هذه الأم وإن جهازه السمعى الباطنى يسجل هذه الألفاظ فى ذاكره الدماغ فما إن يكبر الإنسان حتى يجد هناك أموراً كثيره تدفعه وتحرك مشاعره إما إلى الخير وإما إلى الشر، وهو ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»(١).

وعليه كيف يمكن أن يتحقق معنى التحصيل للعلوم فيما لو كان هذا الجهاز معطلاً أى الجهاز السمعى الباطنى عند الطفل والذى أسماه القرآن الكريم: (الأذن الواعيه)(٢).

ص: ٢٥٥

١- العلم والحكمه فى الكتاب والسنة لمحمد الريشهري: ص ٢٠٦، ٢٠٧، ط مؤسسه دار الحديث - قم؛ كشف الظنون لحاجى خليفه: ج ١، ص ٥١، ط دار احياء التراث العربى - بيروت، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٤، ص ١١٢، ط دار التعارف - بيروت.

٢- مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفى: ج ١، ص ١٥٨، ط مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه - قم؛ معانى الأخبار للصدوق: ج ٩، ص ٥٩، ط مؤسسه النشر

وهذه الأذن الواعية تتجلى بأكبر صورها وأعلى قدرتها عند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعند الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وقيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب سلام الله عليه خاصة (١).

وعليه:

فإن البضعة النبوية المحمّدية وكما مر علينا سابقاً كانت تسمع وترى وتجب على ما كان يدور من حولها، وهذه إحدى خصائص من اجتباهم الله عز وجل لرسالته وجعلهم تراجمه وحيه ولسان توحيده، والبدالين عليه والهادين إليه سلام الله عليهم أجمعين.

ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى الخصائص والمزايا التي يشترك بها بنو آدم معهم؛ لنبين أنها حتى من هذا الجانب فقد خصها الله بما لم يخص به أحداً من العالمين.

ص: ٢٥٦

١- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي: ج ١، ص ١٥٨، ط مجمع إحياء الثقافة الاسلاميه؛ الصراط المستقيم لعلی بن یونس العاملي: ج ٣، ص ١٣٧، ط المكتبة المرتضوية؛ البحار للمجلسي: ج ٣٥، ص ٣٢٩، مؤسسه الوفاء - بيروت؛ تفسير فرات الكوفي لفرات بن إبراهيم الكوفي: ص ٤٩٩، مؤسسه الثقافة والارشاد - طهران.

ومن بين هذه الخصائص التي تشرك فيها الزهراء مع بنى آدم من جهة المثليه لهم أنها عليها السلام دخلت إلى حجر الأمومه كما دخلوا لكن حجر الأمومه الذى ربيّت فيه فاطمه الزهراء ليس له مثل على وجه الأرض.

إنه حجر أم المؤمنين الصديقه الطاهره الزكيه الجليله هذه المرأه التى كانت مسكن خاتم الأنبياء، وأنس سيد المرسلين، ومأوى حبيب رب العالمين، وملجأ أشرف الخلق أجمعين.

فتأمل أيها القارئ الكريم عندما تكون الأم التى تروى طفلها وتغذيه بلبنها بهذه الصفات فكيف ينمو طفلها وأى صفات سيرتها؟!!

وعندما تكون هذه الأم مأوى ووقى لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الشكل، فكيف ستكون لفلذه كبدها وسويداء قلبها وبخاصه أنها فقدت طفلين من قبل فكيف ستحنو على هذه المولوده سلام الله عليها؟!!

ومن هنا: نفهم لماذا أبت أم المؤمنين خديجه عليها السلام أن يرضع أحد من النساء فاطمه، وتولت هى رضاعتها(1).

وهذا فيه من العنايه الإلهيه الخاصه بأن جعل فاطمه تنمو فى أحشاء خديجه سلام الله عليها وترضعها وتتولى رعايتها والإشراف عليها منذ اللحظات الأولى لولادتها.

فما إن انتهت مراسم استقبالها وتغسيلها بماء الجنه ولفها بخرقه بيضاء

ص: ٢٥٧

١- طبقات ابن سعد: باب ترجمتها، السيره النبويه لابن كثير: ج ٤، ص ٦٠٨، ط دار المعرفه - بيروت.

من الجنه كما مر بيانه، فتناولتها أم المؤمنين خديجه سلام الله عليها وهي فرحه مستبشره وألقتها ثديها فدر عليها فكانت فاطمه عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنه (١).

والحكمه في ذلك هو لكي يراها الناظر وهي على هيئة المرأه الكبيره فيدرك وهو ينظر إليها تمشى وجلباها يخط الأرض أن الذي يمشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أولاً.

أما ثانياً: فلكى تُعد إعداداً خاصاً لما ينتظرها بعد وفاه خديجه سلام الله عليها من العنايه والرعايه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكى تكون قادره على خوض عمليه بناء الإسلام مع أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: إقراراً لعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يراها وهي أمامه امرأه تحاكي هيئتها من كانت في العشرين فيسعد بها وهو يراها قد بلغت مبلغ النساء فيعيد بالنظر إليها تلك اللحظات السعيده التي عاشها مع أم المؤمنين خديجه.

رابعاً: إن في ذلك حرباً على المنافقين وشوكه في عيون الكافرين وقد وصفوا النبي من قبل بالأبتر بعد أن مات ولداه فهاهى فاطمه تنمو بأسرع مما ينمو به الطفل فتملاً الدار النبوى بهجته وسروراً.

ص: ٢٥٨

١- بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٣، حديث ١، نقلاً عن الأمالى للصدوق.

إن من السنه المؤكده استحباب اختيار الاسم الجميل للمولود، بل قد ورد فى الحديث: استحباب اختيار اسم للمولود قبل ولادته (١).

ولقد كانت العرب قبل تشرفها ببعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسمى أبناءها بأسماء تكشف عن غلظه قلوبهم وحبهم للحروب، فكانت تختار ما يرمز إلى القوه والشده فذهبت إلى تسميه أبنائها بأسماء الحيوانات وبخاصه المفترسه ومنها الطيور الجارحه «كنمر، وأسد، وفهد، وصقر، وغيرها» وأيضاً ما كان يدل على الصلابه والتحدى: كصخر، وحرب، ومُره... الخ.

فلما جاء الإسلام وظهر فى مجتمع الجزيره أخذوا يسمون أبناءهم بتسميات جميله عملاً بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن» (٢).

لكن قبل ذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يباشر بتغيير أسماء كثيره كأبى بكر وكان اسمه قبل الإسلام عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه

ص: ٢٥٩

١- وسائل الشيعه (آل البيت عليهم السلام) للحر العاملى: ج ٢١، ص ٣٨٧، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم؛ وسائل الشيعه (الإسلاميه) للحر العاملى: ج ١٥، ص ١٢١، ط دار احياء التراث العربى - بيروت؛ جامع أحاديث الشيعه للسيد البروجردى: ج ٢١، ص ٣٣١؛ الخصائص الفاطميه للشيخ محمد باقر الكجورى: ج ٢، ص ٥٦٩، انتشارات الشريف الرضى.

٢- الآداب للبيهقى: ص ٢٩٠، ج ٦٠٤، ط دار الكتب العلميه.

وآله وسلم: (عبد الرحمن)(١) وكتغير اسم زينب بنت أم سلمه وكان اسمها بتره (بره) فسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (زينب)(٢)، وغير ذلك هم كثر.

ثم بعد ذلك أخذوا يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبنائهم فيضعونهم في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعو لهم ويبارك عليهم ويسمى البعض منهم، وفي هذا الصدد فقد سجل التاريخ حادثه جرت لأحد هؤلاء الأطفال وهو «مروان بن الحكم» فما إن أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«هو الوزغ بن الملعون بن الملعون»(٣)؟!؟

وتمر الأيام ويكبر هذا (الوزغ) وإذا به خليفه للمسلمين؟!؟

فكيف يكون حال الإسلام والحاكم الذي تسلط على رقابهم قد لعنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟! والعجيب في الأمر أنك تجد صحاح المسلمين مليئه بأحاديث هذا الملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٢٦٠

-
- ١- سيره الحلبي: ج ٢، ص ٤١٤، ط دار المعرفه - بيروت؛ امتاع الأسماع للمقريزي: ج ٦، ص ١٥٢، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ فتوح البلدان للبلاذري: ج ١، ص ١١٠، ط مكتبه النهضه المصريه - القاهره.
 - ٢- الأدب المفرد للبخاري: ص ٢٤٤؛ الآداب للبيهقي: ص ٢٩٢.
 - ٣- ينابيع الموده للقندوزي الشافعي: ج ٢، ص ٤٧٠؛ النصائح الكافيه لابن عقيل: ص ٧٦؛ مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٤٧٩، ط دار المعرفه؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ج ١٢، ص ٢٧٦؛ السيره الحلبيه: ج ١، ص ٥١٠؛ جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٩٢؛ الحدائق الناضره للمحقق البحراني: ج ٤، ص ١٩٦.

وسلم! والأعجب منه أن يصنفه البعض ضمن قائمه الصحابه ونظريه: «كلهم عدول» فأى عدلٍ هذا والرجل إنما هو «فضض من لعنه الله» أو «قصص من لعنه الله» كما صرحت بذلك عائشه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم(١).

والأمر لم يتوقف عليه فقد لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعن أباه وولده جميعاً وهو ما رواه محمد بن سوجه الشعبي عن ابن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لعن الحكم وولده»(٢).

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى منامه: (بنى الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره كما تنزُّ القرده فما رُئى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجماً ضاحكاً بعد هذه الرؤيا حتى توفى)(٣).

ص: ٢٤١

١- المستدرک للحاکم النيسابورى: ج ٤، ص ٤٨١؛ فتح البارى لابن حجر: ج ٨، ص ٤٤٣؛ عمدہ القارى للعينى: ج ١٩، ص ١٦٩؛ تخريج الأحاديث والآثار للزيلعى: ج ٣، ص ٢٨٢؛ تفسير ابن كثير: ج ٤، ص ١٧٢؛ الدر المنثور للسيوطى: ج ٦، ص ٤١؛ فتح القدير للشوكانى؛ تفسير الآلوسى: ج ٢٦، ص ٤؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج ١٢، ص ٢٧٧؛ جواهر المطالب لابن الدمشقى: ج ٢، ص ١٩٢؛ ينابيع الموده للقندوزى: ج ٢، ص ٤٦٩.

٢- مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٤٨١، ط دار المعرفه. والذهبي فى التخليص مطبوع مع المستدرک: ج ٤، ص ٤٨١.

٣- كنز العمال للهندي: ج ٦، ص ٢٩، وص ٣٩، وقال: أخرجه أحمد بن حنبل، والطبرانى؛ المستدرک للحاکم: ج ٤، ص ٤٨٠، عن أبى ذر الغفارى وواقفه الذهبى عليه فى تلخيصه.

وقد نزل جبرائيل عليه السلام بعد هذه الرؤيا بقوله تعالى:

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) ١.

وهذه الشجرة الملعونه هم: (بنو أمية) (١).

ومن ذلك نعلم كيف أن الله ابتلى الإسلام بهم وجعلهم فتنة للناس، وهنا: جاء قوله تعالى بكلمه: (الناس) ولم يقل: «المسلمين»، لأن بلاءهم وأفعالهم أهلكت النسل والحرث ولم يسلم منهم أحد لا من المسلمين ولا من غيرهم، لأنهم أشر الخلق لله تعالى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً» (٢).

ومن هذا كله يستفاد أن مجيئهم بأولادهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو لحكمه خاصه، فيها الحجج البالغة، ليعلم المسلمون أن هذا المولود وذاك إنما حقيقتهم هي بهذا الشكل الشنيع حتى يتجنبوهم ويحذروهم، لكن

ص: ٢٤٢

١- التفسير الكبير للرازي: ج ١٠، ص ٢٣٨، تفسير سورة الإسراء، ط دار الفكر - بيروت؛ تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج ٥، ص ٣٠٩، ط دار الفكر، وقال: أخرجه ابن مردويه عن عائشه أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله يقول لجدك وأبيك: إنكم الشجرة الملعونه في القرآن.

٢- المعجم الصغير للطبراني: ج ٢، ص ١٣٦؛ مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٤٨٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ٤٧٩.

هيهات هيهات فكثير من المسلمين آزرهم وناصرهم فنالوا بذلك إثم إعانته الظالمين وتحمل أوزارهم على الرغم من كشف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للامة حال مروان خاصة وبنى أميه عامه وأظهر للمسلمين حقائقهم وما سيؤول إليه أمرهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن هذا سيخالف كتاب الله وسنه نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء وبعضكم يومئذ شيعة»^(١).

فإن الله وإنا إليه راجعون.

والشئىء الثانىء المستفاد من تغييره صلى الله عليه وآله وسلم أسماءهم: هو أن هذه الأسماء تؤثر من الناحية النفسية على الشخص الحامل للاسم غير الجميل.

وحديث سعيد بن المسيب يكشف لنا هذه الحقيقة، فعن عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثنى أن جده «حزناً» قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«ما اسمك»؟

قال: اسمى حزن.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«بل أنت سهل».

ص: ٢٤٣

١- مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٥، ص ٢٤٢؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج ١٢، ص ٣٣٦؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج ٥٧، ص ٢٤٧؛ كنز العمال: ج ١١، ص ١٦٦، برقم ٣١٠٦٠.

قال: (ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبى).

قال ابن المسيب: (فما زالت فينا الحزونية)(١).

بعد هذه الجوله التي بينا فيها أحد مناهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تغيير هذه الامه ورفع مستواها الحضارى بعد أن كانت تعصف بها رياح الجهل والظلام فأنقذها الله بأبى الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم.

نعود إلى رحاب أم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسأل: من الذى سمى البضعه النبويه بفاطمه عليها السلام؟!.

والجواب على هذا السؤال نسمعه أو نقرأه من خلال هذا الحديث الوارد عن العتره النبويه: فعن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لما ولدت فاطمه عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمها: فاطمه»(٢).

أما معنى هذا الاسم فقد وردت فيه أحاديث كثيره عن العتره المحمديه عليهم السلام لا يسعنا إيرادها هنا(٣).

ص: ٢٦٤

١- الأدب المفرد للبخارى: ص ٢٥٠، حديث ٨١٤، ط دار الكتب العلميه؛ الآداب للبيهقى: ص ٢٩١، حديث ٦١٠، ط دار الكتب العلميه.

٢- علل الشرايع للصدوق: ج ١، ص ١٧٩، ط المكتبه الحيدريه، النجف؛ البحار للمجلسي: ج ٣٤، ص ١٣، حديث ٩، باب ٢.

٣- لقد قمنا بحمد الله تعالى فى كتاب موسوعه فاطمه عليها السلام البحث فى تفرعات هذا المبحث، وقد أشبعنا هذه العناوين بمزيد من الدراسه والتحقيق ونسأل الله أن نوفق لإكمالها وطباعتها.

ان من السنن المستحبه التي ترافق المولود بعد ولادته هي العقيقه.

«والعقيقه» هي: الشعر الذي يولد به الطفل لأنه يشق الجلد، فيقال لهذا الشعر «عقيقه» وجعل الزمخشري: الشعر أصلاً، والشاه المذبوحه مشتقه منه.

وعقّ الرجل عن ابنه يعقّ: أي حلق عقيقته، أو ذبح عنه شاه(١)، وفي التهذيب: يوم أسبوعه فقيده بالسابع، واسم تلك الشاه العقيقه(٢).

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

في العقيقه عن الغلام شاتان مثلاً، وعن الجاربه شاه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«في الغلام عقيقه فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى»(٣).

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«عق عنده - أي المولود - وأحلق رأسه يوم السابع»(٤).

والعقيقه شاه أو جزور تجتمع فيها شرائط الأضحيه، وهي: السلامه من العيوب والسمن، والسن على الأفضل، ويجزى فيها مطلق الشاه(٥).

ص: ٢٦٥

١- لسان العرب، لابن منظور: ج ٩، ص ٣٢٤، ماده: «عقق».

٢- تهذيب الصحاح للزنجاني: ص ٥٩٠، ط دار المعارف بمصر.

٣- الجامع الصغير للسيوطي: ج ٢، ص ٦٦٥، برقم: «٥٩٥٩».

٤- الوسائل: كتاب النكاح باب، ٤٤، من أبواب أحكام الأولاد الحديث: ٨.

٥- اللغه دمشقيه للشهيد جمال الدين العاملي: ج ٥، ص ٤٤٧، كتاب النكاح، أحكام الأولاد.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«انما هي شاه لحم، ليست بمنزله الأضحيه، يجرى منها كل شيء، وخيرها أسمنها»^(١).

اما ما يخص البضعه النبويه عليها السلام، فقد عقت عنها السيده خديجه عليها السلام بشاه^(٢) وإنها أطعمتها للمؤمنين عملا بالسنة وقصدًا لحصول الأجر في ورود السرور عند الإطعام.

المبحث الثامن: فاطمه في حجر النبوه

المسألة الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه

ان المراد بالحجر لغه هو: «الحِضْنُ»، فيقال: حَجَرُ المرأه وَحَجَرُها حِضْنُها^(٣).

وهنا عندما نقول: حَجَرُ النبوه، أى إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى احتضنها ورباها ضمن أصول النبوه، وقواعدها، ومناهجها.

فكان خلقها عليها السلام خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى خاطبه المولى قائلاً:

ص: ٢٦٦

١- الوسائل للعالمى: كتاب النكاح، باب: ٤٥، من أبواب أحكام الأولاد الحديث: ٢.

٢- الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى: ج ٢، ص ٦٥٦، ط دار الكتب الحديثه؛ المختصر الكبير لابن جماعه: ص ٨٣.

٣- لسان العرب لابن منظور: ج ٣، ص ٥٧، ماده حجر.

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ١.

وخاطب صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين قائلاً:

«لقد أدبني ربي فأحسن تأديبي»(١).

فأدب فاطمه وخلقها هو: أدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلقها. حتى قالت عائشه: (ما رأيت أحداً أفضل من فاطمه غير أبيها)(٢).

بعد هذه الإشارة في بيان الركنتين الأساسيين في نشأه كل إنسان وأقصد والديه، فإننا نرحل في سفينه الحب النبوي إلى بيت خديجه أم المؤمنين عليها السلام لترسو بنا سفينتا على سواحل أعتاب بيتها نلتمس الإذن في الدخول إلى رحاب البيت الذي كان سكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبع الحنان والحب والموده التي ملأت كل ذره من كيان أم المؤمنين خديجه عليها السلام. لتهبها لزوجها وتبذلها له فما ادخرت جهداً وما بخلت بعطيه، وما شككت ألماً، ولا تبرمت من حال أنزله بها كفار مكة نساءً ورجالاً.

ص: ٢٤٧

-
- ١- البحار للمجلسي: ج ١٦، ص ٢١٠، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٢٣٣، ط دار إحياء الكتب العربيه؛ الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي: ج ١، ص ٥١، برقم ٣١٠، ط دار الفكر - بيروت.
 - ٢- الغدير للشيخ الأميني: ج ٣، ص ٢٥، ط دار الكتب العربي - بيروت؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ص ٢٠١، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ الاصابه لابن حجر: ج ٨، ص ٢٦٤، ط دار الكتب العلميه - بيروت؛ ينابيع الموده لذوى القربى، القندوزي: ج ٢، ص ٥٨، برقم ٣٥، ط دار الأسوه.

فعندما يحيا الإنسان وتكون أيام طفولته في مثل هذه الأجواء المليئه بالحب والحنان والرحمه فمما لا شك فيه سيكون هذا الإنسان منبعاً لهذه الفضائل التي نمت عليها عروقه وتوغلت فيها جذوره.

ونحن وان كنا نعرض مثل هذه النقاط التي مع أهميتها الكبيره لدى الباحثين وأصحاب الاختصاص في الحياه الأسريه والعلوم النفسيه، إلا أننا لا نجعلها الأساس في تكوين شخصيه فاطمه الزهراء عليها السلام.

إذ إن الملاك والضابطه في حياه الأولياء هو الاصطفاء الإلهي وهو مفاد قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

ومع هذا الاصطفاء يكون الاصطناع الرباني، لقوله تعالى:

(وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) ٢، (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) ٣.

فالصناعه ربانيه، والاصطفاء إلهي، ومن كان الله قد اصطفاه لنفسه فلا تؤثر فيه قوى الشر ولا يمسه رجس الكافرين، وقد أعطى القرآن دليلاً - لمن كان يؤمن بالله تعالى ولمن كان بعيداً عنه - يثبت أن الظروف والعوامل التي تحيط بحياه الأنبياء والأولياء لا يمكن حملها على بقيه حياه الناس وكيفيه نشأتهم.

وها هو نبي الله موسى الكليم تلقيه أمه وهي خائفه وجله عليه من القتل فترميه فى البحر ليسوقه جبرائيل إلى بيت عدو الله فيأخذه ويربيه ويتولى تنشئته، ولم يكن قصر فرعون وطغيانه وكفره مؤثراً فى إيمان موسى عليه السلام.

أما سبب تأكيدنا على البيت الذى نشأت فيه الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام، فذلك من أجل معرفه العنايه الإلهيه الكبيره، والاهتمام البالغ والتركيز على فاطمه عليها السلام.

لأن الغايه والعله التى خلقت لها فاطمه تستوجب هذا الاعتناء الربانى، وهذا الاهتمام الإلهى. ويكفيك من هذا بياناً بأنها (أم أبيها).

فالله قد اصطفاه، وحببه قد علمها ورباه، وحببه رسوله قد غذتها وأنشأتها.

المسأله الثانيه: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها فى أم المؤمنين خديجه عليها السلام

ان السنين الأولى لطفوله فاطمه عليها السلام كانت فيها عليها السلام قد أعادت بسمه الأمومه لخديجه، تلك البسمه التى لا تمنحها الأم إلا لطفلها الذى يتأمل بعينين مفتوحتين تلك التقاطيع التى ترافق وجه أمه وهى مبتسمه له وكأنها تسمعه باعذب الكلمات التى تعجز عنها لغات العالم.

فأى لغه يمكن ان تعبر عما ينطقه وجه الأم وهى تنظر لولدها وقد زينت وجهها هذه الابتسامه؟!

إنها لغه لا يعلمها الا قلب هذا الطفل ولا يصدرها الا قلب الأم.

وبخاصه عندما تتعامل أم كخديجه مع طفلها الجديد الذى انتظرته كثيراً بعد أن فقدت طفلين هما «القاسم وعبدالله عليهما السلام»، اللذين لم يعيشا طويلاً، بل إنهما لم يكملا رضاعهما فقد اختار الله لهما دار الآخرة.

ثم تبقى خديجه عليها السلام تنتظر رحمه الله عز وجل أن يمنَّ عليها بحمل ومولود جديد ويطول بها المقام ويتأخر عليها الحمل، لحكمه أرادها الله عز وجل.

ومن هنا فإن حملها بفاطمه وولادتها قد أعادتْ عليها تلك الابتسامه التى كانت تطلقها فاطمه عليها السلام.

وكانت سنتا الرضاعه أياماً عاشتها فاطمه بالحب والرحمه والرأفه والحنان النبوى اللامتناهى، ومع هذا كله كانت تعيش أجواء السلام والطمأنينه؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان مُحَصِّباً ناعماً بعمه أبى طالب الذى دأب يحنو عليه ويذب عنه كيد قريش ويدفع عنه طغاتها.

فكانت هذه السنن من عمرها المبارك مميزه ومليئه بالدفء والحنان والرحمه والحب والسكينه.

إلا أن هذه الأ-جواء لم تكن دائمه فقد تغير حال البيت النبوى بعد مرور عامين على ولاده فاطمه عليها السلام؛ إذ قد اجتمع المشركون وعزموا على فرض الحصار الاقتصادى والاجتماعى على بنى هاشم رجالاً ونساءً وأطفالاً فقضت أم المؤمنين خديجه عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنتها فاطمه عليها السلام هذه السنوات الثلاث حتى توفيت وقد تركت فاطمه وهى فى الخامسة من عمرها (فإننا لله وإنا إليه راجعون).

الفصل الثامن

خصائص دار خديجه عليها السلام فى مكه

توطئه: البحث عن الهويه الإسلاميه بين حضارتين ٧

المبحث الأول: موقع دار خديجه الجغرافى ١٣

١. إنه فى سوق الصباغين ١٤

٢. إنه فى شعب أبى طالب عليه السلام ١٤

٣. إنه فى زقاق العطارين ١٥

المبحث الثانى: صفه دار خديجه عليها السلام وفضله ١٦

المسأله الأولى: أقوال المؤرخين فى بيان صفه دار خديجه وإظهار فضله وشرافته ١٦

المسأله الثانیه: امتهان الوهايه لدار أم المؤمنین خديجه عليها السلام وتحويلها إلى دورات مياه!!! ٢١

المبحث الثالث: دار خديجه عليها السلام يشهد أهم الأحداث التى عاشها النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال ربع قرن ٢٤

ص: ٢٧١

المسألة الأولى: زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار خديجه عليها السلام وعيشه فيها ٢٤

المسألة الثانية: نزول الوحي بسوره المدثر في بيت خديجه عليه السلام ٢٥

المسألة الثالثه: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلن تنصيب وصيه وخليفته من بعده في دار خديجه عليها السلام ٢٧

المسألة الرابعه: إسلام الصحابه في دار خديجه عليها السلام ٣٥

أولاً: إسلام أبي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه في بيت أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٣٦

ثانياً: إسلام أبي بكر عند بيت خديجه عليها السلام ٣٨

المسألة الخامسه: إسرائ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من دار خديجه عليها السلام ٤١

أولاً: إن بيت خديجه هو المسجد الحرام ٤٢

ثانياً: إن لخديجه من الطهر ما لمريم عليهما السلام ٤٣

المبحث الرابع: مبيت الإمام على عليه السلام في دار خديجه عليها السلام ليله خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى

المدينه ٥٢

المسألة الأولى: كيف وقعت الحادثه ؟ ٥٣

ألف: ما رواه ابن إسحاق والطبرى وغيرهما ٥٤

باء: ما رواه الشيخ الطوسى رحمه الله ٥٨

المسألة الثانيه: الإمام على بن أبى طالب عليه السلام يفدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ابتغاء مرضاه الله تعالى ٦٩

المسألة الثالثه: شبهه ابن تيميه والحلبى في رد فضيله الفداء، شبهه واهيه ومخالفه للقرآن الكريم ٧٣

أولاً: إتفاق أهل العلم بالحديث والسير على صدور هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبه يتضح كذب ابن تيميه

٧٥

ص: ٢٧٢

القسم الأول: رواه أهل العلم بالحديث والسير لنزول جبرائيل وميكائيل لحفظ على عليه السلام ليله المبيت من الشيعة على رغم أنف ابن تيميه ٧٨

القسم الثانى: رواه أهل العلم بالحديث والسير من السنه والجماعه فى نزول جبرائيل وميكائيل ٨٢

ثانياً: اسماء الذين رووا من أهل العلم بالحديث والسير واتفاقهم على ان علياً عليه السلام هو الذى شرى بنفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنام فى مكانه فى دار خديجه عليها السلام ٨٧

ثالثاً: محاربه آيه الشراء منذ القرن الأول للهجره والى يومنا هذا ١٠٠

ألف. بذل معاويه آلاف الدراهم لتحريف نزول الآيه ١٠٦

باء. تعمد ابن تيميه الكذب على العلماء والقراء فى صرف الآيه عن على بن أبى طالب عليه السلام ١٠٨

جيم. منهج الألبانى فى دفع الآيه عن على عليه السلام ١٠٨

رابعاً: شبهه الحلبيه ومخالفتها للقرآن والسنه ١٠٩

١. رد شبهه، حصول الطمأنينه لعلى عليه السلام بقول الصادق له، لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ١١٠

٢. رد شبهه قول الحلبي: (فلم يكن فيه فداء بالنفس) ١١١

٣. رد شبهه قول الحلبي: (والآيه المذكوره فى سوره البقره هى مدنيه باتفاق) ١١٦

٤. رد شبهه قول الحلبي (وقد قيل انها نزلت فى صهيب) ١١٩

المبحث الخامس: من دار خديجه عليها السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام مصطحباً على بن أبى طالب عليه السلام ١٢٦

المسأله الأولى: كيف وصلت الأصنام إلى بيت الله الحرام ونصبت على سطح الكعبه ؟ ١٢٩

المسأله الثانيه: من دار خديجه عليها السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصطحباً علياً عليه السلام لتكسير الأصنام قبل الهجره ١٣٢

الحلقه الأولى: ما يدل على وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره دون تحديد السنه ١٣٤

الحلقه الثانيه: ما يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى ليله ميته على فراش النبى صلى الله عليه وآله وسلم

١٣٨

ألف. التلازم فى تحقق الأثر الإرشادى بين عمل نبى الله إبراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تكسير

الأصنام ١٤٠

باء. التوحيد ينطلق من دار خديجه وإليه يرجع الموحدون ١٤٥

جيم. الحكمه فى اجتماع تكسير الأصنام والمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ليله واحده ١٤٦

الحلقه الثالثه: ما يدل على تعدد وقوع حادثه تكسير الأصنام قبل الهجره ١٤٧

المسأله الثالثه: ما يدل على مباشره الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح ١٥١

أولاً: تعميم البخارى على دور الإمام على عليه السلام فى تكسير الأصنام فى فتح مكه ١٥٢

ثانياً: ما يدل على قيام الإمام على عليه السلام بتكسير الأصنام فى عام الفتح وتعهد البخارى ومسلم اخفاء ذلك ١٥٤

ثالثاً: العله فى عدم تمكن الإمام على عليه السلام من حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكسير الأصنام ١٥٧

المبحث السادس: التقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ببعض المؤمنين فى دار خديجه عليها السلام ١٦١

المسأله الأولى: روايه الشيخ الصدوق رضى الله تعالى عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار

خديجه عليها السلام ١٦٢

أولاً: تحقق رؤيه صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف فى زمن الغيبه الصغرى ١٦٤

ثانياً: تقوى الحسن بن الوجداء وشده مثابرتة على طاعه الله والتقرب إليه ١٦٤

المسأله الثانيه: روايه الشيخ الطوسى رضى الله عنه فى حضور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى دار خديجه عليها

السلام ١٦٦

ص: ٢٧٤

الفصل التاسع

حملها بفاطمه عليها السلام و ولادتها

المبحث الأول: خلقها من ثمار الجنه ١٧٥

المحور الأول: تفاعل الكتاب مع حدث خلق فاطمه من ثمار الجنه ١٧٦

الأمر الأول: اعتماد بعض الكتاب فيما يرونه على ما يتلاءم مع اعتقادهم ١٧٦

الأمر الثاني: الاختلاف في وقت حدوث رحله الإسراء لا يلغى الحقيقه ١٧٦

الأمر الثالث: الإعراض عن روايات أهل البيت عليهم السلام لا يدل على صحه المعروض عنها ١٧٧

المحور الثاني: السنه النبويه والعقل يؤكدان حقيقه خلق فاطمه عليها السلام من ثمار الجنه ١٧٨

أولاً ١٨١

ثانياً ١٨١

ثالثاً ١٨١

الأمر الأول ١٨٢

الأمر الثاني ١٨٢

المسأله الأولى: إنها خلقت من شجره طوبى ١٨٢

المسأله الثانيه: إنها خلقت من سفرجل الجنه ١٨٥

المسأله الثالثه: خلقها من رطب الجنه ١٨٦

المسأله الرابعه: إنها عليها السلام خلقت من تفاحه من الجنه ١٨٧

المسأله الخامسه: إنها خلقت من جميع ثمار الجنه ١٨٨

بعض دلالات الحديث: ١٨٩

أولاً: (فأصبت من ريح تلك الثمار) ١٨٩

ثانياً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان كثير الاشتياق إلى الجنة ١٨٩

المبحث الثاني: التهيئة النبويّة لنزول الأنوار الفاطميه ١٩٠

الوجه الأول ١٩٠

الوجه الثاني ١٩٢

المحور الأول: أحاديث اعتزال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس ومنهم أم المؤمنين خديجه عليها السلام ١٩٤

المسألة الأولى: (لماذا الاعتزال لمدته أربعين يوماً؟) ١٩٦

أولاً: (الاعتزال) ١٩٦

ثانياً: علم الأعداد والحروف وشرافه العدد أربعين ١٩٩

المسألة الثانية: «جبرائيل عليه السلام يهبط في صورته العظمى» ٢٠٤

أولاً: معنى تسميتهم بالملائكة ٢٠٤

ثانياً: المواضع التي ظهر فيها جبرائيل عليه السلام بصورته العظمى ٢٠٩

الموضع الأول ٢٠٩

الموضع الثاني ٢١٠

الموضع الثالث ٢١٠

ثالثاً: أثر الاعتزال والرياضه النفسيه في خلق الجنين ٢١٠

رابعاً: الأدب النبوي في بيان حبه لخديجه عليها السلام ٢١١

المسألة الثالثة: جبرائيل عليه السلام ينزل بالنور الفاطمي من الجنة ٢١١

أولاً: (اشتراك الملائكة الثلاثة عليهم السلام في إيصال الوديعه) ٢١٣

ثانياً: (هل يجوز تأخير الصلاه في شتى الأحوال لعل راجحه؟) ٢١٤

المسألة الرابعة: انتقال النور الفاطمي إلى الأرض الطاهره ٢١٨

أولاً: (المنهاج التربوي الأسرى عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٢٠

ثانياً: المنهاج التربوي في علاقه الزوجيه ٢٢١

ثالثاً: (الإحساس بثقل فاطمه عليها السلام) ٢٢٣

الحديث الثاني ٢٢٣

ص: ٢٧٤

أولاً: تعين ليله انعقاد النطفه النورانيه التي خلقت منها أم الأئمه ٢٢٤

ثانياً: القاسم وعبدالله عليهما السلام ولدا وماتا في الإسلام ٢٢٥

المبحث الثالث: كيف كانت ولاده فاطمه عليها السلام ؟ ٢٢٦

المسأله الأولى: إن فاطمه عليها السلام كانت تحدث أمها خديجه وهى فى بطنها ٢٢٧

المسأله الثانيه: بشاره جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أنثى ٢٣٧

المبحث الرابع:(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) ٢٤٦

المسأله الأولى: الحكمه فى ذكر الرفقه لآسيا مع خديجه فى الجنه ٢٤٨

المسأله الثانيه: ما هى العلاقه بين صفه نساء بنى هاشم وبين النساء اللاتى دخلن على خديجه عند ولاده فاطمه عليها السلام ؟

٢٤٩

المسأله الثالثه: ما معنى دخول نور فاطمه عليها السلام إلى بيوت مكه عند ولادتها؟ ٢٥٠

المسأله الرابعه: نطق فاطمه عليها السلام بالشهادتين ٢٥١

المسأله الخامسه: مكان ولاده فاطمه عليها السلام ٢٥٣

المبحث الخامس: إرضاع خديجه إياها (عليها السلام) ٢٥٤

المبحث السادس: تسميتها ٢٥٩

المبحث السابع: عقيقتها ٢٦٥

المبحث الثامن: فاطمه فى حجر النبوه ٢٦٦

المسأله الأولى: إن الله اصطفى لها ما لم يصطف لأحد من أوليائه ٢٦٦

المسأله الثانيه: السنين الأولى لطفولتها وتأثيرها فى أم المؤمنين خديجه عليها السلام ٢٦٩

ص: ٢٧٧

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

